

ابن المعتز

وترائه في الأدب والنقد والبيان

تأليف
د. محمد عبد المنعم خفاجي
الأستاذ والعقيد بجامعة الأزهر

دار الجيـد
بيروت

جميع الحقوق محفوظة
١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.

تمهيد

مقدمة الطبعة الثانية للكتاب

ابن المعتز علم من أعلام الفكر العربي ، وشاعر من لحول الشعراء العباسيين ، وأديب وعالم مرموق المسكاته في تاريخ البلاغة العربية والنقد الأدبي ، وهو مع ذلك كاتب من بلغاء الكتاب في عصره .

وكنت أشعر أن ابن المعتز قريب من قلبي وعقلي ، وهذا الشعور هو الذي دفعني إلى جعل حياته وأدبه وشعره وآرائه موضوع هذا الكتاب ، الذي صدرت الطبعة الأولى منه عام ١٩٤٩ في قريب من أربع مائة صفحة .

وهذه الطبعة الثانية للكتاب التي تبلغ نحو ضعف الطبعة الأولى ، أشعر كذلك بأني قد أسهمت بها في تقريب أدب ابن المعتز وتفكيره إلى أذهان القراء ، وفي جمع أصول تراث ابن المعتز الأدبي والعقلي ووضعها بين أيدي الباحثين والدارسين .

وأترك تقدير هذا الجهد للقارئ والنقاد ، وحسبي أن أكون أول من كتب كتاباً عن ابن المعتز في القديم والحديث ، ومن الله أستمد التوفيق والسداد في المؤلف

ربيع الأول ١٣٧٨ هـ
٢٠ سبتمبر ١٩٥٨ م

يشتمل هذا الكتاب على

- ١ - دراسة مفصلة لحياة ابن المعتز وأدبه وتراثه في النقد والبيان .
- ٢ - دراسة مستقلة عن التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي .
- ٣ - رسائل ابن المعتز .
- ٤ - رسالته المفقودة في نقد أبي تمام .
- ٥ - كتابه المفقود « الفصول القصار » .
- ٦ - شرح لأشهر ملاحم ابن المعتز التاريخية وهي قصيدته في تاريخ الخليفة المعتضد .
- ٧ - أرجوزة ابن المعتز في ذم الصبوح .
- ٨ - ديوان ابن المعتز : أشهر قصائده وتحليلها وقصائد عديدة لم تنشر في ديوانه .
- ٩ - نص كتابه « البديع » وشروحي عليه .

مقدمة الطبعة الاولى

فاتحة الكتاب

أسأله أن يودع صدورنا نور الحكمة ، ويشعر قلوبنا عز الحق ، وأعوذ به من العجب بما أحسن ، كما أعوذ به من التكلف لما لا أحسن ، وأسأله من التوفيق ما يعصمنا من الخيرة ، ويهدينا سواء السبيل ، وما نوفق إلا بالله .

موضوع هذا البحث ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان ، وابن المعتز علم جديد في تاريخ البحث الأدبي ، لم يتناوله كاتب من الكتاب ، أو نافذ من النقاد بالبحث والدراسة والتحليل ، وكل ما كتب عنه كلمات صغيرة تستغرق الصفحة أو الصفحات ، في كتب الأدب القديم ، التي تناولت ترجمة حياته ، وذكر شيء من شعره ، في إيجاز بالغ ، واقتضاب لا يروى غلة الغمام إلى معرفة الحقائق الأدبية التي نسبت على مر أحقابنا الطويلة ، وهذه الكلمات والتراجم هي التي رددتها كتابنا المحدثون ، حين كتبوا عن ابن المعتز ، فكان حظه وهو في عالم الأبدية كحظه وهو حي يقدو ويروح ، حاله الإهمال والجهود في حياته وبعدها ، بما حفزني إلى البحث والدراسة ، وكتابة هذا السفر الجديد ، الذي يتناول هذا العلم الفذ ، والشاعر الناقد ، والكاتب الأديب ، والعالم المجلي في حلبة العلم والعلاء ، والمؤلف المتنوع فيما كتبه وأخرجه من مؤلفات ، في تفصيل واسع ، وتحليل دقيق : لمصره وحياته وشخصيته ، وشعره وأدبه ، وأثره في النقد والبيان .

على أني لم أخط خطوة واحدة في هذه البحوث إلا بعد استقصاء ومراجعة لثق المصادر ، بما ظهر أثره واضحا في كل فصل من فصولها ، وموضوع من موضوعاتها ، وبما ملأ نفسي ثقة بهذا البحث وما يمكن أن يسفر عنه من نتائج في باب الدراسات الأدبية .

وفي هذا الكتاب بحوث وآراء ونظريات في الأدب والنقد والموازنة ، أعتقد أنها جديدة كل الجدة ، وهي كثيرة جدا ؛ وفيه كشف لثق سمات شخصية ابن المعتز الاجتماعية والأدبية والعلمية .

وقبل أن أبدأ في كتابة هذا البحث شرحت كتاب البديع لابن المعتز شرحاً وافياً ونشرته في أوائل سنة ١٩٤٥ ، ثم أخذت أجمع رسائل ابن المعتز الأدبية ونثره الفني وما يمكن أن أعثر عليه من كتابه المفقود ، الفصول القصار ، حتى اجتمع لدى من ذلك مقدار ليس بالقليل ، فأضفت إليه رسالته في نقد أبي تمام ، وشرحاً وافياً لأرجوزته في المشطد ، وأرجوزته في ذم الصبوح ، ونشر ذلك كله باسم رسائل ابن المعتز عام ١٩٤٦ ، وكنت على وشك إعداد كتابه « طبقات الشعراء » للنشر لولا أني علمت أن أدبياً بدار الكتب سيقى إلى حمل هذا العبء الثقيل ، كما أني أخذت أجمع شعر ابن المعتز الذي خلا منه ديوانه المطبوع ، وهو كثير جداً ، حتى جمعت من ذلك مقداراً مناسباً ، وبعد قراءة لديوان الشاعر المخطوط بدار الكتب المصرية وجدته قد جمع كل ما تفرق من شعره ، فوقفت عن المعنى في هذه الغاية ، وعزمت على شرحه ونشره ، لولا أن نشره أحد المستشرقين في استامبول عام ١٩٤٥ ، وقد نشرت جزءاً مما جمعت من متفرق شعره ذيلاً لرسائل ابن المعتز ، كما نشرت كتاباً جديداً باسم « التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي » في أواخر عام ١٩٤٨ .

وهذا هو كتابنا الجديد ، ابن المعتز وتراثه في الأدب والتقد والبيان ، أقدمه للأدباء والعلماء والباحثين . وما توفيق إلا بالله ؟

الباب الأول

عصر ابن المعتز

الفصل الأول

الحياة السياسية في العصر العباسي

(١)

عاش ابن المعتز في العصر العباسي الثاني الذي ينتدى به خلافة المتوكل عام ٢٣٢ (١) هـ ، وينتهي بفتح بني بويه بغداد عام ٣٣٤ هـ .

وإذا كان العصر العباسي الأول (١٣٢ - ٢٣٢ هـ) (٢) يمتاز بقوة الخلافة وعظمة الخلفاء ، ومجد الدولة ، وبنفوذ الفرس فيه . فإن العصر الثاني (٢٣٢ - ٣٣٤ هـ) (٣) يقسم بضعف الخلافة ، وضياع هيبة الخلفاء ، وقساد شؤون الدولة ، وذلك بسبب نفوذ الأتراك الذي بلغ حدا كبيرا في هذا العصر .

وأول من استخدم الأتراك في الجيش الخليفة المنصور المتوفى عام ١٥٨ هـ ، ولكنهم كانوا شريحة صغيرة لا شأن لها في الدولة بجانب الفرس والعرب (٤) ، وألف المأمون فرقة صغيرة منهم لبسائهم ، وعاشوا بعيدين عن شؤون الدولة وسياستها ، لميل المأمون إلى الفرس أخواله .

وكانت أم المعتصم «ماردة» تركية من السغد ، فنشأ ومعه كثير من طبائع الأتراك ، مع الميل إليهم لأنهم أخواله ، وشاهد المعتصم جراءة الفرس ونشاطهم على الخلافة بعد قتل الأمير (٥) فصار يحافهم على نفسه وضاعت ثقته بهم ، كما ضاعت

(١) يرى بعض الكتاب أن ابتداء الفيل يقتل للمتوكل عام ٢٤٧ هـ وهو العام الذي ولد فيه ابن المعتز .

(٢) يميز على هذا التقسيم كثير من الباحثين (ص ٩ ج ٢ تاريخ آداب اللغة لزيدان ، و ص ٤ ج ٤ التمدن الإسلامي ، ٢١١ تاريخ الأدب العربي للزيات ، ص ٦ ج ١ ضعي الإسلام) . ويحمل بعض الباحثين العصرين عصرًا واحدًا (٣ آداب اللغة في العصر العباسي للأسكندري ، ١٦ تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي لمحمود صغلي ، ١٦٥ ج ١ للفصل) .

(٣) ويرى بعض الكتاب أن ابتداء الفيل يقتل للمتوكل عام ٢٤٧ هـ .

(٤) ١٦٧ ج ٤ التمدن الإسلامي .

(٥) قال طاهر بن الحسين وهو فارسي :

أبومقي السامون خطة عاجز أو مارأي بالأس وأس عمد؟

تقته بالعرب ، فأخذ يتقوى بالأتراك ويتخير منهم الأشداء يتناهم بالمسال من مواليتهم ، حتى اجتمع لديه آلاف من قبل أن تفضى إليه الخلافة (١) .

ولما مات المأمون سنة ٢١٨ هـ كان هوى الحزب الفارسي مع ابنه العباس ونادوا به خليفة ، ولكن العباس بايع لعمه المعتصم فسكن الجند (٢) ، فكان ذلك أيضا مما زاد من تقرب المعتصم للجند الأتراك وإثارة لهم .

وفي عام ٢٢٠ هـ استقدم المعتصم عددا كبيرا من الأتراك ، اشترىهم وبذل فيهم الأموال ، وبلغت عدتهم ثمانية عشر ألفا (٣) . ثم ازداد عددهم في جيشه حتى بلغوا السبعين ألفا (٤) . ولما ضاقت بهم بغداد ، وكثرت الخصومات بينهم وبين الجمهور ، وبينهم وبين الفرس أتى المعتصم سامرا على شاطئ دجلة وعلى مسيرة ثلاثة أيام من بغداد ، فاتخذها معسكرا لجيشه ، وحاضرة لذلك ، منذ عام ٢٢١ هـ (٥) ، وأصبحت مدينة عظيمة في مدة وجيزة (٦) ، وصارت من أجل الحواضر الإسلامية وظلت مقر الخلافة حتى عام ٢٨٩ هـ (٧) . أسلم الأتراك ، وأخذوا يتعللون العربية ويتكلمون بها ، وصاروا موضع ثقة الخليفة وإثارة ، وكان ذلك ضربة قاضية على العرب ونفوذهم في الدولة ، وكتب المعتصم إلى عماله بإسقاط من في دواوينهم من العرب وقطع المطاع عنهم وأنزلهم عما كان لهم من قيادة الجيوش ، ومنعوا الولايات (٨) .

وانتقلت سياسة الدولة من أيدي الفرس إلى أيدي الأتراك (٩) ، الذين أخذوا يشكلون بالفرس والعرب جميعا ، وسموا في قتلهم ، وموقف الاقننين من أبي دلف وأمره بقتله لولا أن أنقذه ابن أبي دؤاد معروف (١٠) .

ولم يحض غير قليل حتى كان لهم النفوذ والسيطرة على الخلافة والخلفاء ، وخاصة

= (١٥٧ : ١ : العقد الفريد) ، وينسب لمبيل (٢٦٦ : ٧ : مذهب الأغاني ، ٥٢ : ٢ : آداب اللغة لزيدان ، ٣٥٠ : الشعر والشعراء) .

(١) : ١٦٨ : ٤ : التمدن الإسلامي .

(٢) : ٣٠٤ : ١٠ : الطبري (٣) : ٢٢٣ : ٢ : النجوم الزاهرة (٤) : ٤ : الصبر العباسي للبيهقي

(٥) : ٩ : ٤ : وما بعدها سروج الذهب (٦) : ٥٢ : ٥٣ : تاريخ الحضارة لبيارتوف .

(٧) : ١٠٠ : ١ : ظهر الإسلام - (٨) : ١٤٤ : ٤ : التمدن ، ١٦٥ : حضارة الإسلام في دار السلام

(٩) : ١٧٠ : ٤ : التمدن (١٠) : ٥٤ : الأذكياء لابن الجوزي .

بعد فتح حمورية وقتل بابك عام ٢٢٣ هـ ، وصار أكثر الوزراء وجميع قادة الجيش منهم ، واشتهر من بينهم الاثني م ٢٢٦ هـ واشناس م ٢٣٠ هـ ، وإيتاخ م ٢٣٥ هـ وسوام ، وتغلغل نفوذهم في جميع مناصب الدولة لكثرتهم وبسالهم وتأيد الخلفاء لهم ، حتى ان الواثق (٢٢٧ - ٢٣٣ هـ) استخلف عام ٢٢٨ هـ اشناس التركي على السلطنة وألبسه وشاحين وتاجاً (١) ، وفي عهده نكل بفا الكبير وجيشه بكثير من العرب (٢) .. ولما مات الواثق عام ٢٣٣ هـ ، سعى الأتراك في ترشيح جعفر المتوكل بن المعتصم للخلافة ، لأن أمه (شجاع) غوازية تركية ، فتم لم ما أرادوا ، واستبدوا في عهده بأمور الدولة وشئون الخلافة ، واحتطد الخليفة الشيعة وأكثرهم غارسيون ، وزاد في رعاية الأتراك وتقديمهم ، فزاد طمعهم في الدولة ، وأصبحوا مصدر قلق واضطراب ، فهم يكرهون الفرس والعرب ، وهم كثيرو الدسائس والمؤامرات ، كثيرو الطمع في الأموال ، والعبث بالأمن .

ندم المتوكل على ما فرط ، وأخذ يعمل على كبح جماح الأتراك ، فحبس إيتاخ حتى مات عام ٢٣٥ هـ ، وأراد عام ٢٤٣ هـ نقل العاصمة من سامرا إلى دمشق ، لكن ذلك لم يتم له ، ثم عزم على قتل وصيف وبغا وغيرها من قواد الأتراك ووجوهم . ولكنهم كانوا يحكمون تديراً آخر لقتل الخليفة (٣) ، وتقدم باغر التركي حارس المتوكل ، ومعه عشرة غلمان من الأتراك ، ينفذ المؤامرة التي دبرها القواد الأتراك ، ومعهم المنتصر الذي كان أبوه المتوكل يكرهه ويوشك أن يعزله من ولاية العهد ؛ ودخلوا على الخليفة فقتلوه في قصره الجعفري ، وقتلوا معه وزيره الفتح بن خاقان ، وذلك في أواخر عام ٢٤٧ هـ (٤) .

وكان قتل المتوكل أول حادثة اعتداء على الخلفاء العباسيين وكانت هذه الحادثة بدء مصرع الخلافة ومجد الأتراك .

وفي ذلك يقول البيهقي :

(١) ١٣٥ تاريخ الخلفاء .

(٢) ١٢ ج ١١ الطبري . (٣) ٦٥ - ٦٧ ج ٤ مروج الذهب .

(٤) راجع مقتل المتوكل وسماته في (٢٦٠ - ٢٦٤ ج ١ زهر الآداب) ،

ومروية يزيد النهدي في (٣١١ ج ٢ وما بعدها من الكامل للبرد ، ١٨٦ ج ٢ النقد ، ٢٦٣ ج ١ زهر الآداب) .

أكان ولي العهد أضمر غدرة فن عجب أن ولي العهد غادره
فلاملك الباقي تراث الذي مضى ولا حملت ذاك الدماء متابره

ويقول المهلبى :

لا حزن إلا أراه دون ما أجد وهل لمن فقدت عيناي مفتقد
ومنها : فلو جعلتم على الأحرار تمتكم حتمكم السادة المذكورة الحشد
ورأى يزيد المهلبى هذا يشبه رأى إسحاق بن إبراهيم المصعبى م ٢٣٥ هـ في
الأتراك حين شك المتصم غدر من اصطنتهم من قوادهم مع وفاء من اصطنتهم
أخوه المأمون من الرجال له (١) .

ويقول على بن الجهم :

عبيد أمير المؤمنين قتلته وأعظم آفات الملوك عبيدها
بنى هاشم صبرا فكل مصيبة سبيل على وجه الزمان جديدها
وإذا كان الشعب يكره الأتراك من بدء اصطناع المتصم لهم ، فإن هذه المأساة
المؤلمة كانت سببا في زيادة كراهية الرأى العام لهم ، ونقمتهم عليهم .
ازداد عقب ذلك نفوذ الأتراك في عهد المتصم (٢٤٧ - ٢٤٨ هـ) ، ثم في عهد
المستعين (٢٤٨ - ٢٥٢ هـ) ، ثم عادوا يظلموه من العرش ثم قتلوه وأقاموا مكانه
في الخلافة المعتز بالله بن المتوكل عام ٢٥٢ هـ .
كان المعتز يكره الأتراك ، ويريد أن يثار منهم لآبيه ، ففي عهده قتل وصيف
عام ٢٥٣ هـ ، ثم بفا عام ٢٥٤ هـ ، وفي مصرعه يقول البحتري من قصيدة مدح بها
المعتز بالله (٢) :

أضحى بناء وأقربوه وحزبه وكأنتهم حلم من الأحلام
طاحوا فابكت العيون عليهم بدموعها ومضوا بغير سلام
وبعد قليل سار الأتراك إلى المعتز فوجوه وطالبوه بالأموال ، ثم عذبوه
وضربوه بالدبابيس ، وجروه برجله إلى باب الحجرة ، وأقاموه في الشمس حافياً (٣) .

(١) راجع ٨ ج ١١ الطبرى . (٢) راجع ٢٣٤ - ٢٢٦ ج ٢ ديوان البحتري .
(٣) ١٦٢ ج ١١ طبرى ، ١٣٠ ج ٢ شذرات الذهب ، ١٢٠ ج ٤ مروج الذهب .

وكان بعضهم يلطمه وهو يتق بيده ، ففزع المعتز نفسه عام ٢٥٥ هـ ؛ ثم حبسوه وقتلوه ، وولوا مكانه المهتدي بن الواثق ، الذي لم يعجبهم زهده وورعه وحيه للمدالة ، فخلعوه عام ٢٥٦ . ومات بعد خلعه بأيام .

وفي عهد المعتد (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ) اشتد الخلاف بين فرق الأتراك ، فطلبوا أن يكون القائد الأعلى للجيش أحد إخوة الخليفة ، وألا يرأسهم أحد منهم ، فغوى المعتد أخاه الموفق أمر الجيش والولايات عام ٢٥٧ هـ ، وبعد قليل أصبح السلطان الفعلي للموفق لا للمعتد ، وصارت كلته هي العليا على الأتراك وقوادهم ، فكسح غير قليل من جماعهم ، وأثر ذلك في حسن الأحوال قليلاً .

وسار المعتد بن الموفق في خلافته (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ) سيرة أبيه ، فعمل على رفع شأن الخلافة ، والحد من نفوذ الأتراك بقدر ما استطاع ، ولم يحاربهم على حساب القانون والمدالة ، فاقص من ترك ارتكب معصية (١) ، وقتل قائداً تركياً قتل غلاماً له ومدحه ابن الرومي على ذلك (٢) ، وفي المعتد يقول ابن المعتز من أرجوزته في تاريخه :

قام بأمر الملك لما ضاعا وكان نبياً في الوري مشاعا
وكل يوم ملك مقتول وغائب مسروع ذليل
وكل يوم شعب وغضب وأنفس مقتولة وحرب
وكم فتاة خرجت من منزل ففصبوها نفسها في المحفل
ويطلبون كل يوم رزقاً يروونه ديناً لحسم وحفا
كذلك حتى أفقرتوا الخلافة وعودوها الرعب والخفا

ومات المعتد ، فسار ابنه المكتفي (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ) في خلافته بسيرة والده من الحزم والعزم والأخذ على يد الأتراك .

وبعد وفاته ولي الأتراك أخاه المقنن العرش بعده ، وكان طفلاً صغيراً ، وأبدوا عرشه بيطشهم وظل خليفة إلى عام ٣٣٠ هـ .

(١) راجع نقوار المحاضرة جزء ١ ص ١٥٢ . (٢) ديوان ابن الرومي ص ٣٠٣ .

وهكذا كانت أمور الدولة في العصر العباسي الثاني تسير في طريق بعيد عن المألوف وتتجمع كل سلطة ونفوذ في أيدي الأتراك ، الذين لم يبالوا بشئ في سبيل أهوائهم وشهواتهم ، واعتدوا على قدسية الخلافة وجلال الخلفاء ، وكانوا كثيرأما يتهبون الدور ، ويتعرضون للحرم والقلان ، فكرههم الناس كرهاً شديداً ، وكان نفوذهم في الدولة جرحاً دامياً يؤلم كل عربي صميم ، حتى هجا دعبل المتوفى ٢٤٦ هـ المعتصم لشدة تمصيه لهم :

لقد ضاع أمر الناس حيث يسوسهم وحيث وأشناس وقد عظم الخطب
ومحك تركي عليه مهانة فانت له أم وأنت له أب
ويقول العلوي صاحب الزنج م ٢٧٠ هـ :

بنى عشنا ولينم الترك أمرنا ونحن قديماً أصلها وعودها
فا بال عجم الترك تقسم فيتنا ونحن لدينا في البلاد شهودها
فأقسم لاذقت القراح وإن أذق قبلة عيش أو يباد عيدها (١)

وقد قام الشعب بعدة ثورات ، أهمها ثورة عام ٢٤٩ هـ التي اشترك فيها الجنود الشاكرية ؛ وقضى عليها الأتراك بعنف وقوة ، وقد سارل بعض زعماء الأتراك التخفيف من حدة شعور الرأي العام وبنفضه لهم ، وقادوا بدعايات كثيرة ، كان من أبرعها رسالة كتبها الجاحظ بإيحاء الفتح بن خاقان وحاول بها لإيجاد جو من الثقة والتفاهم والآلفة بين الأتراك وجمهور الشعب ، وقد قدمها الجاحظ إلى الفتح ، والظاهر أنه كتبها في أيام المعتصم ، ولكنها لم تصل إليه بفعل حاشيته من الفرس والعرب ، فأعاد كتابتها من جديد في عهد المتوكل ، ودعا فيها إلى وحدة الأجتناس والمتناصر وأشاد فيها بالأتراك وطلوأتهم إلى حد بعيد (٢) . وهذه المحاولة وسواها من المحاولات قد فشلت جميعاً في الوصول إلى الغرض المنشود .

وامتاز العصر الثاني بنفوذ الفلاني فيه ، وخاصة في آخره وفي عهد المقتدر ، الذي كان عنده أحد عشر ألف خادم من الروم والسودان (٣) ، وتولى كثير من الخدم قيادة الجيوش وأهم الأعمال في الدولة ؛ كبدر غلام المعتصم ، الذي تولى

(١) زهر الآداب ج ١ ص ٣٣١ .

(٢) راجع رسالة الجاحظ في مناقب الترك وهي في أول مجموعة رسائل الجاحظ .

(٣) راجع التقي ج ٤ ص ١٧٥ ، آداب اللغة لزيدان ج ٢ ص ١٥٤ .

قيادة الجند ونقش اسمه على الأعلام ، وأبلى في خدمة مولاه بلاء حسناً ؛ حتى قتل في سبيله عام ٣٨٩ هـ .

ونشطت النساء ، وكثر نفوذهن أيضاً الدولة ، وكان معظم ذلك في عهد المقتدر لتسلط الخدم والحجاب .

وفي ظلال هذه الفوضى السياسية ؛ استقلت كثير من البلاد عن خلفاء بغداد ، وأهم هذه الدول المستقلة : الدولة الطولونية بمصر (٣٥٤ — ٣٩٢ هـ) وهي تركية والدولة الإخشيدية بمصر (٣٣٢ — ٣٥٣ هـ) ، وهي تركية أيضاً ، والدولة الطاهرية بخراسان (٣٥٠ — ٣٥٩ هـ) وهي فارسية ، والدولة السامانية في ماواء البر (٣٦١ — ٣٨٩ هـ) وهي فارسية أيضاً ، والدولة الصفارية بقارس (٣٥٤ — ٣٩٠ هـ) والدولة الدافقية بكرديستان (٣١٠ — ٣٨٥ هـ) وهي عربية ، والدولة العلوية بطبرستان (٣٥٠ — ٣٩٦ هـ) .

(٢)

كما حفل العصر العباسي الثاني بكثرة ثورات العلويين وغروهم على الخلافة ، مما تجد أخباره ونتائج في « مقاتل الطالبين » ، وسبب ذلك راجع إلى اضطهادهم واضطهاد شيعتهم .

فقد كثر اضطهاد الشيعة في هذه الفترة الحافلة ، وأسرف في ذلك المتوكل على الله فإنه لما تولى الخلافة اضطهد الشيعة ، وشدّد التكفير عليهم ، وصادر أموال العلويين وشيعتهم ، وغالى في تشريدهم ، وأمر في عام ٣٣٧ هـ بهدم قبر الحسين بكر بلاء (١) وكان الرشيد يقتل أولاد قاطمة وشيعتهم (٢) ، من حيث كان المأمون يرعى العلويين ولا يؤذى أحداً منهم (٣) .

وكان المتوكل يبغض المأمون والمعتصم والواثق لمحبتهم لابي (٤) ، وكان شديد البغض لعل وأهل بيته ، وذلك راجع لموضع خؤولة من الترك وسلطان الأتراك في الدولة . وتاريخ الأتراك مملوء بكرههم للتشييع والشيعة ، وبالحروب المتصلة

(١) ٢٧٩ هـ ٣ محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية للنضري بك ، ١٩ ج ٧ وما بعدها ابن الأثير . (٢) القند ج ١ ص ٢٤٩ . (٣) راجع مناظرة المأمون لإفقياء في تقضيل على (٢٧٩ — ٢٨٩ هـ القند) . (٤) ظهر الإسلام ص ٤١ ج ١ .

بينهم وهم سنيون وبين الفرس وهم شيعة . . وبذهاب الشيعة ونفوذهم من بغداد ذهب نفوذ الفرس منها ، وغلبت السنة على الدولة من ذلك الحين .

وسرت في الدولة بعد المئوكل موجة اضطهاد العلويين والشيعة ، فالمتنصر كان يقاوم العلويين كأبيه (١) ، وتذكر بعض المصادر أنه أراد أن يحسن صلته بالبيت العلوي ولكن لم تطل مدته (٢)

ولكن عهد المعتضد كان عهد خير على العلويين ، فإنه لم يتعرض في أيامه لهم ولا آذاهم ولا قتل منهم أحداً (٣) .

وكان البعض يشنع على آل أبي طالب عند المكتنفي فنهاهم عنه (٤) . . وعلى الجملة فإن أغلب هذا العهد كان عهد محنة واضطهاد للعلويين ومن والاهم .

وقد ورث ابن المعتز روح التعصب على العلويين عن أسرته وجده المئوكل ، فأكثر في شمره من حجاجهم ودفنهم عن الخلافة . والدعوة إلى الانتقام من الثائرين منهم ، وسيأتي ذلك إن شاء الله .

وبعد فالحياة السياسية في العصر الثاني كانت مزيجاً من الاضطراب والفوضى لإلأفي عهود قليلة . وقد ساد فيها نفوذ الأتراك والخدم ، واضطهد العلويون والشيعة . واستقل كثير من الأمراء بالأقاليم من بغداد .

(١) الإدارة الإسلامية لسكرتير ط ١٩٣٤ ص ١٧٣ . (٢) ظهير الإسلام ص ٤٤ ج ١
(٣) المرجع بعد القصة ص ١٣٣ ج ١ . (٤) الألفاني ص ١٤٣ ج ٩ .

الفصل الثاني

الحياة الاجتماعية^(١)

(١)

أساس الحياة الاجتماعية هي الحلة الاقتصادية التي تسيطر على الناس من حيث لا يشعرون .

والحياة الاقتصادية في العصر الثاني كانت شديدة الاضطراب والقوضى إلى حد بعيد . انتشر نظام إقطاع الأرض مكافأة أو هبة للقربين لدى الخلفاء والوزراء (٢) ، وكان كبار الملاك يستقلون بإقطاعياتهم دون اهتمام بتحسين حالة الناس وكانت الرشوة منتشرة بين طبقات الموظفين ، حتى الوزراء الذين كانوا يسوغونها أمام ضنائهم (٣) وأمام الخلفاء . كما فعل سليمان بن وهب الوزير أمام المهدي . وعمت المصادرة وانتشرت بين طبقات الناس وأصبحت بنو الأيام المصدر الرئيسي لبيت المال (٤) ، وأنتهى لها ديوان مخصوص (٥) .

وكانت ضرائب الأتليان أساس دخل الخلافة (٦) . وبدل على مدى قوة الدولة أن متوسط جبايتها كان في أواسط القرن الثالث كما ذكر ابن خردادبة — نحو ثلاثمائة مليون درهم (٧) بعد أن كان في عهد المأمون والرشيد أكثر من ٣٩٠ مليوناً (٨) وفي عهد المعتصم ٣٨٨ مليوناً (٩)

وكانت نفقات المعتضد سبعة آلاف دينار في اليوم (١٠) وذلك نحو مليونين

(١) يراد بالحياة الاجتماعية ما يؤثر بين أفراد الأمة من الصلات والأسباب .
(٢) تاريخ الحضارة الإسلامية لبارتولد . (٣) ١٠٦ : ٧ مهذب الأمانى .
(٤) ١٨٠ : ٤ التمدن الإسلامي . ١٦٩ الإدارة الإسلامية . (٥) ١ : ٣٥ ظهر الإسلام و ١٦٩ الإدارة . (٦) ٥٣ بارتولد و ٦٩ : ٥ التمدن . (٧) ٢ : ٦١ التمدن . (٨) راجع ١٧٩ — ١٨١ مقدمة ابن خلدون و ٥٣ : ٢ التمدن و ١٥٢ حضارة الإسلام في دار السلام .
(٩) وذلك وفق ما ذكره في كتاب الخراج ، ٥٩ : ٢ التمدن . ومتوسط الجباية في العصر الأول كان نحو ٣٦٠ مليوناً في العام ينفق منها على مصالح الدولة نحو ٥٠ مليوناً والباقي يظل في بيت المال تحت تصرف الخليفة يصرف منه المرتبات والسككيات ، ٦٩ و ٧٠ : ٥ التمدن .
(١٠) ٣٥٣ — ٣٥٥ : ٣ الخفري بك

ونصف مليون من الدنانير أو خمسين مليوناً من الدراهم في العام (١) ، فالباقى من مجموع الجباية هو الذى يبقى في بيت المال تحت تصرف الخليفة (٢) . وقد كثرت ثروات الخلفاء والوزراء وسواهم من طبقات الخاصة (٣) حتى ترك المتصور أربعة عشر مليوناً من الدنانير - ٦٠٠ مليون درهم - وترك الرشيد واحداً وعشرين مليوناً (٤) - وترك المعتضد في خزانة الدولة أموالاً طائلة فوق ما تركه من ثروة خاصة

(٢)

وكانت الدولة الإسلامية في ذلك الحين مؤلفة من عدة عناصر أهمها :
الأتراك : وكان لهم النفوذ السياسى في الدولة ، وقضوا على نفوذ الفرس والعرب جميعاً ، وتولوا شتى المناصب الرفيعة في الحكومة . وأغلبهم الاجتماعية ضعيفة (٥) ، وكان فيهم عيب بالأخلاق وشراة في جمع الأموال (٦) ، وكانوا مشهورين بالجمال والنظافة ، فكثرت الجوارى الأتراك في قصور الخلفاء والأثرياء ، حتى كان كثير من الخلفاء من أمهات تركيات ، وطابع الترك حب الجندية والفروسية والانتصار للمذهب أهل السنة ، والبعد عن الفلسفة والمجدل في الدين ، وحب المسال وجمعه من أية سبيل ، مع عدم الرغبة في الإصلاح .
المتنصر الفارسي : وكانوا عماد النظام السياسى والإدارى للدولة ، ولكن الترك أقصوهم عن منزلتهم التي كانت لهم في العصر الأول . فأغذوا يدسون الدسائس والمؤامرات . ويرمون إلى الاستقلال عن الخلافة . وكانت الدولة تتأثر بهم في حياتهم العقلية الخصبية . وعاداتهم وتقاليدهم العامة وكانوا دعاة الترف .
المتنصر العربي : أقصى عن النفوذ في الدولة والخلافة ، وكان للمعتصم في ذلك أثر معروف ، وكان نفوذ العرب أظهر ما يكون في الشام والجزيرة حيث كونوا لهم هناك دويلات كثيرة . وطابع العرب الزهو والاعتزاز بالنفس والفضائل والميل إلى الأدب والرغبة في السيادة .
وهناك عنصران آخران كان لهما أثرهما في الحياة الاجتماعية في هذا العصور هما

(١) ٢ : ٦٦ التمدن (٢) ٢ : ٦٧ التمدن (٣) ١٠١ : ٥ التمدن
(٤) ٣٣ : ٢ وما بعدها التمدن (٥) ظهر الإسلام ج ١ ص ٣٢
(٦) المربع نفسه ص ٣٤ . ٣٥

الزنج والروم : أما الروم فقد كثر أسراهم في بيوت الخلفاء والأغنياء ، حتى كان بعض الخلفاء من أمهات تركيات . وكانت الجوارى الروميات والغلمان الروم يملأان القصور ، وتمشقيهم الشعراء ، فكان للبحرئى غلام رومى اسمه نسيم (١) ، وكذلك كان لسواء من الشعراء ، ومن هذا المنصر : ابن الرومى م ٢٨٣ هـ .. وأما الزنج والسود فكانوا يحملون من سواحل أفريقيا الشرقية ، وكانوا يعملون في الزراعة والصناعة وفي بيوت الطبقات المتوسطة ، وليس أدل على كثرتهم وخطرهم من الثورة التي هددها بها الدولة (٢٥٥ - ٢٧٠ هـ) وكانت حربا بين الأجناد ، وظلت حتى قضى عليها الموفق عام ٢٧٠ هـ .

وكان الفرق بين طبقة الخاصة وطبقة العامة كبيراً (٢) ، والتنفوذ والثروة في يد الخاصة من الناس مما يستلزم الترف واللهو والمغالاة في البنيان . فقد اتفق المعتصم على بناء (سامرا) أموالاً طائلة ، وكذلك فعل المتوكل في بناء الجعفرى وسواء من المباني التي اتفق عليها نحو خمسة ملايين من الدنانير . وبني المعتضد قصر التاج في الجانب الشرقى من بغداد وأتمه ابنه المستنق ، وبني المعتضد على بعد ميلين منه قصر الثريا الذي بلغ طوله ثلاثة فراسخ وأتفق عليه نحو نصف مليون من الدنانير ، ووصله بالقصر الحسنى بمراداب تحت الأرض بلغ طوله ميلين وكانت تمشى فيه جواربه وحرمة (٣) . وفي تهيئة المعتضد بقصر الثريا نظم ابن المعتز قصيدته : سلبت أمير المؤمنين على الدهر ولا زلت فينا باقيا واسع العمر حللت الثريا خير دار ومنزل فلا زال معموراً وبورق من قصر فليس له فيما بنى الناس مثله ولا ببناء الجن في سالف الدهر

ويصف في أوجوزته في المعتضد قصر الرباب فيقول :

فن رأى مثل الرباب قصراً كم حكمة فيه تخال سحراً
أبنية فيها جنان الخلد لكل ذى زهد وغير زهد
تخبر عن عز وعن تمكين وحكمة مقرونة بالدين
ومظاهرات قوة الإسلام على أعاديه من الأنام

(١) معاهد التنصيص ص ١١٠ : ١ - مهذب الأغاني ج ٧ ص ١٩٤
(٢) راجع الطبقات الاجتماعية وحياتها في هذا العصر في التمدن الإسلامى (٢٠-٥٩ : ٥٠ : ١٠١-١٢٩ : ٥٠) (٣) التمدن الإسلامى صفحة ٩٣ و٩٤ وظهر الإسلام ج ١ صفحة ٩٩

وهكذا كان الترف والتعميم حظ عدد قليل ، هم الخاصة من الناس وبعض رجال التجارة والصناعة . على حين كان الفقر والبؤس والشقاء للعامة وهم أكثر الناس (١) .

وكان من مظاهر الترف في هذا العصر - كما ذكرنا - كثرة الرقيق حتى امتلأت به القصور ، فكثرت نسل الجوارى واختلطت الدماء ، وأشاع هؤلاء الجوارى فن الغناء ، كما نشرن اللهو والمجون بين شتى الطبقات .

(٣)

ولتنوع الحياة الاجتماعية إلى خاصة وعامة وترف وفقر ونسك ولهو ، كانت البلاد معرضة للتحلل ، ومجالا لدعاية الجماعات السرية وأصحاب المذاهب الذين كانوا يروجون الأغراض الاجتماعية بالمبادئ الدينية وبمعالجون الترفيه عن الفقراء بالدعوة إلى المساواة .

فكان فيها التشيع برجالاته ، والاعتزال بطوائفه ، والسنة باختلاف أقوالها ، والفلسفه بمذاهبها ، والعلوم الحديثة بأنواعها ، وطوائف الأديان الأخرى بمبادئهم وآرائهم .

وقد قامت جماعات تكافح الشك في الدين والمجون في المجتمع ويدعون إلى الحياة الإسلامية بأخلاقيها ومبادئها وسلوكها ، ومنهم الحنابلة الذين كانوا يقومون بثورات كثيرة في بغداد لمحاربة المجون والالحاد .

وفي بعض مظاهر هذا الترف والبنخ ، يقول علي بن الجهم واصفا قصر الجعفرى الذى بناه الخليفة المتوكل على الله :

وما زلت أسمع أن الملو ك تبني على قدر أقدارها
وأعلم أن عقول الرجال يقتضى عليها بآثارها
فلسا رأينا بناء الإمام رأينا الخلافة في دارها

بدائع لم ترها فارس ولا الروم في طول أعمارها
والروم ما شيد الأولون والفرس آثار أحرارها
وأفئدت تخرج للسلين على ملحدتها وكنافها
صيون تسافر فيها العميون إذا ما تجلت لأبصارها
وقبة ملك كأن النجوم تقضى إليها بأسرارها
ولضيئ أبواب الرزق على كثير من الناس كثر أهل الكدية ، إذ كانت
تدور عليهم أخلاف الرزق .

الفصل الثالث

الحياة العقلية^(١)

(١)

في العصر العباسي الأول (١٣٢ - ٢٣٢ هـ) ازدهرت الحياة العقلية ازدهارا كبيرا ، وتلاقحت في الحواضر الإسلامية شتى الثقافات التي تمثل حضارات الأمم العريقة وآثارها ، في العلم والثقافة . . كانت الدولة مزججا من شعوب كثيرة ، وكانت عقلية هذا الشعب الجديد يتجلى عليها أثر الثقافات والوراثات .

كان التفوذ فيه للفرس ، وانتشرت ثقافتهم انتشارا كبيرا على يد الوزراء وكتابه الفارسيين ، ونقل المثقفون - من الفرس الذين أجادوا العربية والعرب الذين أتقنوا الفارسية - إلى العربية تراث الفرس القديم في الحضارة والثقافة ، وإنتاج الذين أجادوا اللغتين من هؤلاء كان صادرا عن عقليتين وثقافتين ؛ وكان رجال العلم في هذا العصر أكثرهم فارسيون ، حتى قال ابن خلدون : إن حملة العلم في الإسلام أكثرهم من المعجم (٢) ، ودخلت الثقافة اليونانية في هذا العصر على الفكر الإسلامي بامتزاج الجذنين في الحياة الاجتماعية وبتشجيع الخلفاء لترجمة كتب الطب والنجوم والفلسفة من اليونانية إلى العربية ، وإذا كان خالد بن يزيد م ٨٩ هـ أول من ترجم - أو ترجمت له - كتب النجوم والطب والكيمياء (٣) ، فقد عني المنصور م ١٥٨ هـ بترجمة كتب النجوم والطب والفلسفة وتشجيعها ، وبعث إلى امبراطور الدولة الرومانية الشرقية يسأله صكته بما لديه من كتب الفلاسفة واستشار لها مهرة الترجمة وكافهم بإحكام ترجمتها (٤) ، بل كان المنصور أول خليفة

(١) يراد بالحياة العقلية حركة النفس الإنسانية في جميع أنواع العلوم والفنون والثقافات والآداب . (٢) ٤٣ هـ مقدمة ابن خلدون . (٣) ٢١٣ : البيان والتبيين للباحظ ، ٤٩٧ فهرست لابن النديم .

(٤) ٤٨٠ مقدمة ابن خلدون ، ٥٥ طبقات الأمم لمساعد الأندلسي ، ٢١ تاريخ الحضارة الإسلامية لبأوتوك ، وراجع حركة الترجمة في (٢٢٩ - ٢٣٣) الأدب العباسي لمحمود مصطف ، ١٧٧ وما بعدها و ٢٦٤ و ٢٦٨ - ٢٧٠ : ١ ضمن الإسلام) .

قرب المنجمين وترجمت له الكتب من اليونانية والرومانية والفيبلوية والفارسية والسرانية (١) ، وكذلك فعل الرشيد ، وأوفد المأمون الرسل إلى ملوك الروم في استخراج علوم اليونانيين ونسخها بالخط العربي وبعث المترجمين لذلك (٢) .

وأنشأ في بغداد مدرسة لتخريج المترجمين (٣) وهي مكللة لدار الحكمة التي بناها الرشيد لترجمة ، وإذا كانت الدولة قد قبلت التقاليد الإيرانية في أمور الدولة فقد أخذت في ساحة الحضارة والثقافة أموراً كثيرة من بيزنطة (٤) .

وكذلك اتصلت الثقافة الهندية بالفكر الإسلامي مباشرة وبوساطة الفرس أيضاً ؛ أما الأتراك فلم يكن لهم مدنية ، وليس لهم ثقافة ، وبعد أن تعلموا العربية لم ينبغ منهم في الأدب والشعر والعلم إلا القليل ، كإبراهيم بن طولون والفتح بن خاقان .

وكان للإسلام فوق ذلك كله ثقافة واسعة في الدين واللغة والأدب والشعر ، كانت هي أم شيء آخر في الفكر الإسلامي وكانت المورد الأول للناس جميعاً .

تجمعت هذه الثقافات في العراق في العصر العباسي الأول وأحدثت أثرها في العقول والأفكار ، وكان المتكلمون أكبر عامل في امتزاج هذه الثقافات (٥) وصلة بين الفلسفة اليونانية والأدب فقدّموا معاني للأدباء والشعراء لم يكونوا يعرفونها .

ولقد شغل هذه الثقافات الجديدة المترجمة طبقات من المفكرين والعلماء والأدباء والشعراء شغلاً كبيراً . . وأقبلوا عليها إقبالا شديداً ، كما أقبل عليها الناشئون ، يحاولون دراستها وفهمها وهضمها ، ليكونوا ثقافة تكوّن سلباً وليعدوا أنفسهم للنهوض العالية ، والدرجات الرفيعة .

وأخذت العلوم الدخيلة المنقولة إلى العربية ، والمعارف العامة التي تثقفت

(١) ٢٤١ : ٤ وما بعدها مروج الذهب . (٢) ٤٨٠ و ٤٨١ مقدمة ابن خلدون .

(٣) ٢٣٠ الأدب العباسي لمحمود مصطفى . (٤) ٣٨ تاريخ الحضارة الإسلامية لبلرتوف .

(٥) ٣٨٠ ج ١ من الإسلام .

بها عقول المستعربين ، تدخل إلى المعاهد والمدارس الإسلامية ، حيث تناولها العلماء بالشرح والتعليق والتلخيص ، حتى إذا نضجت الثقافة الفكرية وازدهرت الحضارة في البلاد العربية ، أخذ المسلمون يؤلفون فيها ، ويكتبون في موضوعاتها ، ويستقلون ببحوثها ، فبعد أن كانوا مترجمين ، أصبحوا باحثين ومؤلفين ، وظهرت ثمرة هذه النهضة في العواصم الكبرى في العالم الإسلامي : كتراسان والري وغورستان وأذربيجان وما وراء النهر والشام ومصر وسواها ، وكانت بغداد كعبة الفلاسفة والعلماء ، ومنبت أهل الفضل ، ومقر نقلة العلم من شتى العناصر والاجناس ، ومن مختلف اللغات .

وكان للطبقات المستعربة — من هندو وفرنس ، وسريان ويونان وروم وسوام — عقلية مستنيرة ناضجة ، أحدثت أثرها الواسع في العرب الذين اتصلوا بهم وغالطوهم وعاشروهم ، وظهرت ميزاتهم وخصائصهم العقلية في طبقات المولدين ، الذين شهروا بالنتاجة والذكاء وسعة التفكير وخصب الخيال .

ولقد ظهر هذا التأثير الأجنبي في الأدب واللغة واضحا منذ بدأ عصر نفوذ الخلفاء العباسيين الذي بدأ فيه بناء الحضارة ، وذاعت فيه ألوان الثقافة ، وقامت بقيامه حركة الترجمة على ساقها ، وأخذ التأثير الأجنبي يبدو بوضوح في اللغة العربية وآدابها .

(٢)

وفي العصر العباسي الثاني (٢٣٢ — ٣٣٤ هـ) زاد امتزاج هذه الثقافات واتصالها ، بتناول الزمن وتلاقح العقول وظهور آثار حركة الترجمة وتشجيع الخلفاء والوزراء للعلم والعلماء ، فكان هذا العصر أزهى عصور العلم في البلاد الإسلامية .

وكان العصر العباسي الأول تغلب عليه نزعة الاعتزال التي أيدتها المأمون بكل ما يستطيع ، ولكن العصر الثاني وهو عصر النفوذ التركي كان مصحوبا بمظاهر جديدة أهمها إلغاء سلطان المعتزلة وإعلاء شأن المحدثين ، فأمر المتوكل

بترك الجدل في القرآن ، واضطهد رؤساء المعتزلة ، كمحمد بن أبي الليث في مصر ، وأحمد بن أبي دؤاد في العراق ، من حيث كرم أحمد بن حنبل وسواه من أئمة المحدثين ؛ وكان هذا الاتجاه يحظى بتأييد الأتراك ويعملون له (١) .

(٣)

ومراكز الحياة العقلية في العصر الثاني كانت كثيرة متعددة ، فنشطت الدراسات الدينية واللغوية في مصر ، وتفاوتت الشام في الشعر والآداب واللغة (٢) ، وكان للعراق الصدارة في العلم والأدب والفلسفة ، فكانت بغداد والبصرة وحران أهم مراكز العلم والحضارة . فالجاحظ والكندي بصريان ، والبتاني الرياضي الفلكي م ٣١٧ هـ من حران ، وكانت بغداد تجذب العلماء إليها من كل أرجاء العالم الإسلامي واشتهرت بلخ وخوارزم وأصفهان في ميدان التفكير والثقافة . فنيب منها أبو زيد البليخي م ٣٢٢ هـ أحد تلاميذ الكندي المشهور ، وأبو موسى الخوارزمي صاحب المؤلفات القيمة في الجبر والحساب ، ثم أبو الفرج الأصفهاني مؤلف الأغاني ، وسواهم من العلماء .

وبعد فالعصر العباسي الثاني كان زاخراً بالعلوم ، قديمها وحديثها ، كما كان حافلاً بالعلماء والمفكرين والفلاسفة .. وكانت العلوم المترجمة شرطاً في تكوين ثقافة السكاكيب والأديب ، وراج علم النجوم حتى انتشر بين الخاصة وجمهور الناس (٣) والآداب . وعلى أي حال فلم تكن مناهج التفكير واحدة عند جميع الناس ، وكان الخلاف بين هذه المناهج على أشده في العراق ، ويشور ابن قتيبة في مقدمة كتابه « أدب السكاكيب » على الحالة في عصره حيث أهمل الناس علوم الدين مع عنايتهم بعلوم الفلسفة والمنطق (٤) ، وكانت جماعة الآداب يضجرون من الثقافات المترجمة وعلومها ، حتى قال ابن المعتز يصف من يؤثره بصدائقه :

(١) راجع ٤٩ : ١ ظهر الإسلام . (٢) راجع ٨ : ١ القيمة لشمالي ، ١٧٧ ج ١ وما بعدها ظهر الإسلام . (٣) واشتهر علي بن جبر الفارسي — وكان كاتباً مترسلاً ذا علم بالنجوم — بأدخالها في شعره (٢٩٣ مجمل الشعراء) . (٤) راجع ص ٢ وما بعدها أدب السكاكيب بهامش التل السائر . وكان ابن قتيبة من أهل السنة ومن علماء الدين مع واسع ثقافته اليونانية وسواها (راجع ٤٠٢ - ٤٠٦ ج ١ ضمن الإسلام) .

فإن تطلبه تقتضيه بحانة ولا يستأثر من يعزلون ومن يلى
ولا صائحا كالعير في يوم لذة يناظر في تفضيل عثمان أو على
ولا حاسبا تقويم شمس وكوكب ليحرف أخبار المعلوم من أسفل
يقوم كحرباء الظهيرة ماثلا يقلب في اصطرلابه عين أحول
ولكن قبا قد عناه وسره وعن غير ما يعتيه فهو بمعزل
وقد ازدادت الحركة العقلية ازدهارا بعد ذلك ، وظهر أفذاذ من الفلاسفة
والمفكرين الذين يعن بهم العقل الإسلامى .

(٤)

وقد نبغ في جميع ألوان الثقافة الدينية والأدبية والفكرية في العصر العباسى
كثير من أئمة العلماء :

(١) فى التشريع الإسلامى نبغ : أحمد بن حنبل م ٢٤٠ هـ ، والكرائيسى م
٢٤٥ هـ ، والزعفرانى م ٢٦٠ هـ ، وداود الظاهرى (٢٠٣ - ٢٧٥ هـ) (١) ،
واسماعيل ابن إسحاق قاضى بغداد م ٢٨٢ هـ وعبد الله بن أحمد بن حنبل م ٢٩٠ هـ ،
والحرى م ٢٨٥ هـ ، ويوسف بن يعقوب القاضى (٢٠٨ - ٢٩٧ هـ) ، ومحمد بن
داود الظاهرى (٢) م ٢٩٧ هـ .

(ب) وفى التصوف : المحاسنى ٢٤٣ هـ والبسطامى م ٢٦١ هـ وسهل التستري
م ٢٨٣ هـ وأبو سعيد الخزاز م ٢٨٦ هـ وهو أول من تسكلم فى الفناء والبقاء ،
ثم إمام الصوفية الجنيد م ٢٩٧ هـ (٣) ، ثم الخلاج وقتل عام ٣٠٩ هـ ببغداد (٤) .
(ج) وفى علوم اللغة والأدب : مصعب الزيرى م ٣٣٦ هـ (٥) ، والتوزى

(١) راجع ترجمته فى ٢٦٥ وما بعدها من كتاب نظرات عامة فى الفقه الإسلامى ، ٢ : ٢١٣ ،
وفيات الأعيان . (٢) راجع ترجمته فى : ٢٧٢ - ٢٧٣ : ٢ وفيات الأعيان ، ١٥٩ ،
وما بعدها ترين الأسواق ، وله مكناب الزهرة ، وهو مخطوط بدار الكتب ومنسوب
لفاود والده (٣٥٤٨ أدب مخطوط) . (٣) ٢٠٨ : ١ وفيات .
(٤) راجع ٩١ و٢٣١ المشكوك فى مقتل الخلاج .
(٥) وهو شاعر ورواية (٤٠٢ معجم الشعراء) .

م ٢٣٨٨ ، وأبو المعثيل م ٢٤٠ ، وابن السكيت م ٢٤٤ ، ومحمد بن حبيب م ٢٤٥ (١) ، والمازني م ٢٤٩ ، وأبو حاتم السجستاني م ٣٥٥ (٢) ، والزيبر بن بكلم م ٢٥٦ (٣) ، والرياشي أبو الفضل العباس بن الفرغ م ٢٥٧ (٤) ، والأشناداني م ٢٥٧ ، وعمر بن شبة م ٢٦٢ ، وابنه أحمد م ٢٧٢ (٥) ، والطلحي م ٢٧١ (٦) ، والسكري م ٢٧٥ (٧) ، وأبو العباس اليزيدي م ٢٧٨ ، وأبو حنيفة الدينوري م ٢٨٢ (٨) ، والمبرد ٢٩٠ - ٢٨٥ (٩) ، ونعلب ٢٠٠ - ٢٩١ (١٠) ، والزجاجي البغدادي النحوي م ٣٠٧ . وابن السراج تليذ المبرد والمتوفى عام ٣١٦ (١١) ، والزجاج م ٣١١ (١٢) ، والأخفش م ٣١٨ ، وقطوب م ٣٢٣ ، وابن دريد ٣٢٣ - ٣٢١ (١٣) ، ثم ابن الأنباري وسوام .

(د) وفي علم الكلام ظهر من المعتزلة : بشر بن المعتمر م ٢١٠ ، وثمالة بن أشرس م ٢٢١ ؛ والنظام (٢٠٠ - ٢٣٥) ؛ وابن أبي دؤاد (١٦٠ - ٢٤٠) ، ويحيى بن أكثم م ٢٤٢ ، والملاف البصري م ٢٣٥ ، وابن الراوندي

-
- (١) ١٥٥ فهرست ، وكان من علماء بغداد بالأنساب والأخبار واللغة والشعر والقبائل (١٩٣ : ٢ آداب اللغة لزيدان) .
 (٢) وله كتاب المعمرين وكتاب الفصاحة (٨٧ فهرست) .
 (٣) ١٦٠ فهرست ، وله كتاب أخبار توبة وليل (١٦١ فهرست) .
 (٤) ٨٦ فهرست ، وكان عالماً راوية ثقة عارفاً بأيام العرب وروى عن الأعمى وأبي عبيدة وقتل بالبصرة في فتنه الزنج . (٥) كان شاعراً مجيداً راوية (١٦٣ فهرست) .
 (٦) وهو بصري تادم للوفى وكان راوية أخبارياً (١٦٤ فهرست) .
 (٧) وهو الذي جمع شعر مزاحم وأبي نواس (١١٧ فهرست) .
 (٨) وله كتاب الفصاحة وكتاب الشعر والشعراء (١١٦ فهرست) .
 (٩) راجع : ٣١٤ - ١ : ٣٢٠ ضمن الإسلام ، ٨٧ وما بعدها من فهرست ، ١٨٦ : ٢ آداب اللغة لزيدان . (١٠) راجع ١١٠ وما بعدها من فهرست .
 (١١) ٩٢ وما بعدها من فهرست . (١٢) من تلامذة المبرد وصار مع المعتضد يعلم أولاده وكان أولاً يؤدب القاسم بن عبيدة (٩٠ وما بعدها من فهرست ، ٢٨١ : ٢ آداب اللغة لزيدان) . (١٣) وله بالبصرة ونشأ بهمان ثم رحل إلى فارس وورد بغداد عام ٣٠٨ هـ وأقام بها وكان إماماً في اللغة والأنساب والشعر وهو شاعر راوية (٤٦١ مجسم الشعراء ، ٢٣٨ ج ١ ظهر ، ٣٧١ الزينات) .

م ٢٤٥ هـ ، والجاحظ (١٥٠ - ٢٥٥ هـ) ، وأبو علي الجبائي (٢٣٥ - ٣٠٣ هـ) (١) . ثم ظهر أبو الحسن الأشعري (٢٧٠ - ٣٢٣ هـ) (٢) ، وقد استمر المعتزلة في العراق يعملون ويدرسون على يد الجبائي وتلميذه في الاعتزال: محمد ابن عمر الصيمري (٣) .

(٤) ومن المفكرين والفلاسفة وأقطاب العلماء :

ابن ماسويه الطيب م ٢٤٣ هـ ، وابن سهل الطيب م ٢٥٥ هـ ، ومحمد بن موسى ابن شاكر م ٢٥٩ هـ (٥) ، والسكندی م ٢٦٠ هـ (٦) ، وبشر النجم ، وأبو موسى الخوارزمي وهو مذهب الحساب الهندي وأرقامه بين العرب ، والقارابي م ٣٣٩ هـ ، ثم ابن سينا م ٤٢٨ هـ ، والفرازي م ٥٠٥ هـ ، والرازي المتوفى ٦٠٦ هـ وسواهم . ومن صدور الفلاسفة والمفكرين والرياضيين والمترجمين الذين كان لهم أثر في الفكر الميماي : حنين بن اسحاق (١٩٤ - ٢٦٠ هـ) (٦) ، وأبو معشر . الفيلسفي م ٢٧٢ هـ (٧) ، والبلاذري م ٢٧٩ هـ (٨) ، وابن خرداذبة المتوفى نحو عام

(١) معتزل بصرى وإليه انتهت رئاسة البصريين في زمانه وكان إمام المعتزلة بغداد وتلقه عليه الأشعري (من نسخة فهرست لابن النديم) .

(٢) تنفقت ثقافة المعتزلة ثم عادهم وأعلن تركه لياذتهم ، وصار رئيساً لمذهب الأشعريين ، والأشعري يمثل الموجة المسدنة التي بدأت تهاجم المعتزلة وتصر المحدثين وأهل السنة منسذ عصر التنوكل . (٣) ٢٧٢ : ١ ظهر الإسلام .

(٤) وهو وإخوته : أحمد والمسن كان لهم مكانة كبيرة في الفلسفة والليكانيسكا (٣٧٨ وما بعدها من الفهرست ، ٦٤ طبقات الأمم) ؟ وكان مطهر بن أحمد بن موسى من تلامذ المحدث (٣٧٩ الفهرست) . (٥) هو يعقوب بن إسحق كان متحققاً بعلوم الأوائل (٥٠٧ مجمع الشعراء) ، وهو أول فيلسوف عربي درس الفلسفة اليونانية وشرحها وبنى عليها (راجع ٣٥٧ - ٣٦٠ الفهرست ؟ ٥٩ وما بعدها طبقات الأمم) ؟ ووشى به إلى التنوكل عموماً وأحد ابنا موسى بن شاكر فصره وأخذاً كنيه بأسرها حتى أكرهها سند بن علي أخير على ردها إليه (١٩٥ أو ١٩٧ السكافاة) .

(٦) أجاد العربية والفارسية والسريانية واليونانية ونزل هو ومدرسته إلى المريسة زبدة آثار اليونان وجعلوا الثقافة اليونانية بين أيدي العلماء (٢٨٣ - ٢٨٨ : ١ ضمن الإسلام ، ٤٠٩ وما بعدها الفهرست) ؟ ووشى به بنحيفوش بن جبرائيل الطيب إلى التنوكل لحبه (راجع ١٣٧ : ٤ وما بعدها النديم ، ١٩٤ : ١ طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة) .

(٧) ٣٨٦ فهرست ، ٤٧ بارتولد ، ١٩٨ : ١ وما بعدها وفيات الأعيان .

(٨) ١٩٦ : ٢ آداب اللغة لزيدان ؟ وكان أدبياً راوية وهو أحد الثقة من الفارسي إلى العربي (١٢٧ - ١٣٢ : ٢ مجمع الأدباء لياقوت ، ٧ : ١ فوات الوفيات) .

٢٧٨ هـ (١) ، وأبو حنيفة البغدادى م ٢٨٢ هـ (٢) ، والسرخسى م ٢٨٦ هـ (٣) ، وثابت بن قرة (٢٢١ - ٢٨٨ هـ) (٤) ، وإسحاق بن حنين م ٢٩٧ هـ (٥) ، والرازي م ٣١١ هـ (٦) ، والبتاني الرياضى الفلكى م ٣١٧ هـ ، وأبو زيد البلخي م ٣٢٢ هـ ، وسوام من أعلام المفكرين .

وبعد فالمصر الثانى الذى عاش فيه ابن المعتز كان زاخرا بالعلوم حافلا بالعلماء . بل أصبحت معرفة العلوم المترجمة شرطا فى السكائب والأديب . وراج علم النجوم وانتشر بين الناس (٧) والأدباء . . . على أنه لم تكن مناهج التفكير واحدة عند جميع الناس وكان الخلاف بين هذه المناهج على أشده فى العراق . ويشور ابن قتيبة فى مقدمة (أدب الكاتب) على الحالة فى عصره ثورة عتيقة (٨) .

(١) تادم المعتز ، وله كتاب الصراب وكتاب السالك والمالك (٢١٢) وما بعدها من الفهرست ، ٢ : ٢٠٢ آداب اللغة لزيدان .
(٢) كانت ثقافته الهندية واليونانية واسعة ، وكان ملقا بعلوم كثيرة ، كما كان يقرن بالملاحظ فى بلاغته (٤٠٦ : ١) وما بعدها منى الإسلام و ١١٦ فهرست ، ١٩٧ : ٢ آداب اللغة لزيدان) ، وله كتب فى النبات وكتاب الأخبار الطوال فى التاريخ العام وينتهى بوفاة المعصم ٢٢٧ هـ .
(٣) هو أحمد بن مروان (٣٦٥ فهرست) أو أحمد بن الطيب (٢١٠ : ١ زهر الآداب) السرخسى تلميذ السكندى كان مفتتاً فى علوم القدماء والعرب ، وكان أستاذاً للمعتز ثم خلى به ، وله كتب كثيرة فى الفلسفة وغيرها وقله للمعتز لأنه أفضى إليه بسرقاته (٣٦٥ - ٣٦٧ الفهرست ، ٥١ : ٢ معجم الأدباء ، ٦١ طبقات الأمم لمعاد) ، وله كتاب إلى المعتز فى أدب النفس (٢٤٣ الفهرست) .
(٤) راجع ١٧٧ - ١٧٩ : ١ وفيات الأعيان .
(٥) ٢٩٧ و ٤١٥ الفهرست ، ١١٦ - ١١٧ : ١ وفيات الأعيان .
(٦) ٥٠٣ - ٥٠٥ : ٢ وفيات ، ٦١ طبقات الأمم ، ٤١٥ - ٤٢٠ الفهرست .
(٧) واشتهر على بن جور الفارسي - وكان كاتباً مترسلاً ذا علم بالنجوم بإدخالها فى شعره (٢٩٣ معجم الشعراء) .
(٨) فيذكر انصرافهم عن علوم الدين واللغة وعنايتهم بالثقافة الحديثة وحسبها (راجع من ٢ وما بعدها أدب السكائب) وكان ابن قتيبة من أهل السنة ومن علماء الدين وكان واسع الثقافة (٤٠٢ - ٤٠٦ : ١ منى الإسلام) .

الفصل الرابع

الحياة الأدبية

(١)

إذا كانت آثار الثقافات المترجمة قد صبغت الحياة العقلية والاجتماعية في العصر العباسي الأول والثاني بأصباغ جديدة ، فقد كان أثرها في الأدب واللغة متفاوتا ، فظلت مناهج الآداب والأساليب ولغة الكتابة والشعر قريبة مما كانت عليه من قبل ، من حيث تضمنت معاني الكتاب وخيالات الشعراء ، وعمقت صياغتهم الشعرية ، وتفكيرهم العقلي ، إلى حد كبير .

وإذا كانت الثقافات الحديثة قد طغت موجتها على كثير من نواحي الحياة والتفكير ، فإن العربية كانت أعز من أن تحي رأسها للعواصف الجارحة التي تهدم من صرحها الشاهق ، أو تززع من ثقتها القوية بالنفس . وظلت كما هي لغة التفكير والأدب ، وإن سايرت حركة الرقي ، ولم تقف جامدة ضعيفة الإحساس بالحياة

وإذا كانت الفلسفة اليونانية قد وضعت موضع العناية بالترجمة . فإن الأدب اليوناني لم يترجم منه شيء ، ولم يتأثر به الأدب والشعر في نهضتهما الوثابة في هذا العصر الحافل (١) . ثلثاين الأذواق ، ولاعتداد العرب بنفسهم ولغتهم وأدبهم ، ولاختلاف حياة العرب واليونان التي يصورها الأدب ويكون أوضح مثال لها ، وعلى أية حال فإن الثقافة اليونانية قد صبغت عقلية الأدباء والشعراء بآثارها العميقة في التفكير والخيال والمبادئ (٢) وطراقة التقسيم .

وتأثير الثقافة الهندية في الأدب العربي كذلك كان طفيفا لا يمدو تلك الأفكار التي كانت تتساقط من علم النجوم أو الرياضة في الشعر ، وهذه القصص

(١) ٤٥ بارتولد ، ٦٦ الفن ومناهجه - ٢٨٧ التوجيه الأدبي - ٢٣٥ الأدب العباسي
لحمود مصطفى - ٢٨٠ ج ١ ضمن الإسلام - ٢٤٤ الزيات . (٢) وقد أعاد الأدب
العربي من القصص والحكم اليونانية التي انتشرت في الثقافة الإسلامية ، وعبرت كثير من
الألفاظ اليونانية .

الهندية التي أولع العرب بها ، ونقلوها إلى العربية ككثيلة ودمنة الذي نقلوه من الفارسية إلى لغتهم ، وتلك الحكم التي تشبه الأمثال العربية ، وهذه الألفاظ التي عربوها وأدخلوها إلى العربية .

وأثر الفرس في الأدب العربي كبير ، فهم الذين أشاعوا فيه اللحن والمجون ووصف الراح ، وأدب الزهد نأثر كثيرا بنزعات الفرس ، وعنتهم نقلت آثار كثيرة من الأدب القصصي ككثيلة ودمنة وهزار أفسانه ، والتوقيعات كان للفرس فيها أثر كبير ، وقد ترجمت عن الفارسية توقيعات كسرى ، هذا إلى أنه كان للفرس شعر وأمثال وأدب كثير وضع تحت أعين العرب ، وكان للعرب الذين يجيدون الفارسية وللفرس المتعربين مجال كبير في الأدب كالعتابي وأبي نواس وبشار وسوالم ، فأخرجوا أدبا عربيا فيه معاني الفرس وبلاغة العرب ، وكان الشعراء ينظمون ما يتسرب إليهم من الصور الفارسية ، كان كسرى أو شروان مشتهرا بالترجس ، « وكان يقول : هو ياقوت أصفر بين در أبيض على زمرد أخضر ، فقال الشاعر :

وياقوتة صفراء في رأس درة مركبة في قائم من زبرجد
كأن بقايا العطل في جنباتها بقية دمع فوق خند مورد(١)
. وكان أردشير بن بابك يصف الورد بأنه در أبيض وياقوت أحمر على كرسى
زبرجد أخضر يتوسطه شذور من ذهب أصفر له رقة الخمر ونفحات العطر ، فقال
محمد بن عبد الله بن طاهر(٢) :

كأنهن يواقيت يطيف بها زمرد وسطه شذر من الذهب
فاشرب على منظر مستطرف حسن من خمرة مزة كالجبر في اللهب
وأخذ ابن الرومي معنى حكمة لهرام جور(٣) فنظمه شعرا(٤) . وكان من

(١) ٢٣٢ ج ٢ زهر الآداب .

(٢) وينسب البيت الأول لعلي بن الجهم (٢٣ ج ٢ ديوان العاق) قال أبو حلال : وهو من قول أردشير : الورد ياقوت أحمر وأصفر ودر أبيض على كرسى زبرجد يتوسطه شذور من الذهب .

(٣) فارسي قديم تعلم العربية في الحيرة وشعر بها ، ويقول شمس الدين الرازي في مكنز كتاب « اللهم » : إنه أول من نظم شعرا فارسيا وأخذ عنه العرب وكان علماء الفرس يستحسنون منه فرض الشعر .

(٤) ٢٧٨ ج ٢ وما بعدها زهر الآداب .

الفرس كبار الكتاب الأوائل الواضحين لأساس صناعة الإنشاء (الكتابة الفنية) في الدواوين، وكان منهم شعراء أحدثوا آثارا واسعة في أغراض الشعر ومعانيه وأوزانه وقوافيه، ونقلوا للخلفاء والأمراء والوزراء كثيرا من آداب الفرس وحكمتهم وأمثالهم وتاريخهم وقصصهم وأسماءهم، مما ظهر أثره في الأدب العربي واضحا. وإذا كان الأدب في عهد بني أمية عربيا خالصا في المادة والمعنى، ولم يكن للفرس إلا مدارسته وحفظه وروايته، فقد كان في عهد بني العباس أثرهم أعمق لاقى الأسلوب البياني، بل في التفكير والخيال، وبأنثرهم تنوعت الأغراض وظهر التألق في النثر والشعر، وطلبت الرقة والدعابة، مع المحافظة على فصاحة العربية والاخذ بأساليبها.

(٢)

ويمتاز الأدب في هذا العصر بظهور آثار الحياة العقلية فيه، وبصدق تمثيله للحياة الاجتماعية، وبكثرة الحكم وأخبار الزهاد فيه، وبأليف الكتب الجامعة في الأدب كالبيان والتبيين وعيون الأخبار والكامل والمعقد، وبأن الأدب أصبح في هذا العصر صناعة عقلية في الإنشاء والتأليف، وأظهر ما يتجلى فيه إبداع التصوير واتساع الخيال والمبالغة الشديدة والإكثار من الحكمة والمثل والبراهين العقلية. وقد أصاب الأدب كساد وانصرف الناس إلى الفلسفة وعلومها بما ييسره ابن قتيبة في مقدمة أدب الكتاب بوضوح.

(٣)

وقد ضعفت الخطابة بزوال أسبابها وأعجمية رجال الدولة، ولأن الدولة قد توطئت دعائمها، وحكت بالاستبداد، وبطلت الخطابة في الجيوش، وضعفت الملوك. كذلك صار في الكتابة - وقد تنوعت أساليبها وأغراضها - غنى عن الخطابة، فضئفت شأنها ولم يبق لها إلا مظهرها الديني، حيث كان الخلفاء يخرجون للصلوات الجامعة ويخطبون الناس، وكأخيراً خليفة خطب على المنبر هو الراضى (٣٣٢ - ٣٣٩ هـ) (١).

(١) راجع الزيات ٢١٣، ٥٤ وما بعدها. أدب العباسي لمحمد مصطفى، ١٠٤ وما بعدها. العصر العباسي للعباسي يوي.

وقد بلغت كتابة الرسائل في هذا العصر مكانة عالية ، وقد كان للانقلاب العباسي أثر عظيم في الميول والمقولات ، ظهر على أقلام الكتابين ، فاستنبطوا عيون المعاني ، وتحفروا شريف الالفاظ بما لم يكن حوشيا ساقطا سوقيا ، وفتحوا أبواب البديع وبذ الكتاب لحوال الشعر في عظمة الحياة والرياسة ، وتسمنوا أرفع المناصب في الدولة .

وقد كانت طبقات الأدباء في صدر الدولة العباسية متعددة ، ومن بينها : طبقة الكتاب الذين لم ير الجاحظ قوما قط أمثل طريقة في البلاغة منهم ، والذين اتسموا من الالفاظ ما لم يكن متنوعا وحشيا ولا ساقطا سوقيا (١) ورأى الجاحظ البصر بهذا الجوهر من الكلام فيهم أعم (٢) وحكم مذهبهم في نقد (٣) البيان ، وكان جلهم من عناصر أجنبية من الفرس والروم والبربر والقيط من الذين فهموا لغاتهم وبلاغتها ثم قرأوا البيان والبلاغة العربية وآدابها وأخذوا يحدثون في اللغة العربية مذاهب جديدة في الكتابة والأدب والبيان ويدعون إلى آراء خطيرة تحس الذوق الأدبي وترضى اتجاهات الحضارة والترف العقلي والاجتماعي الذي داخل البيئة العربية منذ بدء القرن الثاني ، كما أخذوا يلتفتون لمذاهبهم الأدبية العامة لتلاميذهم والمشايعين لهم من شدة الأدب كما ترى في عاضرة بشر بن المعتز المعتزلي م سنة ٢٠٥ هـ في أصول البلاغة التي يقول الجاحظ عنها : إن بشرا مر إبراهيم بن جبلة بن عزمه وهو يعلم الفتيان الخطابة فوقف بشر ، فظن إبراهيم أنه إنما وقف ليستفيد أو ليكون رجلا من النظارة فقال بشر : أضربوا عما قال صفحا واطووا عنه كشفا . ثم دفع إليهم صحيفة من تعبيره وتنميقه في أصول البلاغة وعناصر البيان (٤) ، ومن رجالات هذه الطبقة أبو العلاء سالم مولى هشام بن عبد الملك وعبد الحميد الكاتب أو الأكبر كما يقول الجاحظ (٥) ؛ وعبد الله بن المقفع وسهل بن هارون والحسن بن سهل والفضل بن سهل وبجي بن خالد وجمعة بن يحيى وأيوب بن جعفر وأحمد بن يوسف ومحمد بن عبد الملك الزيات وعمر بن مسعدة وسواهم من كتاب الدولة الدولة صعدوا بفهمهم وبلاغتهم إلى أرق المناصب في الخلافة الإسلامية .

وقد استمرت الحياة الأدبية في النمو والازدهار ، على الرغم من انقسام الخلافة

(١) ١ : ١٠٥ البيان (٢) ٣ : ٣٢٥ (٣) ١ : ٢٤٠ (٤) ١ : ١٠٤ (٥) ١ : ١٠١

وضعها . ويرجع هذا الازدهار إلى تنافس الدول والامارات الإسلامية في تشجيع الادباء والشعراء وتمثلهم لبغداد وخلافة بغداد في العمل على إحاطة عروشهم بالمفكرين وأعلام الشعر والادب

ولقد كان ظهور الموالى ، وعلو شأنهم (١) ، ما أحيى في نفوسهم الشعور القوي ، وذكرهم بما كان لهم من مجد بائد ، وعز قديم ، فعلت الشعوبية ، تنفس عن غيظها المكظوم طول عهد الامويين ، وتمجد المعجم بإعلان مأثرهم وتزرى على العرب بتلس المثالب لهم ، وتسجل ذلك في الشعر ، من أمثال بشار ، والمتوكل ، والحرثي ، وميمار ؛ وفي الكتب بعضها أمثال أبي عبيدة ، والمهشم ابن عدى ، وسعيد بن حميد ، وعلان الشعوبى ، وانزى لمؤلاء من الشعراء والعلماء من يرد عليهم ، ويدفع عن العرب ، ويقتصر لهم ، أمثال محمد بن يزيد الأموى ، والجاحظ ، وابن قتيبة ، بل لقد حاول الجاحظ أن يهدم المعصية الجنسية بما عالجه في رسالته مناقب الترك وعامة جند الخلافة ، حين استشرى شرها ، وكاد يوقع الفتنة في صفوف الجند أيام المعتصم .

وتحيز المال في جانب الحكام والأمراء ، جعل الادب يستمر اتجاهه القديم إلى ناحيتهم ، ويسير في ركابهم ، يعل من شأنهم ، ويتغنى بذكرهم ، وغلب ذلك على أكثر أدب العصر ، وبخاصة نتاج أولئك الذين اتصلت أسبابهم بالقصور ، وذاقوا في رحابها حلوة النعم .

وانغماس الادباء في الحضارة ، ومشاركتهم في لهاها الخليلع ، وبهجتها السافر ، مكن لهم من تصويرها في جميع أوضاعها ، فوصفوها في مظاهرها الرائعة وفي مبادئها الوضيعة ، وملأ شعرهم بالتحريض على منع الحياة وتحسين الخلاعة والمجون في صراحة مكشوفة ، وعري فاضح ، وابتذال مهين ، ومن شاء فليرجع إلى الاغانى ، أو بقيمة الدهر ، أو دواوين كثير من الشعراء ، ليستطلع طلع ذلك في شعر بشار ، ومطيع بن إياس ، ووالبة بن الحباب ، وعسلم بن الوليد ، وأبي نواس ، وحسين بن الضحاك ، وغيرهم من الشعراء .

والزهد ، وهو حركة تقاوم هذه المادية الجارفة ، وتصد عنها بالتنفير من

(١) الأدب العربى للأستاذ أحمد شراوى .

الدنيا والترغيب في الآخرة ، والتذكير بالموت والحساب : وجد له مجالا في تنف
ليعض الشعراء والعلماء ، وفي كثير من شعر أبي التماهية ، وفي كل ما صدر عن
الزهاد والمتقشفين من أقوال .

وقسوة الحياة وشقاؤها ، وشظف العيش ، ورقق المشرب ، انصكست صورها
في كتب المقامات ، قصصا للكادحين . يحتالون على العيش بالمكر والخداع ، وفي
أدب المحرومين ، سخطا على الزمان ، وأنيئا من اليأس والحرمات .
واضطراب نظام الحكم ، وفساد أداته ، لم يعدم من يتخى عليه ، ويندب به ،
أو من يروم علاجه ، ويحاول إصلاحه كإبن المقفع .

ولو رجعنا إلى ما وصفناه من معالم هذا العصر ، نبحث عن أشد الظواهر
الاجتماعية تأثيرا في الحياة ، ما وجدنا أقوى من التهام العرب بالموالي وامتزاجهم
على الوجه الذي يبناء ، من ظهور الموالي وقوة نفوذهم . فهم الذين أثروا في المجتمع ،
ولونوا الحضارة ، بما ورثوه عن دولهم الدائلة ، وحضارتهم الزائلة ، وصبنوا
الدولة بصيغتهم ، وأدخلوا فيها نظمهم وتقاليدهم ، وقد تنبه إلى شيء من هذا
بعض من عاصر العهد وشهد مجاري الأمور فيه ، وهذا أبو حيان التوحيدي يصور
ذلك كله فيقول : « ضعف أمر الدين . وتحلل ركته ، وتداوله الناس بالقلبة
والقهر ، فتناول له ناس من آل الرسول صلى الله عليه وسلم بالعجم ، وبقتولهم ،
ونهبهم وعادتهم في مساورة الملوك وإزالة الدول ، وتناول العز كيف كان . .
ألا ترى أن الحال استحالت مجما كسروية وقيصرية ؟ . هذا الربيع — وهو
حاجب المنصور — يضرب من شمت الخليفة عند العطسة ، فيشكي ذلك إلى أبي
جعفر المنصور ، فيقول : أصاب الرجل السنة ، وأخطأ الأدب ، وهذا هو الجهل ،
كأنه لا يعلم أن السنة أشرف من الأدب ، بل الأدب كله في السنة ، وهي الجامعة
للأدب النبوي والأمر الإلهي ، ولكن لما غلبت عليهم العزة ، ودخلت الثمرة
في آناهم ، وظهرت الخنزوانة بينهم ، سموا آيين العجم أدبا ، وقدموه على السنة
التي هي ثمرة النبوة . »

(٤)

وقد كان عبد الحميد الكاتب وابن المقفع من أشهر الكتاب الذين وضعوا أصول النثر الأدبي الفنى فى الأدب العربى . وكان عبد الحميد من كتاب الدولة الأموية ، وشهد ابن المقفع جانباً من أول عصر الدولة العباسية ، وخلفته طائفة من الكتاب تأثروا به تأثراً واضحاً بعيد المدى فى تطور النثر الأدبى والكتابة الفنية ، ومنهم يعقوب بن داود وزير المهدي ، وأبو الربيع محمد بن الليث الذى كتب للبهدي والهادى والرشد ، والقاسم بن صبيح ، وسهل بن هرون (١) ويحيى بن برمك ، ثم ابنه : جعفر بن يحيى (١٤٣ - ١٨٧ هـ) وأخوه الفضل ، والحسن بن سهل (٢) وأخوه الفضل (٣) وأحمد بن يوسف (٤) ٢١٣ م هـ ، وعمرو بن مسعدة ٢١٧ هـ ، والمتاين م ٣٣٠ هـ (٥) ، ومحمد بن يزيد وزير المأمون (٦) .

وفى القرن الثالث الهجرى بلغ النثر الفنى منزلة سامقة ، وامتاز بسهولة العبارة وانتقاء الألفاظ وجودة الأسلوب ، كما امتاز بحودة المعانى واختراعها ودقة الأختلة وإبداعها ، وظهور آثار الثقافات الحديثة وخاصة اليونانية فيه ، بل الاحتفال بها والطمع فيها سواها عما شكاهه النقاد (٧) . ومال الكتاب إلى الإطناب حتى قال

(١) راجع : ٥٥ : ١ البيان ، ٢٨٢ : ٢ زهر ، ٢٦٠ : ٣ زهر الآداب أيضاً .
(٢) يشهد به الجاحظ (٨٤ ج ١ البيان) . . وله كلمة يعرف بها أنواع الآداب ١٩٥ ج ١ زهر .

(٣) تيناه يحيى البرمكى وضمة إلى السامون (٧٤ السكافة) وأشاد المصرى بسلطته (١٦ - ١٩ ج ٢ زهر) .

(٤) له ترجمة فى الأوراق قسم أخبار الشعراء (٢٠٦ - ٢٣٦) وكان عال الطبيعة فى البلاغة ولم يكن فى زمانه أكتب منه ، وله شرح جيد (١٤٨ ج ٢ زهر) ، وكان ممن نبهوا بالكتابة (١١ ج ٣ المقد) ، وهو أول من افتتح الكتابة فى التهانى بالبروز والنهرجان (٩٥ ج ١ ديوان المتأين) .

(٥) راجع ١٧٥ فهرست ابن النديم ، ٣٥٢ معجم الشعراء .

(٦) راجع ٤٢٤ معجم الشعراء .

(٧) من ٢ أدب الكتاب لابن قتيبة بهامش للتل السائر ، ٤٢ و ٤٣ وسائل الجاحظ حيث يقول الجاحظ : والناس من الكتاب إذا وطئهم مقعد الرئاسة يكون أول بدوه الطعن على القرآن فى تأليفه وألا يرضى من الكتب إلا للتلخى ، ومثل ذلك يقول ابن قتيبة ، وهذا حتى رأى ابن الأثير من أن الكتاب والشعراء لم يتأثروا بثقافة اليونان (٢٠ التل السائر) .

ابن قتيبة : « ولو كتب كاتب إلى أهل بلد في الدعاء إلى الطاعة والتحذير من المعصية كتاب يزيد بن الوليد إلى مروان » أما بعد فإني أراك تقدم رجلاً وتأخر أخرى الخ . لم يعمل هذا الكلام في أنفسهم عمله في نفس مروان ، ولكن الصواب أن يطيل ويكرر ويعيد ويبدى . ويحذر وينذر ، (١) . والإطناب مذهب فارسي حتى في الأساطير وكتابة التواريخ ، يقول ابن الأثير : « والمعجم يفضلون العرب في الإطالة فإن شاعرهم يذكر كتاباً من أوله إلى آخره شعراً وهو شرح قصص وأحوال كما فعل الفردوسي في نظم الشاهنامه وهو ستون ألف بيت من الشعر يشتمل على تاريخ الفرس ، وهذا لا يوجد في اللغة العربية على اتساعها وتشمب فنونها (٢) ، ولم يحفل الكتاب في أوائل العصر العباسي الثاني بالبديع ، والتأني الكثير في الأسلوب ، ويعيب البديع الجاحظ بأن « كلامه بعيد الإشارات قريب المبادرات قليل الاستمارات ليس له لفظة مصنوعة الخ » (٣) ، كما عابه الباقلاني بقرب كلامه وكثرة الاقتباس فيه (٤) .

وكان حامل لواء هذه الطريقة الجديدة أمام البيان الجاحظ ، واقتدى به كتاب عصره ، كالصولي وابن الزيات والحسن وسليمان ابني وهب وسعيد بن حميد وأحمد ابن اسرائيل والحسن بن عجلان وابن المدبر وسواهم من الكتاب الذين نشأوا في هذا العصر وجمعوا بين الأدب والنقد والبلاغة العربية والدخيلة وقرأوا كتب الفرس واليونان والهند وظهر أثر ذلك في تفكيرهم ونتاجهم الأدبية المتعددة الألوان .

أثر الجاحظ الطبع والبعد عن التكلف والتعقيد والحوشية والسوقية ، كما أثر الوضوح وظهور الشخصية فيما يكتبه من رسائل أو مؤلفات ، واحتال على نشاط القارئ . بالفكاهة ومزج الجد بالهزل وبالاستطراد وبراعة الأسلوب وسحره بالرواية والنقد والتحجيس ، والإطناب والانتباه العقلي والتغلغل الفكري ودقة

(١) راجع مقدمة أدب الكتاب .

(٢) ٤ ج ٣ لثقل السائر . وقد وجدت وسائل مطولة وكثيرة في هذا العصر كرسالة الخيز (١٠٧ - ١١١ ج ١٢ - ابن طيفور غطوط) .

(٣) ٨٢ مقامات البديع - القامة الجاحظية ، ٢٠٩ ج ٢ زهر .

(٤) راجع ١٩٤ إعجاز القرآن .

الملاحظة والشرح والتحليل والتعمق .، وشمول الفكرة وتفوذها وإحاطتها بشق جوانب الحياة، أظهر سمات أسلوب الجاحظ، وهو مع ذلك متقد الخاسة للعرب والعربية، يفضل بلاغة العرب على كل بلاغة ويستشهد بكلمة العربي وبيت البدوي كما يستشهد بحكمة الحكيم ورأى المفكر . وفي إنشاء الجاحظ كثير من أساليب الخطابة والجدل، وكان من المعجبين بابن المقفع ونوه بذكره ولكنه لم يسلك مسلكه في الأدب، لأنه رأى أفق الأدب أوسع من أن يقصر على الحكم والمواعظ .

حقا لقد كان الجاحظ في سحر بلاغته وسمو أسلوبه وشخصيته البارزة في كل فقرة من فقراته وثقافته الواسعة في شق آثاره الأدبية نسيج وحده وفريد عصره كما يقولون، ورسائله « الترييع والتدبير، وكتابه « الحيوان » من مظاهر ثقافته الواسعة العميقة . وإذا كان ابن المقفع إمام المنشئين في عصر الترجمة ؛ فالجاحظ إمامهم في عصر التأليف .

وقد تأثر بأسلوب الجاحظ الأدباء الذين آلت إليهم الزعامة الأدبية بعده، كابن المدبر والحسن بن وهب وابن المعتز الخليفة العباسي الشاعر الأدب المشهور . وقد ذاع في النثر في هذا العهد ألوان كثيرة : كآداب التهكم والسخرية، والرسائل الإخوانية، والرسالة الأدبية، والتوقييع، والمقامة، والأدب الوصفي، وأدب الطليعة وأدب القصة . وسوى ذلك من فنون النثر الأدبي في هذا العصر الزاهر المتعدد الثقافات .

وقد ألفت في هذا العصر كتب أدبية جامعة : كالبيان والتبيين، والحيوان للجاحظ، وأدب الكاتب وعيون الأخبار لابن قتيبة، والسكامل للبرد . وكذلك وضعت أصول النقد والموازنة والبيان على يد الجاحظ وابن سلام وابن قتيبة وابن المعتز وقدامة بن جعفر وسواهم . . ولا يجب إذا قلنا إن النثر الأدبي قد بلغ غاية نهجته وعنفوان قوته في هذا العصر الحافل .

(٥)

وقد نبغ كثير من الكتاب في هذا العصر ومن أعلامهم : محمد بن عبد الملك

الزيات م ٣٣٣ هـ (١) ، وإبراهيم بن العباس الصولي م ٣٤٣ هـ (٢) ، وسعيد بن حميد م ٣٩٠ هـ (٣) ، والحسن بن وهب (٤) م ٣٩٥ هـ (٥) ، وسليمان بن وهب م ٣٧٣ هـ (٦) ، وأبو العباس أحمد بن محمد بن ثوابة الكاتب م ٣٧٧ هـ (٧) ، والمرئى وكان يكتب للوفى (٨) ؛ ونطاعة الكاتب أحمد بن إسماعيل بن الحبيب الانبارى كاتب عبيد الله ابن عبد الله بن طاهر؛ وكان بينه وبين ابن المعتز مراسلات وجوابات (٩) ، ومحمد ابن مكرم الكاتب م بعد ٣٨٣ هـ (١٠) ، وإبراهيم بن المدبر م ٣٧٩ هـ (١١) ، وابن طيفور (٢٠٤ - ٣٨٣ هـ) ، وعلى بن الحسن م بعد ٣٩٠ هـ وقد جاوزا التسعين (١٢) ، وعلى بن العباس التوفى م ٣٣٧ عن سن عالية (١٣) وابن المعتز م ٣٦٩ ؛ وأبو بكر محمد بن يحيى الصولي م ٣٣٦ (١٤) وهو الذى جمع ديوان ابن المعتز (١٥) ، وأبو

- (١) راجع : ١٧٧ فهرست ، ٤٢٥ مجمع الشعراء ، ٢٧٨ : ٣ وما بعدها عصر المؤمن ، ٢٧ : ١١ وما بعدها الطبرى ، ٣٩ : ٤ سموى ، ٤٣ الرسالة المقراء .
(٢) راجع : ٥٦ : ٤ سموى ، ١٧٦ فهرست ، ٢١ : ٩ الأغانى وما بعدها ٢٠٠ : ١ الفصل ، ٢٠٨ الوسيط ، ٤٢ : ٢ نثرات الأوراق ، ٩٩ خاص الخامس .
(٣) راجع : ١٧٩ فهرست ، وفيات الأعيان ٥٤ - ٥٧ : ٢ طبعة ١٣١٠ ، ١٧٧ ج : ٤ : ١٢٢ : ٤ زهر ، ٩١ : ٤ سموى ، ٤٢ : ٢ نثرات الأوراق .
(٤) راجع : ١٧٧ فهرست - ٥٠٦ سطر اللؤلؤ - ٢٤٨ ابن الروى للعقاد - ٤٤ : ٣ زهر - ٢٢١ - ٢٢٣ : ٣ مجمع الأدباء .
(٥) وفى مجمع الأدباء أنه ولد عام ١٨٦ هـ ومات فى آخر خلافة النوكل .
(٦) راجع : ٢٤٩ ابن الروى - ١٧٧ فهرست - ١٥٤ - ١٦٠ : ٧ مذهب الأغانى - ٥٠٦ : ١ سطر اللؤلؤ - ٤٨٥ مجمع الشعراء ، ٣٨٦ - ٣٨٨ : ١ وفيات الأعيان ، ٤٦ : ٣ زهر .
(٧) ١٨٧ و ١٨٨ فهرست ، ٣٦ - ٥١ : ٢ مجمع الأدباء .
(٨) ١٨٧ فهرست ، ١٦٠ أدب الكتاب للصولى .
(٩) راجع : ١٨٠ فهرست - ٣٧٧ ج : ١ مجمع الأدباء ، ويروى عنه الصولى كثيراً جداً فى أدب الكتاب وله كتاب طبقات الكتاب .
(١٠) راجع : ٤٤٤ مجمع الشعراء .
(١١) ٤٥٢ مجمع الشعراء ، ٣٤٩ للوشح .
(١٢) ٢٩٥ مجمع الشعراء .
(١٣) ٢٩٥ مجمع الشعراء ١٤٥ ج : ٢ زهر .
(١٤) ٤٦٥ مجمع الشعراء ، ١٧٤ ج : ٢ زيدان ، ٣٤٣ - ٣٤٥ نزعة الالباب ومقدمة أدب الكتاب .
(١٥) ١٧٥ ج : ٢ زيدان .

العباس أحمد بن عبيد الله بن عمار الكاتب م ٣١٤ هـ (١) وحيد بن نصر الكاتب م ٣٠٠ هـ (٢) ، وأبو الحسين جعفر بن محمد بن ثواب الكاتب وكتب للقاسم (٣) وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن ثواب الكاتب وكتب للمعتز (٤) .
 واشتهر هذا العصر بأعلام ذائعة في الأدب العربي والتأليف فيه ، ومنهم :
 (١) الجاحظ م ٢٥٥ هـ وله كثير من المؤلفات الخالدة منها البيان والحيوان .
 (ب) أبو سعيد الحسن السكري النحوي م ٢٧٥ هـ وكان رواية البصريين وجمع أشعار الجاهلية والإسلام .
 (ج) ابن قتيبة م ٢٧٦ هـ (٥) ، وله عيون الأخبار وأدب الكاتب والشعر والشعراء وكتاب الثراب .
 (د) ابن أبي الدنيا عبد الله بن محمد م ٢٨١ هـ وكان مؤدب المكتفي وله كتب كثيرة (٦) .
 (هـ) ابن طيفور أحمد بن أبي طاهر تليد الجاحظ (٢٠٤ - ٢٨٠ هـ) (٧) ، وله سرقات الشعراء وكتاب بغداد والجامع في الشعراء واختيار المنظوم والمنظوم (٨) .
 (و) ومنهم أبو العيثاء بن القاسم بن خلاد (١٩١ - ٢٨٣ هـ) (٩) .

(١) ٢٥٢ ج ٤ تاريخ بغداد .

(٢) ٤٦٣ معجم الشعراء .

(٣) ٤١٧ ج ٢ معجم الأدباء ، ١٨٨ فهرست .

(٤) ١٨٨ فهرست .

(٥) ١١٥ وما بعدها فهرست ، و ٤٤٩ — ٤٥٠ : وفیات الأعيان ، ١٧٠ : ٢ وما بعدها زيدان .

(٦) راجع ١٧٢ : ٢ زيدان .

(٧) ٢٠٩ — ٢١٠ فهرست ، ١٩٧ طبقات الشعراء لابن المعتز ، و ٢٥٩ الموشح ، ٢١١ :

٤ تاريخ بغداد ، ١٥٢ : ١ معجم الأدباء ، ٤٨ و ٩٣ و ٩٤ : ديوان العاني .

(٨) أربعة عشر جزءاً يوجد منه بدار الكتب ثلاثة أجزاء في مجلد مخطوط هي : الحادي عشر في بلاغات النساء وقد طببع منفرداً في مصر ، والثاني عشر ويجمع قصائد ورسائل

لا يوجد لها مثل ومنها اللطائف . والثالث عشر ويجمع فصولاً من وسائل مختارة .

(٩) ١٨١ فهرست — ١٧٥ : ٤ مسعودي — ٤٤٨ معجم الشعراء — ٣٢١ — ٣٢٤ : ٢

وفيات الأعيان ، ٣١٦ و ٣٢٢ — ٣٣٠ و ٣٣٢ : ١ زهر — ٢٧٠ نكت المبيان — ١٧٠ : ٣

تاريخ بغداد — ١٨٠ : ٢ حفريات الذهب ، ٦١ : ٧ معجم الأدباء ، ١٤٥ : ٣ سمط

اللائل ، ٢١٨ — ٢٢١ : ١ أمالي الرضي ، ١٩٦ طبقات الشعراء لابن المعتز .

(ز) أبو علي البصير الفضل بن جعفر بن يونس م ٢٥١ هـ (١)

(ح) جعظلة أبو الحسن أحمد بن جعفر البرمكي (٢٢٤ - ٣٢٦ هـ (٢)

(ط) ومنهم ابن المعتز ٢٩٦ هـ ، وأبو خليفة الفضل بن الحباب الحلي م ٣٠٥ هـ (٣) ، وقدامة م ٣٣٧ هـ ، والشاه أبو الطيب محمد بن أحمد ٣٣١ هـ ، ويموت ابن المزع م ٣٠٠ هـ وهو ابن أخت الجاحظ (٤) : وغيرهم من جلة الأدباء وأئمة علماء الأدب .

(٦)

ولقد كانت مصادر الثقافة الأدبية في هذا العصر كثيرة متعددة ومن أهمها :
(١) القرآن والحديث والكتب المؤلفة حولهما ، بما يتصل بالأدب والدين : كجواز القرآن لأبي عبيدة وإعجاز القرآن للجاحظ والإعجاز لمحمد بن يزيد الواسطي م ٣٠٦ هـ (٥) .

(ب) خطب الخطباء وحكم الحكماء ورسائل الأدباء .

(ج) كتب التاريخ التي جمعها أو ألفها المؤرخون في هذا العصر والذي سبقه ، كابن اسحاق وابن هشام والبلاذري واليعقوبي والطبري وسواهم .

(د) كتب السياسة التي تأثرت بآثار الفرس أو كانت مترجمة من ثقافتهم ومنها : كليلقودمة والأدب الصغير (٦) والأدب الكبير والدرة (٧) اليتيمة ورسالة الصحابة (٨) لابن المقفع وهي تصور لسياسة الدولة وحاشية السلطان وأعرافه

-
- (١) ٩٦ : ٢ زهر ، ٩٢ : ٤ مسعودي ، ٣١٤ معجم الشعراء ، ١٨٨ طبقات الشعراء لابن المعتز - ١٧٨ فهرست - ٢٧٦ : ١ سبط اللال .
(٢) ٢٠٨ فهرست - ١٥٧ و ١٥٨ : ٢ زهر .
(٣) ١٦٥ فهرست - ٢٥٣ : ٣ زهر .
(٤) ٥١٠ معجم الشعراء - ١٣٦ ج ٤ مسعودي .
(٥) ولعبد الناهر الجرجاني شرح عليه ، ٩٤ : ١ كشف الظنون
(٦) تجده في رسائل الباقاء ١٧ - ٥٤ ، وطبع مستالا عام ١٩١١
(٧) ٥٥ - ٦٤ المرجع
(٨) تجدها في رسائل الباقاء ١٣٠ - ١٣١

(٤)

وجنده ، ومنها رسالة طاهر بن الحسين في السياسة وقد أرسلها إلى ابنه عبد الله (١) ومشاورة المهدي لأهل بيته في خراسان (٢) .

(٥) كتب الأدب الجامعة ، كالبيان وعيون الأخبار والكمال .

(و) كتب البيان والنقد والكتابة ، ومنها كتاب القصاحة للسجستاني ولادينيوري (٣) ، وكتاب البلاغة البرد (٤) ، وقواعد الشعر للبرد وثلث ، وأسرار البلاغة في الكتابة لقدامة (٥) ونقد الشعر ونقد النثر له أيضا ، وكتاب البيديع لابن المعتز ، وكتاب الصناعة لأبي جعفر أحمد بن محمد النحاس م ٣٣٨ هـ (٦) والرسالة المفرد لابن المدبر م ٢٧٩ (٧) ، ومنها أدب الكتاب للصولي ، ورسائل الأدباء في النقد رسالة ابن المعتز في أبي تمام .

(ز) كتب الشعر ، ومنها مجموعات في أشعار القبائل والأفراد ، ومنها المفضليات وحاسة أبي تمام وحاسة البحري ودواوين الشعراء والكتب المؤلفة في طبقاتهم . وسواها من مئات المصادر في الأدب والشعر

-
- (١) تجدها في ١٥٩ - ١٥٤ الإدارة الإسلامية ، ١٠٨ - ١١٧ : ٢ تاريخ آداب اللغة لمحمد بك دياب ، ١٨٦ وما بعدها من المطالعة التوجيهية .
(٢) تجدها في ٩٥ - ١٠٧ : ١ العدد ٤ وقد أمر المهدي محمد بن أبيه بحفظ مراجعهم ولأبائهم من الكتب (١ : ٩٥ العدد) وكتب عام ١٧٠ (١٠٧ : ١ العدد) .
(٣) ١٦٠ : ٢ كشف القانون . (٤) ٨٨ فهرست .
(٥) ٤٧٠ : ١ كشف . (٦) ١٥٤ : ٢ كشف .
(٧) تجدها في ١٧٦ - ١٩٣ رسائل البلقاء ونشرها مستقلة عام ١٩٣٠ زكي مبارك .

الفصل الخامس

الشعر العربي في عصر ابن المعتز

(١)

كان الشعر الجاهلي غنائياً يفيض من القلب ويصور عاطفة الشاعر وشعوره ، وكان حذوهم الألفاظ ، قرى الأسلوب . متعدد الأوزان والقوافي ، معانيه فطرية مستمدة من صحيفة الحياة ومشاهد البيئة .

فلما جاء الإسلام ظل الشعر على حاله ، أسر لفظ ، وجزالة عبارة ، وطريقة أداء ، ولكن أغراضه تغيرت بتأثير الحياة الجديدة ، ومعانيه استحسنت وألفاظه عذبت بتأثير القرآن وبلاغة الرسول .

وبابتداء القرن الثاني بدأ عهد جديد في الشعر العربي كان له أثره في شتى نواحيه الفنية . وظهر هذا الأثر على أيدي المخضرمين الذين عاصروا الدولتين الأموية والعباسية ، كما ظهر منذ أواخر القرن الثاني الهجري على أيدي المحدثين أو المولدين الذين نشأوا في العصر العباسي . وتأثروا بالحياة الاجتماعية والفكرية التي كانت تسود فيه .

سار الشعر بخطوات كبيرة على يد بشار زعيم المحدثين ، وعلى أيدي زعماء مدرسته الأدبية كأي نواس ومسلم وغيرهما من الشعراء . وظلت هذه النهضة الفنية تزدهر حتى آتت أكلها في العصر الثاني .

(٢)

وقد كان أبو تمام آخر من شهدهم العصر الأول من أمراء القريض ، ولكن مدرسته الشعرية ظلت مسيطرة على دولة الشعر طول العصر الثاني كله ، وهي التي وجهته توجيهاً جديداً يجمع بين فن بشار ومدرسته ، والآثار العقلية والاجتماعية والأدبية التي سادت العصر الثاني وذاعت فيه ، مما خلق نهضة فنية لم يشهدها الشعر طول العصور الأدبية جميعها .

حدث تغيير واسع في تفكير الشاعر العباسي وعقله ، فامتازت معاني الشعر بدقة التصور ، واستنباط الدقيق والجديد من الآراء والأفكار ، وبالاكتثار من ضرب المثل واستخدام الآراء الفلسفية والبراهين والأفيسه العقلية ، وبتحصيل

الأفكار وترتيب العناصر . وأخذ المطلق يتغافل في الصياغة الذهنية ، حتى لتجد القصيدة عند أي تمام محكمة الأجزاء والعناصر والترتيب ، وتبعه في ذلك كثير من الشعراء .. وأكثر الشعراء من الإبداع في التصوير والخيال والاغراق فيه ، وتركيب التشبيهات والاستعارات والأوصاف ، في جنوح إلى المبالغة والاغراق والغلو والاستقصاء والتغلغل في دقائق الأغراض والخيالات . وانصرف الشعراء عن المعاني البدوية أو الحضارية المتأثرة بالبداوة إلى معانٍ عصرية صرفة . وبعد أن كان الشعر مرآة للطبع الخالص ، أصبح في هذا العصر لا يصدر إلا بعد أن يسيطر عليه العقل وآثار التفكير ، ونذر في هذا العصر من خلا شعره من آثار الحضارة العقلية ؛ فن لم تظهر في شعره المعاني الفلسفية والآراء الطارئة التي سرت إلى المتأدبين من مذاكرة علم الكلام والعلوم المترجمة وخاصة الفلسفية ، ظهرت فيه محسنات اللفظ والمعنى ، وتفخيخات الفرس ومبالاتهم ، ولا بدع في ذلك فأكثر الشعراء في هذا العصر كانوا رضاع أديبين ونشء حضارتين وولدان جنسيتين ، بما كان له صداه في أخيلة الشعراء وتصوراتهم ونأديتهم المعاني ، ولهذا القفاح من الأثر في الفكر والعقل ما جعل لك وفرة المعاني الجديدة ودقة النظر واطف الأخذ لها ، فالمحدثون أكثر ابتداعا المعاني وأطف مأخذاً وأدق نظراً ، لأنهم عظم الملك الإسلامي في زمانهم ورأوا عالم يره المتقدمون ، (١) . ومعاني الشعر في هذا العصر : إما معانٍ قديمة تناولها الشعراء فأحسنوا غالبا صوغها وزادوا فيها ، وإما معانٍ جديدة استقل المحدثون بابتداعها ، وإذا كان للمتقدمين متانة التعبير وحمّة الأداء والسلامة من قصور الملكة ، فإن للمحدثين مزينة (٢) المعنى والتحليق في سما الخيال واتساق الفكر ، وشاعت في أشعارهم تلك الحركة التي اشتهر بها صالح بن عبد القدوس وأبو العتاهية وأبو تمام وسواهم من الشعراء ، والبروزي أحمد بن محمد مزدوجة ترجم فيها أمثال الفرس (٣) . وكان المروزي مولعا بنقل الأمثال الفارسية إلى العربية (٤) والأنبوردی قصيدة ترجم فيها أمثال الفرس (٥) واشتهر علي بن جحر

(١) لائل السائرس ١٣٦ .

(٢) ويرى ابن جني أن المولدين يتشبه بهم في المعاني (٢٢٤ : ٢٢٤ العدد) .

(٣) كان أكثر شعره في الزهد والأمثال (١٢٢ جزء ١ الألفاني ، ٢٣٨ جزء ١ الكامل) .

(٤) البقية من ٨٣ و ٨٤ جزء ٤ ، والسكشكول من ١٢٣ و ١٢٤ .

(٥) البقية من ٨٦ جزء ٤ .

الفارسي - وكان ذا علم بالنجوم - بادخلها في شعره (١) . - والحكمة اليونانية صاروا يدخلونها في الشعر .

يقول الشاعر (٢) : والفقر في أوطاننا غربة والمال في الغربة أوطان
وهو نظم لحكمة أرسطو : المال في الغربة وطن ، والمقل في أهله غريب (٣) ،
وفنون الشعر وأغراضه القديمة من مدح وهجاء ونثر ورناء ووصف ونزل
بالمؤنث وزهد وحكمة ومثل ، نظم فيها الشعراء ولكنهم أكثروا منها واقتوا
فيها وصيغوها بصيغة تكاد تكون جديدة مبتكرة ، فقد جدد التلقيح العقلي نماذج
هذه الأغراض الشعرية ، وأحدث ألوانا من ضروب الرق الغني غير كثيرا من
جوانبها القديمة .

ونظموا مع ذلك في أغراض جديدة خلقها البيئة وآثار الحضارة والحياة
في العصر العباسي ، فشاخ فيه النجون والغزل بالذكر (٤) ووصف الخمر وتصوير
الطبيعة ووصف الصيد والطرود ونظم الشعر في تأديب النفس وتهذيب النفس . ينظم
القصص كما فعل أبان وسواء من الشعراء ، وضبط قواعد المعلوم ونظم التاريخ
كما فعل ابن المعتز في أرجوزته في المنتصد وسواء من الشعراء ، ونظموه في وصف
المصاليب وهجاء المفتين والانتقام بالأبنة والدم بالرشوة ووصف شتى ألوان
العلماء ، وفي التصوف الذي أكثر منه الزهاد والمتصوفون ، وفي الوعظ والأخلاق
وفي شتى الأغراض وجديدها .

وكان للفناء والحضارة والترّف أثر في التجديد في أوزان الشعر وقوافيه ،
فأخذوا يلائمون بين الموضوعات والأوزان والقوافي (٥) وزهدوا في الأوزان
الطويلة وآثروا عليها الأوزان السهلة الخفيفة القصيرة ، بل إنهم جددوا أوزاننا
لم يسيقهم إليها المتقدمون ، ونظموا على الأوزان التي لم تنظم منها العرب إلا قليلا
كالمضارع والمقتضب والمجثث ، وأكثروا من نظم الخمسات والمزدوجات ، ونظم

(١) مجمع الشعراء ص ٢٩٣ . (٢) رسالة الغفران ٢٠٣ .

(٣) وهي في البديع لابن المعتز برواية أخرى منسوبة لسلمة بن عبد الملك (٧٦٦ البديع) .

(٤) نفا هذا الفن على يد حماد ووالية وأبي نواس والحسين بن الضحاك والبحتري وسواهم
من الشعراء . وإذا كان أبو نواس وحده أو مع فئة قليلة قد نظموا فيه في العصر الأول فقد
كان أكثر الشعراء في العصر الثاني يملقون هذا الباب ولم يبق شاعر في بعده إلا واشتهر
بسلام يمشقه وينزل به .

(٥) راجع ٩ السكف عن مداوى شعر المتنبي .

عليها بشار عينا واستهتارا بالشعر (١) وصنع ابن المعتز أرجوزة في ذم الصبوح وأرجوزة في سيرة المعتضد ، واشتهر بالنخميس ابن وكيع والأثير نجم (٢) ، ونظموا الدوبيت والسلسلة والمواليا والزجل وقوما وكان وكان ، والموشح ، ويسروا على أنفسهم في القوافي فاختراروا أسرار الألفاظ وأسهبوا وأحبوا إلى السمع ، وتجنبوا عيوب القافية ؛ كل ذلك حرصا على مسايرة الشعر للحضارة والفناء ومحاولة لفتحه بين شتى الطبقات .

أما في أدلوب الشعر : فقد حافظ الشعراء على عريته ، وإن كان بعض الشعراء قد أدخلوا فيه بعض الألفاظ الفارسية دون تعريب أو معربة مصقولة ، كما فعل أبو نواس وابن المعتز وسواهما من الشعراء ومن قبل ~~هكان~~ الأعشى وأمية ابن أبي الصلت وكذلك يزيد ابن مفرغ وأسود بن أبي كريمة (٣) . وقد حاولت بعض العناصر الفارسية أحياء أديهم القوي ونظم الشعر بلغتهم الفارسية . وروى أنه قدمت للبأمون حين دخوله مرو قصيدة فارسية نظمها شاعر يدعى عباس ويقول الشاعر في القصيدة : إنه لم ينظم أحد بهذه اللغة قبله وقد يكون هو عباس ابن طرخان الذي نقل ابن خرداذبة في كتابه الجغرافيا شعرا فارسيا له ولكن لغة القصيدة تدعو إلى الشك في نسبتها لذلك العهد (٤) وكان هناك شاعر آخر هو محمد ابن البعيث كان يكتب أشعاره بالعربية والفارسية (٥) . وكذلك الأمر في النثر فقد كان موسى الأسواري يقص بالفارسية والعربية (٦) .

وقد ظهر أثر الحضارة وسلامة الذوق في تغير ألفاظ الشعر وأساليبه لاستعمال الرواية وقلة الارتجال والإنحاء عليه بالتهذيب والميل به إلى جانب الرقة والسلاسة مع بقاء جزائه ونظامه عبارته في غير الهزل والمجون وفي الموضوعات التي تتطلبها ، وانتقل ذوق الزخرف والترف من الحياة العامة إلى الحياة الفنية الخاصة فتجلت الدقة في انتقاء الألفاظ المدببة الممثلة للمعنى أتم تمثيل وظهور التكلف في صوغ العبارات والأساليب . ودعا النقاد كالجاحظ وسواه إلى إيثارا لم يكن من الألفاظ ساقطا سوقيا ولا مستكرها وحشيا وإلى هجر القريب والخشونة وإيثار الجمال الفني من صنوح العبارة وجمال الابتداء وحسن التناص والانهاء . وقد

(١) العمدة ج ١ ص ١٥٧ . (٢) العمدة ج ١ ص ١٥٨ .
(٣) البيان والبيان ص ١٠٩ . (٤) الحضارة الإسلامية لبارتولد ص ٦٨ .
(٥) الحضارة الإسلامية لبارتولد ص ٦٩ . (٦) البيان ص ٢٣٤ ج ١ .

استعملوا بعض الألفاظ الكلامية واقتبسوا في الشعر من كتاب الله العزيز، وقصدوا البديع والألوان الزخرف الفنى قصداً يوشون به شعرهم فقل حظ الشعر من اليسر، وبعد عهده بالبداوة، وكثر حظه من التكلف الفنى، وأصبح أثراً من آثار الصناعة بعد أن كان وليد الطبع والفطرة الحرة المطلقة. وبذلك أصبح الشعر فناً حقاً يسير الشاعر فيه وراء الترف والجمال، من حيث لم يكن الشاعر الجاهلي أو الإسلامي عادة صاحب فن، بل كان الطبع قوياً فيه. وما يقال عن زهير والحطيئة وطفيل النوى من أنهم كانوا أصحاب روية وأناة ليس ممثلاً الصنعة أو التكلف الذي نراه عند المحدثين (١) فالمثل الأعلى للشعر عند القدماء ما جرى على السليقة والفطرة وما أوحى به لإبهم حياتهم من المعاني. فأما عند المحدثين فن العناية بالزخرف والتنميق (٢)، فلم تكن العرب تمعاً بالجنيس والمطابقة ولا تحفل بالابتداع والاستمارة إذا حصل لها عمود الشعر. فلما أفضى الشعر إلى المحدثين ورأوا مواقع تلك الألوان من الغرابة والحسن تكلفوا الاحتذاء وسموها البديع (٣).

(٣)

وقد حاول بعض المحدثين التجديد في بناء القصيدة وأغراضها، فدعوا إلى ترك الأطلال ومسااتها في مبادئ القصيد، كما فعل أبو نواس ومطيع وابن المعتز، وسواهم من الشعراء، ويقول أبو نواس:

صفة الطلول بلاغة القسم فاجعل صفائك لابنة الكرم

ولكن ابن قتيبة لم يرض عن ذلك، ودعا إلى الاحتفاظ بمنهج القصيدة الموروثة (٤). ولكن ابن رشيق لم يرض عن ذلك المنهج والاتجاه، ورأى أنه لا معنى لذكر الحضرة الديار إلا مجازاً (٥)، ولرغبة الناس في الوقت عن

(١) ويجهل صاحب الأدب الجاهلي مدرسة مسلم وأبي تمام وسواهما من الصنعة امتداداً لمدرسة زهير والحطيئة (٢٨٨ الأدب الجاهل).

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ٩٩ وما بعدها.

(٣) راجع ٣٨ الوساطة.

(٤) راجع ١٤ و ١٥ الشعر والشعراء، والمقدمة ج ١ ص ١٩٧.

(٥) المقدمة ج ١ ص ١٩٧.

تلك الصفات ، وعليهم بأن الشاعر إنما يتكلفها ، والأولى في هذا الوقت صفات
الجز والقيان (١) .

(٤)

أما المذاهب الأدبية العامة في فن الشعر في القرن الثالث الهجري وما بعده
فيمكن إرجاعها إلى مذهبين :

فطائفة من الشعراء قد احتذت حذو القدماء ، فهي لا تدير في سبيل التجديد
الفن في الشعر إلا بمقدار ما يتلاءم مع الروح العربية ، فظلت على النهج
والصياغة القديمة ومنهم : أشجع ، ومروان بن أبي حفصة م ١٨٢ هـ ، ودعبل
م ٢٤٦ هـ ، وعلى بن الجهم م ٢٤٩ هـ ، والبحتري م ٢٨٤ هـ ، وسواهم .
وطائفة مالت إلى التجديد : كدشار م ١٦٧ هـ ، وأبي نواس ١٤٥ - ١٩٩ هـ ،
العتابي م ٢٢٠ هـ ، ومسلم ٢٠٨ هـ ، وأبي تمام م ٢٣١ هـ ، وابن المعتز .
ويرجع ذلك إلى التفاوت بين الشعراء في الثقافة والتفكير والعقلية .
فالطائفة الأولى تثقفت بالثقافة العربية وحدها فسارت في مذاهب الشعر
وفنه وأخيلته ومعانيه على المنهج القديم .
والطائفة الثانية تثقفت بالثقافة العربية وبالثقافات الحديثة ودعت إلى أن يكون
الشعر فنا يعبر عن هذه الثقافات جميعا ويوزن أسلوبه بميزان العقل والمنطق الدقيق .
وكان بين الطائفتين فضال أدبي واسع تمثله المراكز الأدبية التي أنشئت بين البحتري
وعبيد الله بن عبد الله بن طاهر م ٣٠٠ هـ والتي نجد أخبارها في المعارضات التي
قامت بين الشاعرين (٢) ، وفيها يقول البحتري :

كافتمونا حدود منطقكم في الشعر يغني عن صدقه كذبه
ولم يكن ذو القروح يلهج بالمنطق ما نوعه وما سببه
والشعر لمح تكني إشارته وليس بالهذر طوالت خطبه
وقبل ذلك قال أبو تمام في الحسن بن وهب :
لم يتبع شنع الكلام ولا مشي مشي المقيد في الحدود المنطق
في هذه خبت الكلام وهذه كالسور مضروبا له والحنديق

(١) المدة ج ٢ ص ٢٢٩ .

(٢) راجع هذه المعارضات في ديوان البحتري ٣٢ - ٣٨ : ١ .

(٥)

وكذلك انقيم نقاد الأدب وعداؤه طبقات :

(١) فطائفة من النقاد نقف إجماعاً وتقديرها على الشعر القديم ، وتزري بشعر المحدثين وقتهم لما فيه من إسفاف وإغراق وإحالة ونقص طبع وتفاوت نفس وتبلين ملكات ، وهم علماء الادب واللغة الذين تشفقوا ثقافة أدبية عربية خالصة ولم يتزودوا بآراء آخر من الثقافات الحديثة .

ومن هؤلاء : أبو عمرو بن البلاء م ١٥٤ هـ وكان أعلم الناس بالعربية وجلس عشر سنين فما سمعه يحتج بببيت إسلامي (١) وكانت يقيم الموازنة بين الشعراء على أساس عصورهم ، لا على أساس شعرهم حتى قال : لو أدرك الانخل يوماً واحداً من الجاهلية ما قدمت عليه أحداً (٢) ، وكان لا يعد الشعر إلا ما كان للتقدميين وسئل عن المولدين فقال : ما كان من حسن فند سبقوا إليه وما كان من قبيح فهو من عندهم (٣) ، وكان كما يقول ابن سلام في طبقات الشعراء : أشد الناس تسليماً للعرب .

ومنهم ابن الاعرابي م ٢٣١ هـ ، وكان يزري بأشعار المحدثين ويشيد بشعر القدماء (٤) ، فكان يقول في شعر أبي تمام : لو كان هذا شعراً فكلام العرب باطل ، وأنشده (٥) ابن الطوسي أرجوزة لأبي تمام على أنها لبعض شعراء هذيل فاستحسنها وكتبها فلما علم أنها لطيب قال خرقوها ، وكان ابن الاعرابي يعيب شعر أبي نواس فأشده رجلاً شعراً له وهو لا يعرف قائله فأعجب به إعجاباً شديداً وكتبه فلما علم أنه لأبي نواس أنكره (٦) ؛ وكان يستشهد في كتابه النوادر بكثير من أشعار المحدثين ولعله لو علم بذلك ما فعله (٧) ، وكان يقول : ختم الشعر بابن

(١) الشعر والشعراء ص ٧ ، البيان والبيان ٢٠٩ : ١ ، المدة ٧٣ ج ١ .

(٢) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ص ١٠٥ .

(٣) المدة ٧٣ ج ١ .

(٤) اللوازنة ٨ : الموضح ٣٠١ ؛ أخبار أبي تمام ٢٤٤ .

(٥) التصحيح والتعريف ٨٥ ، التل السائر ٣١٥ ، أخبار أبي تمام ١٧٥ ، ص ٤٥ وما بعدها من الصائحين ، وسائل ابن المعتز ١٣ ، اللوازنة ١٠ ، وراجع ٥٠ وما بعدها من الوساطة .

(٦) راجع ٢٨٩ ج ١ زهر . (٧) أخبار أبي تمام لمصول ١٧٧ .

هرمة (١) ، وكان الأصمعي يقول : ختم الشعر بالرماح (٢) ، وقال : بشار خاتمة الشعراء والله لولا أن أيامه تأخرت لفضلته على كثير منهم (٣) ، وكان أبو حاتم يعيب شعر أبي تمام (٤) .

ومتهم اسحاق الموصلي الذي كان في كل أحواله ينصر الأوائيل ، وكان شديد المعصية لهم (٥) فنعصب على أبي نواس (٦) ، وعلمن على أبي العتاهية (٧) ، وكان لا يبتد بشار ويقدم مروان عليه (٨) ، وسمع أبا تمام ينشد شعرا له فقال : يا هذا لقد شددت على نفسك (٩) ، ومع ذلك فقد كان إنتاجه الأدبي لا يرضى طبقة النقاد التي احتذى حذوها وذلك لأنهم يرونه عدنا كما فعل الأصمعي معه حين استحسن بيتين أنشدهما اسحاق له فلما علم أن اسحاق صاحبهما عابهما (١٠) ، ولم يكن نعصب اسحاق للندماء الأدب وحده بل كان كذلك في الغناء أيضا فيمكن زعيم طائفة تنسك تغيير الغناء القديم وتعظيم الاندام عليه (١١) .

وكان المأمون — رغم ثقافته الواسعة — يتعصب للأوائيل من الشعراء ويقول : انقضى الشعر مع ملك بني أمية (١٢) ، ودخل عليه أبو تمام في زى أعرابي فأشده فجعل المأمون يتعجب من غريب ما يأتي به فلما انتهى إلى قوله :

هن الحمام قان كموت عياقة من حاتم فإئن حمام

فقال المأمون : الله أكبر كنت يا هذا قد خلطت على الأمر منذ اليوم وكنت حسبتك بدويا ثم تأملت معاني شعرك فإذا هي معاني الحضرين وإذا أنت منهم فغضب به ذلك عنده (١٣) .

ومثل ذلك التعصب للقديم موجود في الآداب الأخرى ، فقد كان هوراس الشاعر الروماني يرى أن شعراء اليونان هم النماذج التي يجب أن تدرس ليلا ونهارا ،

- | | |
|--|---------------------------|
| (١) المدد ٧٣ ج ١ | (٢) البيان ١٩٧ ج ٣ |
| (٣) الأغاني ٢٣ ج ٣ | (٤) اللوشج ٣٠٤ |
| (٥) أخبار أبي تمام ٢٢١ | |
| (٦) راجع ٢٦٣ و ٢٦٤ من اللوشج ، الأغاني ٢٨ ج ٣ | |
| (٧) موشج ٢٥٨ | (٨) الأغاني ٢٨ ج ٣ |
| (٩) ٨ الوازنة وتروى برواية أخرى (٢٢٧ اللوشج) . | |
| (١٠) الرسامة ٥٠ ، الوازنة ١٠ | (١١) الأغاني ٣٥ ج ٩ |
| (١٢) ديوان العاني ٣٦٢ ج ١ | (١٣) ديوان العاني ١٢٠ ج ٢ |

فإن الشعر ينبغي أن ينظم كما كانوا ينظمونه (١) .

واعترض الباقلاقي عنهم بأنهم إنما كانوا يميلون إلى الذي يجمع الغريب والمعاني (٢) ، واعتذر ابن رشيق بحاجتهم إلى الشاهد وقلة نقمهم بما يأتي به المولدون (٣) .

(ب) وطائفة أخرى من النقاد حكوا الذوق الأدبي وحده في الشعر وحكوا بالفضل لمن يستحقه جاهليا كان أو إسلاميا أو محدثا كالجاحظ وابن قتيبة والمبرد وابن رشيق (٤) ، ونقد ابن المعتز تعصب العلماء على المحدثين لغير سبب (٥) ، وفضل خلف لامية مروان على لامية الأعشى (٦) وبشرح الجرجاني والباقلاني مذهبهم في النقد (٧) .

(ج) وطائفة أخرى حكمت الثقافات الحديثة في النقد كما فعل قدامة في نقد الشعر ومناهجه ولا سيما بعد اطلاعهم على ترجمة كتاب أرسطو في نقد الشعر الذي نقله أبو بشر من السريانية إلى العربية (٨) .

ولاختلاف مناهج النقاد في نقد الشعر كان الشعراء يتشددون في طلب العدالة الأدبية من النقاد حين يعرضون ما نظموه من شعر عليهم كما فعل ابن منذر م ١٩٨ هـ ، فقد أشد أبا عبيدة قصيدته في رثاء عبد المجيد بن عبد الوهاب الثقفي (٩) :

كل حي لاقى الخسام فودى ما لحى مؤمل من غلول
وهي التي عارض بها قصيدة أبي (١٠) زبيد الطائي :

(١) قواعد النقد الأدبي ص ١٤٤ وما بعدها .

(٢) إعجاز القرآن ١٠٠ .

(٣) الممددة ٧٣ ج ١ .

(٤) الحيوان ٤٠ ج ٣ ، الشعر والشعراء ٧ و ٨ ، الكامل ١٨ ج ١ ، الممددة ٧٤ ج ١

(٥) أخبار أبي تمام ١٧٥ وما بعدها ، رسائل ابن المعتز ١٤ .

(٦) النقد ص ٤٠٣ ج ٣ . (٧) الوساطة ٣٧ وما بعدها ، إعجاز القرآن ١٠٠ .

(٨) زبدان ١٥٧ ج ٢ .

(٩) راجعها في الكامل للمبرد ٢٨٨ و ٢٩٠ ج ٢ ، والمبرد شديد الإعجاب بها (٢٨٨ ج ٢ الكامل) .

(١٠) راجعها في (٢٨٦ وما بعدها جبهة أشطر العرب) .

إن طول الحياصة غير سعود وحلال تأميل طول الخلود
فقال له : أحكم بين الفصيدتين واتق الله ولا تقل ذلك متقادماً الزمان وهذا
محدث متأخر ، وإن كان انظر إلى الشعرين واحكم لأفصحهما وأجودهما (١) .

(٦)

وفي العصر الثاني كلف الخلفاء عن شد أذى الشعراء بالصلوات ، أغلبية الترك
على أمور الدولة وضمف الخلفاء واضطراب الحياة السياسية . ولأن الدعابة
السياسية خرجت كلها أو جلها من أيدي الشعراء إلى أيدي الكتّاب والدعاة . .
ولتوزع العناية بين الشعر والعلوم الحديثة ، ولتكثر الشعر والشعراء . ولغلبة
المناداة على الشعر عما رجع صفة التمدن على صفة الشاعر . ولقلة المبالاة بالمدح
والذم حين استبحر العمران وشاعت الإباحة والمجون . . فلم يعد الشعر طريفاً
إلى الحياة ، ووسيلة للعيش ، كما كان في العصر الأول ، الذي أعقد فيه الخلفاء
والوزراء والأمراء على الشعراء بأنفس الجوائز والصلوات (٢) .

وكان من رواة الشعر العربي طبقة من العلماء من البصريين والكوفيين
والبغداديين ، الذين كانوا يروونه إشباعاً لنهم فطرم وأذواقهم الأدبية العربية
الخالصة ، من أمثال : خلف والأصمعي وأبي عبيدة وأبي زيد ويحيى بن نجيم وعمرو
بن كركرة وابن سلام ، وأستاذهم أبو عمرو بن العلاء أعلم الناس بالعرب
والعربية (٣) . ومن عامة رواة الأدب والبيان الذين لا يقفون إلا على الألفاظ
المتخيرة والمعاني المنتخبة ، وعلى الألفاظ العذبة والمخارج السهلة والديباجة الكريمة ،
وعلى الطبع المتمكن والسبك الجيد ، وعلى كل كلام له ماء ورواق ، وعلى المعاني
التي إذا صارت في الصدور عمرتها وفتحت للسان باب البلاغة — كما يقول
الجاحظ — دون التحوين الذين ليس لهم غاية إلا كل شعر فيه إعراب ،
والأخباريين الذين لا يقفون إلا على كل شعر فيه الشاهد والمثل ، واللغويين
الذين لا يروون إلا كل شعر فيه غريب (٤) . وبحوار هذه الطبقة الشعراء الذين

(١) طبقات الشعراء لابن المعتز .

(٢) راجع أسفاذ اللوك على المدح في ١٥٨ — ١٦١ ج ١ العقد الفريد .

(٣) ٢٠٦ : ١ البيان . (٤) ٢٢٤ : ٣ البيان .

طاردت شهرتهم في آفاق الأدب العربي أمثال ابن هرمة وإشعار وصالح بن عبد القدوس وأبي نواس وأبي العتاهية والسيد الخيري وأبان اللاحق ومنصور النري وسلم الخاسر وابن أبي عيثة ويحيى بن نوفل وخلف بن خليفة ومحمد بن بشير والعتابي ومسلم وأبي تمام (١)، وغيرهم من رجال الأدب والبيان، من بيت بني هاشم وبني العباس ومن رجال الفرق الأدبية والسياسية والدينية لاندماج المعتزلة وفرق المتكلمين الذين رآهم الجاحظ فوق أكثر الخطباء وأبلغ من كثير من البلاغاء (٢). ومهما كان فإن التجديد الشعري في العصر العباسي لم يتعد في الأغلب صناعة الشعر وأنه منحصر في الوجداني منه، وهو يظهر لنا في ثلاثة مظاهر: رقة العبارة والتفنن في المعاني، والتوفر على البيدع اللفظي، وقد يضاف إليها التوسع في المصطلحات اللفظية.

وقد كان نتاج الشعراء في العصر العباسي الثاني ممتازا بالدقة، ومبنيا على دراسة النفس ومعركة طبائعها وخصائصها، وفهم حقائق الحياة، واستشفاف أسرارها وقل أن يعثر أديب عباسي من نصيب في الحكم والأمثال، ومن أشهرهم في ذلك بشير بن برد، وصالح بن عبد القدوس، وأبو العتاهية؛ فقد كانوا أوفر من غيرهم حظا، وأحكم بناء، وأشعارهم مملوءة بالحكمة.

وقبيل صدر العصر العباسي الثاني نجد ابن هرمة وإشعار وأبا نواس، والعديد من الشعراء من أمثال مسلم وسلم الخاسر وأبي العتاهية والبة ومنصور النري وبكر ابن التطاح وعلى بن جبلة والعتابي وأبي الشيص.

وقد نبغ فيه الكثير من الشعراء، نذكر منهم: محمود بن الحسين الوراق م ٢٣٠هـ وامتاز بالحكمة والأمثال (٣)، وأبا تمام م ٢٣١هـ ودليل الجن (١٦١ - ٢٣٥هـ) (٤)، وعبد الصمد بن المعتز م ٢٤٠هـ (٥)، وعمارة بن عقيل م

(١) ٥٤ : ١ البيان .
(٢) ١٠٦ : ١ .
(٣) راجع ١٣٨ : ١ أزهر ، ١٧٤ طبقات الشعراء لابن المعتز .
(٤) هو عبد السلام الحمصي شاعر الشام وكان أبو تمام يحتضنه - راجع ٨٣ : ١ عمدة وكان ماجنا (٣١٦ : ١ الحميري) ، وشهد له أبو نواس (٣١٦ : ١ الحميري ، ٥٢٥ : ١ وفیات الأعيان) وروى ذلك عن دعلج (١٩٣ : ١ المدة) وعن أبي تمام (١٥١ : ١ حلية الكهيت) ، وتوفي من بضع وسبعين سنة (٣٥ : ١ الكشكول) .
(٥) كان شاعر البصرة (٩٣ : ١ جاس الحاس ، ٧٤ : ٣ زهر) ، وأخوه أحمد شاعر كذلك (٧٢ : ٣ زهر) .

٢٤٠ هـ (١) وأبا العميث م ٢٤٠ هـ شاعر عبد الله بن طاهر وكانه (٢) ، ودعبل
(١٤٨ - ٢٤٦ هـ) (٣) ، وعوف بن عزم الخزازي م ٢٤٨ هـ (٤) ، وعلى بن الجهم م
٢٤٩ هـ (٥) والمطوي م نحو ٢٥٠ هـ (٦) ، والحسين بن الضحاك الخليلي (١٦٢ -
٢٥٠ هـ) (٧) وبارق السكرزي وكان شاعر مكة في أيام المتوكل وكان يتعصب على
أبي تمام (٨) ومحمد بن سلامة بن أبي زرعة الدمشقي وكان هو وديك الجن شاعرا
الشام (٩) ، وأبا عينة عبد الله بن محمد بن أبي عينة ، الملقب (١٠) .
وكذلك الأخطل محمد بن عبد الله بن شعيب (١١) وقد توفي نحو عام ٢٥٠ هـ .

- (١) ٢٤٧ معجم الشعراء ، ١٤٩ - ١٥١ طبقات الشعراء لابن المعتز .
(٢) ١٣٣ : ٢ الديري ، ٧٢ و ٧٣ فهرست ، ١٣٥ - ١٣٦ طبقات الشعراء
لابن المعتز ، ٤٧٠ : ١ ابن خلكان .
(٣) ١٩٣ - ١٩٨ : ٤ معجم الأدباء ، ١٢٤ - ١٢٧ طبقات الشعر لابن المعتز ،
٢٤٨ - ٢٧٢ : ٧ مذهب الأغاني . وله كتاب طبقات الشعراء (٢٢٩ فهرست) وكتاب
في شعراء بغداد (٦٧ المؤلف) وكان شاعر علماء وعالم شعراء (٢٤٩ وسائل البقاء من
رسالة الاعتقاد لابن شرف) ، وكان يؤدب الفضل بن الربيع (٢٥٦ : ٧ مذهب الأغاني) .
(٤) ٦٩ فهرست ، ١٠١ خاص الحاس ، ١٣٠ : ١ الأمل .
(٥) ٢٨٦ معجم الشعراء ، ١٥١ وما بعدها طبقات الشعراء لابن المعتز ، ٣٩ - ٤١ :
٢ وفيات الأعيان ، ٦١ : ٤ للمعدي ، ٤٢٣ - ٤٣٠ : ٢ عصر المأمون ، ٩٨ خاص
الحاس وكان شاعر مقلدا مطبوعا (١٥١ طبقات الشعراء لابن المعتز) وعلمه بالشعر أكبر
من شعره (١٦٣ أخبار أبي تمام) ، وكان أحسن الناس علما بالشعر (١٠٠ إعجاز القرآن
للباقلائي) ومن الفضلاء بالشعر وصناعة له (١٧٠ : ١ محمسة) وراجع فيه (٦١ : ٤
ممدودي ، ١٠٥ : ٩ الأغاني وما بعدها) .
(٦) وكان له فن لم يسبق إليه ذهب فيه مذهب أصحاب الكلام (٥٨ : ٢٠ الأغاني)
وكان أحد المتكلمين المصدق (٤٣٢ معجم الشعراء) ، وراجع ١٨٧ - ١٨٨ طبقات ابن
المعتز ، ٢٢٢ : ٢ الأمل .
(٧) ١١٣ المؤلف ، ٣٠ - ٤ معجم الأدباء ، ٢٦٥ - ٢٧٧ : ٣ عصر المأمون ،
١٢٧ - ١٢٨ طبقات ابن المعتز ، وهذا المأمون ثم مدحه بقصيدة قالت استجابه فمعا عنه
(٢٠٦ : ديوان المائي) .
(٨) ٤٣٩ معجم الشعراء .
(٩) ٤٢١ معجم الشعراء .
(١٠) ٢٧٥ - ٢٩٥ : ٧ مذهب الأغاني ، ١٣٦ - ١٣٩ طبقات ابن المعتز ، ٢٦٧
معجم الشعراء .
(١١) يملك مملوك أبي تمام ويحذو حذوه (٤٣٢ معجم الشعراء) وأشد أبا تمام شعرا له
فقال له : اذهب إذا شئت فليس للناس يدى غيرك (١٩٥ طبقات ابن المعتز) .

ومحمد بن مروان بن أبي الجنوب بن أبي حفصة مدح المتوكل ولزم المعتز وخمس به فقلده الخامة والبحرين (١) ، ومحمد بن أبي الوليد الكلبي مدح المتوكل وكان شاعر أوانه (٢) ، ويزيد المهلبى (٣) ، وتوفى نحو ٢٥٦ هـ ، والحدوثى إسماعيل بن إبراهيم ابن حمدويه البصري (٤) ، وتوفى نحو عام ٢٦٠ هـ ، ومحمد بن ذكين المتكلم ورفى المعتز وله أشعار يحسن فيها على القول بالعدل والترحيد (٥) توفى بعد عام ٢٥٥ هـ ، ويعقوب النخار وتوفى في آخر أيام المعتز (٦) ، والخليل الأصغر محمد بن أحمد م ٢٨٠ هـ (٧) وابن الرومي (٢٢١ - ٢٨٣ هـ) (٨) ، والبحتري م ٢٨٤ هـ ، وأبو الحسين الخزاز م ٣٨٣ هـ (٩) ، ومحمد بن علي بن حمزة العلوي م ٢٨٧ هـ (١٠) ، وأبو العباس عبد الله بن محمد الناشئ الأنباري م ٢٩٣ هـ (١١) ، وعبيد الله

(١) معجم الشعراء .

(٢) ٤٢٩ المرجع .

(٣) ٢٩٥ : ٧ وما بعدها مذهب الأغاني وس ٣٤٣ المرحش .

(٤) راجع ٢٢٣ و ٢٥٦ — ٢٦٠ : ٢ زهر وله في طليسان ابن حرب أربون مقطوعة لا تخلو واحدة منها من معنى نادر أو مثل سائر (٩٤ خامس الخامس ، ١٧٦ طبقات ابن المعتز) ؛ وله قصيدة لأمية جيدة في المطالب (٣٥ — ٣٧ : ٢ العدد) .

(٥) معجم الشعراء .

(٦) معجم الشعراء .

(٧) معجم الشعراء وهو من ولد ابن قيس الرقيات .

(٨) ٣٥٧ وما بعدها موشح ، ٤١ : ٤٤ — ٣ : ٤٤ وفیات الأعيان ، ١٥١ — ١٥٦ مراجعات لمقاد ، ٣١٣ — ٣٤٤ حماد الخنجر لغزني ، وابن الرومي لمقاد .

(٩) معجم الشعراء ، وهامش ١٤٤ ديوان ابن الرومي .

(١٠) وكان شاعراً راوية عالماً (٤٥٣ معجم الشعراء) .

(١١) ترجمته في (٤٧١ — ٤٧٢ : ١ وفیات الأعيان ، ١٩٨ طبقات ابن المعتز) وهو الناشئ الأكبر وكان في طبقة ابن الرومي والبصري وابن المعتز وكان محوياً عروضا منسكماً أظام بقداد ثم خرج إلى مصر وأقام بها إلى آخر عمره وكان متبحراً في عدة علوم منها المنطق ، وله قصيدة في فنون من العلم تبلغ سبعة آلاف بيت (٤٧١ : ١ وفیات) ، وله مکتابه التوسوم بتفضيل الشعر (١٧٥ : ١ العدد) وينقل عنه المصري (٤٩ — ٥١ : ٣ زهر) وله منظومة في الشعر كتبها إلى أبي الصقر (١٠٨ : ٢ العدد) ، وله منظومة أخرى في الشعر (١٠٩ — ١١٠ : ٢ نسخة) ، ٣ : ٥١ زهر وله كلفة في تقسيم العلم عند الفلاسفة (١١٢ : ١ العدد) ، وهو غير الناشئ الأصغر (٢٧١ — ٣٦٥ هـ) الذي كان من شعراء سيف الدولة (٤٨ وما بعدها : ٢ وفیات) .

ابن عبد الله بن طاهر (٢٢٣ - ٣٠٠ هـ) ، ويحيى بن علي المنجم (٢٤١ - ٣٠٠ هـ) وابن المعتز (٢٤٧ - ٢٩٦ هـ) ، والبسامي علي بن بسام م ٣٠٢ هـ (١) ، ونصر ابن أحمد بن نصر الخيز أروى المتوفى عام ٣١٧ هـ (٢) ، وأبو بكر الحسن بن علي ابن أحمد بن بشار المعروف بابن الملاف الشاعر المشهور (٢١٨ - ٣١٨ هـ (٣) وابن طباطبا العلوي الأصماني م ٢٢٣ هـ (٤) .

وبعد فهذه صورة مفصلة لعصر ابن المعتز من شتى نواحيه السياسية والاجتماعية والعقلية والأدبية ، وعن تطور الشعر العربي فيه - ويكفي ذلك في هذا المقام .

(١) يشبه الخطبة في الهجاء (١٠٨ وما بعدها خاص الحاس ، ٤٤ : ٢ وما بعدها وفيات ، ٢٢٦ : ٤ النمودى) وهجاء ابن المعتز (٩٠ : ٣ زهر ، ١٨٠ ديوان ابن المعتز) وأمه أمينة (٢١٤ فهرست) أخت أحمد بن حمدون ابن اسماعيل النديم ، وكان حسن البديهة شاعراً أدبياً (٣١٨ : ٥ معجم الأدباء) وأغاب شعره في الهجاء (راجع ٢٩٤ معجم الشعراء) ، وكان هو وإخوته يقرأون الشعر على فضل البريدي (١٧١ أدب الكتاب للصول) .
(٢) ٥٥ — ٦٠ : ٣ وفيات . وهو أحمد الطلوعين اليهودي وكان لا يبدل به أحد في زمانه (٤٩٨ : ١ سمط) .
(٣) كان يتادم الحظف وكانت بينه وبين ابن المعتز صفة أكيدة فلما قتل ابن المعتز رثاه بداليتيه :

يا هم غارتنا ولم تند وكنت عندي بمنزل الوالد
وجعلها في صورة رثاء هم له إغناء على القادر (٢٤٥ — ٢٤٨ : ١ وفيات الأعيان ، ١٣٩ نكت الحسين ، ٣٣٦ و ٣٣٧ ج ٢ النعمري) وعدد أبيات القصيدة ٦٥ بيتا وهم من أحسن الشعر وأبدعه كما يقول ابن خلكان .
(٤) ٤٦٣ معجم الشعراء ، ٢٨٥ : ٦ معجم الأدباء ، ١٠٦ خاص الحاس .

الباب الثاني

حياة ابن المعتز

الفصل الأول ميلاد الشاعر وأسرته

(١)

في العصر العباسي الثاني، وفي سامرا مدينة المعتصم وعاصمة الخلفاء العباسيين بعده، ومنازة الحضارة والعلم والأدب في الدولة الإسلامية في القرن الثالث

ولد الأمير العباسي أبو العباس عبدالله ابن الخليفة المعتز بالله ابن الخليفة المتوكل على الله ابن الخليفة محمد المعتصم ابن الخليفة هرون الرشيد ابن الخليفة محمد المهدي ابن الخليفة أبي جعفر عبدالله المنصور بن محمد بن علي بن عبدالله ابن العباس بن عبد المطلب الهاشمي جد رسول الله صلوات الله عليه . فكان لميلاده رنة من الفرح في قلب والده المعتز، وضجيج من البشر في نفس جده الخليفة المتوكل، وظهر بميلاده نجم جديد في أسرة الخلافة من بني العباس

تختلف المصادر في تحديد يوم ميلاد الأمير، ويمكننا أن نوضح الآراء المختلفة في ميلاده فيما يلي:

١ - أنه ولد في شعبان عام ٢٤٩ هـ^(١)، وبعبارة أوضح في الثالث والعشرين من شعبان ٢٤٩ هـ^(٢)، وذلك يوافق ١١ أكتوبر ٨٦٣ م وينتقض هذه الرواية أن المتوكل المتوفى في شوال ٢٤٧ ذكر المعتز والد الشاعر ولقبه أبا عبدالله^(٣) وذلك دليل على أن عبدالله بن المعتز ولد قبل مقتل جده المتوكل

٢ - أنه ولد عام ٢٤٧ هـ^(٤)، وبعبارة أوضح لسبعة بقين من شعبان عام ٢٤٧ هـ^(٥) دائرة المعارف للبيستاق، ١/٣٤٢ قواف، ١/١٤٦ معاهد النصيص، ١٩١ تاريخ آداب اللغة في العصر العباسي للإسكندري.

(١) ص ٣ مقدمة ديوان ابن المعتز طبع بيروت. (٢) ٩/١١٨ الأغانى (٣) العدد الخامس من المجلد الأول من دائرة المعارف الإسلامية الصادر في يونيو ١٩٣٤. (٤)

٢٤٧ هـ^(١). وذلك قبل قتل المتوكل بأربعين ليلة^(٢)، وذلك يوافق تقدير الخطيب لعمره^(٣)

وهذا الرأي هو أرجح الآراء، وتؤيده كثير من المصادر فيكون ميلاد الأمير عبدالله بن المعتز في ٢٣ شعبان سنة ٢٤٧ هـ - أول نوفمبر سنة ٨٦١ م - هاتور ٥٧٨ ق.

٣ - وفي ابن خلكان رواية عن ابن سنان أنه ولد عام ٢٤٦ هـ^(٤)، وظاهر العبارة يدل على أنه ولد في ٢٣ شعبان من هذه السنة وذلك يوافق ١٢ نوفمبر ٨٦٠ م

٤ - وهناك رأي آخر غريب وهو أنه ولد لسبعة بقين من شعبان عام ٢٤٤ هـ^(٥)، وهذان الرأيان ليس لهما ما يؤيدهما من قوة الدليل. وليس في شعر ابن المعتز شيء عن سنة إلا قوله:

لا تسألني وسل مشيبي عني منذ عرفت الخمسين أنكرت نفسي
ومن الثابت اعتماداً على أرجح الآراء في ميلاده أنه لم يبلغ الخمسين عاماً وإنما قاربها وأن عمره يوم قتل في ربيع الآخر ٢٩٦ هـ، يقدر بأيام وسبعة أشهر وثمانية وأربعين عاماً^(٦)، والشعراء كثيراً ما يبالغون في تقدير عمرهم إظهاراً لأثر السن في الملكات والتجارب والخبرة بالحياة، والبيت لم أطلع عليه إلا في رسالة الغفران.

(٢)

ولأسرة ابن المعتز في صحائف التاريخ والمجد آثار خالدة حفظها الزمن وهفتت بذكرها الأيام، مما رده ابن المعتز في شعره، ونطق به في روائع فخره، أليس هو الذي يقول:

نحن آل الرسول والعثرة الحق وأهل السقري فإذا تريد
ولنا ما أضاء صبح عليه وأنته رايات ليل سود
وملكنا رق الخلافة ميراثاً فمن ذا عنا بفخر يجيد؟

(١) ١٠/٩٥ تاريخ بغداد، ٢/٢٢٣ شذرات الذهب، ١/٤٦٢ وفيات.

(٢) ١/١٠١ تاريخ بغداد.

(٣) ١٠/١٠٠ المرجع.

(٤) ٣٠١ نزعة الألباء.

(٥) ١/٤٦٢ وفيات، ٢/٢٢٢ شذرات.

(٦) ١٠/١٠٠ تاريخ بغداد.

وبلى الخلافة من آبائه ستة من الخلفاء، كان لهم في صحائف التاريخ الإسلامي ذكر ذائع ومجد تليد.

جده الأعلى هو عبيد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي^(١) جد الرسول الكريم، توفي عن مائة وعشرين سنة^(٢) وذلك بعد الفيل بثان سنين^(٣)، أي بعد ميلاد الرسول بثان سنين لأن الرسول ولد عام الفيل^(٤)، وذلك عام ٥٧٨ م. وجدته العباس^(٥) ولد قبل الرسول بعامين - أي عام ٥٦٨ م -، ومات بالمدينة عام ٣٢ هـ - ٦٥٢ م، عن ثمان وثلاثين سنة^(٦)، طلب من الرسول ولاية فأبى^(٧)، وكان له سقاية الحجيج وولاية زمزم ونوزع فيها في خلافة عمر^(٨) أو في عهد الرسول^(٩) ففضى له، وكان شاعراً^(١٠)، مفلحاً وكان عمر يستسقى به في الجذب^(١١) وجدته عبدالله بن العباس^(١٢): (٣ ق هـ - ٦٧ هـ). ومكانته في الفقه والتفسير والفتوى مشهورة وكان يسمى حبر الأمة وكانت له مكانة كبيرة^(١٣)، وكان من أحب الناس إلى عمر وكان يقدمه على الأكابر من الصحابة^(١٤)، وكان الحسن البصري يثنى عليه^(١٥)، وهو مشهور بالبيان والبلاغة، وتروى له كليات كثيرة^(١٦) وجدته علي بن عبدالله بن العباس^(١٧) (٤١ - ١١٨ هـ)، وكان سيداً شريفاً عابداً زاهداً.

وورث ابنه محمد بن علي (٦٢ - ١٢٥ هـ) سؤدد أبيه ومكانته في قومه؛ قام محمد بن علي بأمور الدعوة فبعث رسله إلى خراسان لنشر الدعوة للعباسيين^(١٨)

- (١) راجع ٢/٦٠٢ الكامل لابن الأثير، ٨٧ حـ ٣ الحضري بك.
(٢) ٢/٦ الكامل.
(٣) ٢/١٤ الكامل.
(٤) ١/١٧٧ الكامل.
(٥) ٣/٨ - ٦ الحضري بك، ٤/٤٠ الإصابة لابن حجر، ١٧٥ نكت الغميان.
(٦) ٣/٨ الحضري بك.
(٧) راجع ١/١٢ العقد.
(٨) ٢/٣٢٣ الكامل للبريد، ٣/٧٥ الحضري. (٩) ٣/٢٧٥ العقد.
(١٠) ١/٣٣ المصنف، ٢٦٢ معجم الشعراء.
(١١) ٥/٢٧ صحيح البخاري ط ١٣٢٠ هـ بالمطبعة الخيرية.
(١٢) ٤/٩٤ - ٩٠ الإصابة، ١٢٠ - ٣/١٢٣ العقد، ١/٥٨٣ وما بعدها دائرة المعارف للبيهقي، ٣/٨ الحضري، ١٦٤ - ١٦٦ نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي لعلي حسن عبد القادر ط ١٨٠٠ نكت الغميان.
(١٣) راجع ٤/١٣٢ زهر.
(١٤) راجع ٣/١٢٠ العقد.
(١٥) ١/٧٤ البيان والنبين.
(١٦) راجع ٢/٢١٣ البيان والنبين.
(١٧) ٣/٩ الحضري بك، ٣/٢٨٧ العقد، ٢٨١ معجم الشعراء، ٥٧٩ - ١/٥٨٣ وفيات.
(١٨) ٣/١٩٥ العقد.

فغضب عليه هشام^(١) ومات بعد أن أوصى إلى ابنه إبراهيم؛ فقام بأمر الشيعة بعده^(٢)، ولكن مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية حبس إبراهيم حتى مات في الحبس، وكان قد أوصى إلى أخيه العباس الذي أعلن بدء قيام دولة العباسيين بالكوفة يوم الجمعة ١٣ ربيع الأول ١٣٢ هـ.

وتولى خلافة المسلمين ولقب السفاح، وظل خليفة حتى مات ١٣٦ هـ فقام بالأمر بعده أخوه المنصور.

ولد المنصور بن محمد بن علي عام ١٠١ هـ أو عام ٩٥ هـ^(٣)، ونشأ في مكة وجاهد في سبيل الدعوة للعباسيين وقابله شبيب بن شيبة في موسم الحج عام ١٢٥ هـ ووصفه وصفاً بليغاً يصور لك نسكه وزهده وعظمة شخصيته وأخلاقه تصويراً رائعاً^(٤)؛ وساعد أخاه علي تسلم عرش الخلافة، ثم تولى أمور المسلمين بعده مدة كبيرة (١٣٦ - ١٥٨ هـ) وولد فيها ملك بني العباس، وبني بغداد ثم الرصافة وشجع العلوم وترجم آثار الأمم العريقة في الثقافة والحضارة وكانت حياته جداً واقتصاداً^(٥)، وكان داهية أريباً مصيباً في رأيه سديداً متقدماً في علم الكلام^(٦)، وكان في صواب التدبير وحسن السياسة على ما يتجاوز كل وصف^(٧)، وكانت دولته من أحسن الدول رونقاً ووقاراً وأوسعها رقعة مملكة^(٨)، وصيغت الدولة في عهده بصيغة فارسية واضحة. وتولى بعده أمور الدولة ابنه المهدي.

كان المهدي ثاني خليفة يتولى أمور المسلمين من أجداد ابن المعتز، ولد عام ١٣٦ هـ ويومع له بالخلافة عام ١٥٨ هـ وظل فيها حتى توفي عام ١٦٩ هـ وفي عهده شاعت الحضارة والترف في الدولة وتقدمت العلوم والفنون والآداب؛ وعاش في رعايته كثير من العلماء والشعراء؛ كمروان بن أبي حفصة م ١٨٢ هـ؛ والمفضل م ١٨٩ هـ وهو الذي اختار له المفضليات؛ وأقام في قصره تيوفيلوس الفلكي الرهاوي الذي ترجم الألياذة والأودسة إلى السريانية^(٩)؛ واشتهر المهدي بالجلود والترف وحب اللهو^(١٠) والتكليف بالزنادقة^(١١).

(١) وما بعدها المكافئة. (٢) ٣/١٩٦ المقد. (٣) ٣/٢٩٣ المقد. (٤) راجع ٣/٢٨١ - ٣/٢٩١ المقد. (٥) ١/١٠٥ - ١/١٠٧ غنى الإسلام. (٦) ٣/٢٠٧ البيان. (٧) ١٢٥ حضارة الإسلام في دار السلام. (٨) ١٣٨ المرجع نفسه. (٩) ٢٢ بارتولد. (١٠) راجع ١/١١١ - ١/١١٧ غنى. (١١) ١/١٤٠ وما بعدها غنى. ٤/٢٤٢ مسعودي.

ومن أبنائه: إبراهيم بن المهدي م ٢٢٤^(١) وعليه^(٢) (١٦٠ - ٢١٠ هـ) وابنه موسى الهادي الذي تولى الخلافة بعد أبيه عام (١٦٩ - ١٧٠)؛ وابنه هرون الرشيد الذي تولى الخلافة بعد موت أخيه عام ١٧٠ هـ.

كان الرشيد ثالث خليفة من أجداد ابن المعتز؛ ولد عام ١٤٥ هـ وبويع بالخلافة عام ٧٠ هـ؛ وولد له المأمون في الليلة التي بويع له فيها بالخلافة وظل فيها حتى توفي عام ١٩٣ هـ - ٨٠٨ م؛ كان عهد الرشيد واسطة عقد الخلافة العباسية؛ وصلت فيه الدولة إلى أفخم درجاتها صولة وثروة وسلطاناً وعلماً وأدباً وحضارة^(٣)؛ فعمجت بغداد بالعلماء والأدباء والشعراء؛ ولم يجتمع بباب أحد من الخلفاء والملوك مثل ما اجتمع بباب الرشيد والصاحب بن عباد من فحولة الشعراء^(٤)؛ وكان الرشيد يقتضى في سياسته آثار جده المنصور وفي سياحته آثار والده المهدي؛ وتكب أسرة البرامكة عام ١٨٧ هـ نكية هزت النفوذ الفارسي هزاً عتيفاً، ومن وزارته الفضل بن الربيع (١٣٨ - ٢٠٨ هـ)^(٥) وكان الكسائي م ١٨٩ يؤدب ولده الأمين^(٦)؛ واليزيدي م ٢٠٢ هـ أستاذ ابنه المأمون^(٧)؛ وولى الخلافة من أولاده: الأمين (١٩٣ - ١٩٨)؛ والمأمون (١٩٨ - ٢١٨ هـ) والمعتصم (٢٢٧ - ٣١٨ هـ).

كان أبو إسحاق محمد المعتصم رابع خليفة من أجداد ابن المعتز. ولد عام ١٧٩ هـ من أمه «ماردة» التركية^(٨)، وولاه المأمون عهده؛ وولى الخلافة بعد وفاة المأمون عام ٢١٨ هـ - ٨٣٣ م؛ وتوفي بسمراء سنة ٢٢٨ هـ - ٨٤٢ م. كان المعتصم عسكرياً بنشأته وميوله وحياته^(٩)؛ وفي عهده زاد نفوذ الترك إلى حد خطير؛ وبنى سامرا واتخذها حاضرة للملكة من عام ٢٢١ هـ؛ وسارت في عهده نهضة العلم والأدب في طريقها التي كانت تسير فيه. ولى الخلافة من أولاده: السوائق (٢٢٧ - ٢٣٢ هـ)؛ والمتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ)؛ والمستعين (٢٤٨ - ٢٥٢ هـ).

كان جعفر المتوكل على الله جد ابن المعتز وخامس خليفة يتولى الخلافة من

(١) راجع ١٦٨ فهرست، ١٧ - ٤٩ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء.

(٢) راجع ٥٥ - ٨٣ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء.

(٣) ٢٤٣/٤ مسعودي. (٤) ١٧٠/٣ البيهقي. (٥) ٣١٢ مجمع الشعراء.

(٦) ٢٨٤ مجمع الشعراء. (٧) ٤١٩ و ٤٩٨ مجمع الشعراء. (٨) ٣/٢٩٥ المقدم.

(٩) راجع ٤/٢٤٦ مسعودي.

أجداد الشاعر.

ولد عام ٢٠٦ هـ من أم ولدت تركية يقال لها «شجاع»؛ وأثره المتصم بمطقه ورعايته؛ وفي خلافة أخيه الوائق وضع موضع المراقبة والموان؛ وكان ابن الزيات الوزير موكولاً إليه أمر مراقبته؛ فتقم عليه المتوكل ونكبه في أوائل خلافته^(١)؛ وولى المتوكل الخلافة بعد الوائق في ٢٤ ذى الحجة ٢٣٢ هـ - ٨٤٧ م وظل فيها إلى أن قتل ليلة الخميس رابع شوال ٢٤٧ هـ - ١١ ديسمبر ٨٦١ م امتاز عهده بشدة نفوذ الترك وبالعداء للشيعة وباضطهاد المعتزلة والاعتزال والتعصب لمذهب أهل السنة؛ ونهى المتوكل عن القول بخلق القرآن والجندال في الكلام^(٢)؛ وكان محباً إلى قلوب الناس إذ أمات ما أحياء الوائق من إظهار الاعتزال^(٣)؛ وأكثر المتوكل من المصادرة؛ وكانت أيامه أحسن أيام وأنفرها^(٤) وبقي قصور الجعفرى عام ٢٤٥ هـ بالقرب من سامرا وتحول إليها عام ٢٤٦ هـ؛ والمتوكل أول من أظهر من خلفاء بني العباس الانهياك على^(٥) شهوته؛ وحفل عصره بأئمة العلم والأدب وزعماء السياسة؛ وكان الزبير بن بكار يؤدب ولده بسامرا^(٦)؛ وكذلك ابن السكيت^(٧) م ٢٤٤ هـ؛ والظاهر أنه خص بالمعز والمؤيد تزوج المتوكل وقبيحة^(٨)؛ وكانت من أجل النساء؛ وخلف منها ابنيه: المعز واسماعيل؛ وسماها المتوكل قبيحة لحسنها ومماها؛ أهداها إليه لما ولى الخلافة محمد ابن عبدالله بن طاهر؛ وكانت أدبية تقول الشعر وتلحنه وتحسن من كل علم أحسنه^(٩)؛ واحتلت من قلبه مكاناً كبيراً؛ وكان المتوكل يهوى على المعز عطفه وجه بتأثير والدته؛ حتى غضب على المتصهر وكاد يخلعه من ولاية العهد في آخر حياته مما دعا المتصهر إلى الاشتراك مع المتأمرين على المتوكل؛ ولعل التنافس الذي ينشأ بين الضرائر هو السبب الأول في ذلك كله.

(١) ١١٢ و ١١٣ من الكتاب.

(٢) ١٣٨ تاريخ الخلفاء، ٣٧ و ٢٤٦/٤ مسعودى.

(٣) ١/٣٢٥ زهر، ١٦١ كشكول.

(٤) ٣٧ و ٤/٧١ مسعودى. ١٧٢ الإدارة الإسلامية.

(٥) ١/٣٢٥ زهر، وكان مشهوراً بحب الورد (٢٣٥ حلية الكميت).

(٦) ولزبير كتاب الموفقيات في شمة عشر جزءاً لم يصلنا منها إلا أربعة طبعها واستغل في جوسطن.

(٧) ١٨٧٨ م (٢/١٩٤ زبدان) وقد الله لتلميذه الموفق بن المتوكل.

(٨) ٢/٢١٠ الدميري.

(٩) ١٨٨ الأجداد للمحافظ.

وفي عام ٢٣٥ هـ جعل المتوكل ولاية العهد لأبنائه الثلاثة: المنتصر والمعتز والمؤيد، وقسم البلاد بينهم وجعل كل واحد مستقلاً بما يعهده إليه من أعمال بعد وفاته^(١).

وولى العرش من أبنائه: المنتصر (٢٤٧-٢٤٨ هـ) والمعتز (٢٥٢-٢٥٥ هـ) والمعتمد (٢٥٦-٢٧٩ هـ)، وكان للموفق كل السلطان في الدولة في عهد أخيه المعتمد.

(٣)

والد ابن المعتز:

وأما والد ابن المعتز فهو أبو عبدالله الزبير^(٢) أو محمد^(٣) المعتز بن المتوكل. ولد بسامرا في ١١ ربيع الأول ٢٣٣ هـ. أمه قبيصة جارية^(٤) رومية^(٥) وكانت «قرب» داية المعتز^(٦) وهي جارية لقبيصة^(٧). واحتفل المتوكل حين ظهر ابنه المعتز احتفالاً كبيراً^(٨). وفي أواخر ٢٣٥ هـ ولاء والده ولاية العهد مع أخويه: المنتصر والمؤيد، وقسم البلاد بينهم، فكان للمعتز خراسان وما جاورها يستقل بأموالها بعد وفاة والده؛ وفي عام ٢٤٠ هـ ضم إليه خزائن الأموال ودور الضرب وأمر بضرب اسمه على الدراهم، وللبحتري قصيدة يهنيء فيها المتوكل ببلوغ المعتز^(٩). نشأ المعتز في ظلال والده واختار له أئمة الأدب والعربية يعلمونه ويتقفونه، كأحمد بن عبدون بن ناصح^(١٠)، وكأبي جعفر محمد بن قادم النحوي^(١١)، وكان من أصحاب القراء، وكيعقوب بن السكيت م ٢٤٤ هـ^(١٢)، وكذلك الزبير بن يكار م ٢٥٦ هـ فقد حمل إلى المتوكل فقال له الزم أبا عبدالله - يعني المعتز - حتى تعلمه من فقه المدنيين، فدخل حجرة المعتز قد أن في رجله نعل ذهب وقد عثر به فسأل دمه فجعل يمسح الدم ويقول:

(١) ٤/٣٨ مسعودي، ٧/١٧ ابن الأثير، وفي الأغاني (٩/٣٢) وصف للاحتفال بتوليتهم العهد.
(٢) ٤/١١٠ مسعودي. (٣) ١١/٣٨ طبري. (٤) ٤/١٦٤ التمدن.
(٥) ١/٦٥ زهر. (٦) ٥/٤٧٥ معجم الأدباء. (٧) ١١/١٣٧ طبري.
(٨) ٧٤ لطائف المعارف. (٩) ١/١٢٩ ديوان البحتري، ١/١٩ ديوان المعالي.
(١٠) ١/٢٢٣ معجم الأدباء. (١١) ٧/١٦ معجم الأدباء، ١٠٠ فهرست.
(١٢) ٣٩ العصر العباسي لـحمود مصطفى، ٢٣٨ نزعة الألباء، ١٠٨ فهرست.

يصاب الفتي من عشرة بلسانه وليس يصاب المرء من عشرة الزجل الخ^(١)، وتزوج المعتز في حياة والده فولد له ابنه عبدالله ثم ابنه حمزة بن المعتز^(٢).

قتل والده المتوكل في ٤ شوال ٢٤٧ هـ، وولى الأتراك المنتصر الخلافة بعد أبيه، فخلع أخويه المعتز والمؤيد من ولاية العهد في أوائل عام ٢٤٨ هـ، وبعد شهور قليلة توفي المنتصر وجلس المستعين بن المعتصم على عرش الخلافة عام ٢٤٧ هـ، فاعتقل المعتز والمؤيد وحبسهما في الجوسق^(٣)، وابتاع منهما جميع ما يملكانه وكان الثمن الذي أخذه المعتز عشرة آلاف ألف دينار وعشر حبات لؤلؤ، وترك له ما قيمة إيراده عشرون ألف دينار سنوياً.

وفي عهد المستعين انقسم الأتراك - وكان لهم جميع السلطان والتفوذ في الدولة - أحزاباً وتخاصموا ونقم بعضهم على المستعين فثاروا عليه وأخرجوا المعتز من حبسه وبايعوه بالخلافة يوم الأربعاء لإحدى عشرة ليلة من المحرم عام ٢٥١ هـ^(٤) بسامرا وكان سنة يومئذ سبع عشرة سنة وشهور كما روى عن ابن المعتز^(٥)، وبذلك صار المعتز خليفة في سامرا والمستعين - وكان في بغداد أبان ذلك - خليفة في بغداد.

خلع المعتز على أخيه أبي أحمد الموفق ووشحه بوشاحين^(٦) وجهزه مع خمسين ألفاً من الأتراك لقتال المستعين؛ واستمرت الحرب حول بغداد عاماً كاملاً ثم انتهى الأمر بخلع المستعين نفسه من الخلافة وضمن المعتز حياته؛ وذلك في يوم الجمعة ثالث المحرم ٢٥٢ هـ - ٢٥ يناير ٨٦٦ م^(٧)، وبايع المستعين للمعتز وأخذت منه البردة والقضيب والخاتم ووجه بها إلى المعتز بسامرا، ونفى المستعين إلى واسط ثم قتل بعد شهور؛ وبايعت بغداد كلها المعتز وخطب له في مسجدها الجامع، وفي ذلك يقول البحري من قصيدة^(٨):

(١) ١٤ الأضداد للجاسط، والبيت وما بعده ينسب لابن السكيت وأشدّه المعتز والمؤيد وهو يعلمهما (٢/٣٢٠ الديمري).

(٢) ورقة ٢٨ من الأوراق قسم أخبار القنطرة مخطوطة بمكتبة الأزهر.

(٣) ٣/٣٠٣ الخضرى بك، ٤/٤٣ مسعودى، ٧٥ - ١١/٧٩ طبرى.

(٤) ١١/٨٤ طبرى.

(٥) راجع ٤/١٠٦ وما بعدها مسعودى.

(٦) ٨/١٧٩ الأغاني. (٧) ٤/١٠٨ مسعودى. (٨) ١٢٤ و ٢/١٢٥ شذرات الذهب.

(٩) ١/١٧ وما بعدها ديوان البحري، وراجع ١١/١٤٠ طبرى.

رمى بالساقضيب عشوة وهو صاغر وعمرى من برد التبيس متاكبه ولم يسكن المعتر بإله إذ شرى ليعجزز والمعتر بإله طالسبه وهناه كثير من الشعراء^(١).

أخذ المعتر يوطد عرشه، فحبس المؤيد لانتقامه بالتأمر عليه ومات في حبسه عام ٢٥٢ هـ، وحبس الموفق، وجعل إسحاق - أخاه لأمه وأبيه - مكان المؤيد في ولاية العهد^(٢) وبدأ يعمل على إضعاف نفوذ الأتراك، ويدبر المكائد لقتل قوادهم، واصطنع العناصر الأخرى^(٣) فنبش دونهم، فشعروا بذلك وسعوا في هدم ملكه، وذهبوا إليه وعلى رأسهم ح بن وصيف في رجب ٢٥٥ هـ بحجة مطالبته بنفقاتهم، فذكر لهم أن ليس في خزائنه مال يوزعه عليهم، فحاصروه وعذبوه وضربوه بالديابيس وجروا برجله إلى باب الحجرة وأقاموه في الشمس حافياً^(٤) حتى خلع نفسه بعد أن كتبوا أماناً له ولاخته وابنه وأمه^(٥) وذلك في ٢٥ رجب عام ٢٥٥ هـ.

لم يف الأتراك للمعتر بالوعد، فردوه إلى الحبس وقتلوه بعد ذلك بستة أيام^(٦) وذلك عشية يوم الجمعة لليلة خلت من شعبان ٢٥٥ هـ^(٧) - ١٥ يوليو ٧٦٨ م. قيل أنهم منعوا عنه الأكل حتى مات، وقيل حقن بالماء الحار المغلي، وقيل أدخل حماماً عميقاً ومنع الخروج منه ففاضت نفسه، وقيل أخرج بعد أن قارب الموت ثم أسقى ماء مثلجاً فخر صريعاً^(٨)، وقيل أنهم جصصوا سرداباً بالجص وأدخلوه فيه وأطبقوا عليه بابه فأصبح ميتاً^(٩)، ومهما كان فقد مات المعتر وقتل شر قتلة ودفن بسامرا^(١٠) مع المنتصر بتاحية قصر الصوامع، ورثاه الشعراء أحر رثاء^(١١) قال بعضهم:

عين لا تبخل بسفح الدموع واندى خير فاجع مفجوع
بكر الترك ناقمين عليه خلعتة أفديه من مخلوع
قتلوه ظلياً وجوراً فألفو كريمة الأخلاق غير جزوع
أصبح الترك مالكي الأمر والعيا لم ما بين سامع ومطيع

(١) ١١/١٤٧ طبري. (٢) ١١/١٦٢ طبري، ٢/١٣٠ شلرات. (٣) ١١/١٦٢ طبري. (٤) ١١/١٦٢ طبري. (٥) ٤/١١٩ مسعودي. (٦) ٣/٢٩٨ المقد. (٧) ٢/١٣٠ شلرات. (٨) ١١/١٦٢ طبري. (٩) ٤/١١٠ مسعودي. (١٠) راجع ٤/١٢١ مسعودي، ورثاء محمد التتكم (٤٥١) معجم الشعراء. (١١) راجع ٤/١٢١ مسعودي، ورثاء محمد التتكم (٤٥١) معجم الشعراء.

وقال - فيها بعد - ابنه عبدالله بن المعتز من مريثة له فيه :

لو به أقتل كل قريب وبعيد لم ينم لي ثار
مطلته النصل مني سن لم تطل ب فخطاها قصار
وقال أيضاً في رثائه قصيدته^(١) :

رب حشف بين أفناء الأمل وحياة المرء ظل يستقل
وهي رائحة بليغة . وكان ابن الرومي منحرفاً عن المعتز، وله فيه قصيدة يقول فيها :

دع الخلافة يا معتز عن كتب فليس يكسوك منها الله ما سلبا
وقد أكثر فيها من الهجاء، ويبدو منها أنه نظمها في المهدي أثر توليته الخلافة بعد خلع المعتز نفسه وقبل أن يقتل .

وكان المعتز أحسن أهل زمانه، وكان أبيض شديد البياض ربعة، وكان شاعراً^(٢) أديباً، وله نثر أدب منه رسالة تمزية كتبها وهو ولي عهد^(٣)، وله الحنان وقصص حول مجالس الراح التي كان يقيمها^(٤)، وكان نبيل النفس كريم الخلق وتروى له في ذلك أخبار^(٥) .

ووزر له جعفر بن محمود ثم عيسى بن فرخانشاه ثم أحمد بن إسرائيل، وكان حاجبه ساء بن صالح بن وصيف، وكان البحري شاعره الأثير لديه، وله فيه ٢٤ قصيدة تجدها في ديوانه؛ وكان أبو معشر الفلكي م ٢٧٢ هـ رئيس المنجمين في دار الخلافة في عهده^(٦) .

وكل الأتراك بقييعة أم المعتز - بعد خلعه - نساء يحفظنها، ولكنها تحكمت من الحرب ومعها أخت المعتز وقرب دابته، بعد أن أخرجت ما في خزائنها من أموال وأودعته مع ما كانت أودعته من قبل من مال، وذلك في آخر رجب . بحث الأتراك عنها فلم يعثروا لها على أثر، وظلت محتبته حتى ظهرت في رمضان، فصودرت جميع أموالها التي كانت لها بسامرا وبغداد، وكانت لها ثروة عظيمة^(٧) تشبه أخبارها الأساطير لغرايتها، ونفيت إلى مكة، وكانت تدعو على صالح بن

(١) راجعها في ديوانه المخطوط وهي طويلة جداً .

(٢) راجع : ٤٤٦ مجمع الشعراء ج ٣ ج ٤ المقدم، ١٣٦ المجلد، ٤٩ الكشكول .

(٣) ورقة ١٧٩ ج ١٣ اختيار المنظوم والمنثور مخطوط بدار الكتب .

(٤) ١٧٨ و ١٧٩ و ١٨٤ - ١٨٦ / ٥ الأغاني .

(٥) راجع ٤ / ٢٢ المقدم . (٦) ١ / ٧٩ الفرج بعد الشدة . (٧) راجع الطبري، ٢ / ١٣٤ التمدن .

وصيف دعاء مريراً وتقول: «اللهم أخزه كما هتك ستري وقتل ولدى ويدد شمل وأخذ مالى وغربنى عن بلدى»^(١)؛ واستجاب الله دعاءها فقتل صالح سنة ٢٥٦ هـ، والظاهر أنه عفى عنها بعد ذلك ومات سنة ٢٦٤ هـ. وهكذا لقي المعتز وأسرته من سوء المصير ما لم يلاقه أحد من قبل؛ وبعد فهذه صورة واضحة لحياة المعتز التي كان لها أبعد الأثر في حياة الشاعر، مما سنتناوله بالتحليل إن شاء الله.

والدة ابن المعتز:

أما أم ابن المعتز فلا نعلم عنها شيئاً، إلا أنها جارية^(٢) لأمه قبيصة فأحبها المعتز حتى نحل جسمه وحمل فعلم أستاذة الزبير بن بكار يأسره فأخبر قبيصة بالقصة فوهبتها له فولدت له ابنه عبدالله^(٣)؛ وفي الزهر رواية جاء فيها أن «قبيصة أم ابن المعتز»، وذلك تحريف وصحة العبارة «أم المعتز» وذلك هو نفس ما يرويه ياقوت^(٤).

وإذا كانت «قبيصة» والدة المعتز جارية رومية. فليس بعيد أن تكون أكثر جواربها روميات، فتكون أم ابن المعتز رومية أيضاً، وكثير من الخلفاء العباسيين كانت أمهاتهم جوارى روميات كالمتنصر والمعتز والمعتد والمعتضد^(٥)، وكان الجوارى يملأن قصور الخلفاء، فأم المتنصور «سلامة» جارية بربرية، وأم الرشيد «الخيزران» سبية من خرسنة فهي من عنصر رومي أيضاً، والمعتصم والمتوكل والمقتدر كانت أمهاتهم جوارى تركيات وأم الواثق «قراطيس» جارية أيضاً،

وهكذا كان خلفاء بني العباس أكثرهم أمهاتهم من الجوارى، وقديماً أنجب الجوارى كثيراً من الرجال مما رغب الناس فيهم^(٦)، ولكن بنى أمية اعتزوا

(١) ١١/١٦٤ الطبرى.

(٢) ٢٧٩ المجلد الأول من دائرة المعارف الإسلامية..

(٣) برانج ٣/٩٩ الآمال.

(٤) ١/١٣٣ معجم الأديباء.

(٥) ٢/٢٦٧ زهر.

(٦) راجع ٤/١١٩ العقد.

(٧) كما ورد في بعض المصادر واسم أمه مرار.

يعريبتهم، وكانوا لا يستخلفون بني الأمام^(١) ولا يبايعون لهم^(٢)، وتلاشى ذلك في عهد بني العباس.

وبعد فوالدة ابن المعتز جارية رومية ووالده عربي عباسي هاشمي قرشي وذلك ولا شك كان له أكبر الأثر في حياة الشاعر وعقليته وفهمه للحياة.

(١) ٤/١٨٠ المقد.

(٢) ٤/١٨١ المقد.

الفصل الثاني

طفولة الشاعر ونشأته

(١)

طفولة أبي العباس عبدالله بن المعتز كانت طفولة عظيمة بكل ما تدل عليه كلمة العظمة من معان، ولكنها مع ذلك لم تخل من مأس وآلام لا تكاد نجد لها مثيلاً في حياة الخاصة من الناس؛ كأنما كان ميلاده في خريف العام الذي ولد فيه بشيراً يحفظ الشاعر في الحياة وشقائه فيها.

ولد عبدالله بن المعتز في سامرا في أواخر شعبان عام ٢٤٨ هـ، وجده جعفر المتوكل عاشر الخلفاء العباسيين على عرش الخلافة، ولكن عرشه كان على فوهة بركان، وكانت تعصف به أعاصير المؤامرات التي يدبرها الأتراك له. وبعد أربعين ليلة من ميلاده أثمر المؤتمرون بالخليفة وقتلوه وهو بين أصدقائه في الجعفرى قصره العظيم.

وبعد قليل وفي صفر ٢٤٨ هـ خلع والده المعتز من ولاية العهد في عهد المنتصر، ثم حبسه المستعين في سامرا في حجرة صغيرة بالجوسق ووكّل به غلاماً يخدمه^(١) وابتاع منه جميع ما يملكه، وقضى المعتز في حبسه سنوات ثلاثاً كانت آلاماً ومهوماً في حياته المترفة المشرقة بالأمل والتعيم، كما كانت حزناً وشقاء لطفله الصغير الذي حرّمته الأحداث من والده وعطفه.

ولكن الأيام عادت تبسم للمعتز ولابنه الصغير، فالتحت الأعاصير تهدأ، ولم يكد يتنصف محرم عام ٢٥١ هـ حتى أطلق سراح المعتز ويبيع له بالخلافة في سامرا، وبعد عام آخر قضى المعتز على المستعين وأنصاره ويوسع له في بغداد بالخلافة وعمر ابنه في الخامسة من سنّ حياته الحافلة.

ابتدأ عهد جديد في حياة الأمير الطفل، وازدهرت في نفسه الآمال المنشودة

(١) ١١/٨٤ طبرى.

في مستقبل حياته. وليس لدينا مصادر تاريخية عن حياة الأمير الشاعر في طفولته، ولكن هناك مصدراً أدبياً خطيراً يرشدنا إلى الكثير عن طفولة ابن المعتز وحياته الأولى؛ لقد كان البحترى شاعر المعتز، وكان يعيش قريباً من بلاطه، وكان يسمر معه في مجالسه الخاصة، وينشد رواثع مدائح في مجالسه العامة، فلا بد أن يكون شعر البحترى صورة واضحة لحياة المعتز وطفولته ابنه الأمير.

لنتذكر المصادر التاريخية كلها أن المعتز عهد إلى ابنه عبدالله بولاية العهد ويتفرد بذكر ذلك البحترى في قصيدة^(١) له مدح بها المعتز بالله، ويقول فيها:

رأينا بني الأجداد في كل موطن فكأنوا (لعبدالله) في الجود أعياداً
عليه من المعتز بالله بهجة أضاعت فلو يسرى بها الركب لاهتدى
سررنا بأن أمرته ونصيبته لنا علماً يسأوى إلى ظله الهدي
وأهجننا ضرب الدنانير باسمه وتقليده من أمرنا ما تقلدا
ولم لا يسرى ثانيك في السلطة التي خصصت بها ثانيك في الجود والندي
حقيق بأن يرمو به الجانب الذي يهيم وأن يقضى إليه ويعهدا

ولعل ذلك كان حين «خلع المعتز أخاه المؤيد من ولاية العهد في ٧ رجب عام ٢٥٢ هـ وجعل مكانه شقيقه اسماعيل بن المتوكل»^(٢)، فالظاهر أنه لم يجعل اسماعيل وحده ولياً للعهد كما يذكر المسعودي، بل أقام معه ابنه عبدالله في ولاية عهد المسلمين؛ ويؤيد ذلك أن البحترى يشيد بها معاً في قصيدة من قصائده في مدح المعتز بالله^(٣) فيقول فيها:

ولم تر مثلاً (اسماعيل) عيسى (وعبدالله) ذي الشيم الكرام
وفي قصيدة أخرى مدح بها البحترى المعتز^(٤)؛ يشيد بابنه عبدالله فيقول:

ومليت (عبدالله) أن سباحه هو القطر في إسباله وأخو القطر
إذا ما بعثنا الشعر فيه تزايدت له مكرمات مريبات على الشعر

(١) ١٧٤ و ١/١٥ ديوان البحترى.

(٢) ٤/١١٩ مسعودي.

(٣) ٢٦٢ و ٢/٢٦٣ ديوان البحترى.

(٤) ٣٨ - ٢/٤٠ ديوان البحترى.

وكذلك يشيد به في قصيدة أخرى في مدح (١) المعتز ، فيقول :
ورأيت (عبد الله) في السن التي تعدو الكبير بدهره المطاول
قصر تومله المسوالى التي يقضى بها المأمول حق الآمل
حدث يوقره الحجا فكأنه أخذ الوقار من المشيب الشامل
وكذلك يشيد به في قصائد أخرى مدح بها المعتز (٢). وقال البحرى لابن المعتز
ولم تنشر في ديوان البحرى :

أيا العباس أبررت على قومك آداباً وأخلاقاً وتبريراً
فلو صور من شيء سوى الناس إذا كنت من العقيان أبريراً
ولم يملك إلا كرم النفس بلى فازدحت بالمعز تعميراً
فأنت الفيت إذ يسجم والليت إذ يقدم والصارم مهزوزاً
فأما حلبة الشعر فقتول على السبق بها فرساً وتجييراً
بأحكام مبانيسه وإبداع معانيه ولا يوجد مغموزاً
فإن جنست لم تستكبره القول وإن طابقت طرزت تطرياً
مدى من رame غورك أنضاه وأبدى منه تقصيراً وتعجيراً
إذا مادافسوا فضلك بأنظم تجوزنا عليهم لك تجويراً
وهكذا قضى ابن المعتز عهداً قصيراً حافلاً بأسباب المظنة والمجد والأمن
والنعمة في ظلال والده الخليفة بسامرا ، ولكن العهد لم يطل ، والأيام لم تصف ،
وكأنها كانت تسر وجه الشقاء المنجم وعهده الطويل بمسول الأمانى التي يبعثها
الرجاء في ذلك العهد القصير .

بعد قليل وفي أواخر رجب ٢٥٦ هـ ، والأمير الناشئ في الثامنة من عمره
خلع والده من الخلافة ثم قتل بعد أيام وأحداث جسام يشيب لها الطفل
ويفرغ لقسوتها الحليم ، شردت أسرته وصودرت أموالها ، وأحاط بها القزع
والخوف من كل جانب . فكان لذلك أبلغ الأثر في حياة الشاعر ونفسه ، وكما
يقول ابن المعتز بعد حين :

(١) ١٦٦ : ٢ المرجع .

(٢) راجع ٨٢ : ٢ و ٩٠ — ٩٢ : ١ المرجع .

وكانت يد الأيام تقتل مرثى فصارت يد الأيام تنفضني نقضا

(٢)

فقد ابن المعتز والده الخنون ، ففقد بفقدته كل شيء في الحياة ، وودعت
بوداعه أيامه الجيلة ، كما يقول ابن المعتز بعد في قومه الراحين :

مضوا بخير عمرى وتركوا لي الشرا
عاشوا بخير عصر سقى لذلك عصرا

وأوصدت الدنيا أمامه أبواب آماله الواسعة :

لوت يدى أملى عن كل مطلب وأغلقت بابها من دون حاجتي
ولكن أى شيء يستطيع أن يفعله هذا الطفل الصغير ؟ للأخذ بثأر أبيه ؟

مطلته التصل متى سن لم تطل في نغس طاها قصار

لا شيء إلا الصبر الطويل :

خليلي إن الدهر ما تزيانه فصبرا وإلا أى شيء سوى الصبر

لا ندري أفر ابن المعتز مع جدته قبيحة حين قتل والده أم بقي في قصره ؟
ولا ندري أخذته معها إلى مكة أم لا ؟ ولكن الأرجح أنه كان في قصر والده
حين قتل ، وأنه لم يكن في قصر جدته حين هروبها ، وأنه أقام في سامرا رهن
الأحداث التي كان يرقمها صباح مساء .

وأخذ يعيش على ما بقي من أموال والده ، أو على ما فرض له من رزق
في بيت المال .

وأخذ يتلقى العلم والأدب على أئمة العربية وشيوخها ، وأخذ يقرأ ويدرس
ويتعلم وبدأت تفيض في صدره روح الشاعرية الملهمة ، وتفتح ملكاته عن ذهن
خصب وعقلية ناضجة وذكاء بميد .

(٣)

أساتذة ابن المعتز

١ - في حياة والده أحيط ابن المعتز بالعناية ، فما أن بلغ سن التأديب حتى

اختار له والده الخليفة المعتز أبا جعفر محمد بن عمران بن زياد الضبي النحوي الكوفي
اليثوبية (١) ، وكان نحوياً عارفاً بالقراءة والعربية بعيد النظر ، روى أنه أقرأ ابن
المعتز يوماً سورة « والنازعات » ، وقال له : إذا سألك أمير المؤمنين في أي سورة
أنت ؟ فقل له : في السورة التي تلي عبس ، فسأله أبوه ، فقال له ذلك ، فقال
المعتز : من عليك هذا ؟ قال : مؤدبي أبو جعفر فأمر له بمشرة آلاف درهم (٢) .

٢ - وبعد عهد والده وهو في الثالثة عشرة من عمره ، أي عام ٢٩٠ هـ ، كان
يؤديه أبو الحسن أحمد بن سعيد بن عبد الله الدمشقي ، وكانت تقوم بأمره جدته
قبيصة ، وكان ينظم الشعر ، تعرف ذلك من القصة التالية ، روى أن أحمد بن سعيد
كان (٣) يؤدب ابن المعتز ، فتحمل البلاذري م ٢٧٩ هـ على قبيصة أم المعتز يقوم
سألوها أن تأذن له أن يدخل إلى ابن المعتز وقتاً من النهار ، فأجابت أوكدت تحبيب ،
قال ابن سعيد : فلما اتصل في الخبر جلست في منزلي غضبان لما بلغني عنها فكاتب
إلى ابن المعتز وله ثلاث عشر سنة :

أصبحت يا ابن سعيد خدن مكرمة عنها يقصر من يحق ويتدل
سربلتي حكة قد هذبت شيمي وأجبت نار ذهني فبسي تشعل
إلى آخر هذه القصيدة الطويلة .

وهذه القصة تشير إلى أن ابن سعيد كان استاذ ابن المعتز في علوم الدين والأدب ،
وكثير من المصادر تشير إلى تلمذة ابن المعتز عليه (٤) ، وكان ابن سعيد أديباً
متفلسفاً (٥) أدب ابن المعتز وروى عنه آداب (٦) ، وكان يؤدب ولداً للمعتز واختص
بابين للمعتز ، ولابن المعتز فيه شعر وله إليه مراسلات (٧) ، وكان ابن سعيد
لا يفارقة (٨) ومات في رجب ٣٠٦ هـ ببغداد (٩) ، ولعل محمد بن سعيد الدمشقي
الشاعر (١٠) أخوه .

- (١) ١٣٢ : ٣ تاريخ بغداد (٢) ٥٢ : ٧ معجم الأديباء .
(٣) ٢٦٧ : ٢ زهر ، ١٣٣ : ١ معجم الأديباء ، ٢٨ رسائل ابن المعتز .
(٤) ٢٤١ : ١ قوات ، ٩٥ : ١٠ تاريخ بغداد ، ١٤٦ : ١ معاهد التنصيص ، ١٣٣ : ١
معجم الأديباء . (٥) هامش ٢٧٠ الوسيط (٦) ٣٠١ نزعة الالبا .
(٧) راجع ١٣٣ : ١ وما بعدها معجم الأديباء .
(٨) ١٠٧ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء .
(٩) ١٧١ و ١٧٢ : ٤ تاريخ بغداد (١٠) راجع ٤٥٤ معجم الشعراء .

أما البلاذري فلا تعرف أنه كان أستاذا لابن المعتز إلا من القصة المأخوذة وتذكر بعض المصادر أن المعتز عهد إليه بتعليم ولده ابن المعتز (١).

ومن أساتذته أيضا أبو علي الحسن بن علي العنزي (٢) وهو من رواة اللغة والأدب في القرن الثالث (٣) وهو أحد رواة الألفاني ، وكان صاحب أدب وأخبار ومات في أول صفر عام ٣٩٠ هـ بسر من رأى (٤) ، ويروى عنه ابن المعتز كثيرا (٥).

ومن أساتذته أيضا ضموذا صاحب الفراء وأخذ عنه اللغة والغريب (٦) وهو أبو سعيد محمد بن هيرة الأسدي النحوي من أعيان أهل الكوفة وعلمائها عارف بالنحو واللغة وفنون الأدب قدم بغداد واختص بابن المعتز وعمل له رسالة فيها أنكرته العرب على القاسم بن سلام ووافقه فيه ؛ وأدب أولاد بن زداد وزير المأمون ، وله كتاب فيها يستعمله السكاك وغير ذلك (٧) وهو من أهل سر من رأى (٨) ، وابن المعتز يروي عنه آراء في نقد امرئ القيس وزهير وتوفي (٩) في أواخر القرن الثالث .

ومن أساتذته أيضا المبرد (٢١٠ - ٢٨٥ هـ) (١٠) تلمذ عليه ابن المعتز في الأدب والعربية (١١) ، وكان المبرد يحبته كثيرا ويقم عنده إذا خرج من عند

- (١) ١٩١ و ١٩٢ : زبدات .
- (٢) ١٠٧ الأوراق ، ٩٥ : ١٠ تاريخ بغداد ، ٩٤ : ٦ معجم الأدباء .
- (٣) راجع ١٤٩ و ١٥٧ : ٣ الألفاني (٤) ٣٩٨ و ٣٩٩ : ٧ تاريخ بغداد .
- (٥) تجد ذلك في كثير من المواضع في الألفاني ، وراجع ٦١ البديع .
- (٦) ١٠٧ الأوراق قسم أخبار أولاد الخفاء .
- (٧) ١٣٣ : ٧ معجم الأدباء ، ١١٠ فهرست .
- (٨) ٣٧٠ و ٣٧١ : ٣ تاريخ بغداد .
- (٩) راجع ٣٥ و ٤٧ وما بعده من الموشح .
- (١٠) راجع ٢١٦ : ٤ السعدي ، ٨٧ و ٨٨ فهرست ، ٤٤٩ معجم الشعراء ، ١٣٧ — ١٤٤ : ٧ معجم الأدباء ، ٢٧٩ — ٢٩٣ نزعة الألباء للأنباري ، ٩٦ — ١٠٧ أخبار النحويين البصريين للبرقي ، ٣٠٤ — ٣٠٨ : ٢ وفيات .
- (١١) ١٠٧ الأوراق ، ٣٠١ نزعة الألباء ، ٢٤١ : ١ فوات ، ١٩٥ : ١٠ تاريخ بغداد ، ٤٦١ : ١ وفيات ، ٢٢٢ : ٢ شذرات ، ١١٦ : ١ معاهد التصريح .

القاضي أساعيل بن إسحاق (١) أقرب داره من دار ابن المعتز (٢) ، وكان للبرد مجلس في مسجده (٣) ، وروى ابن المعتز قصيدة لأبي نواس ويقول : أنشدني المبرد هذه القصيدة وقرأها لي (٤) ، وكانت بينهما مناقشات كثيرة في الأدب والشعر والنقد (٥) .

ومن أسانئذه في الأدب والعربية أيضا أبو العباس ثعلب (٦) ، (٢٠٠ - ٢٩١ هـ) ، وهو إمام الكوفيين في النحو واللغة ، وكان ثقة مشهورا بالمعرفة بالعربية ورواية الشعر القديم ، وله شعر وكتب كثيرة (٧) منها كتاب قواعد الشعر ، وتوفي عام ٢٩١ هـ عن ثروة كبيرة . وكان مقدما عند العلماء إماما في صناعته (٨) ، وكان ابن المعتز قد لقي أبا العباس مرات في المسجد الجامع ، وكان يبعث إليه فيسأله عن الشيء بعد الشيء (٩) وكان ثعلب يتشوقه ويعتذر من تأخره عنه بكتبه (١٠) وكان ابن المعتز يحب لقاءه (١١) وكتب إليه وهو معتقل قصيدة يصف شوقه إليه ومنها :

إننا على البعاد والفرق نلتقي بالذكر إن لم نلتقي (١٢)
وكان ابن المعتز يسعى إليه وثعلب يحتج به كثيرا (١٣) ، وتصور لنا دراسته

- (١) فيه مالمكي غاص نوى بغداد ٢٨٢ هـ (٢٨٤ : تاريخ بغداد ، ١ : ١٧١ ، ٢ : شذرات) ، وكان من ظراء المبرد في النحو ومكث في قضاء بغداد نيفا وخمسين سنة (٢٢٤ : ١ : ظهر) .
- (٢) ١٠٧ الأوراق ، ٩٥ : ١٠ : تاريخ بغداد (٣) ص ٢ مقدمة ديوان البحري .
- (٣) راجع ٨٨ - ٩٠ طبقات ابن المعتز .
- (٤) راجع ٩٦ و ١٨٤٩٧ و ٢٠٢ أخبار أبي تمام ، ورسائل ابن المعتز .
- (٥) ٣٠١ نزعة الألبس ، ٢٤٩ : ١ : فوات ، ٩٥ : ١٠ : تاريخ بغداد ، ١ : ٤٦١ وفيات ، ٢٢٢ : ٢ : شذرات ، ١٤٦ : ١ : معاهد التنصيص .
- (٦) ١٣٣ - ١٥٤ : ٢ : معجم الأدباء ، ٢٩٣ - ٢٩٩ نزعة الألبس ، ١١ فهرست ، ١٠٥٣ - ١ : وفيات .
- (٨) ٣١٦ : ٤ : وما بعدها مسعودي (٩) ١٠٧ الأوراق .
- (١٠) ٩٥ : ١٠ : تاريخ بغداد (١١) ١١٤ الأوراق .
- (١٢) راجع ٢١٧ : ١ : زهر ، وفي تاريخ بغداد (٩٥ : ١٠) أنه كتبها إليه حين منع الركوب إلى المسجد وغيره ، وفي الأوراق (١١٤) أنه كتبها إليه برفقه شوقه إليه وبغف مقداره في العلم ويهتفر من ترك إتيانه لأن الركوب ليس بساخن له .
- (١٣) راجع ١١٦ الأوراق أشعار أولاد الخلفاء ، ١٧٢ أدب السكتاب .

على أستاذة تملب هذه الرواية الأدبية (١) ، التي رواها القائل عن أبي بكر الانباري .
وهي : أنشدنا تملب في المسجد الجامع يقرؤه على ابن المعتز :

« سقى دمتين ليس لي بهما عهد الخ »

وتملب كان أيضا أستاذ قدامة والصولي وسواهما من العلماء .

وفوق ذلك كله أخذ ابن المعتز اللغة والغريب عن الأعراب الفصحاء (٢) .
وكانوا يقدمون سر من رأى وسمع عن أحمد بن قنن (٣) ، وكانت داره مغانا
لأهل العلم والأدب وكان يقدم أهل العلم ويؤثرهم ، نشأ في الرواية والسجع ،
فكان كثير السجع غريب الرواية (٤) مخالفا للعلماء والأدباء (٥) . وهكذا
انصرف ابن المعتز منذ حداثة إلى الدراسات الأدبية وأكب على دراسة الأدب
واللغة في حماس بالغ ونجاح باهر (٦) .

(٤)

بده نظمه للشعر :

ولعل القطعة التي كتبها ابن المعتز إلى أستاذة ابن سعيد الدمشقي عام ٣٦٠ هـ
والتي سبق الإشارة إليها هي أول إنتاج ابن المعتز في الشعر ، وهي بمسحتها التقليدية
وأسلوبها المشكك صورة لغن ابن المعتز أول نظمه للشعر .

واستمر الشاعر ينظم الشعر في إجازة ونبوخ ، روى أنه جاء إلى أبي عيسى بن
المتوكل (٧) للسلام وسنه دون العشرين عاما فدخل على بن محمد الفاضل يشكو
صهره له فأجابه أبو عيسى إلى ما أراد ثم قال : ألا ترون إل مثل هذا الرجل الفاضل
التيه يدفع إلى مثل هذا ؟ طوي لمن لم تكن له بنت ، فقال عبد الله بن المعتز :
أيها الأمير إن لولدك — يعني ابن المعتز نفسه — في هذا المعنى شيئا

(١) راجع ١٠٤ : ١ : الأمل (٢) ١٦٨ فهرست ، ١٠٧ الأوراق .

(٣) ١٠٧ الأوراق (٤) ١٦٩ فهرست .

(٥) ٨٣ : ١ : السيرة .

(٦) ٢٧٩ المجلد الأول من دائرة المعارف الإسلامية .

(٧) من أفضل أولاد المتوكل وله شعر قليل أكثره في الزهر (١٠٤ الأوراق) وعاش
لل عصر المعتضد (١٠٦ الأوراق) ولدولية والشهود ومخارق مجلس غناء ساحر في طر .
(٧٧ حلية السكيت و ١٣٣ وما بعدها المستطرف ، ١١٣ — ١١٩ : ٤ : العقد) .

قاله واستحسنه جماعة من يعلون ويقولون الشعر ، فقال : هاته فذاك عمك ،
فأثبده لنفسه :

وبكر قلت موفى قبل بعمل وإن أثرى وعدا من الصميم
أأمزج باللائم دى ولعى فاعذرى إلى النسب الكريم؟
فقال له عمه : أمتع الله أهلك ببقائك وأحسن إليهم في زيادة إحسانه إليك
وجعلهم بكال سنك(١) .

فهو — وهو دون العشرين عاما — كان شاعر مجيداً يقول مثل هذا الشعر
الجيد الجميل .

وهكذا أخذ يتدوج الشاعر في نظم الشعر ويسير فيه بخطى كبيرة نحو التفوق
والطبع والعبقرية مما تجلى بعد في فنه في الشعر ، ومجده فيه .

الفصل الثالث

ابن المعتز في عهد الشباب

(١)

ودع ابن المعتز عهد طفولته في سن مبكرة ، وأخذ يتمتع في ربيع الشباب ، تطيف به الذكريات الحافلة ، ويعنى ظلام حياته نور الأمل البسام .
كان يعيش مع جدته قبيحة التي كانت تشرف على تربيته واختيار الأساندة له ، كما رأينا في قصتها مع البلاذري وابن سعيد ، ثم توفيت قبيحة عام ٢٩٤ هـ فققد كثيرا من سعادة الحياة ، وواصل سيره إلى الأمام بخطوات كبيرة في سبيل آما له العذاب وأحلامه الواسعة ، ولا ندري عن أمه شيئا ، ولعله كان يتمتع بما بقى له من حنانها وعطفها ، كما نعلم على أى مصدر من مصادر الحياة كان يعيش ابن المعتز : ولعله كان يعتمد على البقية الباقية من أموال والده وجدته ، وعلى ما كان يأخذه من بيت المال من مرتب ، وعلى مساعدات أعمامه له ، وكان يجد منهم كل عطف وتقدير ، كما نرى بذلك قصته مع عمه أبي عيسى ، وكان له قهرمان ووكيل وموال (١) ، ولكنه مع ذلك لم يكن يعيش في بسطة من المال . أليس هو الذى يقول :

يا قوم إلى مرزا وكل حرر مرزا
خرج كثير ودخل نزر فلم لا أعزى
فالخرج لا يتناهى والدخل لا ينجزا
ودخل الصولى عليه وقد هدمت داره التي على المطيرة بسامرا من أثر السيل
وهو ينيها ، فأشفق عليه من الغرم مع قلة الدخل فقال ابن المعتز :
تسود وجهي بديفنها ونحرب مالى بعمرانها (٢)

(١) ٧١ خاس الحاس ، ٢٦١ : ٢ زهر .

(٢) راجع ١١٦ الأوراق قسم أشعار أولاد الحقاء ، ونسب هذه القصة إلى عبد الله ابن موسى الكاتب مع ابن المعتز (١٤٤ : ٩ الأغانى) .

وكانت إقامته في سامرا ثم أخذ يتردد على بغداد وبجانبها العامة وحلقات أقطاب العلم والأدب فيها ، وكانت داره في سامرا بالمطيرة ، وهي قرية من نواحي سامرا ، (١) وكانت من منتزهات سامرا وبغداد وبقيت في خلافة المأمون (٢) . ويذكر ابن الأثير سامرا والمطيرة في شعره كثيرا وهكذا كان يعيش ابن المعتز في عهد الشباب الذي ابتدأ في حياته من نحو عام ٢٦٠ هـ وهو في الثالثة عشرة من عمره وانتهى نحو عام ٢٧٩ هـ وهو في الثانية والثلاثين .

(٢)

وفي هذا العهد واصل الشاعر دراسته ف لازم كبار العلماء والشعراء وأعلام الأدب في سامرا وبغداد :
شغل إذا ما كان للناس شغل دفتر فقه أو حديث أو غزل
وأخذ يجاهد في سبيل حياته وأحلامه :
وأسهر للجد والمكرمات إذا اكتنحت أعين بالكرى
وقد بدأ تعليمه في داره وبعد أن كبر كان يتردد على مجالس العلماء وكبار الشيوخ في بغداد ومسجدها الجامع .
وفي هذه الفترة فضجت شاعريته وظهرت مواهبه الأدبية واحتل مكانه في الأدب ودولة القريض ، وأخرج كتابه « الفصول القصار » الذي ألفه قبل عام ٢٧٤ (٣) ، وهو العام الذي ألف فيه كتابه الذائع الشهرة « البديع » (٤) .

(٣)

وفي هذا العهد توفيت جدته قبيصة عام ٢٦٤ هـ ، وتزوج ابن المعتز ، ولا ندرى من تزوجها ولا من الذي صاهره ، ولكن ابن المعتز يقول في شعره :
وتقبت عرسي بالطلاق مصمما وكانت حصة بين رجلى وإخصى

(١) ٤٦٤ : ١ وفيات .

(٢) هامش ٩٧ : ٣ الأمل .

(٣) يثير ابن الأثير في كتاب البديع « إلى الفصول القصار » (راجع ص ٩٠ من البديع)

(٤) راجع ١٠٦ البديع .

فأبته عدائى وفات الذى مضى وهتيت عيشا بعد عيش متفص
ويقول :

دست بنية بسطام عقاربها نحوى ونامت على الأضغان والحق
حتى كأتى قد فزعت والدعا في المهد فانقلب عينا من فرق
فهو طلق زوجته لأنه لم يستطع أن يعيش معها في وثام كما يقول في البيت
الأولين ، وزوجته كريمة بسطام الذى يذكره في البيت الآخرين وفى بيته :
وهبت سلاى ماحيت لجلس على قصر بسطام أمير المجالس
فن هو بسطام الذى صاهره ابن المعتز ؟

في ديوان البحرى قصائد كثيرة في مدح أبي العباس بن بسطام (١) ، وفى
تاريخ الوزراء (٢) ذكر لأحمد بن محمد البساطى . وكان أبو العباس أحمد بن بسطام
بلى أعمالا في عهد الموفق وكان مقرباً إليه (٣) ، وتولى أعمالا كبيرة بمصر (٤) ،
واعتقل القاسم بن عبيد الله أبا العباس أحمد بن محمد بسطام ثم أطلقه العباس
ابن الحسن لما ولى الوزارة ثم قلده مصر وأعمالها (٥) . وابنه أبو محمد بن أحمد
ابن بسطام من الشخصيات الكبيرة في عهد الراضى (٦١٢ - ٦٢٩ هـ) ، فعمل
أبا العباس أحمد بن محمد بن بسطام هذا هو صهر ابن المعتز ، تزوج بنته ثم اختلعا
ولم تطلب حياتهما في ظلال الزوجية فطلقها ، وعلى أى حال فأسرة بسطام من
الأسر الكبيرة في القرن الثالث الهجرى ، ونجد ذكرا لبعض شخصياتها في الطبرى
في تاريخ عام ٢٥٥ هـ

وكان ابن المعتز يكنى بأبي العباس باسم أول ولده ، ولعل ابنه هذا كان من
زوجته ابنة بسطام ، وليس لدينا شئ عن العباس ابنه ولا متى ولد وكيف عاش ،
ومن الثابت أنه ولد له قبل عام ٢٧٤ هـ الذى ألف فيه كتابه البديع والذى يلقب
ابن المعتز نفسه فيه بأبي العباس (٦) ، ولابن المعتز ابن آخر وهو عبد الواحد (٧)

(١) ٣٢ و ٧٨ : ١ و ٤ و ٢٧ و ٢٩ و ٧٩ و ٢٧٩ : ٢ ديوان البحرى .

(٢) ص ٢٢٤ . (٣) ٥٣ — ٥٥ من السكافة لأحمد بن يوسف .

(٤) ٢٠٢ المرجع نفسه .

(٥) ١١٨ : ١ الفرج بعد القدة . (٦) ٦٦ البديع .

(٧) ١٠٥ غنى الخاس .

ولا تدري هل كان من زوجته ابنة بسطام أم من زوجة أخرى تزوجها بعد طلاق
أولى زوجاته ، ولابن المعتز بنت توفيت في حياته ، وراثتها في شعره قال :

أيا شعبة النفس التي ليس غيرها سقطت فقد أفردت عودي لسكاسر
الخ . وقال في رثائها أيضا :

سقى لوجه جيبية أودعتها كدفنا ورمسا
ثم انطلقنا مسرعين إلى القبور نرف شمسا

ومع ذلك فابن المعتز بعد قتله لم يبق له خلف بقرطه ولا عقب يدفع عنه ، (١)
ومن الغريب أن يذهب ابن حزم في كتابه « جهرة الأنساب » إلى أن ابن المعتز
كان حصورا لم يقرب امرأة قط ، ولم يكن له قط ولد (٢) .

(٤)

وفي عهد الشباب عكف ابن المعتز على حياة اللهو والترف ، يخفف بهما
آلامه ، ويؤكد بهذه الحياة اللاهية لرجال السياسة أنه بعيد عن السياسة
ومؤمراتها ومطامعها البعيدة ، كما كان يفعل إبراهيم بن المهدي من قبل حين
إذ تنهك بالفتاء والشرب خوفا من المأمون وإظهارا له أنه قد خلع ربة الخلافة
من عنقه وهناك ستره فيها حتى صار لا يصلح لها (٣) .

فأمن ابن المعتز في وصف الراح وسماج الفتاء وفي الغزل والمجون ، مما يصوره
لك بوضوح قوله :

وما العيش إلا لمستتر تطل عواذله في شغب

وقوله :

صاح إن أمكنتك لذة عيش فلا تذر
وتقدم ولا تقف فاز بالحب من جسر

(١) ١٤١ : ٩ الأغانى .

(٢) ص ٢٥ جهرة أنساب العرب تحقيق أ . لبي يروفسال — دار المعارف بمصر .

(٣) ٣٣ : ٩ الأغانى .

وقوله :

أحل بدار اللهب حيث لقيتها وأهزل بالذات والدهر في جد

وقوله :

جملت عقلى لشهوتى عبدا وصار غيبي عند الهوى رشدا
ولكنه يحاول أن يظهر في ذلك بمظهر طاهر جميل ، فيقول عن نفسه :
كريم ذنوب إن يصيب بعض لذة يدع بعضها فوق الأحاديث والوزر
ويقول .

ولم آت ما قد حرم الله في الهوى ولم أترك مما عفا الله باقيا
ويقول في موقف لذة من لذاته :

وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخير

وبعد فقد كان ابن المعتز يتذوق الحياة بقلب ظامى إلى لذاتها ومقيد بقيود
الفضيلة فيها ، ولكن كانت تطفى عواطفه أحيانا على عقله فيظهر في صورة
الجاحل الذى لا يمكن أن يرد شيئا عن غايته ؛ ولا شك أنه في ملذاته كان يجيب
داعى الشباب في نفسه ، ويمسح بها عن قلبه آلام الحياة وأشجانها ، ويضع
لأحكام عصره ويسته ، ويغنى بها آماله المتخلفة في أعماق نفسه في الملك والخلافة .
ولكن الشاعر مع هذه الحياة اللاهية لم ينس آلامه وهمومه ودم والده
المطلول ، مما يصوره في شعره أحزانا تثير الألم ، وألحانا تبعث البكاء .

(٥)

ابن المعتز والمعتمد :

أصاب ابن المعتز في عهد المهتدى (٢٥٥ - ٢٥٦ هـ) خطوب وآلام جسام ،
فقد قتل والده وشردت أسرته وصودرت أموالها ، ومن الإنصاف أن نقول إن
ذلك كله كان بأمر الأتراك ولم يكن للمهتدى فيه رأى ، ولكن على أى حال
المستول الأول عن هذا العسف والطفيان الشديد .

ثم خلع المهتدى ورلى بعده الخلافة أحمد المعتمد على الله ابن المتوكل ، عم
الشاعر الذى ظل خليفة أمدا طويلا (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ) ، كان المسيطر فيه على

الدولة أخوه أبو أحمد طلحة الموفق بن المتوكل الذي لقب نفسه الناصر لدين الله^(١) .

والظاهر أن صلة الشاعر بعمة الخليفة كانت متينة فليس في ديوانه شيء عساه أو شعر فيه ، وتذكر بعض المصادر أن ابن المعتز قال في قصائد المعتمد هذه الآيات : -

يا دما سال من ذراع الأمام أنت أركى من عنبر ومدمام
الحج^(٢) ، وتجعلها المصادر الأخرى له في قصائد المعتمد^(٣) .

ابن المعتز والموفق :

كان الموفق هو المسيطر على الخلافة في حكم أخيه المعتمد مدة طويلة (٢٥٧ - ٢٧٨ هـ) . وكان يضع ابن أخيه - عبد الله بن المعتز - موضع الرعاية متناسيا حشع أخيه المعتز معه ومع المؤيد شقيقه ، وكانت حياة ابن المعتز تدعوه إلى أن يوطد صلاته بعمه الموفق ، والباحث في ديوان الشاعر يجد كثيرا من القصائد التي نظمها في عمة الحاكم المطلق في دولة الخلافة ، ومن الجدير بالتنويه أن ديوان الشاعر المطبوع عال من ذكر شيء عن الأشخاص والحوادث التي نظمت فيها قصائده . وقد أخذنا البحث في إرجاع كل قصيدة إلى الظروف التي نظمت فيها ، وبيان الشخصيات التي تشير إليها ، وذلك بالرجوع إلى شتى المصادر ، وبدراسة ديوان الشاعر دراسة تاريخية خاصة .

كان العمل الفذ الذي قام به الموفق هو القضاء على ثورة الزنج التي اشتعلت نارها بالبصرة وما جارها ستين طويلا (٢٥٥ - ٢٧٠ هـ) ، وقد أشاد ابن المعتز بهذا النصر العظيم في قصيدته (٤) :

يا ناصر الإسلام عش واسلم على ريب الزمن

(١) ٢٢٩ : ٣ الفد ، ويذكره ابن المعتز بهذا اللقب الثاني في شعره كثيرا .

(٢) هامش ١١٣ الوساطة .

(٣) ٢٢٤ : ٤ السعدي . وهي في معجم الشعراء (ص ٤٤٥) لـ محمد بن إبراهيم الجرجاني في قصائد الحسن بن زيد العلوي صاحب طبرستان .

(٤) راجع ١٧٥ ديوان ابن المعتز طبع بيروت .

وفي لامية أخرى (١) ، وفي أرجوزته في الخليفة المعتضد .
وتوفي هارون بن الموفق في بغداد عام ٢٧٠ هـ فناء الشاعر وعزى والده
الموفق فيه بقصيدته :
يا ناصر الدين إذ هزت قواعد وأصدق الناس في بؤس وإنعام (٢)
ولما توفي الموفق عام ٢٧٨ هـ رثاه ابن المعتز بقصائد كثيرة بعضها في ديوانه
المطبوع والآخرى في ديوانه المخطوط .
ويقول صاحب زهر الآداب : وكان ابن المعتز يمدح الموفق ويلقبه الناصر ،
وقد ذكر الصولي في قصيدة لصاحبه قال — وقد أقصص خلفاء بني العباس
من أولهم :

ومعتمد من بعدهم وموفق يحدد من أرث الخلافة ما ذهب
ينازلم في كل فضل وسؤدد وان لم يكن في المدمتهم لمن حسب ، (٣)

ابن المعتز وذكريات الشباب :

وفي هذا العهد الجليل ، عهد الشباب الناصر ، عاش ابن المعتز عيشة الرجل
الاجتماعي الذي تربطه بالجمتمع أوثق الصلات ، تمتع بعطف كثير من أعمامه
وأمرته ، وصاحب كثير من الأصدقاء ، ووطد مكانته في الحياة العامة وظهر في
النوادي الأدبية ، وسنحلل في هذه الكلمة صداقته ، ونذكر من تأثر بهم من
الشخصيات والأصدقاء .

(١) أبو محمد محمد بن المتوكل ، عم الشاعر ، وهو ممن أسبقوا عليه الكثير
من العطف والرعاية ، ونظم فيه ابن المعتز كثيرا من اصنافه ، حبسه أخوه الموفق
ببغداد فنظم الشاعر قصيدته :

(١) راجع ١٤٩ ديوانه ، ٢٠٣ : ٣ زهر ، ١٣٠ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء ،
وفي ١٢٦ رسائل ابن المعتز يسن منها .
(٢) تجدها في ديوان الشاعر المخطوط وفي ١٣٢ رسائل ابن المعتز وفي زهر الآداب
(٢٠٠ : ٣) ، ويذكر المصري فيه أنها في تمزية المعتضد بابنه هرون وهو تحريف .
(٣) ٢٠٣ : ٢ زهر الآداب .

فك حر الوجد قيد البكاء فاعذرني أو فوقى بدائي (١)
وهي من أوائل شعره ، ومات عنه أبو محمد فرثاه ابن المعتز بحراث كثيرة
جيدة أكثرها في ديوانه المخطوط ، ويتجلى فيها روح التأثر العميق لفقدته ،
والتذكر الوفي بجيل أبياديه عليه ، وذكره فقده بأهله الراحلين فرثاهم بقصائد
كثيرة منها قصيدته (٢) :

أخني عليك الدهن مقتدرا والدهر آلام قادر ظفرا
(ب) أبو الحسن علي بن يحيى المنجم (٣) (٢٠١ - ٢٧٥ هـ) ، كان شاعرا
راوية علامة إخباريا تادم المتوكل (٤) والمعتز (٥) ، وكانت له خزانة كتب ضخمة
يسمىها خزانة الحكمة ويقصدها الناس فيتلون منها صنوف العلم وله كتاب
الشعراء القدماء والإسلامية (٦) وهو من أسرة فارسية وكان أدبيا شاعرا فاضلا
متفنا في علوم العرب والعجم وراثه ابن المعتز وعبيد الله بن عبد الله طاهر
وجماة من الشعراء (٧) .

وكانت الصلة بينه وبين ابن المعتز وثيقة منذ عهد المعتز والده ، ولابن المعتز
فيه مرات صغيرة تجدها في ديوانه المطبوع ويذكره فيها بلقبه « أبي حسن » (٨)
وأحيانا باسمه « علي » (٩) ، أو « باین يحيى » (١٠) ، وله فيه مراثية طويلة مطلعها :
يا لقوى الأمل المفرور ولجأ لا ينقضي في الصدور (١١)
وذلك يدل على ما كان له في نفس ابن المعتز من حب وتقدير .

-
- (١) راجع القصيدة في ١٢٣ ديوان ابن المعتز طبع بيروت ، ١١٧ الأوراق .
(٢) راجعها في ديوانه المخطوط ، وفي ٣١ : ٤ زهر الآداب ، ١٣٢ رسائل ابن المعتز .
(٣) راجع : ٥٠ - ٥١ : ٢ وفیات ، و ٤٥٩ - ٤٧٧ : ٥ مجسم الأدباء و ٢٠٥
وما بعدها فهرست .
(٤) ٤٥٩ : ٥ مجسم الأدباء .
(٥) ٤٧٥ : ٥ المرجع .
(٦) ٢٠٥ فهرست .
(٧) ٢٨٦ وما بعدها مجسم الشعراء .
(٨) راجع ٣٢٧ ديوان ابن المعتز طبع بيروت .
(٩) راجع ٣٢٨ المرجع .
(١٠) راجع ٣٣٠ المرجع .
(١١) راجعها في ديوانه المخطوط وهي طويلة جدا .

(ج) هارون بن علي بن يحيى المنجم (١) (٢٥١ - ٢٨٩ هـ) وهو أديب قليل الشعر ، وله كتاب البارع وهو اختيار شعر المحدثين ، وكتاب اختيار الشعراء الكبير ولم ينه (٢) ، وهو أول من نسخ من ابن المعتز كتاب «البديع» الذي ألفه عام ٢٧٤ هـ (٣)

(د) يحيى بن علي المنجم (٤) (٢٤١ - ٣٠٠ هـ) نادم الموفق ومن يده من الخلفاء وكان أديبا متكلمًا معتزليا وكان له مجلس يحضره جماعة من المتكلمين بالحضرة وله كتاب الباهر في مخضري الدولتين ابتداء فيه ببشار ونجدة ابنه أحمد (٥) وله رسالة أدبية في تقديم العباس بن الأحنف على العتاق (٦) وكان شاعرا مطبوعا من أشعر أهل زمانه وأكثرهم اختنافا في علوم العرب والعجم (٧) .

وكان يحيى صديق ابن المعتز وفيه وفي صداقة يقول (٨) :

إن يحيى - لا زال يحيا - صديقي وخليل من دون هذا الأنام

زاد ودي له صفاء كما في كل يوم يزداد صفو المدام

وكانت بينهما مداعبات (٩) ولكن صفو هذه الصداقة لم يستمر ، فقد كان يحيى شغويا ، مما تصوره لك قصيدته (١٠) :

يا بني هاجر فتبا (١١) لك ما ههنا الكبرياء والمظنة

ورد عليها ابن المعتز بقصيدة (١٢) طويلة منها :

(١) راجع ترجمته في ١٢٩ : ٣ وما بعدها وفيات .

(٢) ٢٥٦ فهرست .

(٣) ١٠٦ البديع .

(٤) ٢٠٨ - ٢١٠ : ٣ وفيات ، ٣٠٢ نزعة الالباء ، ٢٨٧ : ٧ معجم الأدياء .

(٥) ٢٠٥ و ٢٠٦ فهرست .

(٦) راجعها في ٢٩٣ موشح ، وزهر الآداب .

(٧) ٥٠٢ معجم الشعراء .

(٨) راجع ديوان ابن المعتز المخطوط .

(٩) راجع ٣٢ أخبار الطراف لابن الموزي ، ٩٦ : ١٠ تاريخ بغداد .

(١٠) راجعها في الأوراق قسم أخبار اللندرية مخطوط بمكتبة الأزهر .

(١١) في الأصل : تأيت .

(١٢) ورقة ٣٣ وما بعدها الأوراق قسم اللندرية ، وديوانه المخطوط .

أسمع قولاً ولا أرى أحداً من ذا الشق الذي أباح دمه؟
حاشا لإسحاق أن يكون لكم أباً وإن كنتم بفيه فـه
وهل بنوه إلا لنا خدم كم رق عبد منهم لنا وأمه
خير من إسحاق غاتم الرسل الهادي المجلي بنوره الظلمه
نقم عليه ابن المعتز شموبيته فتهاجيا ، وتخاصما وكان يحيى يرى ابن المعتز
بالتصنيف (١) ، وهجاء ابن المعتز بقصيدته (٢) :
أبعد البين صبر أو هجود أبي ذاك النفسك والشهود
ومنها :

أتسمو للفتار وأنت قـرد وما بالمجد يفتخر القرد
نقرت بفارس سفها وجهلا كأنك من مرازبها تلبد
وكان يحيى يجلس للتكلمين عنده في يوم الثلاثاء فقال فيه ، بالله يا ابن علي
قبض جمعهم الخ ، (٣) وهجاء أشد هجاء (٤) : ولما ولي ابن المعتز الخلافة ذهب
يحيى ليسر عليه فأعرض عنه ابن المعتز فجهاد يحيى بعد أن قبض عليه (٥) .
هـ — عبید الله بن عبد الله بن طاهر (٢٢٣ — ٣٠٠ هـ) . من أسرة فارسية
أول من نبغ منها طاهر بن الحسين (١٥٩ — ٢٠٨ هـ) الذي أبلى في الخلاف
بين الأمين والمأمون أحسن بلاء ، فولاه المأمون خراسان فأنشأ فيها دولة طاهرية
مستقلة (٣٠٥ — ٣٥٩ هـ) ، ومن أبنائه عبد الله بن طاهر م ٣٣٨ هـ الذي خلف
أبيه : محمد وعبید الله .

كان عبید الله سيد أسرته بعد أخيه محمد ، وكان أميراً وشاعراً مترسلاً ، وله
كتاب الإشارة في أخبار الشعراء ورسائله في السياسة المالوكية ، وكتاب مراسلاته مع
ابن المعتز وكتاب البراعة والفصاحة (٦) ، وكان شاعرًا عابداً رقيق الحاشية ولو

(١) ورقة ٣١ الأوراق قسم القندر ، و ٤٥ رسائل ابن المعتز .

(٢) ورقة ٤٠ المرجع السابق ، والقصيدة طويلة جدا .

(٣) ١٨٠ ديوان ابن المعتز مطبع بيروت .

(٤) ٢٠٤ المرجع نفسه . (٥) ورقة ٢٦ الأوراق قسم القندر .

(٦) فهرست .

ديوان شعر كما يقول ابن خلسكان ، وكان له محل من الأدب والتصرف في قنونه ورواية الشعر وقوله والعلم باللغة وأيام الناس وعلوم الأوائل من الفلاسفة ، وأشعاره كثيرة جيدة وكتابه الآداب الرفيعة في النظم وعمل الأغاني مشهور جليل الفائدة (١) ، ولا بن المعتز شعر فيه (٢) وكان بينهما مكانيات بالأشعار (٣) ، وكتب ابن المعتز رسالة طويلة في الغناء وجواز التجديد في مذاهيه وبث بها إلى عبيد الله وإلى ابن حمدون فرد عليه عبيد الله برسالة طويلة كلها إعجاب وثناء (٤) .

و — ومن أصدقاء ابن المعتز القاسم بن أحمد الكوفي الكاتب ، وكان بينه وبين ابن المعتز مكانيات ومراسلات بالأشعار (٥) .

ز — ومن أصدقائه محمد بن إبراهيم بن عتاب (٦) .

ح — وابن حمدون التميمي (٣٣٧ — ٣٥٩ هـ) ، واسمه أبو عبد الله حمد (٧) ابن أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن داود بن حمدون ، كان والده أحمد أستاذ ثعلب ، وخصص بالمتوكل (٨) والظاهر أنه توفي عام ٣٧٥ هـ (٩) ، وهو خال أبو الحسن علي بن بسام الشاعر المشهور ٣٣٠ هـ (١٠) . ولا بن حمدون آداب تروى (١١) ، وله قصص كثيرة مع المعتضد تدل على شدة مكانته عنده ١٢ .

(١) ٤٥ : ٨ الأغاني .

(٢) راجع ٦٧ : ٢ المدة .

(٣) راجع ١٤٥ : ٩ الأغاني .

(٤) راجع ١٤١ : ٩ الأغاني .

(٥) ٣٣٦ معجم الشعراء .

(٦) راجع ٤٥٦ معجم الشعراء .

(٧) ٣٢ الأذكياء ، ٢٠٣ : ٣ الأغاني .

(٨) ٣٦٥ — ٣٧٢ : ١ معجم الأدباء ، ٢٠٧ و ٤١١ فهرست .

(٩) لستج ذلك مما ذكر في ديوان ابن المعتز المخطوطة من أن ابن المعتز رثى أبا العباس ابن حمدون وعلى بن يحيى النخعي بتصيدته :

أنكرت سلسي مشيا علاني ورأيتي غير ما قد ترائي

فالظاهر أن أبا العباس هذا هو ولد حمد وكان يلقب بأبي العباس فلا بد أن يكون تولى مع ابن النخعي عام ٢٨٥ هـ حتى إن ابن المعتز وثاقها مما بهذه القصيدة .

(١٠) راجع ٣١٨ : ٥ معجم الأدباء .

(١١) راجع ٤٥ خاتم الحاس .

(١٢) راجع ٣٢ وما بعدها من كتاب الأذكياء .

(ط) نطاحة أحمد بن اسماعيل بن إبراهيم بن الحُصيب ، وقد سبق ذكره مع الكتاب ، وكان بليغا مترسلا شاعرا ، وبينه وبين ابن المعتز مراسلات وجوابات عجيبة (١) .

(ي) علي بن مهدي الكسروي كان أحد العلماء الشعراء الرواة النحويين وكان أدبيا طريفا رواية شاعرا وتوفي في خلافة المعتز (٢) ، وكان يؤدب ولد هارون بن علي ثم اتصل ببدر المعتزدي (٣) ، وله مكاتبات بالشعر مع ابن المعتز ويحيى بن علي (٤) وتوفي الكسروي نحو عام ٢٨٥ هـ .

ولابن المعتز فيه كثير من الشعر والمدائح (٥) .

(ك) المفضل بن سلمة بن عاصم صاحب العزاء نحوي أديب كان بينه وبين ابن المعتز مكاتبات (٦) ، وكان المفضل من اللغويين في العصر العباسي الثالث على مذهب أهل الكوفة وله كتاب الفاخر في اللغة وكتاب العود والملاهي وتوفي في أواخر القرن الثالث (٧) .

(ل) أحمد بن أبي العلاء بعده أبو الفرج في طبقات المتن (٨) ، وهجاء البحرى (٩) ، وكتب إلى ابن المعتز :

أنا سيف على العدى لك في الحر ب وفي السلم فابذاني وصفي
ونديم إن لم يترك نديم وممن إن لم يترك مفز (١٠)

ولابن المعتز فيه شعر كثير منه قصيدته التونية (١١) :

(١) ٣ ٧ : ١ معجم الأدباء

(٢) راجع ٤٢٧ — ٤٣٢ : ١ معجم الأدباء

(٣) ٢١٤ فهرست

(٤) ٢٩٢ معجم الشعراء

(٥) راجع ٤٢٨ — ٤٣٠ : ١ معجم الأدباء ، وديوان ابن المعتز المخطوط باب الهجاء

(٦) ٣٨٤ معجم الشعراء ، ونظمي في تدير عام وفاته سنة ٢٥٠ هـ

(٧) ١٨٧ : ٢ آداب اللغة لزيدان

(٨) ١٨ : ٤٤ الأغانى .

(٩) ٢٦٣ : ديوان البحرى .

(١٠) ٧٢ فصول التنازل .

(١١) راجعها في ١٤٣ — ١٤٥ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء .

لقد أقفر الدكان من كل لذة وعطل من رجل وقوف وركبان
(م) جملة البرمكي (٢٢٤ - ٢٢٦) هـ ، وابن المعتز هو الذي أقبه هذا
اللقب (١) ، وكان بينهما مكاتبات ومراسلات (٢) .
(ن) أبو الطيب القاسم بن محمد بن عبيد الله الخيري ، كان يتادم ابن المعتز
وكانا يكثران من التكاثر بالأشعار (٣) ، وفي ديوان ابن المعتز شعر فيه
ومداعيات متعددة معه .
(س) أبو الحسين جعفر بن محمد بن نوبة السكائب وأحد البلغاء الفصحاء
واستخلفه القاسم على ديوان الرسائل (٤) ويقول ابن المعتز فيه :
لأن رزقت من الإخوان جوهرة ما إن لها قيمة عندي ولا ثمن
ورثاء ابن المعتز بقصيدته :
ليس شيء أصح ودوام غلب الدهر حيلة الأقوام (٥)
وبقصيدته أخرى نونية طويلة تجددها في ديوانه المخطوط ، وفي الديوان المخطوط
يذكر أن أبيات ابن المعتز :
أبا حسن ثبت في الأمر وطائي وأدركتني في المعصلات المراهز
الح نالها فيه ، والصحيح أنها في أبي الحسن علي بن الفرات الوزير (٦) .
(س) أبو القاسم جعفر بن قدامة م ٣١٩ هـ وهو من مشايخ الكتاب
وعلمائهم وله مصنفات في صنعة الكتابة (٧) وغيرها ، ويعده ابن التديم من
الشعراء الكتاب (٨) .
وكان جعفر يلزم ابن المعتز ويجلس عنده كثيراً ويقضيان أوقاتها معاً
في مرح ولهو (٩) .

-
- (١) ٢٤٢ : ٢ مجمع الأدباء (نصر رفاعي) ٧٢ : ١ وفيات ١٥ : ٢ زهر .
(٢) راجع ٣٩٣ : ١ مجمع الأدباء (نصر من جليوت) .
(٣) ٣٣٦ مجمع الشعراء .
(٤) ٤١٧ : ٢ وما بعدها مجمع الأدباء .
(٥) ٨٨ : ٣ زهر ، ١٣٠ رسائل ابن المعتز .
(٦) ٣٢٣ : ٤ مسعودي ، وفي الديوان المخطوط كثير من التحريف والخطأ في نسبة شعر
ابن المعتز لذين نظم فيهم الشاعر قصائده .
(٧) ٤١٢ - ٤١٥ مجمع الأدباء و ٢٠٥ : ٧ تاريخ بغداد .
(٨) ٢٣٩ فهرست .
(٩) راجع ١٤٢ : ٩ وما بعدها الأغاني .

(ع) أما إسماعيل بن بلبل وزير الموفق فلم يكن بين ابن المعتز وبينه وثام وهجاء ابن المعتز بقصيدة غائية تجدها في ديوانه المخطوط ، وكان إسماعيل قد صاهر الموفق (١) ، وكان يسمى بين الموفق وابنه أبي العباس المعتضد حتى حبس الموفق ابنه فلما ولي المعتضد شئون الخلافة بعد أبيه سنة ٢٧٨ هـ قبض على ابن بلبل الوزير حيث لقي مصرعه ، والظاهر أن القصيدة التي أشرنا إليها قد نظمها ابن المعتز إثر القبض عليه وحجسه ، ويذمه ابن المعتز في أرجوزته في المعتضد طويلا (٢) .

* * *

وبعد فعصر الشباب في حياة ابن المعتز حافل بكثير من الذكريات .
ولقد ودع ابن المعتز شبابه وطفوه يوداع هذا العهد الجليل الناضر ، وكما يقول ابن المعتز :

سلام على اللذات واللهو والصبا سلام وداع لا سلام قدوم
ويقول :
يا صاح ودعت الغواني والصبا وسلكت غير سيلين سيلا
وثبتت أعناق الهوى نحو الملا ورأيت شأور العاشقين طويلا
بدلت من ليل الشباب بمفرق صبح التهمى أحجب بذلك بديلا

(١) ٤٣ : ٢ ميجم الأدياء ، و ٢٩٩ : ٣ العدد .

(٢) ١٥٧ — ١٦٠ ديوان ابن المعتز ، ٨٨ — ٩٠ رسائل ابن المعتز .

الفصل الرابع

ابن المعز في عهد رجولته

(١)

يبدأ هذا العهد الجديد في حياة الشاعر بائتمام عصر المعتز في عام ٢٧٩ هـ ،
والشاعر في الثانية والثلاثين من عمره وينتهي بانتهاء عهد المكتفي عام ٢٩٥ هـ ،
وهو في الثامنة والأربعين .

امتاز هذا العهد في حياة الشاعر بخصائص كثيرة كان لها أثرها في نفسه وحياته
وفي المجتمع الذي يعيش فيه .

فقد فرغ من ملذاته ولهوه وبدأ حياة جديدة فيها جد وعمل ونشاط وإقدام :
وثبت أعناق الهوى نحو الملا ورأيت شأور العاشقين طويلا
وإن كانت هذه الحياة الجديدة مريرة ثقيلة على نفسه :

غضبت رأسي فقلت لها اخضني قلبي فقد شابا
فأماي المر من عسري وورائي منه ما طابا
ولكنه حكم المشيب :

سل المشيب سيوفه فسطا على اللذات سطوا
الذي جملة يرد نفسه إلى طريق الخير :

رددت إلى الذئب نفسي فقمرت كما رد الحسام إلى القراب
ونهاه الإمام المعتز عن سفه الكأس فاعفا مكرها وعاف معها لذات
الحياة :

ونهاى الإمام عن سفه الكأس فرددت على السقاء المدام
عفتها مكرها ولذات عيش قام بيني وبينه الإمام
ثم هو يعيش حيناً يتمتع بحريته وكرامته وتفوزه في دار الخلافة ، وحيناً
يعيش بين اضطهاد ومراقبة وتهديد ، يعيش حيناً راضياً مبتسماً للحياة ، وحيناً
ساغطاً متجهماً على حظه وآماله فيها .

وهو فوق ذلك كله علم من أعلام الأدب والتفقد والبيان والتفكير ، وشاعر ممتاز يختلف أبا تمام والبحتري وابن الرومي على عرش القريض .

وهو يحيا حياة الرجولة المسكتة ، والرأى الشاخص ، والحكمة العميقة والتجربة الصحيحة ، وبين خصومات ومؤامرات كادت تؤدي بحياته ، ولولا رجل عظيم كان يدافع دائما عنه ، وهو الوزير عبيد الله بن سليمان ، ولولا حكمة الشاعر التي أثرت صداقة المعتضد ومهادنة المكتنق مع ما كانت تجيش به نفسه من ثورة الألم والحزن العميق .

لأنتم شيئا عن موارد الشاعر المالية في هذه الفترة ، ولعله كان له مرتب ثابت من دار الخلافة ، فقد كان يصرف كل يوم نحو الثلاثة والثلاثين ديناراً في عهد المعتضد لأولاد المتوكل وسبعة عشر لولد الواثق والمستعين والمهتدي وسائر أولاد الخلفاء (١) . ومن المرجح أنه كان لابن المعتز مع ذلك موارد خاصة يركن إليها في مآثقه .

وليس لدينا أيضاً جديد عن أسرة ابن المعتز وحياته العائلية في هذا العهد . وكان ابن المعتز يقيم منذ أمد طويل في سامرا في دار والده غالباً ، فأمره المعتضد بالقدوم إلى بغداد ، كما في نسخة خطية من ديوان ابن المعتز ، أو ، أمر بإحضاره إلى بغداد ، كما في النسخة الأخرى ؛ وامثال ابن المعتز أمر الخليفة وترك سامرا وأقام في بغداد ، وفي ذلك يقول قصيدته (٢) :

دعاني الإمام إلى قربه فأهلاً بذلك وسهلاً به
يقصر جهدي عن شكره واست أقصر عن حبه
وعوقني الدهر عن قربه زماناً فقد ناب من ذنبيه

والظاهر أن ابن المعتز لم تعجبه بغداد فقال كثيراً من الشعر في ذمها والتنويه بسامرا وجمال أيامه فيها ، مما تجده في ديوانه ، وله رسالة أدبية يمدح فيها سامرا ويصف غراياها وينم بغداد والحياة فيها (٣) ؛ وعلى أي حال فقد كانت إقامة الشاعر ببغداد بدار على شاطئ الصرافة كما ورد ذلك في شعره .

(١) ٣٥٠ : ٣ تاريخ الأمم الإسلامية للخضري بك .

(٢) راجعها في ديوانه المخطوط .

(٣) ٢٤٢ : ٢ مجمع البلدان ، ٨٢ : ١ النثر القبي ، ٨٠ رسائل ابن المعتز .

ابن المعتز والمعتضد :

ولد أبو العباس المعتضد أحمد بن الموفق بن المتوكل ابن عم شاعرنا الأمير عام ٢٤٣ هـ ، وكان عضدا لوالده في أعماله وحروبه ثم غضب عليه فحبسه عام ٢٧٥ هـ ، وخرج من الحبس عام ٣٧٨ هـ في احتضار أبيه ليحل محله في إدارة شئون الدولة للخليفة المعتمد ، وبعد قليل توفي المعتمد فبويع المعتضد بالخلافة في رجب ٧٨٩ هـ = أكتوبر ٨٩٢ م ، وظل في الخلافة حتى توفي في ربيع الآخر عام ٣٨٩ هـ = ٩٠٣ م .

وامتاز عهده بكثرة الحروب مع الخارجيين على الخلافة ، وباستقرار أمور الدولة ، واستعادة ما كان لها من هيبة ومجد ، كما امتاز بهذه الإصلاحات الكثيرة التي قام بها المعتضد في خلافته ، فسكنت الفتن وهذا المرح وصلحت البلدان ورخصت الأسعار (١) ، وكان المعتضد شهما عاقلا فاضلا قوي السياسة شديدا على أهل الفساد (٢) وكان بخيلا سفاكا للدماء (٣) وفي نهاية الفطنة والذكاء وله قصص كثيرة تدل على سهره على حفظ الأمن (٤) ، وكان السرخسي تلميذ الكندي أستاذه ثم نادمه وخص به ثم قتله عام ٣٨٦ هـ لأنه أفشى بعض أسرار (٥) ، وفي عهده توفي ابن طيغور عام ٣٨٣ هـ وأبو العيناء ٣٨٣ هـ وابن الرومي ٣٨٣ هـ والبحري ٣٨٤ هـ وسواهم من الشعراء والعلماء ، وهو أول من فسر في بناء جامعة إسلامية كبيرة ومدينة جامعية واسعة (٦) ، ونقل عاصمة الخلافة من سامرا إلى بغداد عام ٣٧٩ هـ وبعد قليل أفقرت سامرا ، وفي خرابها يقول ابن المعتز :

(١) ١٦٧ : ٤ السعدي .

(٢) ٢٠٢ القفري .

(٣) ١٦٨ : ٤ السعدي .

(٤) راجع ٣٢ — ٣٦ الأذكياء ، ٩٣ : ١ وما بعدها المتطرف ، ١٩٩ : ٢ فقرات

الأوراق جهامش المتطرف .

(٥) ٣٦٥ وما بعدها فهرست .

(٦) ٣١٣ الأدب العباسي لمحمود مصطفى .

قد أقفرت سامرا وما لشيء دوام — الخ
وتزوج المعتضد قطر الندى (١)، وعاش مرهوبا قوى النفوذ والسيادة... وقد كان
ابن المعتز وثيق الصلة بالمعتضد، اتصل به وعاش في بلاطه، وأخلص لعمده وفي
مطاعته، وأشاد بذكوره وبمظمة الدولة في أيامه، وببطولة انتصاراته على أعدائها
والثأرين عليها، وجمعت بينهما صلات النسب القريب والسن المتقاربة وصلات
الأدب والعلم، وكان لابن المعتز مكانته الرفيعة عند الخليفة، فعاش موفورا الكرامة،
واتصل بالحياة العامة في هذه الفترة اتصالا وثيقا، وهكذا عاش في وئام مع ابن
عمه الخليفة، وتناسى آماله في الملك والسيادة المتغلغلة في أعماق نفسه، وإن ظل
اسمه مسرحا للوشايات والخصومات في بعض الأحيان.

وشعر ابن المعتز بصورة واضحة لهذه الفترة الحافلة، والحياة المعتضد وأعماله
وهو على عرش الخلافة؛ ويشرح ابن المعتز في أرجوزته الطويلة في الخليفة
المعتضد حياته وأعماله والحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في عصره شرحا
قويا متعا (٢).

تولى المعتضد الخلافة فبدأ ابن المعتز بما يقصده:

زودينا نائلا أو عدينا قد صدقناك فلا تكذبنا
ومعنا :

يا أمير المؤمنين المرجى قد أقر الله فيك العيون
ودعينا نحو بيعة حق فسمينا نحوها مسرعينا
قر في ككفك خاتم ملك لك صاعته الخلافة حيننا

وبعيد المعتضد تنظيم جباية الخراج عام ٢٢٨٣هـ، فيشيد به الشاعر في قصيدته (٣)

ألا أيها الربيع الذي عطل الدهر عفاك بكائي فيك لم يعفك القطر
ويبنى المعتضد قصره الثريا، فيهتته ابن المعتز بقصيدته :

(١) راجع ٢٠٣ : ٤ مسودي ، ٨٧ : ٣ زهر .

(٢) راجع ٨٠ — ١٠٧ رسائل ابن المعتز

(٣) في ديوان ابن المعتز المخطوط يذكر أنها نقلت في مدح أبي العباس وأبي الحسين
ابن الفرات وذلك خطأ ولا بدل عليه القصيدة

سكنت أمير المؤمنين على الدهر ولازلت فينا بأقيا واسع العمر
ويعود المعتضد من الموصل عام ٢٨٣ هـ بعد أعمال حرية كبيرة فينوه به
الشاعر في قصيدته :

قرب المحب إلى الحبيب الوامق من بعد ما فتك العراق بعاشق
ويمدح المعتضد إثر رجوعه بعد قتل البصري الشاعر بقصيدته :
يا صاح ودعت الغواني والعبا وسلسكت غير سيلان سيللا
وبقضى المعتضد على ثورة صالح بن مدرك الطائي عام ٢٨٧ هـ فيذكر ذلك
ابن المعتز في قصيدته :

يا قاتلا لا يبالي بالذي صنعا رميت قاي بسهم الحب فانصدعا
وفي العام نفسه قضى على ثورة وصيف بالشام فظم الشاعر في ذلك قصيدته (١) :
قضى وطرا من لذة ونعم وساق وجلاس وماء كروم
ولابن المعتز فوق ذلك في المعتضد كثير من القصائد . ومنها قصيدته الرائعة :
هذا العراق وكنت أفرقه قسد قربته للبين أينقه
وقصيدته (٢) :

يا راميأ لم يخط لي مقنلا خذ من فؤادي سهمك الأول
وتوفيت (بريرة) جارية المعتضد أم ابنته إبراهيم فقال في ذلك قصيدته (٣) :
يا إمام الهدى بنا لايك الهم وأحنيتنا وعشت سلجا
ولابن المعتز في مرض المعتضد وله في رثائه شعر كثير تجده في ديوان الشاعر
المخطوط وفي كثير من المراجع الأخرى (٤) .

(١) في ديوانه المخطوط يذكر أنها في عبيد الله بن سليمان وذكر أخذ وصفه ، والقصيدة
لا تؤيد أنها في عبيد الله وهي كلاما إشادة بالخطبة
(٢) ١٣٠ الأوراق
(٣) راجعها في ديوانه المخطوط
(٤) راجع : ١٣٩ رسائل ابن المعتز ، ١٩٩ : ٣ وما بعدها زهر ، ١٤٢ : ٢ المدة
وسوى ذلك من المراجع

وبعد قشعر ابن المعتز في المعتضد بفيض أكثره بالجمال الفنى ، ويتم عن وثام واضح بين الشاعر وابن عمه الخليفة ، وعن استنارة في حياة الشاعر ، وفيه شرح واسع للحياة العامة والدولة وسياستها في عهد المعتضد بالله .

ابن المعتز والمكنتى :

ولد على المكنتى بن المعتضد عام ٢٦٤ هـ ، ولما توفى والده المعتضد أخذ القاسم ابن عبيد الله الوزير البيعة له وذلك عام ٢٨٩ هـ ، وظل في الخلافة حتى توفى عام ٢٩٥ هـ .

وزر له القاسم الذى توفى عام ٢٩١ هـ عن نيف وثلاثين عاما ، فاستوزر بعده العباس بن الحسن بن على الذى ظل في الوزارة حتى قتل عام ٢٩٦ هـ .
سار المكنتى في سياسة الدولة سيرا حسنا ، فداوى أمراضها بالحزم واللين ونزفنى والشفقة جميعا ، وفى عهده قتل بدر القائد غلام والده المعتضد ، وانقرضت دولة بنى طولون بمصر عام ٢٩٣ هـ ، كما انقرضت دولة الأغالبة بأفريقيا ، وازداد أمر القرامطة واستفحل شرهم إلى حد كبير .

وكان المكنتى شاعرا (١) ناقدأ (٢) وعالما ممتازا وسياسيا بارعا .
ولى الخلافة وابن المعتز في الثانية والأربعين من عمره ومات وهو في الثامنة والأربعين ، والمكنتى كالابن لشاعرنا ابن المعتز فوالده المعتضد كان ابن عم الشاعر الأمير ؛ وكان توليه الخلافة وحرم ابن المعتز منها مثار ألم دفين في نفس الشاعر نطقت به عواطفه الملتبة في همس وصمت حيناً بعد حين ، أليس هو الذى يقول :

لئن عريت من دول أراها تجدد كل يوم للكلاب
لقد خلقتها بعد ابتسزال لها ومللتها قبل الذهاب
ويقول :

نبئت أن قوسى قد دفنوا لى مكرا

(١) راجع ٢٩٤ معجم الشعراء
(٢) راجع ٢٠٢ : ١ ديوان المعاني

طال عليهم عمرى فاستعجلوا في القبرا
هل للأغر ذنب إن لم يكونوا غرا

ويقول :

تمكن هذا الدهر مما يسوءنى ولج فإ يخل صفائى من قرع
ويقول :

من يذود الموم عن مكروب مستكين لحادثات الخطوب ؟
فهو فى جفوة المقادير لا يأخذ يوماً من دولة ينصيب
ويعنى أن يكون حظه من الحياة حظ الخامل الجمول :
من يشتري حسي بأمن محول من يشتري أدب يحظ جهول
ولكنه كان كما يقول :

ميت السائر ضحكك على حق ما دام يعجز عن أعدائى الخلق
ساخطاً على المجتمع والناس :
خلقت فى شر عصابة خلقت أشكتيها رب السموات
يائساً من الحياة :

وعطل من نفسى مكان رجائها فإن لم يكن موت فكلوت مايبا
وهكذا كانت نفس ابن المعتز تلتب جوائنها بأعنف الثورات ،
بعد وفاة المعتز قبض القاسم على ابن المعتز وآخرين من أمراء البيت العباسي
وأودعهم السجن ، فلما قدم المكتفي بغداد وتولى مقاليد الخلافة وعرف خبرهم
أمر بإطلاقهم ووصل كل واحد بألف دينار (١) .

وفى الفترة التى قضاها ابن المعتز فى السجن كتب إلى القاسم قصيدته :
هل من معين على أحداث أزمانى أسأت معتمدا لى بعد إحسان
ونظم قصيدته : اشتكتنا حوادث الأيام (٢) ، ثم أرسل وهو فى الحبس إلى
المكتفي قصيدة يهنئه ويمدحه ويذكره بمجائه ومطلعها :

(١) راجع ٩٨ و ١٠٠ : ١٠ تاريخ بغداد ، وابن المعتز :

تلفت فى السجن نوح التلك وكنت امرأ قبل حبس ملك
وقعدت بسد ركوب الجباد وما ذك إلا بسدور الفلك
(٣٠ الاضداد لباحظ)

(٢) تجدها فى ديوانه المختلط

تبدى فأين العنن من ذلك العنن وبدر الدجى من ذلك البدر فى الحسن
وهذه القصيدة هى التى ذكرت المكنى به وعن معه فى الخيس فأطلق
سراحهم جميعا .

على أن هذا كله لم يمنع الشاعر من أن يظهر بظهر الوفاء والطاعة للخليفة ،
فوقف فى كثير من المناسبات يشيد بالمكنى ودولته ويطولته وانتصاراته على
خصوم الدولة والثأرين عليها .

يقول فى المكنى من أبيات كثيرة :

للمكنى دولة مباركة عاش بها الناس بعد ما ماتوا
ويقول فيه قصيدته :

يا حادى الأعظم ابن تريك لى من تحدد به السكيد
أشاد فيها به وانتصاراته على أعداء الخلافة .

كما أشاد بانتصاراته على الخارجى الذى حارب جيوش الخلافة بالتمام فقتله
المكنى عام ٢٩١ هـ مما تجده فى ديوانه المخطوط ، وانتصر المكنى عام ٢٩٤ هـ
على القرامطة انتصارا ساحقا وقتل رئيسهم ذكرويه فقال ابن المعتز فى ذلك
قصيدته الساحرة :

لاورماست الحدود فوق أغصان القدود (١)

إلى غير ذلك مما نظم ابن المعتز فى المكنى وعصره وحياة الدولة فيه وإن
كان قليلا بالنسبة لماله فى الخليفة المعتضد بالله .

ابن المعتز وبنو وهب .

١ - وبنو وهب أسرة اشتهرت بالكتاب وبلاغة اللسان ، نبغ منها : سعيد
وكان يكتب لأن برمك ، وابنه وهب وكتب لجمهر البرمكى ثم للحسن بن سهل ،
وحفيده : الحسن بن وهب م ٢٩٥ هـ وسليمان بن وهب م ٣٧٣ هـ الذى وزر
للمهتدى والمعتمد وهو والد عبيد الله بن سليمان .

(١) يتوه بها المحصرى فى زهر الآداب (٢٩٦ : ٣) تنوينا جلا : ويذكر ديوان ابن المعتز
المخطوط أن هذه القصيدة قد مدح بها المكنى لما أخذ الخارجى بالتمام

٢ — ولي عبيد الله بن سليمان بن وهب الوزارة عام ٢٧٨ هـ وزيراً المعتضد حتى مات عام ٢٨٨ هـ وكان كاتباً حاذقاً وسياسياً حفيظاً .

وكان ابن المعتز وثيق الصلة به ، قوى الأمل فيه ، كثير الاطمئنان إليه ، ودافع عبيد الله عنه كثيراً ، فأشاد به ابن المعتز في كثير من شعره ، وشكر أياديه عليه ، مما تجد آثاره ومظاهره في ديوان الشاعر المخطوط والمطبوع ، وفيه يقول ابن المعتز قصيدته (١) :

ألا حي ربما بالمطيرة أعجما فلو كلفت أرض إذا التكلما
ومنيا :

أبا القاسم اسلم الزمان وأهله غير لهم ما دمت فهم محكماً
أبيت إذا نام الخاليون ساهرا فأرعى نجوما لا ينفون حوما
وبدلت داراً غير داري فأصبحت عدائي يخفون الحديث المرجما
والظاهر أنها فظمت في وشايات كانت تحمل إلى عبيد الله ضد ابن المعتز بعد إقامته ببغداد ، ويقول فيه ابن المعتز أيضاً قصيدته :

أبا موصل النعمى على كل حالة إلى قريب كنت أو نازح الدار
ويقول أيضاً :

كم صنيع شكرته لبي وهب ب بدا لي وما احدثت إليه
وعدو يريد قتل ولكن يد صنع منهم ترد يديه
وهذا يدل على مدى ما كان يتعرض له ابن المعتز في حياته من خصومات ومدى دفاع آل وهب عنه كما يقول : ولابن المعتز سوى ذلك مدائح كثيرة (٢) ومراث متعددة في عبيد الله الوزير مما تجد أكثره في ديوانه المخطوط ، وما تلح عليه أثر

(١) راجعها في ٣١ الأوراق

(٢) وقول ابن المعتز

يا جوهر الاخوان وحلية الزمان
عش لي طسول عمرى فيك فقد صفائي

لغ يجمعها ديوان ابن المعتز المخطوط له في عبيد الله بن سليمان ، وجمعها الأوراق له في عبيد الله بن عبد الله بن طاهر

العاطفة والشعور ، وله رسائل أدبية كثيرة كتبها إليه (١) .
وبعد فقد كان عميد الله بن سابق بن وهب أمركبير في حياة ابن المعتز .
كما استحق عليه شكر الشاعر ووفاءه له هذا الوفاء البعيد .
٣ - ولما مات عبيد الله عام ٢٨٨ هـ ، عزم المعتز كما يقول الفخرى على
أن يستأصل شأفة أولاده فحضر القاسم واستعان ببدر المعتضدى وتكفل بأبني
ألف دينار فاستوزره المعتز ، وكان القاسم من دهاء العالم ومن أفاضل الوزراء
وكان عظيم الحمية شديد الأقدام سفاكا للدماء (٢) .
وتوفي عام ٢٩١ هـ ، عن نيف وثلاثين عاما كما يقول المسعودى ، وكان
شاعرا (٣) .

ولابن المعتز في القاسم - قبل أن يلى الوزارة وبعدها - مدائح كثيرة ،
منها قصيدته :
يا ثالث الوزراء كم من حلقة للكرب والأحزان قد فرجتها
وقصيدته :

عاد الدور ليلك بالأعياد وسعدت من دنياك بالإسعاد
وسوى ذلك مما يطول في البحث لو استقصيته كله في هذا المقام ، ولابن المعتز
رسائل أدبية كتبها إلى القاسم بنأشده فيها أن يرفع عن ظله ويقبل اعتذاره (٤) .
وبعد فإن آثار ابن المعتز الأدبية في القاسم في الشعر والنثر لا تدل على صداقة
أو إعاء ، إنما هي مجاملة للقاسم الطاغية المستبد الذى كان يتصرف في أمور الدولة
وأرواح الناس كما يشاء ، بل إن رسائله الأدبية التى بعث بها إلى القاسم تدل على
أن العلاقات كانت متوترة بين الرجلين وأن ابن المعتز كانت لا تهدأ له من أجل
ذلك نفس أو تطيب له حياة .

° ° °

وبعد فهذه صورة لحياة ابن المعتز في عهد الرجولة أحفل عهد - في حياة
الشاعر - بالآلام والمآسى ، فنتركه ولنصور هذه الأحداث الجسام التى وقعت
بعد ذلك بقليل .

(١) ٤٨ و ٥٥ رسائل ابن المعتز

(٢) ٤١٢ : ٤ المسعودى

(٣) ٣٣٧ معجم الشعراء

(٤) ٥٣ - ٥٥ رسائل ابن المعتز

الفصل الخامس

الفصل الأخير من قصة حياة الشاعر

خلافته وقتله

(١)

في سبيل الخلافة .

في عام ٢٩٥ هـ ، مرض المكتني واشتد به المرض في شعبان هذا العام ، وكان وزيره العباس بن الحسن يكره أن يصير الخلافة إلى ابن المعتز فاجتهد في تحويلها إلى محمد بن المعتز ، وبعد قليل أفاق المكتني فأشار عليه صافي الحرمي بأن يحبس ابن المعتز وابن المعتز في داره ، فلم يوافق المكتني .

ولما زاد مرض المكتني فكر العباس الوزير فيمن يتولى الخلافة بعده من جديد فاستشار رؤساء الدواوين الأربعة الذين يساعده : محمد بن داود بن الجراح وأبا الحسن محمد بن عبيدون فأشار محمد بن داود وابن المعتز وأشار ابن الفرات بجمعهم بن المعتز لأنه صبي يحتاج إلى وزرائه وليبقى نفوذ الوزراء (١) . ثم اشتد المرض بالمكتني في أول ذي القعدة فعهد بالخلافة بعده لأخيه جعفر بن المعتز (٢) . وهكذا اجتمعت رغبة الوزراء على ترشيح جعفر للخلافة رغم أنه ما يزال طفلاً صغيراً (٣) .

ومات المكتني في يوم الأحد ثلاث عشرة ليلة حلت من ذي القعدة عام ٢٩٥ هـ فأصبح جعفر خليفة المسلمين بعده ويومعه بالخلافة في اليوم نفسه ، ولقبه المقنن بالله . ونهض بالأمور وتحبب إلى الخاصة والعامة (٤)

(١) ١٤ ذيل الطبري (٢) ١٢ المرجع نفسه

(٣) ولد جعفر عام ٢٨٢ هـ وولى الخلافة وهو في الثالثة عشرة من عمره (٣٣٣ : ٤ السعدي ، ورقة ١٧ الأوراق قسم أخبار المقنن مخطوط)

(٤) ذيل الطبري

وايكن بعد قليل سرت موجة من السخط والثورة بين القواد والقضاة والكتاب والجمهور ، وزاد من لخب هذه الثورة استبداد وزيره العباس بن الحسن بأموور الخلافة ، لا معارض له في رأى ولا مشارك له تدبير ولا يهاب الخليفة ولا يفرع منه (١) ، وكثر الطعن عليه والانتكار لفعله والهجاء له وقال فيه بعض شعراء بغداد :

يا أبا أحمد لا تحسن بأيامك ظنا
كم رأينا من وزير صار في الأجداث رهنا
فتجنب مركب الكبر وقل للناس حسنا (٢)

ابن المعتز على عرش الخلافة :

وأشرقت شمس سنة ٢٩٦ هـ ، فاجتمع جماعة من القواد والكتاب على خلع المعتز وأجمع رأيهم على ابن المعتز فناظروه في تقلد الخلافة فأجابهم إلى ذلك على أن لا يكون سفك دم ولا حرب فأخبروه أن الأمر يسير في طريق السلام وأن جميع من وراءهم قد رضوا به ، فبايعهم على ذلك سرا ، وكان زعماء هذه الحركة محمد بن داود بن الجراح وأبو المثنى أحمد بن يعقوب الفاضل ومن القواد الحسين بن حمدان وبدر الأعجمي ووصيف ، وأخذت هذه المؤامرة السياسية تسير بخطوات واسعة نحو التنفيذ . وصمم الحسين بن حمدان وكثير من القواد على قتل العباس بن الحسن الوزير وخليفته المعتز ، وبدأوا بالعباس ثقة منهم بأن قتله سيحطم عرش المعتز ويهدم صرح خلافته فلا يجد بدا من التسليم . وفي يوم السبت ٢٠ ربيع الأول عام ٢٩٦ هـ ركب ابن حمدان والوزير والأمراء قسطنطين بن حمدان سيفه وضرب به العباس بن الحسن الوزير وهو سائر في طريقه إلى بستان له فقتله وقتل معه فاندكا . ولما قتل العباس وصليت الظهر يوم السبت المذكور وجه محمد بن داود إلى ابن المعتز فأخرجه من داره التي في آخر الصراة إلى دار إبراهيم بن أحمد الماذراني التي على دجلة والصراة ، ووجه إلى القواد وأخذ البيعة عليهم له ، فأجاب به إلى ذلك كثير من قواد الدولة وعظماؤها وساروا بابن المعتز إلى دار المكتفى على دجلة

(١) ورقة ١٨ الأوراق قسم أخبار المعتز .

(٢) ١٤ وما بعدها ذيل الطبري .

وأخذ محمد بن يوسف القاضي وأبو المثنى أحمد بن يعقوب يسمدون على خلع المقتدر نفسه (١) ، ويأبى الناس ابن المعتز وسلوا عليه بالخلافة ولقبوه المنتصف بالله (٢) أو الراضى (٣) أو المرتضى بالله (٤) ، أو الغالب بالله (٥) ، واستوزر محمد بن داود ابن الجراح واستخلفه على الجيش واتخذ ابن المعتز يمتا الخادم حاجبا له ، وقد على بن عيسى الدواوين . وكان ذلك في يوم السبت ٢٠ ربيع الأول ٢٩٦ هـ (٦) - ١٧ ديسمبر ٩٠٨ م - ٢١ كيهك ٢٢٥ ق .

وجعل الناس يبايعون ابن المعتز بالخلافة ، سوى ابن الفرات وغواص المقتدر كدوسن الحاجب الذي كاتب ابن المعتز ليسلم المقتدر على أن يكون حاجبه ثم رأى يمتا في منصب الحجابة لابن المعتز فاقطع مؤيدا للمقتدر ومن أول الذائدين عن عرشه (٧) .

وحضرت صلاة مغرب يوم السبت المذكور فضربت دار المقتدر من القصر الحسنى ومن الدار التي كان فيها ابن المعتز ، واستمرت الحال كذلك إلى صلاة العشاء ، وشغل محمد بن داود عن إحكام التدبير بإتخاذ الكتب إلى البلاد بخلع المقتدر وخلافة المنتصف بالله أبي العباس عبد الله بن المعتز ، ووجه محمد بن داود إلى صاحب الكسوة ليبحث بخلع يلبسها أمير المؤمنين وبالبردة ، فرد الرسول بأن المقتدر قد لبسها . وصل ابن المعتز بالناس الصبح يوم الأحد ، ثم التفت إلى القضاء والمدول وقال : قد آن للمحق أن يتضح وللباطل أن يفتضح ، وقام محمد بن خلف المعروف بوكيع بين يديه وقال : أمير المؤمنين كما قال أبو العتاهية لجدته :
أنته الخلافة منقادة إليه تجسر أذيالها

(١) ورقة ٢٣ الأوراق قسم أخبار المقتدر ، و ١٥ ذيل الطبرى .

(٢) ورقة ٢٤ الأوراق ، ١٥ ذيل الطبرى .

(٣) ٤٠٤ : ١١ الطبرى .

(٤) ٨٣ : ١ السمعى ، وما بعدها : ٨ ابن الأثير .

(٥) ٢٢٢١ : شذرات الذهب ، وراجع ص ٢٤١ : ١ : فوات الوفيات ، ٤٦١ : ١ : وفيات .

(٦) وهذا ما تجمع عليه كثير من المصادر (٥ : ٦ : ٨ ابن الأثير ، ورقة ١٧ الأوراق قسم أخبار المقتدر ، ٤٦١ : ١ : وفيات ط ١٣١٠ هـ ، ٢٣٢ : ٢ : شذرات ، ٢٧٩ و ٢٨٠ المجلد الأول من دائرة المعارف الإسلامية وسواها) .

(٧) ورقة ٢٤ من الأوراق قسم المقتدر .

فسلم نك تصلح لإلالة ولم يك يصلح لإلالتها
فرد عليه ردا جميلا وقال ؛ لنسأل الله عونا وتوفيقه (١) .
وذهب الحسين بن حمدان وابن عمرو به صاحب الشرطة صباح الأحد إلى دار
الخلافة التي فيها المقتدر فخرج إليهما الغلبان (٢) ووقعت حرب شديدة بين الفريقين
استمرت إلى منتصف النهار .

وركب ابن المعتز ومعه محمد بن داود وابن عمرو به وكثير من الجند قاصدا
قصره الحسني ، ولكن غلبان المقتدر كانوا قد فككوا الحصار المضروب على دار
الخلافة وانصرف عنهم ابن حمدون ، ثم حاولوا بين ابن المعتز وبين الوصول إلى الحسني
ووجه المقتدر بفلاته ومعهم غاله غريب في الزوارق فلما قاربوا الدار التي فيها
ابن المعتز بالغرم ضجروا ورشقوا الدار بالنشاب ففرع أنصار ابن المعتز واضطربوا
وضعت عن عتيم وهالهم كثرة المهاجرين ، فأخذوا يتفرقون ويفرون .

ورأى ابن المعتز هذه الحال وشاهد آثار الخزيمة فركب فرسا ومعه وزيره وحاجبه
ين وهو شاهر سيفه ينادي : يا معشر العامة ادعوا الخليفة نكم السي (٣) ؛ وأرادوا
السير إلى سامرا لتثبيت عرش ابن المعتز وخلافته فيها ، فساروا نحو الصحراء
ولكن لم يتبعهم أحد ، ففكروا في الحرب والاختفاء ، وانتهى أمر ابن المعتز بهذه
الخزيمة الساحقة .

كان السبب في ذلك كله المؤامرة التي قام بها الحسين بن حمدان في آخر جولة
في المعركة . حيث انسحب من الميدان وفك الحصار عن دار المقتدر فلما جن الليل
سار عن بغداد بأهله وماله إلى الموصل وكان هذا مواعاة بينه وبين المقتدر ،
وأناح بها فرصة العمل وحرية الدفاع والهجوم لجيش المقتدر ، على أن من الأسباب
الجوهرية في ذلك عدم رضا الأتراك عن الثورة التي قام بها أنصار ابن المعتز وتصميمهم
على القضاء عليها فضلا عن أن أنصار ابن المعتز وأعرانه لم يحكموا التدبير ولم يتبعوا
خطة ناجحة مما ساعد خصومهم مساعدة كبيرة ، فوق ما كان يذمه هؤلاء عن ابن

(١) ورقة ٢٥ الأوراق قسم المقتدر .

(٢) كان عند المقتدر من الخدم أحد عشر ألفاً من الروم والسودان .

(٣) ٤٨ : ١ معاهد التنصيص .

المعتز من أنباء وروايات تعضب الرأي العام وتجعله ينفر من ابن المعتز ولا يرضى بخلافته ، وكانت هذه الأسباب وسواها من العوامل في تلك الحزينة الساحقة التي هي بها ابن المعتز بعد أن سار به القدر نحو آماله المنشودة العظيمة .

اختفى محمد بن داود وسواه من زعماء هذه الثورة ، ونزل ابن المعتز عن دابته ومعه غلامه وانحدر إلى دار ابن الجصاص (١) .

فلما اقتدر من بدء الحزينة مؤنس الحازن الشرطة ، وأحضر ابن الفرات فالتخذه وزيرا وخلع عليه يوم الاثنين الثاني والعشرين من ربيع الأول ، وأخذ مؤنس محمد في القبض على زعماء الثورة ، وتودى في بغداد على محمد بن داود وجعل لمن يرشد إليه عشرة آلاف دينار ، كما تودى على يمن ، وعزل يوسف بن يعقوب وابنه محمد عن القضاء ، ووجه بعض القواد والجند في طلب الحسين بن حمدان فطلب الحسين الأمان فأعطى له ودخل بعد أشهر بغداد فخلع عليه وعقد له على ولاية قم ، وقبض على كثير من زعماء الثورة ، وسلبوا إلى مؤنس يوم الاثنين ٢٩ ربيع الأول فترك القاضي أبا المثنى في دار السلطان وأخذ الآخرين إلى منزله فاقنطى بعضهم نفسه وشفع في البعض فأطلق وقتل الآخرين (٢) ، كما قبض على محمد بن داود وحبس هو وأبو المثنى وابن الجصاص في ثلاث حجرات متلاصقة من دار واحدة ، وفي ليلة فتح على محمد بن داود فأخرج وذبحوه وأخذوا رأسه وجردوا جسده وطرحته في بحر الدار وبعد ساعة فتح على أبي المثنى فقتل كذلك أيضا (٣) ، وأبو المثنى أول قاض قتل في الإسلام ، وكان من قتل في فتنة ابن المعتز محمد بن عبدون ووصيف ويمن (٤) ، ونفى على بن عيسى بن داود بن الجراح إلى واسط ، وصودر القاضي أبو عمر وعلى مائة ألف دينار (٥) وبذلك انتهت هذه الثورة السياسية

(١) هو أبو عبد الله الحسين بن الجصاص الجوهري ، سمى في زواج المقتدر بنظر السدي عام ٢٨٢ هـ وكسب من ولاء ذلك مالا كثيرا وحبس في فتنة ابن المعتز وأخذ منه المقتدر ألف دينار وأطلق - راحته - مات عام ٣١٥ هـ .

(٢) ٤٠٥ : ١١ الطبري .

(٣) راجع ١٠٧ و ١٠٨ : ١ الفرج بعد الشقة .

(٤) ورقة ٤٢ الأوراق نسيم المقتدر .

(٥) ٧ : ٨ ابن الأثير .

بالفشل والخزينة وكان القضاء عليها يوم الأحد ٢١ ربيع الأول ٢٩٦ هـ - ١٨ ديسمبر ٩٠٨ م ، ولم يتم الأمر لابن المعتز غير يوم وليلة ولذلك لم يعده المؤرخون من الخلفاء (١) .

القبض على ابن المعتز وقتله :

علم بعض غلبان ابن الجصاص بأمر ابن المعتز فسمى به إلى صافي الخرس ، وقيل أن سيده أمره بذلك فقبض على ابن المعتز ولأق الذي لاقاه والده من قبل . ولا نعلم متى قبض على ابن المعتز على وجه اليقين ويمكننا أن نلخص الآراء في ذلك فيما يلي .

- ١ — أنه قبض عليه يوم الاثنين لثان بقين من ربيع الأول ٢٩٦ هـ .
- ٢ — أنه قبض عليه في اليوم الذي قتل فيه — أي يوم ٣ ربيع الثاني ٢٩٦ هـ — (٢) .
- ٣ — أنه قبض عليه قبل قتله بأيام قلائل (٣) ، والراجح الذي تؤيده أنه قبض عليه يوم الأحد ٢٨ ربيع الأول عام ٢٩٦ هـ .

أخذ ابن المعتز من دار ابن الجصاص ووضع في زورق إلى باب الخاصة بدار الخليفة فلما بلغه أخرجه حافيا وعليه غلالة قصب فوقها مبطنة إلى الصفرة قليلا ، فلما قام سوسن عند باب الخاصة ولطمه فانكب على وجهه فقال جماعة : ما معنى هذا ؟ الذي يراد به أعظم ، ولكنه عم الخليفة وابن عمه وابن أخيه ، لانهب أن يستخف به أحد والله لو كان المعتضد حيا وبلغه هذا لقطع يد سوسن ، ثم أدخل إلى الحبس (٤) .

(١) راجع ١٠٧ و ١٠٨ : ١ الفرج بعد الشدة .

(٢) ١٩٢ الأدب العباسي للأستاذ سدي .

(٣) راجع ١٦ ذيل العلوي ، وورقة ٢٨ الأوراق قسم القندر ، ٢٨٠ دائرة المعارف الإسلامية المجلد الأول .

(٤) ورقة ٢٧ و ٢٨ الأوراق قسم القندر .

عذب ابن المعتز في حبسه ثم قتل بأن عصرت خصيتاه كما يقول ابن الأثير (١) وقيل قتل خنقا ، وقيل أخذ ليلا ففاح على الثلج عربا نا وحشى سراويله فلجا فلم يزل كذلك والمقتدر يشرب حتى مات (٢)

أظهر المقتدر أن ابن المعتز مات خنقا ، ثم وجه به إلى داره التي بالصراة ففعل وكفن وصلى عليه أبو الحسين محمد بن الحسن العلوي المعروف بابن البصري ، وكان جاره وصديقه وصلى عليه خلق من جيرانه وأخواته ، ودفن في داره (٣) ، أو في غربة بإزاء داره (٤) ، فلما صلب أمر أخيه حمزة بن المعتز وأقطع ما كان لأخيه نبذه وحوله من الدار (٥) .

والصحيح أن قلة كان يوم الخميس ٢ ربيع الثاني عام ٢٩٦ هـ (٦) وذلك يوافق ٢٩ ديسمبر ٩٠٨ م

(٤)

مرأى الشعراء :

وقد رثا ابن المعتز كثير من الشعراء :

١ — فقال ابن إسام الشاعر :

لله درك من ميت بمضيعة ناهيك ناهيك من علم ومن أدب
ما فيه لو ولا ليت فتنقعه وإنما أدركته حرفة الأدب

٢ — ورثاه بعض الأدباء فقال :

(١) ٧ ج ٨ الكامل .

(٢) ٨٣ : ١ الصمري ، وتذكر بعض المصادر أنه سلم إلى مؤنس الخادم فقتله (١٠ : ٩٩ تاريخ بغداد ، ٢٤١ : ١ قوات الوفيات) ، ولما أُلغى في الحلة التي قتل فيها أنشأ قائلا :
قتل ثمانين بنا رويدا أماسك الصائب والخطوب
إخ (١٠٠ : ١٠٠ تاريخ بغداد) .

(٣) ورقة ٢٨ الأوراق .

(٤) ٢٤١ : ١ قوات .

(٥) ورقة ٢٨ الأوراق قسم المقتدر .

(٦) ٤٦١ : ١ وفیات ، ٢٨٠ دائرة المعارف الإسلامية المجلد الأول حيث جاء فيها أنه قتل في ٢ ربيع الثاني — ٩ ديسمبر ، وهذا صحيح في التاريخ العربي دون الفرنجي إذ صحت ٢٩ ديسمبر ، وأما ذلك خطأ مطبعي لا غير .

لا يبعد الله عبد الله من ملك سام إلى المجد والعلواء مذكلفا
قد كان زين بنى العباس كلهم بل كان زين بنى الدنيا حجا وتقى
أشعاره زينت بالشعر أجمعه فكل شعر سواء بمرج ولى (١)
٣ - ورثاه أبو بكر الحسن بن علي بن بشار الشاعر المشهور م ٣١٨ هـ
وكان ينادم المعتضد ؛ وكان بينهما وبين ابن المعتز صفة أكيدة بقصيدة دالية رائعة
جعلها في رثاء هر له إخفاء على المعتز وخوفا منه ، وأولها :
يا هر فارقنا ولم تعد وكنت عندي بمنزل الولد
فكيف تنفك عن هواك وقد كنت أنا عدة من العدد (٢)
٤ - ورثاه يحيى بن علي المتجهم بمروية يقول فيها عبيد الله بن عبد الله بن طاهر :
مارأيت مروية موشحة بالعيوب مطرزة بالهجا مسداة بالنعيف ، إلا هذه وهي
بأن تسمى مثلية أولى ، وهي :

أسيت لعقد الصديق الذي استحال عدوا فن مسعدي ؟
تجنى الذنوب وغان اليهود وأصبح في صورة المعتدي
وعسى عليه الصواب الهوى فأورده شر ما مسود
ولو كان ثم سداد لما أطاع الغواة فلم يرشد
ومن لم يعر سمعه ناصحيه تردى وضل ولم يهتدي
فأرداه ذلك حتى مضى صريحا وأصبح في ملحد
فإن أبك الآن لا أبكك لحسن وقاء ولا سود
ولكن الشعر له رائق لسمع البصير والفتد
كثير البديع وليكنه يزغ عن الكلام الشرذ
وفيه نواذر قول أخذن بمطرف الشعر والمثد (٣)

(١) ٢٤٢ : ١ قواف .

(٢) راجع القصيدة كلها في (١٤٠ و ١٤١ نكت الجمان ، ٣٣٦ و ٣٣٧ : ٢ الديري ،
٢٤٦ و ٢٤٧ : ١ قواف ؟ وهي من أحسن الشعر وأبدعه كما يقول ابن خلكان ، وتسمى
القصيدة المرة أيضاً ، وله غيرها ولكن هذه أشهرها وقد استحسن الشعراء بهذه هذا الذهب
وعارضوه فيه (١٠٩ : ٣ الرافعي) .

(٣) راجع الأوراق للصولي قسم أخبار القندر ، وتعامل ابن المتجهم على ابن المعتز سببه
معروف مما سبق .

وبعد فقد مات ابن المعتز ، وجمعت فيه دولة الأدب والقريض ، وترك وراءه
دويماً استمر صدى واضحا على مر القرون ، وغلد اسمه في صفحات التاريخ والمجد
مع أدباء العربية الخالدين وشعرائها المعددوين رغم أنه لم يزد سنه عن ثمانية
وأربعين عاماً وبضعة شهوراً .

وبذلك انتهت حياة حافلة بالعظمة والكبرياء والمجد والخلود : فرحمه الله وجزاه
عن الأدب والشعر خير الجزاء (١) .

(١) راجع عن ابن المعتز أيضاً : ١٣٩ - ١٤٤ تاريخ القطبي — طبع المكتبة الطيبة ،
وكتاب « من حديث الشعر والنثر » لعله حين .

الفصل السادس

شخصية ابن المعتز

صفته وأخلاقه :

كان ابن المعتز شديد السمرة مستنور الوجه يخضب بالسواد (١) ، ووصف نفسه في شبابه فقال :

وشباب كان يعجبني وبه قد كنت لعبا
جاء حسن ما رددت به وشقيع قط ما أخايا

ويقول : ملء العيون الغايات الحور .

وكان شريف الهيئته حسن الأخلاق حسن المذاكرة كثير الاستعمال للطيب لا يفتر عن الشطرنج ولا يخرج أحد من عنده إلا بصلة أو طيب ، وكان كثير الفرح والسرور (٢) .

وكان بينه مراحا ومغدى للعطاء والعلاء والأدباء والخاصة من الناس ، وكان فيه فسكحة وتنادر .

وقد أنشأ نبيل النفس دقيق الحس قوى الشعور بالجمال تلح فيه وفي أدبه لطف الشعور ودقة الطبع وصفاء الخاطر وسلامة الذوق ، وكان ذوقه يحارى أذواق الملوك ولا يدع فم من بيت الخلافة وسلالة الحمد ، وله في ذلك قصص كثيرة (٣) . وكان يجيد ركوب الخيل ويخرج بها للصيد والنزهة واللهو والحرب ، والمعماني التي تدور حول ذلك كثيرة في شعره كثرة أوصافه لها ، وقد ألف في الصيد كتابا سماه : الجوارح والصيد (٤) .

(١) ٤٦٣ : ١ وفيات ، ٢٥١ : ١ فوات ، ٢٢٤ : ٢ شذرات الذهب .

(٢) ٢٣٧ تاريخ الشواحي الفرز الحديث .

(٣) راجع ١١٦ الأوراق لاصول قسم أعلام وأولاد الخلفاء ، والأغاني ٩: ١٤٢ وما بعدها .

(٤) للرخسى م ٢٨٦ هـ تليد السكندى مكتتاب بهذا الاسم أيضا (٣٦٦ فهرست) .

وكان ابن المعتز متمرنا على أعمال الفروسية وحياة البطولة ومعارك القتال ،
ويذكر كثيرا في شعره اشتراكه في المعارك وانتصاره على الأعداء :

وجررت الجيش أسحبه لعدو كان من شاني
ولا غرو في ذلك فقد كان مهيئا لولاية الخلافة ، ولم يبق أحد من بني العباس
بالمملك إلا وهو جامع لأسباب الفروسية ، (١) .

وكان كريما جوادا محسنا ، ويذكر كثيرا في شعره وعلى الأخص في نغمه هذا
اللون الاجتماعي والإنساني من ألوان حياته الخلقية ، كما يقول :

سلي فديتك هل عربيت من متني خلقتا وهل رحمت في أنواب منان
ويقول :

وسقيت بالجود الفقير وذو الغنى والغنى يسقى مجددا ومرميا
وكان محسنا في حياته معرضا لخصومات كثير من الناس من أقاربه وغير أقاربه
كما يصوره كثيرا في شعره .

وكان معتدا بنفسه وكرامته وكفايته ولا غرو فهو ابن خليفة ومن سلالة الخلفاء .
وكما يقول عن نفسه :

عزمت فما أعطى الحوادث طاعة وليس يطيع الحادثات قتي مثل
إذ أنا لم أجز الزمان بفعله تقلب منى الدهر في جانب سهل
وكان حنفي المذهب يدل على ذلك قوله في الخبر المطبوعة :

وقتي من نار الجحيم بنفسها وذلك من إحسانها ليس بمجيد (٢)
ويقول من قصيدة له في أول عهده بالشعر :

وإن أشأ فكريد في فرائضه أو مثل نعمان لما ضاقت الحيل (٣)
وكان سنيا يدعو للعباسيين ويرد على الشيعة (٤) والمعتزلة ، كما يه ويده

(١) ١٣ : ٣ البيات والبيتين .

(٢) ٤٦٣ : ١ وفات ، ٢٢٤ : ٢ شذرات ، ٢٤٢ : ١ فوات .

(٣) ٢٦٧ : ٢ زهر ، ١٣٣ : ١ معجم الأدباء ، وفي رسائل ابن المعتز .

(٤) ٢١٢ : ١ ظهر ، ٢٤٢ : ١ فوات .

وعصره الذي نشأ فيه والذي كان يحارب الاعتزال والتشيع ، ولما هرب وأراد
السير إلى سامرا نادى حاجبه في الناس : يا معشر العامة ادعوا لخليفتكم السني (١)
وكان ابن المعتز مطلقاً على مبادئ المعتزلة من مخالفتها لعلائهم وقراءته لكتبهم
وتأثره ببعض آرائهم ، فتراه يقول :

رب أمر تقيمه جر أمر ترجيه
فاترك الدهر وسلسه إلى عدل يله

ولكن إيمانه بهذا لم يجعله معتزلياً في رأيه حتى لزمه هجوم اسماعيل بن بلبل
الوزير ويذمه بالاعتزال في أرجوزته في المعتزلة فيقول :

وذكر التعديل والإقامة وقدم النظام أو ثمانية

وكرهه للشيعة وغضبه عليهم واضح في شعره ، ولقد جرد من شاعريته ولسانه
سيفاً يناضلهم به أشد نضال ، وكان يعتقد أنهم يعملون على نحو الخلافة العباسية ،
ويخطط على ما يقومون به من ثورات واضطراب لأن ذلك كان ستاراً يعمل
من ورائه ذوو الأغراض ليلفوا هدفهم المنشود . وكان ابن المعتز كآسره يبالغ
في ذلك عن غير حق وإنصاف .

وبعد فهذه ألوان وسمات لشخصية ابن المعتز رسمناها في إيجاز بالغ وإجمال
شديد لتتكون صورة صحيحة لهذا الشاعر العظيم وسلوكه في الحياة .

مجيئه ولهوه :

(١)

أثر البيئة في الشاعر :

عاش ابن المعتز في بيت الملك ، وربي في ظلال الترف والنعيم ، وشاهد ما لم
يشاهده إنسان من ألوان الحياة في قصور الخلفاء والأمراء والوزراء والعظماء في
سامرا وبغداد ، التي كان تموج بألوان اللهب والترف ، من قيان ونداء ومغنين

(١) ٣٧٧ : ٣ خضري بك ، ١٤٨ : ١ معاهد التنصيص .

وآلات طرب ومجالس راح ، وجوار متعددة الألوان والأجناس ، وغلبان عليهم
شارة الظرف والجمال ، ونساء كانوا مثلاً في الذوق والسحر ، ولا شك أن ابن
المعز ورت شيئاً من اللهو عن أمه الرومية ، وكان اللهو في القرن الثالث سمة النيل
ودليل الظروف والزرف والذوق .

وكان لهذه البيئة الخاصة والعامة أثر واضح في جنوح الشاعر الشاب إلى اللهو
وحياته حياة المرح والسرور واللذة .

وضاعف من آثار البيئة حبه للذوق الحياتة وأنسه بمباهجها ولذاتها واضطرام
عواطف الشباب المتأججة في صدره ، فظهر ابن المعز بحب الصيد ويتذوق الغناء
وتلحين الألحان وبشرب الراح ووصف مجالس النداء وكل ما يتصل بها ، كما تفوق
في الإبداع في وصف عواطف الحب ولذاته وخلعااته وسوى ذلك مما يعده
الناس لهوا ومجوناً .

(٢)

ابن المعز ولذات الراح :

نعم شرب الشاعر الراح :

شربنا بالصغير وبالكبير ولم نحفل بأحداث الدهور
وقد ركضت بنا خيل الملاهي وقد طرنا بأجنحة السرور
ولام من عدله فيها :

يا من يفتدني في اللهو والطرب دع ماتراه وخذ رأيي تحسبك في
لأن لكل إنسان رأيه وسلوكه في الحياة :

إذا كان يومى ليس يوم مدامة ولا يوم قتيان فاهو من عمرى
وان كان معموراً بعسود وقينة فذلك مسروق لعمرى من الدهر
إلى غير ذلك مما سنبسط الحديث فيه إن شاء الله في دراستنا لخبريات ابن المعز .
وللشاعر فوق ذلك أرجوزة طويلة في ذم الصبوح (١) ، وله باب خاص بالخبريات

(١) راجعها في : ١٠٧ - ١١٤ رسائل ابن المعز ، ٣٠٦ - ٣١٢ ديوان ابن المعز ،
٢٥١ - ٢٥٨ الأوراق .

وهو من المجيدين في وصف الراح وبجاسها وتداماها حتى عده النقاد في هذا الباب كسأى نواس ، وله فوق ذلك كتاب في الراح وبجاسها وتداماها وسقاتها وما قاله الشعراء في شتى معانيها سماه «فصول الخاتيل في تباشير السرور» (١) ، وفيه جادة ومتعة واحتذاء كشاحم في أدب التديم ، والنواحي م ٨٥٩ هـ في حلية السكيت ، ولابن المعتز فوق ذلك كتاب الشراب وهو يحتوي على شعر ونثر حول هذا الموضوع ويوجد بمكتبة باريس (٢) ، وهو كتاب ما كان أحوجتنا إلى الاطلاع عليه ونحن نكتب هذا البحث ، ولاشك أن ابن المعتز فيه قد احتذى حذو إسحاق في كتابه الشراب (٣) وابن خرداذبة في كتابه الشراب أيضا (٤) والجاحظ في رسالته في مدح التيزد التي أهداها للحسن بن وهب (٥) وابن قتيبة في كتابه الأشربة (٦) .

ولكن صلت بالراح لم تكن إلا في عهد الشباب كما يقول الشاعر اللامي في الشراب :

ولوما مشي إن كبرت فإن لي شيايا أصم الأذن لا يسمع العذلا
وكايقول :

وجملت ما جهل الفتى زمن الصبا والآن قد وعظ المشيب وفوها

(١) هو كتاب طريف جمع تحدث فيه ابن المعتز حديث يجمع بين اللهو والجند والأدب والقد والتعذيب والتسليّة والفزل والبعث، وتصد تأليفه غرضين : غرضاً قنياً وهو جمع التشبيهات المتصلة بالجر من الشعر والنثر وغرضاً اجتماعياً وهو : السلوى بهذا الكتاب عن مناعة الناس الذين فسدت أخلاقهم وسقطت حالهم (راجع من ٢ فصول) .

(٢) ١٦٣ ج ٢ زيدان .

(٣) ٢٠١ فهرست .

(٤) ٢١٣ فهرست .

(٥) وهي مطبوعة مع رسائل الجاحظ .

(٦) مخطوط بدار الكتب المائكية ضمن مجموعة مخطوطات (١٦٦ مجامع) ، وبه تصيصة صق الدين الخلي م ٧٥٠ هـ في الرد على ابن المعتز في مغلخته للملوكين وأول معارضته :

ألا قل لمر عباد الإله وباغى قريش وكذاها

وعلى ذلك موشعة ابن المعتز ومنه نسخة أخرى خطية (٤٧٩ مجامع) منها فصول الخاتيل لابن المعتز . ومراجع أخرى . وقد نصره كرد على في مجلة القيس .

ويقول :

سل المنيب سيوفه فسعيا على اللذات سطوا

والشراب والعكوف عليه عادة نقلت إلى المجتمع الإسلامي بتأثير الفرس فقد كانوا من قديم يعرفون بالإفراط في حب النبيذ وكانت الدبابة الزرادشتية تيسح شربه بل تجعله من شعائرها فلما قوى نفوذهم في الدولة العباسية نشروا حياة الأكامرة وما كان فيها من حضارات ولهو ، ونقلوا ما كان لهم من نبيذ وغناء وغزل بالمذكر وما إلى ذلك (١) فتمنن العباسيون في أنواعه ومجالاته وفي المتاعمة عليه (٢) ، وإن كان قد كثر الشراب عند العرب وتمددت أنواعه وأخذوا عن جاورهم من الأمم أنواعا منه وألوانا من عاداته. وكان بعض الأمويين يشربون كيزيد بن معاوية وي زيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد الذي كان أول من هام بوصفها ، ولكن العباسيين هم الذين أفرطوا في ذلك إفراطا شديدا .

وبعد فهل كان ابن المعتز في شر الزاح الا واحداً من أبناء عصره وخلفاء دهره وشعراء قرنه الذين أطلوا في الزاح ولوها ووصف نشوتها ولداتها. وأولى بنا أن لا نحمل لهو خلفاء بني العباس إلا على الوجه الذي يليق بكرامتهم ومجد الخلافة التي يجلسون على عرشها ، فهل تحكم على ابن المعتز بغير ما يحكم به على هؤلاء الخلفاء .

وقد رأيت في الأغاني ما يثبت ما سبق أن ذكرناه وهو أن ابن المعتز كان يشرب وهو حدث وكان الذي يشربه هو النبيذ كما سبق أن رجحناه ، فقد روى عن ابن المعتز : « كانت جارية الضبط المغنى تتادمق وأنا حدث ، ثم تركت النبيذ ، فتأخرت عني فكتبت إليها :

وأينك قد أظهرت زهدا وتوبة فقد سمعت من بعد توبتك الخمر (٣)
ويقول ابن المعتز : لا فضيلة أعليها من السكر إلا فقدان الموم وذلك عندى

(١) ١١١ و ١١٢ : ١ : ضمن الإسلام .

(٢) ١٦٩ : ١ : للرجع .

(٣) ١٤٥ : ٩ : الأغاني .

لا يني بفقدان العقل (١) ، وهذا هو رأى ابن المعتز في الراح بعد ما ترك حدائقه وشبابه (٢) .

(٣)

ابن المعتز والغناء :

واشتهر ابن المعتز بصوغ الألحان ، وكان حسن العلم بصناعة الموسيقى والكلام على النغم وله في ذلك وفي غيره من الآداب كتب مشهورة ومراسلات جرت بينه وبين عبيد الله وغيرهم تدل على فضله وغزارة علمه وأدبه (٣) ، وكان ممن صنع من أولاد الخلفاء فأجاد وأحسن وتقدم جميع أهل عصره فضلا وشرفا وأدبا وشعرا وظرفا وتصرفا في سائر الآداب (٤) ، ويعتد صاحب الأغاني ألحانه التي صنعها في أبيات من شعره والتي ذكرتها تسعة ألحان (٥) ، رعا استجاده صاحب الأغاني منها صنعه في شعره :

زاحم كمي كنه فالتويا وافق قلبي قلبه فاستويا
وطالما ذاقا الهوى فالتويا يا قرة العين ، وباهمي ، وباه (٦)

(١) فصول النمايل .

(٢) وروى الدرر لأبن المعتز (١٨١ رسالة الغفران) :

لا تطل بالكؤوس على وحبيبي ليس يوي يا صاحبي مثل أمسي

لا تلتقي وسل مشبي عني مذ عرفت الحنين أنكرت نفسي

ثم يقول : فهذا حشنة كثيرة ساذجة على أن يستكثر من البلاغة وما حفظ حق الخلقة ، والعجب طمعه في أن يمل ، كأنه في العبادة شعب ويل .

والبيتان ليسا في ديوانه ، وهو لم يبلغ الحنين وإنما غاربهما ، والبيت الثاني يناقض الأول ففي الأول هو وولي الثاني روح الزهد والرشاد .

(٣) - ١٤١ : ٩ الأغاني .

(٤) ١٤٠ : ٩ الأغاني .

(٥) راجع ١٤٢ : ٩ الأغاني .

(٦) ١٤٢ : ٩ الأغاني ، ويقول أبو الفرج : أراد هنا بقوله « وباه » ما يقوله الناس في

حكاية الشيء الذي يخاطبون به الإنسان من قبل ويبيع فيقولون : قلت له يا سيدي وباه مولاي وباه وباه ، وكذلك ضده ، لينفي بهذا النداء عن الشرح .

كان ابن المعتز يفتيه المغنون والمغنيات ، ويأمرهم هو كثيرا فيغنون ، وكان له غلمان يسمع منهم الغناء ، ومن المغنيات اللاتي له معين أخبار : هزار وزياب وبنت الكراعة وخزاي وشريرة (١) ؛ ومن الغلمان : نشوان وأحمد ابن أبي الملا وسواهما ، وله مع هؤلاء وأولئك كثير من الأخبار (٢) ، وكان له مجالس حظ يطلب إليها الفتيان ويستدعيهم (٣) .

على أنه ليس في الألفان وسماها وتلحينها ولا في الموسيقى والطرب بها شيء يعاب به شاعرنا ابن المعتز .

فقد كان الغناء في عصر ابن المعتز من ضروريات الحياة ، وكان في الصدر الأول من أقسام فن الأدب .

وكان الكتاب والفضلاء والخواص في الدولة العباسية يأخذون أنقسامهم به حرصا على تحصيل أساليب الشعر وقبونه (٤) ، واشتغل جماعة من الخلفاء من بني العباس بصناعة الألفان والتلحين وأشهرهم الواثق والمنتصر والمعتز والمتنشد أما أبناء الخلفاء فأول من دونت لهم صنعة منهم إبراهيم بن المهدي ثم أبو عيسى (٥) ابن الرشيد وعبد الله بن موسى الهادي وعبد الله بن محمد الآم (٦) ، وأبو عيسى ابن المتوكل وعبد الله بن المعتز وغيرهم (٧) .

فلا إبراهيم بن المهدي صنعة في الغناء يتقدم بها كل أحد وكان إسحاق وإبراهيم

(١) كان كما يقول صاحب الأغاني «ولما يجيها ويهم بها وكانت جارية له (١٤٢: الأغاني) » وشبب بها كثيرا في شعره ، وله فيها ما تزوجت به ابن البقال اللقي :

لئن صرت لالقال يا شر زوجة فلا يحب قد يرهب السكب في الشمس
(٢) راجع ١٤٢ — ١٤٥ : الأغاني .

(٣) ٣٠ : ٤ زهر

(٤) ٥٥٤ مقدمة ابن خلدون .

(٥) في رسالة الفيران (ص ١٤٦) حديث عن مجونه : وكان يستحسن شعره في البيوت الثلاثة (١٤٧ رسالة الفيران) ، وله ترجمة في الأوراق قسم أشرار أولاد الخلفاء (٨٨ — ٩٤) ، وتوفي عام ٢٠٩ هـ .

(٦) راجع ترجمته في ٩٧ — ١٠١ الأوراق .

(٧) ٣٧ : ٥ المدن ، ٩٤ : ٤٩٤ الأدب العباسي السباعي يوي ، ٤٣ : ٤٤ الأدب العباسي لعمود مصطف

يأخذان عنه ويتحاكم المغنون إليه في صناعته وله كتاب الغناء (١) ، وكان الواثق م ٢٢٢ هـ أعلم الناس بالغناء وكان يصنع الألحان العجيبة ويغنى بها (٢) . وفي الأغاني كثير من صنعه (٣) ، وللخلفاء بعد المتوكل صنعة وألحان ذكرها أبو الفرج في أغانيه . وكانت عناية الخلفاء وأهله شديدة واتخذوا من المغنين تدماءهم وأغدقوا عليهم العطاء بل ساروا إليهم في منازلهم كالرشيد إذ زار إبراهيم الموصلي في داره ليسمع الغناء (٤) . وإذا كان الترف منذ العصر العباسي قد بلغ أقصى الغايات فلا بد أن يكون الغناء فيه قد بلغ مثل ذلك ، وأثر في النهوض بالشعر أوضح تأثير . فالغناء دعا إلى رقة الشعر وأشاعه بين الناس (٥) .

وقد ألف في الغناء كتب كثيرة ، والخليل أول من ألف فيه وتبعه إسحاق الموصلي (٦) (١٥٠ — ٢٣٥ هـ) . وكتاب النغم للخليل ، وكتاب أخبار المغنين لإسحاق مشهوران ، كما ألف فيه جحظة وإبراهيم بن المهدي ، ولعميد الله بن عبد الله بن طاهر م ٣٠٠ هـ كتاب الآداب الرفيعة في الغناء والمناديات . ولابن المعتز كتاب الجامع في الغناء وهو مفقود ، وقد استقصى هؤلاء المؤلفون الفن وقواعد النظم وأخبار المغنين ومجالسهم وأخبار الشعراء منهم ، ثم ألف أبو الفرج كتابه الأغاني في الأصوات المائة التي اختيرت للرشيد ، وهذبت في عهد الواثق ، ويشيد به ابن خلدون (٧) .

* * *

وبعد : فقد شارك ابن المعتز في هذا الباب عصره وبشبهه والمجتمع الذي يعيش فيه ، فكيف نؤاخذ به برأي بعض الناس في الغناء وسماعه .

-
- (١) ١٦٨ فهرست
(٢) ١٣٥ : ٢ التنظير
(٣) ١٦٢ — ١٧٥ : ٨ الأغاني
(٤) راجع ٤٤٣ : الأدب العباسي لمحمود مصطفی
(٥) ٣٩٢ العصر العباسي للبياع يوي
(٦) ١٨٧ رسائل الجاحظ ، وإسحاق ترجمة طويلة في فهرست (٢٠١ — ٢٠٤)
(٧) ٥٥٤ و ٦٦٩ المقدمة
(٩)

الفصل السابع

مؤلفات ابن المعتز وثقافته

(١)

ألف ابن المعتز كتباً كثيرة منها :

- ١ - كتاب الزهر والرياح
- ٢ - البديع
- ٣ - مكانيات الإخوان بالشعر
- ٤ - الجوارح والصيد
- ٥ - السرقات
- ٦ - أشعار الملوك
- ٧ - الآداب
- ٨ - حلل الأعيان
- ٩ - طبقات الشعراء
- ١٠ - الجامع في الفناء
- ١١ - أرجوزته في ذم الصبوح (١)

وهذه الكتب أكثرها مفقود ونشير إلى الموجود منها :

- ١ - كتاب البديع طبع بأوروبا عام ١٩٣٥ وطبعناه بشرح واسع عام ١٩٤٥ ، وقد ألفه ابن المعتز عام ٢٧٤ هـ
- ٢ - طبقات الشعراء (٢) نشره عباس إقبال بأوروبا عام ١٩٤٢ . وكنت عازماً على نشره من جديد لولا أن يعض الأديباء قام بهذا العبء وهو عبدالستار فراج .

(١) ١٦٩ فهرست ، شذرات ، ٤٦٢ : ١ وفيات ، ١٩٤ البحر الباسم للاسكندري ، ١٦٣ : ٢ زبدان ، ٤ مقدمة ديوانه طبع بيروت
(٢) ورد ذكره في كشف الظنون (٨ ج ٢ ، ٢ ، وفي دائرة المعارف الإسلامية «طبقات»

- ٣ — أرجوزته في ذم الصبوح (١) .
٤ — وكتابه أشعار الملوك يوجد في مكتبة المستشرق اهيورات (٢)
٥ — وكتاب الآداب منه نسخة خطية في المتحف البريطاني (٣)
هذا ولابن المعتز كتب أخرى نشر إلينا :
١ — ديوان شعره ، طبع بمصر عام ١٨٩١ في جزءين ثم طبع ببيروت عام ١٣٢٢ هـ مرة أخرى بشرح لغوي موجز في جزء واحد ، والديوان المطبوع لا يحتوي على كل شعره ، ودار الكتب الملكية نسختان مخطوطتان كاملتان من ديوانه ، وطبعه مستشرق ألماني في أربعة أجزاء في استامبول .
٢ — رسائل ابن المعتز لم يجمعها أحد من قبل ، وقد قمت بجمعها من شق المصادر ونشرتها عام ١٩٤٦ .
وتشمل ما يأتي :
١ — آثاره في النقد الأدبي ومنها رسالته في محاسن ومساوي شعر أبي تمام (٣)
ب — رسالته الأدبية ونثره الفني .
ج — حكم وآداب ومنها جزء كبير من كتابه الفصول القصار (٤) .

== الشعراء المحدثين == ولم يبق منه غير جزء واحد (٢٨٠ المجلد الأول) ، ومنه نسخة خطية بالاسكوريال رقم ٢٧٩ بعنوان المختار من طبقات الشعراء لابن المعتز (راجع معجم المخطوطات العربية) ، واسمه في آداب اللغة لزيدان (١٦٣ : ٢) مختصر طبقات الشعراء : واسمه في النسخة التي نشرت بأوربا = طبقات الشعراء في مدح الخلفاء وأبوزراء =
(١) راجعها في : ٣٠٦ — ٣١٢ ديوانه ، ٢٥١ — ٢٥٨ الأوراق ، ١٠٧ — ١١٤ — رسائل ابن المعتز
(٢) ١٦٣ : ٢ زيدان ، وللتأني كتاب بهذا الاسم (٤٣٩ فهرست) وكذلك لابن الخرون (٢١٢ فهرست)
(٣) راجعها في ٣٠٧ — ٣١٩ للوشح ، ويشير إليها ايت رشيق إشارة عابرة (٢٥٥ : ١ المدة)
(٤) أشار إليه ابن المعتز في كتابه البديع (س ٩٠) وأشار إليه الشهاب الخفاجي ونسج على متوالف في كتابه «الفصول القصار في نتائج الأسماء» (٢٨١ ربحانة الألبا) ، وذكر ==

- د — أرجوزته في ذم الصبوح وشرح لأرجوزته في الخليفة المعتضد م ٥٢٨٩ (١)
- ه — ثم الفهارس وبعدها جزء كبير من شعره الذي لم ينشر من قبل في ديوانه المطبوع .
- و قد عثيت بذكر المراجع التي نقات منها ، وبإخراجه في أجل ثوب وأدق ترتيب .
- ٣ - فصول القائل في تباشير السرور ، ومنه نسختان محطوطتان بدار الكتب ١٦٦ و ٤٧٩ مجاميع) ، والنسخة الأولى بخط عبد الحليم بن أحمد وكتبت عام ١٢٠٥ هـ ، والنسخة الثانية حديثة بخط محمود صالح ، ومن الكتاب نسخة خطية بمكتبة برلين (٢) ، وقد طبع الكتاب عام ١٩٢٥ بالقاهرة : وينقل عنه صاحب كتاب سدره الأدب في مقشاهات العرب كثيراً دون إشارة إليه إلا قليلاً .
- ٤ — ولابن المعتز كتب من جمعه وتأليفه في أخبار عريب المغنية (٣) وينقل عنه أبو الفرج كثيراً في ترجمته لعريب (٤)
- ٥ — كتاب الشراب شعر ونثر وهو في مكتبة (٥) باريس .
- ٦ — وترجم جزءاً من شعره وحياته إلى الألمانية لانغ الألمانية وطبعه في المجلة الألمانية الشرقية عام ١٨٨٦ م (٥) ، ونشر لانغ أرجوزته في تاريخ المعتضد وشرحها وترجمها إلى الألمانية (٦) ، ولعل الجزء الذي نشره من شعره كما يقول زيدان هو ترجمته لأرجوزته في المعتضد التي تذكرها دائرة المعارف ،
-
- == الشهاب كتابه في الرحانة (٢٨١ — ٢٨٥ الرحانة) ؟ وينقل المصري في زهر الآداب والصول في الأوراق كثيراً من الفصول القصار لابن المعتز ، كما ينقل عنه كثير من المراجع الأخرى .
- (١) تقع في ٤١٨ بيتاً وهي في ديوانه ونشرت وحدها عام ١٩١٣ وقد ترجمها إلى الألمانية وشرحها لانغ الألماني عام ١٨٨٦ م ، وهي صورة مصفرة لشعر التلاحم كالإبادة والشاعنة وسواها
- (٢) ١٦٣ : ٢ زيدان
- (٣) ١٧٧ : ١٨ الأغاني
- (٤) ١٧٥ — ١٩٤ : ١٨ الأغاني . وكانت عريب من أحسن النساء وجهاً وأصغرهن سناً وكانت شاعرة مثقلة (٢٠٠ طيفات الشعراء لابن المعتز) وكان المأمون أعظمها
- (٥) ١٦٣ : ٢ زيدان
- (٦) ٢٨٠ المجلد الأول من دائرة المعارف الإسلامية

وقد فعل مثل ذلك لوث ، وطبعه في ليبسك عام ١٨٨٢ م . ولابن المعتز قصائد متفرقة في مكاتب برلين وغوطة .
وبعد مؤلفات ابن المعتز ثروة أدبية رائدة تتم عن أدب واسع وثقافة كبيرة وإحاطة تامة وانصراف إلى العلم والأدب والشعر جدد كبير .

(٢)

حول فصول التماثيل :

ورد في الفهرست أن حمزة بن الحسن الأصمغاني كتب منها : كتاب التشبيهات وكتاب التماثيل في تبشير السور (١) ، وكتاب ابن المعتز اسمه فصول التماثيل في تبشير السور ، ولم يرد ذكره في الكتب التي أشارت إلى مؤلفات ابن المعتز .
وأسلوب الكتاب أسلوب قد يعمل القارىء على الشك فيما إذا كان عصر ابن المعتز يألف مثله ، ففيه ألوان من السجع المنمق تطالعك في مقدمة الكتاب وشيء من فصوله .
ولكننا مع ذلك نؤمن بأن الكتاب المطبوع يصحح النسبة لابن المعتز ، والأدلة على ذلك كثيرة :

١ — ليس في وجود كتاب بهذا الاسم أو قريب منه حمزة الأصمغاني ما يثبت وجود كتاب آخر بالاسم نفسه لابن المعتز .
فقد رأينا أن لكثير من المؤلفين كتباً باسم « الشراب » و « الآداب » و « الصيد والجوارح » . ولكثير من العلماء كتب باسم « معاني القرآن » و « معاني الشعر » ، وغير ذلك .

٢ — وليس في عدم ذكر الكتاب في المصادر التي أشارت إلى كتب ابن المعتز ما يثبت نسبه عنه ، فالفصول القصار مثلاً من مؤلفاته قطعاً ولم يرد ذكره في هذه المصادر ، وكذلك كتابه في « عريب » ورسائله في أبي تمام ، على أن المصادر التي

(١) ١٩٨ فهرست . وأبو الحسين حمزة الأصمغاني هو الذي جمع شعر أبي نواس وتقدمه (٦٥ : ٢ زيدان) وهو من أهل العصر العباسي الثاني (١٧٧ : ٢ زيدان) ، وله كتاب سبى ملوك الأرض والأنبياء طبعه غوثوالد مع ترجمة لابنية في ليبسك ١٨٤٤ — ١٨٤٨ م

عنيت بذكر مؤلفات ابن المعتز تصرح بأن له كتباً كثيرة وأن مذكرته هو بعض كتبه ، وأص عبارة ابن النديم التي نقلها كل الباحثين بهذه هو ، وألف ابن المعتز كتباً كثيرة منها . (١)

٣ - وليس في السجع الموجود في مقدمة الكتاب وفصوله ما ينفي نسبه لابن المعتز ، فإن أسلوب ابن المعتز كان يزدان كثيراً بالسجع ، وروح السجع في الفنايل هي نفس الروح التي تجدها في كتابه ، طبقات الشعراء ، الذي لا يشك أحد في نسبه إليه .

وقد تكون مقدمات الكتابين من أسلوب بعض الرواة أو النساخ الذين عنوا بالكتابين ، فقد كانوا يبدأون بنسخ الكتب أو روايتها بمقدمة في حمد الله يكتبونها ثم تمر الأيام فتندج هذه المقدمة في الكتاب المروي وتسير على أنها من أسلوب المؤلف نفسه ، على أن السجع لم يكن بدعة في القرن الثالث فقد كان بعض الكتاب يسجعون واسكنه كان سجع الفطرة والجمال والطبع وقوة الملكة في البيان والذي يرى إلى الحقائق القرينة لا إلى تصوير النزعات الفكرية والعقلية ، وكان قصير الفقرات يتخلله ألفاظ يترك فيها السجع إلى الازدواج ، وفي وصية أبي تمام للبحر (٢) شاهد على ظهور السجع واضحا في القرن الثالث ، سواء قلنا إنها نفس أسلوب أبي تمام أو إنها بأسلوب البحرى تصويراً لفكرة أبي تمام ، وإذا ذهبنا إلى أن الكتاب خزانة الاصفهاني فالمسألة كما هي من ناحية ظهور السجع في أسلوب الكتاب لأن الحسن بن عايشا في القرن الثالث الذي عاش ابن المعتز أيضا فيه ، على أن السجع لا يملأ الكتاب كله ، بل إنما تجده في الموضوعات الفنية التي تثير روح الفن في نفس ابن المعتز ، فيقف أمامها كالفتان ليعادل بين جمالها وجمال الأسلوب الذي يتحدث عنها ويصفها ، وفيما عدا هذه الموضوعات نجد أسلوباً عليماً يسهر وراء العقل ويبعد عن السجع الذي تحوكه العاطفة وأيدي الفن الذي يشيع في نفس السكاكيب ، وتجده أمثلة لذلك في شتى فصول الكتاب (٣) ، وهذا الأسلوب المرسل أكثر بكثير مما في الكتاب من أسلوب مسجوع .

(١) ١٦٦ فهرست

(٢) راجعها في : ١٠١ : ١ زهر ، ١٠٩ : ٢ السدة

(٣) راجع من ٧١ و ٩٦ فصول الفنايل .

٤ — وفي الكتاب أدلة كثيرة تثبت أنه لابن المعتز :

- (١) يذكر عقب كلام له ما نصه : « وقد ذكرنا ذلك في كتابنا البديع » (١)
(ب) ويروى كثيراً من شعره الذي ينسبه ابن المعتز لنفسه مصرحاً باسمه (٢)
(ج) ويذكر فيه اسمه ولقبه كثيراً (٣) عملاً بدع مجالاً للشك في نسبه إليه .
(د) والكتاب يتحدث عن التشبيهات التي قالها العرب في الراح وكل ما يتعلق بها ، فموضوعه الأول ذكر التشبيهات الرائعة الواردة في باب الخزيات وأسلوبه فيه يسكنر فيه التشبيه . وهذه هي روح ابن المعتز وسمة من سماته التي يعرف بها ، وتميزه وحده عن سواء ، وهي العناية بالتشبيه والإكثار منه وقصده في الأسلوب .

(هـ) وجميع الأعلام الواردة في الكتاب لا تتجاوز عصر ابن المعتز ، ويشير فيه أحياناً إلى المعتضد (٤) .

(و) يقول التوابعي م ٨٥٩ هـ في حلية السكيت : قال ابن المعتز : ومن خاصة الشراب جودة الحضم (٥) الخ ، وهذه العبارة تجدها في فصول التآثيل (٦) .

وبعد فلا شك في نسبة هذا الكتاب لابن المعتز ، وابن المعتز يذكر فيه اسم المعتضد بلقبه أمير المؤمنين (٧) ، وذلك مما يدل على أنه ألف في عهد الخليفة المعتضد بالله م ٢٨٩ هـ أو بعد عهده بقليل .

ومن الجدير بالذكر أن تشير إلى أنه كان لابن المعتز وراق يكتب له كل ما يريد (٨) ، والوراق يعدل (السكرتير) اليوم ؛ ولا شك أن ذلك كان مما يساعد ابن المعتز على الإنتاج وكثرة التأليف .

(١) ٩ فصول التآثيل

(٢) راجع ص ٨ و ١٢ و ٣١ و ٣٢ من الكتاب

(٣) راجع ص ٩ و ١٥ و ٢٠ و ٢٢ و ٢٨ و ٢٩ و ٣١ و ٣٥ و ٤٦ و ٧٠ و ٨٥ من الكتاب

(٤) ص ١٥ و ٤٥ و ٤٦ و ٤٧ من الكتاب

(٥) ص ٩٣ حلية السكيت للتوابعي

(٦) ص ١٢ فصول

(٧) ص ١٥ و ٢٠ و ٤٦ فصول

(٨) راجع ٦ مقدمة ديوان البحتري

ثقافة ابن المعتز :

١ - كان ابن المعتز واسع الثقافة غزير الاطلاع كثير البحث والمكتابة والتأليف وأجمع على ذلك جميع الباحثين .

فقد كان مخالطاً للعلماء والأدباء معدوداً في جملتهم (١) ، تأدب على شيوخ العربية في عصره فنشأ ولوعاً بالآداب (٢) بارعاً فيه غزير الفضل (٣) ، ونشأ في الرواية والسجع فكان يكثر في مجالسه من حديثنا وأخبارنا (٤) وكان يقدم أهل العلم ويؤثرهم (٥) وكان يلزم كبار العلماء والشعراء وأعلام الآداب في بغداد ، وأخذت مصنفاته الأدبية تلفت إليه الأنظار يوماً بعد يوم (٦) ، ولا غرو فقد ولد في بيت الخلافة ورعى تربية الملوك وشغف من صغره بالعربية والآداب وأخذ عن المبرد ونعاب والدمشقي وغيرهم (٧) ، وكان متعلقاً بقراءة الكتب وتواريخ من سلف حاوياً زينة العلوم والفنون والآداب (٨) ، إلى غير ذلك مما وصفه به الباحثون .

٢ - ونىخ ابن المعتز في الشعر وأجاد فيه ، وكان مترسلاً وكاتباً بليغاً ، يقر له العلماء بالبيان والبلاغة ، وكان ناقدًا واقفاً على خصائص الآداب والشعر والبيان

-
- (١) ٢٢٢ : ٢ شبرات ، ٤٦١ : ١ أوفيات ، ٨٣ : ١ هجرى ، وراجع ١٦٢ و ١٦٣ : زيدان
(٢) ٢٧٠ الآداب العربى الزيات
(٣) راجع ٥٩٩ نزعة الآباء
(٤) كان راوية للآداب وفى أصول الآداب كثير من الروايات له (راجع مثلا : ٩٤ : ٥ و ١٠٩ : ٦ مجمع الأدباء و ٩٧ و ١٠١ — ١٠٤ و ١٢٣ : ٩ الأغاني ، ١٩٠ : ١ و ١٨٧ : ٢ زهر الآداب)
(٥) ١٠٧ الأوراق
(٦) ٢٧٩ و ٢٨٠ المجاهد الأول من دائرة المعارف الإسلامية
(٧) ١٩١ الاسكتندرى
(٨) ٢٤٧ الفرر الحسان قشورى

وله آثار كثيرة في الشعر والكتابة والنقد ، وذلك كله دليل على سعة ثقافته الأدبية والعربية التي كان من أساتذته فيها المبرد وتعلب .

وكان حسن العلم بصناعة الموسيقى والكلام على النغم وله كتب مشهورة (١) ، وله صنعة في الغناء أجاد فيها وأحسن وبرع وتقدم جميع عصره (٢) .

وله ثقافة في التاريخ يشهد بها شعره وأدب جودته في تاريخ المعتضد وكل الباحثين الذين وفوا ابن المعتز حقه من البحث .

وله ثقافة في علوم الدين نشق بها من شعره على يد أستاذه أحمد بن سعيد الدمشقي وسواه كما تشهد بذلك قصيدته التي بحث بها إلى أستاذه (٣) .

وله ثقافة في علم الكلام يشهد بها كثرة اقتباسه في شعره من مصطلحات المتكلمين فقرأه يقول :

هوى هوى باطن ظاهر قديم حديث لطيف جليل (٤)
ويقول في الراح :

من كل جسم كأنه عرض يكاد لطفًا باللفظ ينتمب
ويقول في أبي الصقر :

وذكر السعد والنحوس والجوهر المعقول والمحسوس
والعرض الظاهر التجسيم والقول في طلائع النجوم
وقدم النظام أو ثمانية وذكر التعديل والاقامة

وله إلمام بعلم النجوم يشهد بذلك كثرة أو صافه للكواكب والنجوم والسماء ومظاهر الطبيعة في شعره كثرة غير مألوفة عند الشعراء ، وكان العلم بالنجوم سمة الأدباء والنبلاء في عصر ابن المعتز .

٣ — وبعد ، فهل كانت ثقافة ابن المعتز ثقافة عربية خالصة أم ثقافة تجمع إلى الثقافة العربية الإسلامية الثقافات الأخرى المترجمة .

(١) ١٤١ : ٩ الأغاني

(٢) ١٣٩ : ٩ الأغاني

(٣) ١٣٣ : ١ معجم الأدباء

(٤) وروى لابن المذحل أيضا (٧ : ٢ السدة)

اختلف في ذلك الباحثون :

(أ) ففريق يرى أنه درس شتى العلوم والثقافات ومنها الفلسفة ، فقد شارك في أكثر العلوم العقلية والمقلية (١) ، ولم يكن علم يعرفه أئمة عصره وفلاسفته دهره إلا مبر فيه وألم به حتى هابه وزراء الدولة وشيوخ كتابها (٢) ، فقد قرأ الأدب وعلوم الأوائل على مؤدبه أحمد بن سعيد الدمشقي (٣) ، وكان ابن سعيد متفلسفا (٤) ، وهكذا تنقف ثقافة جمعت فيها علوم الأوائل والأواخر فاقطعت من كل فن ما شئسى ، (٥)

(ب) وفريق يخالف هؤلاء في الرأي ، فيقول باحث منهم : ويظهر أنه لم يكن يأخذ نفسه بحظ واسع من الفلسفة والثقافة الأجنبية ، إنما انحصرت ثقافته أو كادت في حدود الثقافة العربية ، واستدل على ذلك بقصيدة ابن المعتز التي أرسلها إلى أستاذه ابن سعيد والتي يقول فيها :

سربلتني حكمة قد هذبت شيمي وأججت نار ذهني فهي تشتعل
أكون إن شئت قسا في خطابته أو حارثا وهو يوم الحفل مرجل
وأن أشأ فكرويد في فرائضه أو مثل نعمان لما ضاقت الحيل (٦)
أو الخلسل عروضا أعا فطن أو الكسائي نحويا له عال (٧)

وفي كلام هذا الكاتب قلق واضطراب وعدم استقرار في الفكرة التي يريد أن يؤيدها كما يراه من يرجع إلى كلامه ، وفيه خطأ في الاستدلال بهذه القصيدة على لون ثقافة ابن المعتز ، فإن المرجع الذي روى هذه القصيدة والذي نقل عنه هذا

(١) ٢٧٥ تاريخ الأدب العربي لازيات

(٢) ١٩١ تاريخ آداب الأمة في العصر العباسي للاستغفري ، ٢٧٠ الوسيط

(٣) ٧٤ تاريخ الأدب العربي للدارس الثانوية

(٤) ٢٠ الوسيط

(٥) ١٩ تراجم الشعراء والكاتب

(٦) قس : حكيم جاهلي مشهور ، والحارث هو الحارث بن حذرة البكري الشاعر المشهور ،

وزيد هو زيد بن ثابت كاتب الوحي لرسول الله والتوفي عام ٤٣ هـ ، ونعمان هو أبو حنيفة النعمان م ١٥٠ هـ وإمام في الفقه والشرع

(٧) راجع ١٤١ و ١٤٢ الفن ومناهجه في الشعر العربي

السكاتب يذكر أنها لابن المعتز وهو في الثالثة عشرة من عمره (١) ، فكيف يستدل بها على ثقافة الشاعر . ويجعل باحث آخر ابن المعتز من أظهر الأمثلة لطائفة الشعراء والأدباء الذين درسوا الأدب قديمه وحديثه فأخذوا القديم عن اللغويين ولستكنهم عنوا بالمحدث وحفلوا به (٢) وأذواقهم تنحدر من أصول عربية محضة أو عربية خالطها شيء مما جاء به الموالي ولم تنبها كاللغويين المعارف الأجنبية ولم تقبل في الدراسة إلا على ما هو عربي (٣) .

(ج) ونحن لا يعنيننا من الرأي الأول إسرافه ودعواه بأن ابن المعتز أحاط بكل علم من علوم الفلسفة ، ولا يرضينا من الثاني دعواه بأن ثقافته عربية خالصة مع عجزه عن إقامة الدليل على ما يقول .

سأحاول أن أوضح هذه الناحية الغامضة في حياة وشخصية شاعرنا عبد الله ابن المعتز .

أفقد عرفنا بما سبق أن والدة ابن المعتز من عنصر رومي ، ولا شك في أن لهذا العنصر خصائصه في الاتجاه والتفكير .

وفي طفولة الشاعر عكف على دراسة القرآن والدين والأدب مما يصوره بوضوح في قصيدته التي بعث بها إلى أستاذه ابن سعيد .

وفي يده شيئا به اتصل الشاعر ببيات اللهو وعاش عيشة حرة من كثير من القيود فتسادم الظرفاء الذين لا يعنون إلا باللهو دون ما سواه من مقومات التفكير :

ولا حاسبا تقوم شمس وكواكب ليعرف أخبار الدلو من أسفل
يقوم كحرباء الظهيرة ما تلا يقاب في اسطرلابه عين أحول

وشغل بالأدب والعربية مع علوم الدين :

شغلي إذا ما كان للناس شغل دفتر فقه أو حديث أو غزل

وبعد ذلك نجد الشاعر مهتما بالنجوم ومظاهر الطبيعة البعيدة وبوصفها في شعره ، مما يدل على أنه قرأ كثيرا وأمر بما قرأ إلى حد كبير .

(١) ١٣٣ : معجم الأدباء

(٢) ١١٦ تاريخ النقد الأدبي عند العرب

(٣) ١١٧ المرجع .

ثم نجدته يتصل بالعلماء والأدباء ويختلط برجال الفكر ويصادق المشتغلين بالعلوم العقلية كملى بن المنجم وابنه يحيى بن علي وكعبيد الله بن طاهر ، وكجعفر ابن قدامة وسوام ، ويجده يتصل بخنيزن بن اسحاق ويسأله عن أشياء ويكتب رأييه فيها في كتابه فصول (١) القائل كما أنه لا يترك قد اتصل بالمرخسي الفيلسوف تليذ السكندى وأستاذ المعتزلة وتديبه ، ويجده فوق ذلك يخرج كتابه الفصول القصار ، وفيه حكم اجتماعية وسياسية وخالقية أدبية حكم ابن المقفع ويظهر فيها أثر الثقافة الفارسية ، ويجده في شعره في هذه الفترة آثارا كثيرة واضحة من الحكم العميقة ، وأساليب التفكير البعيدة ، وتزعزعت العقل الحر الواسع الأفق والاتجاه المتأثر بفلسفة الحياة وأسباب الثقافات المترجمة ، كما نجدته يخرج كتابه فصول القائل ، صورة عقلية الناضجة المتأثرة بالثقافة اليونانية ، المترجمة بعد عصر الشباب ، حيث ينقل فيه عن أهل الحكمة والحكمة (٢) وعن الاطباء (٣) وعن جالينوس (٤) ويعرض آراءه فيها دقة وحق وتأثر كبير واضح بالعلوم الحديثة ، ثم نجدته ينظم أرجوزة في تاريخ المعتزلة مما يدل على عقلية خصبة جديدة استطاعت أن تنظم التاريخ وأحداثه وتختصمها الصبغة الفن وذوقه .

كل ذلك يدلنا على أن ابن المعتز إذا كان قد اقتصر على الثقافة الأدبية وحدها في بدء شبابه فقد أكل ثقافته وقرأ شتى الثقافات وخالط رجالها وأعاد منها وتأثر بها إلى حد كبير بعد صبوة الشباب وعهد لذاته حتى أشاد أبو الفرج بأدبه وشعره وفضلته وحسن أخباره وتصرفه في كل فن من العلوم (٥) ، ففي عقاية ابن المعتز وثقافته ألوان ثلاثة : عربي مستمد من الأصل والبيئة والاتجاه ، وفارسي مستمد من شيوع الثقافة الفارسية في عصر ابن المعتز وكثرة العناصر الفارسية التي كانت تعمل على تلوين الفكر الإسلامي بصيغتها ، ويوناني مستمد من أثر الوراثة عن والمدته ، ومن العلماء والفلاسفة الذين خالطهم الشاعر وتأثر بهم ومن ذبوح الثقافة

(١) راجع ٢٤ و ٢٥ فصول .

(٢) ١٥ و ١٦ و ٢٠ و ٢٣ و ٦٧ .

(٣) ١٧ و ٢٤ و ٣٦ و ٧٠ فصول .

(٤) ٢٧ و ٤٠ و ٨٦ و ٨٨ — ٩٠ فصول .

(٥) ١٤١ : ٩ الأغانى .

اليونانية وانتشار موجة الفلسفة في عصره وخاصة في عهد المعتضد بالله ، ولكن ابن المعتز على أى حال لم يهش فيلسوفاً ولا حكيماً وإنما عاش أديباً وشاعراً قبل كل شيء .

٤ — وبعد فإنتاج ابن المعتز الأدبي يعد عصر الشباب مقسم بالترعات الجديدة في تفكير الشاعر وعقليته وثقافته وتقرأ أمثال قصيدته :

يا غزال الوادى بنفسى أنسا لا كما بت لیسلة الحجر بنا
فتجد نفسك أمام صورة كاملة من الفن تتم عن روح قوية وما كانت خصبة
وعقلية من طراز خاص .

ويطول بنا البحث لو عرضنا أمامك آثار التفكير العقلي في إنتاج الشاعر الأدبي بعد عصر الشباب ، فلنكتف بذلك الآن في هذا الموضوع .

وبعد فإن لانشأة الشاعر وبيئته وحياته وصلاته بأجواء الحياة الأدبية والعلمية والاجتماعية في عصره اتصالاً وثيقاً ولحيته العامة وتجاربه الواسعة . لكل ذلك أثره البعيد في عقلية الشاعر وثقافته ، ولكن مهما قيل عن ابن المعتز فهو شاعر أولاً وعالم ممتاز في الصف الأول من علماء عصره أخيراً .

الْبَابُ الثَّالِثُ
شعر ابن المعتز

الفصل الأول

شعر ابن المعتز

(١)

تمهيد ما هو الشعر ؟ :

عرفه أرسطو بأنه كلام عجيل مؤلف من أقوال موزونة متساوية . والتخيل هو الكلام الذي يتفعل له الإنسان انفعالا نفسانيا غير فكري (١) . وعرفه قدامة وابن رشيق بأنه كلام موزون مقفى يدل على معنى (٢) . ويقول المعري الشعر كلام موزون تقبله الغريزة على شرائط إن زاد أو نقص أباته الحس (٣) . ويقول ابن خلدون: الشعر هو الكلام البليغ المبني على الاستعارات والأوصاف المفصل بأجزاء متفقة في الوزن مستقل كل جزء منها في غرضه ومقصده عما قبله وبعده الجاري على أساليب العرب المخصوصة (٤) . والشاعر من شعر يشعر وإنما سمي شاعرا لأنه يشعر من معاني القول وإصابة الوصف بما لا يشعر به غيره فكل من كان خارجا عن هذا الوصف فليس شاعر وإن أتى بكلام موزون مقفى (٥) . فإذا لم يكن عند الشاعر تركيز معنى ولا اختراعه أو استظرافه وابتداعه كان إطلاق اسم الشاعر عليه مجازا لا حقيقة ولم يكن له إلا فضل الوزن (٦) ويعرفه المحدثون بأنه الكلام المنقووم الذي يعتمد فيه صاحبه على الخيال ويقصد فيه إلى الجمال الفني (٧) ، وبأنه الكلام الموزون المقفى

(١) راجع الفن التاسع - الشعر - من الشفاء لابن سينا .

(٢) ١٣ نقد الشعر و ٩٩ : ١ العدة .

(٣) ٥٥ رسالة النفران للمري .

(٤) ٥٧٢ مقدمة ابن خلدون .

(٥) ٧٧ نقد النثر . (٦) ٩٦ : ١ العدة

(٧) ٣٢٧ الأدب الجاهلي .

الذى يصور العاطفة (١) . ويعرفه الرصافي بأنه مرآة من الشعور تنعكس فيها صور الطبيعة بواسطة الانعكاس (٢) انكاسا يؤثر في النفوس . ويقول آخر : هو الحياة باكية وضاحكة عاطفة وصامتة (٣) . ويقول أرنولد : هو كان للغة البشرية فيه يقرب الإنسان من الحق ويجسر على أن يفوه به (٤) ويقول كارليل الشعر الحقيقي هو الموسيقى الازلية التى يسمعها الشاعر من وراء الوجود (٥) . ويقول غيره : هو المحاولة الخالدة للتعبير عن روح الأشياء (٦) .

وبعد فاشعر إلهام يفيض على القلب من عالم الروح ويلبس ثوبا من الخيال الساحر . وينطق بلغة العاطفة الشاعرة ويحدث آثارا بعيدة في المشاعر والوجدان، ويستكشف معاني الحياة في كل شيء . تفكر فيه أو نحس به في هذا الوجود . والشاعر ملك يقف على قيثارة الفن الخالدة ليعت معاني الطفولة السامية الوصفية المتنبلة في الحياة وليشرق بفننه مع الفجر روحية وطهرا ومع الصبح نورا وسحرا ومع الضحى قوة وحرارة ومع الأصيل هدوءا وجمالا ومع الليل رهبة وروعة . وهو منذ الأزل يقف وسيميش في سرحة الفن يملأ الوجود شدوا وغناء في سبيل أداء الرسالة التى حملها والتي تبط بها بعث الجمال وإيقاظ الشعور وتجديد الأخلاق والسمو بالعواطف ليصل حيوان الأرض الناطق إلى مستوى ملك السماء الطاهر العظيم .

(٢)

رواة شعر ابن المعتز :

شغل شعر ابن المعتز الناس والعلماء والأدباء في عصره فقرأوه وتداولوه

(١) أصول النقد الأدبي لشايب ويقول ورد زورث : الشعر هو الحقيقة الرائقة التي تصل إلى القلب بواسطة العاطفة ، ويقول رسكن : هو عرض الواعث النبيلة للعواطف النبيلة بواسطة الخيال (٩٦ مملكة الجمال لخمود قراءة ط ١٩٣٧) .

(٢) ١٨٥ سحر الشعر .

(٣) ١ : ١٦٩ المرجع .

(٤) ١ : ١٦٧ المرجع .

(٥) ١ : ٢١٠ المرجع .

(٦) ٩٦ مملكة الجمال .

وعكفوا على دراسته وقراءته وأصبح جزءا كبيرا من تراث العربية الأدبي وعنصرا من عناصر الثقافة الأدبية للتأديين .

كان لابن المعتز وراق (١) لاشك أنه قام برواية كثير من شعره ، وكان أصدقاء الشاعر من العظماء والعلماء والأدباء رواة لشعره ، يتسابقون إلى روايته واشتهر من رواة شعر ابن المعتز اثنان . هما : أستاذه أحمد بن سعيد الدمشقي الذي روى عنه شعره وآدابه وأخباره ، وصديقه وزميله في التلذذ على ثعلب أبو بكر محمد بن يحيى الصولي م ٣٣٩ ؛ وقد روى شعره وآدابه (٢) ، وبفضلهما حفظ شعر ابن المعتز من الضياع ، وبعد وفاته تدوولت نسخ شعره في الأقطار : كأصهبان (٣) والأندلس حيث كان الناس يتشدون شعره كما ذكره ابن عبد ربه في العقد ، وسواهما من البلدان .

(٣)

بمجموعات شعر ابن المعتز :

وقد جمع شعره في كثير من المجموعات ، ونشير إليها الآن :

١ - ديوانه وقد طبع بمصر عام ١٨٩١ - ١٢٠٧ هـ ، في جزءين : الأول نحو خمسين ومائة صفحة ، ويشمل أبواب الفخر والغزل والمدح ، والثاني في ١٢٤ صفحة ، ويشمل الهجاء والخرجات والممانيات والطرديات والأوصاف والمراثي والزهد . ثم طبع ببيروت عام ١٢٣٢ هـ ؛ بمطبعة الأقبال في جزء واحد بشرح لغوي لبعض ألفاظه لمحى الدين الخياط ، وطبع في استامبول في أربعة أجزاء بعد عام ١٩٤٥ ، ومن الديوان نسخة خطية بقلم معتاد بخط محمد بن وفا الشافعي سنة ١٢٨٢ هـ في ٢٣٧ ورقة في مكتبة أباطة بمكتبة الأزهر برقم ١٩٩ أباطة و ٦٨٠٤ عامة ، ومن ديوان الشاعر رواية الصولي نسخة مخطوطة بدار الكتب الملكية في مجلد بقلم فارسي بخط ابن الفطمان كتبها سنة ١٠٩٦ هـ في ١٤٠ ورقة بخط دقيق (٤) ،

(١) مقدمة ديوان البحري .

(٢) راجع ٣٠٦ نزعة الألبا ، ٩٥ : ١٠ تاريخ بغداد .

(٣) ٢٨٥ : ٦ معجم الأدباء .

(٤) ٦٦١٠ أدب - مخطوط بدار الكتب .

ومنه نسخة أخرى مخطوطة بقلم معتاد كتبت سنة ١٢٨٥ هـ (١) ، ومئة نسخة ثالثة مخطوطة برقم ٩٠٤٦ أدب ، ونسخة رابعة بمكتبة طلعت كتبت سنة ١٢٣٠ هـ وهي برقم ٤٥٤٦ أدب ، والمديوان المطبوع ناقص كثيرا جدا عن الأصل المخطوط ، وهو عشرة أبواب كل باب سرتب حسب حروف الهجاء ، وبذيل كتابته رسائل ابن المعتز ، طائفة من شعره لم تنشر من قبل في ديوانه المطبوع (٢)

٢ - الأوراق للصول قسم أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم بشره ج هيوث المدرس بمعد الدراسات الشرقية ببلندن ، بمساعدة أوصياء جب عام ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م . وطبع مطبعة الصاوي بالقاهرة . وفيه غزليات من شعر ابن المعتز في جميع أبواب شعره عدا الرثاء (٣) ، ومنها أرجوزته في ذم الصبوح (٤) ، وفيه بعض آثار من نثره الأدبي (٥) . ويسبق ذلك كله فيها ذكر لبعض أخبار الشاعر (٦) ، ومن الأوراق مصورشعى في أشعار ابن المعتز وأخباره ، في ٦٨ لوحة بدار الكتب المصرية (٧) .

٣ - وفي دار الكتب مخطوط (٨) بعنوان جملة من شعر ابن المعتز (في الغزل والخمرات) ضمن مجموعة مخطوطة مكتوبة عام ١٣٣٤ هـ ، وقد اطعت عالمها فوجدت أن ما فيها من شعر لابن المعتز قليل جدا بما لا يستدعى أن يسمى بهذا الاسم .

٤ - في قول البلاغة للسيد محمد البكري م ١٣٥١ هـ وهو في فخر من شعر ثمانية من قول الشعراء : مسلم - أبو نواس - أبو تمام - البحتري - ابن الرومي - ابن المعتز - المنفي - المعري . وقد طبع بالقاهرة عام ١٣١٣ هـ في ١٧٩ صفحة .

-
- (١) ٥٢٤ أدب — مخطوط بدار الكتب .
 (٢) ١٢٦ — ١٤٣ وسائل ابن المعتز .
 (٣) ١١٧ — ٢٨٧ الأوراق *
 (٤) ٢٥١ — نوما بدماء الأوراق .
 (٥) ٢٨٧ — ٢٩٦ الأوراق .
 (٦) ١٠٧ — ١١٧ ، الأوراق .
 (٧) ١٣٠٠٢ ز
 (٨) ٤٨٠ مجاميع .

- — غنارات البارودي وهي غنارات من شعر ثلاثين شاعراً من لحول شعراء العربية ، من بينهم ابن المعتز الذي اختار له فيها ٧٥٢ بيتاً منها : ١٢٠ بيتاً في المدح و ١٩ في الأدب (١) ، ١٨ في الرثاء (٢) و ٨٤ في التسيب و ٨٤ في الهجاء و ١٦ في الزهد و ٦٧ في الصفات (٣) .
- ٦ — هذا غير كثير من كتب الأدب القديمة والحديثة حفلت بشعر ابن المعتز وذكرت منه كثيراً .

(١) الجزء الأول من غنارات البارودي .
(٢) الجزء الثالث من غنارات البارودي .
(٣) الجزء الرابع من غنارات البارودي .

الفصل الثاني

شاعرية ابن المعتز وآراء علماء الأدب فيها

(١)

مصادر الإلهام في نفس الشاعر :

وبعد فإن المعتز يتسم بالشاعرية ، والشاعرية سمة غالبة عليه واضحة فيه ، متصلة بأحماق نفسه وغلجات صدره ومسمات عواطفه وآثار وجدانه وعقله .

ومهما قيل عن شخصية هذا الأمير العباسي ، وحفيد خلفاء بني العباس ، وابن المعتز بالله وولي عهده طول حياته ، والناشيء المعضب الشقي بعد وفاته ، والشاب الطامع التبدل النفس العظيم الخلق ، المجتهد في تحصيل العلوم والإحاطة بالأوان الثقافات في صدر شبابه ؛ والأديب الممتاز والبلغ الساحر والعالم المحصل والمؤلف المجيد في عتقوان شبابه وطول عصر رجولته ، وصديق رجالات الدولة وعظماؤها وكتابها وعمالها ، وابن محومة الخلفاء من بعده المعتمد بالله ، والذي نودي به خليفة في آخر أيام حياته ، والذي فشل في سبيل آماله الكبار التي كانت تهبش بنفسه وصدره . نعم مهما قيل في هذه الشخصية الكبيرة وفي شتى نواحي نشاطها وتفوقها في الحياة ؛ فهو أولا وقبل كل شيء الشاعر الساحر ، ورب الشاعرية الثرة ، ووارث مجد القريض بعد أميره : أبي تمام وأبي عبادة البحرى سنين طويلا ؛ وابن حرم ابن المعتز مجد الخلافة فقد منح مجد الشاعرية والأدب وكان في هذا المجد غنى له وعن كل شيء بعده :

وشبعت من أمر وملكة وحكت بالملكات والسن
أرهقت نفسية ابن المعتز وحياته ويثته وثقافته وآماله وآلامه وعواطفه وقلبه ، ففتأ ملهم الشاعرية قوى الملكات ، ونظم الشعر يرضى به عواطفه ويصور فيه مشاعره وما يحتاج في صدره من إحساسات ، وما تزخر به حياته من مظاهر الترف والتعم والمظلة ؛ فكان شعره صورة لحياته الخاصة أولا ، ولحياته الطيبة المترفة ثانيا ، والانتجاهات العامة في السياسة والاجتماع والأدب في بيئته أخيرا ، وهو فوق ذلك صورة صادقة للفن ، فلم يكن ينظم الشعر لمجد أو لمال أو لغرض آخر

بعيد عن أغراض الفن ، إنما كان ينظمه لنفسه ، لمضى به نفسه وذوقه وإحساسه المرفه بمعنى الجمال في الحياة ... ويمكننا أن نقول إن بواعث الشاعرية في نفسه ترجع إلى :

١ - بيئة الشاعر : فقد عاش ابن المعتز في بغداد وسر من رأى ، أمى في البيئة العامة التي امتاز بها القرن الثالث ، والتي حفلت بألوان الحضارة وشقى العلوم والفنون والآداب ، والثقافات ، كما عاش في بيئة الخاصة الحافلة بأنواع البذخ ومظاهر المجد ، في قصور الخلفاء والأمراء . فألمه الجمال الذي شاع في بيئته الخاصة والعامة ، جمال الفن وسحر الشعر ، وكان لذلك أثره الواضح في شاعريته ، بل وفي شخصيته .

٢ - أسرته : كانت أسرة والد ابن المعتز عربية هاشمية تنصل بيت النبوة اتصالاً وثيقاً ويتدفق في عروقها ودمائها روح المروبة الأولى بما تمتاز به من خلق وآداب ومشاعر ووجدانات . وبما تخلص به من بلاغة القول وسلامة المنطق وقوة الطبع وتدفق البيان وغزارة الشاعرية ، وبما نبع منها من أعلام في الأدب والخطابة والبلاغة والحكمة والشعر ، حتى وصف بعضهم الجاحظ بأنهم لم يكن لهم نظراء في أصالة الرأي وفي الكمال والجلالة والعلم بقريش والدولة وبرجال الدعوة مع البيان العجيب والقور البعيد والنفوس الشريفة والأقدار الرفيعة ، وكانوا فوق الخطباء وفوق أصحاب الأخبار ، وكان يحملون عن هذه الأسماء (١) ، وورث ابن المعتز مجد أسرته في الأدب والشعر كما ورث مجدها في الملك والسياسة ، فتنشأ شاعراً بطبعه ، أديباً بليغاً ، في الصف الأول من الملأ والأدباء والشعراء في عصره ، كما أمدته عنصر والدته الروى بالخيال الواسع الذي يمد الشعر في نفس الشاعر بشق أسباب القوة والتضجج .

٣ - نشأته وثقافته : كان لها أثر بعيد في إشعال روح الشاعرية بين جوانحه ، فالآلام القاسية التي لاقاها في حياته ، والآمال الناضرة التي كان يمجج بها فؤاده وثقافته القوية والأدبية العقلية الواسعة ، وتلذذته على شيوخ العربية والأدب في عصره ، مع الإحاطة بآثار الأدب العربي القديم والحديث ، كل ذلك

كان له أثره البعيد في فنون شاعريته وإحكام ملكاته .

٤ — ذبوع الأدب والشعر في عصره : فقد كان عصر ابن المعتز حافلاً بالأدب والشعر ، والأدباء والشعراء : كالجاحظ وابن سلام وابن قتيبة وكأبي تمام والبحتري وابن الرومي والناثي . وسواهم ، وعاش ابن المعتز في هذا الجو واتصل به اتصالاً وثيقاً ، واتخذ له من رجال الأدب والشعر أصدقاء وإخواناً يطارحهم الشعر وينظرهم في فهمه ونقده وفي نظمه ، فكان ذلك أحد الأسباب في ظهور شاعريته وقوة أساليبها .

٥ — ذوق الشاعر وإحساسه : إن أسباب الشاعرية في نفس ابن المعتز لم تكن كلها بعيدة عن قلبه وعقله وعواطفه وإحساسه ، بل لقد كان من أهم بواعثها وأظهر أسبابها : ابن المعتز نفسه ، كان يتذوق الحياة بتذوق الفنان ، وينظر إليها نظرة الشاعر الملم . ويفهمها على أنها جمال فني غامض ، ويحس بها إحساس المستغرق في تخيلات وشق تصوراته الفنية الجميلة ، ثم كانت أخلاقه وآدابه فيها أخلاق الشاعر وآدابه ، كان كريم النفس ، نبيل العواطف كثير الاعتزاز بنفسه وشخصيته ، يتأثر لكل صغيرة وكبيرة من آلام الحياة ، ويشعل بروح الأمل اليأس وبارقة الرجاء المظلم ، ويتعشق لمو الحياة ولذاتها البريئة ، ويقف تذبذباً في محراب الجمال الشائع في شتى مظاهرها البدئية : كل ذلك مع الذكاء والفطنة وثقوب الذهن وخصب التفكير وحضور البدئية وقوة الطبع والمذكبات ، ومع الحياة المترفة والنعم المتدفقة ، ومع ما يبعثانه في صدر صاحبه من أحاسيس وعاطفة وشعور ، فكان ذلك كله مما أخذ بيد شاعريته إلى الكمال والحياة .

وكانت هذه البواعث كلها مجتمعة كغفيلة بخلق شاعرية موهوبة ملهمة ، تتناول كل غرض في إجابة وتستوعب كل فن في إحسان .

ولقد كان النقاد والعلماء يعجبون من نفوذ ابن المعتز وتفوقه في الشعر وفطنته به ، وهذا — كما يقول الصولي — في الملوك قليل ، فإذا برع منهم الواحد بعد الواحد تقدم الناس ، وخاصة بنو هاشم ، فمنهم أرق الناس أفهاماً وأدقهم أذهاناً وأحسنهم طبعاً ، (١) .

(١) ورقة ٣٦ الأوراق قسم المندرج مخطوط ، ١٦ رسائل ابن المعتز

(٢)

رأى علماء الأدب في شاعريته وشعره :

(١) آراء المتقدمين :

١ - كان أبو العباس أحمد بن يحيى - ثعلب م ٢٩١ هـ - يقدمه ويقول هو أشعر أهل زمانه (١) .

وكان عبيد الله بن عبد الله بن طاهر م ٣٠٠ هـ يقول : هو أشعر قریش لأنه ليس فهم من له مثل فنونه ، لأنه قال في الحر والطرود والغزل والمدح والهجاء ، والمذكر والمؤنث والمعانيات والزهد والأوصاف والمراثي ، فأحسن في جميعها ، وهو حسن التشبيه ملبح الألفاظ واسع الفكر (٢) .

وكان أحمد بن إسحاق الكاتب الملقب نطاحة يقول : هو أشعر بني هاشم ، وكان آل وهب يقدمونه ويقولون فيه مثل هذا القول (٣) .

ويقول فيه الصولي م ٢٣٦ هـ : ابن المعتز شاعر مقلق بحسن حسن الطبع واسع الفكر كثير الحفظ والعلم يحسن في النظم والنثر ومن شعراء بني هاشم المتقدمين وعلمائهم (٤) . ومنزله في الشعر منزلة شريفة وقد وقع من قوم إفراط في أمره وتقديمه (٥) .

٢ - ويقول فيه المسعودي م ٣٤٦ م : كان عبد الله بن المعتز أديبا بليغا شاعرا محبوبا مجودا مقتدرا على الشعر قريب المآخذ سهل اللفظ جيد الفريضة حسن الاختراع للمعاني (٦) .

٣ - ويشيد به أبو الفرج م ٣٥٦ م طويلا (٧) وسيأتي كلامه في بحث أسلوب ابن المعتز إن شاء الله .

(١) ١١٣ الأوراق قسم أثمار أولاد الخفاء

(٢) ١٠٧ المرجع

(٣) ١١٣ المرجع

(٤) ٢٢٣ : ٤ السعدي

(٥) ١٤٠ و ١٤١ : ٩ الأغانى

٤ — ويقول فيه ابن النديم م ٣٨٧ هـ : هو واحد دهره في الأدب والشعر (١).

ويقول فيه ابن رشيقي م ٤٦٠ هـ : وليس في المولدين أشهر اسما من أبي نواس ثم حبيب والبحري ثم يتبعهما في الاشتهار ابن الرومي وابن المعتز فطار اسم ابن المعتز حتى صار كالحسن في المولدين وامرئ القيس في القدماء فان هؤلاء الثلاثة لا يكاد يحلمهم أحد من الناس (٢).

٦ — ويقول عمر بن علي المطوعي في كتابه في شعر الميكالي ومشواره والشعراء: ومنهم - أي من الشعراء - من أخذ بحبل الجودة من طرفيه ، وجمع رداء الحسن من حاشيته ، كامرئ القيس في المتقدمين وهو أمير الشعراء غير متازع ، وسيدهم غير مجاذب ، وعبد الله بن المعتز أمير المؤمنين في المولدين ، وهو أشعر أبناء الخلافة الهاشمية ، وأبرع منشئي الدولة العباسية ، ومن جل كلامه في التشبيه عن أن يمثل بنظير أو شبيه ، وعلت أشعاره في الأوصاف على أن تتماطأها ألسنة الوصاف . والامير أبي فراس بن حمدان فارس البلاغة ورجل الفصاحة ومن حكمت له شعراء العصر بالسيادة واعترفت لكلامه بالاجادة ، حتى قال صاحب ، بديع الشعر بملك وختم بملك ، وهذه الطائفة أشهر الثلاثة تقدما ، وأثبتا في مواطن الفخر ومواضع الشرف قدما ، وأسبق الشعراء في ميدان البلاغة وأرجحهم في ميزان البراعة (٣).

٧ -- ويقول الحصري م ٤٥٣ هـ : كان أبو العباس عبد الله بن المعتز في المنصب العالي من الشعر والنثر وفي النهاية في إشراف ديباجة البيان والغاية من رقة حاشية اللسان ، وكان كما قال ابن المرزبان : إذا انصرف من بديع الشعر إلى وقيق الثرأى بحلال السحر (٤).

٨ — ويعده ابن شرف م ٤٥٦ هـ في رسائل الانتقاد من الشعراء المشهورين

(١) ١٦٨ فهرست

(٢) ٨٢ : ١ المدة

(٣) ١٧٤ و ١٧٥ : ١ زهر الآداب

(٤) ٢١٩ : ١ زهر ، وهي في ٢٠٨ مجموعة الظلم دون إشارة للرجع الذي علت منه .

المذكورين (١) ، ويقول فيه أيضاً : وأما ابن المعتز فذاك النظام كما هو منك الآنام له التنبهات المثلية والاستعارات الشككية والاشارات السحرية والطرائق الفنونية والافتخارات الملكية والحمات العلوية والغزل الرائق والعتاب الشائق ووصف الحسن الفائق :

وخير الشعر أكرمه رجالا وشر الشعر ما قال العبيد (٢)

٩ — ويقول فيه ابن الأنباري م ٤٣٨ هـ : وأما عبد الله بن المعتز ويقال له أمير المؤمنين - فإنه كان غزير الفضل بارعا في الأدب حسن الشعر كثيره (٣) ، ثم ذكر شعرا له وقال : وعاسن شعره كثيرة جدا (٤) .

١٠ — ويقول فيه صاحب تاريخ بغداد م ٤٠٩ هـ : كان متقدما في الأدب غزير العلم بارع الفضل حسن الشعر (٥) وكان غزير الآداب كثير الشعر (٦) .

١١ — ويقول فيه ابن خلكان م ٦٨١ هـ : كان أدبيا بليغا شاعرا مطبوعا مقتدرا على الشعر قريب المسأخذ سهل اللفظ جيد القريحة حسن الابداع للمعاني (٧)

١٢ — ويقول فيه ابن شاكر م ٧٦٤ هـ : ابن المعتز صاحب الشعر البديع والنثر الفائق (٨) .

١٣ — ويقول فيه العياشي : هو الأمير الأديب صاحب النظم البديع والنثر الفائق وهو أشعر بني هاشم على الإطلاق وأشعر الناس في الأوصاف والتنبهات (٩) .

(١) ٢٤٣ رسائل البغداد حيث جمع فيها صاحبها كثيرا من الرسائل التي من بينها « رسائل الانتقاد لابن شرف » (ص ٢٤١ — ٢٦٨ رسائل البغداد)

(٢) البيت للفرزدق في تعيب الشاعر

(٣) نزعة الأتيا

(٤) ٣٠١ المرجع .

(٥) ٩٥ : ١٠ تاريخ بغداد .

(٦) ١٠٠ : ١٠٠ المرجع

(٧) ٤٦١ : ١ وفات الأعيان ، ٢٢٢ : ٢ شذرات الذهب .

(٨) ٢٤١ : ١ وفات الوفيات .

(٩) ١٤٦ : ١ معاهد التنصيص ، ٦٩٣ : ١ دائرة المعارف لإبسناني .

- ١٤ — ويقول فيه الديميري م ٨٠٥ هـ : كان شاعرا ماهرا فصيحا وهو صاحب التشبيهات التي أبدع فيها ولم يتقدمه من شق غباره (١)
- ١٥ — ويقول فيه ابن حجة م ٨٣٧ هـ : من خلفاء بني العباس كان مع كاله وغزارة فضله لم يزل متغصا في مدة حياته وعمله من الأدب لا ينحى (٢) .
- ١٦ — ويقول فيه أبو الفداء ٧٣٣ هـ : كان ابن المعتز فاضلا شاعرا وتشبيهااته وأشعاره معروفة وله الكلام البديع (٣) .
- ١٧ — ويقول فيه الشهاب الحفاجي : قال الأدياب بدى الشعر بمنك وختم بمنك ، والأول امرئ القيس ، والثاني ابن المعتز ، فانه من أدنى جوامع الكلم نظما وشرا وإنشاء وشعرا ، والعامية تقول كلام الملوك ملوك الكلام ؛ وقيل أبو فراس ، والأول أقرب إلى القياس ، وابن المعتز كما في أوراق للصولي شاعر مغلق واسع الفكر في العلم والنظم والنثر من شعراء بني هاشم وعلمائهم ، كان إماما في الأدب ومعرفة كلام العرب ، وكان المبرد يحله ويسعى إليه ويستفيد منه ، إلا أنه كانت له هنات في حب بني هاشم والعلو في تقديمهم وله في ذلك قصائد ممدوحين عن ذلك وقال ما يناقضه وكان ثعلب يقدمه ويقول هو أشعر أهل عصره (١) .

(ب) آراء المحدثين :

١ — دائرة المعارف الإسلامية :

ابن المعتز شاعر من أهم شعراء العصر العباسي جمع إلى موهبته العلمية وإبتكاره الذي كان من الطراز الأول ، العلم الصحيح والدق السليم ، فلم يقلد شعراء العرب الأقدمين ، وإنما كان يمدحهم في حسن طريقة انتقاء المعاني ، كما أن أسلوبه يمتاز بالبساطة والسلاسة إلى حد كبير وتناول شعره جميع الفنون التي كانت تدخل في باب الشعر وقتذاك ، وجعل شعره في وصف حياة القوف ، تستشف منه كل ما في تلك الحياة من ألوان البذخ وبعض ما فيها من التشكف والنظائر ، وقد عني

(١) ٨٣ : ١ حياة الجيوان السكري لدميري .

(٢) ١٣ : ١ نثرات الأوراق .

(٣) تاريخ أبي الفداء أخبار عام ٢٩٦ هـ .

(٤) ٣٢٠ وجماعة الألبا لشهاب الحفاجي .

عناية خاصة بالأغاني التي تصف الحز وتتشيد بذكر مجالس الشراب ، يشهد بذلك كتابه ، فصول التماثيل ، الذي لأشعاره فيه المكان الأول (١) .

٢ — ويقول فيه الاسكندر م ١٩٣٦ : هو صاحب النظم البديع والثر الفائق وأبرع الناس في الأوصاف والتشبيهات ، وكان ابن المعتز سهل العبارة كثير مراعاة البديع في قوله مع رشاقه وقلة تكلف وتصنع ، وقل فن المدح في كلامه إلا في أهل بيته من الخلفاء ، وزاد في الأوصاف الطبيعية والتشبيهات البديعية ووصف محاسن الطبيعة ومجالس الأنس ومراسلة الإخوان ودعوتهم ووصف الصيد وكلايه وفهموده والقلم والفرطاس ونحو ذلك ، والمتأمل في شعره يعرف فيه نضرة النعم وترف الملك ورقة الخيال ولطف الوجدان (٢) .

٣ — ويقول فيه جرجي زيدان : كان ابن المعتز شاعرا مطبوعاً مقتدرا على الشعر قريب المأخذ سهل اللفظ جيّد القريحة ، ومن مزايده الإبداع للهامي وميزته على الخصوص ما في شعره من البديع .. ومن شعره قصيدة من نوع الشعر القصصى مدح بها المعتضد (٣) .

٤ — ويقول فيه الزيات : ولد في بيت الملك وموئل الخلافة وربي في باحة النعم وموطن الجلالة ، وكان لنبأته أثر ظاهر في شعره فهو رقيق اللفظ سهل العبارة صافي الأسلوب لفة طبعه وسهولة خلقه وصفاء خاطره وهو بليغ الاستعارة رائع التشبيه دقيق الوصف لفة حسه ولطف شعوره وامتلاء ذهنه بروائع الجمال وبذائع الخيال ورويق الحضارة ، وكان يقول الشعر إرضاء لنفسه وتصويراً لحسه فبرى من كاذب المدح ولؤم الهجاء ، وانصرف إلى وصف الطبيعة ومجالس الأنس ومطاردة الصيد ومراسلة الإخوان وله ولع بالبديع في حسن صوغ وقلة تكلف ، ونثره لا يقل عن شعره في نقاء الأسلوب وجودته ودقة التخييل (٤) .

٥ — وكتب عنه الأستاذ إبراهيم اليازجي كلمة في السياسة الأسبوعية ، كما

(١) ٢٧٩ و ٢٨٠ المجلد الأول من دائرة المعارف الإسلامية .

(٢) ١٩١ وما بعدها آداب اللغة في العصر العباسي للأسكندر م ٢٧٠ وما بعدها الوسيط . ويعتمد الكتاب اعتماداً كبيراً على رأي الأسكندر في كتابته عن ابن المعتز .

(٣) ١٦٢ : ٢ تاريخ آداب اللغة العربية لزيدان .

(٤) ٢٧٠ وما بعدها تاريخ الآداب العربية للزيات .

كتب عنه الأستاذ مصطفى عبد الغنى (١) وأصحاب المفصل (٢) ، وله ترجمة في سطور
في هامش المنتخب (٣) ، وفي هامش العصر العباسي للسباعي بيومي (٤) .
وكتب عنه الدكتور طه حسين في إيجاز شديد في كتابه من حديث الشعر والنثر ،
وبعد فلا بن المعتز مكانته في الأدب والقريض وقد أشاد به جميع نقاد الأدب
وعلمائه على شتى المصوّر مما سبق ذكره ، وما سيأتي الكثير منه ، وحسبنا ذلك
الآن ؟ وفي الفصول الآتية سنعرف إلى أى مدى كانت منزلة ابن المعتز في الشعر
ولمآثرته في القرن الثالث الهجري .

(١) ص ١١ وما بعدها تراجم الشعراء والكتاب لمصطفى عبد الغنى للاميد المدارس الثانوية
(٢) ١ : ١٩٣ الفصل للدارس الثانوية طبعة ١٩٣٦ . والكلمة ببيتهاى ٧٤ وما بعدها
تاريخ الأدب العربى للدارس الثانوية ١٩٣٧ .
(٣) هامش ٢٨٠ : ٢ المنتخب من أدب العرب للاميد المدارس الثانوية طبعة ١٩٣٦ .
(٤) هامش ٢٨٤ من تاريخ الأدب العربى فى العصر العباسى للسباعى بيومي طبعة ١٩٣٦ .

الفصل الثالث

أغراض الشعر عند ابن المعتز

(١)

أغراض الشعر هي فنونه وموضوعاته التي يقول فيها الشعراء من مدح وهجاء وغرورثاء ، وغزل وحكمة ، وما شاكل هذه الموضوعات التي عرفها الشعر والشعراء من قديم .

وأغراض الشعر طرقها الشعراء فنا وإن لم يصطلحوا عليها اصطلاحاً ، وكانت أقسام الشعر في الجاهلية - كما يقول أبو هلال - خمسة : المدح ، والهجاء ، والنسيب ، والمرأى حتى زاد فيها التنايفه سادسها والاعتذار فأحسن فيه ، ولا أعرف أحداً من المحدثين بلغ مبلغه فيه إلا البيهقي (١) ، وليس للعرب شيء ينسب إلى التنايف ، وما جاء عنهم من شكلها فهو في جملة المدح (٢) .

وقالوا : بنى الشعر على المدح والهجاء والنسيب والثناء ، وقالوا قواعد الشعر : الرغبة ومنها يكون المدح والشكر ، والرغبة ومنها يكون الاعتذار والاستعطاف ، والطرب ومعه يكون الشوق ، ورقه النسيب ، والمنصب ومعه يكون الهجاء والعتاب .

وقال الرمانى أكثر أغراض الشعر خمسة : النسيب ، والمدح ، والهجاء ، والفخر ، والوصف (٣) .

وقالوا . للشعراء فنون كثيرة يجمعها أربعة : المدح ، والهجاء ، والحكمة ، واللاهو . ثم يتفرع من كل صنف من ذلك فنون : فن المدح . المرائى والافتخار والشكر

(١) ٩١ : ١ ديوان المعاني .

(٢) ٩٢ : ١ الرجع .

(٣) ١٠٠ : ١ السدة .

واللطف في المسألة وغير ذلك مما أشبهه وقارب معناه ، ومن الهجاء الذم والعتب والاستعطاء والتأنيب وما أشبهه ذلك وجانسه ، ومن الحكمة الأدل والزهد والمواظع وما شاكل ذلك ، ، ومن الثمر الغزل والطرده وصفة الخمر وما أشبه ذلك وقاربه (١) .

وأول من عد فنون الشعر وميز بينها تمييزاً هو أبو تمام فإنه كتب كتابه الخمسة في عشرة أبواب : الخماسة ، والمرائي ، والأدب ، والنشيب ، والهجاء والاضتياف والمدح ، والصفات ، والسير ، والملح ، ومذمة النساء .

أما البحرى فقد عالج أبا تمام في ذلك وجعل حماسة التي عارض بها حماسة أستاذة أبي تمام ١٧٤ باباً وأهداها للمتبحر بن خاقان . ونجد الخماسة البصرية (٢) لأبي الحسن البصري اثني عشر باباً : الخماسة والمدح ، الرثاء . الأدب . الغزل . الاضتياف . الهجاء . مذمة النساء . الصفات . التبعوت . السير . الأكاذيب الخرافات . الزهد .

ويجعل عبد العزيز أبي الأصمب أغراض الشعر ثمانية عشر (٣) ورواية الشعر العربي في العصور الأولى كان لهم أثر كبير في تقسيم الشعر إلى فنون وأبواب :

لجامع ديوان أبي نواس (٤) يقسمه إلى فنون ثمان : المدح . المرائي . العتاب . الهجاء . الزهد . الطرد . الخزيات . الغزل والمجنون .

وديوان أبي تمام (٥) قسم إلى سبعة أبواب : المدح . المرائي . المعانيات . الاوصاف . الغزل . الفخر . الهجاء .

وديوان ابن المعتز رواية للصولي مقسم إلى عشرة أبواب : الفخر . الغزل .

(١) ٨١ نقد النثر .

(٢) ٥٢٠ أدب غلطوط بدار السكك المسكية .

(٣) ٧١ : ٣ تاريخ آداب العرب للرازي .

(٤) اعني مجمع شعره جماعة منهم الصولي وعلى بن حمزة الاسدي وإبراهيم بن أحمد الطبري

(٥) جمه الصولي ورتبه على الخروف وجمه على بن حمزة الاسدي ورتبه على الأنواع

(٢٨٣ : ١ كشف الطنون)

المدح . الهجاء . الجزيات . المعانيات . الطرد . الاوصاف . الرثاء . الزهد .
وكان كثير من دواوين الشعر ترتب بحسب الحروف الهجائية للذوائف لا بحسب
الأغراض، ومنها ديوان البحترى (١)، أما ديوان ابن الرومي فلم يطبع إلا مختارات
منه ولا نعلم على أي نوع صنف جامعه في ترتيب شعره (٢) .

على أن ليس من السهل تقسيم الشعر العربي إلى أبواب شاملة تستوعب جميع
ما جادت به قرائح الشعراء لأنهم اختلف باختلاف العصور وباختلاف شخصيات الشعراء .
وبعض العلماء والنقاد يدخل بعض هذه الفنون في بعض، فقدماء يرجع في
تقسيم الشعر الرثاء إلى المدح ويرى أن لا فرق بينهما إلا في اللفظ دون المعنى (٣)،
وإن كان هذا لم يحل بينه وبين أن يجعل أغراض الشعر ستة : المدح والهجاء
والرثاء والتشبيه والوصف والنسيب .

ثم جاء البارودي في العصر الحديث فسار قريبا من نهج أبي تمام في تقسيم
الشعر إلى فئته المختلفة وهي عنده سبعة : الأدب . والمدح . والرثاء . والصفات
والنسيب . والهجاء . والزهد .

هكذا وأدباء الغرب يجعلون أبواب الشعر عامة ثلاثة : الشعر القصصي أو
شعر الملاحم ، والشعر الغنائي أو الانشادي ، والشعر التمثيلي أو المسرحي .

وهذه الأقسام الثلاثة قد ظهرت المرة الأولى في الأدب اليوناني ، ثم أخذ
الرومان يقلدون اليونان في فنونهم، وسار الأدب اللاتيني في الطريق التي سار فيها
الأدب اليوناني ، وفي عهد النهضة أخذ الأوروبيون يدرسون الأصول اليونانية
فتأثرت بها آدابهم تأثرا مباشرا ، وبني الشعر الأوروبي الحديث على الأصول
اليونانية اللاتينية من حيث الأقسام الثلاثة المعروفة (٤) ، والعرب مع اطلاعهم

(١) جمه الأصول ورتبه على الحروف وجمه على بن حزمه الاصمغاني ورتبه على الانواع
(٣٧٨ : ١ كشف الظنون) .

(٢) حمل شعره ورتبه على الحروف والصوى وجمه أبو الطيب وراق ابن عبدون من جميع
الشيخ فزاد فيه نحو ألف بيت وابن سينا انخذه وشرح . مكملات شعره (٣٨٢ : ١ كشف)

(٣) ٦١ هـ الشعر .

(٤) ٢٤٨ الوجيه الأدبي .

على علوم اليونان وفلسفتهم لم يهتموا بالإنتاج الأدبي اليوناني فلم يصل فن التمثيل إلى البلاد العربية إلا في العصر الحديث عن طريق الغربيين ، كذلك لم يفتش شعراء العربية قصصاً منظومة كالإلياذة (١) ؛ والشعر العربي الذي بأيدينا اليوم كله من الشعر الغنائي (٢) .

وبعد فلنأى أرى أن يقسم الشعر إلى أقسام يكون من أهمها :

- ١ — الشعر الوجداني وهو الذي يصف عواطف النفس ومشاعرها وآمالها وآلامها وأحزانتها ومسراتها وحنها ولحوها .
 - ٢ — الشعر الاجتماعي وهو الذي يحدثك عن المجتمع وحالته والبيئة والمؤثرات فيها والشخصيات وأثرها الاجتماعي في حياة المجموعة العامة .
 - ٣ — الشعر السياسي ويتناول وصف الحياة السياسية وأحداثها والرجال الذين يبدعهم زمام الأمور في الدولة من تربطهم بالشاعر صلات خاصة أو عامة .
 - ٤ — شعر الآداب والحكم والأخلاق .
 - ٥ — الشعر الفني ، وهو الذي يصور الحياة ومظاهر الطبيعة والأحياء ، ويرسم لك صوراً فنية لكل ما في الوجود من كائنات .
 - ٦ — الشعر الإنساني الذي يتحدث عن الإنسانية وعواطف البشر وحقائق الحياة الخالدة .
- هذا وقد نظم ابن المعتز في كثير من فنون الشعر وأغراضه التي تلائم حياته وبيئته ونفسه وشخصيته ، فافتخر وتغزل ، ومدح وهجاء ورثى ، ونظم في العتاب والخزرات والطرده والأوصاف والزهد عما ينطق به ديوانه ، وما ستأخذ في الكلام عليه .

(٢)

الشعر الوجداني في فن ابن المعتز :

ونقصد به ما يترجم عن عواطف الشاعر وشعوره وآماله وآلامه ؛ وما ينتج

(١) ٢٢٠ المرجع . ويمكننا اعتبار أوجوزة ابن المعتز في اللغز وتاريخه من عصر اللام والقصر

(٢) ٢٢١ المرجع

في صدره من سرور وحزن وأمل وبأس ، وما يفيض به قلبه من حب وحنين وهوى ولذة وتفاؤل وتندؤم بالحياة . فهو يطلق على الأشعار التي ليست من الشعر القصصي ولا التمثيلي ، والتي يعبر فيها الشاعر عن خواطره وآرائه وتأملاته ومناقره .

وهذا الفن في تراث ابن المعتز الأدبي يشمل كثيرا من باب الفخر كما يتناول باب الغزل كله وآثارا قليلة من شتى أبواب الشعر في ديوانه مما صور فيه الشاعر أمانيه ولذاته ونفسه وأحلاقه وأهدافه في الحياة ، وسنفيض في تحليله ذلك كله .

الغزل والحب في شعر ابن المعتز^(١) :

١ - الغزل فن من فنون الشعر الأولى ، وقيل أن يخلو منه شعر شاعر من الغزاليين والمقلدين على السواء ، حتى لقد كان ابن المولى . وهو من مختصري الدولتين ، يشبب بمحيوته ليلى ، فلما سئل عنها قال : امرأتى طالق إن كانت إلا قوسى هذه سميتها ليلى لأذكرها في شعري (٢) .

وقد بدت بالغزل أكثر القصائد في الجاهلية والإسلام ، ولم يثن عن ذلك

(١) الغزل والنسب . والنسب ليس بمعنى واحد . أما الغزل فهو إلف النساء والتغاق بما يوافقن وأسر فيا ذمكرته في شيء وقد نبه على ذلك فدامة في نقد الشعر (١١١ : ٢ المدة) ؛ فالغزل التصاق والاستتار بمودات النساء (٧٣ نقد الشعر) ، وإن لم ينطق القائل متبن بهوى أو صباية (١١٠ : الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي لمحمد هاشم) ؛ والنسب ذكر خلق النساء وأشلائهن وتصرف أحسوال الهوى به معين (٧٣ نقد الشعر) فهو أثر الحب وتبريج الصباية (١١٠ : محمد هاشم) ؛ والنسب يجوز أن يكون من ذكر الشبهة وأصله من الارتفاع ويجوز أن يكون من الجلاء يقال شب الحمار وجه الجارية إذا جلاها ووصف مآخته من عاسته (٢٢١ : ٢ المدة) وهو ما يتصد إليه الشاعر من ذكر المرأة في مطلع السلام وما يضاف إلى ذلك من ذكر الرسوم والأطلال (١١٠ : محمد هاشم) .

وفي رأي أن الغزل والنسب والنسب ثلاثها بمعنى واحد هو وصف الجمال والحب وأثرهما في النفوس وتصوير عواطف الشاعر أمامها وآماله وآلامه التي يقاسمها في سيرتها ، وسير على ذلك الرأي الأستاذ محمود مصطفى (٢٧٥ : الأدب العربي في العصر الإسلامي) .

(٢) ٨٨ : ٣ الأغاني ، ٤١١ : معجم الشعراء .

إلا القليل ، كممرو بن كائوم في معانته التي بدأها بوصف الراح ، وكأبي نواس
الذي دعا إلى افتتاح القصائد بذكر الراح :

صفة الطلول بلاغة القدم فأجعل صفائك لابنة الكرم
وتبعه في ذلك ابن المعتز فقال :

أف من وصف منزل بعكاظ الخومل
غير الريح وسمه بمنسوب وشمال

شهر امرئ القيس في العصر الجملي بغزله وإستناره ودبيبه ، وفي العصر
الأموي عاش شعراء وقفوا حياضهم وشمرهم على المنزل وحده ، فهم موكلون
بالجمال يقبعونه ويصفونه وينزلون به ، كممر (٢٣ - ٩٣) وبميل وقيس بن
ذريح وسواهم . وفي العصر العباسي اشتهر بشار بالمزل ، وكذلك العباس بن
الأحنف (١) ولحدان بن أبان اللاحي قصيدة طويلة في وصف الحب (٢) ، وكان
البحتري أرق الناس نسيبا وأملحهم طريقة لاسيا إن ذكر الطيف وهو الباب الذي
اشتهر به ، ولم يكن لأي تمام حلوة توجب له حسن النزول وإنما يقع له من ذلك
التألف اليسير في خلال القصائد (٣) .

وأشلوب الغزل يمتاز بجماله وسلاسته وعذوبته بما لا يصلح شيء منه في مواقف
الجد وأوصاف الحرب ، وإن كان المتنبي يستعمل ألفاظ الذيب والغزل في ذلك
وهو مما لم يسبق إليه وتفرد به (٤) .. ويشيع في الغزل التهالك وإظهار الصباية .

(١) نصر شمره على الغزل من بين فنون الشعر (١١٧ : ٣ الرافعي) ، وكان شاعرا
ظريفاً مقوفاً متعلّقا مطبوعاً ، وكان صاحب غزل رقيق ولم يكن يمدح ولا يهجو إنما كان شمره
كله في الغزل والوصف (١١٩ طبعات ابن السكيت) وشبهه ابن أبي ربيعة (١١٩ المرجع ،
٨٣ : ٤ زهير ، ٣٣٥ الشعر والشعراء ، ٦٧ : ١ المدة) وكان شاعرا مجيذاً غزلا (٩٧
خاص الحس) وأشاد به بشار وأبو نواس والملافة (٨٣ : ٤ زهير) ، وهو من أوائل
الشعراء المجيدين (٦٧ التنبيل الشاعر) وتوه دعبل بقوله : هي الشمس سكنتها في السماء
(٢٦٩ : ١ ديون الناق) .

(٢) ٥٧ - ٦٢ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء .

(٣) ١١٣ : ٢ المدة .

(٤) ١٦٤ : ١ الليثية .

٧ - ولابن المعتز مجال كبير في الغزل ، والغزل في شعره فن تسرى المودة والحياة والدمانة والرفقة والمذوبة في أعطافه ، وهو فيه مجيد صاحب طبع مطبوع وملئكة موهوبة ، ولا يدع في ذلك فقد أقمعت نفسه بألوان الجمال ، وأشربت حبه ، وغذيت بمتحه وصباياته ولهوه ولذائذاته ، وكان لطيف الحس رقيق العاطفة ملتهب الإحساس والشعور يسقى شبا به الظام من ينبوع الحب المتفجر ، ويجدد من يشته وعصره حرية تسمح له بالهيام بالجمال والتبذل في معابد السحر والفتنة فتسداً بألحانه الساحرة أناشيد تاطقة بما في نفسه وعواطفه من حب ووفاء وما امتزج بروحه وسرى في دمه من هيام وشغف بألوان الجمال . وفن ابن المعتز في الغزل يقف بجانب فن امرئ القيس وابن أبي ربيعة والعباس بن الأحنف وسواهم من المجيدين في هذا الباب .

ويقول الصولي : وهو متقدم في الغزل لأن الشعراء الذين أحسنوا في الغزل حتى تفردوا به وكان الغزل قطعة من شعرهم قليلون وخاصة من عمل في المذكر والمؤنث ، وهو أول من حصل هذا وجعله فنين ، وأضاف إليه فنا ثالثاً سماه مجوناً وكثره حتى تقدم فيه من سبقه وتبعه الناس . (١) .

٣ - تغزل ابن المعتز كثيراً بشريفة وهي جارية كان يحبها ويحبها وله معها أخبار (٢) ، ويجدد في تحريف اسمها لئلا وجعلاً ، فيقول :

عصيت في شرفاً أنساها

ويقول :

ما رأينا لشريفة قط في الناس شيباً

ويقول :

وقلت تعالى يا شريفة نمتزج كمثل امتزاج الماء والخمر نصفين
كما تغزل بهند :

يا هند حسبك من مصارمى لا تحكى في الحب بالظن

(١) ١١٤ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء .

(٢) ١٤٢ : ٩ الأغانى .

وبئني :

فدع ذكر بئني قد مضى ليس راجعا فذلك دهر قد نول وذا دهر
وبأسماء : ألا انتظروني ساعة عند أسماء .

ويسلي :

آل سلى غصناب فلماذا ؟ على ما ؟

ولعلها سليبي التي يقول فيها وذكر الربيع :

هل أصابت بعدنا من سليبي منزلا

وبأم مالك :

وقلت لأصحابي انظروا هل بدالكم ضمير بلاد غيبت أم مالك

وبعباس — ولله تصغير ترخيم لعباسة :

عباس لا تستعجل لئني .

وبالياسرية : والياسرية موسم العشاق .

وهذه الأسماء كلها ما عدا شريرة لانعرف عنها شيئا ، ولعلها أسماء مستعارة

كما يقول ابن المعتز :

قالت تبدلت أخرى قلت أفديك من كل سوء ومكروه وأحبيك

قالت وسميتها في الشعر قلت لها سميى غيرك لكن كنت أعنيك

وبقول ابن المعتز :

ما تبدلت ما حبيت ولا حد ثت نفسي من بعد حيي بحب

ولكنه بعد أن أكد إخلاصه لحبيبه ينقض ذلك في قوله :

ألم تكن قد منيتي أبها القلب إذا فارقت شر فانك لا تصبو

فقال ظننت الحب يقلبه الفتي هو الموت لكن قيل لي إنه الحب

وهو مع ذلك يتغزل بكثير من الغلمان ولعلهم من سقاء الراح .

ومنهم أحمد ويعقوب ويوسف ويحيى ومكتوم وهم الذين ذكرهم في شعره ،

وقد كان لابن المعتز إجابة رائعة في الغزل بنوعيه : المؤنث والمذكر ، أو حب

المرأة وحسب الجمال في الغلمان .

٤ — وفن ابن المعتز في الغزل قسبان : فن تقليدي ، وفن جديد يتصل بنفسه وأعماق عواطفه ومشاعره ، ويأتى فيه بكل رائع مبتكر .
(١) فهو في غزله التقليدي ينهج نهج القدامى في مذهبهم وأساليبهم ، فيقول :

لما ظننت فراقهم لم أرقد وهلك إن صح التظن أو قد
ما أسرع التفريق إن عزموا غدا لاشك أن غدا قريب الموعد
الح ، مما تأثر فيه تأثرا واضحا بدالية النابغة ، من آل مية رائع أو معتدى .
ويقول :

بان الخليط ولم تطلق صبرا ووجدت طعم فراقهم مرا
وكأنما الأمطار بدمع كنت الطلول غلاظلا خضرا
هل تذكرين وأنت ذاكرة مثنى الرسول إليكم سرا
إن يغفلوا يسرع لحاجته وإذا رأوه أحسن العذرا
فطن يؤدي ما يقال له ويزيد بعض حديثنا سحرا
قالت لأنراب خلون بها وبكت قبل دمعها النحرا
ما باله قطع الوصال ولم يسمح زيارة بيتنا شهرا
حتى طرقت على غفلة أطلأ الصوارم والقنا الحرا
باليلة ما كان أفسرها لازلت أشكو بعدها الدهرا

فتجد روح ابن أبي ربيعة في الغزل والحوار ، والنهال من المرأة على حبه ،
وان كان ذلك مما يذمه النقاد في فن الغزل ، فالعادة عند العرب أن الشاعر هو
المتغازل المتنازل (١) ، وإنما توصف المرأة بالحياة (٢) ، ولكنك مع ذلك تجد
في القطعة جمالا لا يعدله جمال في وصف الرسول .
ويقول :

لا تلوموني على حب هند سحرني إنما الحب سحر

(١) ١١٨ : ٢ العدد .

(٢) ديوان ابن أبي ربيعة والنقاد كثيرا ما تقدموا ابن أبي ربيعة في وصفه لتهاك المرأة
على حبه (١١١ : ٢ عمدة ، ٢٠٢ ديوان ابن أبي ربيعة) .

تلع الأسياف من دون هند ولها عندي هوى مستمر
غصن بان قد مضت بعد عشر أربع حتى استوى وهو بدر
تجده يمزج حلاوة المحدثين بروح البداوة في الغزل .
(ب) وأما فن ابن المعتز الجديد في الغزل فهو ما نظمه بعيداً عن روح التقليد
وساير فيه عواطفه وحياته ولذاته فأق فيسه بكل معنى طريف وبشكل
مبتكر جديد .
وإن شئت فاقراً قصيدته :

يا غزال الوادى بنفسى أتنا لا كما بت ليلة الحجر بنا
واقراً قوله :

تماهذك المهاد يا طلل حدث عن الفاعنين ما فعلوا
فقال لم أدر غير أنهم صاح غراب يالين فاحتملوا
فلا تحليت بالرياض ولا النور ومغناى منهم عطل
على هذا فا عليك لهم ؟ قلت زفير ودمة ممل
وأنى مقفل الضناير من حب سوام ما حنت الإبل
فقال هلا تبعتهم أبداً إن نزلوا منزلاً وإن رحلوا
هيات إن المحب ليس له هم يغير الحوى ولا شغل
تركت أيدى النوى تفودهم وجئت عن حديثهم تسلى
فقلت للركب لا قرار لنا من دون سلى وإن أبى العذل
حتى تبدي في الفجر ظلمتهم وسائق الصبح بالدجى عجل
فلم يكن بيتنا سوى اللحظ والد مع كلام لنا ولا رسل

فسيهرك رقة الأسلوب وجمال الحوار المبتكر وسحر المعاني ولطفها عما يسمو
بفن ابن المعتز في الغزل إلى منازل الملهمين العبقرين من الشعراء .
إلى غير ذلك من رائع غزله وبديع صبايته التي يثبها في شعره وتمثلك روعة
وسجرا وجمالا .

ولابن المعتز في الغزل قصيدة مشهورة مطلعها :

بجلا هذا الدمع لست أراك وإذا سلا أحد فلست كذلك (١)
وهي قصيدة تغلب عليها مسحة التقليد واحتذاها شوقي في كافيته المشهورة .
هـ - وبعد فغزل ابن المعتز سائر رائع كثير متعدد الألوان ، فلقد بسى
الديار كما بسى الأحباب وتحدث عن عواطف الحب كما تحدث عن سحر الجمال ،
ووصف ليالى الهجر كما وصف ليالى الوصال ، وترنم بالشعر يصف به مجالس
الأنس كما تبذل به في هياكل الهوى ومعابد الجمال . ووصف عواطف المرأة
ومشاعرها والرجل ووجداناته ، والرسل وساعات اللقاء ومواقف الوداع ، ولم
يترك معنى من معاني الحب والغزل الا قال فيه ، ولابن المعتز في الطيف كثير
من الآيات ، قال :

أبصرته في المنام معتذرا إلى مما جناء يظننا
ولان حتى إذا مممت به نهت عند الصباح ، لا كانا
والبيت الأول يشبه بقول البحتري :
هجرنا يقظى وكادت على ما داتها في الصدود تهر وسى (٢)
وهو من قول قيس بن الخطيم :
ما تمنى يقظى فقد تؤتته في النوم غير مصرود محسوب
وقال ابن المعتز :
بعث الخيال إلى وامتنعا ريم معنت نفسى له تبعنا
ما زال طول الليل مرتحلا يلقى المنيم كلما هجما
وقال وهو من أجود ما قيل في الخيال :

(١) راجعها في : ديوانه ٢٧٧ الأوراق ، ١٠ : ٢ ديوان الماتى ، ٢٢٨ : ١ زهر
الأدب في روايات يكل بعضها بعضا .
(٢) تند الأمدى بيت البحتري وقال انه غلط لأن خيالها ينزل له في كل أحوالها يقظى كانت
أو وسى والجيد قوله : « نغذب أبنانا ونتم هجدا » (١٦١ موازنة) ، وقول قيس من
أجود ما قيل في الخيال (٢٧٦ : ١ ديوان الماتى) ، ومثله قول عمرو بن قنينة :
خيال ينزل لي نياها ولو قدرت لم تخيل نوالا
ومنها أخذ المحدثون أكثر معانيهم في الخيال (٢٧٧ : ١ ديوان الماتى) ، ولاشتباهه
به قبل خيال البحتري (١٢٥ : ٣ زهر) وراجع في ذلك ٩٩ ديوان الصباية و ٢١٣ : ٢
الصدرة و ٩ - ٣ أمالى المرتضى .

لا فرج الله عن عيني برؤيته إن كنت أبصرت شيئاً بعده حسناً
إلا خيلاً أعيى إن تحت يطرقتي وكيف يحلم من لا يعرف الرستا
ويمتاز غزله مع ذلك بالجمال والعذوبة والرقّة غالباً ، وبأنه ينبع من قلب طاش
في ملذات الحياة والشباب ، وبأنه صورة واضحة لكثير من المشاعر الإنسانية مما
يدل على أن الشاعر ذاق الجمال وعرفه ونفذ إلى أسرار الحب وأعماق العاطفة ،
فيقول :

ما المسوت إلا الحجر أو كالحجر
ويقول :

ويح المحبين ما أشقى جدودهم إن المحبين أحياء كأموال (١)
ويقول : كذب الهوى متصنع الحب شيء لا يطاق
ويقول : لقد ذل في الدنيا الحب وعذبا
ويقول : فما الحب إلا آفة وبكاه

ويأنهم الحسن التهاما في ذوى الجمال ويرحم القبح في ذوى الدمامة :
قلبي وثاب إلى ذا ذا وذا ليس يرى شيئاً فياً به
يهم بالحسن كما ينبغي ويرحم القبح فهم واه
ويملاً قلبه الحب والحبيب :

قلبي بكفيلك فانظر هل فيه خلق سواكا
ويمتاز أيضاً غزل الشاعر بكثرة القصص والحوار وبامتلائه بكثير من الأبيات
الفنية الجميلة والخيالات المبتكرة والمعاني الطريفة ، فوق ما فيه أيضاً من صدق
عاطفة وقوة شعور ودقة وإحساس وحسن تذوق للجمال ، والغزل على أى حال
أحد الفنون التي تفوق فيها ابن المعتز ، ووقف فيها في الصف الأول مع أمراء
الغريب في الشعر العربي .

٦ — ومع ذلك فقد أخطأ ابن المعتز في بعض معانيه في الغزل وهو القائل :
فإن أردت وصالاً فاقبل صلتى وإلا فهجرات بهجرات

(١) هو من قول العباس بن الأصف :

ويح المحبين ما أشقى جدودهم إن كان مثل الذي بي بالهينا

وهو أسلوب بعيد عن الغزل وليس منه في شيء . ويقول :
تقول : من ذا ؟ لست أعرفه يا صفة القلب جئت أطلبه
وهو أسلوب قريب من الهجاء . ويقول :

نظم كعبة حسن عالمها حجير في الخلد أسوده في أبيض يقق
ففيه تكلف كثير ما كان أغناه عنه ، ويقول :

و : جاء بجيش الحسن في عديده وعدته
فقوسه وسهمه وسيفه في لحظة الخ

فلست أستحسن تصويره لمحبه هذا التصوير الذي أظهره فيه فارسا عاريا
وكان الأولى أن يجعله غزالا ناعرا أو غيا شاردا أو ما شا كل ذلك من معاني الغزل.

الشباب والمشيبي في شعر ابن المعتز :

ومن أولى من ابن المعتز بوصف شبابه الناضر وأيام صباه الجميلة وذكريات
ربيع حياته المشرق ؟

ثم من أولى منه بوصف مشيبي الذي قطعه عن عمر اللهو ومرح الشباب ، وأثار
في نفسه ذكريات ملؤها الحزن على عهود شبابه الساحرة .

اسمع إليه يصور الشباب وجماله ولذاته والمشيبي وآلامه وأسقامه وهمومه :

واها لأيام الصبا عجت من الأيام عجا
أزمان أبلغ في المني أفطارها مرحا ولعوا
أيام تغفر زلي وبطن عهد الذنب سهوا
من كل عيش قد أصبحت لذنه وسلكت نحوا
سل المشيب سيوفه فسطا على اللذات سطوا

ويقول يذكر فضل المشيب :

وسع الشيب النوى فأصاب منزلا
ما على الناصح أن ينهى من جملا
غير أن حذوه وأراه السبلا

وبحاول أن يقتنع شرير بفضل المشيب فيقول :

صدت شرير وأزمنت هجرى وصغت ضباثرها إلى الغدر
قالت كبرت وشبت قلت لها هذا غبار وقائع الدهر
ويقول لهند :

أنكرت هند مشيبي ووات بدموع في الرداء سجوم
فأعذري يا هند شبيبي همي إن شيب الرأس نور الموم
ولكن يعود فيضجر بمشيبي :

قل لمشبيبي قد بدا قاييض منى المفرق
يافضة حليتها لكننا لا تنفق
لامرجبا، لامرجبا أنت العدو الأزرق

ويقول :

نور الرؤوس واللي وظلة القلوب

ويقول :

لحق على دهر الصبا القصير وسكره وذنبه المفقور

ويقول في ظرف :

وإذا أردت تصايبا في مجلس فالكيب يضحك بي مع الأحباب

ويقول :

لقد ابضعت نفسي في مشيبي فكيف تحبني الخود الكعاب؟
وهكذا نعم ابن المعتز بالشباب ثم فارقته وحل به المشيب فسخط عليه وأنكره
ثم صالحه وهادته ثم رضى عنه واحتج له وأخذ يتحايل على بيان فقه له حتى وافاه
أجله المحتوم .

الفخر في شعر ابن المعتز :

١ - يرى ابن رشيق أن الفخر هو المديح نفسه ، ولكن الشاعر ينص
نفسه وقومه (١) ، ويراه أديب يحدث تاريخا لفضيلة الفرد والجماعة (٢) ، وفي الحق
أن الفخر إشادة الشاعر بنفسه أو قومه وتنويهه بأدبه أو حسيه ، ولا يدعو إليه

عاطفة الأثرة والأنانية في كل وقت بل قد يكون الشاعر مضطرا لأن يساجل خصومه ويسجل على أعدائه ما سخط عنهم من صفاته وآدابه ، أو ما جحدوه من مآثره وفضائله ، وليس من شك في أن حب النفس عاطفة من العواطف ، وأن الشعر مجال للعواطف الشخصية والإنسانية جميعا ، والذي نطالب به الشاعر حين يفخر هو الصدق والتجرد عن مظاهر الكبرياء وتمثيل الحقائق الواقعة التي لا تتركز إلى الخيال بل إلى الواقع نفسه في تصورها وتصويرها .

٢ — ولابن المعتز من بين المحدثين مجال كبير في الفخر ، وشعره فيه لايدانيه شعر شاعر منهم ، ويشيد بفخره الأدباء والنقاد جميعا ، فيذكره ابن شرف متوها باقتضائه الملكية وهماته العلوية (١) ، ويقول الباقلاني : وتجد لابن المعتز في مواقع شعره من القلب في الفخر وغيره ما لا تجد لغيره لأنه إذا قال :

إذا شئت أو قرت البلاد حوافرا وسارت ورائي هاشم ونزار
أو قال :

قد ترديت بالمكارم دهرا وكففتي نفسي من الافتخار
أنا جيش إذا غدوت وحيدا ووحيد في الجحفل الجرار
أو قال :

أيها السائل عن الحسب ألا طيب ما فوقه لحن منيد
نحن آل الرسول . والأثرة الحق وأهل القرى فإذا تريد ؟
ولنا ما أضاء صبح عليه وأتته رايات ليل سود
ويقول من قصيدة له :

وأسهر الجدد والمكرمات إذا اكتحلحت أعين بالكرى

فانظره في هذه القصيدة كلها ، ثم في جميع شعره نعلم أنه ملك الشعر ، وأنه يلقى به من الفخر خاصة ، ثم ما يتبعه مما يتعاطاه ما لا يلقى بغيره بل يفخر عن سواءه (٢) .

(١) ٢٤٩ رسائل اللطاف .

(٢) ٢٠٩ و ٢١٠ إيجاز القرآن .

٣ - ترجع أسباب اجادة ابن المعتز في هذا الفن إلى مجده في نسبه ومجده في أدبه ، وإلى شعوره بهذا وذاك ، وإلى اعتزازه بشخصيته وتقديره لها ، وإلى وعيته في اظهار فضائله أمام خصومه وحساده ، فضلا عن ملكته القادرة وشاعريته العنثاع .

ومن الحق أن ابن المعتز كان له من جلال المحدث وعظمة الشخصية ومجد الأدب والخلق ما تكاد شاعريته تضيق عنه وتمجز عن تقديره .

٤ - يشيد ابن المعتز بأسرته ويفتخر بفضائله فيقول :

حبي مكاني من أسرة كرمت من غرها أحد وجسبريل
ويقول :

ونسب صحيح ينطق عن جهر

ويقول في غر بليغ وأسلوب ساهر وتعريض بخصومه :

خليلي إن الدهر ما تزيانه فصبرا وإلا أي شيء سوى الصبر
سألتكم بالله ما تملأني ولا تسكتنا شيئا فمعدنا خبري
أرفع نيران القرى لغفاتها وأضرب يوم الروح في ثفرة الثغر
وأسأل نيسلا لا يهاد بمثله فيفتحه بشرى ويختمه عسدي
ويارب يوم لا توارى نجومه مددت إلى المظلوم فيه يد النصر
فسبحان رب ما لقوم أرى لهم كوا من أعنان عقاربها تسرى
إذا ما اجتمعنا في الندى تضاءلوا كما خفيت مرضى الكواكب في الفجر
نمتي إلى عم النبي خلالتف علوا فوق أفلاك الكواكب والبدر

ويقول :

جل امرؤ منفردا وجسلا في زمن لم ير فيه مثلا
قد أكل الحمد نلادي أكلا والمضب لا يثنيه أن يفلا
والبيت الأول من قول البحري :

قد طلبنا فلم نجد لك في السؤدد والمجد والمكارم مثلا

وأخذه الثاني فقال :

وما عز فيها مراد أرادته وإن عز إلا أن يكون له مثل
إلى غير ذلك من روائع نغمه المثلثة قوة وروعة وبهرا وطلاوة والتي تحتل
مكاتها في باب الفخر في الشعر العربي، وحسبها ما تمتاز به من تدفق المعاني
واضطرام العاطفة وقوة الأسلوب وجزالته وصدق العاطفة وحرارتها .

(٣)

الشعر الاجتماعي في أدب ابن المعتز:

ونقصد بالشعر الاجتماعي هذه الآثار الأدبية التي تتناول المجتمع وحياته بالشرح
والتحليل، وتصور الشخصيات الواضحة فيه وأثرهم في الحياة وفي نفس الشاعر
على الخصوص .

ويتناول ذلك بعض شعر ابن المعتز في المديح والتهنئة كما يتناول أبواب الهجاء
والعتاب والثناء .

(١) فلا ين المعتز قصائد كثيرة من باب المديح، كقصيدته وسلت أمير
المؤمنين علي الدهر، وفي تهنئة الخليفة المعتضد بقصر الثريا، وكأبياته وهو معتقل
إلى أستاذه فاعلم يتشوقه :

إننا على البعاد والتفرق نلتقي بالذكر إن لم نلتقي
وكأبياته في أبي الحسين بن ثواب :

أني رزقت من الأخوان جوهرة ما إن لها قيمة عندي ولا ثمن
وكثيرة ذلك من آثار شعره الاجتماعي الكثيرة في باب المدح .

(ب) وكذلك من الهجاء كثير من الآثار الاجتماعية في شعر ابن المعتز مما
تناول فيها إخوانه وأصدقائه وبعض رجال المجتمع بالذم والنقد أو التكميم والسخرية.
وعلى أي حال فمن ابن المعتز في الهجاء لا خطر له، وليس له قيمة فنية خاصة
في شعر ابن المعتز لأنه لم يخلق لمثل هذا الفن الذي يجيده الخطيب وجبريل وبشار
ودعبل وابن الرومي وابن بسام مثلاً، ولعل أجود معانيه في الهجاء قوله :

وأبليت آمالي بوصول يكدها^١ ولست بذى منى ولست بذى نفع
لثيم إذا جاء اللثام تخلفا^٢ يحب سؤال القوم شوقاً إلى المنع
وقوله في سخرية رائمة :

خلقت لا شك عندي من فضل طينة قرد
ويقول :

ضحك المشرفات في يوم عيد إذ رأوا جعفرأ بحث العنانا
فلن لما رأيته حالكا أسود جمسداً يناسب السودانا
ليت هذا لنا فنعمل من جلده في وجوهنا خيلانا

(٢) والعتاب في شعر ابن المعتز ، فيه ناحية سياسية كمنابه العلويين ، وناحية اجتماعية وهي الغالبة عليه كمنابه إخوانه وأصدقاءه وأهل بيته وحساده وغيرهم ، مما يجيد فيه ابن المعتز إجادته بالغة . ومما سنتناوله بالتحليل في باب الاخوانيات ، ومن أولى من ابن المعتز بالاجادة في العتاب وهو الرقيق الإحساس النبيل الخلق المهذب النفس ، والذي شاهد من أحداث الزمن وتقلب الإخوان ما لم يشاهده سواه ، والذي عاصر البهتري ، شيخ الصناعة وسيد الجماعة وأحسن الناس طريقاً في عتاب الاشراف (١) ، ، وعاصر ابن الرومي الذي كان له آثار متميزة في الهجاء (٢) .

شعر الاخوانيات عند ابن المعتز:

ولابن المعتز في باب الاخوانيات شعر كثير جيد ، تناول فيه الصداقة ، وما في طبيعة الاخوان من تقلب ووفاء ، وشكا الحسد والحساد ، وآلامه الكثيرة وضجره بالجمتمع الذي يعيش فيه ، إلى ما سوى ذلك من معانيه الجيدة في هذا الفن الحافل بالجودة والطبع والروح والإبداع والحكمة ، ولا عجب فابن المعتز

(١) ١٠٢ : ٢ عمدة

(٢) كقصيدته في عتاب أبي التماس الشطرنجي :

يا أخى أين عهد ذاك النناء أين ما كان وثنا من صفاء

في إخوانياته شاعر ينطق عن شعور ، ويسترسل مع الطبع ، ويسير مع أخلاقه
الواضحة ، وعاطفته ووجدانه الرقيق ، وهو في حامد لمن رعى عهد الصداقة .

يقول يصف الإخوان وطبيعة الناس في عصره :

وأفردني من الإخوان على بهم فبقيت مهجور التواصي
إذا قبل مالي قبل مدسى وإن أثريت عادوا في امتداحي
ويقول :

خلد الغدر ولم يبق وقاء ليس إلا كاذب العهد قطوع
كلهم أعمى إذا ما كان خير ولدى الشر بصير وسميح
ويقول في صديقه النخيري :

جفاني النخيري فيمن جفا وما كان إلا كن قد سرى
وما لي منه سوى الاعتذار نصيب وسائرته للمدى
بأي سلاح تلاقى العدو وسيفك في كفه متنعى
وما جمع الله حب امرئ وحبك أعداءه في حشا
ويقول :

يلوت أخلاء هذا الزمان فأقلت بالمجر منهم نصيب
وكلهم إن تصفحتهم صديق العيان عدو المغييب
ويقول :

خلقت في شر عصبة خلقت أنسكتها رب السموات
كلاب حى إذا حضرت فان غيث فواقا فأسد غابات
يلقون ذا الفقر بالقطوب وذا الوفى بليك والصحيات
ويقول :

كان لنا صاحب زمانا لخال عن وده وخانا
ناه علينا فناه منا فلا نراه ولا يرانا
وقال .

نبئت أنت قوسى قد دفنوا لى مكرا
طال عليهم حمرى فاستعملوا فى القبرا
هل الأعر ذنب ان لم يكونوا غرا
ويقول فى الحد والحساد :

كم حاسد حنق على بلا جرم فلم يضررقى الحنق
منضاحك نحوى كما ضحكك نار الذبالة وهى تحرق
ويقول .

يا من عنانى حسده يقيمه ويقمده
سهرت لىلا أرقده حظ المسود كمد

ويقول :

اصبر على مضض المسود فأنت صبرك قائله
قالنصار تأكل بهضبا ان لم تجد ما تأكله
ويقول فى طلب العفو وهو فى نهاية الحسن والروعة :

سيدى قد عثرت غدا بيدى ولا تدعنى ولا تقبل تمسا
وأعف فأنا عدت قاعف ثانية فقد بداوى الطيب من نكسا

الزنا فى شعر ابن المعتز :

الزنا من أهم موضوعات الشعر عند ابن المعتز ، واشتهر بالإجادة فيه أوس (١) والأعشى وأبو زيد الطائي وليد م ٤١ هـ : ومتمم بن توبة وأبو ذؤيب ومالك ابن الرب وكعب بن سعد (٢) ، وانفردت به الخنساء ، ثم اشتهر بعد ذلك حسين ابن مطير والكثير فى مراثيه للدوليين ودعبل فى مراثيه معاهد الدوليين ، ثم أبو تمام ، وهو من الممدودين فى ذلك ، (٣) ، ومثله ديك الجن وهو فى هذا أشهر من حبيب (٤) ، وللبحترى فى الزنا آيات رائدة ومنها مراثيه فى المنوكل ، وكذلك ابن الرومى كما فى مراثيه لولديه ، بكؤكأ يشغى وإن كان لا يجدى .

(١) ومراثيه : « أيتها النفس أجلى جزءا » عند الأصمى لم يبتدىء أحدا من الشعراء مراثية أحسن من ابتدائها (٣٤ : ٣ الامال)

(٢) وقالوا ليس للعرب مراثية أجود من ياتيه فى أنبيه أجز الفوار (١٧٨ : ٢ ديوان الماتى)

(٣) ١٤١ : ٢ المصدة

ولابن المعتز في الرثاء آثار كثيرة نطأ لها في ديوانه المخطوط وفي شتى كتب الأدب العربي وقد شوه ناشر ديوانه آثاره الأدبية في الرثاء فلم ينتشر منها عشر شعره في هذا الباب .

كانت حياة ابن المعتز والتكبات التي نزلت به وبأسرته والآلام النفسية التي كانت تلاحقه تدعوه إلى نظم القصائد ، يرثي بها أهله وأسرته وأصدقاءه الذين أخلصوا له المودة ، ويرثي بها كل عزيز عليه مكين عنده من رجالات الدولة وعظائرها . ومراثيه يظهر فيه بوضوح أثر هذه الآلام والتكبات ، ويمتزج ما فيها من حزن بحكم الحياة الاجتماعية وعبرها ومواعظها وبروح التكوى والأتين ، وبمطامعة أوفاء البعيد الذي يشيع في نفس الشاعر ووجدانه .

فهرثي أهله بقصيدته :

أحبي عليك الدهر مقتدراً والدهر ألام غالب ظفراً (١)

ويرثي أباه بقصيدته :

رب حنن بين أثناء الأمل وحياة المرء ظليل ينتقل (٢)

ويرثي أبا الحسين بن ثوبة بقصيدته :

ليس شيء لصحة ودوام غلب الدهر حيلة الأقوام (٣)

ويرثي المعتضد بقصيدته :

قالت شربة ما لجنك ساهرا قلناً وقد هدأت عيون النوم (٤)

(١) ديوان ابن المعتز المخطوط ، ١١٤ : ٤ ، زهر ، ١٣٢ رسائل ابن المعتز ، والقصيدة طويلة جداً .

(٢) ديوان ابن المعتز المخطوط ، ١٢٦ رسائل ابن المعتز ، وقد جرى فيها قصائد الرثاء في الدهر العربي لتدبر فذكر في أولها ما ذكره أبو ذؤيب في ميثبه وسواه من الشراء ، من أن الموت لا ينجو منه حيوان ولو كان في ذرى الجبال ، ويشير إلى ذلك ابن رشيق في محمده (١٤٢ : ٢٢ العدد) ، ومن القصيدة :

وترى القتل بناء ثانيا وترى الموت قبعا بالرجل
لست يكن خضبه أعداؤه بدم فدم حناء البطل

(٣) ٨١ : ٣ زهر ، ١٣٠ ابن المعتز .

(٤) ١٩٩ : ٣ زهر ، ١٣١ رسائل ابن المعتز .

وفي تمزيته للموفق بابنه هارون م ٢٧٠ هـ :
يا ناصر الدين إذ هدت قواعده وأصدق الناس في رؤس وإنعام (١)
تكلف وتقليد وصنعة لأن الشاعر نظمها في طور التفايد الذي عاش فيه
في أول شبابه قبل أن يبلغ مرحلة الاستقلال في حياته الفنية . وله قصيدة طويلة
يرقى فيها الحسين بن علي ومطعمها :
كم قيل لك في الطيف غالي أرخصته غفلات العوالي (٢)
ويقول في عبيد الله بن سليمان الوزير م ٢٨٨ هـ :
لم تحت أنت إنما مات من لم يبق في المجد والمحامد ذكرا
لست مستغنيا لقبرك غيثا كيف يظلم وقد تضمن بحرا (٣)
ويقول في رثاء الموفق م ٢٧٨ هـ :
ألم ترى موت العلا والمحامد وكيف دفنا الخلق في قبر واحد (٤)
والدهر أيام تسيء عوامدا وتحسن إن أحسن غير عوامد
وله قصائد طويلة جيدة في الرثاء تجدها في ديوانه المخطوط .
وبعد فانتاج ابن المعتز في الرثاء كثير جيد ، وهو بمراثيه الجيدة وألحانه الحزينة
ومعانيه الطريفة وأساليبه التي يشيع فيها الوفاء في الرثاء لا يصعد على أي حال
إلى مكانه أبي تمام وابن الرومي في هذا الباب .

(٤)

الشعر السياسي

ونقصد به ما عيس الدولة وسياساتها والشخصيات الحاكمة فيها ، وما يوضح

- (١) ٢٠٠ : ٣ زهر ، ١٣٢ رسائل ابن المعتز .
(٢) ديوانه المخطوط .
(٣) من قول أبي تمام :
وكيف احتال السحاب صنية إسفائها فبرا وفي لحده البحر
(٤) من قول جرير :
إذا غضبت عليك بنو نعيم رأيت الناس كلهم غشايها
وقول أبي نواس :
ليس على الله بمسئور أن يجمع العالم في واحد

أهداف الشاعر السياسية ، وآراءه في هذه الناحية ، وهو يتناول باب المدح والتهنئة في شعر ابن المعتز وبعض أبواب العتاب والفخر والهجاء .

ولقد كان لا بد لابن المعتز - مهما أظهر بعده عن السياسة واضرأفه عنها إلى الأدب - أن يتأثر بالحياة السياسية تأثراً خاصاً ، وأن يظهر آثار هذا التأثير في شعره وإنتاجه .

كان يعيش في ظروف قاسية حتمت عليه الوفاء للخلفاء الحاكمين من أسرته ، وكثيراً ما كان يدفع به طمعه كمباي متحمس إلى الإشادة بأعمالهم في سبيل دعم صرح الخلافة وتوطيد مكانها كما فعل مع المعتضد ومع وزيره عبيد الله .

وابن المعتز من أسرة الخلافة ، ومن تجرأ في عروقه روح الرغبة الصادقة في أن تكون الخلافة في حاضرها قوية قوتها في ماضئها كما كانت في عهد المنصور والرشيد والمأمون ؛ ولكن حالة الخلافة في عهده كانت حالة ضعف وانحلال ، فكان لا بد له أن يدعو الخلفاء من أهل بيته إلى اليقظة والحزم والقوة وإلى العمل المجدى لإعادة مجد الخلافة الخالد وماضيها التليد ، ونازل ابن المعتز بدافع هذه الحاسة جميع التأثيرين على الدولة والطامعين فيها من خارجيين ودلويين وقراءطة وسواهم ، فاضلهم فضال الأبطال بلسانه ورائع بيبانه ، ثم أحس ابن المعتز بأن موجة من الشعبية تريد أن تكتسح الدولة وتعمل في الخفاء لدير الدسائس والمكائد لها غرضها وحاربها بشدة وعننف لا يخشى في الحق شيئاً . وذلك كله هو أهم عناصر شعره السياسي الذي ألم به ونظم فيه .

وتبعاً لهذا الرأي الذي آمن به الشاعر ، وظروف خاصة أخرى ، نظم ابن المعتز قصائده في المدح وفي كثير من أبواب العتاب والهجاء ، مدح الخلفاء وزاد اتصاله بالمعتضد والمكنتي خاصة ، ومدح كثيراً من الوزراء وعلى الأخص عبيد الله بن ساجان وابنه القاسم ، ومدح سواهم من رجالات الدولة وأعداء فيها ، وقصائده في هذا كله إنما هي صمم شعره السياسي ، فأما أن نمدحها مدائح فهذا قد يستساغ إذا فهمنا أن المدح غير التكبب بالشعر وأنه تقدير الرجال والأعمال والإشادة بها في أشخاص بعض الشخصيات ، ذلك أن ابن المعتز لم يقف أمام هؤلاء جميعاً موقف الماسح ، بل موقف المؤرخ الصادق ، فقدور من أفعالهم ما كان يجب أن يقدره ، نوه بهم حين كان الواجب يحرم عليه ذلك ، واستبشر

بما نالوه في الحياة من توفيق في سبيل عظمة الخلافة ومجد الدولة ، فشتان بين مدائمه ومدائح المنكسبين بالشعر كالأعشى والثابتة وكالأعطل وجريرو وكأبي التائية والبحري وسواهم من الشعراء ، وكذلك كان الجانب السياسي في هجائه وعنايه دعاية قوية لأرائه السياسية وأهدافه العامة ، وصورة لما ينتج في صدره من حب للخلافة ونقمة على الخارجين عليها ، فبها أبا الصقر الوزير ، وعائب الذين كان لابد له أن يعاتبهم من الرجال وتقد ما كان لابد له أن يتقده من الإهمال .

وقد مضى ذكر ألوان من مدائمه في الخلفاء والوزراء في الكلام على حياة الشاعر ، ومن أروع مدائمه قصيدته في المعتضد :

عرف البار لحيا وناحا بعد ما كان محبا واستراحا
ومنها :

جمع الحق لنا في إمام قتل البخل وأحيا الجاحا
فرح الأعداء بالسلم منه وهو في السلم يعد السلاحا
فرقت أيديهم المال كرها ولقد كانوا عليها شحاحا
عاطل أفواههم وقديما مزقوها ضحكا ومراحا
وقصيدته فيه : هذا الفراق وكنت أفرقه .

وقصيدته التي مدحه بها عام ٢٨٧ هـ حين قضى على ثورة صالح بن مدرك الطائي : « يا قاتلا لا يبالى بالذي صنعا » .

وقصيدته في المكتنى :

لا ورمات النمود فرق أغصان القدود
والتي يقول فيها الحصري : إنما من الشعر الذي يجرى في النفس بجرى النفس (١)
إلى غير ذلك من جيد قصائده في المدح .

ويقول ابن المعتز يرسم للخلفاء السياسة التي يجب أن يعملوا لها :
يا قوم - بل لا قوم لي - هبوا من الرقعات

إلى أرى ريب الزمان موليا ينشأت
هبوا إفاقة حازم ثم اسكروا سكرات
قالنر بعد وقوعه في الناس ذو وثبات
ويقول :

شدوا أكفكم على ميراثكم فالحن أعطاكم خلافة أحمد
ومنى يرميها الزائجون فيبادروا هاماتهم حصداً بكل مهند
طورا بجاهرة وطورا غيلة كم قاتل بفرار كيد مغمند

وكان ألد أعداء الخلافة العباسية القرامطة والعلويون والخارجون عليها باسم
الملك حينما وباسم الدين أحيانا ، وقد حاربهم ابن المعتز بشعره حربا لادواة فيها
ما تجده واضحا في ديوانه ، وكان العلويون من ألد خصوم الدولة إذ كانوا
لا يزالون يطمحون إلى الخلافة ويدافعون عن حقهم فيها بالسيف كما يدافعون
عنه باللسان : وقد ملا ابن المعتز شعره ثورة عليهم ، وغضبنا لسوء صنيعهم ،
ودعوة للانتقام منهم ، والقضاء على ثوراتهم ، وكان الشاعر يذهب إلى ذلك
حرصا منه على مجد أسرته وكرامتها ، وهناك قطعة صغيرة في هذا الباب :

بنى عنا الأذنين من آل طالب تعالوا إلى الأدنى وعودوا إلى الحسنى
أليس ابن عباس بمن أتيكم وموضع نجهوا وصاحبه الأدنى
وأعطاكم المأمون عهد خلافة لنا حقها لكنه جاد بالدينيا
ليعلم أن التي قد حرصتم عليها وغودرت من أجلها مصرى
يسير عليه فقدما غير مكث كما يابئى للصالحين ذوى التقوى
فات (الرضا) من بعد ما قد علمت ولاذت بنا من بعده مرة أخرى
وعادت البنا مثل ما عاد عاشق إلى وطن له فيه كل ما يهوى
دعونا ودنيانا التي كلفت بنا كما قد تركناكم ودنياكم الأولى
ويقول :

يا بنى عنا إلى كم وحى ليس ما تطلبونه يستقيم

فدعوا انك نحن بالملك أولى قد أقرت لنا بذلك الخصوم (١)
وهو حوار قوى طريف .
وله قصيدة مشهورة رائمة في ذلك ، أكد فيها حق العباسيين في الخلافة ، وذاد
الموليين عن حياتها وتراثها الموروث . ومطلعها :

ألا من لعين وتدهكا بها تشكى النفذى وبكاهها بها
ومنها :
نصحت بنى رضى لو وعدوا نصيحة بر بأناسها
قتلنا أمية في دارها ونحن أحق بأسلاجها
ونحن ورثنا ثياب النبي فلم نجدون بأهداجها ؟
لكم رحم يا بنى بنته ولكن بنو العم أولى بها
وأقسم أنكم تملكون بأنا لها خير أربابها
وهي قصيدة طويلة جيدة كان لها أثرها البعيد في نفوس الموليين وأنصارهم ،
وعارضها كثير منهم بقصائد على وزنها وقافيتها ، ورد عليها القاضي أبو القاسم
التنوخى (٢٧٨ — ٣٤٢ هـ) بقصيدة تحملها بعض الموليين ، أولها :
من ابن رسول الله وابن وصيه إلى مدغل في عقدة الدين ناصب
نفسا بين طنبور وزق ومزهر وفي حجر شاد أو على رأس ضارب
ومن ظهر سكران إلى بطن قينة على شبه في ملكها وشواب
إلى آخر هذه القصيدة (٢) ، وعارضها تميم بن المزمع الفاطمي م ٣٧٤ هـ
بقصيدة أولها :

إذا فزع الشوق حب القلوب كراهها بشدة تلمأها
ومنها :
ألا قل لمن ضل من هاشم ورام اللقوق بأربابها
أعباسها كأي حربها على وقائل نصائبها

(١) ٦٣ وما بعدها ديوانه ، ١١١ وما بعدها الاوراق .

(٢) ٣٤١ : • وما بعدها معجم الأدباء .

بنى هاشم قد تعاميت ظلوا المعالي لأصحابها
أعياكم كان سيف النبي إذا أبدت الحرب عن ناهها
صحت لمرتكب بغيره غوى المقالة كذباها
يقول فيظم زور الكلام ويحكم تتبع أذهابها
افسد جاز في القول عيب الاله وقاس المطايا بركابها
وعارضها حتى الدين الحلي م ٧٥٠ هـ بقصيدة طويلة (١) أولها:

ألا قل لنر عباد الإله وطاغى قريش وكذابها
أأنت تفساخر آل النبي وتجددها فضل أحبابها ؟

وكان لهذه القصيدة التي نظمها ابن المعتز في الملوكين آثارها السياسية البعيدة
وكانت محور أحاديث ودعابات سيرة أحيطت بها شخصية ابن المعتز وحكم على
حوثها على أدب ابن المعتز كثير من الناس فمدلوا عن ثلثه في الآداب إلى التفتيح
عليه بأمر الدين ومجاهد على بن أبي طالب (٢) .

وهذه القصائد كلها لم تكن بغضا لعل ولا للملوكين ، فقد صرح بأنه يهوى عليا
وكان ابن المعتز يسل عليه أصحاب رسول الله لا يذكر أحد منهم إلا عدده
فضائله وناضل عنه ونصره وما سمع في حال من الأحوال ينهض أحدا ولا عرض
بذلك ولا أوما إليه (٣) . وكان يحلف بالله أن ملك من هذا الأمر شيئا ليعلن
البعثين بطنا واحدة وليزوجن هؤلاء من هؤلاء وهؤلاء من هؤلاء حتى يصيرا
شيئا واحدا (٤) . إلا أنه كان يقدم بنى هاشم ويفضلهم ونظم في آخر حياته
قصائد فيها مفاخرة لأهله وبنى عمه الطالبين وكان يرى أنهم يناقضونه فاجتمع إليه
جماعة من الطالبين منهم ابن البصري الملوى وكان يحالسه على قديم الأيام والقاسم
ابن اسماعيل خلفوا له ما يقول هذه الأسماء أحد منهم فقدم على ما كان من قوله ،
وكان يقول : من عذيري من الناس ؟ تأتي مثل هذه الأسماء فأجيب بتعريض
عن مائة كلمة قد صرح بها كلمة فأنسب إلى ما أنسب إليه ، ثم عمل أشعارا يعتذر
فيها ويمدح عليا وولده وأعلى الله عهدا ليقولن باقي عمره في هذا الفن (٥).

(١) واجمها في ٢٤٣ : ١ وما بعدها نوات

(٢) الأغانى ٩ : ١٤١ .

(٣) الاوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء .

(٤) ١٠٩ للرجع (٥) ١٠٧ الاوراق وما بعدها

قاله اعمى إذا لابن المعتز على نظم هذه الأسماء هو دعايات العلويين وتمصيحهم عليه لتقديمه لبني هاشم وتفصيله لهم كما يقول الصولي في الأوراق ، وتضيف إلى ذلك : حب الشاعر لمجد الخلافة العباسية ، وكثرة نورات العلويين ومن يدعون أنهم علويون على الخلافة والخلفاء . وقد كانت هذه الخصومة ضررا على ابن المعتز ومكانته عند كثير من الجماهير وكانت مجال دعاية تنشر حوله في كل مكان ، ولكن ابن المعتز قد خفف في آخر أيامه من حدة هذه الخصومة ونظم قصائد كثيرة يعتذر فيها للعلويين ويبين أنه إنما كان يهجو المدعين الذين يحتالون على الملك تحت ستار أنهم علويون ، ومنها قصيدته :

رثيت الحبيب فقال العبداءة سب عليا وبيت النبي
أكل لحمي وأحسو دمي فيا قوم لا تعجبوا العجب
على يظنون في بطنه فبلا سوى الكفر ظنوه في
بلى قمرطين متوا إليه بالنسب الأجر الأكذب
إلى آخر هذه القصيدة الرائعة (١) .

وهكذا كان ابن المعتز قويا أيضا في جدله للشعوبيين قوته في جدله للعلويين والقرمطين ، كان الشعوبيون ينادون بمساواة الأجناس وتصادى كثير منهم قفصل المعجم وتنقش من العرب وقد أبلى كثير من العلماء في الرد عليهم كالجاحظ وسواه ، وكان ابن المعتز يفيض الشعوبية والشعوبيين ، وله في ذلك آثار كثيرة منها قصيدته :

أسمع قولا ولا أرى أحدا من ذا الشق الذي أباح دمه ؟
وحى في الرد على يحيى بن المنجم في قصيدة له اقتصر فيها بالفرس على العرب (٢)
وله يهجو الفرس قصيدة طويلة جدا مطلعها :

قصد حال دون الرجاء تعليل فالوعد كل والكل مأمول (٣)
وبعد ففن ابن المعتز في شعره السياسي يمثل عصره وسياسة الدولة فيه تمام

(١) ١٠٩ الأوراق وما بعدها ، ١٢٩ ديوانه .

(٢) راجع ورقة ٣٣ من الأوراق قسم المتن وما بعدها مخطوط ، وديوانه المخطوط .

(٣) راجع الأوراق قسم المتن ، وفي من ١٩٩ من ديوانه ثلاثة أبيات منها .

الثقل ، وتمشي الجودة وقوة العاطفة وسلامة الأسلوب في أعطافه ، وفيه روح وطبع وشاعرية ، وهو فن نبغ ابن المديني وأجاد فيه وقلعه بروح شاعرية وأسلوب قوي جزل في أكثر الأحيان ، وهو على أي حال من أجود شعراء طبعه . ويمتاز ما فيه من مدح بصدق العاطفة وبجاذبة الإغراق وتصوير الواقع الذي يعرف الشاعر أنه واقع وحق . كما يمتاز بأسلوبه وخياله ومعانيه المنعرجة الجريئة ، وفي عهد تقليده الفني شاع في قصائده في المدح التقليدي لأسلوب الجاهلية وجزائرتهم كما في مدحته الموقن :

بصكاه على ماني الضمير دليل ولكن مولاه عليه بخل
ثم أخذت الرقة والعذوبة تسرى في أعطاف مدائحهم مع ظهور التكلف فيها
كما في مدحته المعتضد :

وحلو الدلال ملبح الغضب يشوب مواعيده بالكذب
والتي وصف فيها لذاته ولطوه وبجائس الأنس ثم أقض في مدح الخليفة
وإعلان سروره بولايته إلى غير ذلك مما ضمنه هذه القصيدة ، وبعد هذا الطور
الفني أخذ أسلوب الشاعر يفيض قوة وطبعاً وجمالاً مع الجزالة حيناً والرقة أحياناً
كما نراه في مدائحهم في المعتضد والمدين في الله وقصيدته في القاسم بن عبيد الله الوزير :
يا قنب وبجك خنثى وقعاتها وحملت عقدة أوبى ونفعتها

(٥)

الحكمة في شعر ابن المعتز

الحكمة هي آثار التفكير في الإنسان والمجتمع والوجود والحقائق والأشياء
وهي ثمرات العقل الإنساني والاحساس العقري بالحياة .
والحكمة قديمة في الشعر العربي تجدها في الجاهلية في شعر زهير وأضرابه وفي
الإسلام في شعر كعب الغنوي (١) وكثير من الشعراء ، وكان الخارث بن كعدة طبيب
العرب المشهور شاعراً ذا حكمة في شعره (٢)

(١) كان يقال له كعب الابل لكثرة ما في شعره من الأبتال (٣٤١ مجسم الشعراء)

(٢) ١٧٢ للؤلئ للأمدى .

وكان نهران بن حطان أشهر الناس في الزهد (١) ، وكان القطامي كثير الأمثال في شعره (٢) وكان أبو بكر بن محمد بن عبيد الله السكوفي جل أشعاره آداب وأمثال وأدرك الدولتين (٣) . ثم جاء عصر المحدثين ، فأكثرُوا من الحكمة كصالح ابن عبد القدوس وأبي العنانية ومحمود الوراق ، كان صالح من الشعراء الفلاسفة وجميع شعره في الحكمة والأمثال ، وكان مذهبه مذهب السوفسطائية الذين يزعمون أن الأشياء لاحقيقة لها وله كتاب سماه التفكوك (٤) وكان أبو العنانية لا يكاد يغفل شعره عما تقدم من الأخبار والآثار (٥) ، وأكثر شعره في الزهد والأمثال (٦) ، وكان أكثر شعر محمود الوراق أمثالا وحكما ومواعظ ، وليس يقصر بهذا الفن عن صالح بن عبد القدوس (٧) . ولأبي تمام كثير من الحكم الاجتماعية في شعره .

وكانت الحكمة في العصر الجاهلي مستمدة من تجارب الشاعر وآرائه الخاصة في الحياة ، وفي العصر الإسلامي كثرت الحكمة وتنوعت بما دخلها فوق ذلك من أثر القرآن والحديث وعلومهما في التفكير والاخلاق والاجتماع ، وفي بدء عصر المحدثين أضيف إلى تلك العناصر الحكمة الفارسية التي احتذاها الشعراء ونظموا كثيرا من معانيها ، ثم جاءت الفلسفة والحكمة اليونانية ، فلنحت العقول بلفاح جديد ظهر أثره في هذا الفن في العصر الثاني على يد أبي تمام م ٢٣١ هـ وابن الرومي م ٢٨٣ هـ والناشي الأكبر ٢٩٣ هـ وسواهم من الشعراء .

ولابن المعتز مجال كبير في الحكمة التي ستعرض ألوانا منها من شعره في الأدب والاخلاق والاجتماع والسياسة ، لنرى إلى أي حد كان ابن المعتز يفكر ويحكم على الأشياء :

(١) المسال : ابن المعتز جواد متلاف ، ويدل جوده في فلسفة هادئة :

- | | |
|-------------------------------------|---------------------------|
| (١) ٩١ الرجز | (٢) ٢٤٤ معجم الشعراء |
| (٣) ٤١ الرجز | (٤) ١٣٢ و ١٣٣ : ٣ الرافعي |
| (٥) ٢٣٨ : ١ الكامل للبيروني . | |
| (٦) ١٢٢ : ٣ الأغانى . | |
| (٧) ١٧٤ طبقات الشعراء لابن المعتز . | |

إذا لم أجد بالمال جاد به الدهر على وادق والكف في قبرها صفر
وكيف أحاف الفقر والله منامن لرزق وهل في البخل من بعد ذا عذر؟
وهو يعرف قيمة المال وأثره في حياة الناس حيث يقول :

إذا كنت ذا ثروة من غنى فأنت المسود في العالم
وحبك من نسب صورة تحبب أهلك من آدم
ويرى أن الاسترسال في الاتفاق يقود إلى الفقر والموت :

يا رب جود جر فقر امرئ فقام للناس مقام النليل
فاشدد حرا مالك واسبقه قابيل خير من سؤال البخيل (١)
ولذلك فهو يرى استثمار المال ليعين على المكرمات :

وتصلح ما أبقى لنا من جودنا لنجري ما عشنا على عادة الفحل
ومع ذلك فهو يدعو إلى ترك الحرص :
فيا بئى الدهر كم ذا الجهد والنصب الله يرزق ليس الحرص والنصب
فليس مستغنيا ما عاش انسان :
وفي المداخ غنى للبر يستره وليس مستغنيا ما عاش انسان
والرزق مقدور :

قل للطلاب قد أنضى ركائبه لا تنجلن فان الرزق مقدور
وفلسفته في هذا الباب بسيطة غير معقدة وأساسها المصدر الديني والاجتماعي
دون ما سواهما من نظريات وآراء ، وله كثير من الشعر يدور حوله ما بسطناه .
(ب) الأخلاق : وابن المعتز في شبابه رجل مستمر يدعو إلى ملذات الحياة :
صاح ان أمكنك لذة عيش فلا تنذر
لأنها هي سعادة الحياة :

(١) من قول علقمة :

والموء نافية للال مهلكة والبخل مبق لأهليه ومغموم

(١٩١) مفتاحيات () ، ومنه قول مسلم :

ما أهل الناس أن الجود مدقة للدم لكنه يأتي على النصب
(١١٤ : ٤ زهر) .

وما الملك في الدنيا بهم وحسرة ولكننا ملك السرور هو الملك
ولا يزال في ذلك بالناس :
وما خفتا من الناس وهل في الناس إنسان ؟
ثم عاد يدعو إلى الرشاد :
خل الذنوب كبيرها وصغيرها فهو النقي
ويعاقب نفسه لتباطؤها في التوبة إلى الله :
جسد الزمان وأنت تلعب العمر في لا شيء يذهب
كم قد تقول غدا أنوب غدا غدا والموت أقرب
وهو يدعو إلى القوة وعدم الجبن والهوان :
ألا رب حلم عاد رقا وذلة وجمل به يعطيك ذو الجمل ما ترضى
وتردد في شبابه في قيمة الصبر :
لو أعلم الصبر عند الرزايا ما عرفنا شدة من رغاء
ولكنه يعود فيدعو إليه بعد تجارب الحياة :
عليك بحسن الصبر في كل مورد من الأمر كي تحظى بحسن المصادر
وابن المعتز لا يؤمن بالقراءة ولا بالأقارب لأنه ذاق منهم كثيرا من الآلام :
لحومهم على وهم يأكلونه وما داهيات المدر إلا أقارب
ويقول :
وما نسب الأقوام إلا عداوة وأكثرا ما يثق به من يناسبه
وكذلك رأيته في كثير من الصداقات والأصدقاء :
بلوت أخلاء هذا الزمان فأناطت بالهجر منهم نصيبي
وكلهم أن تصفحتهم صديق العيان عدو الغيب
ويدعو إلى المكيدة للقضاء على الشر : كم قاتل بفرار كيد معمد .
وقد يكون السيف أحسن للداء المستفحل :
والسيف أحسن للداء الذي امتنعا
ويدعو إلى انتهاز الفرص في الأعداء :

فإن فرصة أمكنت في العذر فلا تبتد ففعلك إلا بها
فإن لم تلج بابها مسرعاً أناك عندك من بابها
ولبابك من قدم يمدّها وتأميل أخرى فأق بها ؟
وبرى قبول عذر من اعتذر كاذباً كان أو صادقاً :

أقبل معاذير من بأتيك معتذراً إن بر عندك فيما قال أو لم
فتد أطاعتك من برحمتك ظاهره وقد أجلك من يمصيك مستترا

(ج) الحياة والمجتمع :

وقد جرب ابن المتنز الحياة ، وخبرها ، وذاق حلاوتها ومرها ، وعرف
شرها وخيرها ، ودعا إلى الحذر منها :

يا من تبجح بالدنا وذخرها كن من صروف لياليها على حذر
ويقول في روعة وبلاغة

يا آتيا لا تبق من حذر إن الخساسة جانب الأمن
فالدهر يدم ما بئى :

والدهر يدم ما بئى بيد فيه وإن زرع السرور حصد
والدهر من أخلاقه استرجاع ما قد سلفا

وهو مقسم بين الصفو والكدر :

إن الزمان إذا جربت خلقته مقسم الأمر بين الصفو والكدر

وهو يحسن ويبس :

وعند كال الحسظ يخشى ذواله كما لغريق اللجة الرى والقحط

ولا ينال الدهر إنسان :

ومبرم أمره والدهر ينقضه هل غالب الدهر يا للاس من أحد ؟

والحياة مصيرها إلى العناء :

راح فراق أو غدا لست بيباق أبدا

لا تخدعن إنسا كوالد من ولدا

من سار كل ساعة نحو المنسابا وردا

ويقول في حكمة وبلاغة :
وما العيش إلا مدة سوف تنفضي وما المآل إلا هالك عند هالك
ويقول :
وأيت الدهر ينقض كل يوم قوى حبل البقاء وكل عام
يقذف بعضنا بأكف بعض ويشهد بيثنا سيف الختام
والكنه يذم الموت كما يذم الحياة :
الموت مر والعيش هم وأى هذين لا أذم
ثم يعود فيؤثر الموت :
من أحب البقاء دام عليه مع طول البقاء هم طويل
ويحمد سكان الآور :
تدحج الموت البقاء الذي أرى فياحسدا متى لمن سكن القبرا
لأن الزمان لثيم على الكريم : وإن الزمان على الكريم لثيم
ولأنه مغلوب الأوضاع :
قد ملئ الزمان بالمعائب وارتفع المنم فوق الغارب
والكنه يدعو إلى الصبر والهدوء :
غري الزمان الصعب ويحك واصبري فا ناصحات المرء إلا تجاربه
ويقول : وكم نعمة لله في صرف نقمة ترجى ومكروه حلا بعد أمرار
ويقول :

رب أمر تنقيه جر أمرا ترجيه
خفي المحبوب منه وبدا المكروه فيه
فأترك الدهر وسله إلى عدل يليه

والحياة على أي حال لا تستحق شيئا عنده فهو يعيش فيها مكرها :
سكنتك بأدنيا برغى مكرها وما كان لي في ذاك صنع ولا أمر
وهو يعيش فيها وكأنه غريب عنها :
إني غريب بدار لاكرام بها كغربة الشعرة السوداء في الشط
ما أطنق العين في شيء أمر به ولست أبدى الرضا إلا على السخط

والموت أول من هذه الحياة :

الموت أول للفق من أن يرى ظالع دهر كلا شاء انقلب
لأن الناس فيها قد ركبوا مطايا باطل جموح :
والناس قد ركبوا مطايا باطل والحق وسعاهم برحل قاروخ
وللجهل فيهم دولة :

كن جاهلا أو فتجاهل تفز للجهل في ذا الدهر جاء عريض
ويقول :

وحلاوة الدنيا لجاهلها ومرارة الدنيا لمن عقل (١)
وهو من قول البحترى :

أرى الحلم يؤسا للعيشة للفق ولا عيش إلا ماحباك به الجهل
وقول الشاعر :

إني رأيت الحظ حظ الجاهل ولم أر المغبون غسير العاقل
ويقول المتنبي :

ذر العقل يشقى في النعيم بعقله وأخو الجمالة في الشقاوة يتعم
وأخلاق الناس قد مسخت أخلاق ذئاب :
لست من بعدم أرى صورة إلا من يقينا لإخلاق ذيب

ويقول لنفسه :

لا تظني الناس ناسا أي أسد في الثياب (٢)

وهو لذلك حكم في أموره كل الحكمة :

إني إذا فطن الزمان لناطئ وسكت حين رأيت دهر أبلها (٣)
د - حكم اجتماعية أخرى :

ويقول ابن المعتز : والمرء مادام حيا غادم الأمل .

ويقول : والمرء يمشي لذة الدنيا فتمقره المصائب

(١) يشيد الله في هذا البيت (٣٥٢ : ٢ الرزعة) .

(٢) غريب من قول الشاعر :

عوى الذئب فاستأنست بالذئب إذ عوى وصوت إنسان فكنت أظير
ولقبه صاحب الشعر والشعراء للأخضر العمري (٣٠٧ الشعر والشعراء)

(٣) هو من قولهم : لا تدل بجنتك حتى تجد نضاة عدولا

ويرى أن العظام لا يظفر بتقدير أثاره وحساده :
وإذا ملستك المجد لم تملك مودات الأقارب
ويقول :

ما لذة الديش إلا للمجانين
ويقول في بلاغة وسحر تصوير يصور حرم المعتد :
فرح الأعداء بالسلم منه وهو في السلم يعد السلاح
فرقت أيديهم المال كرها ولقد كانوا عليها شحاحا
ويقول :

من مكرمات الفتي تقديمه الحرما

ويقول :

ومن شر أيام الفتي بذل وجهه إلى غير من خفت عليه الصنائع
مق يدرك الإحسان من لم تكن له إلى طلب الإحسان نفس تأنح
إلى غير ذلك من حكمة المتعدة التي تركنا كثيرا منها خوف الإطالة
وبعد فالحكمة في شعر ابن المعتز أكثرها سهل مأخوذ من الثقافة العربية ،
والقليل منها صفه التفكير العقلي والثقافات الأجنبية ، فخرج رائج الألحوب بعيد
المنزع واضح الدلالة على ثقافة صاحبه وعقليته وبعد ، نرعه في التفكير .
والحكمة في شعر ابن المعتز أكثرها يدور حول الأخلاق والاجتماع وشكوى
الزمان والناس . وله فيها معان جيدة وأساليب جميلة ، ولكنه لم يتناول فيها شيئا
من الالهيات أو العقائد ، ومع ذلك فهي لا ترفعه إلى مكانة شعراء الحكمة في
الأدب العربي من مثل أبي تمام والمتنبي والمبري ، ولكنه يهيء ناليا لهذه الطبقة
ومجيذا مع المجيدين في هذا الباب الذي هو أكثر أبواب الشعر صعوبة وأحوجها
إلى الشاعرية والطبع والملسك والإلهام .

(٦)

الشعر الفنى فى تراث ابن المعتز فى القريض

وهو باب يشمل من تراث ابن المعتز فى الشعر أبواب : الوصف والطرده
والخرجات ووصف الطبيعة (١) ؛ وستناول كل فن من هذه الفنون بالبحث
والتفصيل .

الوصف فى شعر ابن المعتز :

١ - الوصف تصوير خواص الأشياء الحسية والمعنوية (٢) ، أو هو ذكر
الشيء بما فيه من الأحوال والحيات (٣) ، وأحسن الوصف ما نمت به الشيء حتى
يكاد يمثل عياناً . (٤) وما استرهب أكثر معاني الموصوف حتى كأنه يصوره لك (٥) .
والوصف أكثر أبواب الشعر العربى ؛ وكثير من النقاد يرى أن الشعر الأئمة
راجع إلى باب الوصف (٦) . وقد وصف شعراء الجاهلية كل ما وقعت عليه أعينهم
من شئ ألوان يشتمهم التى عاشوا فيها ومظاهر الحياة التى ألفوها فى هذه البيئة ،
وكان امرؤ القيس وأبو ذؤاد وطفيل الغنوى والناطقة الجمدى من وصاف الخيل (٧)

(١) ويبدأ ابن رشيق الطرود والخرجات من باب الوصف (٢٨٠ : ٢ : المدة) ويتابعه
فى ذلك كثير من النقاد ، ويبدون أيضا شعر الطبيعة من باب الوصف (٢٥٢ : التوجيه الأدبى)

(٢) الأسلوب قشايب .

(٣) ٧٠ قد الشعر

(٤) ٢٧٨ : ٢ : المدة

(٥) ١٢٣ صاعين

(٦) ٢٧٨ : ٢ : المدة ، ٢٥١ : التوجيه الأدبى .

(٧) وانرا وصف الجوارى الحسن الخيل آباءهن (١٧٨ : ١ : الأماى) ، ومقصورة
أبي صفوان الأسدى فى وصف الخيل (٢٤٠ : ٢ : الأماى) .

كما كان طرفة وأوس بن حجر وكمب بن زهير م ٢٤٤ هـ ، والشياخ من وصف الأبل (١) وكان عبيد بن الأبرص مجيدا في وصف المطر (٢) ، واستمر الأمر كذلك في العصر الإسلامي وانفرد بعض الشعراء بالتفوق في بعض الأوصاف ، فكان الشياخ من أوصاف الناس للفوس والحر (٣) ، وكان ذو الرمة أوصف الناس لزل وهاجرة وقلاء وقرادوحية (٤) وأحسن الناس وصفا المطر (٥) ، وبذكر بعض الباحثين أنه يكاد يكون أكبر شعراء الوصف في العصر المتقدم كما (٦) وكان ابن أحر وهو إسلامي قديم وشاعر مجيد وصافا للحيات وعلى قوله احتذت الشعراء (٧) وللتغلي أجود قصيدة قيلت في وصف القطا (٨) ، ولعميد ابن أيوب العنبري إجماعة وشهرة في وصف الصحاري والمجاهل وما فيها من حياة وكائنات (٩) ، وكان مزاحم العنيل يذمت العلوات فيجيد وشهد له بذلك الفرزدق وجبر والآخرط عند عبد الملك (١٠) ، وكان الراعي أوصاف الناس للآل (١١) كما كان الفرزدق والمحيطية يجيدان صفات الخيل والتمس والنبيل (١٢) . وفي العصر المباني هجر الشعراء الأوصاف التقليدية في الشعر العربي فنعنا مطيع إلى وصف الجبال لآل وصف المهامة والغفار :

لأحسن من بيدنحار بها القطا ومن جبلى طلى ووصفنا سلما
تلاحظ عيني عاشقين كلامهما له مفلة في وجه صاحبه ترعى
ودعا أبو نواس إلى أن تفتح القصائد بأوصاف الراح :

- (١) ٢٨٠ : ٢ : العدد ، ١٢٥ : ٣ : الرافعي .
(٢) راجع قصيدته الحاتية والنافية في وصف المطر (١٧٣ : ١ : الأسفل ، ١٧٨ : ١ : الأسفل أيضا) وراجع وصف الأعراب للمطر (١٧١ : ١ : الأسفل ، ١٧٣ : ١ : الأسفل) .
(٣) ١٠٩ : الشعر والشعراء لابن قتيبة ، ٢٨٠ : ٢ : العدد .
(٤) ٢٧ : الشعر والشعراء (٥) ٣٥ : المرجع
(٦) ٢٥٢ : التوجيه الأدبي
(٧) ٣٧ : المؤلف
(٨) راجع ١٦٩ : ٥ : الميوان
(٩) راجع ٥٠ : ٦ : الميوان
(١٠) راجع ١٥٥ : ٢ : ديوان النماي .
(١١) ٢٨٠ : ٢ : العدد .
(١٢) ٢٨٠ : ٢ : العدد .

صفة الطول بلاغة القدم قاجمل صفاك لاهة الكرم
وقال :

يا ربح شغك افي عنك في شغل لاناقي فيك لو تدرى ولا جلي
ونابيه في ذلك ابن المعتر فقال :

أحسن من وقفة على طلل ومن بكاء في اثر محتل
كأس مدام أعطك فضلها كف حبيب والتقل من قبل
وقال :

لانيك للطاعتين والبيس ومنزل ظل غير مأنوس
وقال :

أف من وصف منزل بهكاظ فحومل
وقال :

مالي وللباكرات والظمن ومقفرات الطلول والدمن
شغل عنها بالراح في غلس ووضع ديمانة على اذن
وقال :

لا تنقف في دارس الاطلال شغل فملي عنها وشغل مقال
إن دمي لضانح في رسوم وسؤال محيلة من عال
وقال :

خليل بالله اقعدا نصطح بلا قفانك من ذكرى حبيب ومنزل
ويارب لانيك ولانقط الحيا يسقط الوى بين الدخول لحومل
ولكن ديار الوى يارب فاسقها ودل على خضراتها كل جمدول
وكان أبو نواس شعوبيا في مذهب كما يقول هو :

عاج الشق على رسم يسائله وعجت أسأل عن خسارة البله
تيكى على طلل المسامين من أسد نككت أملك قل لي من بنو أسد
ومن نعم ومن قيس ومن يمن ؟ ليس الاطرب عند الله من أحد
ولم يكن يدعو إلى فكرة أدبية جديدة بل إلى إدخال أنواع من المجون في

الشعر (١)، ولكن ابن المعتز كان قد بحث في الصلة بين الأدب والحياة ويحاول أن يلائم بينهما، وينادي بتحضر الشعر وترك روح البداوة فيه، والتفاد يختلفون في هذه المناهج، فابن قتيبة يدعو إلى المحافظة على سنن العرب في ابتداء القصائد بذكر الديار والنسب ثم وصف الرحلة إلى الممدوح والتخلص إلى المدح (٢). ويرى ابن رشيق أنه لا معنى لذكر المعنى الديار إلا مجازاً (٣) وأن ليس بالمحدث من الحاجة إلى وصف الإبل والغفار لرغبة الناس في الوقت عن تلك الصفات وعلمهم بأن الشاعر إنما يتكافأ والأول في هذا الوقت صفات الخمر والقيار (٤).

وقد أجاد الشعراء العباسيون في الأوصاف [جادة بالغة] وجاءوا فيها بالتشبيه المفرط البعيد (٥)، على حين كان من قبلهم يحروزون أوصافهم على الصدق ويسرون في ظل الحقائق القريبة، وهذا مذهب من مذاهب العرب في أن يصفوا الشيء على ما هو وعلى ما شوه من غير اعتناء لإغراب ولا إبداع (٦)، وأشهر قصائد الوصف سيفية البحرى التي ليس للعرب مثلاً كما يقول ابن المعتز (٧)، ويرجع ابن الرومي في التصوير وخاصة في ما كان يرجع منه إلى باب الحكم والسخرية، وكان المحدثون من أصلح الناس شعراً وأقدرهم على الوصف وكان عامة شعره في طليسان ابن حرب (٨)، واشتهر بمجودة الوصف ابن المعتز (٩) ثم كشاجم بعده (١٠).

(١) ١٨٢ مقدمة لدراسة بلاغة العرب لعفيف.

(٢) ١٤ و ١٥ الشعر والشعراء.

(٣) ١٩٩ : ١ السبعة.

(٤) ٢٧٩ : ٢ السبعة.

(٥) راجع ١٢٤ : ٣ الرافعي — والوصف مناسب للتشبيه ومثبته عليه وليس به، والفرق بينهما أن الوصف إخبار عن حقيقة الشيء والتشبيه مجاز وتخييل (٢٧٨ : ٢ السبعة).

(٦) ١٨٩ الموازنة.

(٧) ٢١٨ : ١ و ٦٤ : ٢ ديوان النماي، ٥٠٢ الأدب العباسي لمحمود مصطفى، ٣٢.

رسائل ابن المعتز، ٧ و ٨ مقدمة ديوان البحرى.

(٨) ١٧٦ طينبات الكسراء لابن المعتز.

(٩) ٢٧٩ : ٢ السبعة.

(١٠) اشتهر بوصف آلات المناقمة (١٢٦ : ٣ الرافعي)، وكان يجيد الوصف ومحفله

(٢٥٠ رسائل البلاء)، وله كثير من القصائد في الوصف (راجع ٢٨٢ — ٢٨٥ : ٢ السبعة، ١٠٤ : ٢ وما بعدها).

والصنوبرى وهو وحيد جنسه فى صفة الأزهار وأنواع الأوراق (١)، وكذلك أبو طالب المأمونى م ٣٨٣ هـ وله شعر كثير فى الأوصاف (٢)، وكذلك السرى الرفاء وعلى ابن إسحاق الراجزى م ٣٥٢ هـ ثم ابن خفاجة وابن حدير (٣)، ولم يكن المتنبي من أهل الأوصاف كما يرى الواحدى (٤).

٢ - اشتهر ابن المعتز بالإجادة فى الأوصاف كلها كما يرى القيسى فى الجاهليين وأبى نواس والبحتري وابن الرومى (٥) فى المحدثين، ورسم صوراً صادقة لكل ما وقعت عليه عينه من أمور الحياة ومظاهر الحضارة، وفى وصفه وقفة وسلاسة ودقة وتفصيل وإبتداع فى الأسلوب وتجديد فى التشبيه والاستعارة وإكثار من الصور الحية الزائفة، وقد نعى مملكته فى نفسه دقة حسه ولط - شعوره وامتناد ذهنه بمشاهد الجمال وروائع الخيال وروائع الحضارة وأنه يقول الشعر إرضاء لنفسه وتصويراً لحسه بما صرفه إلى الإجادة فى هذا الباب الذى تناول فيه وصف ألوان معيشته ومظاهر حياته وأنواع ترفه ولذته وأتى فى ذلك بالرائع البليغ والجيد الممتاز وظهر فيه طابعه الخاص من أوصاف الملوكة التى تستمد صور الأوصاف من صور حياته التى كان يحياها كاملاً وكولى عهد وكشخصية بارزة من شخصيات أسرة الخلافة العباسية التى أغرقها الترف فى عصره إلى حد بلغ فى ذلك مبلغ الأساطير.

أما عنابة ابن المعتز بالحلى من الأوصاف خاصة فترجع إلى كثرة مظاهر الحضارة الحسية فى عصره وبيئته، وإلى سكون قلبه الذى ترف الحياة وجمال الزخرف والحلى النفيس من مظاهر العيش، وإلى عاطفته الشعرية التى كانت حريصة على أن تمثل جمال الحضارة فى صور من جمال الفن مصبوغة بصبغة حسية خالصة. وبحق لقد كان ابن المعتز أستاذ الوصافين فى عصره كما كان شيخ المشبهين، وكثير من أوصافه ستأتى فى باب التشبيه، ولكننا نذكر هنا صوراً قليلة من أوصافه انرى منها مدى جودته فى هذا الباب :

(١) ٢٥٠ وسائل البلاء.

(٢) ١٤٩ : البيتة - وله ترجمة فى البيتة (١٤٩ - ١٧٩ : ٤).

(٣) ١٢٠ و ١٢٦ : ٣ الرافضى

(٤) ويرد عليه الكثير دافعاً إلى أنه كان يحسن الأوصاف فى كل فن (١٦٥ : ١٦٥ : ١٦٥).

(٥) ويحيطهم ابن رضى من الذين أبدوا فى كل الأوصاف (٢٧٩ : ٢٧٩ : ٢٧٩).

قال يصف كلاب الصيد :

هو اصف مشاهير الالامد لما عدون وعدت خيل الطرد
فبلغ نهاية الجودة في تشييدها بالماصفة : وبشبهها بزوجة الربيع فيقول :
وزوجة من بنات الرياح تربك على الأرض شدا محب
لها مجانس في مكان الردف كتركبة قد سبها العرب
فيجيد إجادة بالغة ، ويصف الحمام فيقول :

سجن في الوككور دائرات حواصل أودعن خرمات (١)
كأنها صرار لؤلؤات فلم تول كذاك دائبات
طائرات القلوب طائرات تلوح مثل النجم الهداة
ويصف طول الليل فيقول :

صلى الشمس قد مسخت كوكبا وقد طلعت في عداد النجوم
ويصف طول شعر امرأة فيقول :
دعت خلانيلها ذوائبها لجئن من رأسها إلى القدم
ووصفه للثريا في قصيدته في المتنشد :

سلت أمير المؤمنين على الدهر ولا زلت فينا باقيا واسع القدر
حلت الثريا خير دار ومنزل فلا زال معمورا وبورك من قصر
وصف رائع جيد قل أن نجد له نظيرا في أوصاف المتقدمين . وله يصف فرسا :
ولقد وطئت الغيث بمحاني طرف كأون الصبح حين وقد
يمضى ويمرض في العنان كما صدق المعشوق ذواللال وصد
طارت به رجسـل مرصعة رجمة طها الطريق ويد
وكأنه موج يسيل إذا أطلقته وإذا حبست جمد
ويقول :

كأن جنان الفلاة تعربه كأن ماهرب منه ما يطلبه
يسكاد لولا اسم الإله يصحبه نأكله هيوننا وتشربه

ويقول:

ولاية من حسنات الدهر ما ينمى موضعها من ذكرى
سريت فيها بحيل شقر سياطها ماء السحاب القم
كأنه ذوب لجن يجرى وشادن ضعيف عقد الخصر
يمضى بموج ويحيى بيدر يفعل بالليل فسال الفجر
يا ليلة سرقتها من دهرى ما كنت إلا غرة في عمري
فتجد روعة وجالا وسعرا وبلاغة .

ويقول:

ومجلس جل أن تشبه جن به مزر ومزار
وزانه من بنى العباد رشا بالجيد والمقلتين سحار
قد ركب كفه مشعشة إريقها في الكؤوس هدار
ويصف رسولا فيقول:

ورسول يقول ما تعجز إلا فاطمة حلو الحديث أديب

ويصف فرسا فيقول:

طاعن في العنان يستنكر السوط مدلا ويأخذ الأرض أغدا
وإذا ما عدا فتار أذاعت بدخان تهنه الريح هذا
بحر شر يشاغب الصخر قرعا بصخور ويلبذ القرب نبذا
فتجد تصويرا جيلا ووصفا جيدا.

ويقول:

فصدت أربعه للوحوش أجلا

ويقول: جنة طارت بفتيان .

ويقول:

يلغ ما تلغسه الريح ولا تبلغ ما يلغسه إذا طلب

ويقول :

يا ليلة نسي الزمان بها أحسناته كوني بلا فجر
راح يديرها الصباح ووشق فيها العسبا بمواقع القطر
ثم انقضت والقلب يقيها في حيث ماسقطت من الدهر
ويصف ناقته فيقول :

تصني إلى أمر الزمام كما عطف يد الجاني ذرى العنن

إلى غير ذلك من شتى أوصافه المشرقة في ديوانه والتي سيجيء الكثير منها في باب التشبيهات ؛ ويشيد ابن رشيق في باب الأوصاف برأية أبي نواس في الخصب وجيمية ابن المعتز المردفة في الضرب الثاني من السكائل (١) ، وهذه القصيدة يذكر فيها الشاعر ربوع أحبابه وعصف الرياح المروج والمطر المنهل بها ويذكر جوبه الفلوات في الليالي الحامكة :

في ليلة أكل المحساق هلالها حتى تبدى مثل وقف العاج (٢)
والصبح يتلو المشتري فكأنه عريان يمشي في الدجى بسراج
ويصف جواده وطراذه للعبيد ثم يحننها بتعذير أعدائه من كيد و انتقامه
وهي غريبة قوية جملة الأسلوب ، وقد تأثر في بعضها بجرير في جيمته في مدح
الحجساج .

أوصاف الطبيعة في شعر ابن المعتز:

الطبيعة توحى للشعراء في كل عصر بكثير من الماعى والآثار الادبية الرائعة ، وقد افن بها الشعراء وصوروها في مختلف مظاهرها ورسومها لها صوراً تجمع غالباً بين صدق الأداء وبراعة الوصف وإظهار الدقائق والتفاصيل وحرارة الاحساس .

(١) ٢٧٩ : ٢ المدة — والقصيدة في ديوان ابن المعتز من ٢٦٦ ومثلها :

حت الفراق بواسر الاحساج وشبك يوم تأوا (يسكرتم) شاكى

وسكنتم اله تحريف مكتوم اسم محبوب له

(٢) سوار من عظم ناب القيل

صورها شعراء الاغريق وخاصة هوميروس في إلياذته (١) ، كما صورها الشعراء الجاهليون في قصائدهم وآثارهم التي تشابهت رغم تعددها وخلت من مظاهر التنوع والكثرة وخصوصية التصوير ، ولكننا على أى حال صورة صادقة لملك البيئة ، فامرؤ القيس في معلقته يذكر المطر والبرق كما يذكر يوم الغدير ولذاته في نظرة عابرة ، والأعشى يصف روضة من الرياض في لاميته ؛ وعنترة يصف الذباب وهو ينفى بها في معلقته كما يصف فرسه والممراك التي عاينها ، وهكذا نجد في الشعر الجاهلي والاسلامي صوراً كثيرة لمظاهر الطبيعة القريبة من نجوم وسماء وأنهار وأماكن وقفار ورمال :

وفي العصر العباسي أخذ الشعراء يهتمون بأوصاف الطبيعة من ربيع ورياض وأزهار وأنهار وبرك ، ومن سماء ونجوم وكواكب ، ورائية أبي تمام في الربيع وهائية البحري في وصف بركة المتوكل وجيبته في الربيع مثل جيدة لشعر الطبيعة في هذا العهد . وللتفاز يحيى بن الحكيم البكري الشاعر الأندلسي المشهور لامية مشهورة (٢) يصف فيها البحر ورحلته إلى قسطنطينية موفداً من قبل عبد الرحمن ابن الحكيم بن هشام عام ٢٢٥ هـ إلى امبراطور الروم في مهمة سياسية ومنها :

قال لي يحيى وصرتنا بين موج كالجبال
وتولتندسماً رياح من دهور وشمال
فأرأينا الموت رأى العين حالاً بعد حال

ولعبد الصمة بن الممذل قصيدة طويلة في روضة جميلة (٣) ؛ واشتهر السري.

(١) ويرى بعض الباحثين أن شعر الطبيعة شعر حديث ليس له صلة بالأدب اليوناني القديم (راجع ٩٨ الفن ومذاهبه في الشعر العربي)

ملاحظة : شعر الطبيعة هو الشعر الذي يمثل الطبيعة أو بعض ما اشتملت عليه ، والطبيعة : المسمى ما عدا الإنسان ، والصفات كالمعادن والمعادن والنباتات والجبال وما إليها (ص ١١ شعر الطبيعة في الأدب العربي تأليف السيد نوفل ط ١٩٤٥)

(٢) ١٤٤ : ١ نفع الطيب

(٣) ١٥ : ٢ ديوان النمازي ، وراجع ٤٠ : ٢ المرجع نفسه

والصنوبرى م ٣٣٤ هـ والتوتوى م ٣٨٤ هـ بالروضيات (١) ولابن وكيع م ٣٩٣ هـ قصائد في الرياض (٢) .

وفي الحق أن العباسيين قبل أي تمام والبحري وابن الرومي وابن المعتز كانوا قلوبا يلجأون إلى تصوير الطبيعة التي عاشوا فيها ، وقد ألم بها البحري وأبو تمام إلما دون أن يتصل بها بأعماق قلوبهما ، واقتبل ابن الرومي عليها صورها تصوير الماشق المفتون حيث أوقع بالطبيعة وتصويرها وكان يحيا بها حيا جما فلا فرق عنده بين الطبيعة والشعور ولا يكاد ينظر إلى إنسان إلا تذكر الروضة والبستان (٣) . وقد علل العقاد ذلك بيونانية (٤) ؛ ووراثته اليونانية أصل فنه الأدبي عند العقاد ويضيف إليها علم حسين الثقافة اليونانية الإسلامية التي كان بثقة بها الشعراء في القرن الثالث (٥) ، ففيه يونانية أصلية ويونانية مكتسبة أهم من الأولى ، وفيه أيضا إسلامية مكتسبة في فنه عناصر ثلاثة تؤثر فيه لا عنصر واحد (٦) .

أما ابن المعتز فقد كان شاعر الطبيعة (٧) ووصافها الممتاز ؛ وله كثير من الآثار في وصف شتى مظاهرها من رياض وأزهار وقصور وطور وبرك وميادين ومن نجوم وكواكب وأفلاك وسوى ذلك من شتى أوصاف الطبيعة ؛ كان يعيش مع الطبيعة عيشة الهائم المتبل والفنان الشادي والمصور المفتون ، منحها شعوره وشعره وهيامه وفيه أكثر من أي شاعر آخر سبقه وأوقع بتصوير كثير من مظاهرها المتعددة .

وإن شئت فانظر إلى تصويره للربيع ، حدث جعفر بن قدامة قال : كنت

(١) ٣١ : ٢ المرجع

(٢) راجع ٣٢٩ — ٣٣١ : ١ القبة .

(٣) راجع ٢٨٢ — ٢٨٨ ابن الرومي للعقاد

(٤) ٢٨٢ المرجع ويقد ذلك الرأي صاحب « الفن ومذاهبه في الشعر العربي » (٩١ و٩٩)

(٥) ٢٣٧ من حديث الشعر والنثر

(٦) ٩٣ الفن ومذاهبه

(٧) ويقول أحد الباحثين عنه : كان يحب الطبيعة ويبتنيها لكنه تنهيه الصورة قبل كل شيء ، وهو في إخراج الصور والأشكال مجتال ويتألق ويكتفي بالإشارة ويستقدم براعة صبية (١٨٢ شعر الطبيعة في الأدب) ، فهو مفتون بالطبيعة يرى فيها صورا جسيمة (١٨٨ المرجع) .

أشرح مع ابن المعتز في يوم من أيام الربيع بالعباسية والدنيا كالجنة المخرقة
فقال :

حبذا آذار شهر فيه للتور انتشار
بتقص الليل إذا جا . . ويمتد النهار
نقشه آس ونسر ين وورد وجرار (١)
وعلى الأرض اخضرار واصفرار واحمرار
فكأن الروض وشي بالنع فيه التجار
وانظر إليه يصف الروض والازهار والطبيعة :

والروض مفسول بلبل مطر جلالتا وجه الثرى عن منظر
كالصب أو كالوشى أو كالجوهر من أبيض واحمر واصفر
والشمس في اضواء جو أخضر كدمعة حائرة في عجير
نسق عقارا كالسراج الازهر يديرها كف غزال أحور
تغيب عيناها بفسق مضمر يعلم الفجور من لم يفجر
وأبو هلال يعجب بهذه الاوصاف (٢) :

ويقول في وصف روضة :

تضاحك الشمس أنوار الرياض بها كأنما ثرت فيها الدنانير
ويأخذ الريح من دخانها عنقا كأن تربتها من مسك كافور (٣)
ويقول :

وانظر إلى دنيا ربيع أقبلت مثل النساء تخرجت لزناة
والريح قد باحت بأمرار الندى وتنفس الرحمان بالجنات
وهو من قول ابن الرومي :

(١) ٩١٤٠ : الأمازي .

(٢) ١٦ : ٢ ديوان النفاي .

(٣) ٢١٤ : ١ فوت .

أصبحت الدنيا تروق من نظر بمنظر فيه جلاء للبحر
تبرجت بعد حياء وخفر تخرج الأثر تصدت للذكر
وبستانه التي هي جزء من أجزائه في ذم الصبح مثل جيد لأوصاف
الطبيعة في شعره (١)

ويصف الأذريون فيقول :

ودوحضة كأنها جلد سماء عارية
كأنها أنهارها مياه ورد جارية
كان آذر ريوها غب سماء صافية
مداهن من ذهب فيها يقايا غالية (٢)

ويقول في الترجس :

عيون اذا عايتها فكأنها وقوع الندى من فوق أجفانها در
عاجرها يعض وأحداقها صفر وأجسادها خضر وأنفاسها عطر
ويقول في البنفسج :

ولا زوردية تزهو بزرقها بين الرياض على حمر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار في أطراف كبريت (٣)
وله في ليونة ٤ :

كأنها كافورة لها غشاء من ذهب

وفي التارنج :

- (١) ٢٤١ و ٢٤٢ : ٣ زهر ، ٣٠٧ ديوانه ١٠٨ : رسائل ابن المني .
(٢) أخذ البوشنجي قول في الأذريون ٨٩ : ٤ اليتية :
كمن من ذهب أحمر مضنا مسكا إلى نصفه
(٣) يصحح أبو حلال أنه في الحرم لاق البنفسج بدليل قوله « كأنها فوق قامات ضغن
بها » لأن ساق البنفسج لا يضاف من حل وردتها ؛ وهذا الوصف بالحرم أشبه لكبر نوره
ودنة ساقه (٢٤ : ٢ ديوان الماني) .
(٤) يشبه قول ابن الحسن النعماني في الشمس :
منقب المسلمات من غير تلب سكاؤه بنادق من ذهب

وكأنما التارنج في أغصانه من عاصم الذهب الذي لم يخط
كرة وماها السولجان إلى المواقف فتملقت في جوه لم تسقط (١)
وله في أوصاف الرياض والأنهار والأزهار وشئ شاهد الطبيعة كثير من
الأوصاف الجيدة المتنازة التي ترفعه إلى القمة مع أكبر وصافي الطبيعة في الأدب
العربي حتى العصر الحديث .

الطرد في شعر ابن المعتز :

الصيد ووصف إقتراسه كان مألوفاً ببساطة في الشعر الجاهل لأنه كان مألوفاً
في الحياة الجاهلية الساذجة ، وفي شعر النابغة مثل كثيرة له ، وكذلك عند بعض
الشعراء سواء ، وفي العصر الإسلامي هجر الناس الهم وعاشوا حياة كاد جدولة-ام
ونشاط وعمل فأنصرفوا عن الصيد إلا قليلاً منهم كالمعتمد بن شريك (٢) فله في
الصيد والطرد أراجيز حسان (٣) ، وفي العصر العباسي نبغ أبو نواس في الطرد
وكاد أن يخلق هذا الباب خلقاً جديداً ، فظم الأراجيز في وصف كلاب الصيد :
وآلاته وإقتراسه ووصف الرحلات التي كان يقوم بها للصيد واشتهر بالإجادة
في هذا الباب وعكف عليه تلميذاً وتلميذاً ولم يقابله أحد من الشعراء بعده فيه
إلا ابن المعتز الذي اشتهر بالصيد والطرد شهرة أبي نواس (٤) ، ويشيد بطردهما
الحاتمي في مناظرته للنبغي (٥) ، والثاني م ٢٩٣ طرديات على أسلوب
أبي نواس (٦) .

وصف ابن المعتز الصيد ورحلاته وآلاته من كلاب وفهود ويزاة وغربان
وصقور وسواها من أسلحة ، ووصف لذاته به ولهوه فيه ، كل ذلك في قصائد
يظن أن تكون من الرجز ويقلب عليها صيغة الغريب ، وهي مع ذلك جملة ساحرة

(١) وغريب منه قول أبي الحسن التتلي في تاريخه :

إذا ميتها الريح ماتت كأكسرة بدت ذهاباً في سولجان زمرد

(٢) شاعر إسلامي من بني فطكان وكان شاعر فصيهاً وفارساً شجاعاً (١: ٣٦٦ شرح الحماسة)

(٣) ١٣٩ للؤلؤ

(٤) ٢٨٠ : ٢ : السبعة ، ١٢٥ : ٣ : الرافعي .

(٥) ٥٠٩ : ٦ : معجم الأدباء .

(٦) ٤٧١ : ١ : وفيات الأعيان .

دقيقة الوصف والتصوير والتشبيه ، وطردياته هي الباب السابع من ديوانه ، وفيها كثير من الصور البيانية الجميلة والتشبيه الساحرة البديعة مما يرفع من مكانته في هذا الفن الذي لا ينطق فيه إلا القليل من الشعراء ، وسأذكر قليلا جدا من شعره في هذا الباب ..

قال يصف كابة الصيد :

لما ترى أفق الضياء	مثل ابتسام الشفة الدياء
وشمطت ذوائب الظلالم	قدنا لعين الوحش والظباء
داهية محذورة القناء	تحملها أجنحة الهواء
أسرع من جفن إلى إغضاء	وعطفنا موتى الأعضاء
كأثر الشهاب في السماء	وبعرف الزجر من الدعاء
بأذن سافطة الأرجاء	كوردة السوسنة الشملاء
ذا برتن كئيب الخذاء	ومقلة قليلة الأقدام

صافية كقطرة من ماء

ويصف فرس الصيد :

أصرع من ماء إلى تصويب	ومن نفوذ الفكر في القلوب
ومن رجوع لحظة المريب	نار لظى باقية الريب

ويقول في كلب الصيد :

ذى مقلة تهتك أستار الحجب	كأنها في الرأس سمار ذهب
--------------------------	-------------------------

ويقول في الباشق :

لا يتقيه هارب بفوت	لا عيب فيه غير عشق الموت
--------------------	--------------------------

ويقول في البازي :

يركض في الهواء بالجناح	كركض طرف السبق في المراح
------------------------	--------------------------

ويقول :

لما غدونا بسحر	نأخذ أرضا ونذر
وقام رام قابض يد	أوتر قوسا وحسر
إذا رمى الصف انتثر	فارتاح من حسن الظفر

وقال في البازي :

بحر أعتاق الرياح حرا
وسامها قبضا وتقدا وغرا
يطلب في رؤوسهن كنزا

والبيت الأخير في نهاية الروعة والجلودة ، ويقول في كلبة صيد :
وكلبة غدا بها فتیان أطلقهم من يده الزمان
كأما إذا تحطت جان والنجم في مغربه وسان
والصبح في مشرقه حيران كأنه مصبح عريان

فستجد روعة لا يماثلها روعة في التصوير والوصف وسحر البيان ، إلى غير ذلك مما وصف به كلاب الصيد وبزائه ونسوره وأقواسه وأوتاره وأسراب الوحوش والطيور والظبا. وسوى ذلك من شق معاني طرده الجيد البارح التي تمتاز بروعة التشبيه وجمال الوصف وتنوع الخيال وسموه .

نخرات ابن المعتز :

وصف الخمر ومجالسها قديم في الشعر العربي ، وكان الأعتنى امام هذه الصناعة في الجاهلية (١) ، ومن أموا بوصفها عمرو بن كلثوم في مملته ؛ وبعد عهد الجاهلية اشتهر بوصفها أبو عجين الثقفي (٢) وعمر بن حسان بن هاذ (٣) . يزيد بن معاوية (٤) والوليد بن يزيد (٥) وقد ذهب به الشراة كل مذهب (٦) ، ثم أبو الهندي (٧)

(١) حلبة السكيت للتواحي .

(٢) ١٦٢ الشعر والشعراء .

(٣) ٢٣٢ مقيم الشعراء .

(٤) ٩٧ و ٣٤٢ حلبة السكيت ، وله فيها أشعار (٣٠ و ٤٠ و ٤٨ و ١٢٢ و ١٣٩ حلبة السكيت) وربما كان ذلك من دعاية خصومه البيايين .

(٥) حلبة السكيت .

(٦) ٣٢٨ : ٤ القند ، وراجم ترجمته في مذهب الأغاني (٥٧ - ٩٢ : ٧) ، والوليد هو الذي جمع ديوان العرب وأشعارها وأنسابها وأخبارها ولغاتها (١٣٤ فهرست) .

(٧) ٢٢ و ٩٦ حلبة السكيت ، ٤١ : ٢ الكامل ، ٣٢٣ : ٤ القند ، ٥٨ - ٦١ طبقات الشعراء لابن المعتز .

وكان جماعة مثل أبي نواس والخليل وأبي عفيان وطبقتهم إنما اقتدروا على وصف الخمر بما رأوا من شعر أبي الخندي وبما استقبلوا من معاني شعره (١)؛ وكذلك كان سحره (٢)، والأخطل شهرة واسعة في باب الخمرات في العصر الأموي وهو وارث الأئشي في هذه الصناعة، على أن ذلك لم يجعل الخمرات باباً مستقلاً من أبواب الشعر العربي فلما جاء العصر العباسي بترفه ولجوه ومجونته وبحرية الحياة فيه اتسع هذا الباب ونظم فيه كثير من كبار الشعراء وقصدوا إليه على أنه باب مستقل من أبواب الشعر ومذهب خاص من مذاهب القريض، واشتهر به دلامة (٣)، وفاق الجميع فيه أبو نواس فلم يعدل بوصف الزاح شيئاً حتى بلغ ما قاله فيها بضعة آلاف من الأبيات ولذلك عد إمام واصفها بالإجماع وكان يحنى في أوصافه لحسا الوليد بن يزيد، وله فيها معاني لم يأت بها غيره (٤)، وهو من المجيدين في وصفها (٥)، وكان النواصي يقول:

و أشعاري في الخمر لم يقل مثلاً وأشعاري في الغزل فوق أشعار الناس وهما أجود شعري إن لم يزاحم غزلي ما قلته في العز (٦)، .. ويشيد الجاحظ بخمرياته (٧) وإنما مون (٨) وصاحب الموشح (٩)، وكان يغير على معاني الحسين بن الضحاك في الخمرات (١٠)، وكذلك اشتهر بالخمرات ديك الجن، ويقول الصولي: سمعت بعض العلاء بالشعر يقول: أول الشعراء المتقدمين في صفة الخمر: الأئشي ثم الأخطل ثم أبو نواس ثم الحسين بن الضحاك ثم ابن المعتز (١١).

(١) ٦١ طينات ابن المعتز

(٢) وله في الزاح:

هي الحلياء والحياة والاهو لا أنت ولا ثروة ولا ولد

(٣) ١٢ طينات ابن المعتز .

(٤) ٣٢٣ الشعر والشعراء .

(٥) ٢٨٠ : ٢ : الممددة ، ١٢٥ : ٣ : الرافعي ، ٢١٢ : ٧ : مذهب الأعاني .

(٦) ٢١٠ : ٧ : مذهب الأعاني .

(٧) ١٤١ و ١٤٢ : ٤ : العقد .

(٨) ١١١ حلية السكوت .

(٩) ٢٨٢ للوشح لمرزاني .

(١٠) ٣٠ : ٤ : معجم الأدباء .

(١١) ١١٤ الأوراق اسم أشعار أولاد الخلفاء .

والخبرات فن من فنون الشعر عند ابن المعتز أجاد فيه وأحسن وفق كثيرًا من نظرائه، وقارب، إن لم يكن وافق شاعر الراح المبدع أبا نواس. ولم لا يجيد ابن المعتز في وصف الراح والساق والتدويم وبجائس الأنس والشراب وفي وصف الكأس وصفاتها والراح وعنتها وسورة الخمر وديبها في الأعضاء وتلاؤها بالنور والضياء وامتزاجها بالتخير العذب من الماء، وفي كل ما يمكن لنا أن نصدق الشعور قوي الأنس إلى الراح أن يتكلم فيه من معان ويخلق به من أساليب ويمرض له من خيال في خمرياته، وهو شاعر الجلال والتميم والتزف واللهو واللذة وشاعر الانعور الصادق والقلب الخافق بالحياة وحدها؟ بل لم لا يجيد هذه الإجابة وحياته وعاطفته في عهد الشباب كانت صورة واضحة لهذه الأشياء وتلك الألوان، ولذاته كانت هي تلك اللذات البجيلة وتلك السعادة المشرقة بالفرح واللهو والسرور؟ أليس هو الذي يقول:

تعالوفةوا أنفسا قبل موتها ليأني ما يأتني وهو رواء
تبادر أبام السرور فلها مراغ وأبام الموموم بلاء
وغل عتاب الحادثات لوجها فإن عتاب الحادثات عناء

ويقول:

بجباتي يا حياتي اشربي الكأس وهاتي

ويقول:

إذا كان يومى ليس يوم مدامة ولا يوم ندمان فما هو من حمري
وإن كان معمورا بعود وقينة فذلك مسروق لعمري من الدهر

ويقول:

وما الملك في الدنيا بهم وحسرة ولكننا ملك السرور هو الملك

ويقول:

أعازل قد أبحث اللهو مالى وهان على مأثور المفال
دعيتي هكذا خاقي دعيتي فسا لك حيلة فيه ولالى
وساقى يحمل المتدبل منه مكان حائل السيف الطوال
غلالة خده صبغت يورد ونون الصدغ معجمة بخال

بكأس من زجاج فيه أسد فرائسهن ألباب الرجال (١)
ولا بالمعز كثير من آيات الشاعرية الجديدة في الخمر وكل ما يتصل بها .

يقول :

قل لمن حي فأحيى ميتاً يحسب حياً
ما الذي حرك لو أبقيت لي في الكأس شياً
إن يكن رشداً فرشداً أو يكن غياً فغياً
قد تولى الليل عتسا وطواه الغرب طياً

ويقول :

لا تملا حثنا واسقنا قد بدا الصبح لنا واستباننا
واقفلا همى بصرف عقار واتركا الدهر فاشاء كانا
إن للسكره لذعة شر فاذا دام على المرء هانا
وامزجا كأسى برقة شر طاب للمطمان وردا وحانا

ويقول :

ونداماي في شياي وحسن أنلفت مالم نفوس كرام
بين أقداحهم حديث قصير هو سحر وما سواء كلام
وغناء يستعمل الراح بالراح كما نأح في الغصون الخرام
وكان السقاء بين الندامى ألفت بين السطور قيام

(١) أحسن ما شاء في هذا الشعر وإن كان أصله من لابي نواس في ذكر تصاور

الكأس :

فارتها كسرى وق جنباتها مهيا تدربها بالقى الفوارس
فلراح ما زرت عليه جيوبها وللنساء ما دارت عليه التلاص
ولأبي نواس أيضاً :

بيننا على كسرى سماء مدامة مسككة حافتها بجموم
ولابن المعتز في هذا المعنى :

يج سلاف الخمر في عجيبة توجه في يناه كالسكوب الفرد
مخفرة فيها تماوير فارس وكسرى غريق حوله شرق الجند

ويذكر النواحي في حديث طويل السبب في تصوير كسرى وقصر في كؤوس الراح (١٦٩)
وما بعد ما حلى السكيت) ، وقول ابن المعتز « فرائسهن ألباب الرجال » أخذها شاعر فقال :
قد سيقاً يند العولا

ويقول :

لم يتم ليلى ولم أنم مفردا بالوجد والدمع
فأسقى للراح صافية تنثر الاصباح في الظلم
وحلمها كف تدير به من فم الابريق نحو في
لا تلم عفتي ولم طريقي إن عفتي غير منهم
وهو طلع هذه القصيدة من قول أبي نواس :

يا شقيق النفس من حكم نحت عن ليلى ولم أنم
وله :

أباح عيني لطلول الليل والارق وصاح إنسانها في الدمع بالفرق
ظلي عتلى من الأحزان أوقره ما يمز الله من حزن ومن قنق
كأنه وكأن السكاس في يده هلال أول شهر غاب في شفق (١)

وله :

أى حسن تحفى الدنان من الرا ح وحسن تبديه منها السكوس؟
من كيت كأنها أرض تير في تولجيه ازلو مغروس (٢)

(١) في هذا المعنى كما في فصول التنايل ص ٣١ :

كأنما نصب كأسه قر يكرح في بعض أقيم التلكه
ويشب لعدين بن الضحاك (١٧٣ : ٢ السدة)

ولأبنا فيه نر أجمته والسكاس ين قم منه وين أنامل حس
فكأنها وكان شاربها قرية لي عارض الشمس

(٣١ فصول التنايل ، ١١٦ سفره الأدب في منقشات العرب) ويتبين لابن الرومي
(١٧٣ : ٢ السدة) ولابن المعتز فيه :

كأننا والورى وتود تتبل القمس في الفلام
وأصل للمع لآبي نواس :

إذا عب فيها شارب القوم خلته يليل في داج من الليل كوكبا
وقد أخذ من الحسين بن الضحاك كما في السدة (١٧٣ : ٢)

(٢) وأصل للمع لآبي نواس :

كان صبرى وكبرى من فنانها حصباء در على أرض من الذهب
وليك المكن : فأتت كؤوسكاعلى ما شئت كاتير معجونا بماء بلين
ولابن الرومي : لها صريح كأنه ذهب ورغوة كاللؤلؤ الفلقه

أنتسك حائذا بك منك لما ضاقت الحيل
وصدقني هو ك وبي لحيني يضرب المثل
فلان قتل الهوى رجلا فلاني ذلك الرجل (١)

ويقول :

تحقني الرجاجة نورها فكأنها في الكف قائمة بغير إنا (٢)
وفي معناه قوله :

أنت دورنا الأيام حتى كأنها تساقط نور من فوق سماء
وله أرجوزة طويلة يذم فيها الصبوح ومطلها :
لي صاحب قد لاني وزادا في شربي الصبوح ثم عادا
قال ألا قنرب بالمار وفي ضياء الفجر والأصوار
وهي حوار أدبي جميل وبفيض فيها في شرح عيوب الصبوح من سوء أخلاق
الساق من أثر النوم ومن شدة البرد والحاجة إلى النار للدفء وما يصحب النار من
الشرر يرى به الجمر إلى الخندق ويحرق الملابس وترتفع شمس الضحى فيقبل
الرائون من محنتهم منهم فتقطع لذة الراح ، وهكذا يمدد معائب الصبوح عيبا بعد
عيب إلى نهاية الأرجوزة وهي فريدة في الأدب العربي ، وتمتاز بألموعها النضوي الجميل
وحوارها الأدبي الممتع وتشبيهاها الفنية الرائعة وصورها الأدبية البديعة وشيائها
الشعري المتنوع وما فيها من أثر الفكاهة والمجون وهي من أجل آثار ابن المعتز
وتجدها مفشورة في « رسائل ابن المعتز » ، ولابن المعتز قصيدة (٣) يذم فيها الشرب في
يوم الغيم والمطر وأولها :

أما لا أشتبي سماء كبطن العير والشرب تحتها في خراب
إنما أشتبي الصبوح على وجه سماء مصقة. وله الجلباب
حين تبدو الشمس المنيرة كالد يثار تجلوه سكة الضراب
ثم ينقضي شباب ابن المعتز ويحى رجوله فيترك الراح ولذاتها وينهاه الامام
المعتضد عن شربها :

(١) ٨٠ فصول النبال

(٢) ينسب لابن المعتز كل ديوانه والبحتري (٢٢) الوازنة وديوان البحتري ولأبي تمام كان ديوانه

(٣) راجع جزءا منها في ذيل « رسائل ابن المعتز » ص ١٣٨

ونهاى الامام عن سفه الكأس فردت على السقاء المدام
عفتها مكرها ولذات هيش قام بينى وبينين الامام
وهو شيه بقول أبى نواس :
تاللى بالملام قيا إمام لا أرى لى خلافة مستقيا
وبعد فى خبرات ابن المعتز مرح ولهو ويجون ولذة ولكنه مرح الشباب
ولذة الصبا ، ونحن لا نقول إلا ما يقوله ابن المعتز نفسه :
وكم ليسة للهو قصر طولها بساقية الكففين والعين للخمر
وللى وإن كان التصاقى يمشى لأبغ حاجاتى وأجرى على قدر
كريم ذنوب إن يصب بعض لذة يدع بعضها فوق الأحاديث والوزر

(٧)

الشعر القصصى فى تراث ابن المعتز

١ - يشتمل الشعر القصصى على سرد واقعة أو حادثة أو سلسلة من الحوادث
والوقائع ، والنظم فيه قديم فى الأمم التى اغتذى خيالها بالدين والمادات ، ومن
تخاذله الملام أرانا عند الهنود ، والارديس والالباذة عند اليونان (١) ، والالباذة
عند الرومان (٢) ، ومنها : شاهنامة ألفردوس وشاهنامة الشاعر التركى المنقب
بالفردوسى الطويل وقد نظمها كما فى كشف الظنون فى مليون وسبعمائة ألف بيت
وكتبته فى ٢٣٠ مجلدا فأمر السلطان بإزيد الثمانى بأنتخاب ثمانين مجلدا وإحراق
الباقى فترك المؤلف بلاد الروم وذهب إلى غراسان فأت فيها كذا (٣) ، ومنها
الكوميديا الإلهية منظومة الشاعر الإيطالى دانتي الرائدة نظمها فى أول القرن
الرابع عشر الميلادى ، ومنها الفردوس المدةود للشاعر الانكليزى ملتون وهى
ملحمة تصف نشأة العالم وغروج آدم وحواء من الجنة .

(١) راجع تحليلها فى ٢٦٤ وما بعدها التوجيه الأدبى ، وما من نظم هوميروس وقد نظم
الالباذة نحو عام ٨٥٠ ق م
(٢) وهى ملحمة من نظم الشاعر الرومانى فرجيل نظمها فى القرن الأول قبل الميلاد (راجع
٢٦٨ التوجيه الأدبى) .
(٣) ١٤٦ : ٣ الرافى .

٢ - وإذا كان الغرض من الشعر القصصى ما يجمع من التاريخ ويحفظ من الأخبار فذلك موجود في أشعار العرب ولكنهم لم يطلبوا إطالة الإلياذة وغيرها (١). فالعجم يفضلون العرب في الإطالة كما فعل المردوسى في نظم الشاهنامة وهي ستون ألف بيت من الشعر تشتمل على تاريخ الفرس ، وهذا لا يوجد في اللغة العربية على اتساعها وتشعب فروعها وأغراضها (٢). أما الشعر القصصى بالمعنى المصطلح عليه فلم يكن من طبيعة العرب ولا هو من مقتضيات اجتماعهم فلم ينظموا فيه قطعا في جاهليتهم ولم ينظمه من بعدهم لوقوعهم عند حد التقليد (٣). أما الأساطير الدينية فيسر في العرب من تعمل لنظمها غدير أمية ابن أبي الصلت (٤). فقد تكون قصائد أمية بن أبي الصلت خطوة جديدة في الشعر العربي وبذرة من بذور الشعر القصصى في آداب اللغة العربية ، وفي العصر العباسى نظم أبا ن اللاتقى قصيدته ذات الحلال ، ذكر فيها مبدأ الخلق وأمر الدنيا وأشياء من المظن وغير ذلك وهي مشهورة ومن الناس من ينسبها لأبي الناهية (٥) ولعل بن الجهم م ٣٤٩ هـ قصيدة ذكر فيها الخفاء إلى زمانه ونمعا أبو الحسن أحمد بن محمد الأنبارى (٦) ، وامنازات الأندلس بنظم التاريخ والتفوق في هذا الباب (٧) ومن الشعر الأندلسى أرجوزة طريفة في فتح الأندلس وأمرائها نظمها يحيى بن حكيم البكرى الغزال م ٢٥٠ هـ (٨) شاعر الأمير عبد الرحمن بن الحكم (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ) ، وقد نك الغزال في ذلك أبو طالب عبد الجبار الشاعر فنظم كتابا في تاريخ فتح الأندلس (٩) وذلك في أرجوزة طريفة من نظم (١٠) ،

(١) ١٤٨ : ٣ الرافى

(٢) ٣٢٤ المالى السائر . ولان الناهية أرجوزة تبلغ أربعة آلاف بيت وسماذوات الامثال .

(٣) ١٤٩ : ٣ الرافى .

(٤) ١٠٤ : ٣ الرافى .

(٥) م ١ الأوراق قسم أخبار الشعراء .

(٦) راجع ٦٢ : ٢ مجمع الادباء .

(٧) ٢٤ بلاغة العرب في الأندلس لضرب .

(٨) راجع ٢٧٣ : ٣ تاريخ آداب اللغة الرافى .

(٩) ٢٧٣ : ٣ الرافى ، ٤٢ بلاغة العرب في الأندلس .

(١٠) راجعها في م ٤٠٥ وما بعدها ج ٢ الفخيرة لابي يدام .

ولابن عبد ربه أرجوزة في تاريخ الناصر وحروبه وأعماله خلال الفترة (٣٠٠ - ٣٢٠) وأولها :

سبحان من لم يحوه أقطار ولم تكدر تدركه أبصار
وهي طريقة جدا (١) والسكنا إلى الشعر النماذجي أقرب منها إلى الشعر القصصي
لجفافها وضعف خيالها وبعدها من قواعد المحممة (٢) ولابن عبد ربه في المنذر
ابن محمد من ملوك الاندلس (٢٧٣ - ٢٧٥ هـ) :

بالمنذر بن محمد صلحت بلاد الاندلس - الخ (٣)

ولمحمد بن عبد المزين من شعراء القيمة قصيدة ترقى على أربعمائة بيت في وصف
حالة تزدله في الأديان والمذاهب والصناعات وهي تقارب المعنى المصطاح عليه في
الشعر العربي (٤) ، ثم نظم الشعراء المتأخرون في السيرة النبوية خاصة كالبوصيري
في بردته وحمزته ، وتعتبر ألف ليلة وليلة مثالا غير مهذب للشعر القصصي ،
وهذا هو كل ما أمكن استيعابه عن تاريخ الشعر القصصي في الأدب العربي .

٣ - وابن المعتز في هذا الباب لا يحق أحد من شعراء العربية قبله ، فقد
تمضى هذا الفن نهضة كبيرة ووضع أساس الملاحم في الشعر العربي ، وله آثار
عائدة نظما على أسلوب المزدوجات (٥) .. ومن الآثار :

(١) أرجوزته في تاريخ المعتز وتبلغ نحو الأربعمائة والعشرين بيتا ، وهي
صورة مصغرة لنظم الملاحم كالليانة والشاهامة ، وقد سدت بعض النقص الذي يوجد
في الشعر العربي (٦) ، وهي في ديوان ابن المعتز (٧) ، وطاعت وحدها في مصر
عام ١٩١٣ ، وقد نشرها وشرحها وترجمها إلى الألمانية لاج الألمانى وطبعت

(١) راجعها في ٢٠٩ - ٢٢٧ : ٣ الهند .

(٢) ٣١٨ : الأدب العربي تاريخات .

(٣) ١٤٠ : ٣ فتح أطيب .

(٤) ١٥٤ : ٣ الرافعي

(٥) ألف الشعر العربي الأزودواج من قبل العصر العباسي حتى نظم عليه الوئيد بن يزيد

خطبة دنية خُلب بها الناس يوم حجة ومثلها :

الحمد لله ولي الحمد أعده في سمرنا والنصر

الخ - وراجعها في ٨٠ و ٨١ : ٧ مهذب الأغانى

(٦) ٢٥ و ٢٦ : ١ غير الإسلام

(٧) ١٥٢ - ١٧٤ الهيراني

في المجلة الألمانية الشرقية عام ١٨٨٦ م (١) ، وفعل مثل ذلك لوث وطبها في
ليبسك عام ١٨٨٢ (٢) ، وقد نشرتها وشرحتها على نظام جديد (٣) ، والأرجوزة
لها أهمية تاريخية كبيرة ، وهي تصوير رائع للحياة الاجتماعية والاقتصادية
والسياسية في هذا العهد الحافل ، وأكبر أثر تاريخي لهصر المتعدد ، ومطلعا :

باسم الإله الملك الرحمن ذي العز والقدره والسلطان
ومنها : هذا كتاب سير الإمام مهديا من جوهر الكلام
أعنى أبا العباس خير الخلق لذلك ، قول عالم بالحق

وبروي عن ابن المعتز أن المعتز أمره بتأليف كتاب في سيرته فقال قصيدته
ووجهها إليه ، وختنها بأبيات مرتبة بعد وفاته ، وحفظها المعتز جارية له فكانت
تقشده إياها كثيرا واقتصر بها عن الكتاب الذي أمر بتأليفه (٤) ، وأنا أرجح أنها
نظمت بعد وفاته ولم تنظم في حياته .

(ب) وفي زهر الآداب : وكان ابن المعتز يمدح الموفق وقد ذكر الصولي
قصيدة لصاحبه فقال وقد اقصر خلفاء بني العباس من أرلهم :

ومعتز من بعدهم وموفق يرد من إرث الخلافة ما ذهب
ينزله في كل فضل وسؤدد وإن لم يكن في المعدنهم إن حسب (٥)
فهل لابن المعتز أرجوزة أخرى في تاريخ الخلفاء العباسيين ؟

(ج) وأرجوزته في ذم الصبوح من أقرب الآثار الأدبية إلى الشعر القصص
وأسلوبها مزوج بالدعابة والمرح .

وبعد فلعل ابن المعتز هو الشاعر الذي كان له في الشعر القصص مجال كبير
ومنزلة سامية خلفتها الأيام وحفظها التاريخ .

(١) ٢٨٠ المجلد الأول من دائرة المعارف الإسلامية ، ١٦٣ : ٢ زيدت

(٢) ٢ : ٦٣ زيدت

(٣) ٨٠ - ١٠٧ وسائل ابن المعتز

(٤) ديوان ابن المعتز المخطوط بدار الكتب المصرية

(٥) ٢٠٣ : ٣ زهر

(٨)

ابن المعتز والموشحات

الموشح فن جديد من فنون الشعر العربي يمتاز بجماله الفني وكثرة صوره الشعرية ونمقيدها في صناعة الشعر وكثرة قوافيه وأدواره وبأوزانه الكثيرة التي تلام الذوق وتواجم العناء وتمشي مع الترف والموسيقى وجمال الفن والحياة. والمرشح جار على طريقة أهل الروم جاء من بلادهم خاليا من الكلام ليس فيه سوى التيمات المفعومة ثم تأمل العرب أدواره وأظهروا الموشحات على مقتضاها ، ويقال إن أول التواشح هو المنسوب إلى أولاد التجار عند قدومهم إلى مكة عليه وسلم المدينة فاستقبلوه والجواري ينشدن :

أشرقت أنوار محمد واختفت منه البدر
يا محمد أنت نور فوق نور (١)

ولكن على أي حال هذه صور فية ضئيلة جدا لانفسب إلى الموشحات إلا بجزء والصلة بينها وبين الموشح كما عرّفه المتأخرون منقطعة أو بعيدة .

وقد وجدت في الشعر العربي في العصر العباسي صور شعرية جديدة كالسمط والخمسة والمزدوج والدوبيت والموالي والسلسلة ولعل بعض هذه الصور كان الأساس الأول للموشحات ؛ فالتخصات نظمها محمد بن أبي بكر السلي (٢) ومحمد ابن عيسى التميمي (٣) ، وسواهما من الشعراء العباسيين ومن أولهم بشار .

والدوب الأول في اختراع أوزان التوشيح هو النفا. (٤) لأن أوزانه أحفل باللتحين - الذي كان ضروريا عند شعراء الأندلس - من أوزان الشعر (٥) واتخذ

(١) ١٣٤ وما بعدها الموشحات لسلام خليل نفاع من النصبذة الدويشية في تحرير السبع الفنون الأدبية لشخ أحمد لدرويش مغلوطه بدار الكتب المصرية

(٢) ٤٤٩ معجم الشعراء

(٣) ٤٠٢ المرجع. وراما انشرت في عروض السمط دالة على هذا الشاعر وثلة قوافيه (١٥٧ : ١٥٨)

التمدة (٤) ، ويناسب لاسمى الخيس سمط ، وفي كثير من النفا نبتة إليه (١٥٧ : ١٥٨) و ٦٣ و ٩٠ : رسالة الغفران)

(٤) ١٦٣ : ٣ الرافعي

(٥) ٣١٢ : ٣ للرجم

في أول الأمر أداة للبر والمجون ، ثم استعمل في أغراض الشعر الأخرى (١) ،
ولأبي الحسن الفيرى العارضي م ٦٣٨ هـ ديوان شعر أكثره موشحات في
النصوف ، ونظم السيوطي موشعا في النجوم ، ونظم الرصافي فيما بعد موشعا
ضمته علم تكوين الأرض والنجوم على رأى الفلاسفة وهو موجود في ديوانه .

وتنسب لأبي المنذر أول موشحة من الموشحات الفنية المعروفة (٢) روى :

أيها الساق إليك المنتسكي قد دعوتك وإن لم تسمع

وتدبم همت في غرته

وشربت الراح من راحته

كلما استيقظ من سكرته

جذب الرزق إليه وانسكا وسفاني أريما في أربع

ما لعيني عشيت بالظفر

أنكرت يدرك ضوء القمر

ولذا ما شئت فاسمع خبري

عشيت عيناى من طارل البسكا وبكى لعضى على بهضى ممي

غصن بان مال من حيث التوى

مات من بهواه من فرط الجوى

خفق الأحشاء موهون الفوى

كلما فكر في البين بكى ويحه يبكى لما لم يقع

ليس لي صبر ولا لي جلد

بالفوى عذلوا واجتمدرا

أنكروا شكواى مما أجد

مثل حال حقه أن يشنكى كمد اليأس وذل الطمع

(١) ١٥٣ الموشحات

(٢) ومن موشحات ديوانه المخطوطات والناويع ومنها كثير من الأبيات الموشحة ٢٧٨ الربات

٤١ بلاغة العرب الاندلس ، ٢٧٠ نظرات في الأدب الاندلسي لعسكري ، التوجيه الأدبي
و ٧٩ الأدب العربي في الاندلس لمحمد مدعاني)

كبد حرى ودمع يكف
بذرف الدمع ولا يندرف
أما الممرض عما أصف

قد نسا حبى بقاى وزكا لا نفل فى الحب إلى مدمى

وإذا كانت هذه الموشحة صحيحة النسبة لابن المعتز تكون أول موشحة عرفت فى الأدب العربى ويكون لابن المعتز غائباً فضل ابتداع هذا الفن الجميل ، والباحثون يخفقون فى ذلك اختلافاً كثيراً :

فتردد بعض الباحثين فيمن سبق إلى اختراع الموشحات : أهو ابن المعتز أم مقدم بن مغازى القريرى الأندلسى (١) . ويرى آخر أنه مع ذلك لا يستبعد أن تكون روح ذلك العصر التى أوجت إلى أحدهما هذه الفكرة هى نفسها التى أوجت إلى الآخر بما دون تقليل (٢) ، ويرى آخرون أن الموشحات فن أندلسى خالص سبقت إلى اختراعه الأندلسيون (٣) ، وهناك كثيرون جداً من الباحثين يحملون ابن المعتز هو المبتدع للموشحات .

وفى رأى أن هذه الموشحة ليست لابن المعتز لأنها بعيدة عن روح الشاعر وعواطفه ولا تمثل شيئاً من نظرائه فى الحياة ولا فنه الأدبى فى نظم القريض وليس فيها تديبه واحد من التديبات التى عرف بها وليس فيها شئ من خصائص فنه فى الشعر ، وعندما نقرأها نجد أنك قد انتقلت إلى جو بعيد عن جو ابن المعتز الأدبى وسماته الفنية مما يجعلنا نحكم أنها ليست له وإنما نسبت إليه خطأ ، وسمات الروح الأدبىة أظهر على هذه الموشحة من أى روح أخرى ، ولم يذكر أحد من عبي قديماً بابن المعتز من رجال الأدب شيئاً عن هذه الموشحة ، ولو كانت له لقلده فيها من عاصره أو جاء بعده من شعراء الشرق ، ويؤيد ذلك الآراء التى سبق

(١) ٢٧٨ تاريخ الأدب العربى للزيات ، ٢١٩ التوجيه الأدبى

(٢) ٢٧٢ نظرات فى الأدب الأندلسى

(٣) ٣٩ و ٤٢ و ٢٢٣ بلاغة العرب فى الأندلس لصف ، ٢٢٥ و ١٩٥ : شرح الطائى ١٣٠١ هـ
٢٤٣ سلافة العصر ، ٥٨٣ مقدمة ابن خلدون ، ١٦١ : ٣ وما بعدها لرافى ، ٩٨ و ٩٩ الأدب العربى فى
الأندلس والعصر الحديث لمحمود صطفى ، ١٠٣ العصر العباسى له أيضاً ، ص ٢١ و ٢٢ الأخيرة لابن سمام

ذكرها والتي تجمع على أن الموشحات فن أندلسي كما يؤيده بعض الباحثين (١) ، وقد كنت أظن أن هذه الموشحة لابن المعتز الأندلسي مروان بن عبد الرحمن الأمير الشاعر المشهور وأنها نسبت لشاعرنا خطأ من الرواة ، ولكنني وجدت في بعض المراجع أنها لابن بكر محمد بن عبد الملك بن زهر الأندلسي الأشبيلي (٢) (٥٠٧ - ٥٩٥ هـ) .

ولابن بقي الأندلسي م ٥٤٠ هـ موشح على نمط هذا الموشح وأوله :
غلب الشوق بقلبي واشتكي ألم الوجد فني أدمعي (٣)
ولا تدرى من سبق متيما (ابن زهر وابن بقي) إلى هذا الوزن ونهج سبيل
تلك الموشحة ومن هو الذي نكح رفيقه فيها ؟ ويقلب دلي ظني أن ابن زهر هو الذي
احتذى حذو ابن بقي في موشحته ، ولشاعر آخر موشحة على هذا النظام وأولها :
فلك الصب المعنى هل لك في تلافيه بوعد مطمع (٤)

وبعد فهذه الموشحة ليست لابن المعتز وإنما هي لابن زهر ، وابن المعتز هو ليس الذي ابتكر الموشحات وليس هو من الموشحين ، وهو في غنى عن المجد الذي سيناله باغتراف هذا الفن فليس فقيرا في فنه الشعري وبجده الأدبي حتى يكون بحاجة إلى مجد جديد متحل وشرف لم تقلده إياه ملكانه وأعماله وأدبه ، ومن هنا يدخل التلك في صفة ما نسب إليه في ديوانه من شعر ، فلا بد أن يكون قد دخله تغيير يسبب كثرة الذبح والنساج في شتى الأمصار وليس لدينا نسخ متعددة مخطوطة من الديوان حتى يمكن دراستها وتحقيق روايتها ومعرفة أول من نسب لابن المعتز هذه الموشحة ، وبكفينا ذلك من التحقيق في هذا البحث الآن .

(١) الفن ومذاهبه ، مجلة الرسالة العدد ٤٥٩ من مقال لطف الراوي .
(٢) ٢٢ : ٧ مجلد الأدباء ، وابن زهر نشأ بالأندلس وبرع في العربية والشعر وكانت يحفظ شعر ذي الرمة والفرد بالإجابة في نظم الموشحات (٧١ : ٣ مجلد الأدباء ، وراجع ١٠ : ٢ وقفات الأعيان ط ١٣١٠ هـ ، ٣١٣ : ٣ الرافعي ، ١١٧ : ٤ فتح الطيب ، ٨٥ هـ مقعة ابن خلدون) .
(٣) راجع ٣٧ من الموشحات لعلام خليل ، ٢٧٦ نظرات في الأدب الأندلسي .
(٤) ٩٦ و ٩٧ من الموشحات .

(٩)

التشبيه في شعر ابن المعتز^(١)

١ - لابن المعتز في فن التشبيه إجابة ، وله به شهرة ، وما كانه فيه حليكات المصور الفنان الملم ، وترجع بواعث هذه الملائكة المصورة في نفس ابن المعتز ، وأسباب تلك القدرة الباهرة على تصوير الأشياء وتشبيه بعضها ببعض إلى ذهنه الحصب ، وعقلية الناضجة ، وثقافته الواسعة ، وإلى إحساسه الدقيق ومشاعره المرحنة ، وهيامه الذي يتذوق الجمال وتصوره وتصويره ، وإلى مظاهر الحياة وترف المحضارة التي عاش فيها كما يقول الثعالبي ، وإلى مذهب الصنعة الشعرية الذي آثره ليدل بترف الأسلوب على ترف الخيال والفكر والحياة .

عكف ابن المعتز على التشبيه ، وأفرغ فيه جهده ، وراح يوشى به شعره ، ويعطر به قصائده مستمدا مقوماته من حياته التي لم تنح لتأخر ، فأظهر فيه براعة معدومة منظر بما استنبطه من ألوان رائعة وصور خلاصة (٢) في كثرة هائلة حتى لا تخلو قصيدة من قصائده ولا قطعة من مقطوعاته من عدة تشبيهات فادرة ساحرة . وهي لا تقف عند وصف الطبيعة والرياض بل تمتداهما إلى كل شيء يلتقطه خياله ، فكانت هذه الملائكة القوية ظاهرة ملبوسة في فن ابن المعتز في سائر شعره وشق أغراضه ، وإن كثرت ظهورها في أوصافه وخبرياته وغزله وطرده ، وهو في هذا يبذل جميع الشعراء الذين لم يكسر التشبيه في شعرهم هذه الكسرة ، نعم شغف ابن المعتز بالتشبيه شغفا شديدا ، وكان له عنده طراقة خاصة حتى حوله إلى صيغ له طاقة واسعة ، بل لقد خرج به عن نطاقه القديم ، فأصبح صيغا مستقلة له أوضاعه التي لا تحصى ، وفي هذا يظهر تصنيفه وتفوقه على شعراء عصره (٣) ، وكان صيغ التشبيه أبرز أنواع البديع في شعره ، وكان يعجب بهذا المذهب إعجابا شديدا ، وأكثر من أوضاع صوره وتشبيهاته في شعره وأفرط

(١) راجع كتابنا : التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي .

(٢) ٨٠ الصيغ البديعية لأحمد موسى مخطوط بمكتبة كلية اللغة .

(٣) ١٤٥ القرن ومذاهبه في الشعر العربي .

فيها حتى أصبح التنبية عنده صبغاً ثرياً بأوصافه المختلفة ، وأظهر في ذلك مقدرة ممتازة وبراعة لم تتح لشاعر من قبله ، وفي وصفه للرياض (١) في أرجوزته في ذم الصبوح :

أما ترى أين تنبى كيف نوراً ونشر الملتور ذهراً أصفراً

مثل واضح لذلك ، فلما لميليكك العجب حين ترى هذه الأوصاف الكثيرة التي استخرجها الشاعر من فن التنبية وراح يطرز بها هذا الوصف البديع للرياض والتي جمعت تلك الصور الكثيرة التي يفرق فيها البصر والتي يعرضها علينا ابن المعتز في تلك الألوان والطرائف النادرة .

٢ - وابن المعتز يسبغ على صورته في التنبية ظل حياته المترفة المفعمة بألوان الجمال والنعيم ، فيشبه الأذريون بكؤوس الذهب التي يحفظ فيها العليق وفيها بقية منه ، ويشبه الترجس بكؤوس الدر التي في حشوها عقيق ، ويشبه العنب بمخازن البلور ، ويشبه النار بأشجار الذهب ، ويشبه الهلال بزورق من فضة ، ويشبه مقلة كلب الصيد في الرأس بسيار ذهب ، ويشبه دنان الرياح المصفوفة بمجد قيام مصفوفة حوله ، إلى آخر هذه الأوصاف التي استمدتها الشاعر من حياته وبيئته ، والتي تصوف بك في قصود الوهم والخيال ، والتي إذا طالعناها في ديوانه ملأت نفسك روعة ، وطارت بك إلى حياة مترفة تسمعها ولا تكاد تراها . وتقف على صورة جديدة للتنبية ذات ألوان متعددة تفيض بالخيال الرائع وتبرز مكامن هذه الحياة المترفة التي نشأ فيها وعاشها ابن المعتز بما فيها من عدا من التبر وأواني الفضة ومخالف الذهب المخللة بأنواع الجواهر الكريمة والمكائيل النادرة حتى يغفل إلى القارىء أن هذا الصبغ مع عذوبته وعدم تكلفه قد استحال على يد ابن المعتز إلى صبغ آخر جديد وذلك هو سر تفردده في هذا اللون (٢) ، وقد أمدته حياته وما فيها من ترف ومشاهد بصور لم يألفها أحد من معاصريه وكان له بذلك التفوق على كل شاعر سواه حتى لا يدانيه أحد من الشعراء في هذا الباب .

٣ - وتنبيهات ابن المعتز أكثرها تنبيهات حسية يستمدتها من بيئته ، فهو يصور مظاهر الطبيعة وشتى ألوان الحياة المادية صوراً مادية لها سحرها وجمالها

(١) ٣٠٧ ديوانه ، ٨ رسائل ابن المعتز .

(٢) ٨٠ الصبغ البهي .

الغنى الرائع ، وقلا يعنى بتصوير الوجدانيات والمقلبات ، لأن خياله كان ثريا بالألوان المادية للحياة المترفة التي شاهدها وعاش فيها ابن المعتز فلم يثر أن يتجاوزها إلى دائرة التخيل والتصوير للحقائق المجردة البعيدة عن مظاهر الإحساس في الحياة ، فكان لحياته أثر بالغ في صنعه في التشبيه ، وجنوحه بها عن حقائق العلم والفلسفة التي استقيت بأبي تمام إلى أصابع الزخرف الحسى التي مال إليها البحرى أيضا ، وذلك مع المحافظة على عمود الشعر العربى ومع الرقة والسهولة في الألوب ، ويقول عبد الفاهر : « نقول ابن المعتز حسن التشبيهات بديعها تعنى تشبيه المبصرات ببعضها ببعض وكل ما لا يوجد فيه التشبيه من طريق الأويل وما كان من هذا الجنس ولا تريد نحو قوله :

اصبر على مضض الحسود فإن صبرك قاتله
فالنار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

وذلك لأن إحسانه في النوع الأول أكثر وهو به أشهر (١) ، وهكذا تجد ابن المعتز يجيد في شعره في أصابع الزخرف الحسى وألوانه المتعددة من جناس وطباق وتصوير ومشاكلة ، وينأى عن الزخرف العقلى . حتى حين كتب عن صنعة النمر كتابه البديع ، وعصر شبابه ، فليس فيه من ألوان الجمال التي تعتمد على العقل والتفكير إلا المذهب السكلاسى الذى نقله عن الجاهظ ونقده ونسبه إلى النكاف ، وتقرأ ديوانه فيجربك جمال صورته المنادية وما فيها من دقة وجودة وإحكام تصوير مما يفيض رقة وبسيل عذوبة ويمثل الحياة المترفة في أروع صورها . على أنه لم يعقد لك الألوان ولم يمزج بعضها ببعض على نمط ما كان عند أبي تمام ، فأزجها غالبا بجمجمة درن اتحاد وامتزاج ، وكان ابن الرومى يجيد ويكثر في تشبيه الحسيات ولكنه يمزج أصابعها ويعقد في ألوانها ويؤججها بجمجمة مركبة بعكس شاعرنا ابن المعتز ، انظر إليه يقول ، في روعة تشبيه وعذوبة أسلوب ، يصف الهلال :

ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا مثل القلابة قد فدت من الظفر
ويقول في القمر :
ومصباحنا قر مشرق كترس اللجين يشق الدجى

(١) ٧٥ وما بعدها أسرار ، ٤٤ ، المصباح لابن مالك

ويقول :

وكان السقاء بين الندى الفات بين السطور قيام

ويقول في لمونة :

كانها كقنطرة لها غشاء من ذهب

إلى ما سوى ذلك من صورة الحسية الرائعة . ثم إن هذه التشبيهات الحسية يدور أكثرها كما رأيت حول الأشياء المحسوسة بحاسة البصر أكثر من سواها من المحسوسات . ولابن المعتز كان الروى فن مستقل في تصوير الألوان عامة من بين سائر الميصرات وهو ما يسميه البديعيون « تدييجا » وما يبلغ فيه شاعرنا غاية الجودة والاحسان ، فيقول في الشمس حين الشروق : كان سناها صب في الأرض ذريابا ، أى ذهباً ، ويقول في الشمس وشماها :

وشارق يضحك من غير عجب كأنه صب على الأرض ذهب

والشارق الشمس ، وفي البيت وقف على المنسوب بالسكون .

ويقول :

ووجنة كأنما يقدح منها الشرر

ويقول في الراح بأيدى الندى :

كأنهم نثروا بينهم حريقاً بأيديهم تستر

ويقول في الساق :

فكان كفيه تقسم في أقداحنا قطعا من الشمس

٤ — والشعراء يلجأون عادة إلى التشبيه ولكن الشاعر المعناز يترك المجازات ويختار التشبيهات الجديدة المبتكرة ، وقد يحى ذلك عفواً ومن تلقاء ذاته عند الشاعر المطبوع الجيد المنزع في تفكيره وفنه ، لمزانه الأدبي ، ومن الممكن أن نروض خيالنا على ابتداع تشبيهات جديدة حية ، والأغلب أن يتطلب ذلك في بادئ الأمر جهداً ورياضة . لاجتناب أخذ الأوصاف المألوفة التي هي طافية على سطح تفكيرنا ، وللتغريب في طبقة أعمق ، حيث نستطيع أن نظهر مواهبنا الخاصة في فن التشبيه : ونبتدع معاني وتشبيهات جديدة مقبولة ساحرة : ولقد كان

ابن المعتز ملهما في هذا الباب ، وله فيه تجديد وإبتكار لا يعرف لهما نظير عند الشعراء ، وله في ذلك كثير جدا بما لا يكاد يحصى .

ويقول في قرسه وشدة عدوه :

كأنما طار تحتنا قزع على أكف الرياح ينقل (١)

فيجيد ويبلغ حد الجمال الفني في التجديد والتصوير .

ويقول في ورد أهدي له :

كأن أبيضه من فوق أحمره كراكب أشرفت في حمرة الشفق

ويقول يصف سباق الخيل :

خرجن وبعضن قريب بعض سوى فوت المذار أو العنان

ترى ذا السبق والمسبوق منها كما بسطت أناملها اليـدان

فترى صورة يحكم إحكاما غريبا .

ويقول في الهلال :

انظر إل حسن هلال بدا يمشك من أنواره المتلصا

كنجل قد صيغ من فضة يحصد من زهر الدجى ترجبا

فلا تجد أجمل ولا أبلغ من هذه الصورة ، ولقد شبه فيكتور هوجو الهلال بمنجل ذهب فراع أصحاب الأدب الفرنسي ، (٢) ، ولكن ابن المعتز لا يقف عند هذه الصورة النامة بل يضيف إليها زيادة غريبة ، فالمنجل من فضة ليكون شيئا ينور الهلال الفضي ، وهو يحصد الدجى بأعنائه وأنواره ، ولكن المنجل لا يحصد إلا الزهور والنباتات ، فليكن للدجى حديقة أو حقل فيه زهور متنوعة ، وليحصد المنجل من هذه الزهور ترجبا الذي يكاد يشبه الظلام ، وهذا أروع تفصيل وأدق مبالغة وملاحظة لخصائص المشبهات والمطابقة بينها وبين بعض .

ويقول أيضاً في الهلال :

وانظر اليه كزورق من فضة قد ألقته حمولة من عنبر

(١) القزع : القطع المنفرقة من السحاب .

(٢) ١٤٧ الفن ومذاهبه *

فبيضة الهلال الماير الذى ترك منه ظلمات الليل قوسا صغيرا مضيقا تشبه هذا الزورق المنضى المثقل بمحمولة عنبر فلا يبدو منه على سطح الماء إلا قوس صغير شبيه بقوس الهلال (١)

ويقول فى عين البازى : وكأنما فى الرأس مسبار ذهب .

ويقول فى النارج :

وأشجار نارنج كأن ثمارها حقائق عقيق قدم من الدر
ويقول فى حواصل الخلام :

و كأنها صرار لؤلؤات .

وفى العنب :

و كأنه عسازن البلور (٢) .

ويقول فى وصف سقاء الراح :

وتحت زناير شدة عقودها زناير أعكان معافدها السرر
فهذا تشبيه ما فعل أنه سبق إليه ، يشبه بالزناير المربوطة على خصورها هذه الثنيات التى فى أجسادهن والتى يجعل السرر عقدا لها (٣)

ويقول فى وصفه الثريا ما لم يسبقه أحد إليه على كثرة ما وصفوا الثريا :

ولقد لمعت بين النجوم كأنها قوارير فيها ذئبق يترجرج (٤)

ويقول فى الأذريون :

مداهن من ذهب فيها بقايا غالية

(١) حاول الشعراء فى شتى الصور تقليد ابن المعتز فلم يلقوا بمثل فى هذا التشبيه الجيد الجليل ولاين المعتز فى القمر :

فى قر مصفوفة كآته بجرقة الطر

(٢) وينسب لابن الروى (٣٧ : ٢ ديوان الماعى ، ١٠ : ٢ زهر ، وديوان ابن الروى)

(٣) وينسب البيت لابن نواس أيضا (٢٣١ : ٢ عمدة) وقد أخذ أبو هلال قتال فى تمويده

وندد شدة زنايرا على مثل الزناير

(٤) وفى ألفاظ البيت زيادة على سماه كما يقول أبو هلال (٣٣٥ : ١ ديوان الماعى) ، وأخذ

الخالى أو كذا جده فقال :

والشترى وسط الساء نخاله وسان مثل الزئبق المترجرج

ويقول في الصبح :

وكانت الصبح لما لاح من تحت الثريا
ملك أقبل في تا ج يفسدى ويجيا (١)

ويقول في الراح :

كان عناقيد الكروم وظها كواكب در في سماء ذربرد
ويقول في النجم يشرق فيه الليل :

وتد تبدى النجم في سواده كحلة الزهاب في حداده

ويقول في البدر :

والبدر في أفق السماء كدرم ملق على ديباجة زرقاء (٢)

وسوى ذلك من جديد تشبيهاته وجيدها المبشكر ، ولابن المتن عدداً ذلك
تشبيهات لها جمالها الفنى البارح ، يقول في الساق :

قام كالغصن في النقا يمزج الشمس بالقمع

ويقول في الفرس وغرته : « قد سميت جهة بنجم »

وفي الراح وصفاتها : « كأنها دمة من عين مهجور » . وفي البازي :

يركض في الهواء بالجناس كركض طرف السبق في المراح

وفي الثريا :

وأرى الثريا في السماء كأنها قدم تبث في ثياب حداد

(١) أخذوا الأواء فقال في قصير من بلوغ شأوه :

وكان الخلال تحت الثريا ملك فوق رأسه إسكيل

(٢) أخذ منه أبو طالب الرق بينه المشهور :

وكان أجرام النجوم لوامسا دور ثمن على هباط أزرق

وأخذهم سميد الحادي فقال :

كانما نجومها في مفرق ومغرب

دوام مشورة على هباط أزرق

وله :

وماء دارس الآثار غال كدمع حار في جفن كحيل
وله أيضا :

وتجرح أحشائي بعين مريضة كالان من السيف والحد قاطع
وهو من التشبيه القليل النظير (١) . ويقول :

والريح تجذب أطراف الرداء كما أفنى الشفيق إلى تنبيه وستان (٢)
ويقول في ناقته :

رمت أرض بها أرضا فأرضا كتبذ القوم صائبة السهام
وفي حبيته :

كأنها حين تبدو من مجاسدها بدر تمزق في أركانه القسق
وفي الراح والماء الذي يمزج بها ، والحباب الذي يتولد من ذلك :

وأمطر الكأس ماء من أبارقه فأثبت الدر في أرض من الذهب
وسبح القوم لما أن رأوا عجبا نورا من المساء في نار من العتب
ويقول :

إلى أن تمرى النجم من حلة الدجى وقال دليل القوم قد ثقب الفجر
وقد أديم الفجر حين ترفعت لهم ليلة أخرى كما حوم النسر
وهو من قول شاعر مطبوع :

هل حين أفنى القوم حرم من السرى وطارت باغرى الليل أجنحة الفجر
ويقول في شراء الراح :

وزنا لها ذهباً جامدا فكألت لنا ذهباً سائلا
ويقول :

كان الثدى هل صدرها حقائق من الدر في مرمر
عشين السقوط فأثبتتها بشبه المسابير من صبر

(١) ٢٣٦ : ١ ديوان النائي

(٢) يقول النائي : وهو من سائر تشبيهاته التي اقردها بها (١٨٢) نوار الثوب)

• — وابن المعتز في تشبيهه مـصور بارع ينقل لك بريته على صفحات شعره البديع صورا تمثل ما يصوره لك من أشياء ، هو فني في تصويره ، غنى بذعنه الحصب وخياله المصور الذي يقدر الأشياء ويقدر الصور بمقدارها ثم يخرجها لك تشبيهات تمثل أصلها في كل خصائصه التي أرادها الشاعر وصوره من أجلا ، مما جعل تشبيهاته تمتاز بدقة التصوير ، وهي ناحية تفوق فيها ابن المعتز وبلغ فيها منتهى الإجازة وتقدم بها كثيرا من الشعراء الوصافين : كان فطنا دقيق القطة ملتفتا إلى كل ما تتطلبه صورة الشعرية من ألوان وأصباغ ، فهو يحكم ظلالها وأصواتها ويلائم بين ألوانها وأشكالها ويخرجها صورا مكتملة الحياة في كل جزء من أجزائها. وكان يوضح الشبه بين الشئيين توضيحا بالما مما اختلفا في الجنس وتباعدتا في الخيال ، وكثيرا ما كان يجمع بين المتباينات ويؤلف بين المتناقضات ، مما يدل على دقة الفكر والطف النظر ونفاذ الحاطر ومما يعطيه الناقد في كثير من منزله الحاذق للصانع والمصور الملمهم ، فالبنفسج زهر شمس يرف تبصر فيه زرقه أوراقه وحمرة ساقه ، فيشبهه ابن المعتز لا بزهر مثله ولا بنبات آخر شبيه به ، ولكن يشبهه بالهب نار لا يستطيع سوى الحاذق أن يتخذ منها له مثالا ، ثم لم يكتف بذلك بل دق في التصوير ونظر نظرة خاصة غريبة فشبهه بزرقه النار أول ما تشتعل في الكبريت .

فبلغ غاية التصوير وملك زمام الإجازة حين يقول :

ولا زوردية تزهر بزرقها بين الرياض على حر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها أرائل النار في أطراف كبريت (١)
ويقول في الآذريون :

مدامن من ذهب فيها بقايا خالصة

ويقول :

وحمل آذريونة فرق خسده ككأس عقيق في قرينتها مسك
والبيت الأول أدق في التصوير وأبلغ في التفصيل من الثاني (٢) ، لأن المسك يابس وهو في الكأس لا يرتفع في الجوانب ذلك الارتفاع الذي تراه في السواد

(١) وما في الديوان برواية أخرى .

(٢) ويطلق عبد الناصر في الأسرار في شرح اليبين والوازنة بينهما (١٥٣ الأسرار) .

في باطن الأذريونة ، أما الغالية فهي رطبة فهي تؤخذ بالأصابع فيقباها وترفع عن
الفرادة فتكون شديدة بذلك السواد ، ثم هي لنعمتها ترق فتكون كالصغ الذي
لا جرم له وذلك أحسن التشبيه . والبرق في حركته واستطالته في أثناء وميضه
يشبه ابن المتمر بالفرس ثم يدق فيجعل الفرس يلقاء ثم يدق فيجعلها ترح وتحويل
ليكون قد راعى ما به يتم التشبه وهو مظلم الغرض من تشبيهه ، وهو هيئة حركته
وكيفية لمه فيقول :

وترى البرق عارضا مستطيلا مرح الباقى جلن في الأجلال (١)

ونظيره قوله في البرق :

ونارة تبصره كأنه أبلى مال جله حين وثب

فالقصد تشبيه البرق وحده ببياض الباقى دون إدخال لون الليل في التشبيه (٢) ،
ويشبه الصبح والليل جميعا بالفرس الأنثب أجهلت جلالة عن ظهره وقد ظلت
عالة به فيقول :

غدا والصبح تحت الليل باد كطرف أشهب ملقى الجلال (٣)

والصبح حين يظهر في حواشي الظلة ويدفع الليل دفعا يشبه ابن المتمر بأشخاص
غربان ذاهبة في الفضاء طائرة في جو السماء يدفعها الخوف لا الرجاء ، فيبدع في
ذلك غاية الإبداع حين يقول :

كأننا وضوء الصبح يستعجل الدجى نطير غرابا ذا قوادم جون

شبه ظلام الليل حين يظهر فيه الصبح بأشخاص الغربان ، ثم شرط أن تكون
قوادم ريشها بيضاء لتلائم ضوء الصبح المشرق في ظلمات الليل ، وأجاد التشبه
والتصوير ، وتمام التصوير والدقة والسحر في البيت أن جعل ضوء الصبح لقوة
ظهوره ودفعه لظلام الليل كأنه يحفز الدجى ويستعجلها ، ولا يرضى منها بأن تتمثل
في حركتها ، ثم صور ذلك كله في قوله « نطير غرابا » دون أن يقول غراب أو غراب

(١) البيت في الوساطة (١٤٩) ويض عبد القاهر في شرحه في أسرار (١٤٩) الأسرار

(٢) راجع ١٤٨ الأسرار وما بعدها .

(٣) راجع ١٤٧ وما بعدها أسرار البلاغة .

يطير ، لأن الطائر إذا كان واقفاً في مكانه فأزجج منه كان ذلك أمرح لطيره ،
ومسيره إلى حيث لا تراه العيون ، وإيس كذلك إذا طار عن اختيار فانه يجوز
أن يصير إلى مكان قريب من مكانه الأول (١) .

ويقول ابن المعتز وهو من أغرب ما قاله محدث :

وقد رفع الفجر الظلام كأنه ظلم على بيض تكشف جانبه
والشمس في تروج شعاعها وفي إشرافها واستدارتها يشبهها ابن المعتز بتروج
نور المرأة ، ولا يقنع بذلك بل يجعل المرأة في كف أشل ، ويخرج ذلك في صورة
ساحرة فيقول : « والشمس كالمرأة في كف الأشل (٢) » . ومن رائع التصوير
ودقيق التنبية وبلغ الوصف قوله في الفرس وسرعته :

كأن جنان القلعة تضربه كأن ما يهرب منه يطلبه (٣)

إلى آخر هذه الأوصاف والتنبهات الرائعة التي تتم عن دقة وتفصيل وعمق
وتفكير بعيد في صوغ التنبية مما أعطى صاحبه ميزة التجديد وأكسبه ملكة
الابتكار والتجويد في التنبية .

٦ - وابن المعتز يفتن في أوضاع تنبيهاته الفنية ، فهو طالما يجمع الكثير
من الصور الشعرية في تنبيهه ، ويمتاز في ذلك بحال هذه الصور وعذوبتها وبروح

(١) راجع ١٥٤ و ١٥٥ الأسرار .

(٢) أشاد به أبو حلال ونسبه لرازي (٣٥٩ : ١ ديوان المائي) ، ونسب لابن المعتز
ولأبي النجم أيضاً (١٤٤ : ١ معاهد التنصيص) ، وصدره كما في ديوان النائي :
« صب عليه نائس لا غفل »

(٣) ويقول ابن المعتز :

وكأبدن الرى حق وأينا غراب الليل فصوص الجناح
فيجئ إلى الفصل في صورة الغراب ويصور بهذا النسب القريب لجناح الغراب ما يقتضيه
إليه أسرار الليل وتلذذته حين بدا فيه نور الصباح . ويقول :

ورقنا شباءنا تضرب الريح سخاء كالجاذف القصوص

فيشبه شباؤه التأنم الذي تضرب الريح جوفه فتزهه هذا شبيها بما قبل القصوص إذا جففت
وذلك أن يرد جناحه إلى خلفه فيتحرك بجانبه (راجع ١٦١ الأسرار) .

للصنعة الشبيهة بالنطبع التي تسرى فيها ، وبأن ألوانها تتراعى لك غالبا دون اتحاد
أو امتزاج ؛ يقول في المنعقد :

وكالليث شد على أقرانه وكالغيث جاذ ، وكالبدر لاحا
ويقول :

وشعره من ظلام ووجهه من نور

ويقول :

النصن في أنوابه والدر في فمه وجيد الغلي في أزراره
ويقول في عكس لأطراف التذيه :

بدر وليل وخصن وجه وشعر وقد
عمر ودر وورد ريق وثغر وشد (١)

وله تشبيهات كثيرة يعكس فيها التذيه ؛

يقول في حبيبه :

ويكاد البدر يشبهه وتكاد الشمس تحكيه

ويقول :

كدت أقول : البدر شبه لها أجمها كالبدر ؟ حاشاها (٢)

ويقول :

لا تخلطوا الدوشاب في قدح بصفاء ماء طيب البدر
لا تجمعوا باقه ويحسكم غلظ الوعيد ورقة الورد (٣)

وله في عكس التذيه وهو يتم عن دقة وينعاق عن جهال وشعب تصوير :

(١) ويذكر المرتضى أنه لم يجد تشبيه ستة ستة إلا لابن النثر في حزين البيه (٢٣ : ٤
أمال المرتضى) ؛ ويجهله ابن رشيق من تشبيه ثلاثة ثلاثة (٢٦٢ : ١ الصمد) ، وراجع
(٢٥ حسن التوسل ، ٨٨ المصاح)

(٢) وهو قريب من قول مسلم :

فبت أسر البدر طورا حديثها وطورا أناحي البدر أحسبها قبيدا
(٣) وراجع شرح عبد القاهر للبيه في الأسرار (ص ٢٠٢)

ما يحسن القطر أن ينهل عارضه كما تنابع أيام الفتوح له
ولابن المعتز أيضا كثير من الصور الشعرية التي يحاول فيها أن يركب تشبيه
وقد مضى الكثير منها ، كما في قوله : « ولا زوردية تزهر بزرقتها » .
ويقول :

كم حاسد حنق على بلا جرم فلم يضركني الحنق
متضاحك نحوى كما مضحت نار الذبالة وهي تحترق (١)
ويقول :

اصبر على معضن الحسو د قان صبرك قاتله
قالنار تأكل بعضها إن لم تجد مانا كـ (٢)
وأغلب هذه الصور الشعرية من التشبيهات الحسية المألوفة . هذا ولابن المعتز
فوق ذلك تشبيهات استمدتها من معان عقلية وترك فيها حديث المحسات وصورها .
وهي قليلة في تشبيهاته بالنسبة لصوره الحسية الكثيرة . يقول :

ووجوه البلاد تنظر القيثانت انتظار المحب رجيع الرسول
ويقول في الكأس :

فلما صب فيها الماء ثارت كما ثار الشجاع إلى الجبان
ويقول في الراح :

وقد خفيت من صفوها فكأنها بقايا يقين كاد يدركه الشك
ويقول :

صفت وصفت زجاجتها عليها كفى دق في ذهن جليل
٧ - وإذا كانت تشبيهات ابن المعتز تصور لك حياته وبيته الخاصة التي عاش
فيها وعالها وما كان فيها من ترف ونعيم ، فهي مع ذلك تتم عن شعور ، وتصور

(١) وهو من قول العباس بن الاحنف :
أحرم منك بما أنول وقد قال الماشقون من عشتوا
صرت كاني ذبالة نصبت عفى الناس وهي تحترق
(٢) يهرحبا عبد القاهر في أسرار (٧٨ الأسرار)

عواطف صاحبها ومشاعره ووجداناته . وكثيرا ما نقرأ له صورة حية يدب فيها
دم الحياة ، ويتدفق منها فيض الاحساس ، يقول ابن المعتز يصف وجة معشوق:
ووجه كأنما يقدح منها الشرر

فتجد صورة تفيض بالحياة ، وتصورك إحساس الشاعر وشعوره ؛ ويقول
في منزل أحيابه :

عفا غير سفع مائلات كأنها خدود عذارى مسمن شعوب
فتبكي وتأنم لهذا الريح العافي ، والديار التي رحل عنها أصحابها . ويقول :
وصولجان الصدى مستمكن للأضرب من تفاحة الحب
قبرى صورة تتم عن إحسان ، وتحقق بالحياة . ويقول :

وحتم لم تكن تحسبه في الريح أغصان
كما حتم غريق ساجيا والماء طوفان

فتجد صورة عملة اللقي ، مصورة للشاعر وشعوره حين شبه وصور هذا
الغنائق الرائع الذي يدل على هيام وحب شديد .
ويقول :

ديم يقيه بحسن صورته عبث القنور بلحظ مقلته
وكان عقرب صدغه وقفت لما دنت من نار وجمته (١)

وهذه الصورة رائعة حقا لما أشاعه فيها الشاعر من جمال وبعث فيها من
حرارة هي حرارة الوجعات التي يلهيها الفن ويذكها الشعور . ويقول في ساق
الراح :

وكان كفيه تقسم في أقداحنا قطعا من النخس

ويقول في كلبة الصيد :

(١) كانت لنا تهل شعر أصدافهم على صورة الدوناء على صورة لتقرب ونرى ذلك يقول ابن المعتز
البيت (١٩١ : ٢٠ تاريخ الحضارة الإسلامية لبيت وترجة أبو ربيعة ، ٢٣ الفن ومنابعه) .

وزيعة من بنات الرياح تريك على الارض شدا عجب
ويقول في تشبيه السماء وما فيها من نجوم رياض البنفسج تفتح بينها نور
الاقاصي :

كأن سماها لما تجلت خلال نجومها عند الصباح
رياض بنفسج غضل نداء تفتح بينها نور الاقاصي
ويقول :
وداء دارس الآثار خال كدمع حار في جفن كحيل
ويقول .

قد اغتدى والليل في إهابه كالحبشي فر عن أصحابه
إلى آخر هذه التشبيهات الجميلة التي يرسمها ابن المعتز في شعره صوراً متحركة
يعطيها أوصافاً تؤكد حقيقتها وتبعث في أرواح الحياة وتجعلنا كأننا نلحسها ونفناهدا
لأنها ليست صوراً جامدة بل هي حية ناضرة كأنما نقشت رسومها بالأمس ، نقشها
شاعر كان صبا يبعث الحياة والحركة في صوره - حتى ليحس من يقرأ أول ديوانه
أنه يعيش في دار من دور الصور المتحركة (١) . وإن الإنسان ليذهل إذا هذه
القدرة والروعة في الصور - حتى ليتنى أن لو صار إليه شيء من إحساس ابن المعتز
حين تمثل هذه الصور .

٨ - وكان ابن المعتز يقصد إلى أروع التشبيهات في الشعر العربي فيصورها
بفته ويخرجها لإخراجاً جيداً أو يأتى لها بتأثير في التشبيه .
يقول البحرى في صف العناق :

ولم أنس ليلتنا في العناق لف العبا يقضيب قضيبا
فقال ابن المعتز وزاد عليه في المعنى وجودة التصوير ودقة التعبير :
فلو ترانا في قريص الدجى حديتنا في جسد واحد
ويقول بشار :

وجيش كئيل الليل يزحف بالقنا وبالشوك والخطى حمر ثمايه
أخذه ابن المعتز فقال :
وجيش كئيل الليل يسود شمسه ويحمر من أعدائه البر والبحر
قبالغ في المعنى وفي التصوير . وقال كثير :
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعناق المطي الأباطح
أخذه ابن المعتز فقال :
سالت عليه شعاب الحى حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير
فتنوله « سالت عليه شعاب الحى » يقابله النطر الثانى كلاء من بيت كثير فهو
أوجز وفي بيت ابن المعتز معان كثيرة وصور مزدحمة يتصل بعضها ببعض مما
لا نجد مثله في بيت كثير .
ويقول بشار وهو من أجود ما قيل في ارتفاع الغبار وللمان الأستة فيه :
كأن مثار النقع فوق رؤوسنا وأسيافنا ليل تهاوى كواكبه
ويقول ابن المعتز :
وعم السماء النقع حتى كأنه دعان وأطراف الزماح شرار
فتصرعته تقصيرا واضحا ... وقال الحكم بن مرة المازنى :
كأنما الشمس في أعطافه لمعت حسنا أو البدر من أزراره طلما
أخذه أحمد بن يحيى العراف الكوفي :
بدا وكأنما قر على أزراره طلما
وقال أبو نواس :
كان نياحه أطلعن من أزراره قرا
وقال الأحمسي في الرشيد (١) : « كأنما ركب البدر فوق أزراره جمالا »

(١) من كفة طوية له (راجع ٤٠٤ : ٣ العدد)

وقال شاعر:

لا تمجبوا من بل غلاله قد زر أزراره على القمر
وقال ابن المعتز:
يمرك الدل في أنوابه غصنا . ويطلع الحسن من أزراره قرا
ويعد أبو هلال من أبلغ ما قيل في حسن الوجه (١) .
وقال شاعر (٢) في الهلال وتشبيهه بقلامة الظفر:
كان ابن ليته جاحدا فسيط لدى الأفق من خنصر (٣)
أخذه ابن المعتز فزاد وأجاد وحسن معرته وسهل (٤) لفظه ، حيث يقول:
ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا مثل القلامة قد قدت من الظفر
ولابن المعتز في الهلال وهو من عجيب ما قيل فيه:
إذا الهلال قارقه ليته بدا لمن يبصره وينعته
كمامة الأسود شابت لحية
وقد سبق إلى هذا المعنى ولم يأخذه من أحد أعرفه ، ونقله إلى موضع آخر
فقال (٥):
قد بدا فوق الهلال كرمه كمامة الأسود شابت لحية
وقال أبو نواس في حباب الراح:
« حصبا در على أرض من الذهب »
فقال ابن المعتز:

- (١) ٣٣٢ : ١ ديوان المائي
(٢) هو عمرو بن أمية كما في ابن خلكان
(٣) أي كان ابن ليته — وهو الهلال — لدى الأفق فسيط من خنصر ، والسيط قلامة
الظفر ، والبيت في غاية من سوء الصرف .
(٤) ويشهد به النقاد (٣٣٩ : ١ ديوان المائي ، ٤٦٤ : ١ وفيات ، وراجع ٢١٢
صناعين ، ٤١١ خزائن الأدب العموي) . ويرى ابن الأثير أن بيت ابن المعتز من عكس التشبيه
وهو قول القاضي الفاضل نفدا طويلا (١٦٢ مثل السائر) .
(٥) راجع ٣٤٠ : ١ ديوان المائي .

من كيت كأنها أرض تبر في نواحيه لؤاق مفروس
وقد أكثر الشعراء من وصف الحديث وفيه يقول بنزار :
وكان دجج حديثها قطع الرياض كسين زهرا
وفي هذا المعنى يقول ابن المعتز في محبوبته شريفة فيحسن غاية الإحسان :
لمرك ما أجدى هواك سوى المني على وما أفاك إلا كما أغلو
و (شر) أحاديث عذاب كأنه جنى النحل لم ينجح حلاوته النحل
فالناس كلهم شهبوا حلاوة الحديث بحلاوة العسل إلا أن ابن المعتز زاد هذه
الزيادة الجيلة ..

وقال بعض العرب يصف قوة رائحة الشراب :
كيت تكاد وإن لم تنق تنق إذا الساقيان استدارا
فذكر أنها تسكر برائحتهما وهذا من المعاني الغريبة .. أخذه
مسلم فقال :

كفافي من شرها شها فرحت أجرد نوب التمل
وقال ابن المعتز في إجابة وإبداع :
إن راحا قال الإله لما كو في فكانت روحا وريحاً وراحا
درة حيثما أدبرت أضاءت ومشم من حيث ما شم فاحا
وقال أبو نواس في الكأس والراح :
بيننا على كسرى سماء مدامة مكلفة حافاتها بنجوم
فقال ابن المعتز :
وكأس من دجاج فيه أسد فرائس ألباب الرجال
فضعف عنه في التصوير

٩ - وكان ابن الرومي - وهو معاصر لابن المعتز - من الشعراء المجيدين في
التصوير والتشبيه ، وله في ذلك الباب الكثير مما ينطق بشاعريته ويصور الهامه
وفته (١) ، وفي شعره من ملبح التشبيه ما دونه النهايات التي لا تباغ وإن لم يكن.

(١) راجع التصويفي شعر ابن الرومي في (٩ - ١٦٩ مراجعات السناد) ، وفي ابن الرومي للشاعر ..

التشبيه غالباً عليه كابن المعتز (١) ، ويطول بنا البحث لو عرضنا ألواناً من تشبيهاته لفرى إلى أى حد بلغ في هذا الباب ، وعلى أى حال فع كثرة التشبيه في شعر ابن الرومي فانه لم يدرك ابن المعتز فيه ولم يكثر كثرته في شعره ، وإذا كان التشبيه عند ابن المعتز فن وملكة فهو عند ابن الرومي رغبة في ابتداع الصور والمخاليق لما أراد تصويره من حسيات ووجدانيات ، وألفاظ ابن الرومي وأسلوبه في التشبيه لا يصلان إلى مافي ألفاظ وأسلوب ابن المعتز من رقة وعذوبة وسحر وجمال وروح ابتكار ، ولكن ابن الرومي يمزج غالباً صوره ويركب ألوانها وأصباغها من حيث كان ابن المعتز يزوجها غالباً بجمجمة دون اتحاد أو تركيب ، وسنعرض بعض صور من تشبيهات الشعراء ، نوازن بينها وبين منزلة كل من الشعراء فيها وفي فنه في باب التشبيه عامة ، لتدرك مدى تفوق ابن المعتز في صلب التشبيه من سواء من الشعراء .

قال امرؤ القيس :

وتعطر برشم غير شئن كأنه أساريع ظلى أو مساويك لسهل

وقال ابن الرومي :

أشرن بقضبان من الدر قمص يواقيت حرأ فاستبحن عفافى

ولشاعر (٢) :

أشارت بأطراف كأن بناتها أنابيب در قمص يعقيقى

فقال ابن المعتز :

أشرن على خوف بأغصان فضة مقومة أثمارهن عقيق (٣)

وقال أبو نواس في الراح :

(١) ٢٦٦ : ٢ المصدة .

(٢) البيت في ٦٤ قد التثر

(٣) ويذكر ابن رشيق أن غس الحفصى المولد ترغب من مثل تشبيه امرئ القيس وإن كان تشبيهه أشد إصابة ، وأن طريق العرب القدماء قد تحولت إلى ما هو أليق بالوقت واشتغل بأحله (٢٦٩ و ٢٧٠ : ١ المصدة)

إذا صب فيها شارب القوم خلته يقبل في داج من الليل كوكبا
وقال :

وكانه والكأس فوق بنانه قر يمد بها اليك هلال
أخذه ابن الضحاك وأحسن :

كانما نصب كأسه قر يكرج في بمض أنجم الفلك
وقال ابن الرومي في إجابة عنهما :

فكانها وكان شاربها قر يقبل عارض الشمس
وقال ابن المعتز وزاد عليهم جميعا :

وكانه وكان الكأس في فوه هلال أول شبر غاب في شفق

فركب الصورة (١) في رشاقة وجمال ، ويشيد ابن رشيق بببيت أبي نواس ،
« إذا صب فيها الخ » (٢) ، وينقده الباقلائي نقداً طويلاً كما ينقد قول ابن الضحاك
« يكرج » ويستجيد ببيت ابن الرومي لولا أنه أتى بالمعنى في بيتين (٣) ، وأقول إن
بيت ابن المعتز قد أربى على كل شعر سواه في هذا المعنى بفضل اختصاره وعلو به
وتلاجه وروح الطبع السارية فيه (٤) .

وقال أبو نواس :

تيكي فتدري الدر من نرجس وتلطم الورد بعناب
أخذه سعيد بن حميد فقال :

وكانما أثر الدموع بحدها طل تساقط فوق ورد يانع
وقال البحتري وعكس التشبيه :

شقائق يحملن الندى فكانه دموع التصابي في خدود الخرائد

(١) ١٧٢ الأسرار (٢) ١٧٣ : ٢ السدة .

(٣) ١٧٤ إهجاز القرآن لباقلاني .

(٤) وذلك ما يشهد به أبو هلال (١٠٣٠٧ ديوان المصنف) ، وراجع زهير الآداب (٢: ١٣١)

وقال ابن الرومي في دموع المحبين وقت الوداع :
كأن تلك الدموع قطر ندى تقطر من نرجس على خد
فأجاد وأبدع باختصار اللفظ وحسن السبك .

وقال ابن المعتز وعكس كالبحتري :
كأن انحسار الطل في جنباتها دموع حب قد أضر به الحجر
وقال الأشهب بن رميلة :

ولاحت لسايرها الثريا كأنها لدى الأفق الغربي قرط مسلسل
وقال ابن الرومي :

طيب ريقه إذا ذقت فاه والثريا بجانب الغرب قرط
وقال ابن المعتز :

وقد هوى النجم والجوزاء تتبعه كذات قرط أرادته وقد سقطا
فركب التشبيه ولكن المصراع الأخير من بينه غير مختار الصياغة والنجم
اسم مخصوص به الثريا . ونكتني بذلك في هذا السياق .

وقد يكون في الإمكان الموازنة بين قصيدتين لابن الرومي وابن المعتز ودراسة
منهج الشاعرين فيهما في فن التشبيه ، ولكن هذه الدراسة لا تعطينا حكما على
شاعرية أيهما ، لأنه كثيرا ما يأتي أحد الشاعرين بتشبيهات في موضوع القصيدة
لا يأتي بها الآخر ، ومع ذلك فسأعرض هاتين القطعتين اللتين اخترتهما لتقاربهما
في الخيال ووجدتهما في الغرض فوق وحدثهما في الوزن ، قال ابن الرومي من
قصيدة في وصف مجلس الراح :

شمس من الحسن في معصرة	ضاهت بلون لها معصرها
في وجنات تحمر من خجل	كأن ورد الربيع حرها
يسعى إليها بكأسه رشاً	أنش الله وذكرها
في كفه كشباب لاح على	ظلاء ليل دجت قنورها
إن برزت للهواء غبرها	أو قرعت بالمزاج كندرها

ويقول ابن المعتز في مجلس الراح أيضا من قصيدة :

ومجلس جل أن تشبه جن به مزهر ومزمار
وزانه من بني العباد رشا بالجيد والمفتين سحار
قد ركبت كفه مشعشة إريقها في الكؤوس هدار
يلع فيها من كل ناحية كوكب نور إليك نظار
فطلت في يوم لذة عجب وافي به السعد مقدار
وقابل الشمس فيه بدر دجى يأخذ من نورها ويمتار

ففي هاتين القطعتين وصف للساق والراح ، وفي قطعة ابن الرومي زيادة وصف
للجنة التي تبنى في مجلس الراح .

يصف ابن الرومي الساق بالأنوثة ، ويصفه ابن المعتز بالسر ، وذلك لاشك
أبلغ ، فالأنوثة يشترك فيها الغادة الحسناء والزنجية السوداء ، ولكن السر
لا يكون إلا في القليل النادر من النساء .

ويصف ابن الرومي الراح بأنها أصنى من الماء والطف من الهواء ، ووصف
ابن المعتز حباها بكواكب نور متوقفة ؛ ويشبه ابن الرومي الراح بالشهاب
ينير دجى الظلمات ، أما ابن المعتز فقد شبه الراح بالشمس والكأس باليد
وجعل الكأس يأخذ من نورها ويمتار وهو حذق لانهية له . وألفاظ ابن المعتز
أكثر موسيقية وهذوبة من ألفاظ ابن الرومي .

وبعد فبدلنا على مكانة ابن المعتز في التشبيه هذه الرواية الأدبية التي رواها
كثير من النقاد والأدباء (١) :

حكى أن لائما لام ابن الرومي وقال له ، لم لا تشبه تشبيهات ابن المعتز وأنت

(١) راجع : ٣٨ و ٣٩ : معاهد التصريح ، ٢٢٥ : ٢ المسددة ، س . الخزانة
الصوري ، ٣٣٥ الأدب العباسي لمحمود مصطفى ، ٢٧٣ الزيات ، ١٨٩ الأدب العباسي
للأستاذ كندري ، ٦٨ و ٦٩ ابن الرومي للنقاد ، ١٨٤ الفرائز لأحمد راوى طيبة ١٩٢٤ بمصر ،
٣٦ المطالعة التوجيهية .

أشعر منه ، فقال له : ألا تفتدني شيئا من قوله الذي استعجزتني عن مثله ؟ فأثدده
قوله في الحلال :

انظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عتبر
فقال له . زدني : فأثدده قوله في الأذريون :

كأن أذريونها والشمس فيها كالية
مداهن من ذهب فيها بقايا غالية

فصاح : واغوثاه ناقة لا يكلف الله نفسا إلا وسعها ذلك إنما يصف ماعون
بينه لأنه ابن خليفة وأنا أي شيء أصف ، ولكن أنظر أين يقع قولي من قول
الناس ، هل لأحد مثل قولي في قوس النعام :

وساق صبيح للصبح دعوته فقام وفي أجفانه سنة النعنع
يطوف بكاسات المقار كأنهم فن بين منفض علينا ومنفض
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفا على الجود كنا والحواشي على الأرض
يطرزها قوس السحاب بأعصر على أحر في أصفر إثر مبيض
كأذبال غود أقبلت في غلائل مصبغة والبعض أقصر من بعض (١)
وقول في صانع الرقاق :

ما بين رؤيتها في كفه كرة وبين رؤيتها قورا كالقمر
إلا بمقدار ما تتداح دائرة في لجة الماء يلقي فيه بالحجر (٢)

وقوله في قالي الزلاية (من أبيات) :

يلقي العجين لجينا من أنامله فيستحيل شبايكا من الذهب
وفي روايه أخرى أن ابن الروي سمع قول ابن المعتز :

« وانظر إليه كزورق من فضة البيت ، فقال أنا لم أرقط زورقا من فضة

(١) لب التالي الأبيات لبب الدولة وقال : وهذا من التعبيات للوكية التي لا يكاد
تخسر مثلها السوفة (٢٤ : ١ البنية)

(٢) يجب الغاد بهذه الأبيات (ابن الروي) وراجع تحليل أدب لها (١٧٩ حسام المقيم)

ولنألف أصف ما شاهدته وأشبه بما عايت (١).

وينقد ابن رشيق وأبو الرومي لالتحام مشاهد البيت أمام بصر الشاعرين ، ثم يقول : اللهم إلا أن يريد ابن الرومي أن ابن المعتز ملك قد شغل نفسه بالتشبيه فهو ينظر إلى ماعون بيته وأثاثه فيشبه به ما أراد وأنا مشغول بالتصرف في الشعر طالبا به الرزق ، ولا يمكن أن يقع أيضا عندي هذا (٢) ؛ ويرى العقاد أن لابن المعتز تشبيهات كثيرة أبلغ من التي ذكرت في القصة وأتقى في المعنى والديباجة ولكنهم لا يختارون في مقام التحدي إلا هذه الأبيات وأمثالها لظنهم أن نقاسة التشبيه إنما تقاس بنقاسة المشبهات ولا فضل فيه للشعور والتخيل وهذا خطأ بعيد في فهم الوصف والشعر فالساقفة عظيمة جدا بين شاعر يصف لك مارآء كما قد تراه المرأة أو المصورة الشمسية وشاعر يصف لك مارآء وتخيله وشعر به وأجمله في روعه وجعله جزءا من حياته ، إنما يعنيتك من الشاعر أن يكون إنسانا حيا يشعر بالذات ويبدع حظه من الشعور بها فن وصف وشبه ولم يشعر فليس يشاعر ومن شعر وأبلغك ما في نفسه بغير وصف منه (٣) ، ونحن مع العقاد في أن لابن المعتز تشبيهات كثيرة أبلغ مما ذكر في الرواية ، ولكننا نخالفه في أن يكون التقاد قد أخطأوا مثل هذا الخطأ أو خالوا ذلك الظن البعيد ، إنما أرادوا أن ابن المعتز تفرد بهذا اللون خاصة من التشبيه وهو ما استخدم فيه آلات حياته وترفعه في تلوين أصباغ تشبيهاته ووصفه ، على أن هذا اللون لا يتخلو كله من تصوير لملاحظة الشاعر ووجدانه وإحساسه بالحياة ، أما ما سوى ذلك اللون الذي اتفرد به ابن المعتز فقد يشاركه بعض الشعراء الموهوبين فيه فلا داعي للتحدي به . وبعد لحسنا كلمة ابن الرومي شاهدا صادقا على مكانة ابن المعتز في فن التشبيه في عصره الذي حفل بأتمة الأدب والقريض والمجودين في الوصف والتصوير والتشبيه .

(١) ٥٠ : ٢ القصيدة ، ويقول أدب محدث : « ولعمري ما حدث ابن المعتز نفسه بأن يرسم على خفاف دجلة يوما ما زوروا من فضاء تنقله حوكة منبر وإنما ذلك حديث الخيال (٢١٠) تعقيد ذكرى أبي الصلاء الطلمة الثالثة (١٩٣٧) » .

(٢) ٢٢٥ و ٢٢٦ : ٢ السفة

(٣) راجع ٢٩٩ — ٣٠١ ابن الرومي للعقاد

١٠ — وخطأ ابن المعتز في التشبيه نادر قليل لأن ملكاته الفنية كانت تعصمه من الخطأ فيه ، وسأذكر هنا ما وقع له من ذلك وما أخذ النقاد عليه من مأخذ في باب التشبيه :

قال ابن المعتز يصف الساق :

أرى ليلاً من الشعر . على شمس من الناس
كان الأولى أن يقول على شمس من الجمال أو على وجه كالشمس أو ما شابه ذلك مما ينأى بأسلوب التشبيه عن الضعف والخطأ لأنه إذا صح أن يقال ليل شعر على التشبيه فلا يصح أن يقال شمس ناس عليه أيضاً ، وعد أبو هلال البيت من ردى التشبيه لأن الجمع بين الليل والناس ردى ، وقد وقع هاهنا بارداً (١) . ومثل هذا البيت قول ابن المعتز :

وغزلان ناس لم يرين سوانحاً يسارفن لفظاً أو سلاماً مكتماً
أراد الاستعارة والتشبيه فزجها بالتصريح بالمعنى فضعف الأسلوب وهبط الكلام عن مستوى الجودة والحسن .

ويقول في سحابة :

فلما دنت جلجت في السما . رعداً أجش كجر الرحا
وهو تشبيه نازل وإن كان صحيحاً ، لأن صوت الرعد أقوى وأروع في السمع من صوت الرحا التي جعلها ابن المعتز المشبه به في البيت .

ويشبه الورد بالحد والعكس ، وهو من المبتذل إلا إذا أضيفت إليه زيادة تنقله من العامى إلى الخاص أو ضم اليه معنى يشفع به ، كما قال علي بن الجهم :

عشية حياقي يورد كأنه . حدود أضيفت لبعضين إلى بعض
وقال ابن المعتز حول هذا المعنى يصور بياض الورد وما في جوانبه من احمرار :

بياض في جوانبه احمرار كما احمرت من الحجل الحدود

فأبدع في التصوير والتشبيه ، وقال أبو الحسن الجرجاني : الخجل إنما يحمر وجنتاه فأما منبت الأصداغ . ومخط العذار فقليل ما يحمران ، ولو اتفق له أن يقول حمرة في جوانبها يبيض لكان قد طبق المفصل ووافق شبه الخجل لكن أراد اجتماع البياض والحمرة لجعل الاحمرار في جوانب البياض فراغ عن موقع التشبيه (١) ، وأيده ابن رشيق فعد البيت من سوء المقابلة لأن الحدود متوسطة وليست جوانب (٢) ، وقال عبد القاهر ، إلا أنه لعله وجد الأمر كذلك في الورد فشبه على طريق العكس فقال . هذا البياض حوله الحمرة كهذه الحمرة حولها البياض في وجنة الخجل (٣) .

ويذكر بعض النقاد بيت ابن المعتز في وصف كتاب (٤) :

ودونك موشى نمتته وساكته الأنامل أى حوك

بشكل يرفع الإشكال عنه كأن سطوره أغصان شوك

ونقده لأنه مدح الكتاب لجعل سطوره أغصان شوك وإن كان لاحظ التشبه التام في صورته لكنه بالذم أشبه (٥)

وأقول إن ابن المعتز إنما لاحظ الشكل في التشبه دون ما سواه ، وبعض النقاد يعد البيت من الاييات النادرة (٦) .

ويؤكد بعض النقاد البيت :

فناولتها والثريا كأنها جنى ترجس حيا الندامى به الساق

قال : ولو قال باقة ترجس لكان أتم (٧)

ويذكر الثعالب عدة تشبيهات لابن المعتز المشبه به فيها العنين وحاله مثل قوله في الشمس :

(١) ١٥٦ الوساطة

(٢) ١٧ : ٢ المدة

(٣) ١٧٢ الأسرار

(٤) بروي البيت بروايات أخرى

(٥) ٢٠١ طراز المجلس ، ٢٢١ وما بعدها ريمانة الآيا .

(٦) ١٢ التصنيف والتعريف

(٧) ٣٣٠ : ١ ديوان الماتى

تحاول فتح غيم وهو يأبى كعنين يروم نكاح بكر
وأبيات أخرى مثل ذلك ، ويقول . كان ابن المعتز يستكثر في أوصافه من
التشبيه بالعنين حتى اتهم بأنه كان عنيئا ولم يكن له مكان ابنه عبد الواحد (١) .

ويأخذ بعض الكتاب على ابن المعتز أنه لا يزيد في تشبيهاته على أن يعطيك
نسخة لما يرسم لك دون أن يغير في تصويره عن خلجات نفسه ومشاعره ، فهو
حين يشبه الهلال بزورق من فضة أنتك حولة من غير لا يزيد على أن يعطيك
نسخة من صورة الهلال ويكتفى أن تتصور الهلال في خيالك ثم تتصور بجانبه
زورق ابن المعتز لتترك الفارق الكبير وتعلم مقدار ماشوه ابن المعتز من منظر
الهلال الجليل (٢) ، وكذلك قوله في الهلال أيضا :

كمنجل قد صيغ من فضة يحصد من زهر الدجى ترجسا
ففضلا عن أنه لا تشابه بين الهلال والمنجل إلا في الشكل الخارجي ولا صلة
بينهما في الطبيعة إلا صلة النظرة البصرية ؛ فضلا عن ذلك راح ابن المعتز يصنع
المنجل من الفضة ثم جعله يحصد الترجس وليكن لهذا الترجس زهر وليكن
هذا الزهر نابئا في الدجى وليس وراء ذلك كل شيء من العاطفة والاحساس (٣) .
وهذا نقد لا يقوم على أساس ، ويتلخص فيما يلي :

(١) البيتان السابقان لا يصوران الهلال تمام التصوير : وأقول أن هذا
الادعاء سفسطة فارغة ، ويتناقض الناقد نفسه فيه ، وقد وقف النقاد أمامهما حائرين
معيبين بحمال الفن والتصوير فيهما ، ولقد أعجب أعلام الأدب الفرنسي بتشبيهه
فيكتور هوجو للهلال بمنجل من ذهب ، فكيف يقولون لو علوا بما أتى به
ابن المعتز من هذا التصوير الجليل والتفصيل الدقيق وإبراز التشبه التام للهلال
في هذين البيتين

(١) ١٠٠ خامس الحاشي .

(٢) ويتعامل باحث على بيت ابن المعتز فتراه سخيئا وتشبها مكافا وهو أول بأن يمد من حنات
ابن المعتز لا دليلا على إبداعه (٢٧٤ نظرات في الأدب الاندلسي) .

(٣) ١٦ و ٨٠ مهمة الشاعر في الحياة لسيد قطب

(٤) راجع ٣٠٠ ابن الرومي لتمام ، ٤ و ٥ مهمة الشاعر في العصر الحاضر

(ب) أن التشبيه عند ابن المعتز فن خالص ولكن لا حياة فيه ويرى هذا الكاتب أن الشعر شعور وفن معا بما بسطه في كتابه في إفاضة .
أما أن الشعر شعور وفن معا فلكلام الكاتب في ذلك منقول عن العقاد وفكرته مأخوذة عنه (١)

وعلى أى حال فنحن نرى أن الشعر عند المهتمين من الشعراء فن وعاطفة وأنه يجب أن يكون كذلك وذلك ما سار عليه لغول النقاد في القديم بما يطول بنا البحث لو عمدنا إلى شرحه .

وأما أن فن ابن المعتز في التشبيه لا حياة ولا عاطفة أو إحساس فيه فنحن لا نسله له ولا يسلمه له أستاذ العقاد حين عاب على العقاد اختيار البيتين في مقام التحدى لشاعر كان الروى ورأى أن في شعر ابن المعتز تشبيهات كثيرة أبلغ منهما وأجل وأبقى في المعنى والديباجة (٢) ، وإذا كان العقاد يعترف لابن المعتز بأن في شعره تشبيهات أبلغ من البيتين وهو لا يقر بشعر إلا إذا شعر به الشاعر وأجله في عواطفه وشعوره فقد اعترف بأن لابن المعتز من ذلك تشبيهات كثيرة ، وهذا ما يثبته البحث الأدبي لفن التشبيه في شعر ابن المعتز وما سبق أن أفصنا في شرحه ، لقد كان ابن المعتز في هيام دائم بحب الطبيعة وكانت حياته في بيت الخلاقة تلون شعره في وصف الطبيعة والهيام بها بألوان خاصة فنية ، فكيف يعاب ابن المعتز بأن فنه لا حياة فيه وهو إنما شبه وشعر عن حياة وعاطفة وملسكه في التشبيه وإذا كان البيتان السابقان وبعض أبيات أخرى تشبههما بما لا توجب نار العاطفة عند السامع فاتها على أى حال أثر أدبي يستثير الإعجاب .

(ج) أن ابن المعتز في تشبيهه بعيد الفكرة بعيد عن الوضوح ، وردى على ذلك أن نظرية الوضوح والخفاء في الأدب لا تزال محل بحث النقاد إلى الآن ، ولم يتفق عليها بعد اثنان ، فالجاحظ حين كان ينادى بالوضوح والإفهام وبأن البليغ من الكلام ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمعك إنما كان — كما يقول عبد القاهر في أسرار — يدعو إلى أن يجتهد المتكلم في تهذيب اللفظ وترتيبه

(١) راجع ٣٠٠ ابن الروى للنقاد ، ٤ و ٥ مهمة الشاعر في العصر المظفر .

(٢) ابن الروى للعقاد

وصيانه عن كل ما أغل بالدلالة وعاق دون الإبانة ولم ير أن خير الكلام العامى المرذول ، والقاعى الجرجانى لم يحاسب المتن فى وساطته على إلقائه البيت بالمعاق لأن ذلك سمة عامة فى شعر المحدثين ، وعبد القاهر فى أسرار (١) يقسم الغموض إلى : ماسية الدقة فى المعنى فيشيد به ويرى أن المعاقى الشريفة لابد فيها من بناء ثان على أول وردتال إلى سابق ، ويرى بعض المحدثين أن الغموض فى فن المتن هو سر عبقريته الشاعرة . ونحدث ناقد آخر عن قصيدة المقبرة البحرية للشاعر الفرنسى بول فاليرى وكيف أنها أثار اهتمام النقاد جميعا فى فرنسا فلم يتفقوا على شىء حول مذهب الشاعر فى فن الشعر أو حول الوضوح والغموض فى فن الشاعر كما نسميه ، وأنا أستجيد هذا الغموض ما دام سببه دقة المعنى وبعد الثقافة وعمق التفكير ، فهذا الغموض هو سر الخلود فى إنتاج الشعراء فى القديم والحديث

وينقد محدث آخر (٢) البيتين (٣) « ولا زردية تزهو بزرقة الخ ، لأن أولها رث المعنى وهو يذكرنا بمقارنات ابن المعتز الجوهرية والمسدنية والثاقبى عن معنى ضعيف وخيال معكوس فان رأى البنفسج بل أى زهر آخر لا يدع الإنسان بالجوذة التى رمز اليها الكبريت ، كذلك لا يتفرد الحس النظرى بمشاهدته بل تصحبه خواطر وعواطف حسية جذيرة بالتعبير عنها ؛ فستان بين البنفسج العطر والكبريت الخافق براعمته السكرية ، والترجمس يشعر فى ميله بالحياة الوادعة وبغير ذلك من المعاقى النفسية فكيف يغفل هذا الشعور فيموت حيا منا فى التعلق بعبدان الكبريت .

وهذا النقد يتلخص فى :

(١) بين طرفى التشبيه جون بعيد ، وهذا عيب عند الناقد ، وقد ذكرنا من قبل أن عبد القاهر يرى ذلك سر جماله وسحره ودليل ملكة الشاعر الملهمة فى فن التشبيه .

(١) ص ١١٨ وما بعدها

(٢) ٨٨ المنتخب من شعر أبى شادى ط ١٩٢٦

(٣) ونسبها لأبى النادبة

(ب) أن الشاعر تصور منظر التفسج الحسى وأغفل نواحي أخرى من نواحيه في التشبيه ، وهذا ناحية بسطنا القول فيها سابقا .
وبعد فهذا هو ما نتقد به فن ابن المعتز في التشبيه وما تقدمه به سوانا من الباحثين القدماء والمحدثين .

ورأي أن ابن الأثير قد أطلق القول إطلاقا حين قال : « وقلنا أكثر من التشبيه أحد إلا عثر كما فعل ابن المعتز وابن وكيع فانهما أكثرا من ذلك ولا سيما في وصف الرياض والأشجار والأزهار والثمار ، لا جرم أنها أتيا بالغث البارد الذي لا يثبت على محك الصواب (١) » . أطلق القول :

لأن ابن المعتز لم يسقط في تشبيهاته هذا السقوط الذي يصوره ، وما أخذ عليه لم يصل إلى أن يكون من الغث البارد الذي لا يثبت على محك الصواب كما يقول ، لأن ما أخذ عليه كان نادرا جدا بالنسبة إلى كثرة التشبيه في شعره ، لأن التشبيه كان عند ابن المعتز ملكة وفطنة بدقائق الأشياء والصور ، ومن النادر القليل أن يخطئ ابن المعتز ، على أن ابن الأثير لم يتعمق في قراءة شعر شاعر سوى أبي تمام والبحتري والمتنبي الذين هم لآلات الشعر وعزاء ومنااته كما يقول (٢) ، وهو لم يرجع إلى ديوان ابن المعتز أو يمن بقراءته عناية خاصة ، ويتجلى ذلك في مثله السائر فهو لا يشير فيه إلى ابن المعتز إلا في ثلاثة مواضع على التحديد (٣)

١٤ - والاستمارة باب من أبواب التشبيه ولا ابن المعتز فيها إجابة منقطعة النظر شأنه في ذلك شأنه في تشبيهاته .

انظر إليه يقول :

وجاء في قيس الليل مستترا يستجمل الخطو من خوف ومن حذر

ويقول :

(١) ١٥٢ للتل التائر

(٢) ٣٠٢ للتل التائر

(٣) ٩٨ و ١٦١ و ١٦٢ الرج

فلو ترانا في قيس الديجي حبيتنا في جسد واحد
ويقول :

جار هذا الدهر أو آبا وعراك المم أوصابا
، ولقد أقرى الأسمى ناقة * أو جملا
، قربنا بعضهم حربا وجيما
وفي الراح :

نعم قوى السمع على شربها نفخ المزامير وعزف القيان
، لله منى قلب يقرى البلايا شـكرا
فتجد جمالا في استعارة التقيص والحلة الليل وفي لفظ القرى لا يمد له جمال ،
ومثل ذلك :

وتوشـشنا بضمتـه

ويقول :

وسل البیداء عن رجل يحظم الريح شعبان
-أهر فيك ومقلته ليس يكسوها بأجفان
فتجد في «توششنا» واستعارتها للعناق ، وفي استعارة الثعبان لجواده ،
وفي قوله «يحظم الريح» ، وفي «يكسوها» جمالا في الاستعارة يصل بها إلى حد
التجويد والإبداع .

ويقول في ظلام ليلة من ليالي الشتاء :

يقيد اللحظ فيها عن مسالك كأنها ليست أثواب رهبان
وفي إبله المعدة لقرى الضيوف :

وقيدها بالنصل خرق كأنه إذاجد-لولا ما جنى السيف-مازح
فيروعك ويسحرك ما في استعارة الكلمتين من إبداع ، وقوله : لولا ما جنى
السيف ، احتراس أو اعتراض رائع ، والبيت من قول عتبة بن ربيعة المازني
في قرى الضيوف وذبح السوام لهم :

فقام أبو حنيفة كريمة كأنه وقد جد من فرط الفكاهة مازح
إلى جذم مال قد نهكنا سوامه وأعرأشنا فيه بواق صحاح (١)
أخذ ابن المعتز فزاد في المعنى وأبدع في التصوير ، وبلغ بقوله ، وقيدتها
بالنصل ، وبقوله ، لولا ما جني السيف ، غاية الإجادة في التصوير .

ويقول ابن المعتز :

وكابدنا السرى حتى رأينا غراب الليل مقصوص الجناح
فبات بلبيل باكية تبيكول حرير النجم متهم الصباح
، حتى تبدى في الفجر ظلمتهم وسائق الصبح بالدجى عجل
ويقول : وضاع من ليل غده طوبى لمن نجده
، ساروا وقد غضمت شمس الأصيل لهم حتى توقد في ثوب الدجى الشفق
فتملا نفوسك هذه الاستعارات وذلك التصوير روعة وسحرا .

وفي حوافر جواده :

تصالح الترب إذا ما ركضت لكنها مع الصخور تصطخب
ويقول في كاية الصيد : « تحملها أجنحة الهواء » ، وفي البازي : « يحز أعناق
الرياح حزا » . ويقول : « تهادى فوق أعناق الرياح » ، ويقول في محبوه :
أتى عجملا بطير به جناح الخوف والوجل
ويقول :

وقد ركضت بنا خيل الملاهي وقد طرنا بأجنحة السرور
ويقول :

فرسان قطر على خيل من الدهر (٢) تحثن سياط الريح في الشجر
ويقول : « منتقب الوجنتين بالحجل » .
وفي الوجنت أيضا : « تنقيب بالحجل » .

(١) من قصيدة له في مختصر الحامسة (٢ : ٢٤٠)

(٢) هنا خطأ عروضي يرفه القاد .

وفي الساق :

وقام بكففيه بقايا خماره وعيناه من خديه قد جتنا وردا
وفي مدح المعتضد :

جمع الحق لنا في أمام قتل البخل وأحيا السباع
وفي الساق :

يقطع في كأسها رؤوس مسدري ذهب
فتجد استعارات عليها مسحة الجلال الفنى والابتكار والتجديد .

ويقول : تسيل بنا قود الجياد الزواحف .

، سالت عليه شعاب الحى حين دعا أنصاره بوجه كالدنانير (١)
، وأذن الصبح لنا في الإبصار (٢)

فتجد غصبا في النصور والتصوير ، وبراء في الألوان والأصباغ ، وثقوبا في
الفكر ، ونفاذا في الخاطر وبلاغة في الاستعارة ، وروعة في التشبيه .

وبعد فلا ين الممتز مع ذلك كله استعارات نافرة خرج فيها عن المألوف القريب
في الاستعارة . يقول :

في وجسه ورق النعم ملأ الميرون ملاحه وطرافه وجمالا
فتجد « ورق النعم » سخفا لا يقبله ذوق .

ويقول للمعتضد : « وفرشت الأمن للخائفينا ، فيصدق « فرش الأمن » عن
كل شئ . بعد ذلك

ويقول : « مالى أرى ديباج غدك أصغرا » ، فديباج الحد من السخيف
المقيت . ويقول :

أغار عليه من الحافظ قلى إذا ماصورته أكف فكري

(١) يشيد عبد الناصر ببلاغته (٥٨ و ٥٩ دلائل الإعجاز)

(٢) وهو — كما يقول عبد الناصر — من بدیع الاستعارة ونادرها ، وللمنى حتى إذا نهجا لنا
أن نبر شيئا (٦١ دلائل الإعجاز)

فتجد بعدا في صوغ الاستعارتين : « الحافظ قلبى ، و « أكف فكرى ، مما
لا تحسن معه الاستعارة . ويقول :

جاء بجيش الحسن فى عديده وعدته
فيصور الحبيب المعشوق فى صورة القائد ويعد بذلك عن الحسن والاحسان .
ويقول :

لم ترد ماء وجهه العين إلا شرقت قبل ريبا بريقب
فتجد قبحا قبيحا فى « ماء الوجه ، وفى « شروق العين بالريقب .
ويقول : « أشرب الزاج وهى تشرب عقلى ، « فتشرب استعارة سخينة ، وإنما
يقلل من قبحها المشاكلة . ويقول :

وردتنا الريح محتضيا لدماء الوحش شرايا
فقوله « شرايا ، استعارة نادرة عن القبول والدوق ، ويقول فى المطايا :
إذا نسفت أفواها النور غلته مواقع أجلام على شمر شايا
ففسفت استعارة يمجها الذوق وينفر منها الطبع . ويقول فى ريع حبيبه :
عفته الريح بعسك كل يوم وجالت فيه أفراس السيول
وأفراس السيول ، استعارة بعيدة لا يقبلها ذوق شاعر ، ويقول :
وإخوان شر قد حرثت إعدام فكأنوا لفرس الود شر بقاع
لحرث الإعدام قبيح محقوت . ويقول :

كم صامت تخفق أكياسه قد صاح فى ميزان وراث
ويروى « ميراث ، « والصامت : المال من العين من الذهب والفضة خاصة ،
فصياح المال استعارة قبيحة ، ولعله أتى بها ليتم له المطابقة ، وقد سبقه أبو نواس
فقال :

يح صوت المال عما منك يشكو ويصيح (١)
ويقول ابن المعتز . كل وقت يبول زب السحاب .

(١) استجته القاد (٢٤٠ : ١ العدد)

فيهموى وينزل إلى الحضيض ، وهذا كما يقول ابن رشيق : أردأ من كل ردى .
وأعقت من كل مفيت مع أنه كان أنقد النقاد (١) . وبعد فحين لا نتجح لابن المعتز
في هذه الاستعارات البعيدة النافرة بما احتج به القاضى الجرجاني لتتبي وبما ذهب
إليه من أن إبعاد الاستعارة سمة عامة في شعر المحدثين وموجود في شعر المتقدمين
وأن عذر أبي العلي في عذر سواه من الشعراء الذين أبعدوا إبعاده وأن علينا
أن نحمل ما يحىء من ذلك على وجوه تفرهم من الإصابة ونلتبس لهم شئ
المعاذير (٢) . فذلك عذر واه ضئيف . وابن المعتز الذى قسا في أحكامه الأدبية
على أنى تمام في رسائله في محاسن شعر حبيب ومساويه جذير بأن يحاسب هذا
الحساب ، فذلك أولى بالإصاف . وأجدر بأحكام النقد الأدبي العادلة .
وهذا آخر الفصل الثالث الذى وقفتاه على بحث أغراض الشعر عند ابن المعتز
وتنتقل بعد ذلك إلى الفصل الذى يليه .

(١) ٢٤٠ : ١ المدة

(٢) راجع ٣٢٣ — ٣٢٧ الرسالة

الفصل الرابع

أسلوب ابن المعتز وألفاظه

ما هو الأسلوب :

الأسلوب في اللغة الطريق وعنى الأسس والسطر من النخيل والوجه والمذهب والفن .

والأسلوب الأدبي يعرفه ابن خلدون في حديث طويل بأنه ، المتوال الذي ينسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه (١) ، فهو يراه في الصورة الأدبية المعنوية التي يجتذها الأدباء والشعراء وينسجون في أدبهم وشعرهم على متواليها ، ويعرفه بعض المحققين بأنه طريقة اختيار الألفاظ والمعاني للتعبير بها عن المعاني قصد الإقناع والتأثير ، أو هو طريقة التفكير والتصوير والتعبير (٢) ويعرفه آخر بأنه المعنى المصوغ من الألفاظ مؤلفة على صورة تكون أقرب لنيل الغرض المقصود من الكلام وأفضل في نفوس سامعيه . ويعرفه آخرون بأنه طريقة اختيار الكلمات ونظمها لتؤثر في نفس القارئ أو السامع ، ويذكرون أن له غرضين : نقل الحقائق أو المعاني إلى ذهن السامع أو القارئ ، ونقل شعور الكاتب أو المتكلم إلى نفسيهما للتأثير .

ونعرفه نحن بأنه نهج الكاتب والشاعر في صوغ أدبه وشعره وأداء أفكاره ومعانيه ، والطريقة التي يسير عليها في اختيار كلماته وتراكيبه ، وما يؤثر في لغة تعبيره وتصويره من سهولة أو غرابة ومن عذوبة أو جزالة ومن وضوح أو غموض وطبع أو صنعة ، وألوان الصنعة في شعره وأدبه من تشبيه واستعارة وكتابة وطباق ومقابلة وتعليل ومبالغة ، ونوذية وتدييج وعكس ومشاكلة ، وطرق الأداء التي يسير عليها في صياغته من تقديم أو تأخير وذكر أو حذف وفصل أو وصل

(١) ٧٠ مقدمة ابن خلدون

(٢) راجع ٢٢ - ٢٩ الأسلوب للشايب

وإيجاز أو إطباب إلى غير ذلك من شتى أوصاف الأسلوب ، وما يراعيه السكاتب والشاعر من أوصاف في بدء كلامه وفي فصوله وخاتمته .

والأسلوب هو الوسيلة التي ينتقل بها الأديب فكرته وعاطفته وآراءه ومعانيه إلى الناس . ومقياس جودة الأسلوب هو القدرة على نقل ذلك والتعبير عنه بدقة وقوة تأثير .

ويمتاز أسلوب الشعر بما فيه من عاطفة ، وما يشيع في نظمه من خيال وسحر وعذوبة موسيقى وحركة في الأداء والتصوير ، وبشدة تأثيره في النفوس وأثره في العاطفة والشعور والوجدان : أتشد أبو العتاهية المهدي قصيدته :

أتته الخلافة منقادة إليـه تـجـر أذيالها
فلم نك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها
ولو رامها أحد غيره لزلزلت الأرض زلاها

وكان بشار حاضرا ، فلما سمع الأبيات اضطرب وسحر وقال : انظروا إلى أمير المؤمنين هل طار عن أعباده (١) . وسمع الجاحظ رجلا ينشد أرجوزة أبي العتاهية التي صاغها ذات الأمثال ، فبلغ قوله :

يا للشباب المرح الصابي روائح الجنة في الشباب

فقال للشئذ ، قف ، ثم قال : انظروا إلى قوله : روائح الجنة في الشباب ، فإن له معنى كمنى الطرب لا يقدر على معرفته إلا القلوب وتمجز عن ترجمته الألسنة إلا بعد التطويل وإدانة التفكير (٢) .

نعم إن الشعر ينبعث غالبا عن إحساس قوى ، ويلبس حلة جميلة من النظم تصور المعاني تصويرا قويا رائعا ، فكل ذلك يجعله ذا أثر شديد في نفوس سامعيه وقارئييه على السواء .

أسلوب ابن المعتز :

وأسلوب ابن المعتز أسلوب المحدثين في رقيهم وعذوبتهم وجمال صياغاتهم ، وفي سحر التعبير وروعة التأثير والتصوير ، وفي التجويد والتجديد وغصب المسكة

(١) ١٣٧ : ٣ الاغانى ، ٦٨ المثل السائر

(٢) ٣٨ : ٣ الاغانى ، ٣٦٦ : ٢ عصر الأمويين

التي تساعد على غصوبة الأداء. وفي تمثيله لحياة المخدئين وترقيهم والحضارة التي كانت تغمرهم يعيشهم وعصرهم .

ويشيع فيه نظرة النعم وترف الملك ورقة الشعور ولطف الوجدان وبراعة التصوير ودقة الصور وجودة الترميز وسهولة الأداء وجمال الفن والقصدرة على الخلق والابتكار واختراع الصور الجديدة التي تعبر عن حياة الشاعر ومظاهر بيئته ودقيق عواطفه التعبير الدقيق المؤثر الصادق .. تشيع في أسلوب ابن المعتز الصياغة الفنية المعتنقة روحاً وحياة وموسيقى ووضوحاً في دقة تصوير وقرب مأخذ وجودة ترميز في بعد فكرة وجودة خيال ، ويمتاز أيضاً بالفاظ الملوكية كما يقول الصولي (١) : وبهم أسلوبه عن سمو النفس وجلال الشخصية ونبل الخلق ودقة الاحساس والشعور بالحياة وما فيها من ألوان الجلال ، ويمتاز مع ذلك بمحسنة الوصف والابداع فيه ، وبثروته الخصبة في وصف مناظر الطبيعة والافتنان في تصويرها وبكثرة التشبيه والاستعارة وجودتها ولطف الصنعة وجمال البديع بشئ ألوانه ، ويعتق الخيال وتعدد صوره وألوانه ، وبالرواق والعذوبة في جزالة تشيع في أعطاف شعره حيناً وسهولة ورقة يفرض بها شعره أحياناً . ويمحاكي ابن المعتز الشعراء المجيدين أحياناً في نظم القصيد وفي معانيه : كامرئ القيس في وصف لذات الشباب ومآربه ، وكالناطقة وابن أبي ربيعة والعباس بن الأحنف في الغزل ، وأبي نواس في الخمر والطرده ، وأبي تمام ومسلم في الترف البياني وصنعة البديع .

وبعد فأسلوب ابن المعتز فيه روح الشاعرية الملهمة ، وتتجلى فيه شخصية ابن المعتز الاجتماعية والفنية واضحة ظاهرة ، وهو ملك عليك عقلك ووجدانك وقليك لما أودعه من جمال وبلاغة وعذوبة وسلاسة وبساطة يمتاز بها . وهي من أهم خصائص الفن في أسلوب ابن المعتز في شعره ، مما سنبسط القول فيه الآن بمشيئة الله .

الجزالة والركة في أسلوب ابن المعتز :

١ - الجزل من الكلام هو الذي تعرفه العامة إذا سمعته ولا تستعمله في محاوراتها (١) ، وأجود الكلام ما يكون جزلاً سهلاً لا يتغلق معناه (٢) . ويقول ابن الأنباري :

الالفاظ تنقسم في الاستعمال إلى جزلة ورقيقة ، ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه ، فالجزل منها يستعمل في وصف مواقف الحروب وفي قوارع التهديد والتخويف وأشياء ذلك ، وأما الرقيق منها فانه يستعمل في وصف الاشواق وذكر أيام البعاد وفي استجلاب المودات وملينات الاستعطاف وأشياء ذلك ، ولست أعنى بالجزل من الالفاظ أن يكون وحشياً متوعراً عليه عتبية البداوة بل أعنى به أن يكون متيناً على عذوبته في الغم ولذاذته في السمع وكذلك لست أعنى بالرقيق أن يكون ركيكاً سفهاً ، وإنما هو اللطيف الرقيق الحاشية الناعم الملس كقول أبي تمام :

ناعمت الاطراف لو أنها تلبس أغنت عن الملاء الرقاق (٣)

ويقول :

وأما البداوة في الالفاظ فذلك أمة قد غلت وقد عيبت على مستعملها في ذلك الوقت فكيف الآن (٤) .

وقد عرف النقاد أمر الجزالة والركة وشأنهما في الكلام ، وبحثها منهم كثيرون في تقدم ودراساتهم . فالفرزدق يقول في جرير : ما أحوجني مع فسوق إلى ركة شمرة وأحوجه مع عفافه إلى خشونة شعري (٥) ، فهو يرى أن الجزالة والركة بحسب الشاعر والموضوع الذي ينظم فيه . ويقول عبد الملك في الأعتى : فانه الله

(١) ٦٤ المتناهين

(٢) ٦٦ المرجع

(٣) ٦٥ التل السائر

(٤) ٦٨ التل السائر .

(٥) ٢٧ الشعر وشعره .

ما كان أعذب بحره وأصلب صخره (١). ويقول الأصمعي في شعر النابغة : إن قلت
ألين من الحرير صدقت وإن قلت أشد من الحديد صدقت (٢). وقال أبو عبيدة
في شعره : له ديباجة إن شئت قلت شهد إن مسسته ذاب وإن شئت قلت صخر
لو رديت به الجبال لأزالها (٣). وبحسب الجرجاني في وساطته الجزالة والرقعة
بتفصيل (٤). وذكر أثر نفس الشاعر وخلقه وبيئته وعصره ولون معيشته فهما،
ورأى أن الرقة إنما تأتيك من قبل العاشق المنيم والغزل المتهاك ودعا إلى (٥)
تنزيل الجزالة والرقعة متازلما بحسب المعاني والأغراض والموضوعات. وقد ذكر
الملاحظ في البيان الجزالة والرقعة عرضاً، فقرأه يقول : ومن الكلام الجزل
والسخيف والخفيف والثقيل وكل عربي وبكل قد تكلموا (٦) وذكر أن
سخيف الألفاظ مشاكل لسخيف المعاني وأنه قد يحتاج إليه بعض المواضع
وربما أمتنع كثيراً (٧).

ويقول : وحاجة الكلام إلى الخلاوة كحاجة إلى الجزالة (٧). ويدعو إلى
ترك الوحشى والسوق في مواضع كثيرة من بيانه (٨). وعرض لهما ابن المدبر
عرضاً فقال : لا يعتد بالمعنى الجزل ما لم تلبسه لفظاً جزلاً (٩). وعرض لهما أرسطو
في كتابه الخطابة فذكر أنه لا ينبغي أن تكون الألفاظ سفاسفة ولا مجاوزة
في المثانة مبالغ الأمر الذي يدل عليه فلا تبلغ درجة العامية ولا تنحوج إلى السكافة
المشتمة. وذكر أنه لا ينبغي أن يلام بين اللفظ والمعنى فاللهي الجزل يعبر عنه
بألفاظ جزلة والمعنى الرقيق يعبر عنه بلفظ رقيق (١٠).

- (١) ٣٨ الجزلة .
- (٢) ٣٨٠ : ٣ القند .
- (٣) ٣٢ جهرة أشعار العرب .
- (٤) ٢٢ وما بعدها من الوساطة .
- (٥) ٢٩ المرجع .
- (٦) ١١٠ : ١ البيان والتبيين .
- (٧) ٣٠ : ١ البيان .
- (٨) ١٠٠ و ١١٠ و ١٧٦ : ١ المرجع .
- (٩) ١١ الرسالة المفروء .
- (١٠) واجمع الفن الثامن من الخطابة في الشتاء لابن سينا — مخطوط .

٢ — وبعد فيقول أبو الفرج في شعر ابن المعتز :

« وشعره وإن كان فيه رقة الملكية وغزل الطرقات وهلمة المحدثين ، فإنه فيه أشياء كثيرة تجري في أسلوب المجيدين ولا تقصر عن مدى السابقين . وأشياء طريقة من أشعار الملوك في جنس ما هم بسبيله ليس عليه أن يتشبه فيه بفحول الجاهلية ، فليس يمكن واصفا لصبوح في مجلس شكل (١) طريف بين ندائى وقيان وعلى ميادين من النور والبنفسج والترجس ومنضود من أمثال ذلك . إلى غير ما ذكرته من جنس المجالس وفاخر الفرش وعتار الآلات ورقة الخدم . أن يمدل بذلك عما يشبهه من الكلام البسيط الرقيق الذى يفهمه كل من حضر إلى جيد الكلام ووحشيه وإلى وصف البید والممامه والظبي والظليم والثاقه والجل والديار والقفار والمنازل الحالية المهجورة ، ولا إذا عدل عن ذلك وأحسن قيل : مسى . ولا أن يمحط حقه كله إذا أحسن الكثير وتوسط في البهض وتطرف في اليسير ، وينسب إلى التنصير في الجبيع المنبر المقايح ، فلو شاء أن يفعل هذا كل أحد من تقدم لوجده مساعا ، ولو أن قاتلا أراد الطعن على صدور الشعراء لقد رأى أن يطعن على النابغة والأعشى . وإنما على الإنسان أن يحفظ من الشيء أحسنه ، ويغنى ما لم يستحسنه ، فليس مأخوذا به ؛ ولكن قوما أرادوا أن يرفعوا أنفسهم الوضيعة ويشيدوا بذكرهم الخامل وبهولأقذارهم الساقطة بالاطعن على أهل الفضل والقدح فيهم فلا يزدادون بذلك إلا ضعة ، ولا يزداد الآخرون إلا ارتفاعا ، ألا ترى إلى ابن المعتز قد قتل أسوأ قتلة وما يزداد بأدبه وشعره وفضله وحسن أخباره وتصرفه في كل فن من العلوم إلا رفعة وعلا (٢) . وكلمة أبي الفرج تغنيان عن كل كلام في هذا البحث ويشير فيها إلى أمور كثيرة أهمها :

(أ) أسلوب ابن المعتز فيه الكثير من الجيد الجزل المختار .

(ب) رقة شعره ترجع إلى عدة أمور :

١ — حياة الملك التى تستدعى الترف والرفقة .

(١) الشكل بالكسر دل المرأة وغزلها .

(٢) ١٤٠ وما بعدها : أغاني .

٢ - وصفه لألوان الماهر والترف بما يطلب رقة الأسلوب .

٣ - البعد بين الشاعر ونفسيته وحياته وبين موضوعات الشعر البدوية .

(ج) يجب على النقاد ألا يغمطوا حق المحسن وأن يعرفوا المحسن إحسانه والدقصر تقصيره وأن يذموا الشاعر في منزله الصحيحة حسب ما في شعره من إحسان وجودة أو إساءة وقيح أو توسط ومقارنة بين طرفي الجودة والرداءة دون ميل مع عصبية أو تأثر بهوى ، ويجب أن يتحرى الناقد الانصاف والعدالة الأدبية في أحكامه دون شيء آخر .

(د) والنقاد الذين يؤخذون ابن المعتز بهلته ورقة شعره قد أغفلوا أثر البيئة والمعيشة ولون الحياة فيه أو تحاملوا عليه مدفوعين بموامل العصبية والأهواء .

٣ - وحقق أن في أسلوب ابن المعتز الكثير من الجيد الجزل الذى تلج فيه جزالة القدماء مع عنوبة المحدثين .

فأنت تقرأ مثلاً قصيدته :

هاتيك دارهم فرج واسأل مقسومة بين الصبا والشمال
فتجد أسلوباً بدوياً يمزج لون من الجمال بما تأثر فيه الشاعر بالقدماء
وعامة بمنزلة في لاميته المشهورة .

وتقرأ قصيدته :

فرى الذكر منى أنه ونحيب وقلب شج إن لم يمت فكثيب
فتجد جزالة مزوجة بمذوبة لا تجددهما في كثير من شعر الشعراء .

وتقرأ له :

نؤرم على غيظ الأعادى عسد لأعلى مراقى العز تسمو غواطره
إذا ما أراد الحاسدون انهدامه بناء إله غالب العز قاهره
أو قوله في الغزل :

وأنت الذى ذلك للناس جانبي وأكثرت أحزان الفؤاد المروع

أو قصيدة الجيمية التي تأثر فيها بجيمية جرير في مدح الحجاج :
حت الفراق بواكر الاحساج وشماك يوم نأوا (يكتم) شاجي
وهي قصيدة غريبة قوية قد لا يكون لها نظير في غرابها في شعره .

أو قصيدته :

سأنتي على عهد المطيرة والقصر وأدعو لها بالساكنين وبالقطر
أو قصيدته الطائفة :

ألا تربان البرق ما هو صانع بدمعة صب شفه التأى والشحط
وسوى ذلك من آثاره الأدبية فستجد جزالة وأساليب قوية وروحا عربية
تشاكل روح الإسلاميين القدماء ، وسترى الشاعر يظهر بمظهر بعيد عن حياة
القرن الثالث وترفه ولحيوه وعدوبة الشعر ورقته فيه ، وليس ذلك بعيد على
ابن المعتز وهو الشاعر الذي تلبذ على المبرد وتعلب بقرأ أشعار القدماء
والإسلاميين وتأدب بها منذ طفولته الأولى ، فالجزالة في شعر ابن المعتز ترجع
إلى : روحه العربية ، ولون ثقافته الأدبية الأولى ، وإلى موضوعات الشعر التي
تناولها والتي لا يلبق بها إلا الجزل من الأساليب كالغفر والعتاب والمدح والعتاد ،
وإلى معارضة للندماء من الشعراء في أساليبهم وقصائدهم ، وهو مع ذلك في جزالة
عذب الأسلوب حلل التعبير والاداء .

٤ - وشعره مع ذلك في سائره رقيق الحاشية لطيف الصوغ صبح الأسلوب
يمثل مدرسة المحدثين الأدبية وذوقهم الفني وملكانهم التي تأثرت بالبيئة
والحضارة والترف ومثلت هذه الحياة في فنها تمثيلا صحيحا ونأت عن التقليد
للندماء في وحشية الأسلوب وغرابته ، وما كان لابن المعتز وهو حضري تمثل
أمامه الحضارة في أبهى مظاهرها وتلوح لعيذه المدنية في أبهى وأجمل مناظرها أن
يتأى عن الرقة والعدوبة والحسلاوة بعد أن سرى ذلك في نفسه وعقله
وطباعه من أثر الحياة والعيش والبيئة والعصر . انظر إلى عدوبته ورقته
في قصيدته :

طار نومي وعاد القلب عيد وأبي لي الرقاد حزن شديد
جهل ما بي وقل صبري فني قلبي كلرم وحشو جفني السبود

سهر يفتق الجفون ونار تنلظى منها يقابى وقود
لامنى صاحبي وقلبي عبيد أين بما أريده ما يريد ؟

إلى آخر هذه القصيدة الممتعة . أو في قصيدته :

• هي الدار إلا أنها منهم قفر وأنى بها نار وأنهم سفر
حبست بها لخطي وأطلقت عبرتي وما كان لي في الصبر لو كان لي عذر
إلى آخر هذه القصيدة الرائعة التي تمثل لك عذوبة المحدثين وجمال آثارهم
الأدبية تمثيلاً صحيحاً والتي نلهمها في ذكرى أحبابه ووصف الطبيعة .

أو في قوله :

تماهذتك العباد ياطلل حدث عن الطاعنين ما فعلوا
فقال لم أدر غرور أنهم صاح غراب بالبين فاحتلوا

أو اقرأ قصيدته :

لامثل منزلة الدويرة منزل يادار جارك وابل وسقاك

أو قصيدته :

نبهت ندماني فهبنا طرباً إلى كأسى ولي

وغير ذلك من سائر شعره فستجد رقة وسحراً وجمالاً ولطفاً وسهولة وعذوبة
وفناً خالصاً من شوائب التقليد وأسلوباً مثلاً للشاعر وعصره أدق تمثيل، وسيترامى
أمامك الشاعر وفنه في صورة يحوطها الإعجاب والتقدير بما يسمو بمكائنها في نفسك
وفي حكم الفن والدق والشعر والشعور .

• — وقل أن ينزل الشاعر بأسلوبه إلى درجة الساقط السوق أو النافر
الوحش .

فلا نجد غريباً نافراً في شعره إلا القليل جداً مما تجد مثله في : بعض أراجيزه
في العلرد الذي استن فيه من قبل أبو نواس الغرابة وحشاه بالقرب ، وفي بعض

قصائده في العتاب كجيمته وبعض قصائده في المدح كلاميه في الموقف وقد سبق الإشارة إلى ذلك ، وفي آثار قليلة من بقية أغراضه في شعره .

وكذلك لا نجد له سرقيا ساقطا مبتذلا إلا القليل النادر في شعره الذي نزل فيه أسلوبه إلى درجة العامة المبتذلة (١) مما لا يقبله ذوق وبنفرت منه القلب والسمع والوجدان .

الطبع والصنعة في شعر ابن المعتز :

١ - المطبوع من الشعراء كما يقول ابن قتيبة من سمح بالشعر واقتدر على القوافي وأراك في صدر البيت عجزه وفي فاتحته قافيته وتبينت على شعره رونق الطبع ووشى الغزيرة (٢) . والمصنوع هو المنتقح المثقف من الشعر الذي قومه صاحبه باللفايش ونقحه بطول التفتيش ولم يذهب فيه مذهب المطبوعين (٣) ، مما يظهر للنقاد مهما كان محكا (٤) ونجد البيت فيه مقرونا بغير جاره ومضموما إلى غير لفقه (٥) ، على أن أئمة الصنعة في الشعر العربي كانوا يعملون قصائد مخطا واحدا مما يجعلها مستوية الشاعرية كالخطيئة وسواء ولذلك قال الأصمى : الخطيئة عبد الشعر ، قال الجاحظ : عاب شعره حين وجدته كله متخيلا مستويا لمكان الصنعة والتكلف والقيام عليه (٦) ، وقال الأصمى أيضا : زهير والخطيئة وأشباههما عبيد الشعر وكذلك كل من يجود في جميع شعره ويقف عند كل بيت قاله وأعاد فيه النظر حتى يخرج آيات القصيدة كلها مستوية في

(١) كقوله : بحسب مالي وبه سكره
وقوله : مالي يدي منه غير من يدي
وقوله : فلم يزل من ين أغاسها
بمس يدي أن ظلي حنظل
ورب يفت في الحب منجوس
بعضها أكثر مما يوس

(٢) ٢٤ الشعر والشعراء

(٣) ١٦ المرجع

(٤) ٢٢ المرجع

(٥) ٢٣ المرجع ولذلك أخذ النقاد التذم كالأصاحب والتعالي والبديعي على التفتي كثرة التفاوت في شعره

(٦) ١٥٠ : ١ البيان والبيان

الجودة (١)؛ قال ابن رشيقي: يريد الأصمى أنهما يتكلمان لإصلاحه ويشغلان به حواسهما وغواطرهما (٢)، وكان الأصمى يقول: وإنما الشعر المضمود كشعر الجعدي ورقبة ولذلك قالوا في شعره: مطرف بالآلاف وخمار بواقف (٣)، وكان الأصمى يفضل من أجل ذلك (٤)، قال الجاحظ: وكان يخالف في ذلك جميع الرواة والشعراء (٥) رأي أنه مسبوق بذلك الرأي، فقد روي أنه قيل للمراح: لو أصححت شعرك لذكرت به، فقال: إنما الشعر كتيل في جفرك ترمى به الفرس فظالع وواقع وقاصد (٦)، ورد بشار على من عابه بالتفاوت في شعره بأن الشاعر المطبوع كالبحر يقذف مرة صدفة ويقذف طورا خرزة (٧)، وعلى هذا الرأي يسير بعض المحدثين ممن يرى أن التفاوت في شعر الشاعر دليل على عبقريته وطبعه وهو الآية الناطقة على شاعرية المتنبي عنده (٨)، وإذا كان الشاعر مصنعا بأن جيده من سائر شعره كأبي تمام وإذا كان الطبع غالبا عليه لم يكن جيده كل البيوتات وكان قريبا من قريب كالبحري ومن شاك (٩).

وبرى بعض المحدثين أن الشعر إذا كان صادرا عن ذات نفس الشاعر كان هو شعر الطبع أو شعر الفطرة (١٠) فأبينا وجدت النفس المتأثرة بما يزعمها من بواعث الشعور فقد وجدت هناك شعر الفطرة (١١)، ويذهب إلى ذلك العقاد حيث يرى

(١) ٢٥ : ٢ المرجع وتروى كلمة الأصمى برواية أخرى هي: زهير والباينة وكان النقاد يمدحون البائنة من الصنعة ويروى عن أبي عبيدة قال: سمعت أبا عمرو يقول: زهير والمطبوخة عبيد الشعر لأنهم همهم ولم يذهبوا فيه مذهب المطبوخين (١٠٥ إعجاز القرآن)

(٢) ١١٢ : ١ المدة (٣) ٢٥ : ٢ البيات

(٤) ١٥٠ : ١ البيان

(٥) ٢٦ : ٢ البيان . وكان الأصمى مع كراهته للصنعة يستحسن التفاوت في الشاعرية لأنه مظهر النبع وحلو الشعر من آثار الصناعة

(٦) ٨٨ : ٢ الأغاني

(٧) ٢٧٥ : ١ زهر

(٨) ٢٧٦ : ٢ مقالات العقاد

(٩) ١١١ : ١ المدة

(١٠) ص ٧ الطبع والصنعة في الشعر

(١١) ١٦ : ١٦ المرجع

أن شعور الشاعر بنفسه حد بين الطبع والتكلف فإذا كان الشعر صادقا مؤثرا فهو من شعر الطبع وإلا فهو متكلف (١) ، ويرى أن الأدب المطبوع من كان غير مغلق في معناه أو في أمطه وأن يكون صاحب هبة في نفسه وعقله لاني لسانه فقط (٢) وكذلك ذهب صاحب تاريخ النقد الأدبي عند العرب ، الذي ذكر رأى ابن قتيبة وحله بأنه يريد من الطبع في الشعر معنى الارتجال لا الطبع والشعور والملحكة الشعرية الموهوبة ثم بنى على ذلك نقده لابن قتيبة ورأيه (٣)

ورأى المحدثين اصطلاح جديد في الطبع والصنعة ومعناهما ، وهو لا ينقض الرأى الأول الذى ذهب إليه القدماء ، بل لعل القدماء قد لاحظوه واكتفوا في تعريفهم للطبع والصنعة بآثارهما الفنية في الأدب والشعر .

ونحن نرى أن الأولى في تحديد معنى الطبع والصنعة أن نجتمع بين الرأىين ، فالطبع هو الملحكة القادرة في نفس الشاعر والأديب التي توحى إليه بفنّه وأدبه وحس الفطرة والطبيعة واستجابة لمواقفه ومناخه دون تكلف ودون تعب في الصوغ أو استجداء لترف الأسلوب والصناعة ، فإذا جاء شيء من آثار هذا التكلف الفني في شعر المطبوعين من الشعراء فإثما يحى عفواً وعن غير قصد ودون عناية ودون أن يطفى شيء على نفس الشاعر وشعوره وخلجات قلبه ونزعات عقله وإحساسه ، والصنعة هي : إحساس الشاعر أو الأديب بآثار الجمال الفني وترتف الأداء وزخرف الأسلوب ، وحب لهذا الجمال والترتف والزخرف ، وهيامه الفني بها وقصده إليها وتممه لها في شعره وأدبه ، حتى يطلب الفن للفن ، ويستلهم الجمال للجمال ، ويستوحى الشعر من ملكاته الفنية التي غلبت عليها هذه النزعة واستبد بها هذا الأسلوب ، وكادت تكون فناً خالصاً يطفى على نفس الشاعر وشعوره وعواطفه وإحساسه بالحياة ، ويستبد بالظهور والعناية عليها في الفن ، أو يشاركها في تراث الشاعر والأديب الفني فنقل من ظهور نزعاته ووجداناته فيه ، ولذلك عاب القدماء من التفاد الصنعة والتصنيع ، وكرهوا الصانعين والمصنّعين ، ورأوا مذهبهم يخالف مذهب القدماء من الشعراء في الجاهلية والإسلام .

(١) مطالعات ٢٧٧

(٢) مطالعات ٣٢٦

(٣) تاريخ النقد الأدبي عند العرب ١٣١

٢ - ولقد كان الشعر العربي أثرا للفطرة والفرجة . واستجابة لمشاعر الشاعر وشعوره بالحياة في الجاهلية ، وكان أكثره ارتجالا أو ما يشبه الارتجال ، ينظمه الشاعر على البديهة ، ويأتى به عفواً لحاظاً ، ترد إلى ذهنه المعاني وتنازع ، فتتأثر عليه الألفاظ انشياً ، وتأتيه الأساليب شعراً وشعوراً وسجراً وجمالاً ، كل ذلك في سهولة وتدفق وفطرة ودون تثقيب وتهذيب وتنقيح ، وقد ينطق للشاعر منهم في شعره من آثار الصنعة التي لم يقصدها البيت والبيتان في القصيدة ، وربما قرئت ، من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع ، وكان يستحسن ذلك منهم إذا أتى نادراً ، ويزداد حظوة بين الكلام المرسل (١) . وليس متكافئ تكلف أشعار المولدين ، وإنما وقع لهم من غير قصد ولا تعمل لكن بطباع القوم عفواً ؛ فلم تكن العرب تنظر في إعطاف شعرها بأن تجنس أو تطابق أو تقابل فتترك لفظة للفظ أو معنى لمعنى كما يفعل المحدثون ولكن نظرهم في فصاحة الكلام وجزالة وبسط المعنى وإبرازه وإتقان بنية الشعر وإحكام عقد القوافي وتلاحم الكلام ببعضه ببعض (٢) ، فكل شيء للعرب قائم هو بديهة وارتجال وكأنه الهام ، وليس هناك معاناة ولا مكابدة ولا اجالة فمكرة وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام وإلى جملة المذهب والعمود الذي إليه يقصد فتأتيه المعاني ارسالا وتتأثر عليه الألفاظ انشياً (٣)

وفي العصر الجاهلي بدأ لون جديد من ألوان التثقيب والصنعة في الشعر على يد أوس وزهير وتلاميذهما : كان أوس من أصحاب التنقيح وكان يسمى محباً لحسن شعره (٤) وتلذذ عليه زهير (٥) ، وكان طفيف كذلك وقد قيل إن زهير روى له (٦) وتلذذ عليه ، وكذلك كان النمر بن توبل من أصحاب التثقيب والتعذيب

(١) ١٦ البديع

(٢) ١ : ١٠٨ الممددة

(٣) ١٥ : ٢ البيان

(٤) ١٨٣ : ١ الممددة

(٥) ١٧٢ : ٢ المرجع

(٦) ١١٢ و ١٧٤ و ١٧٥ : ١ الممددة

وكان أبو عمرو بن العلاء يسميه الكيس (١) ، ومن أبرز رجال هذه المدرسة زهير ، وكان زهير يصنع الحوليات على وجه التثقيب والتثقيب ، يصنع القصيدة ثم يكرر نظره فيها خوفاً من التثقيب ، بعد أن يكون قد فرغ من عملها في ساعة أو ليلة ، وربما رصد أوقات نشاطه فنياً عمله لذلك (٢) ، ، وكان يعمل القصيدة في ستة أشهر ويذهبها في ستة أشهر ثم يظفرها فتسمى الحوليات (٣) ، ، وعمل سبع قصائد في سبع سنين وكان يسميها الحوليات (٤) ، وقيل كان ينظمها في شهر ثم لا يزال يذهبها حتى يمر عليها الحول (٥) ، قال الجاحظ : ومن شعراء العرب من كان يدع القصيدة تمسك عنده حولاً كريماً (٦) ، وزمنا طويلاً يردد فيها نظره وبقلب فيها رأيها ما لمقله وتبعها على نفسه وكانوا يسمون تلك القصائد الحوليات والمنقحات والمحركات والمقلدات (٧) ، وقال : وكان زهير وهو أحد الثلاثة المتقدمين يسمى كبار قصائده الحوليات (٨) ، ولعل رأي النقاد في أنه كان يدع القصيدة عنده حولاً يذهبها ويقوم ثقافتها ويصيفها بصيغة من الصنعة والتثقيب بالغة في إطالة نظره فيها وصنعت لها . وقد احتج أصحاب مذهب الصنعة بأن امرأ القيس كان يشقف شعره ويعيد فيه نظره ويسقط رديته ويثبت جيده (٩) ، وكان امرؤ القيس راوية أبي دؤاد الأبادي مع قوة غريزة وكان يلود به في شعره ويتوكأ عليه كثيراً (١٠) . وقد سار تلامذة زهير على نهج أستاذهم ؛ فكان الخطيئة صانعا حاذقا يقوم على شعره وينقحه (١١) ، كان يعمل القصيدة في شهر وينظر فيها ثلاثة أشهر ثم يبرزها (١٢) ، وكان يقول : خير الشعر الحول المنقح (١٣) أو المحسك (١٤) ،

- | | |
|--|----------------------|
| (١) ١١٢ : المدة | (٢) ١٠٨ : المدة |
| (٣) ١٣٤ : صناعتين | (٤) ٢٦٦ : مر القصيدة |
| (٥) ٣٨ : الرافعي | (٦) أي كاملا |
| (٧) ٢١ : البيان والتبيين | |
| (٨) ١٤٩ : ٢٤ : ٢ : البيان ، ١٠٥ : إعجاز القرآن | |
| (٩) ١٧٤ : المدة | |
| (١٠) ١٧٢ : المدة | |
| (١١) ٦٠ : من التصنيف والتعريف للمعري . | |
| (١٢) ٣٥ : صناعتين | |
| (١٣) ١٤٩ : ١ : البيان | |
| (١٤) ٢٥ : ٢ : البيان ، ١٧٥ : المدة ، ويرى ذلك من زهير (٢٦٦ : مر القصيدة) | |

ويشبهون طريقة الخطيئة في الشعر بطريقة زهير (١) ، وكان الأصمعي يمييه من أبل (٢) صنمته . وكان الخطيئة راوية زهير (٣) ، وكان الفرزدق يروي للخطيئة كثيرا وكان أبو حية النخعي وهو من أحسن الناس شعرا وألطفهم كلاما مؤثما بالفرزدق أخذاً عنه كثير التصب له والرواية عنه (٤) ، كما كان هذبة بن الحشرم راوية الخطيئة وجميل راوية هذبة وكثير راوية جميل (٥) .

وهكذا استمر هذا المذهب مذهب الثقيف وطول التهذيب منهجاً فنيا يسير عليه بعض الشعراء من المحدثين ، فكان أبو نواس يعمل القصيدة ويركها ليلة ثم ينظر فيها ويألفي أكثرها ويقتصر على الميوس منها (٦) ، ويقال إنه كان يعمل القصيدة ثم يتركها أياماً ثم يعرضها على نفسه فيسقط كثيراً منها (٧) ، ويحرص على هذا قيس بن الردي ويحيى الجدي (٨) ، وكان مسلم صاحب راوية (٩) ، وكان البصري يلقى من كل قصيدة يعملها جميع ما يرتاب فيه يخرج شعره مذهباً وكان أبو تمام لا يفعل ذلك ويرضى بأول خامل فني عليه عيب كثير (١٠) ، وكان أبو عبيدة وورث يعتذران لزهير والخطيئة وأشياهما في هذا الاتجاه الفني الذي قصدوه بتكسبهم بالشعر والتباسهم به صلات الأشراف والقادة (١١) ، مما كان يدعوهم إلى القيام على الشعر ومعاودة النظر فيه وتبج الشاعر على نفسه حتى يخرج شعره جيداً (١٢) .

(١) ٢٦٧ سر القصيدة .

(٢) ١٥٠ : ١ و ٢٥ : ٢ البيان .

(٣) ٧٨ : ٧ الأغاني .

(٤) ١٧٢ و ١٧٣ : ١ المدة ، ٢٩٩ الشعر والشعراء .

(٥) ٤٨ : ٣ الرافعي ، ٣٠٠ الأدب الجاهلي ، ١٧٢ : ١ المسند ، وكان كثير راوية جميل ومفضلاً له (١٦ : ٤ الهند) .

(٦) ١٣٥ صناعين .

(٧) ٢١١ : ٧ مذهب الأغاني .

(٨) ١٧٥ : ١ المدة . وكان مسلم صاحب روية ولسكرة (١٦٦ : ١ المدة) .

(٩) طبقات الشعراء لابن المعتز (ص ٩١) ما يتألف ذلك ففيها أن أبا نواس كان لا يحال شعره ولا يقوم عليه . (٩) ١٦٦ : ١ المسند (١٠) ١٣٥ صناعين

(١١) ٢٦ : ١ البيان (١٢) ٣٧ : ٣ الرافعي

٣ - وفي عصر المحدثين أو قريب منه بدأ لون جديد من ألوان الصنعة يدخل الشعر العربي . وهو أم ألوانها وأبرز سماتها ، وهو الذي سماه النقاد بالبديع (١) .

كان الشعراء المحدثون يقصدون إلى ألوان خاصة من الأساليب الساحرة التي يتجلى فيها ترف الفن وجمال الصنعة وسحر الأداء ، من استعارة وتشبيه وجراس وتطبيق ومقابلة وحسن تعليل وسسوى هذه الألوان ، التي يقصدونها قصدا ويفتنون فيها اقتنائاً ، ويحرصون على توشية شعرهم وقصائدهم بها وتجميل آثارهم بزخرفها ، وكان الراعي مقدمة لهذا اللون من الصنعة ، فكان كثير البديع في شعره (٢) .

وأول من فتن البديع من المحدثين بشار وابن هرمة (٣) ، ولم يكن في المولدين أصوب بديعاً منهما (٤) ، ثم اتبع بشاراً وابن هرمة مقتدياً بهما العتابي والقرني ومسلم وأبو نواس (٥) ، فالعتابي يذهب شعره في البديع (٦) ، وكان يحتذى حذو بشار في البديع (٧) ، كان يجمع الخطابة والشعر الجديد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله في البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك

(١) كان البديع يأتي قبل ذلك عفواً للشراء والأدياء ولكنهم كانوا يكرهونه ، فقد روى أن معاوية أتى كتاباً إلى رجل فقال فيه : لمو أهن على من ذرة أو كتاب من كتاب المرة ، ثم قال : امح « من كتاب المرة » واسكتب « من الكتاب » كأنه كرم اتصال الكلام والزوجة والسج (رابع ١٥٥ رسائل الجاحظ) .

هذا والبديع في اللغة يدور حول الجديد والمحدث والمخترع ، جاء في لسان العرب : بدع الشيء يدعها وأبدعها : أنشأه وأبدعه ، والبديع : المحدث المريب ؛ وأبدعت الشيء : اخترعته لاعتق مثال ، والبديع من أسماء الله تعالى لإبداعه الأشياء وإحداثه إياها لامن غير مثال سابق ، وأبدع الشاعر : جاء بالبديع

(٢) ٢٤٢ : ٣ البيان

(٣) ١١٠ : ١ العدد

(٤) ٥٥ : ١ البيان

(٥) ١١٠ : ١ العدد

(٦) ٢٤٢ : ٣ البيان

(٧) ٥٥ : ١ البيان

من المولدين كالفري ومسلم وأشباهم (١) ، وأستاذة إشاراً بالمحدثين واستاذهم (٢) وكانت تقاين طبقات شعره فيصعد كبرها ويهبط قليلاً بكثيرها وكذلك كان حبيب (٣) ، كان أبو نواس ثانياً إشاراً في منزعه لفظاً ومعنى ، وكثيراً ما نصب على قوالبه وجري في مضاربه . حتى قال الجاحظ فيها : معناه واحد والعدة اثنان ! إشاراً حل من الطبع بحيث لم يتكلف قط قولاً ولا تعب من عمل شعر ، وأبو نواس حل من الطبع بحيث يصل شعره إلى القلب بلا إذن وإيس يعد إشاراً مولد أشعر من أبي نواس (٤) ؛ وكان أبو نواس يتبعه بالنائفة (٥) ؛ وكان أسير المحدثين شعراً (٦) ، والصنعة واضحة بشكل مدروس في ميميته :

وذى رحم قلت أظفار ضفته يحلى عنه وهو ليس له حل (٧)

على أن هذه الصنعة الشعرية لم تصبح ظاهرة فنية مقصودة وتمهيداً أدبياً واسماً للشعر ومذهباً جديداً مأثوراً إلا على يد المحدثين عامة (٨) وعلى يد مسلم وأبي تمام على الخصوص ، فسلم أول من تكلم بالبديع من المولدين وأخذ نفسه بالصنعة وأكثر منها ولم يكن في الأشعار المحدثه قبله إلا التثنية اليسيرة وهو زهير المولدين وكان يبطله في صنعته ويحيدها (٩) ، بل هو فيما زعموا أول من قال هذا الشعر المعروف بالبديع وهو لقب هذا الجنس بالبديع واللاطيف (١٠) ، وأول من أقصد الشعر بالبديع (١١) ، ويشيد به النقاد جميعاً في مذهب الصنعة والبديع منوهين بأثره

(١) ١ : ٥٤ البيان

(٢) راجع ٣ : ٢٠ : الأغاني ، ١ : ١٠ : المدة ، ١٣ : ٢ : زهر ، ٢٥٠ : موشح ، ٣ : طبقات ابن المعتز . وكان الأصمعي يقول : هو خاتمة الشعراء (٣ : ٢٣ : الأغاني)

(٣) ٢٦٣ : رسائل البغداد من رسالة الانتقاد لابن شرف

(٤) ١٦١ : العصر العباسي للاسكندر

(٥) ١ : ١١٠ : المدة

(٦) ٢ : ١٧٣ : المدة

(٧) وهي في ديوانه ، ونسب لمن بن أوس خطأ

(٨) ١ : ١٧٣ : المدة

(٩) ١ : ١١٠ : المدة

(١٠) ١ : ٢٠ : معاهد التنصيص

(١١) ٨ : الموازنة

في هذا الباب (١) ، كان يتخذ الصنعة مذهبا يطبق عليه نماذجه بيتا بيتا فمضى بضروب التصنيع والزخرف الخنافة من جناس وطباق واستعارة ومشكاة وأقام الفاظه وتمايزه كما يقيم المثالون تماثيلهم وحقا كان مسلم زعيم التصنيع في عصره فقد استطاع أن يجعله الغاية من صنعه نماذجه فالقصيدة عنده لا تعبر عن خواطر وإنما تعبر عن ألوان (٢) .

وعمت موجة التصنيع بعد مسلم ، وعلى نمطه وحذوه سار أبو تمام والبحرئى فكلما يطلبان الصنعة ويولمان بها ، فأما حبيب فيذهب إلى حزونة اللفظ وما يملأ الأسماع منه مع التصنيع المحكم طوعا وكرها يأتى الأشياء من بعد ويطلبها بكلفة وبأخذها بقوة ، وأما البحرئى فكان أطلع الناس صنعة وأحسنهم مذهباً في الكلام يسلك منه دماعة وسهولة مع إحكام الصنعة وقرب المأخذ لا يظهر عليه كلمة ولا مشقة (٣) ، كان لأبي تمام مذهب في المطابق هو كالسابق إليه جميع الشعراء (٤) ؛ وربما أسرف في المطابق وفي الجناس ووجوه البديع من الاستعارة وغيرها (٥) ، ولا تجتمع الاستعارة اجتماعاً فيها نظمها (٦) ، وهو أول من شرع البديع وأنبع عيون التقسيم والتصريح والاستعارة وأرى الناس غرائب أنواع الجناس (٧) ، وعلى أى حال فأبو تمام ومسلم هما اللذان طرقا إلى الصنعة ومعرفتها طرقا سائلة وأكثرها منها في أشعارهما تكثيراً سهلاً عند الناس على أن مسلماً أسهل شعراً من حبيب وأقل تكلفاً (٨) ، كان أبو تمام يستخدم في صناعة

(١) ٦٨ النثر السائر ٩٠ - مطبقات ابن المعتز ٣٧٢ مجمع الشعراء ٢٤٨ رسائل الباقاء ٤

١٣٣ : ٤ زهر

(٢) ٨١ و ٨٣ الفن ومذاهبه

(٣) ١٠٩ : ١ الممددة

(٤) ١٦٨ : ٧ مذهب الأتاني

(٥) ٩٦ إعجاز القرآن

(٦) ٩٢ رسالة القرآن

(٧) ٣٠٥ الرميحة للشهاب من ثلاثة أبي تمام التي ذكرها الشهاب الخفاجي في ريماته

(٨) ٣٠٩ - ٣٠٩ وقد صنفها الخالدي على لسان أبي تمام يشكو فيها الطائي من الواقعف النوصلى القدى

كان يغير على شعر أبي تمام في كلامه وشعره

(٨) ١١٠ : ١ الممددة

شعره وشي التصنيع الذي عرف عند مسلم من طباق وجناس ومشاكله وتصويره، وأضاف إليها شيئا آخر من الثقافة والفلسفة وعقد فيها تعقيدا فكان يعتمد في تصويره على صيغ التدبير وقد استوعب الفلسفة والثقافة وحولها إلى فن وشعر فالتطابق والجناس والمشاكل كل ذلك وسواء تجتمع في شعره فيجعله الغموض في كثير من جوانبه وأجزائه وهو الغموض الفني الذي أخذ به النقاد فهو يشكر أفسكارا وصورا جديدة ولكنه يحس بأن اللغة لا تستطيع أن تؤدي ما يريد. وجانب الغموض والمعاني الغريبة في شعره هو الذي أثار حجة واسعة حول شعره تشبه تلك الحجة التي شئت في فرنسا حول مذهب الرمزيين حين تفرع من مذهب البرناسيين، وكان أبو تمام يستخدم الطباق استخداما معتادا يلوته بأصباغ فلسفية وكان يسميه توافر الأضداد (١) وهو المقابلة، وكان البحرى يشبهه بأبي تمام وينحو نحوه ويحذو حذوه في البديع (٢).

وكان لا يرى في التجنيس ما يراه أبو تمام (٣) ويقول التصنع له فإذا وقع في كلامه كان في الأكثر حسنا رشيقا وتصنعه البطاقة كثير حسن وعمقه في وجوه الصنعة على وجه طلب السلامة والرغبة في السلاسة (٤)، والبحرى على أي حال لم يكن متفلسفا ولم يكن من رجال الفكر العميق، كان يدويا أعرابيا فظلت أدوات الصناعة عنده ساذجة بسيطة (٥)، كان يتتبع الألفاظ ويتقدها نقدا شديدا كما يقول الياقوتى، وكانت ألفاظه كأنها نساء حسان عليهن غلازل مصبغات وقد تحاين بأصناف الحلى كما يقول صاحب المثل السائر، بل كانت كالعسل حلوة (٦)، أما ابن الرومي فقد كان من الشعراء الذين يؤثرون المعنى الملقظ فيطلبون صحته

(١) راجع ١١١ و ١١٥ و ١٣١ و ١٣٣ و ١٢٤ و ١٣١ الفن ومذاهب الشعراء العرب

(٢) ١٨٣ : ٧ مذهب لاغنى

(٣) أى من إسرائقه ١٠

(٤) ٩٦ إعجاز القرآن

(٥) ٩٠ الفن ومذاهبه

(٦) ٣٥ ملقات ابن المعتز . والآدمى يفضل ابتداءه (١ : ١٠٥ المدة) وكان يصير إلى الخروج من التسيب إلى اللوح (٤١ إعجاز القرآن)، ويقضه المرحبانى بمودة الإهداء على سبب والتبني وقضاهما عليه في جودة الخاتمة (٢٠٥ : ١ المدة)

ولابالون حيث وقع من هجئة اللفظ وخشونته (١) ، فكان يصنع شعره على طريقة المدرسة المحافظة ولم يستطع أن يخرج إلى المدرسة الحديثة مدرسة التصنيع (٢) ، فهو حديث في ثقافته ولكنه لا يستطيع أن ينض في فقه بألوان التصنيع وزعارفه . وحقا قد شغف بالتصوير ولكن هذا الشغف لا يخرج به إلى مجال المصنعين (٣) ، وهو مع ذلك قد يأق بألوان الزخرف الفنى في شعره ولكن دون أن يتخذها مذهباً ، وكان يستخدم الطباق والجناس في شعره وهو يشبه البحترى في ذلك إلا أن البحترى يكثر من الجناس ، وقد استعار من أبي تمام صيغ التدييع (٤) .

٤ - وانتهى علم البديع والصنعة إلى ابن المعتز وختم به (٥) ، وكان ابن المعتز هو الشاعر الذى انتهت إليه الصناعة الشعرية فقد كان يحب الفن للفن وينظم الشعر ليأجبه وكان في العباسيين كالوليدى الأمويين وكان متكلفاً جيداً في تكلفه كما كان الوليد مطبوعاً جيداً في طبعه .

ويقول عبد القاهر فيه :

« وطريقة ابن المعتز طريقة أبي تمام ولم يكن من المطبوعين » (١) . . وكان عبد القاهر يؤثر المطبوع وما قار به من المصنوع ...

ويصف ابن رشيق صنعة ابن المعتز فيقول :

« وما أعلم شاعراً أكل ولا أجب تصنيعاً من ابن المعتز ، فإن صنمته غفيرة لطيفة

(١) ١٠٦ : ١ : العمدة ، وابن الروى أكثر الشعراء اختراعاً للمعاني (٢٣٢ ج ١ العمدة) ، وأدبه أكثر من غيره وكان يتعاطى علم الفلاسفة (١٦١ رسالة النفران)

(٢) ٩٤ الثمن ومذاهبه

(٣) ٩٥ المرجع

(٤) وكان يلزم حركة ما قبل الروى في أكثر شعره (١٠٣٣ : ١ : العمدة) وكان يلزم ما لا يلزم في القافية ١٣٧ و ١٣٨ : ١ : العمدة وقد يلزم الحرف ، وحركته قبل الروى ١٧٢ سر القصاحة

(٥) ١١٠ ج ١ : العمدة

(٦) ٢٦٢ أسرار البلاغة

لأنكاد تظهر في بعض المواضع إلا للبصير بدقائق الشعر وهو عندي أظرف أصحابه شعراً وأكثرهم بديعاً واقتنائاً وأقربهم قوافي وأوزاناً ولا أرى وراء غاية اطلاعها في هذا الباب (١)، ولقد صدق ابن رشيق في حكمه الأدبي على ابن المعتز وصنعتة فإن له من رائع الصنعة وسحر البديع وجمال الأداء وأطراف الأساليب ودقة المذهب وحلاوة الصياغة في صناعته ما يروع القارىء ويستبد بأعجاب المنصف من النقاد، وكان أبو تمام متكلفاً للبديع وكان البحتري وابن المعتز يجريان مع الطبع وكان مسلم بنجاً وسطاً (٢). ولا شك أن ذلك أثر لعصره وبئس منه وحياته ووجدانه وشعوره، وآية ناطقة بحبه للجمال السارى في الحياة. وسأخذ في تحليل ألوان الصنعة في شعره وفي شرحها ونقدها لتعرف إلى أى حد بلغ ابن المعتز في هذا الباب.

ألوان الصنعة في شعر ابن المعتز :

(١) التشبيه والاستعارة :

رأيت في الفصل الذي عقدناه للتشبيه في شعره كيف بلغ ابن المعتز درجة الجمال والروعة الفنية، وكيف ملك زمام الإجازة وانفرد فيها بالحسن والإعجاب، وأتى فيها بالرائع النادر والجديد المبتكر، مما سبق فيه جميع الشعراء، وتنفرد فيه على كل شاعر سبقه أو أتى بعده، حتى ضرب المثل بتشبيهاته وصارت دلالة على شاعريته، وسمة على ملكاته الفنية في باب القريض

(ب) جودة الابتداء :

وابن المعتز في هذا مجيد مبدع، تسرى في شتى ابتداءاته روح الجمال وملكته الإجازة وملكه عليك شعورك وعاطفتك ويستبد بتقديرك وإعجابك، فأنت تقرأ له :

سقى المطيرة ذات الظل والشجر ودير عبدون هطال من المطر

(١) ١٠٩ و ١١٠ ج ١ المدة

(٢) ١٧٠ وما بعدها الأسلوب لشايب

و : طار نومي و عاود القلب عيد
و : سألني على عهد المطيرة والقصر
و : شجنتك لهند دمنة وديار
و : الدار أعرفها ربي وربوعا
و : طال ليلى وساورني الموم
و : نيهت ندماني فمبا
و : بياي يا حياي
و : من يذود الموم عن مكروب مستكين لحادثات الخطوب ؟
وغير ذلك من مطالع قصائده ، وابتداء شعره ، التي يسرى في إعطافها السحر ويشيع فيها روح الشاعرية والجودة والأحسان . وإنه ليعز عليك أن تجد لابن المعتز ابتداء نافرا أو مطلقا غير مقبول ، وكثير من ابتداءاته مصرعة ، وله بعض ابتداءات أخرى ترك فيها التصريح وإلحاق العروض بالاضرب مما يجده مغرقا قليلا في شعره ، وعدم التصريح مذهب لكثير من الشعراء (١) ، وكان بعض الشعراء كأمريء القيس يلجئون بالتصريح (٢)
أما ختام قصائده فيقلب عليه الجبال الفنى والإحسان والجودة ، ولكن ختام قصائده لا يصل في بلاغته إلى جودة ابتداءاته .
وأما التناقص في شعره ، ويسميه ابن المعتز في كتابه « البديع » خروجا ، فضئيل الحظ من الجودة والبلاغة والجمال فتراه في قصيدة له بقول في الغزل بعد عدة أبيات :
فلم يكن يبتنا سوى اللحظ والله مع كلام أنا ولا رسول
ثم يتناقص بعد ذلك البيت من الغزل إلى غرضه من القصيدة تخالفا سخيفا مثل ما ألف عند الجماهير فيقول :
هذا لهذا ، فالذي إحن يدس ككيد لي ويحتدل
وفي قصيدة له في المكتنى وصف في أولها لذاته في الحب وقال :
تقرع الثغر بثغر طيب عند الورود

(١) ١٥٢ : ١ المدة

(٢) ١٧٩ : ١٧٩ مرفوعة

ثم قال بعد ذلك مباشرة بمدح الخليفة :

مرحباً يا ملك القسا دم بالجند السعيد

(ج) الطباقي في شعر ابن المعتز :

والطباقي من ألوان البديع ، وذكره ابن المعتز في كتابه « البديع » ، وهو الجمع بين الشيء وما يقابله في الكلام .

وهو أحد ألوان البديع ، التي أجاد فيها الشاعر وتفوق فيها على كثير من الشعراء ، فأنت تقرأ له :

أبصرته في المنام معتذرا إلى مما جناه يظننا
، ضاعت بك الدنيا وسرت مرة فأراك من حسناتها وذنوبها
، خاضوا الظلام بعدى وكنت فيهم لجرأ
، وشعره من ظلام ووجهه من نور
، يأمن عناني حسده يقيمه ويقعده
سهرت ليلا أرقده حظ الحسود كسده.

ويقول في دار أحبابه :

حيست بها الخطي وأطلقت عبرتي وما كاذلي في الصبر لو كان لذكر
إلى غير ذلك من أبياته التي وشاها بلون الطباقي ، فتجد فنا ساحرا وصنعة
رائعة وجمالا لا ينقصه شيء من الروح والحياة ، وقل أن تجد في شعره طباقا
نافرا غير مقبول ، وقد استقصيت ذلك فلم أجد فيه إلا هذه المثل التالية :

قال ابن المعتز :

وإني رأيت الدهر في كل ساعة يسير بنفسي المرء والمرء جالس
فهذا طباق سخيف وأسلوب قبيح .

وقال :

أيا من حسنه عذرت اشتياقي ويحسن سوءه حالي في هداه
فتجد طباقا لا يستوفي حظه من الجمال لتكلفه وعدم طلب المعنى له وبعبارة عن
الدوق والقبول .

ويقول :

يكون سرور في الهوى وشقاء .
وكان الأولى أن يقول ، يكون نعيم في الهوى وشقاء . .

(د) المقابلة في شعر ابن المعتز :

والمقابلة مع صعوبتها الفنية إلا على الممتازين من الشعراء نجى في شعر
ابن المعتز جملة رائعة ساحرة وبليغة نادرة ، ونحوز من القارى والسامع
الإعجاب والثناء ، وهالك مثلا لها في شعره :

قال ابن المعتز :

فأمانى المر من عمرى وورائى منه ما طابا

ويقول في إخوته :

إذا قل مالى قل مدحى وإن أثريت غالوا في امتداحى

ويقول :

أنا جيش إذا غدت وحيدا ووحيد في الجمفل الجرار
ويصح أن يكون من باب العكس .

ويقول :

مات وصال وعاش صد وذل مولى وعز عبيد

ويقول :

هو سقم حين أفقده وشفاء السقم لو أجده

ويقول :

أصدق الناس بلا أكذب الناس نعم

ويقول :

وللدهر أيام تسمى عوامدا وتحسن أن أحسن غير عوامد

ويقول :

رب أمر تقيبه جر أمرا ترجميه

خفى المخرب منه وبدا المكروه فيه
والمقصود البيت الثاني وحده :

ويقول :

قد لبنا صباحا وخلعنا ظلاما

ويقول :

صاحكا من الأسى باكيا من الفرح

ويقول :

تبادر أيام السرور فإياها سراع ، وأيام الحزن بطاء

ويقول :

ويا من مدحه كذب ويا من ذمه صدق

ويقول :

صديق وفري عدو فقري

فوجد شعرا وسجرا وصنعة وجودة وحسنا وإحسانا وجمالا وإفاننا وفنا من
الصنعة في باب المقابلة لا نجده إلا عند القليل من الشعراء حتى ليأتى بها في شعر
واحد من البيت وفي سهولة فنية لا أشعرك بتكلف ولا نحس فيها أثرا للتعامل
البغيض ، وبعض أبياته في المقابلة تتركب من ثلاث طباقات كما في قوله :

إذا ما التقيت سري منه ظاهرا فإن غاب عني ساء لي منه باطنا
ويقول :

رب عذر حذلو أبيتهم وعيتم ووفاء مر صبرتم عليه
وقل أن تأخذ على ابن المعتز شيئا في هذا الباب ، ومن ذلك قوله :

ممن ظني بأنمسا يسعد العاقل والحاسد المعنى الشقي
فالمقابلة بين العاقل والحاسد مقابلة غير تامة إلا على سبيل التسامح والمجاز .

(هـ) الجناس في شعر ابن المعتز :

وفن ابن المعتز في الجناس فن جيد غالباً ونازل ضعيف في القليل النادر من
شعره ، وابن المعتز يتصرف في شتى ألوان الجناس في قدرة وجمال صنعة .

يقول :

سقى المطيرة ذات الظل والشجر ودبر عبدون هطال من المطر

ويقول :

طار نومي وعارود القلب عيد

ويقول :

الدار أعرفها ربي وربوعا

ويقول :

سأنتى على عهد المطيرة والقصر وأدعو لها بالسكينة وبالزهر

ويقول :

بنو العم لا بل هم بنو النعم والأذى وأعوان دهرى إن تظلت من دهرى

ويقول في ربيع أحبابه :

أبلى جديد مغانيك الجديدان

ويقول :

نطقت مناطق خصره بصقائه

ويقول :

عذرتي السلافة العذراء

ويقول :

تاه علينا قتاه منا فلا نراه ولا يرانا

ويقول :

هذا الفراق وكنت أفرقه

ويقول :

قل لمن حيا فاحيا ميتا يحسب حيا

ويقول :

وقوما فامزجا راسا بروحي

وسوى ذلك ، فتجد تجنيسا مقبولا بليغا ، وصنعة مطبوعة أو كالمطبوعة ،

وفنا استدعاء المعنى وظهت فيه خلجات الشاعر وشعوره .

ولابن المعتز بعض أبيات من الجناس الممقوت الذي يظهر عليه أثر التكلف

والصنعة ويغشى فنه فيه على روح الشاعر وإحساسه بالحياة وسأذكر مثلا لذلك

الآن .

قال ابن المعتز :

المسال يفرق من كدف تفرقه

جاءت كلمة ، يفرق ، في الأسلوب طلباً للجناس
وقال : أبا حسن قراك الله حسناً
ولو قال : جزاك الله خيراً ، لكان أحسن من هذا الجناس البغيض
وقال : تعاهدتلك المهاد ياطلل
والجنين هنا لم يضعف روح الشاعر وإحساسه ولكنه شعر
بالنكاف الممقوت .

ويقول :
ومال قد سخوت به وجاء وجهه لا يخاف أذى الحجاب
ويقول :
ألم تحزن على الربع المحيل وآثار وأطلال محول
فتجد في البيتين صنعة متكلفة وتجنيساً مقصوداً لنفس التجنيس .
ويقول :

أبي آبي الهوى ألا نفيقاً

ويقول :
وصاحب سوء وجهه لي أوجه
ويقول في الأسد :

ويبطل أبطال الرجال من الذعر
ويقول في المعتضد :

له راحة ما لها راحة

ويقول فيه :
فكم فضة فضها في سرو ر يوم وكم ذهب قد ذهب
ويقول فيه :

أحمل شر برق أم براق ؟

فتجد في ذلك كله سخفا وتكلفا وصنعة متعملة وأسلوبا نازلا لا فائدة فيه
ولا معنى وراءه لأنه لا يجري وراء المعنى المقصود ولا يمثل شعور الشاعر
وعواطفه وخلجات قلبه ، وليت ابن المعتز حذفها من شعره .

(و) الاعتراض في شعر ابن المعتز :

وفن ابن المعتز في الاعتراض فن جميل موهوب ، وصنعتة فيه صنعة جيدة
مختارة لا تجد لها نظيراً عند كثير من الشعراء .

وإن شئت فقرأ قوله :

شيبتي وما يشيبني السن موم ترى ودهر مرید
أو قوله :

شجتك لهند دمنة وديار خلاء - كما شاء الفراق - قفار
أو قوله في دار أحبابه :

حبست بها لحظي وأطلقت عيني وما كان لي في الصبر - لو كان لي - عذر
أو قوله :

هل تذكرين - وأنت ذاكرة - مثنى الرسول إليكم سرا
أو قوله :

شقيت - كن ينقى - بریم أحبه على وجهه نور من الحسن يشرق
أو قوله :

أراد - لما رأى سقمي فرق له - برقي فقد زادني سقما على سقم
أو قوله في الطيف :

ولان حتى إذا مممت به نهبت عند الصباح ، لا كانا
أو قوله في إخوانه :

عمى أرجى رجوع غايهم فكيف - لا كيف لي - بأموال
أو قوله :

يا قوم - بل لا قوم لي - هبوا من الرقعات
وسوى ذلك فستجد جمالا وسحرا لا نظير لهما في شعر وصنعة الشعراء .

(ز) صور أخرى من الصنعة في شعر ابن المعتز :
ولابن المعتز صور أخرى رائحة لصنعة الشعر وفنه ، من كثافة وجزالة
إيجاز وحسن تعليل واستطراد وإيقاع وإقتباس وقدم وتقسيم وتوجيه وسوى
ذلك من ألوان الصنعة وزخارفها .

١ - يقول ابن المعتز :

وقت إلى الكوم الصفايا بمنصلي فصيرتها مجدا لقوى وأحبابا
ويقول في ضيفه :

وبات يمسى ليللة غاب شرها وقت فأعلممت الثناء وأسقيت
ويقول :

وضاع من ليلي غده طوبى لعين تجسده
ويقول :

أخذت من شبابي الأيام وتولى الصبا عليه السلام (١)
ويقول :

والنجم في مغربه وستان والصبح في مشرقه حيران
ويقول :

ونافقة في مهمه رى بها هم إذا نام الورى سرى بها
ويقول :

تصغى إلى أمر الزمام كما عطفت يد الجاني ذرى الغصن
ويقول :

قد أكل الحد تسلادى أكلا

(١) البيت سافر في تناسب التسمين كما يقول ابن حجة (٣ خزنة الأدب) .

ويقول :

ورب نارأقت الجود بوقدها في ليلة من جمادى ذات تهنان
فتجد روعة في التصوير وجمالا في التجوز واطفا في الصياغة وسحرا في الأسلوب
يبلغ حدود الاحسان والتجويد .

٢ - ويقول ابن المعتز :

والصبا بمنى . حاجة وأملا

ويقول :

وعظباء غرائر مشبعات المآزر
فيهمرك جمال التصوير وروعة في البيت الأول وحسن الكناية وعنفوتها
في البيت الثاني .

ويقول :

لا ورمان النود فوق أغصان القدود

ويقول :

لا والذي لا إله إلا هو أنت بهذا على تياه
فلا تجد أبلغ من هذا القسم الجليل ، الذي يعجبك منه هذا الهيام في الحب
والهوان أمام عزة المحبوب .

ويقول ابن المعتز في الراح :

نور وإن لم يغب ووهم اذا صح وماء لو كان ينسكب
ويقول في أقداحها :

ونحسب الماء زجاجا جرى ونحسب الأقداح ماء جد

ويقول :

فاذا طفا كيد رسا واذا رسا كيد طفا

فتجد ضورا من الصنعة رائعات ، وجمالا في الفن لا يعدله جمال .

ويقول ابن المعتز :

فما بكت عليهم السماء لما أُنِج لهم القضاء
فتجد اقتباساً جليلاً من كتاب الله الكريم : فما بكت عليهم الأرض والسماء .
ويقول :

لا تحسبوا اليوم الجديد كما مسكم أين الصباح من الظلام الغاسق ؟
فتجد تدفقاً وروعة وقوة تأثير
ويقول :

تعاونت في دمي محاسنها لكن خذوا سحر عينها بدمي
فتجد عمقاً في المعنى وجمالاً في التصوير ، خفيه كل حسن وسحر ، وما بدرى
أى عضو من أعضائه وحسن من محاسنه يحمله دمه ويطلبه بشأره ؟ ولكن عينه
هي التي تنفذ إلى أعماق القلوب وتؤثر في حبات الأفئدة وتجعل العزيز في حبيها
مها نأ ، فليطلبها الشاعر بدمه المسفوك ، وهل بعد ذلك جمال في التصوير والأداء ،
ومثله

أراقت دمي عمداً بحسن وجهه فأضحى وفي عينيه آثاره تبدو
وهو من بليغ حسن التعليل ، أرى بحمرة العين وجعل لإراقة الدم في صورة
العله ، وهو يعلم أنها مخزعة موضوعة فليس ثمة إراقة دم .
ويقول :

والورد يضحك من نواظر نرجس قد ذبت وأذن حياء بمعات
الضحك في الورد وكل زهر ونور يفتح مشهور ، ولكنه في هذا البيت جعل
الورد كأنه يعقل ويميز فهو يضحك بالنرجس لأن قضاء زمنه وإدبار دونه وظهور
آثار الفناء فيه ، وأعاد هذا الضحك من الورد فقال :

ضحك الورد في قفا المشور واسترحنا من رعدة المقرور
أراد إقبال الصيف وحر الهواء كما يوضح ذلك قوله بعده :

واستعطينا المقييل في برد ظل وشمنا الریحان بالكافور
فالرحيل الرحيل يا عسكر اللذات عن كل روضة وغدير

فهذا من شأن الورد الذي عابه ابن الرومي وفضل الترجس عليه (١) وقد جعله ابن المعتز لهذا الطرد ضاحكا ضحك من استولى وظفر، وما يشوب الضحك وفيه شيء من التمليل قول ابن المعتز أيضا :

وإذا أردت تصابيا في مجلس فالتشبب بضحك يجمع الأحباب
فلماذا الضحك زيادة معنى على قول دعبل ، ضحك المشبب برأسه فبكى ، لأنه
جعل المشبب يضحك ضحك المتعجب من تماهى الرجل ما لا يليق به ، وكذلك
قوله : « في شارق يضحك من غير عجب » ، وذلك لأن نفيه العلة إشارة إلى أنه
من جنس ما يعمل وأنه ضحك قطعاً وحقيقة (٢) . ويقول ابن المعتز :

ضعيفة أجفانه والقلب منه حجر
كأنما الحفاظ من فعله تعتذر

ويقول :

سقاني وقد سل سيف الصبا ح والليل من خوفه قد هرب
لم يقتنع بالتشبيه الظاهر والقول المرسل كما فعل في قوله :
حق بدا الصباح من نقاب كما بدا المتصل من قراب
ولكنه أراد أن يحقق دعواه أن هناك سيفاً مسلحاً ولا يجعل نفسه كأنها
لا تعلم أن هنا تشبيهاً لجعل الظلام كالعدو المنتهزم الذي سل السيف في قفاه فهو
يهرب مخافة أن يضرب به ، ومثل هذا في أن جعل الليل يخاف الصبح قوله :
سبقنا إليها الصبح وهو مقتنع كين وقلب الليل منه على حذر (٣)

(١) وذلك في قوله :

خجلت خدود الورد من تفضيله
ويقول في هذه القطعة :

فصل القضية أن هذا فائد
وهذه الأول إشارة للتجسس والثانية للورد

ولابن لسلك البصري رسالة في تفضيل الورد على الترجس (٢٠٩ : ٢ الفرج بعد الشدة)

(٢) راجع ٢٥٢ أسرار وما بعدها

(٣) راجع ٢٥٤ ما بعدها أسرار البلاغة

ويقول ابن المعتز :

قالوا اشتكت عينه فقلت لهم من كثرة القتل نالها الوصب
حرمتها من دماء من قتل والدم في النصل شاهد عجب
ويقول :

لعمرك ما أذرت بيوسف الحبة ولكنه زاد حسنا وأضعفا
فلا تعتذر عن جبهه بالتحاته فدا يحسن الدينار إلا مشغفا
ويقول :

ألا أيها الربيع الذي عطل الدهر عفاك بكائي فيك لم يعفك القطر
ويقول :

قالت كبرت وشيت قلت لها هذا غبار وقائع الدهر
أنكر أن يكون الذي نزل به شيئا ورأى الاعتصام بالجهد أخصر طريقا إلى
نقى العيب وقطع الخصومة ، ولم يسلك الطريق العامية فيثبت المشيب ، ثم يمنع العائب
أن يعيب ، يره الخطأ في عيبه ، كما فعل البحتري في قوله :

وبياض البازي أصدق حسنا إن تأملت من سواد الضراب
وقول أبي تمام :

فلا يرعك إيماض القنير به فان هذا ابتسام الرأي والأدب
ويقول ابن المعتز :

في كفه غضب إذا هزه حسبته من غصوفه يرتعد
اخترع لمزة السيف علة لجمالها رعدة تناله خوفا من الممدوح (١)
وقال :

عاقبت عيني بالدمع والسمر إذ غار قلبي عليك من بصرى
واحتملت ذاك وهي رابحة فيك وفازت بلذة النظر

العادة في دمع العين وسهرها أن يكون السبب فيه إعراض الحبيب أو اعترض الرقيب ونحو ذلك ولكن ابن المعتز ترك ذلك كله وادعى أن العلة غير القلب منها على الحبيب وإثارة أن يتفرد برؤيته، ولابن المعتز أيضا في عقوبة العين بالدمع والدمع :

قبل لأحلى العباد شكلا وقددا أجد ذا الهجر أم ليس جدا
ما بدا كانت المني حصدتني لطف نفسي أراك قد خنت ودا
ما ترى في متيم بك صب شاحص لا يرى من الذل بدا
إن زنت عينه بغيرك فاضربها بطول السهاد والدمع حدا

جعل البكاء والسهاد عقوبة على ذنب أثبت للمعين كما فعل في الأول، إلا أن صورة الذنب هنا غير صورته هناك ، فالذنب هنا نظر إلى غير الحبيب واستباحته من ذلك ما هو محرم محظور ، والذنب هناك لتطرحها إلى الحبيب نفسه ومزاحمتها القلب برؤيته، وغيره القلب من العين سبب هناك فأما هنا فالغيرة كائنة بين الحبيب وشخص آخر ، ولا شك في قصور الثاني عن الأول وأن الأول عليه فضلا كبيرا ، وذلك يجعله بعضه يغار من بعض ويجعل الخصومة في الحبيب بين عينه وقلبه ، فأما الغيرة في البيت الثاني فعلى ما يكون وما ألف أبدا ، والفتنة ، زنت ، وإن كان ما يتلوها من إحكام الصمتة يحسنها ، ووردوها في الخبر العين ترى ، يؤنس بها ، فلا تخلو من إدخال تفرقة على القلب والنفس ؛ وحول هذا المعنى يقول شاعر :

تقول وفي قولها حشمة أتبكي بعين ترائي بها
فقلت إذا استحسنيت غيركم أمرت الدموع بتأديبها (١)

إلا أن الاستاذية تمد ظاهرة في بيت ابن المعتز ، فانه لا يكون أبلغ في الذي أراد من تعظيم شأن الذنب من ذكر الحد وذلك لا يتم إلا بفتنة ، زنت ، ومن هذه الجهة يلحق الضمير كثيرا من شأنه (٢) .
وهكذا نجد جمال التعاليل وجودة الحجاج والاحتجاج ما يصعد بفن ابن المعتز وصنفته في مصاعد الجودة والاحسان .

(١) الأبيات، وجودة في الصنائع بين ومن العجب أنهما لا ينسبهما لابن الدرقم ٥٤٣ هـ كما في أزهار الرياض

(٢ : ٨٨)

(٢) راجع ٢٦٠ أسرار

٤ — ويقول ابن المعتز في البازي :

لا يتقيه هارب بفوت لاعيب فيه غير عشق الموت
فنجده تاكيدا الدح بما يشبه الدم يبلغ فيه الشاعر ما أراد من جودة
وحسن صنعة .

ويقول في صديق له :

عين أصابت وده لا رأت وجه حبيب أبدا مقبل
ويقول في المعتضد :

ما يحسن القطر أن ينهل عارضه كما تتابع أيام الفتوح له
فنجده صورتين من صور الصنعة يبلغان في البلاغة وجودة التصوير ودقة
الاداء لما يريد الشاعر أداءه من معان مبلغا كبيرا .
ويقول :

نطق الثام فن يقول ومن سبحانك اللهم يارب
حتى وحتى لست أذكرهم إلى لأكرم عنهم سي
ويقول :

وجفاء الاخوان حتى وحتى سم ماشئت من حبيب قريب
ويقول يصف بازيا : مبارك اذا رأى فقد رزق .
ويقول : سقى الله اهل الحى وابلا سفوحا وقل لاهل الحى
فنجده بلاغة في صنعة الایجاز ، وجمالا في توشيته للأسلوب
ويقول :

يا مسكة العطار وغال وجه النهار
ويقول : ورما لحظ مقلة بعد عتب
ويقول في النجوم :

ركوع رهبان دير في صلاتهم
ويقول :

وظنت تدبر الراح أبدي جاذر عناق دنانير الوجوه ملاح
فتجد جمالا في هذه الإضافات مع تعددها ومع قبح هذا التعدد في شعر كثير
من الشعراء.

٥ - ويقول ابن المعتز :

دعونا ظالمين فإ نكلنا وجشنا فافزعنا بالصفا
، صبتنا علما ظالمين سياطنا فطارت بها أبدي سراع وأرجل^(١)
، وإننا لنمطي الحق من غير حاكم ولو شئنا ملنا مع الظلم
فيمجيك هذا الأسلوب الجديد أسلوب الاحتراس للبالغة في أداء المعنى المقصود
كل الإعجاب .

ويقول :

لثيم إذا جاد اللثيم تخلفا يحب سؤال القوم شوقا إلى المنع
ويقول في النجول :

ماذا ترى في مدنف يشكوك طول سقمه
أضنيه فإ يطيق ضعفه حمل اسمه
فلا يراك عاندا إلا بعين وهمه

فتأخذك جمال هذه المبالغة بحسنها وجمال الصنعة فيها .

ويقول ابن المعتز في استطراد :

ولقد شربت مدامة كرخية مع ماجد طلق اليبين حميد
علت بماء بارد فسكأتما علت ببرد قصيدة ابن سعيد
وله في الإيقال :

(١) ذكر أنهم خربوها من غير أن تمنع شيئا مما عندها من العدو فكانوا ظالمين لهاويين. قوله
« أشيع شيء سوطه إذ تركبه » ولو لم يقل ظالمين لجاز أن يفهم أنها إنما خربت لبطائها في السير كما عاد
على أمريء النيس في قوله: « قلل سوط المحبوب وشاق هرة » « فإلو إذا أوجع هذا الكلام فليس يسرع
فقال ابن المعتز « ظالمين » تخرزا من هذا الطعن (٢٥٨ سر الفصاحة)

فأنتم بنو بقة دوننا ونحن بنو عمة المسلم
وله في الآذريون :

آذريون أنك في طبقه كالسك في ثمره وفي عبقه
قد قنع العاشقون ما صنع الهجر بألوانهم على ورقة (١)

٦ - وبعد لجميع هذه الألوان تنطق بمكانة ابن المعتز في صناعة الشعر، ومنزلته في فن البديع، وجماله بذهب الصنعة، وجماله بمنهج الترف والرواق والجمال في الأسلوب، وهو هيام أشهر به ابن المعتز عند النقاد ودفعه إلى مادفه اليه من صور الصناعة المتعددة الألوان الباهرة الحسن والاحسان المزدحمة في البيت من الشعر، والتي تشابهت جميعا في أنها كانت قريبة من الطبع قريبة من الشعور، فلم تحل بين الشاعر ورسم عواطفه والتعبير عن مشاعره ووجداناته، اللهم إلا حيث كان يتعمد الغرض في بحار الترف ويستمد من شق ألوان الملوكة وحجتها صور تشبهات أنقلها بحلي الصنعة والزخرف إنفالا شديدا واستند بها من جمال الفن الخالص

ولم يأت بعد ابن المعتز أحد يشبهه في صنعته أو يضارعه في مذهبه، والشعراء الذين أولعوا بالجمال الفنى وترف الاداء بعده مقصرون عن مداه وتازلون عن مكانته أو متأثرون به يحتذون حذوه في هذا الباب، ويحق ما قال ابن رشيق أنه قد انتهى علم البديع والصنعة اليه وختم به، فهو بحق خاتمة المصنعين والغاية الفذة التي وصلت اليها الصنعة في الشعر العربي القديم.

بعض خصائص أخرى لأسلوب ابن المعتز :

١ - وبعد فأسلوب ابن المعتز فيه روح الشاعرية الموهوبة وتظهر فيه بوضوح شخصية ابن المعتز الاجتماعية والفنية، وهو يملك عليك عقلك وقبلك لما أودعه من جمال وبلاغة وعذوبة وسلاسة وبساطة يمتاز بها ابن المعتز وهي من أهم خصائص أسلوبه في شعره

(١) بعده أسامة بن منقذ من الإطبات لأن البيت الأخير كل معناه أنه أصغر (٣٠١) باب الآداب ط (١٩٣٥)

٧ - وأظهر سمة لأسلوب ابن المعتز هي المقدرة على الخلق الفني والابتكار في الأساليب والتجديد في صور الأداء ، وظهور ملكات الشاعر بظهورها البارز القادر على الاحساس والحياة والتجويد واختراع الصور الخاصة الدعائي والاغراض التي تمثل نفسيته وحياته وخصائص فنه - الادبي وسمات مذهبه في البلاغة والبيان ، والتي تمتلئ بالروح والشعور والحياة والوضوح والموسيقى مع دقة التصوير وجودة القريحة وجدة الخيال ، فاللغة عند ابن المعتز ليست: صورا جامدة ولا أساليب تقليدية وإنما هي حياة متدفقة تنطق بها الكلمات والتعابير في بساطة وتجديد ، ولذلك كان له أساليب خاصة يتفرد بها وحده ، وقد سبق ذكر كثير منها في شتى فصولنا الماضية ، وأنت تقرأ له :

والصبا ممثلي حاجة وأملا
فتجد روحا تتحدث ، وحياة تتدفق ، وبيا تايصور أمامك حياة الشباب وآماله
ولذاته . وتقرأ له :

بحياتي يا حياقي اشرفي الكأس وهاتي
أو : نهت ندماني فهبيا طربا إلى كأمي ولي
أو : والنجم في مغربه وستان والصبح في مشرقه حيران
فتجد أسلوبا بارعا ، وسعرا نادرا ، وجمالا قويا يتدفق من صياغته ، وحياة -
تمثل في هذه الصياغة وذلك الفن ، وتقرأ له في وجنة الحبيب حين يدق فاه منها
بحب وامق

تفاحة معضوذة كانت رسول القبل
تناولت كفي بها ناحية من أملي
وله بصف الساق وقد قام ترنحه سنة الكرى :

وقام بكفيه بقايا خساره وعيناه من خديه قد جنتا وردا (١)
وله : والنجم في حلة ليل يسرى
و : لما رأى في الليل لجرا يمشي
و : وشعره من ظلام ووجهه من نور

(١) أخذ المحدث فقال :

فنام وفي أعطائه فضل سكرة وفي عينه من ورد وجنته بش

و : ياليلة سرقته من دهرى

و : ووجهه كأنما يقدح منها الشر
وتقرأ له كثيرا من أشباه ذلك فتجد صوراً جديدة وخلقا فنيا ساحرا وملسكا
بيانية طليعة قادرة على تصوير مظاهر الحياة والنمور . ويعد بعض المحدثين من
الصور الحية الدقيقة قوله ابن المعتز في موقف التوديع :

ولما استمرت من دجى الليل دولة وكاد عمود الصبح بالصبح ينجلي
فلم تر إلا عبرة إثر عبرة مرققة أو فطرة بتأمل
فهو يصور موقف التوديع كما يكون في الواقع بين الأحبة فهو نظر المتأمل
وعبرة الباكي وبين ذلك صمت لا يقطعه غير حديث العميون (١) .

٣ - وسمة أخرى في أسلوب ابن المعتز هي الوقف غالباً بالسكون على
المتون المنصوب (٢)، كقوله :

قدرت لى لحذا هذا القدر وإن ملأت العين دمعاً وسهر
وقوله : خل قلبي هكذا لانزد قلبي م
وقوله : لم أبك ربما مقفراً ولا طلل
وقوله :

وزوبعة من بنات الرياح تريك على الأرض شدا عجب

وسوى ذلك من الشواهد الكثيرة لهذا الباب في شعر ابن المعتز .

٤ - ويكثر في شعر ابن المعتز عدم استقلال كل بيت بمعناه، بل يحتاج
الأول إلى ما بعده ليتم الفرض الذي قصده الشاعر، وكثيراً ما يكون محتاجاً إليه
في تركيب الأسلوب أيضاً؛ فتراه يذكر المطيرة ويدعو لها بالمطر ويقول :

فطالما نهتقى الصبوح بهسا في غرة الفجر والمصفور لم يطر
أصوات رهبان دير في صلاتهم سود الملاحف نمارين في السحر
ويقول :

(١) ١٤٥ الطبع والعتة.

(٢) وهي لعبة شائعة في لغة ربيعة (١٣٣ : ٤ الاثنونى حاشية الصبان)

لما رأونا في خيس يلتهب
وبعد ذلك بكثير يقول :

ترسوا من القتال بالحرب
ويقول :

هل لدينا قد آفقت نحونا دهرأ فصدت وليس منا حدود
من معاد أم لا معاد لديها ؟ فاسل عنها فكل شيء يبيد
ويقول :

إن أكن قد عشت بعد أناس كان فهم للرومة ذخير
وبعد بآيات يقول :
فعل منهاجهم أنا ساع وورائي سائق مستمر
ويقول :

حاشا لشرة بل طوبى لعاشتها لو كانت الشمس تحكيها أو القمر
إذا لكان يرى في كل ما طلمت شبه لها فيقل الحسم والفكر
ويقول :

سقاني وقد سل سيف الصبا ح والليل من خوفه قد هرب
عقاراً إذا ما جلثا السقا ة ألبها الماء ناج الحبيب

فتجده في ذلك وفي كثير غيره مما تركناه اختصاراً يجعل المعنى وحده أساساً
فتباً لوحدة الآيات ، فيجعل البيت الأول متصلاً معناه بما بعده وقد يجعل الأسلوب
نفسه في صدر البيت أو وسطه مفتقراً في التركيب إلى شيء في البيت الثاني وذلك
كله ليس عيباً عند علماء الشعر . إنما المغيب تعليق قافية البيت وحدها بما بعده مما
يسميه العرضيون وتضميناً ، ومثاله في شعر ابن المعتز :

وقدت الحجر الظلاما تحسبها في ليها إذا ما
تنفس الصبح ولما يشتعل بين النجوم مثل فرق مكتمل

• - ويدخل ابن المعتز في أسلوبه أحياناً كلمة « ذا » فتجده يقول :

أنت لا تحسبن وعدك هذا كل من شاء أخلف الميعادا
ليس كل العناق صبا ولكن ذا حسام يقطع الأكبادا
ويقول في تقبيل الحبيب .

لست أرجى غير ذا ياليت ذا قد دام لي
ويقول :

ألا ما لذا الليل لا ينقضي كذا ليل كل حب طويل
ويقول في حبه للسفر :

تسعدن الأقدار جهدي وإلا لم أمت في دار الحى موت النساء
ويقول :

كن جاهلا أو فتجاهل تفر للجمل في ذا الدهر جاء عريض
ويقول :

وقالوا التصول مشيب جديد فقلت الخضاب شباب جديد
إسامة ذا باحسان ذا فان عاد هذا فهذا يعود

وهذه هي الظاهرة الفنية الواضحة في شعر المتنبي أيضا والتي آخذها عليها النقاد وربما كان مصدرها شعور الرجلين بالعظمة : عظمة ابن المعتز في مجده وحسبه وتماظم أبي الطيب في نفسه وأدبه ، مما دعاهما إلى النظر إلى الأشياء بشيء من عدم الاكتراث والمبالاة ، والتعبير عنها بما يتلاءم مع هذا المزاج النفسي والشعور الغالب على نفس الشاعرين .

٦ - والسمة الأخيرة لأسلوب ابن المعتز هي غلبة القصص على فنه وشيوع الأسلوب القصصي في شعره ، وخاصة غزله وخمرياته ، وأرجوزته في ذم الصبوح قطعة فنية يشيخ فيها أسلوب القصص الجليل ، وكذلك (ملحمة) التاريخية في المتنشد ، وكثير من قصائده ومقطوعاته فن جميل ، وقصص طريف ، ومقالات

عذبة، وحوار جيد . والسبب الأول في ذلك راجع إلى حياته الخاصة وعيشته الاجتماعية التي جعلته ينصت للجمع ويتحدث عنه، وكثرة الجوارى والقيان والغلان في بيته وبيوت أسرته التي تدفعه إلى الحديث والحوار معهم في حياته وفي وفي بيانه وشعره .

ألفاظ ابن المعتز :

١ - وألفاظ ابن المعتز تجدها في كثير من الأحيان سلسلة سهلة وجبيلة عذبة بعيدة عن التعقير والوحشية والغرابية ، وكان ابن المعتز يذم المتعمرين وينهى عليهم جهم للغريب ، ويذم أبا الصقر الوزير فيقول :

يستعمل الغريب في كلامه وغامضات النحو في كتابه
يرجز الناس إذا تكلموا مفسخا مجوها ملغصا
كأنه قحطان أو معد وداره تامة أو نجد

فينى عليه حيه للغرابية والوحشية والظهور بظهور البدوى أو المتبدى كأنه
يسكن نيدا أو تامة مع أنه حضرى مترف ومدنى غذى الرقة والسلاطة وعذوبة
الحياة والتفكير .

وهذا المذهب — مذهب السهولة والسلاسة وترك الغريب من الألفاظ —
كان سائدا في القرن الثالث في الشعر والكتابة ، وهو الذى أكثر النقاد — كالجاحظ
وسواه — من الدعوة إليه بعد عصر ابن المعتز أيضا ، حتى قال ابن الاثير : وأما
البداءة والمنتجبة فتلك أمة قد دخلت ومع أنها قد مضت وكانت في زمن العرب
العاربة قائما قد عيبت على مستعملها في ذلك الوقت فكيف الآن (١) ، ومع حب
ابن المعتز لمذهب السلاسة والسهولة في الأسلوب فقد كان أحيانا يحب إظهار ملكاته
ومقدرته اللغوية التي أفادها من أسناده : المبرد وثلعب ، فينظم بعض القصائد
يحشوها بالألفاظ العربية كما ترى في جيميته وحث الفراءى بواكر الاحداج ، وفي

(١) ٦٨ النبل السائر

بعض قصائد أخرى وأبيات مفردة في شعره .

٢ - وألفاظ عربية إلا في القليل النادر حين ذكر بعض الألفاظ الأعجمية في شعره نظراً واستعملها في التدرية وعلى سبيل الخطرة ، كما فعل الاعشى قديماً وأبو نواس حديثاً (١) ، وكان الشعراء يملحون بأن يدخلوا شيئاً في شعرهم من كلام الفرس كما فعل الهاماني والعداfer الكندي وأسود ابن أبي كريمة ويزيد بن مفرغ (٢) .

ومن ذلك قول ابن المعتز :

وما زلت قدماً فرساً فيه فقرزتنا

ويقول :

وخسده من در مزرر التلويز
كأنه فرنسية كثيرة الثونيز (٣)

ويقول :

ومقرطق يسعى إلى الندماء بعقيقة في درة بيضاء (٤)
وقوله من أبيات يلزم بها بغداد :

وحيطان كشطرنج صفوف فاستفك تعرب (شاه) مانا
ويقول :

أما ترى أريسا للهو قد جمعت جنك وعود وقانون ومزمار
ويكثر في أوصافه من ذكر الآذريون والثيلوفر والترجس وكثير من هذه
الأسماء المعربة .

٣ - وفي ألفاظ ابن المعتز بعض أسماء اصطلاحية استعارها من الفلسفة

(١) ١٠٧ : ١ المدة

(٢) واجع ٨٩ : ١١٠ : ١ البيان

(٣) التلويز : الخشو بالوزن القرنية : الرغبة اللطيف ، الثونيز : الحبة السوداء

(٤) المقرطق : لايس القرطق وهو نباء ذو طاق واحد

والكلام وثنى العلوم ، ويقول ابن رشيق : « والفلسفة وجرا الأخبار باب آخر
غير الشعر فإن وقع فيه شيء منهما فيقدر ولا يجب أن يجملاً نصب العين فيكونا
مشكاً واستراحة وإنما الشعر ما ألب وهز النفوس وحرك الطباع (١) ،
ويتهى بشر بن المعتز في وصيته في البلاغة من استعمال ألفاظ المتكلمين (٢) ،
قال الجاحظ . وقد تحسن هذه الألفاظ في مثل شعر أبي نواس وفي كل ما قاله على
جهة النظر والتلمع (٣) . ونجد لابن المعتز من ذلك كثيراً من الآيات كقوله :

خرج كثير ودخل نزر فسلم لا أعزى
فأخرج لا يتناهى والدخل لا يتجزى

وقوله في أبي الصقر يذمه في أرجوزته في المعتز :

وذكر السمود والنحوسا والجوهر المعقول والمحسوسا

ويذكر لفظ الفقيه في الغزل فيسمح وينزل عن الإحسان حين يقول :

ألا تسألون الله برء مني تحمك منه السقم في اللحم والدم
وقد سألو (٤) غير الفقيه بأمره ومن يلق ما لاق من الناس يعلم

أخطاء في ألفاظ الشاعر وأساليبه :

ومع ذلك كله فإن المعتز يقع أحياناً كثيرة في خطأ مقيت في صياغة ألفاظه
وأساليبه مما نعد لك كثيراً منه الآن .

١ — قال

ما على الناصح أن يتهى من جهلا

وقال في كلب الصيد :

وهوى إذا عرى لصيد فاضطرب عروا سكاكينهم من القرب

وهو خروج عن المألوف من قواعد النحو الأولى ، وكان الصواب . « عرى

(١) ١ : ١٠٧ المدة

(٢) ١ : ١٠٦ البيات

(٣) راجع ١ : ١٠٨ البيان

(٤) في القديان « وقد تبدوا » ولا معنى له .

وينتهي ، لولا ضرورة الوزن التي أوقعته في ذلك .

ويقول في الحسام :

وقد علون غير مكرمات متابرا ولسن عاطيات

ويقول :

مالى أرى ديباج خدك أصفرا وترجسى عينيك ذابطين

ويقول : أبى الله إلا كل ما سر أحدا .

يتنوين هذه الأسماء وهي لا تستحق التنوين لأنها ممنوعة من الصرف .

ويقول في عمه ابن المتوكل :

يعرفن المعروف طبعا ويثنى بيد الجود في عنان الثناء

والتأكيد ههنا لا يدعو إلى وجوبه أو استحسانه شئ .

وهذه كلها أخطاء ترجع إلى النحر وقواعده .

ويقول ابن المعتز :

كنت امرأ من الأنام معتزل على ستر دون دى متدل

بتشديد تون دى ، للوزن ، وتشديدها خطأ لقوى واضح .

ويقول :

أثمرت أغصان راحته لجناة الحسن عشابا

فعدى . أثمرت ، وقد أنكره صاحب الدمية (١) .

ويقول :

أين منك من حاة وبحور من بحار وصفوة من قذى؟

البحور والبحار : جمع بحر وهو الماء الكثير أو الملح فقط فالفرقة بينهما

لقويا غير معروفة ، وصفوة الشئ : ما صفا منه ، وههنا في البيت لا يريد الشئ .

الموصوف بالصفو وإنما يريد الصفو نفسه .

ويقول :

(١) راجع ٣٢١ الرحمة للشهاب الحفاجي .

لا ويوم الرقيب وقت التلاقي وارتداء اللاتين بالاعتناق
فقطع حمرة الوصل .

ويقول :

فمن قد بكى شجوه الأصدق ومن زار صاحبه الأشوق
والصواب « الأشد شوقا » ، لأن هذه المادة لا يصاغ منها أفعل التفضيل .
ويقول :

مرت بنا سحر طير فقلت لها طوباك يا ليتنا إياك طوباك
عابوا عليه قوله « طوباك » قالوا وصوابه طوبى لك ، قال الشاب الحفاجي (١) :
وفيه نظر عندي فإنه إذا استعمل لفظ في كلامهم على وجه من الوجوه ثم استعمل
على وجه آخر جار على قواعد العربية مؤد لذلك المعنى كيف يمد خطأ ، فإن
اللام هنا مقدرة والمقدر في حكم المفعول .

٣ - ويقول ابن المعتز :

وسط غاب وأيكه يتفنى فوق أغصان أيكها القمرى
فأيكها حشو غير مقبول .
ويقول في البازي :

كأنه لما غسدا والصبح لم ينبج
قائد جيش جهفل سار القبط المسح
و « جيش جهفل » من الحشو المذموم .
ويقول في الرايح :

تخرج من دنها وقد حدثت مثل هلال بدا بتقويس
وهو تشبيه رائع وإن كان قوله « بدا بتقويس » حشو لا يحتاج إليه لأن
الهلال لا يبدو إلا كذلك .
ويقول :

(١) راجع ٣٢٢ الرحابة .

ويبرز للرائين وجهها كأنه كساه أجود من قشور الخنافس
وشتان بين هذه القشور والقشور التي ذكرها في قوله الراح :
موج من الذهب المذاب تضمه كأس كقشر الدرّة البيضاء
وإن كان الأول يناسب غرض الشاعر من الذم والثاني يناسب قصده من
الوصف الجليل .

ويقول :

ولقد أصابني الزمان بيؤسه ونعيمه فنفرت ذاك لذاك
فتجد أسلوباً ركيكاً ولفظاً سخيلاً .

ويقول :

موتى كذا ألم الهوى لكن صبرى لا يكون

ويقول :

لما أتتني رسله بالرضا أنسيت مامر على رأسى

ويقول :

وحسويت بنت وزارة كالشهب حين طلوعها
فقرى عامية وابتذالا وسخفا وقبحا شديدا .

ويقول :

يا ليتنى بالكرخ دوى هكذا يا ليتنى لا تنهني لا تنهني

ويقول :

عشاء المحب طويل طويل وصبر المحب قليل قليل
فتنبهه يبعد في هذا الأسلوب عن الإحسان والجمال الذي أمتاز بهما عن
سواه من الشعراء .

هذا ومن خطأ ابن المعتز قوله في المكتنى (١) :

فلقد أصبح أعدا فك كالزورع الحصيد
ثم قد صاروا حديثاً مثل عاد في تمود

(١) ذكر هذا القدم هنا عرضاً وبالقائمة وإن كان متصلاً بالمتى أكثر من اتصاله بالأسلوب

يريد كحديث قوم عاد في قوم ثمود ، وهذا المعنى مع دفته قبيح ، لأن حديث عاد وسوء فعلهم وقبيح مصائرهم قد صار حديثاً على مر الأعصار ، فالتخصيص بأنه صار حديثاً في ثمود لا داعي له ولا قيمة لذكره وكان الأبلغ أن يقول : مثل عاد و ثمود وكان ذلك يرتفع بالأسلوب وبلاغته إلى حد كبير .

وبعد فهذه خاتمة حديثنا عن أسلوب ابن المعتز والمعاظمة وسنلتحق به الكلام على أوزانه وقوافيه .

أوزان ابن المعتز وقوافيه :

١ - نظم ابن المعتز على شتى الأوزان المألوفة عند العروضيين ، وأكثر من النظم على الأوزان الحقيقية السهلة التي تلائم الغناء والترف وموضوعات قصائده وسلس معانيه ، كجزوء الرجز ، والمدبج وجزوءه (١) ، والوافر وجزوءه ، والمنسرح وجزوء الكامل والبسيط ، والسريع ، والمتقارب ، والرملي وجزوءه كقصيدته :

منزل أقوى لسلى وربوع تعذر الانفاس فيه والندوع
ولقد كنت أراها أهلاً وكذلك الدهر يعمى ويقطع

وهو هنا يجعل العروض صحيحة في كل أبيات القصيدة ، مع أنها لا نجى في الرمل إلا بحذوقة ، فتكون قاعلان ، في عروض الرمل قاعان ، بحذف السبب الخفيف ، ولا نجى قاعلان فيه غير بحذوقة إلا لتعريب في أول القصيدة ، كما نظم على الخفيف وجزوءه كثيراً كقوله :

طال وجدى وداما وفنيت سقاما

فالقصيدة من جزوء الخفيف والضرب جزوء محبون مقصور والعروض مثله تصرعاً ، ولكن ابن المعتز يلتزم ذلك في أعراض هذه القصيدة ، وهو خروج على الصحيح من قواعد الأوزان في الشعر .

(١) وما نظمه على مشطور المدبج قوله :

خات عمدي ونظم جائز فيا حكم - الخ
ويقول صاحب : كنت أقرأ على ابن المعتز شعر ابن المعتز متعباً ، لا تفرق لا غس فإبدات قصيدة على المدبج الأول فرسم تجاوزها ، وقدرته ينظمها ولا يرضاها ما سأله عنها فقال : هذا الوزن لا يهبط عليه للمحدثين في جيد الشعر ، فنبت عدة قصائد على هذا القرب فوجدتها في نهاية النصف (مر ٧) الخفيف عن مسأوى شعر المثنى)

وقصيدة ابن المعتز :

فك حر الوجد قيد البكاء فاعذروني أولا فوق يداني

ومنها :

زمن مر قد مضى بنعم وصياح غافسل ومساء

تجدها مختلطة الوزن تتردد بين الخفيف والمديد في شئ أبياتها وقد يكون ذلك من خطأ الديوان ، ولعل ذلك تحريف من الناسخين والناشرين لديوانه ، والبيد أن المذكور أن وكل أبيات القصيدة تدبر على هذا الاضطراب ، والصواب في البيتين حذف . ولا ، وقد ، ليتلاء ما مع وزن المديد .

وهكذا نظم ابن المعتز أكثر شعره على الأوزان السهلة التي تصلح للغناء وحياة القرب التي كان يحياها الشاعر .

٣ . . . والقافية أساس الشعر العربي وعنصر من عناصره وهناك لغات لا تعرفها مطلقا كما في الشعر اللاتيني واليوناني ، ولغات أخرى تشتمل عليها وتحتل منها أيضا كعظم اللغات الأوروبية الحديثة .

وكان ابن المعتز يلتزم غالبا في شعره القوافي السهلة ، ومع ذلك نجد له الكثير من القوافي على الجيم والصاد والسين والضاد والراء والطاء والقين ، مما يصعب النظم عليها إلا على القادرين من الشعراء . ولذا كان المفضل الهذلي الشاعر المحسن صاحب الطائفة التي يقول منها :

كأن مزاحف الحيات فيه قبيل الصبح آثار السياط
والتي يقول الأحمى فيها لها أجود طائفة قائتها العرب (١) ، فإن طائفة ابن المعتز :

ألا تريان البرق ما هو صانع بدمعة صب شفه التأني والشحط
تعد من أجل القصائد المنظومة على هذه القافية الصعبة وفي شعر ابن المعتز بعض الأخطاء في القافية نذكرها فيما يلي .

قال ابن المعتز :

يحسب ظلمي وبخه سكرة وليس يدري أن ظلمي حنظلة

وهو رجز سار فيه على التزام اللام والهاء ، فقوله سكرة خطأ واضح .

ويقول ابن المعتز من قصيدة عينية له مكسورة الروى :

وان المجديدين الذين تضمننا حياتى بأحداث إلى سراع
فصراع بالضم خبر ان مع أن القافية مكسورة ، فيكون في البيت اقواء
لاختلاف حركة الروى بالكسر والضم .

ويقول ابن المعتز في المعتضد :

أفنى العداة لإمام ماله شبه ولا ترى مثله فينا ولم تره
ضار إن انقض لم تحرم مخالفه مستوفى لاتباع الحق منتبه
ما يحسن القطر أن ينزل عارضه كما تتابع أيام الفتوح له

الهاء هنا قد تحرك ما قبلها فهي صلة وما قبلها يجب أن يكون رويًا ملتزمًا ،
ولكن ابن المعتز لم يلتزمه هنا حين أتى بالراء وبالياء وباللام خطأ وظنا منه أن
القافية هي الهاء لا ما قبلها ، وهذا مخالف لقواعد علم القافية ، ووقع في مثل هذا
الخطأ أيضا فقال يصف كلاب الصيد في أرجوزة

إن خرجت من قدما لم ترها

الا وما شاء من الصيد لها

وقد وقع ابن المعتز في الاخطاء ، وهو من عيوب القافية مما لا داعي لذكر مثله

٣- وابن المعتز مجيد في القصائد وفي المقطوعات (١) ، وكان أبو تمام على

جلالته وتقدمه متفصلا في القطع عن رتبة القصائد (٢) . وابن المعتز لا يطيل
في كثير من قصائمه الا في أرجوزته في المعتضد وأرجوزته في ذم الصبوح .

وكان فوق ذلك من المجيدين في الأراجيز والمشهورين بها والمتفوقين المطالبين

(١) راجع ٦٣ : ١ المدة حيث عده ابن رشيق مع المشهورين بمجودة القطع وكان ابن الروى

مجيدا فيها (٦٤ : ١ المدة)

(٢) ١٦٣ : ١ المرجع ، ولكن أبا تمام يشهد لنفسه بالأجادة فيما
سبقت . حتى انقضت دولهم ما شئت من نعمه ومن قطعه

فيها (١)، وديوانه مملوء بالأراجيز الطوال الجيدة ، ومن أشهرها أرجوزته في الخليفة المعتضد وهي نحو ٤٢٠ بيتا ، وأرجوزته في ذم الصبوح وهي نحو ١٢٠ بيتا وهي حوار مع صاحب له يستحسن الشراب في الصباح فيذمه ابن المعتز فيه . وطرده . إلا القليل جدا من - الأراجيز . وبعد فتهه خاتمة حديثنا عن أسلوب ابن المعتز والمناظرة وأوزانه وقوافيه وينتو ذلك الفصل الخامس في الكلام على أخيلته ومعانيه .

(١) كان الشعر كله رجزا وأطاما، وقصد على عهد هاشم بن عبد مناف على يد مهمل وأمريء القيس قبل الإسلام بنحو مائة وخمسين سنة (١٦٤ : ١ : المدة ٣ : ١٤ الزاقي) - وأول من حاول الرجز وجعله كالنصيد الأغاب العجل شيئا يسيرا وكان على عهد أبي أمية المصنف بعد فتن في الأغاب والدياج والأغاب في الرجز كهمل وأمريء القيس في النصيد (١٦٤ : المدة) - والأغاب أول من أحال الرجز (٢٣٥ الشعر والشعراء)

الفصل الخامس

أخيلة ابن المعتز ومعانيه

(١)

الخيال في شعر ابن المعتز :

١ - الخيال ملسكه خصبة تقدر على تخيل الأشياء وتصوير العواطف والآراء تخيلاً وتصوراً يوضح لنا تواجدها الغامضة وبمرض علينا ما فيها من أسباب الرعدة والجمال عرضاً مؤثراً بحسبه حقيقة أو كالحقيقة المدوسة : يأخذ الشاعر الأشياء المألوفة التي يراها الناس ويحسون بها جميعاً ثم يعمل فيها خياله فيخرجها في صورة جديدة لم تكن تتوهمها ، فليس الخيال دائماً مجافاة للحقائق وبعداً عن المألوف وقدرة على الإغراب والإتيان بما لا يكون ، بل المهم أنه مرآة تنطبع فيها الصور فيعكسها وقد صفاها من كل شائبة وأخرجها لإخراجاً جديداً. والخيال غادم للحقيقة وغايته تصوير ما حجب عنا من حقائق الوجود ، وهو في حسن اختيار التفاصيل المميزة وحركة الذهن في انتقاء هذه التفاصيل وضم بعضها إلى بعض وترتيبها ، قال الشاعر يشعر بما حوله ويعتاد الملاحظة الدقيقة في الحياة المحيطة به مما يتصل بالإحساس والشعور والعاطفة والتفكير ويلاحظ ذلك جملة وتفصيلاً فتسجله ذاكرته بدقة ثم يركز ذلك في ذهنه وأعماق شعوره تركيزاً تاماً ويأخذ في القوص في أغوار الذهن على التفاصيل ودلائلها ، مستغرقاً في نشوته الروحية ، وفي تأملاته وتصوره وتخيله استغرافاً تاماً يساعده على نشر المطوى من الملاحظات وإظهارها في فن جميل وآية من سحر القريض ، وهذا الاستغراق وتلك الذنوة والغمضة بالتعبير عن النفس يفجران ينبوعاً من القوة الباطنة يلهم

الشاعر روائع الشعرية وآثارا من الفن والجمال ، فإذ الشعر الأول في العواطف الإنسانية من حب وحزن وأمل ويأس وغير ذلك مما يشعر به الشاعر ويحس به الإنسان .

وهذه العواطف هي التي يبيع الصادقة للشعر (١) ، وهي التي يعمل الخيال عمله بصورها ويسمى ليركب الصور المودعة في العقل الباطن ومشاهده ليصورها قننا شعريا يعبر عنها ويوضح ما خفي منها ، فليس الشعر صورا وأفلاظا وعبارات إنما هو عواطف الشاعر وشعوره يركبها خيال صنّاع وملكات قادرة ومقدرة فنية موهوبة في صور من الألفاظ والأساليب ، وجمال الشعر وروعته موقوفان على مدى إحساس العاطفة وقدرة الخيال على تصويرها ، فإذا كانت صور الخيال غير محكمة إحكاما شديدا أو ناشئة عن عاطفة سقيمة أو سطحية كان الأثر الأدبي متكاملا مصنوعا لاحظ له من التقدير ، وإذا كان عمل الخيال عكسا وإحساس العاطفة قويا نال حظه من الجودة والأعجاب ، والخيال إذا كان عمله وتأليفه لصور جديدة اختيرت عناصرها من بين الحقائق والمشاهدات المبعثرة المخزونة في الذاكرة وألفت تأليفا جديدا سمى خيالا مبتدعا . ونهاية هذا الحديث أن هناك صلات وثيقة بين الخيال والعاطفة فهو الذي يصورها ويبعثها بقوة مؤثرة ، وقوة الخيال مرتبطة بقوة العاطفة ، فإذا كانت صادقة قوية خلقت خيالا رائعا ، وإذا أردنا للأدب قوة وغلورا فملينا أن نغني بهذيب الشعور ليكون إدراك الشاعر للحياة صادقا عميقا وآثاره الأدبية جليلة رائعة ، وخياله الأدبي موهوبا ملمها ، فالخيال أنفع المواهب والملكات في فن الشعر لأنه المعبر عن العاطفة واللغة الطبيعية لأداء الانفعالات والعواطف الإنسانية .

٢ - والخيال في شعر ابن المعتز يفيض مشبوب يعتمد على إحساس الشاعر

(١) والقضاء من المفاد يختلفون في مادة الشعر اختلافًا كبيرا ، فالجناح يراها في الأسلوب والظم كما يدل على ذلك قوله : ولما في مطروحة في الطريق وإنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وجوده اليك فأنما الشعر صياغة وضرب من التصوير (٤٠ : ٣ الجوان) ، وعلى رأى الجناح يصر عبد القاهر في اللآلئ : أما فداحة فبري أن مادة الشعر هي النماي (١٤ تتد الشعر) والآدمي وابن خلدون يريانها في الألفاظ (١٨٣ الموازنة ٥٧٧٠ مقدمة ابن خلدون)

وشعوره بالحياة اعتقادا كبيرا ، وهو خيال واقعي يستمد من صور الوجود وألوان الحياة ومظاهرها كل ما يريد من معنى ووصف . ويعني بالمشاهدات والمحسات من الأشياء خاصة ، ذلك أن ذهن ابن المعتز كان مغشا بصور شتى لألوان الحضارة والعيش في عصره ، وكان في هيام شديد بهذه الألوان والمشاهدات ففاضت هذه الصور والألوان التي أترى بها خياله وتصوره على صفحات شعره ، فلهذا الخيال عند ابن المعتز شديد الاتصال بحسه المادي وهو قوى الحس قوى الشعور بما يحسه ويلسه من أشياء قوة اتصال الخيال بهذا الاحساس والشعور ، شديد الاعتقاد على حواسه فيما يؤلفه تخيله من الصور الشعرية ، فهو يرى الهلال لا كما يراه كل الناس قوسا صغيرا من الضوء يندد ظلام السماء ويزداد على من الليالي سعة وضوءا ولكنه يراه ويتخيله في صورة يركبها خياله ما ألفه في حياته وببشته من أشياء ومشاهدات ، يتخيله زورقا فضيا لا يطفو منه على سطح الماء إلا جزء صغير شبيه بقوس الهلال ، لأن هذا الزورق مثقل بمحولة عزير تدفع به إلى باطن الماء لولا ما يؤثر على الأجسام الطافية على سطح الماء من قوانين وتواميس ، أو يتخيله في صورة منجل فضي يحصد من زهر الدجى ترجسا كما يقول أو يمزق أحشاء الظلام كما تقول . والناس إذا استنظروا زورق ابن المعتز الفضى الذي شبه به الهلال أو أعجبوا به ، فسيلهم سبيل من يعجب بأمل أن يظفر به وإن يحصل عليه ولو أنيبح له مرآة لا تبحت به السعادة ونعمة البال ولعمري ما حدث ابن المعتز نفسه بأن يرى على صفاف دجلة يوما ما زورقا من فضة تنقله حوله عنبر إنما ذلك حديث الخيال ورغفة التصور والتصوير (١) ، وهو قد استعمل الأصباغ الحسية في وصفه وتصويره ، وأقرمتها الأصباغ التي تسكث مشاهدته لها في قصور الخلفاء والأمراء من أسرته . ويرى ابن المعتز القمر قد بدا منه نصفه فلا يشعر به كما يشعر به كل الناس ، ولكنه يشعر به شعورا خاصا . ويتخيله خياله في صورة مجرة المطر كما يقول :

في قر مسترق نصفه كأنه مجرة المطر
ويرى الحمام وحواصله فيستحضر خياله لها صورة يستمد منها ألف وشاهد
وأحس به من آلات عينه وحياته ويشبهها بصرار اللؤلؤات كما يقول : كأنها
صرار لؤلؤات : ويشاهد لؤلؤة فيتخيلها كافرورة لها غشاء من الذهب حيث يقول :

(١) راجع ٢١٠ تجديد ذكرى ابن العلاء ط ١٩٣٧

كأنها كافرة لها غشاء من ذهب
ويرى كلية الصيد وهي تمتطي وتثب على ما تريد أن تصيده فيصورها في هذه
الحالة بصورة جان :

وكلبة غدا بها فتبان أطلقهم من • يده الزمان
كأنها إذا تحطت جان والنجم في مغربه وستان
والصبح في مشرقه حيران

إلى غير ذلك من شتى صوره التي يبرزها خياله في صورة مادية تصل ألوانها
وأشكالها بشعور الشاعر وحياته وبيئته وثيق الاتصال .

وحين تتكاثر هذه الألوان المادية التي يصيغ بها الشاعر أوصافه وتردحهم في
البيت الواحد يحيل اليك أنك أمامها في معرض من الصور التي قد أخرجها وأبرزها
خيال شاعر ، وتكاد تحس بأثر الفن الخالص الذي لا أثر للاماطة والشعور فيه
لأن كثرة الألوان والاصباغ والصور غطت على شخصية الشاعر وشعوره في فنه ،
واستنفذت خياله وتركيبها والمجهود الذي بذل في صياغتها ونشرها كل نشاطه .

وبعد فإن ابن المعتز كثيرا ما كان يلون خياله بصور من التشبيه والاستعارة
ليسمو بمعانيه إلى إلهام الفن وحقائق الخيال ، ولينزع بشعره دائما نحو إجابة
التصوير والبراعة في الوصف .

(٢)

معاني الشعر في أدب ابن المعتز .

(١) ولابن المعتز مكانة ظاهرة في معاني الشعر تعادل مكانته في باب
الاساليب .

نحن نعلم مكانة امرئ القيس في معاني الشعر فقد اخترع كثيراً منها بما ذكر
ابن رشيق بعضاً منه في باب المقتزع ، وبذلك فضل لأن الذي في شعره من دقيق

المعاني وبديع الوصف ولطيف التشبيه وبديع الحركة فوق ما استعار سائر الشعراء في الجاهلية والإسلام. ولولا لطيف المعاني واجتهاد امرء القيس فيها وإقباله عليها لما تقدم على غيره وإمكان كسائر شعراء أهل زمانه ، ألا ترى أن العلماء بالشعر إنما احتجوا في تقديمه بأن قالوا هو أول من شبه الخيل بالعصى وذكر الوحش والطير وأول من قال قيد الأرابد الخ فهل هذا التقديم إلا لأجل معانيه (١) . ولشعراء الإسلاميين كثير من المعاني التي ابتكروها ، وفي أشعار طبقة جرير والفرزدق وأصحابهما من النوليات والإبداعات المعجبية التي لا يقع مثلاً للقديما إلا في الندرة القليلة ، ثم أتى بشار وأصحابه فزادوا معاني ما مرت قط بخاطر جاهل ولا مخضرم ولا إسلامي ، (٢) ، وكان بشار يمتدئ إلى حقائق في الوصف لا يبلغها تمييز الميصر (٣) ، وسئل : بم فقت أهل حمرك وسبقت أبناء حمرك في حسن معاني الشعر وتذيب الفاظه ؟ فقال : لأنني لم أقبل كل ما تورده على قريبتي ويناجيني به طبعي ويبعثه فكركي ونظرت إلى مغارس الفطن ومعدن الحقائق ولطائف التشبيهات فمرت البها بفكر جيد وغريزة قوية فأحسنت سيرها وانتقيت حرها وكشفت عن حقائقها (٤) .

ومعاني أبي نواس واخترعاته كثيرة (*) ويقولون :

كانت المعاني مدفونة فأثارها أبو نواس (٦) ، ويجعله أبو عبيدة في المحدثين مثل امرئ القيس في المتقدمين لأنه فتح لهم هذه الفطن ودلهم على المعاني (٧) . وأكثر المولدين اختراعاً وتوليداً أبو تمام وابن الرومي (٨) ، فأبو تمام أكثر

(١) ١٨٠ الموازنة

(٢) ٢٢٦ : ٢ العدد

(٣) ١٦١ : ١ البيات

(٤) ٢٣٧ : ٢ العدد ، ١٥٠ : ١ زهر

(٥) ٢٣١ : ٢ العدد

(٦) ٦٤ أخبار أبي نواس لابن منظور

(٧) ٢٠٩ : ٧ مهذب الأغانى

(٨) ٢٣٥ : ١ و ٢٣١ : ٢ العدد

الشعراء المتأخرين ابتداعا المعاني (١) ، بل هو رب المعاني (٢) ، وكان شغوفاً بشعر مسلم وأبي نواس (٣) ، وله استخراجات لطيفة ومعاني طريفة (٤) ، ولا يدفع عن لطيف المعاني ودقيقها والابداع والإغراب فيها والاستنباط لها (٥) ، وكان كثير الاخذ من ذلك الجن (٦) وقد شهد له بكل معنى مبتكر لم يمش فيه على أثره ، وأراد المتنبي أن يسلك مسلكه فقصرته عنه خطاه (٧) ، وكان ابن الرومي ضئيلاً بالمعاني حريصاً عليها كثير التوليد (٨) لها ، وكان أكثر الشعراء اختراعاً (٩) ، وكان ممن يؤثرون المعنى على اللفظ فيعطون صحته ولا يبالون حيث وقعوا من هجنة اللفظ (١٠) ، وهو أولى الناس باسم شاعر لكثرة اختراعه وحسن افتقانه (١١) وكان من عتاق معاني الشعر والمجودين في القصير والطويل وكان أقل أدواته الشعر (١٢) ، وكان أدبه أكثر من عقله وكان يتعاطى علم الفلسفة (١٣)

(ب) وقد ورث ابن المعتز هذه الثروة الشعرية في المعاني وحفظ الكثير منها وأخذها في شعره كما ابتكر معاني كثيرة وولد توليدات عجيبة تزدحم بحذقه وفطنته ونقوب ذهنه وترفع من منزلته بين المحدثين من الشعراء ، ومعانيه تتصل بنفسه وحسه وحياته وكثيراً ما يكون فيها دقيق الفكرة بعيد المنزع عمك التصوير مجدداً حيناً ومقلداً محتذاً أحياناً أخرى

(١) ١٢٥ للثلث السائر

(٢) ٦ الأبيات لمسيدي

(٣) ١٢٤ طبقات ابن المعتز ، ٣٢ رسائل ابن المعتز ، ١٠٦ إمعان القرآن

(٤) ٩٦ أخبار أبي تمام لقصود ، ١٢ رسائل ابن المعتز

(٥) ١٨٠ موازنة

(٦) ٥٦ : ١ و ٣١٦ : ٢ ديوان المعاني

(٧) ٣٠٢ للثلث السائر

(٨) ١٨٠ واجع ٣٢٦ : ٢ العدد

(٩) ٢٣٢ : ٢ العدد

(١٠) ١٠٦ : ١ العدد

(١١) ٢٥٥ : ١ العدد

(١٢) ٢١٤ : ٤ المصوحى

(١٣) ١٦١ رسالة القرآن

(ح) وهو حين يأخذ معاني الشعراء قبله يأخذها غالباً بحذق واطف وصفاً طبع وندوبة لفظ وسلاسة أسلوب ، مع استكمال شروط الأخذ إذا لحظ المعنى البديع ، واستيفاء حدود الاحتذاء إذا نقله إلى صورة أخرى وكساء لفظاً غير اللفظ الذي كان فيه ، مع غوصه الدقيق في سبيل تشديد ما يستصفي ماؤه ورويقه. وقد مضى حكم النقاد بأن الشعراء إذا تصاوروا معنى ولفظاً أرب يجعل السبق لأقدمهما وأولهما موتاً وينسب الاحتذاء إلى المتأخر (١) ، ولا يعلم في الأرض شاعر متقدم في تشبيه مصيب أوفى معنى غريب عجيب أو في ومعنى شريف كريم ، أو في بديع مخترع ، إلا وكل من جاء من الشعراء من بعده إن هو لم يقدر على لمظهه فيأخذ به فإنه لا بدع أن يستعين بالمعنى ويجعل نفسه شريكاً فيه (٢) فليس لأحد من أصناف القائلين غنى عن تبادل المعاني من تقدمهم والصب على قوالب من سبقهم على أن المعاني مشتركة بين العقلاء وإنما تتفاضل الناس في الألفاظ وتألّفها (٣) ، والمخترع معروف له فضله غير أن المتبع إذا تناول معنى فأجاده فهو أولى به فأما أن ساوى المتبدع قبله فضيلة حسن الاقتداء لا غيرها فإن قصر كان ذلك دليلاً على سوء طبعه وضعف قدرته (٤) ، ويقول أبو العناهيّة :

إن خير الكلام ما يستعير الناس منه ولم يكن مستعاراً

ويجعل اليجترى الاحتذاء في الأسلوب سرقة وأخذاً وإن اختلف المعنى (٥) والسرقة إنما تقع في البديع النادر والخارج عن العادة (٦) والذي ليس للناس فيه اشتراك (٧) وقد تشترك الجماعة في الشيء المتداول. وينفرد أحدهم بلفظة تستعذب أو ترتيب يستحسن أو تأكيد يوضع موضعه أو زيادة اهتدى لها دون

(١) ١٠٠ أخبار أبي تمام قصوى ، وراجع في ذلك ٢٧٦ : ٢ العدد

(٢) ٩٦ : الحيوات *

(٣) ١٨٩ صناعات.

(٤) ٢٧٤ : ٢ العدد *

(٥) راجع ٩٦ : ٣ زهر .

(٦) ١٤ مراعاة الذهب لابن رشيق .

(٧) ٢٣ موازنة

غيره فيربك المشترك المبني في صورة المخترع (١) ، فالمشترك العام قد يصير خاصيا إذا غيرت صورته وهذبت طريقته (٢) ، ولا يعذر الشاعر في سرقة حتى يزيد في إضافة المعنى أو يأتي بأجزء من الكلام الأول أو يستنج له بذلك معنى يفصح به ما تقصده ولا يفصح به (٣) ، على أن كثيرا من أعلم بالشعر لم يكونوا يرون سرقات المعاني من كبير مساوي الشعراء وخاصة المتأخرين إذ كان هذا بابا ما تعرى منه متقدم ولا متأخر (٤) .

وستحاول استقصاء معاني ابن المعتز التي وجدته قد أخذها من الشعراء قبله أو احتذاهم وتأثر بهم فيها رغم ما في ذلك من مشقة الدراسة وعنت البحث وإجهاد الفكر والتفكير والنقد وكثرة الاستقصاء لأشعار ابن المعتز وأشعار القدماء ، فقد كان ابن المعتز كثيرا ما يأخذ من الناس ويستعين فيحسن ، وكثيرا ما يتسكى على نفسه (٥) ، وقد مضى كثير من هذه المعاني التي أخذها من الشعراء وسأكتفي الآن بذكر بعض معاني ابن المعتز التي احتذى فيها الشعراء .

١ - قال امرؤ القيس يصف كثرة شعر محبوبته : تضل العقاص في مثنى ومرسل .

وقال ابن أبي ربيعة ،

مثل الأساود قد أعيا مواشله تضل فيه مدارجها وتنكسر

فقال ابن المعتز في وصف الشعر وطوله :

دعت خلاخيلها ذوائها لجئن من قرنما إلى القدم

ومن المبالغة المشهورة قول امرئ القيس ،

من القاصرات العارف لو دب محول من الذر فوق الإنب منها لأثرا

أخذه حسان فقال :

(١) ١٥٠ وساطة .

(٢) ٢٩٥ أسرار البلاغة .

(٣) ٢٤ وسائل ابن المعتز .

(٤) ١٣١ اللوازية .

(٥) ١١٣ الأوراق قسم أشعار أولاد الخفاء .

لو يذب الحولى من ولد الذر عليها لأنديتها السكوم
وتناول ابن المعتز هذا المعنى فقال :
رق فلو مرت به ذرة في رجائها فعل من الورد
لمزقت ديباجتي خده من غير أن جازت على الحد
فبالغ أشد مبالغة وتجاوز الحد في المعنى .
وقال امرؤ القيس يصف بقايا أطلال أحبابه :
كما خط عبرانية بيميته بتياله حبر ثم عرض أسطرا
أخذه ابن المعتز فقال يصف ظمائن أحبابه :
بدت في بياض الآل واليعر دونها كآسطار رق أمراض الخطر كانه
فأوضح العبارة وأبرز المعنى ، وقول امرؤ القيس عرض أسطرا ، ليس
من العرض خلاف الطول ولا العرض الذي هو الناحية ولكنه من التعريض
كأنه أدق السطور فصار كأنه معرض مخف لم يظهر ولم يصرح .
وقال امرؤ القيس :
فقمتم بها أمشي تهر ورائنا على إثرنا أذيال مرط مرسل
فيه تكلف لأنه قال « ورائنا على إثرنا » ولو قال على إثرنا لكان كافيا
— فضلا عما في الإضافة المتتالية لضمير واحد هنا من البهت — فلذلك لئلا
يهر ورائنا الماشي فلا فائدة لقوله « ورائنا » ، وتقدير الكلام « فقمتم أمشي بها »
وهذا أيضا ضرب من التكلف ، وقوله « أذيال مرط » كان سيئله أن يقول
« ذيل مرط » ، وقد روى « على أثرنا ذيل مرط » ، وقد قال ابن المعتز ما هو
أحسن من بيت امرؤ القيس ، وهو قوله :
فبت أفرش خدي في الطريق له ذلا وأصحاب أذيال على الأثر
٢ — وقال قيس بن الخطيم ،
وقد لاح في الصبح الأثر كما ترى كعنفود ملاحية حين نورا (١)

(١) الملاح : عنب طويل أبيض . نور الزرع : أدرك ، ونور النور : جنى فيه النسوى .
وقى الياقة (س ٨٠) البيت : منسوب لأبي قيس بن أبي الاسود .

فقال ابن المعتز :

كأن الثريا في أواخر ليلها تفتح نور أو لجام مفضض
فرق كبير بين تشبيه الثريا بمنقود ملاحية حين نور وتشبيهه بفتح النور على
الاطلاق من غير تفصيل ، ولذلك قصر ابن المعتز في بيته تقصيرا كثيرا عن
قيس ، ومثل البيت أيضا في المعنى ويشبه في التفسير قوله :
وقد لاحت لسارح الثريا كأن نجومها نور الاقاحي
ولسويد بن أبي كاهل :

مغرب اللون إذا الليل انقشع

يعنى الصبح وإنما شبه بالمغرب من الخيل وهو الذي تتسع غرته حتى تجاوز
عينيه ، ولذلك قال ابن المعتز :

والصبح قد أسفر أو لم يسفر حتى بدا في ثوبه المصفر
كأنه غرة مهر أشقر

والخيل السعدى يصف دارا مقفرة :

وكأنما أثر النعام بجورها بدافع الزكئين ودع جراد
أخذه ابن المعتز فقال في وصف دار :

كأن آثار وحشى الظباء بها ودع تخلفه أظلافها سبق
ولعقمة بن عبدة :

كأن لإبريقهم ظبي على شرف مقدم يسبا الحصكتان مشوم
أراد يسبا تب أى حبال الخذف ، ولا بن المعتز :

وكان لإبريق المدامة بيننا ظبي على شرف أناف مدفا
وله :

كأن أباريق اللجين لديهم ظباء بأعلى الرقتين قيام
وللفند الزماني :

فلسا صرح الشر فأسمى وهو عريان

ولم يبق سوى العبدوا ن دناهم كما دانوا
فقال ابن المعتز :
جسدينا الامسويين ودناهم كما دانوا
والأسود بن يعفر :
جرت الرياح على مقر ديارهم فسكانهم كانوا على ميعاد
ولابن المعتز يصف روضة :
تبدو إذا جاء السحاب بقطره فسكانها كانوا على ميعاد
وللأأمون الحارثي يخاطب قلب حبيبته :
أحديد أنت أم حجر ؟
أخذه ابن المعتز فقال :
حديقة أجفانه والقلب منه حجر
كأنما الحائط من فمه تعتذر
٣ - وقال الفرزدق وهو أبو عذرة هذا المعنى .
وركب كأن الريح تطلب عندهم لها ترة من جذبها بالعصائب
ألم به ابن المعتز وأجاد إجادة منقطعة النظير وزاد عليه زيادة جميلة فقال .
والريح تجذب أطراف الرداء كما أفضى الشقيق إلى تنبيه وسنان
وأخذه الشريف الرضي :
وأمسك الريح كالغصيرى تجاذبنا على الكشيبة فضول الریط واللمم
وقال ابن زيدون متأثراً بابن المعتز :
وللنسيم اعتلال في أصائله كأنه رق لي فاعتل إشفاقا
وقال عدي بن الرقاع يصف ولد الظبي :
ترجى أغن كأن إبرة روة قلم أصاب من الدواة مدادها
وقد حسده جرير على هذا التثنية (١) ، والبيت من داليته المشهورة وأنشدتها

(١) ١٣٢ أسرار البلاغة ، ٩٤ : ٢ السكامل للبريد .

الاصمعي للرشيدي في مجلس سمرة فأعجب بها إعجاباً شديداً (١) ، وقال ابن المعتز متبعاً له في ذلك ووصف غزلانا :

فقد أطلعت إبر القرون كأنها أخذ المراود من سحيق الإثمد
وقال الطرماح :

أحمد زادني حيا لنفسي أغنى بغرض إلى كل امرئ غير طائل
فقال مروان بن أبي حفصة :

ماضني حسد الشام ولم يزل ذو الفضل يحسده ذو النقصير
وقال أبو تمام :

لقد آسف الأعداء فضل ابن يوسف وذو النقص في الدنيا بذى الفضل ولع
وقال ابن المعتز :

ما عابني إلا الحسود وتلك من إحدى المناقب
وقال المتنبي :

وإذا أتتك مذمتي من ناص فبى الشهادة لي بأني كامل
أني أبو الطيب في المعنى بلفظ مخالف للفظ مروان وأني أبو تمام به في جزء
من لفظ مروان ونعمه باللفظ من عنده وأني به ابن المعتز في لفظ غير إقليدس مع الاختصار وحسن السبك .

٤ - وقال بعض العباسيين المتقدمين :

دعوا الأسد تسكنس أغياها ولا تضربوها وأشباهها
فقال ابن المعتز من قصيدته في مناقضة ابن طيحايا العلوي :

دعوا الأسد تسكنس غاياتها ولا تدخلوا بين أنيائها

ولكنه أخذها ساجاً ورده عاجاً وغل قطيفة ورد ديباجاً كما يقول البغدادي (٢)

(١) راجع هذه الزاوية الأدبية بعاولها في العقد الفريد (٤٠٣ - ٤٠٦ : ٣) ، وفي ٩٦ - ١٠٠ : ٢ أمالي الرافعي .

(٢) ٢٥٣ : ١ الخزانة للبغدادي ندر على الدين عبد الحميد

وقال ابن المعتز :

ورأيا كرامة الصنائع أرى به سرا ترغيبا الدهر من حيث ما سعى
أخذه من قول المنصور لابنه المهدي : لا تهرم أمرا حتى تفكر فيه فان فكر
العافل مرآته يرى به قبجه وحسنه ؛ ولما دفن المنصور وقف الربيع على قبره وقال
من كلمة له : وكنت ترى باطن الأمر بمرآة من الرأى كما ترى ظاهره .

ويقولون (١) :

الفكر مرآة تريك حسنك من قبيحك (٢)

وقال عبد الملك بن صالح الرشيد لما سأله عن ايل منيع ، سحر كله ؛ وفي البيان
والتيبين . سئل رجل كيف اينكم ؟ فقال ، سحر كله ، وهل أبو تمام :
أيا منّا مصقولة أطرافها بك والليالي كلها أسجار
أخذه ابن المعتز فقال :

يارب ليل سحر كله مفتضح البدر عليل الذم
وغضب ابن المعتز على بعض وكلائه فاستشفع الوكيل بالمبرد فكتب اليه :
أنت والله كما كتب مسلم في جدك الرشيد :
يفدو عدوك خائفاً فاذا رأى أن قد قدرت على العقاب رجحا
وهو معنى كثير ...

وقال أعرابي :

وكالسيف إن لا يفته لأن منته وحده إن خاشته خشتان

(١) ٢٣٧ : السكابل للبزد .

(٢) ولان العز من نثره الأدي :

ولا يصد الله إلا بوفق منه يتفنى جدا ، وقد أخذ من قول محمود اوراق :

إذا كان شكرى نعمة الله نعمة عن له في منلها يجب الشكر

فكيف يلوغ الشكر إلا بفضل وإن طالت الايام واتصل العمر

وأخذه الوراق من قول أبي البناعة :

أحمد الله فهو الهى الحمد على الحمد والزيد المزيد

(٣١)

وهذا يناسب قول ابن المعتز في بعض جهاته :

ويخرج أحشائي بعين مريضة كما لامن السيف والحد قاطع
وقال أعرابي :

ألا يا شفاء الناس إيس عالم بك الناس حتى يعملوا ليلة القدر
سوى رجمهم بالظن والظن كاذب مرارا، وفيهم من يصيب ولا يدري
وأخذهم العباس بن الأحنف :

قد جرد الناس أذيال الظنون بنا فرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رمى بالظن غيركم وصادق إيس يدري أنه صدقا
وقال ابن المعتز :

لما رأيت الدمع يفضحني وقضت عليه شراهد الصب
ألقيت غيرك في ظنونهم فسترت وجه الحب بالحلب
وقال علي بن جبلة :

وأرى الآيالي ما طوت من قوتي زادته في عظمي وفي أفهامي
أخذ ابن المعتز فقال :

وما ينتقص من شباب الرجال يزد في نهاها وفي ألباسها
وقلبه أبو الطيب :

ليت الحوادث باعني الذي أخذت مني بحلى الذي أعطت وتجري
وقال ابن أبي فتن وهو شاعر عاش في عصر المتوكل ومدح وزيره الفتح
ابن خافان :

وحياة هجر غير معتمد إلا رجاء الخنث في الخلف

ما أنت أحسن من رأي ولا كافي بحبك منتهى كافي

أراد أنها أحسن من رأى وأن كلفه بها فوق كل كلف فأقدم بحياة هجرها
وتوسخ الخلف في الجواب ليظهر أنه لا يريد الهجر وأنه يتمنى أن ينتهي الصدود
إلى غير رجعة .

وقد أشار ابن المعتز إلى هذا المعنى بقوله :

وحياة عاذلي لقد صارته وكذبت ، بل واصلته وحياته

وقال الواثق بالله الخليفة العباسي :

لم تكن عينه لتجسس قتي ودي شـاهد على وجنتيه
أخذه ابن المعتز فقال :

قالوا اشتكت عينه فقتل لهم من كثرة القتل نالها الوصب
حزنتها من دماء من قتل والدم في النصل شاهد بحب
هـ - وقال بشار :

من راقب الناس لم يظفر بحاجته وفاز بالطيبات الفانك الراج
أخذه مسلم فقال :

من راقب الناس مات هما وفاز بالأسنة الجسور
وابن المعتز فقال :

وتقدم ولا تقف فاز في الحب من جسر

فأني بالمني في أبدع لمظ وأخضر عبارة .

وقال أبو نواس :

مال في الناس كلهم مثل مائي نحر ونقلى القبل

أخذه ابن المعتز فقال :

فأطربنا من المدام كؤوسا وجعلنا التقبيل نعل الشراب
فأطال الفخصر وقصر عنه ...

وقال مسلم :

قبت أسر البدر طورا حديثها وطورا أناجي البدر أحسبها البدر
وقال البخري :

وباتت ترى البدر والبدر طالع وقامت مقدم البدر لما تغيبا
فقال ابن المعتز :

بانت يربها هلال الدجى حتى إذا غاب أرتفيه

وقال المنفي :

واسقبت قر الدماء بوجهها فأرتى القمرين في وقت معا

وقال مسلم :

يكسو السيوف دماء الناكثين به . ويجعل الهام تيجان القنا الذيل
أخذه ابن المعتز ونقل جميع معنى البيت وبعض ألفاظه فقال :
ويجعل همامات أعدائه فلانس يلبسهم الرماح
لجعل الفلانس مكان التيجان ، ويلبس مكان يكسو ، وقصر عن صريح لانه
أسقط المعنى بتركه ذكر السيوف والدماء ، والذي ابتكر هذا جرير في قوله :
كأن رؤوس القوم فوق رماحنا غداة الوعى تيجان كسرى وقبصرا
ولابن المعتز أيضا :
ألا رب يوم قد كسوكم عماما من الضرب في الهامات حر الذوات
فاستوفى المعنى وأجاد الأخذ والسبك ، وللصري في هذا :
وكست مفرق عمامة ضرب أرجوانية الذوات تندى
٦ - وقال أبو تمام :
وقفت وأحشائي منازل الأسى به وهو قفر قد تعفت منازل
فقال البحتري : عفت الديار وما عفت أحشائه .
وقال ابن المعتز :
بؤسا لدهر غيرتك صروفه لم ينج من قاي الهوى وبحاك
وقال المتنبي :
لك يا منازل في القلوب منازل أفقرت أنت ومن منك أوامل
وبيت المتنبي أرجح من بيت الطائي لانه ذكر منازل الحزن غصص والمتنبي
ذكر المنازل فعم ، وقد أحسن ابن المعتز في شطره الأخير جمع المعنى وحسن
سبك اللفظ .. وقال أبو تمام يصف الكأس :
أو درة بيضاء بكر أطبقت حبلا على ياقوتة حمراء
فقال ابن المعتز في زامرة بيضاء في فيها ناي من الأبنوس :
كأنيما تنهم طفلا لها زنت به من ولد الزنج

لجاء ذكر الزنا أقيح شئ. ، وقال الصابي في غالية في قدح بلور :
كأنتا فيه وقد حازها رومية حبلى برنجية
خبيب أجودهم لفظا مع سبقه وابن المعتز أزدلم لفظا ومزج الصابي بين
الاجادة والتقصير . وقال أبو تمام في المدح بثبات الجنان في الحرب :
أنتى ابتسامك والألوان كاسفة تبسم الصبح في داج من الظلم
أخذه ابن المعتز فقال :
لما تفرى أفق الضياء مثل ابتسام الشفة اللامياء
جعل الشفة بازاء الليل واللى بازاء الصبح ... وقال البحتري :
قد طلبنا قلم نجد لك في السؤ در والمحد والمسكرام مثلا
ولابن المعتز :
جل امرق منفردا وجلا في زمن لم تر فيه مثلا
وقال المتنبي :
وما عزه فيها مراد أراده وإن عز الا أن يكون له مثل
وقال البحتري في الليل : لم تكبد أو اخر من بعد قطربه تلحق ، أخذه ابن المعتز
فقال في ليلة :
بعيدة ما بين البياضين لم يكبد يصدق فيها صبحها حين بشرا
وحول هذا المعنى ووصف طول الليل يقول ابن المعتز أيضا :
كأن نجوم الليل في حجراته دراهم زيف لم يجرن على النقد
وهو معنى رائع وتشبيه جميل ، يريد أن نجومه واقفة لا تسير فكأنها دراهم
ذائقة فليست تنقد ..
وبعد فهذا وما سبق في شتى أبواب هذه الدراسة يصور لنا كيف كان ابن المعتز
يصوغ معانيه ، وكيف كان يجهز أحيانا سابقا وإماما ، وأحيانا في وسط الميدان ،
وأحيانا متخلفا وانيا ، ويكفيينا ذلك في هذا المقام فففيه كفاية .
(د) وابن المعتز فوق ذلك له كثير من المعاني المبتدعة التي ابتكرها وسلم

الشعراء له بها واحتذوه فيها وهي مشوثة في ديوانه وفي تشبيهاته على الخصوص ،
وقد سبق ذكر كثير منها في باب التشبيه : ونحن الآن نلم ببعض قليل منها حسبما
يتسع له المقام .

١ - روى ابن رشيق له البيت :

وتحت زنا نير شددن عقودها زنا نير أعكان معاقدها السرر
في باب المعاني المحدثه وقال : إنه تشبيه لم يسبق إليه (١) . وقال العسكري :
ومن الفرد الذي لا شبيه له قول ابن المعتز :

ومحجل غر العين كأنه متبختر بمنى بكم مسيل (٢)

ويقول : ومن غريب ما قيل في الهلال وعجيبه قول ابن المعتز :

إذا الهلال فارقه ليلته بدا لمن يبصره وينعته
كهامة الاسود شابت هامته

قد سبق إلى هذا المعنى ولم يأخذه عن أحد أعرافه (٣)

وقال ابن المعتز في رثاء عبيد الله بن سليمان الوزير :

هذا أبو القاسم في نعشه قوموا انظروا كيف تزول الجبال

وهو أول من نطق بهذا المعنى (٤) كما يقولون ، وفي رأي أنه مأخوذ من قولهم
في المدح ، هو كالجيل الراسخ وكالطود الشامخ ، ثم قبل في الرثاء : زال الطود
ورضى يسير على كواهل الرجال ، وما شابه ذلك ، ويقول عدى بن الرقاع :

أبت لكم مواطن طيبات وأحلام لكم تزن الجبالا
وقال الفرزدق :

أحلامنا تزن الجبال وزانة ونخالنا جنا إذا ما نجمل

(١) ٢٣١ : ٢ المدة

(٢) ١١٢ : ٢ ديوان المعاني

(٣) ٣٤٠ : ١ ديوان المعاني

(٤) ١٦٦ : ١ سطر اللام

وقال أيضا :

أنا لنوزن بالجبال حلوننا ويريد جامعا على الجبال
وقال آخر :

وعظيم الحلم لو وازنته بثير أو برضوى لرجع
وقد احتذى ابن الرومي قول ابن المعتز كما يقولون فقال :
من لم يعاين سر نكش محمد لم يدرك كيف تدير الأجبال
وقال المتنبي :

ما كنت أمل قبل نكدك أن أرى رضوى على أبدى الرجال تدير
وقال الشريف الرضي في رثائه الصاحب :

أكدنا المانون تنظر الأبطال وكذا الزمان يضعضع الأجيالا
٢ - ومن جيد معانيه قوله في الحية :

كأنها حين تسدو من مكائنها غصن تفتح فيه النور والورق
وهو تشبيه لم يسبق إليه فيما علم .

ومن جديد معانيه المبتكر تشبيهه الهلال بزورق من فضة أنقائه حمولة عثبر كما
يقول ، وتأتيه إياه بمنجل من فضة يحصد من زهر الدجى ترجسا ، وسوى ذلك
من جديد تشبيهاته وجيد أوصافه التي يضيق المقام عن تعدادها . ومن جديد
معانيه قوله :

باليالى بالمطيرة والكرخ ودير السوسى بالله عودى
كنت عدى أنودجك من الجنة لكائنها بغير غلود
وقوله في دارهذه :

لو سلمنا وسط جنة عدن لا فترحنك علينا اقتراحا
وبشبهه قول شوقي :

وطى لو شغلنا بالخلد عنه نازعتنى إليه فى الخلد نفسى
وهذا البيت يستبد بشرف المعنى وجمال اللفظ وسحر الأسلوب والتصوير
وبلاغة الاعجاز .

ومن جيد معانيه في الراح قوله :
نور وإن لم يغب ورمم إذا صح وماء لو كان ينسكب
وهو في هذا التوسيم الساخر مجدد مجيد :
ضحك المشرقات في يوم عيد إذ رأوا جمعاً يبحث العنانا
فمن لما رأيته حالكا أسود جعداً يناسب السودان
ليت هذا أنا فذمعل من جلده في وجوهنا خيلانا
ويبدع كل الابداع في قوله في نائته :
وقيدها بالنصل غرق كأنه إذا جد لولاً ماجنى السيف مازح
كما يبدع في قوله في ليلة مظلمة :
يقيد اللحظ فيها عن مسالك كأنها ليست أنواب رهبان
وليس لهذا البيت نظير في الجودة والاحسان وهو قوله في وصف الفرس :
بحر شر يشاغب الصخر قرعا يصخور ويبيض الثرب أبداً
ووصف الرسول العظيم صلوات الله عليه قرساً بالبحر ، ومن هنا استمد ابن
المعتر وصفه الجليل في بيته السابق . ويصف صديقاً له فيقول :
كأه طريق الحج في كل منهل يذم على ما كان منه ويشرب
وفي طول الليل يقول :
والنجم في مغربه وسنان والصبح في مشرقه حيران
فتجد صورة جديدة رسمها الشاعر براءة الخاذق الصانع . ويقول يصف بجيلاً
وهو من معانيه الغريبة :
يا بجيلاً ليس يدرى ما الكرم حرم اللؤم على فيه نعم
حدثوني عنه في العيد بما سرق من لفظه حين حكم
قال : لا قرئت إلا بدنا ذلك خير من أضاحى الغنم
فاستخار الله في كبريته ثم ضحى بقفساء واحتجم (١)
إلى غير ذلك من جيد معانيه وجديدها المبتكر .
(هـ) وإذا كان ابن المعتز قد اقتبس من معاني الشعراء الذين تقدموا أو عاصروه

(١) ويجب الشباب الخفاص بهذه الأيات ومعناها إعجاباً كثيراً (٣٢٠ ربحانة الألبا)

وأخذ عنهم بعض معاني شعره ، فإن الذمراء الذين أتوا بعده قد احتذوه وتأثروا به إلى حد كبير :

١ - فأبو الطيب المتنبي كان كثير الأخذ من ابن المعتز على تركه الأقرار بالنظر في شعر المحدثين (١) ، وكان يمجّد فضل من تقدمه من الذمراء ويتكرّح إلى أسامهم ويزعم أنه لا يعرف الطائيين وهو على ديوانهما بغير ولم يسمع ابن الرومي وهو من بعض أشعاره يمر ، ويسبهم ونظراهم إذا قيل : في شعرهم إبداع (٢) ، ونحن نذكر بعض ما أخذه أبو الطيب من ابن المعتز من معاني :

قال ابن المعتز :

لا أشرك الناس في عجبته قلمي عن العسالمين قد خنجا
وقال المتنبي :

أرواح وقد ختمت على فؤادي بحبك أن يحل به مسواكا
وقال ابن المعتز يصف فرسا :

يرى بعيد الشيء كالقريب

فقال المتنبي :

وكانت من خيل بعيد مرامها قريب على خيل حواليك سبقي
وقال المتنبي في راحة مراحه :

لن يكن النفسح ضر باطنها فرجا ضر ظهرها القبل
وما علت أن أحدا جعل القبل تضر إلا المتنبي في المبالغة .

ولابن المعتز :

ويح الطيب الذي بالجهل مس يدك ما كان أجمله فيما به اعتمدك
لو أن الحافظه كانت مباحصه ثم انتحاك بها من رقة فصدك
واللحظ دون الفيل ، وأبلغ من هذا قوله وفيه مبالغة .

ومر يفكرى عاملا جرحته ولم أر شيئا قط يجرحه الفكر
وقال ابن المعتز :

وأرى الثريا في السماء كأنها قدم تبديت في ثياب حديد

(١) ١١٤ : ١ ، البيهقي ، ٣٠ قد صدر المتنبي للأدباء ما ١٩١٦

(٢) ٧ الأمانة للحميدى

وقال الموعج الرق :

كأن بنات تمش في دجاء خراشد سافرات في حداد

وقال ابن المعتز :

فكرت كتحصل السيف تلوا لواقحا كأن حصا الصبان من وقها رمل

فقال المتنبي :

إذا وطئت بأيديها صخورا يفثن بوطء أرجلها رمالا
وقد أحسن في الشطر الثاني ؛ وزاد بأن جعل الكأيدي ما جعله الأول بملء
الفواشيم ، وللاول من الفضل أنه خض الحصى وهو أشد من الصخر وأصلب ،
وعذا المعنى كثير مبتذل ، وإنما ذكرنا ما تنازعه الشبه لفظا ومعنى .

وقال المتنبي :

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأشتى وياض الصبح يغرى بي

وقد أجاد فيه وكرره في مواضع من شعره كقوله :

وكم لظلام الليل عندك من يد تخبر أن المساوية تكذب

وأنما أخذه من « صراع لابن المعتز :

لا تلق إلا بليل من تواعده فالشمس نمامة والليل قواد (١)

وقد هجن المعنى بذكر « نمامة » ، « وقواد » ، « وأجاد أبو الطيب في حسن السبك
وجودة المقابلة وجمال الأسلوب .

وقال ابن زيدون في المعنى :

مران في خاطر الظاء يكتمتنا حتى يكاد اسنان الصبح يفشيتنا

(١) وقيل إنما أخذ المتنبي بيته من قول أبي عبد الله الأنصاري :

وليلة سرت سرا في حنادسها حتى افتتنا وضوء الصبح تمام

ومعراج ابن المعتز على صفره ولين لفظه فيه « حتى يفت المتنبي على جلاله لفظه وحسن تقييده (راجع
٣١ نقد شعر المتنبي الثاني ، ١١٤ : ١١٥) »

فزاد فيه على المتنبي بحميل الاستعارة ، وكل من إلى هذا أشار لخرأى المثل
دار « الليل اخفى للويل » ، ولشاعر : الليل اخفى والنهار أوضح (١) .

وقال ابن المعتز :

وجالت صواهلها المقربات بأفعال جن وأشباح ناس
فقال المتنبي :

نحن ركب من الجن في زى ناس فوق طير لها شخوص الجبال
وقال ابن المعتز :

يا من سبأ قلبي بأول نظرة في نظرة أخرى إلى شفاء
فقال المتنبي :

ففي نغم الأولى من اللحظ مهجتي بثانية والمتانف الشيء غارمه
لجاء بمعنى بيت ابن المعتز ونقل من قوله « أول نظرة » وقوله « في نظرة
أخرى » ، فقال . الأولى من اللحظ بثانية ، غير أنه زاد ذكر الغرامة ، وذيل
البيت بما ذيله به وعقب لزوم ذلك .

وقال ابن المعتز :

اليد من شمس الضحى نوره والشمس من نورك تستعلى
فقال المتنبي :

تكسب الشمس منك النور ساطعة كما يكسب منها نوره القمر
وقال ابن المعتز يعزى عبيد الله بن سليمان عن ابنه أبي محمد ويسليه ببقاء
أبي الحسين القاسم :

ولقد غبت الدهر إذ شاطرته بأبي الحدين وقد رجعت عليه
وأبو محمد الجليل مصابه لكن يمي المرء خير يديه

أخذه المتنبي فقال يعزى سيف الدولة عن أخيه الصغرى ويسليه ببقاء
الكبرى :

فأنتك المون شخصين جورا جعل القسم نفسه فيك عدلا
 فإذا قست ما أخذت بما غا دون سرى عن القواد وسلي
 وتيقنت أن حظك أوفى وتيقنت أن جسدك أعلى
 ٢ — وكذلك كان غدير أبي الطيب من الشعراء يرجعون إلى ابن المعتز
 ويقتبسون من معانيه ويحذون حذره في القريض ونظمه ، ونحن نحصى بعضا من
 ذلك الآن :

قال ابن المعتز :

غلالة خدده صبغت بورده ونون الصدى معجزة بخال (١)
 فقال الأسعد الأنديلي :

توهم عطف الصدى نونا بخدده فبات بمسك الحال ينقطه نقطا
 وقال ابن برد الأصغر الأنديلي :
 يا شاربا ألتفتي شاربا قد هم فيه الأس أن ينبتا
 أخذه من قول ابن المعتز :

وشارب قد نم أو هم عليه الشعر

وإس ابن برد بمقصر عن مرمى ابن المعتز لولا التكرار الذي في بيته وإعطائه
 في صياغة المعنى وركاكة أسلوبه بعض الشيء ، وقول ابن المعتز على عذوبته وإيجازه
 ووضوحه لا يكاد يخرج عن لفظ العامة ، والجناس في بيت ابن المعتز بين
 « هم وهم » أروع وأعذب من الجناس في بيت ابن برد « شارب وشارب » ،
 وقال ابن المعتز :

بكيتك حتى قيل قد ألف البكا ونحتك حتى قيل إلف حنين
 ورفقت دموع العين حتى كأنها دموع كروم لادموع جفون
 أخذه الصابي فقال :
 وكان مافي العين من كأس جرى وكان مافي الكأس من أجفاني

(١) نثره بعض الكتاب فقال : أعجبت يد الجمال نون صدغه بخال (١٥٥ : ٣ زمر)

وقال ابن المعتز :

واقه لا كلتمنا ولو انما كاليدراوكالشمس أوكالمكتنى (١)
أخذها صاحب فقال :

واقه لا راجعته ولو أنه كاليدرا أوكالشمس أوكبويه
وقال ابن المعتز :

وكان الربيع يحلو عروسا وكاننا من قطره في نثار
فقال صاحب :

فكان الماء صاهرت الأرض فصار النثار من كافور
وقال ابن المعتز :

كم من عناق لنا وكم قبل غنسات حذار مرتقب
نقر العصافير وهي خائفة من التواطير يأنع الرطب
أخذها ابن رشيق فقال :

وملنا التقيبيل الثغور ولثها كمثل جنوح الطير يندقط الحب (٢)

قال في الوافي : ومقام ابن المعتز غير مقام ابن رشيق لأن ابن رشيق ذكر
أنه في ليلة أمن وهي عنده من حسنات الدهر فابدا أحسن في تشبيه التقيبيل مع
الآمن بالقاطط الطير الحب لأنه يتوالى دفعة بعد دفعة . وأما ابن المعتز فإنه كان
خائفا بجناس التقيبيل ويسرقه كما يفعل المصغور في نقر الرطب اليانع لأنه يقدم
جازعا خائفا من التناطور الحارس ، فلا يطعن فيها يثم .

وقال سيف الدولة في هذا المعنى فأحسن :

أقبله على جزع ككشرب الطائر الفزع
رأى ماء فوقه وخاف عواقب الطمع

(١) هكذا ذكر النحلي (٢٥٦ : ٣ البيضة) حيث نسب البيت لابن المعتز . على أنه هو والمصحح
ينسب لابي بكر ابن السراج النحوي (٣٣٢ : ٣ و ١٠ : ٧ مسمم الادباء)
(٢) يفضله الايوبردي على قول ابن المعتز (٧٢ : ٣ مسمم الادباء)

وصادف فرصة قدنا ولم يلتذ بالجرع^(١)

وقال ابن المعتز :

محاسنها نزهة للعيون ومعرضها كل ما تليس

فقال كشاجم :

كل اللباس عليها معرض حسن وكل ما تتقى فهو مقترح
وقال ابن المعتز :

كأن الثريا في أواخر أيامها تفتح نور أو لجام مفضض
فقال كشاجم في فرس وزاد في المعنى :

فكأنه ببقات فئس ملتب وكأنما هو بالثريا مانجم
ولانثني :

والثريا كأنها رأس طرف أدم زين بالالجام المحلى
وقال ابن المعتز :

وزنا لها ذهباً جامدا فبكات انسا ذهباً سائلا
فقال ابن الحاجاج (٢) :

أوفيه خلاص الثير وزنا فبيحك ويمطيقه كيلا
وقال ابن المعتز :

كالنصار تاكل نفسها إن لم تجد ما تأكله
فقال أبو سعيد الرستمي :

كذلك النار حين أعوزها ما أحرقته نبيت تحترق
وقال الواواء الدمشقي (٣) :

مضى أدعى بروض الحسن منه وعينى قد تضمثها غدیر ؟

(١) راجعها في ٢٤ و ٢٥ : ١ البيعة

(٢) ترجمته في ٢٥ — ٨٨ : ٣ البيعة

(٣) من حسان الشام وصاغة السلام كما يقول النمازي (٢٣٥ : ١ البيعة) ، وهو حين الاستعارة جيد الذئبية (١٤٦ : ٢ فوات الوفيات) : وترجمته في البيعة (٢٣٥ - ٢٤٤ : ١)

ألم فيه بقول ابن المعتز :
وإن نك في خديك للحسن روضة فإن على غدى غدبرا من الدمع
وقوله :
فبخديك للريح رياض وبخدي للدموع غدير
وقال السري الرفاء (١):
فضى وقد منع الجفون خفوقا قلب لذكرك لا يقر خفوقا
أخذ اللفظ من قول ابن المعتز : ما بال قلبك لا يقر خفوقا .
وقال السري :
ضممت معاقد خصره وعموده فكأن عقد الخصر عهد وفاته
اللفظ من قول ابن المعتز : وشادن ضعيف عقد الخصر ، ومعنى السري رائع .
وقال ابن المعتز :
وصلوا عليه عاشعين كأنهم وفود وقوف للسلام عليه
فقال ابن الأثير في ابن الوزير لما صلب :
كأن الناس حولك حين قاموا وفود نذاك أيام الصلات
وقال المعري :
يذيب الرعب منه كل غضب فلولا القمد يمسه لاسالا
وكأنه نظر إلى قول ابن المعتز :
يكاد أن يخرج من إهابه إذا تدلى السوط لولا اللب
وقوله :
يكاد يجرى من القميص من النعمة لولا القميص يمسه
* * *

وبعد فهذا نهاية حديث في معاني شعر ابن المعتز وبلى ذلك الفصل السادس في طبقة
ابن المعتز :

(١) صاحب السرائر الجامع بين نظم هزول الدر والفتى عند البحر كما يتول التماهي (١٠٣: ٢)
التيمة) وكان في طريقه كتابه يذهب وعلى فاليه يضرب (١٠٤: ٢) للرجع نفسه ، وأتمل بيت الدولة

الفصل السادس

طبقة ابن المعين

(١)

الطبقة كل جماعة عاشوا متقاربين في الزمان وجرت عليهم أحكام واحدة من تأثير البيئة وإن لم يتحدوا في المنزح أو يدخلوا في منافسة أو يتزاحوا على باب ملك (١) ، ومعنى الطبقة أنهم نظراء (٢) وأنهم قريبون من بعض في منزلتهم الأدبية العامة وإن اختلفوا في اتجاهاتهم الفنية وإنتاجهم الأدبي .

والشعراء أربع طبقات : جاهليون ومختصرون وإسلاميون ومولدون وهم الذين فسدت فيهم ملكة اللسان فمالجوها بالصناعة وهم شعراء بني العباس (٣) ، ويضيف إليهم الشباب الخفاجي طبقات أخرى هي المحدثون ثم المتأخرون والعصريون (٤) والشعراء العباسيون يقسمون إلى طبقات :

فالطبقة الأولى من العباسيين هم مختصرون الدولتين . كان هزمة وأبي دلالة م ١٦١ هـ والحسين بن مطير وأبو حية الفيرى وسديف بن ميمون ويحيى بن زياد وأبو الهندي وابن الخياط المملوكي (٥) ويشارم ١٦٧ هـ وصالح بن عبد القدوس م ١٦٧ هـ أيضا (٦) وحماد مجرد م ١٦٨ هـ ومطيع م ١٦٩ هـ والسيد الحسيري م ١٧٣ هـ ومروان بن أبي حفصة (١٠٥ - ١٨١ هـ) ، ومن رجازها أبو نجيعة السعدي ورقبة م ١٤٥ هـ

(١) ٤٠١ الأدب العباسي لمؤلفه طه

(٢) ٨٤ تاريخ النقد الأدبي عند العرب

(٣) ١٥ تاريخ الأدب العربي الزيات

(٤) ٣١٠ و ٣١١ الرحمة

(٥) شاعر طريف ماجن مدح الهدي (٩٤ : ١٨ الأغاني)

(٦) وفي الديري أنه قتل عام ١٩٧ هـ (٢٧ : ١ الديري) ولله تحريف

وقد تأثرت هذه الطبقة ولاسيما بشار بالفرس وحضارتهم تأثرا قويا وكان تأثرهم بعلوم اليونان قليلا بالقياس إلى من بعدهم .

وزعيم هذه الطبقة بشار ، وهو أشهرهم وأشهرهم (١) ، فهو أستاذ المحدثين (٢) وتقدمه في طبقاتهم ورياسته عليهم من غير اختلاف في ذلك يغنى عن وصف وإطالة ذكر محله (٣) ، وسعى أبا المحدثين لأنه فتح لهم أكام المعاني ونهج لهم سبل اليديع فاتيحوا (٤) ، وهو أستاذ المحدثين ويدرهم وصدرهم (٥) .
ويجمل ابن رشيقي أبا المتأهية م ٢١١ هـ من هذه الطبقة (٦) والصواب عده من الطبقة الثانية .

والطبقة الثانية : نشأت في صدر الدولة ، ومن شعرائها : والبة م ١٧٥ هـ ، وسلم م ١٨٦ هـ (٧) ، والعباس بن الأحنف م ١٩٢ هـ ، وأشجع م ١٩٥ هـ ، وأبو الشيخ م ١٩٦ هـ (٨) ، وأبو نواس م ١٩٨ هـ (٩) ، والحكم بن قنبر ، والفضل الرقاشي م ٢٠٠ هـ ، وأبان م ٢٠٠ هـ (١٠) : ومحمد بن كناسة م ٢٠٧ هـ ؛ وعلى بن جبلة المكوك (١٦٠ - ٢١٣ هـ) ، وبكر بن النطاح ، ومحمد بن بشير الرياشي ، ومنصور التميمي (١١) ، ومسلم بن الوليد م ٢٠٨ هـ ، وأبو المتأهية م ٢١١ هـ ،

(١) ٨٣ : ١ المدة

(٢) ٢٥٠ الموشح

(٣) ٢٠ : ٣ الأغاني

(٤) ١٣٦ : ٢ زهر

(٥) ٨٤ غناس الحاس

(٦) ٨٣ : ١ المدة

(٧) ويده بعض النقاد من الطبقة الأولى (٨٣ : ١ المدة ، ٣٨٠ المصراع العباسي لسياسي يوي

(٨) راجع ترجمته في ٢٤٥ — ٢٤٨ مذهب الأغاني

(٩) وفي التميمي (٤٣ : ١) أنه توفي عام ١٩٤ هـ

(١٠) ترجمته في ١ — ٥٢ الاوراق قسم أخبار الشعراء

(١١) تليد الثاني وواو بن ووصف اسحاق الموصلي شعره وشعر مسلم أمام الفضل بن يحيى وصفه

رائعا (راجع ٩٥ — ٦٩ : ١٣ تاريخ بغداد)

وأبو سعيد الخزوي (١)، والمتأني م ٢٢٠ هـ، وعمارة بن عقيل م ٢٤٠ هـ، ودعبل (١٤٨ - ٢٤٦ هـ) وهو ساقم (٢)، وعوف بن محملم الخزاعي ٢٤٨ هـ، والحسين بن الضحاك م ٢٥٠ هـ

وليس فهم نظير أبي نواس وليس يفضل عليه مولد سوى بشار (٣)، واشتهر منهم أبو العتاهية، وكان شيخ الطبع (٤) وكان غزير البحر لطيف المعاني سول الألفاظ كثير الاقتان قليل النكاف إلا أنه كان كثير الساقط المردول، وهو وبشار والسيد أطبع الناس (٥)، ويقول فيه ابن الأعرابي: ما رأيت أجمع ولا أقدر على بيت شعر منه وما أحسب مذهبه إلا ضرباً من السحر (٦)، وقال الأصمعي (٧): شعره كساحة الملوك يقع فيها الجوهر والذهب والتراب والخرف، وروى أبو حاتم عن أصحابه: لو أن طبع ابن العتاهية بجزالة لفظ لكان أشعر الناس (٨) وشعره كالنماء الجاري رقة ألفاظ ولطافة سبك (٩)، والبارد في شعره كثير (١٠) ويقول المبرد فيه: وهو حسن الشعر قريب المأخذ.

وزعم هذه الطيقة أبو نواس، وتجد له من بهجة اللفظ ودقيق المعنى ما يتحير فيه (١١)، ويقول فيه النظام: كأنه جمع له الكلام فاختر أحسنه (١٢)، وامتناز بفحش مجونه وتصويره لأخلاقه وليشته ووصفه الخمر، وهو ثاني بشار في منزعه لفظاً ومعنى.

- (١) بغدادى كثير الشعر جيدة . ومصح الأثيون (٥٧٨ : ١ سمط اللال، ٢٦٠ مصم الشعراء، ١٣٩-١٤٠ طبقت ابن القمطر طبع أوروبا، وق الامالى تصيدة لامية له (٢٥٩ : ١ الأمانى)
(٢) ويهده بعض الباحثين فى الطبقة الثالثة (٤٠٢ الأدب العباسى لمحمود مصطفى)
(٣) ٨٣ : ١ السبعة
(٤) ٨٢ : ١ السبعة :
(٥) ١٢٢ : ٣ الأمانى
(٦) ١٢٧ : ٣ الأمانى
(٧) ١٤٠ : ٣ الأمانى
(٨) ١٥٢ : ٣ الأمانى
(٩) ٦٨ الكل السائر
(١٠) ٥٩ صناعين
(١١) ١٧٢ إعجاز القرآن للبالغلى (١٢) ٢١٤ : ٧ مذهب الانانى

وبعد هذه الطبقة يختلف التقاد :

١ — ففريق يجعل أبا تمام م ٢٣١ هـ والبحترى م ٢٨٤ هـ وابن الرومي م ٢٨٣ هـ وابن المعتز م ٢٩٦ هـ طبقة واحدة هي الطبقة الثالثة التي خلقت طبقة أبي نواس (١) ويقول ابن رشيقي: طبقة حبيب البحرى وابن الرومي وابن المعتز طبقة متداركة وتلاحقوا وغطوا على من سواهم حتى نسي معهم بقية من أدرك أبا نواس ولم يذكر من أصحاب ابن الرومي وابن المعتز إلا من ذكر بينهم في مكانة أو مناقضة (٢).

٢ — وفريق يقسم هؤلاء ومن عاصرهم طبقتين فيجعل في الطبقة الثالثة : أبا تمام (١٩٠ — ٢٣١ هـ) ودبك الجن (١٦١ — ٢٣٥ هـ) ، ومحمود بن الحسين الوراق م ٢٣٠ هـ ، وعبد الصمد بن المذل م ٢٤٠ هـ ، وأخوه أحمد ، والحدوثي إسماعيل بن إبراهيم بن حدوديه البصري ، وأبا العميل كاتب الطاهر م ٢٤٠ هـ ، والمطوي ، وعلى بن الجهم م ٢٤٩ هـ . ويجعل في الطبقة الرابعة : محمد بن اسحق الصيمري ، وعلى بن يحيى المنجم م ٢٧٥ هـ ، وابن الرومي (٢٢١ — ٢٨٣ هـ) ، والبحترى (٢٠٥ — ٢٨٤ هـ) ، وأبا العباس الانباري م ٢٩٣ هـ ، وابن المعتز م ٢٩٦ هـ ؛ والبسامي م ٣٠٢ هـ ، والحيز أري م ٣١٧ هـ (٣).

٣ — وفريق يقسمهم ثلاث طبقات : فيجعل في الثالثة أبا تمام ودبك الجن ودعبل وابن الجهم ، ويجعل في الرابعة البحرى وابن الرومي ، وفي الخامسة ابن المعتز والبسامي (٤) ، وأنا استحسن ذلك لأن أبا تمام وطبقته ورثت مجد القريض من أوائل القرن الثالث إلى نحو ثلثه الأول ، وطبقة البحرى وابن الرومي تلبست على هذه الطبقة وظلت إلى ما بعد عام ٢٨٠ هـ بقليل ، وطبقة ابن المعتز تلبست على هاتين الطبقتين وشغلت الثلث الأخير للقرن الثالث كله على وجه التقريب ، هذا من ناحية النشأة والتكوين الأدبي ، أما من ناحية المذاهب

(١) ٨٣ : ١ العدد

(٢) ٨٣ : ١ العدد

(٣) ٤٠٢ الأدب العباسي لمحمود مصطفى ، ١٤٣ العصر العباسي لاسكندر

(٤) ٣٨٠ العصر العباسي لاسكندر

الأدبية العامة فإننا نجد في القرن الثالث اتجاهين مستقلين : اتجاها يجمع بين الشعر وشئى الثقافات وهو المنهج الذى سلكه أبو تمام ، واتجاها يحتفل للشعر بطابعه العرفى القديم مع مسايرته للحضارة فى عذوبة ألفاظه وأساليبه وهو المنهج الذى كان يمثل البحرى .

وبعد فقد كان ابن المعتز على رأس الطبقة الخامسة من شعراء المحدثين ، ومن أشهر رجال هذه الطبقة : الناشئ م ٢٩٣ والبسائى م ٣٠٢ والخيز أوزى م ٣١٧ وأبو بكر الحسن بن على المعروف بابن العلاف م ٣١٨ وابن طباطبا العلوى الأصفهاني م ٢٢٢ وسواهم من الشعراء .

وتمتاز هذه الطبقة بجمعها بين مذهبي أبي تمام والبحترى فى الشعر ، فبى تعمق فى المعانى والأفكار الحديثة والثقافات العامة كما كان أبو تمام وابن الرومى ، وهى تحافظ على عذوبة الأسلوب وجماله وتوشيه بآثار الصنعة والترف والوان البداع كما كان يفعل البحرى وسواه . وشعر شعراء هذه الطبقة ما عدا ابن المعتز يكاد يكون مفقودا مما يتسمر معه الموازنة بين ابن المعتز وسواه من رجال طبقتهم ، وابن المعتز على أى حال زعيم هذه الطبقة ومكانته فى الشعر دفعت النقاد أو كثيرا منهم إلى أن يضعوه مع أبي تمام البحرى وابن الرومى فى طبقة واحدة ، وفى الحق أن فن ابن المعتز فى الشعر فن رائع يصعد به إلى مكانة كبيرة بين الشعراء الموهوبين ويرتفع به عن طبقتهم إلى طبقة أبي تمام وصاحبيه .

وإذا كان شعر طبقة ابن المعتز مفقودا كله أو جله ، وإذا كان ابن المعتز قد وضع فى الموازنة الأدبية مع أبي تمام والبحترى وابن الرومى ، فقد وجب علينا بصرف النظر عن طبقتهم التى أثرت وضعهم فيها أن ندرس ونحلل ونوازن بينه وبين هؤلاء الشعراء ، حبيب وأبي عبادة البحرى وابن الرومى .

(٢)

وهذه موازنة أدبية جديدة بين هؤلاء الشعراء حيث ستدوس كثيرا من الآثار الأدبية التى تجمعها وحدة واضحة فى الغرض أو فى الاتجاه ؛ لتكون من هذه الدراسة رأيا صحيحا فى أحكامنا الأدبية على هؤلاء الشعراء .

١ - قال أبو تمام في الغيث :

دجعة سمحة القياد سكوب مستغيث بها الثرى المكروب
لوسعت بقعة لإعظام أخرى لسمى نحوها المكان الجديب
لذ شؤبها وطاب فلو تسطيع قامت فماتت فماتت القلوب
فهي ماء يجرى وماء بليه وعزالي (١) تنشا وأخرى تذوب
كشفت الروض رأسه واستمر المحل منها كما استمر المريب
فاذا الرى بمدحى وجرجا ن لديها يبرين أو ملحوب
أيا الغيث حتى أهلا يمتدا لك وعند السرى وحين تؤوب

وقال ابن الرومي :

سحاب قبست بالبلاد فأليت غطاء على أغوارها ونجودها
حدثنا النعامى مثلات فأقبلت تهادى رويدا سيرها كركودها
غيوث رأى الإعمال فيه حمامه فرب حياة الأرض بعد هودها
اظلت فقال الحرث والنسل هذه فتوح سماه أقبلت في سدودها
فأطفا نيران القليل مواطر مضرحة نيرانها في وقودها

وقال الجعفرى :

ذات ارتجاز يحين الرعد بحرورة الذيل صدوق الوعد
مسفوحة الدمع يشير وجد لها نسيم كنسيم الورد
جاءت بها ريح الصبا من نجد فانتشرت مثل انتشار العقد
فراحت الأرض بعيش رغد من وشى أنوار الربا في برد

وقال ابن المعتز :

وغيث خصب الرب تندی بقاعه بهم الذرى أثواب قيعانه خضر
رحيب كموج البحر يلثم الربا ويفرق في أكلانه النعم الدثر
ألحت عليه كل طغياء دجسة إذا ما بكأ أجفانها ضحك الزهر

(١) جمع عزلاء : مص الماء من الراوية ونحوها

فما طلعت شمس النهار ضحية ولا أصلا إلى ومن دونها غدور
كأن الرجايب الجيرون والفجر ساطع دغان حريق لا يضىء له جر
وقال أيضاً :

وسارية لا تحمل البكا جرى دمعها في غدود الثرى
سرت تقدح الصبح في ليلىها يبرق كهنديّة تقضى
فلما دنت جلجلت في السما رعدا أجش كجر الرما
ضمار عليها ارتداء اليفاع بأنوارها واعتجار الربا
فما زال مدمعها باكيا على الترب حتى اكتسى ما اكتسى
فأضحت سواء وجوه البلاد وجن الثبات بها والتقى
فتجد لآني تمام الأسلوب الجليد والتصوير الجليل والاستعارات الرائعة
والمعاني المشتكرة والمبالغة المقبولة والشعور العميق بأثر الفيت في الأرض وساحة
الأرض للآء .

وتجد ابن الرومي يصف الفيت بالكشافة والإطباق وكثرة الماء وساحة
الأرض إليه ، مع تقصير عن أبي تمام في التصوير والوصف والأسلوب ، ومع اعتماد
عليه وأخذ من معانيه كما تراه في بيته الذي قبل الأخير .

وتجد للبحرئى أسلوبه الجليل وصياغته الفنية ولكنك لا تحس بأثر لشخصيته
فيما وراء الأسلوب من معنى وتصوير وخيال ، بل هو في ذلك مقلد كسواء من
الكثير من الشعراء .

ولكنك تجد ابن المعتز قد ازدحمت في أسلوبه الصياغة الفنية الدقيقة والصور
الشعرية الكثيرة التي تغلب عليها روح الإيجاز وجزالة الأسلوب في قطعه الأولى
وعذوبته في الثانية مع جمال التشبيه والاستعارة والطباق ، وهو في قطعه الثانية يقف
بجانب أبي تمام في المعاني والتصوير وظهور أثر شخصيته الواضحة في الأسلوب
والتهجير .

٢ — وقال أبو تمام في ذكر فراق أحبابه له :

فساثلها أي المواطن حلت وأي بلاد أوطنتها وأبت

وماذا عليها لو أشارت فودعت
وما كان إلا أن تولت بها التوى
فأما عيون الماشقين فأسختت
ولما دعاى البين ولبت إذ دعا
فلما أر مثلى كان أوفى بعهدها

ويقول في موقف الوداع :

أما وقد كتمتن الحذور ضحى
لما استحر الوداع المحض وانصرمت
وأيت أحسن مرثى وأقبحه
فكاد شوق ينلو الدمع منسجما

وقال ابن الرومى :

لست أنسى امتناع صبرك للتو
وانحدار الدموع كاللؤلؤ الرطب
والنفاتا نحوى وقد قبضتني
ومقالا جرى وللشوق فى الأحشاء نار أليمة الحرقات
حاطك الله بالكلامه والصنيع ووقاك أعين العائذات

وقال البحتري :

ما أرى البين غلثيا من وداع
وبود القلوب يوم استقلت
منزل هاج لى الصباية والشو
يوم كان المقام فى الدار شكا

وقال :

قد أرتك الدموع يوم تولت
عبرات ملء الجفون مرثيا
لأن تبت وادع الضمير فمتدى

ظلمن الحى ما وراء الدموع
حرق للفراق ملء الضلوع
نصب من عشية التوديع

وقال ابن المعتز :

لا مثل من يعرف العشاق حبيهم	بل أنت من بينهم تشقى من تمنى
نأوا بلبيل فزمو كل بعملة	ويعمل بجل في أنفه الخلق
إلى وأسماء والحق الذين غدوا	بها على الكره من نفس وما وثقوا
لكالربيط وقد سبقت قرينه	بنازع الحب مشدودا وينطلق
قطيروا القلب وجدا بين أضله	وعذبوا النفس حتى ما بها رفق
ما أنس لا أنس إذ قامت تودعنا	بمقلة جفنها في دمعها غرق
تفتر عن مقلة حراء موقدة	تكاد لولا دموع العين تحترق
كأنها حين تبدو من مجاسدها	بدر يمزق أركانها الفسق

فتجد أبا تمام يتصرف في المعاني المعروفة تصرفا حسنا ويصوغها صياغة قوية فيها صنعة كثيرة أظهرها المقابلة ، فهو في البيت الأول يتساءل في حزن عن الديار التي أمتها بحبونه مع بعض التيسير في تكرير دأى وأيت ، إذ لا فائدة لهذا التكرار ولا جديد وراه ، وفي البيت الثاني يتحسر لعدم توديع محبوبته له قبل سفرها البعيد ولو بإشارة عابرة بأطراف البنان ، وبصور في الثالث حزنه لفراقها وكذلك في الرابع إلا أنه يضيف فيه إلى ذلك فرح خصومه بهذا الفراق ، وفي البيت الأخيرين يصور وفاء العهد الحب وخيانتها لهذا العهد المقدس ، وكذلك هو في أبياته الأخرى : معان واضحة معروفة يلم بها الشاعر في كثير من تعقيد الغنى في صياغته وصناعاته الشعرية .

واسكنك نجد لابن الرومي تصويرا بارعا . ينطق عن شعور صحيح بألم الوداع وإدراك صادق لأحزان الفراق ، وتأثر واضح بهذه الساعات الحافلة بالذكريات والتي يعز فيها على الأحباب الصبر ، فتصدر الدموع من عيونهم القرحات ، ويمزون أنفسهم بتتبع أبصارهم للحبيب الراحل حين رحيله ، وبالدهاء له بأن يحوطه الله بالرعاية ، وأن يحفظ عليه شبابه وجماله ، ويمنع عنه أذى الحاسدين والماعدات .

وينزل البحتري عن هذه الدرجة العالية التي بلغها ابن الرومي في أبياته ، فهو لا يشعر إلا بما يشعر به سائر الناس وإن أوتي عذوبة التعبير وجمال الأداء ، بل

لأنه يخرج على أدب الحب فيعلمن سخطه على حبيبه الراحل .
وابن المعتز يصل في أبياته إلى درجة ابن الرومي ولكن يهبط به أنه لم يتناول
موقف الوداع وتصويره ببساطة ابن الرومي وصدق تصويره ، ولكنه على أي
حال فوق أي تمام والبحري في قوة الشعور وتأجيج العاطفة وظهور الشخصية
ووضوح التصوير الذي ينتج فيه الفن بالفكرة والشعور، ويترامى في ثوب من
المذوبة والعرف لولا بيته الثاني الذي أضعفه بيمعنه ويعمله الجمل كما يقول :

٣ - وقال أبو تمام في الشيب :

لعب الشيب بالمفارق بل جند	فأبكي تماضرا ولمعوا
خضبت عندها إلى لؤلؤ العقد	وما أن رأيت شواق غضيبا
كل دام يرجى الدراء له إلا	القطيعين : ميتة ومشييا
يا نسيب الثغام ذنبك أبقى	حسناني عند الغواني ذنوبا
ولئن عين ما رأيت لقد	أنكرن مستكبرا وعين معيبا
نورأى الله أن في الشيب خيرا	جاورته الأبرار في الخلد شييا

وقال :

فلا يؤرقك إيماض القنير به	فان ذاك ابتسام الرأي والأدب
---------------------------	-----------------------------

وقال :

له منظر في العين أبيض ناعم	ولكنه في القلب أسود أسفع
----------------------------	--------------------------

وقال ابن الرومي :

قالوا المشيب نذير : قلت : لا وأبي	لكن بشير يحلى وجهه الكربا
أليس يخبر من رسي بساحته	أن اللحاق يحب النفس قد قربا
يا حسن هاتيك بشرى عند ذي أسف	على الشيبة والعيش الذي نضبا
لم يرع حق شباب كان يصحبه	من لم يحب إليه فقد العطبيا
لو لم يحب حفظه إلا بأن له	حق الرضاع على إخوانه وجبا
أخى ولاني وترقي كان مولدنا	مما وربتي الأيام حيث ربا
يضمنا حجر أم في رضاءتنا	وملعب حين نأغت بيننا اللعبا

إن الشهاب لمألوف لصحته تلك القديمة ، مبيكى إذا ذهب
والشيب مستوحش منه لغريته والثني مستوحش منه إذا غربا
وقال :

لا بدع أن ضحكك القدير فبكى لضحكته الكبير
وقال :
قد يشيب الفقى وليس عجيبا أن يرى النور فى التهنيط الرطيب
وقال البحرى :

عيرئى المشيب وهى بدته فى عذارى بالصد والاحتباب
لا تبه عارا فإ هو بالشيب ولكنه جلاء الشباب
وبياض البازى أصدق حسنا أن تأملت من سواد الغراب
وقال :

عذلتنا فى عشقها أم عمرو هل سمعتم بالعاذل المعشوق
ورأت لمة ألم بها الشيب فريعت من ظلة فى شروق
ولعمري لولا الاقاسى لا بصر ت أنيق الرياض غير أنيق
أى ليل يهوى بغير نجوم أو صحاب يندى بغير يروق ؟
وقال ابن المعتز :

صدت شرير وأزمنت هجرى وصفت ضائرها إلى الغدر
قالت : كبرت وشيت ، قلت لها هذا غبار وقائع الدهر
وقال :

ان شيب الرأس نور الموم

وقال :

قد أنكرت مشيا عمر رأسى واستمر
يا هند ما شاب قلبي وإنما شاب الشعر
وقال :

رأت أقحوان الشيب لاح وآذنت ملاحات أيام الصبا يوداع
فقال: محاك الدهر في صيغة الصبا وكنت من الغنيان خير متاع
فوجد الصنعة نهجن من أبيات أبي تمام الأولى الثلاثة وتضع من قيمتها ثم
تخفف وطأة هذه الصنعة في الثلاثة الأخيرة فتعجبك . وتعجب بها وباحتجاجه
للشيب مع شعوره بالحزن منه .

ولكنك تجد عند ابن الرومي عمق شعور بالكتاب وشدة حزن عليه ووقاه له ،
وعمقا في تصور ذلك كله ، يفوق كل حد ، ويبلغ غاية الجلال ، ويملك عاطفتك ،
ويستبد باستحسانك واستجادتك ؛ مع تعليل للنفس في بيته الأخير .

والبحترى في أبياته يحاول إقناع حبيبته أم عمرو بالرضا بحاله ومشبهه ، فاحتج
بما أسعفه بيانه وتفكيره بالاحتجاج به ، في أسلوب مألوف وممان قريبة ،
وبيته ، وبياض البازي ، قريب المعنى ، إلا أنه جميل التصوير صادقه ساذج التفكير
سهل الاستنباط .

وأما ابن المعتز فينتج نهج أبي تمام والبحتري ولكنه لا يصل إلى مسكاته
ابن الرومي في تصوره وتصوره للشباب والمشيبي .

٤ — وقال أبو تمام في الربيع :

وقت حواشي الدهر فهي تمرر وغدا الثرى في حليه يتكر
يا صاحبي تفصيا نظريكا تريا وجوه الأرض كيف تصور
تريا نهارا مشمسا قد شابه زهر الربا فكأنما هو مقر
دنيا معاش للورى حتى إذا حل الربيع فأنما هي منظر
من كل زاهرة تفرق بالتدى فكأنها عين إليك تحضر
حتى غدت وهدايتها ونجادها فتنين في حلل الربيع تبتخر
مصغرة محبرة . فكأنها عصب تيمن في الوغى وتحضر

وقال ابن الرومي :

أصبحت الدنيا تروق من نظر بمنظر فيه جلاء القصر
أنفت على الله بالآلاء المطر فالأرض في روض كأفواف الخبر
نيرة النوار زهراء الزهر تبرجت بعد حياء وغفر
تبرج الأنثى قصدت للذكر

وقال البحرى :

أناك الربيع الطلق يختال ضاحكا من الحسن حتى كاد أن يتكلما
وقد نبه الثيروز في غسق الدجى أوائل ورد كن بالامس نوما
يفتقها برد السدى فكأنه بيت حديثا كان قبيل مكثما
فن شجر رد الربيع لباسه عليه كما نثرت وشيا منمنما
أهل فأبدى للعيون بشاشة وكان قذى للعين إذ كان محرما
ورق نسج الروض حتى حسبه يحيى بأنفاس الاحبة نعما
وقال ابن المعتز :

انظر إلى دنيا ربيع أقيمت مثل النساء تبرجت لزناة
وإذا تمرى الصبح من كافوره نطقت صنوف طيورها بلغات
والورد يضحك من نواظر نرجس قذبت وأذن حبيها بمعات
ويقول :

أناك الربيع بصوب البكر ورف على الجسر برد السحر
ونقرت الأرض عن جوهس فتتظم منه ومتشتر
وقد عدل الدهر ميزانه فلا فيه حر ولا فيه قر

فترى في قطعة أبي تمام شعورا واضحا قويا بجمال الربيع وحياته ومناظره
الفاتنة ، وأسلوبا باهرا رائعا قوى التعبير والتصوير .

وتجد كذلك عند ابن الرومي شعورا وتصورا صادقين للربيع والحياة والطبيعة
فيه ، ولكنه ينزل عن أبي تمام في سمو التعبير وجودته وروح الفن التي تشيع
في أبيات أبي تمام .

أما أبيات البحرى لجميلة عذبة ممتازة في أسلوبها ولكن تنقصها الروح والحياة
وقوة الشعور التي تتدفق في أبيات أبي تمام وابن الرومي ، وتضعف من روح
البحرى فيها قيود الصنعة التي تطفئ عليه وتضعف من شعوره فيها .

وتجد عند ابن المعتز شعورا واضحا بالحياة وأسرار الطبيعة في الربيع ، إلا
أن أسلوبه ضعيف لا يبلغ أسلوب أبي تمام ، وأول أبياته مسروق من
ابن الرومي :

٥ - ويقول أبو تمام في الفرس :

أو أدم فيه كنة أمم كأنه قطعة من الغلس
مخلق وجهه على السبق تخاليت (١) عروس الأبناء للعرس
صهصلق (٢) في الصليل تحسبه أشرح (٣) حلقومه على جرس

ويقول ابن المعتز :

وساخ مساح ذو ميعه كأنه حريق نار تلتهب
ترام إن أبصرته مستقبلا كأنما يلهو من الأرض حذب
عاري النسا يتهب التراب له حوافر باذلة ما يتهب
تصافح التراب إذا ما ركضت لكنت مع الصخور تصطخب
تحسبه يرمي على فارسه وإنما يرمي به إذا ركب
أسرع من لحظة إذا رنا أطوع من عنانه إذا جذب
يبلغ ما تبلغه الريح ولا تبلغ ما تبلغه إذا طلب
ذو غرة قد شدخعت جهته واذن مثل السنان المنتصب
وناظر كأنه ذو روعة وكفل مللم ضافي الذنب
ومنخر كالكير لم تشق به أنفاسه ولم يخفها في تعب
قد خاض في يوم الوغى في حلة حمراء تسديها العوالي والقضب

فترى في أبيات أبي تمام وصفا للفرس تطيف به الحوشية والغراية لاسيا
في بيته الأخير.

أما أبيات ابن المعتز فتفوق أبيات أبي تمام لكثرة معانيها وقوة تصويرها
والجدة في أساليبها وجمال استعاراتها وتشبيهاتها الدقيقة مع المبالغة والعدوبة في
ألفاظها وأسلوبها مما يظهر بوضوح أمام النقد العادل الثري به .

(١) التخليق : التلخيص بالطيب

(٢) أي شديد الصوت

(٣) أي شد

٦ - وإذا قرأت قطعة ابن الرومي في وصف الأسد :

فا أسد جهنم الحيا شتيمة (١) غبشة ورد السبال غصنفر
التي جمع فيها كثيرا من المعاني والأوصاف التي تصور خلق الأسد وقوته
أوضح تصوير . ثم قرأت قطعة البحرى في الأسد :

غداة لقيت الليث والليث عذر يحدد نابا للقضاء وغلبا
والتي ألم فيها بطرف مما ذكره بشر بن عوافة في رائيته في الأسد (٢) ، مع جمال
في الأسلوب وطلاوة في السبك وجودة في الصياغة وإن كانت معانيها واضحة
محدودة قريبة .

ثم قرأت قطعة ابن المعتز في الأسد :

وما ليث غاب يهدم الجيش خوفاً بمشية وثاب على النهي والرجز
يجر إلى أشباهه كل ليلة عقيرة وحش أو قتيلا من السفر
يزرع أحناء البلاد ذئيره ويبطل أبطال الرجال من الذعر
إلى آخر هذه القطعة الرائعة :

وجدت ابن المعتز يربى على البحرى فيها بكثرة ما أتى به من معان ، ولكنه
لا يصل إلى ابن الرومي في قسطه .. وجدته يحاول أن يعطيك صورة واضحة للأسد
في قوته وفزع الناس والبلاد منه ؛ فهو لا يجرى فيها سابقا ولا يلحق وانيا ، وإنما
يسير وراء قائد القافلة ورائد الركب موفور الإجابة والتصوير .

وبعد فهذه غائمة موازناتنا المبشركة بين هؤلاء الشعراء الخالدين ، وكما كنا
نود أن يتسع المقام لتحليل أوسع وشرح أخصى وموازنة أدق ولكن ، هيات
وأنا مضطر أمام تشعب البحث وكثرة الدراسة في الكتاب أن أحذف
الكثير ، وأكتفى بالقليل ، واستغنى بالإشارة ، واختصر في العبارة ، حتى
لا أطيل فوق ما أطلت .

(١) أي كربه

(٢) رواها البديع في مقاماته ، وأوها :

أظلم أو شطت بطن خيت . وقد لاقى المزير اعك بهرا
إذا رأيت ليثا أم ليثا هزبرا أغليا لاقى هزبرا
وهي قصيدة من النظم المال الذي لم يأت أحد بمثله

الفصل السابع

ابن المعتز والشعراء الذين تأثروا به

(١)

وقد اتخذ كثير من الشعراء على مر العصور الأدبية شعر ابن المعتز مصدراً أدبياً لهم ، يحتذون حذوه ، وينهجون نهجه ، ويتأثرون به في نظم الشعر وفهم الغريض ، وقد سبق ذكر كثير من المعاني التي أخذها عنه كثير من الشعراء الذين جاءوا بعده ، وسنحاول إكمال ذلك البحث الآن في هذه الدراسة .

(٢)

ابن معتز الأندلسي (٣٥٣ - ٤٠٠ هـ) :

فن الشعراء الذين تأثروا به الأمير الأندلسي أبو عبيد الملك مروان بن عبد الرحمن بن مروان بن عبد الرحمن الناصر الأموي ، وكان يلقب ابن معتز الأندلس ، ويعرف بالطلق .

كان أدبياً شاعراً مكثراً وأكثر شعره في السجن ، قال أبو محمد بن حزم : هو في بني أمية كابن المعتز في بني العباس ، ملاحه شعر ، وحسن تشبيه

سجن وهو ابن ست عشرة سنة لأنه كان فيما ذكر يتمشق جارية كان أبوه قد رباها معه وذكرها له ، ثم بدا له فاستأثر بها ، فاشتدت غيرة الشاعر لذلك ، فانتضى سيفاً وانتز فرصة من بعض خلوات أبيه معها فقتله فسجن في أيام المنصور أبي عامر محمد بن أبي عامر ، ومكث في السجن ستة عشر عاماً ، ثم أطلق بعد ذلك فلقب بالطلق لذلك ، وعاش بعد إطلاقه ست عشرة سنة ، وتوفي نحو عام ٤٠٠ هـ

ومن مستحسن شعره :

غصن يمتز في دمع نفا يجنى منه فؤادى حرقا
أطلع الحسن لنا من وجهه قرا ليس يرى متحفا
ورنا عن طرف ريم أحور لحظه سهم لقلبي فوقا
ومن هذه القطعة :

أصبحت شمسا وفوه مغربا ويد الساق المحي مشرقا
فإذا ما غربت في فوه تركت في الخلد منه شغفا (١)

وقد حاولنا أن نعثر له على شيء سوى ذلك من أخباره وشعره فلم نجد فيما بين
أبدتنا من المصادر شيئا آخر عنه ولا عن شعره ، مما يجعل الموازنة الأدبية بينه وبين
شاعرنا ابن المعتز متعسرة ، ومهما كان فعل أبيات الأندلسي صيغة الجمل الفني
والترف في الأسلوب والصنعة وحس التشبيه وعذوبة اللفظ وسلامة التركيب
وكثرة الصور الفنية في شعره ، مما يشبه في ذلك شاعرنا ابن المعتز إلى حد كبير ،
ومما استوجب أن يلقبه النقاد ابن معتر الأندلس ، الذي أشبهه حتى في النشأة
والسكون وظروف الحياة .

(٣)

تميم بن المعز الفاطمي (٣٣٧ - ٣٧٤ هـ) :

ولد تميم في المغرب الذي قضى فيه وفي ظلال والده المعز الخليفة عهد شبابه
وتفاته ، وأحب الأدب وعشق الشعر وفظم القريض ، متأثرا بالنهضة الشعرية التي
كان يرعاها والده والتي كان من أبطالها ابن هاني الأندلسي شاعر المعز . وتيم كثير
من الآثار الشعرية التي نظمها في المغرب وهي كلها مفقودة ، وهاجر تميم مع والده
إلى مصر عام ٤٦٣ هـ وهو في الخامسة والعشرين من عمره ، فبدأ في مصر حياته
الشعرية الحافلة ، وألهمته مصر وبيئتها الساحرة روائع الشعر ، ثم توفي والده عام
٣٦٥ هـ . وتولى أخوه نزار الخلافة برحمة تميم منها ، فأثر ذلك في شعره وشعوره

(١) راجع ترجمته في ص ٤٤٧ بنية المذاهب في تاريخ رجال أهل الأندلس الذي وهو الجزء الثاني
من المكتبة الأندلسية . وتعمل ترجمته رقم ١٣٤٣ ، وتجد بعض هذه الترجمة في هامش ٣: ١٨٦ فتح
الطبيب للدرى نشر فريد الرضا في تطابق الأستاذ أحمد يوسف نجاني

وفده وعاطفته ، وبدأ يشعر بحرارة الحرمان ، ، وظل كذلك حتى توفي عام ٣٧٤هـ في خلافة أخيه عن سبعة وثلاثين عاماً .

كانت حياة تميم صورة لحياة ابن المعتز ، فكلا الشاعرين نشأ في أسرة الملك وبیت الخلافة ، وشاهد وذاق في صدر شبابه شتى ألوان الثرف والنعيم ، كما ذاق في صدر رجولته وما يابيه من باق أيام حياته ألوان الألم والحسرة لحرمانه من الخلافة ومجدها .

وكان هذا التشابه في الحياة سبباً للتشابه في الروح والشاعرية والحياة الأدبية ، فقد كان تميم أشبه شئاً بابن المعتز في قوة الشاعرية وخصبها ، وكان يجيب بشعر ابن المعتز ويحتذى مدونه ويترسم خطاه ، بل كان بعده إمامه في الشعر ونظمه ، فكان كما يقول الحصري : يحتذى مثال ابن المعتز ويفقد في التشبيهات بجانبه ويفرغ فيها على قاليه (١) . هذا مع اختلافهما في الرأي والمقيدة فقد كان ابن المعتز سنياً عباسياً يدعو للعباسيين ويرد على خصومهم من شيعة وسواهم ، وكان تميم علوياً قاطعياً يتعصب لأسرته ولشيعته من الهاطمين ويذود عنهم ويناضل من نارهم بشعره وبراعته ، ولو كان هذا الذي يرد عليه أستاذ في الشاعرية وفي الفن والأدب ، ولو كان ابن المعتز نفسه .

وإذا كان تميم حرم مجد الخلافة فقد نبوأ عرش الأدب فكان شاعراً ماهراً لطيفاً ظريفاً ، شعر بخلجات نفسه ونبضات قلبه ، وهدف حياته إلهية من حب وعشق وهيام ومجون كما وصف حياته الحزينة بعد عصر الشباب بما فيها من آلام وأشجان وذكرىات ، ويمتاز تميم بصدق الشعور وروعة الشعر وسلاسته ، حتى كان في ذلك أستاذ البهاة بعدده ، كان يمتاز بسمو الخيال وطرافة الشعر وطرافة التشبيه وروعة التعبير ولا سيما في أوصافه ، وله ديوان كبير طبع بدار الكتب المصرية وفي زهر الآداب كثير من المختارات من شعره (٢) .

وبين الشاعرين من مظاهر التشابه في الشعر والشاعرية كثير من السمات :

١ - فقد كان تميم يأخذ كثيراً من معاني شعر ابن المعتز :

(١) ١٨٣ : ٣ زهر

(٢) ١٨٣ — ١٩٠ : ٣ زهر ، وفي البنية (٣٩٠ — ٣٩٧ : ١) ووثبات الاعيان

(١٧٢ — ١٧٣ : ١) كثير من شعره

(٢٣)

قال ابن المعتز :

وكأن الصبح لما لاح من تحت الثريا
ملك أقبل في تاج يفتدى ويحيا

فقال الوأواء :

وكأن الهلال تحت الثريا ملك فوق رأسه إكليل
وقال تميم :

والبدر منتصف ما بين أنجمه فكأنه ملك ما بين موكبه
وقال ابن المعتز :

حتى إذا هزم الإصباح ليهم بعسكر من جنود النور ميثوث
فقال تميم :

وانظر إلى الليل كالزنجي منهزما والصبح في إثره يمدو بأشبهه
وقال ابن المعتز :

أما الظلام حين رق قيصر وأرى يياض الفجر كالسيف الصدى
فقال تميم :

كأن عمود الصبح في غرر الدجى صحيفة سيف قد تصدى من المبح
المشبه به عند ابن المعتز وهو السيف الصدى هو نفس المشبه به عند تميم ،
وكذلك المشبه عند الشاعرين واحد وهو الظلام المشوب بضياء الصباح ، وفي
بيت ابن المعتز لطف جمال وحسن استعارة صورت المعنى بصورة أنت لها النفس
وطرب بها الفؤاد وذلك قوله ، رق قيصر ، .. ولتيم أيضا حول هذا المعنى :
كأن سواد الليل والفجر طالع بقية لطلح السكحل في الأعين الزرق
وقد أحسن في هذا البيت ما شاء له الإحسان كما يقول الثعالبي (١)

وقال ابن المعتز :

وهلال السماء طوق عروس بات يحل على غلائل سود

وقال :

وكان الهلال نصف سوار والثريا كف تشير إليه
فيقول نعيم :

وانجلي النجم بعدما أضحك الزو من بكاء السماء فيه بويل
عن هلال كصولجان نضار في سماء كأنها جام ذبل
ويقول :

وانجلي النجم عن هلال ندى في يد الأفق مثل نصف سوار
قال الثعالب : وأحسن في هذا البيت ما شاء (١) .
وقال ابن المعتز في الثريا :

وقد مات حتى كأن بربقها قوارير فيها ذئبق يترجرج
فيقول نعيم :

كأن الثريا تحت حللك لونها مداهن بلور على الأرض تضطرب
خالف ابن المعتز في التشبيه ولكنه لاحظ قصده من التشبيه فصور الثريا
بصورة مداهن تضطرب على الأرض من حيث صورها ابن المعتز بقوارير فيها
ذئبق يترجرج .

(ب) وفي شعر نعيم قصائد تأثر فيها بابن المعتز :

وذلك كما في قصيدته :

رب صفراء عللني بصفرا • وجنح الظلام مرخي الإزار
بين ماء وروحة وكروم ورواب منيفة وصحارى
فهى تشبه في روح الشاعرية والفن قصيدة ابن المعتز :
أسقى الراح في شباب الهار وأنف همى بالمختدر يس العفار
وقد عارض نعيم بقصيدته :

إذا فرغ اليوق حب القلوب كسواها بشدة تلهيها

قصيدة ابن المعتز في الطالبيين :

ألا من لعسين وتسكاهما تشكى القذى ويبكاهما بها
(ج) وكان تميم يحفل بالطبيعة ووصفها في شعره كابن المعتز، وله في ذلك
مقدرة فائقة لم تتح إلا للقليل من الشعراء، وله غرائب أجاد فيها إجادته في الفخر
والمدح وفي شكوى الزمان بما اشتهر به جميعه ابن المعتز، وقصيدة تميم في الوزير:
جارية مرهقة القصد ظالمة مظلومة الخد
تشبه في سلاستها وعدوبتها وجهالها الغنى الرائع قصيدة، ابن المعتز في
مدح المكتفي:

لا ورومان النود فوق أغصان القنود
(د) وهناك أبيات كثيرة تنسب للشاعرين وتوجد في ديوانيهما
وذلك مثل:

ألا سقياني قهوة ذهبية فقد لبس الآفاق جرح الدجى دمع
كأن الثريا والظلام يحفها قصوص لجين قد أحاط به سح
فالبيتان في ديوان ابن المعتز وفي ديوان تميم أيضا .
ومثل:

كأن البركة الغناء لما غدت بالماء مفعمة تموج
وقد لاح الدجى مرآة قدين قد انصقلت ومقبضها الخليج،
فهما في ديوان ابن المعتز (١) وهما مع أبيات أخرى في ديوان تميم في وصف
بركة الجيش وخليج بنى وائل، وينسبان لأبي فراس (٢) أيضا .

(٤)

أبو فراس الحمداني . (٣٢٠ - ٣٥٧ هـ) (٣) .

(١) ص ٣٠٥ طبع بيروت

(٢) حابة الكتبت

(٣) واجع ٢٧ - ٧١ : ١ الآية ، ٢٢٤ - ٢٢٧ : ١ ونيت

شعر أبي فراس مثال الشعر القديم متانة وأسلوباً إلا أن عليه رواء الطبع وسمة
الظرف وعزة الملك وقد تصرف في أغلب فنون الشعر فأجاد ، إلا أن منزلته في
الفخر والاستعظام والعتاب أعلى ، وروميته أجمل وأدل على فضله .
وكان كثير الفخر بنفسه وحسبه ، عزوفاً عن الظهور والشراب والمجون ،
« وأشعاره » كلها أوضح وعرر وعقود فرائد ودرر ، (١) وهو كما يقول الشافعي
فرد دهره وشمس عصره أدباً وفضلاً وكرماً وثبلاً ومجداً وبلاغة ، وشعره منثور
سائر بين الجردة والحسن والسهولة والجزالة والمذوبة والفضامة والحلاوة والمتانة
مع رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك .

ولم يجمع هذه الخلال قبله إلا في شعر ابن المعتز (٢) : وكان المتنبي يشهد له
بالتقدم والتبريز ولا يحتري على مجاراته .

وكان سيف الدولة يعجب جداً بمجاسن أبي فراس (٣) ، وشعره كله حسن
لتناسبه وعذوبة مشاركته ولا سيما الروميات التي رعى بها هدف الاحسان وأصاب
شاكلة الصواب (٤) .

وكان الصاحب يقول :

بدى الشعر بملك وختم بملك يعني امرأ القيس وأبا فراس (٥) .

وقال الشهاب :

قال الأدباء بدى الشعر بملك وغتم بملك والأول امرؤ القيس فإنه أول من
هامل الشعر وهذبه ونسج نسجه ورتبه ، والشافعي ابن المعتز فإنه من أرق جوامع
الكلم نظماً ونثراً وإنشاءً وشعراً والعامية تقول كلام الملوك . لوك الكلام وقيل أبو
فراس الأول أقرب (٦) .

(١) ٣٢٤ الرميانة لآلها

(٢) ٢٧ : ١ البيتية

(٣) ٢٧ : ١ البيتية

(٤) ٧٠ : ١ البيتية . وقد أسره الروم عام ٨٣٥ ، وفودى عام ٣٥٥ وتوفى بعد ذلك
بقليل عام ٣٥٧ هـ

(٥) ١٧٥ : ١ زهر ، ٢٧ : ١ البيتية ، ٧٢ : ١ الممددة ، ص ٢ ديوان أبي فراس

(٦) ٣٢٠ الرميانة

ويقول الثعالبى :

وأبو فراس يعد أشهر من ابن المعتز عند أهل الصنعة (١) .

وهذا رأى يتفرد به الثعالبى وحده والمتصفون من التقاد لا يوازنون بين ابن المعتز وأبي فراس ولا يضعونهما فى منزلة واحدة ، لكثرة تصرف ابن المعتز وفنونه وكثرة شعره ومعانيه وجودة صنعته وعلى الأخص تشبيهاته ، ولعلونية أسلوبه وجمال الفاظه وامتزاج الطبع بالصنعة وشتى ألوانها فى شعره ، ولا يبدأ أبو فراس ابن المعتز إلا فى مناقاة أسلوبه وجزائله غالباً ، ولعل الثعالبى إنما فضله من أجل هذه الجزالة والمناقاة وحدهما ، على أن أبا فراس قد ينزل بأسلوبه إلى درجة السوقية والضعف ، فالفخر وهو من الموضوعات التى تستدعى جزالة الأسلوب وقوته نجد أبا فراس يقول فيه :

سلى عنى نساء بنى معد يقلن بما رأين وما سمعن
ألسن أمدم لذوى ظلا وأوسمهم لدى الاضياف جفنة

إلى آخر القصيدة (٢) ، حيث نجد أسلوباً بعيداً عن أساليب الفخر الجيدة ، وأبو فراس مقصر فى الغزل عن رتبة ابن المعتز وليس له شئ من الحريات وطرده قليل جداً وأهم ما له فيه أرجوزته :

ما العمر ما طالت به الدهور العمر ما تم به السرور
وليس لشعره فى الرثاء ولا الحكمة والزهد قيمة تذكر ، وأقول إن حكم الثعالبى هذا جائز وغير مقبول .

وبعد فأبو فراس كان ينجح منهج ابن المعتز فى ملوكيته وغفره وظرفه ، ونأثرو به واضح فى شعره .

وهناك أبيات تنسب للشاعرين مثل :

(١) ١٧ : البيت

(٢) راجع ١٤٣ ديوان أبى فراس

وسارية لا تمثل البسكا جرى دمعها في خدود الثرى
وهى أول نصيدة في ديوان ابن المعتز ، فأولها إلى قوله :
ومصباحنا قمر مشرق كثرس اللجين يشق لدجى
ينسب لأبي فراس (١) .

ومثل البيتين :

كأن البركة الغناء لما بدت غدت بالماء مفعمة تموج
وقد لاح الضحى مرآة قين قد انصقلت ومقبضها الخليج
ينسب لابن المعتز وهما في ديوانه وينسب لابن فراس أيضا (٢) ، كما ينسب
لقيم بن المعتز ..

(٥)

ابن سناء الملك : (٥٥٠ - ٦٠٨ هـ) :

الفاضى السعيد هبة الله ، كان من جملة الرؤساء والكتاب والشعراء والأدباء في
عصره ، كتب في ديوان الانشاء المصرى مدة وكان يارع الترسل والنظم ، وهو صاحب
كتاب الموشحات الذى الذى سماه ودار الطراز ، واختصر كتاب الحيوان للجاحظ
وسماه روح البيان (٣) ، وكان ابن سناء كما يقول عن نفسه : « يجرى خلف ابن المعتز
ويطلب مطالبه ويحتذى حذوه » (٤) ، وكان معجبا بشعر ابن المعتز إلى حد بعيد ،
وبلغ إعجابه به أنه كان يحتج بشعر ابن المعتز ليدفع عن نفسه الخطأ والتقصير
فقد عاب الفاضل عليه قوله :

صلىي وهذا الحسن باقى فرجما يعزل بيت الحسن بعد ويكنس
لقوله و يعزل ويكنس ، فأجابه ابن سناء بأنه ما أوقعه في الكنس إلا ابن
المعتز فى قوله :

(١) الزمخلة ٣٢

(٢) الكنت ٣٠٢

(٣) من ١٠ ووجه الأدب في طينات شعر العرب لكتاب الدين الانصارى المعرى

(٤) ١٩ و ٢٠ ثمرات الأوراق لابن حجة

وقوامي مثل الفتاة من الخط وخدي من الحيق مكشوس
والسيد القاضى يعلم انى لم أزل أجرى خلف هذا الرجل وأنتثر وأطلب مطاليه
فتنمر على وتنمذر ، ووجدت هذا المبدع السيد عبدالله بن المعتز يقول .
وقفت بالروض أبكى فقد ما به حتى بكى بدموعى أعين الزهر
لولم أعرها دموع العين تسفحه لرحمى لاستمارتها من المطر
وقال :

فدك غصن لا شك فبسه كما وجهك شمس ناره جسدك
فوجدت طبعى إلى هذا الأمر مائلا فتسجت على هذا الأسلوب وغلب على
خاطرى مع على أننى المغلوب ، وقد نظمت تلك المعلقة في الآيات تقليدا لابن
المعتز (١) ، وأجاب القاضى الفاضل بأن ابن المعتز غير مصوم من الغلط ولا يقلد
إلا في الصواب فقط . وقد علم (الآخ) عما ذكره ابن رشيق في العمدة من تفاوت
طبعه وتباين وصفه ومخالفة وضعه فذكر من محاسنه مالا يعاق معه كتاب ومن بآرده
وغثه مالا تنبئ عليه الثياب (٢) . وكان ابن سناء مولعا بالخمر والنراب وسوى
ذلك من اللذات ، وله شعر في شئ فنون الشعر يتجلى فيه السلاسة والطبع
وحسن التصوير

(٦)

ابن خفاجة الأندلسى (٤٥٠ - ٥٣٣ هـ)

وهب ابن خفاجة نفسه للجهال وفكره للخيال والطبيعة التي تنقل بين رباهما
وخائلهما ، وجل بين مروجها وجداولها ووقف عند كل مشهد من مشاهد الجبال
والسحر فيما يتأني في وصفه ونظم الشعر فيه .
فهو شاعر الطبيعة الذي صور جمالها في صورة مختلفة رائعة الأساليب
وكان ينفق الأساليب الجميلة والألوان المانعة ويديجها بزخرف البدع وبوشيعها
بالوان الحجاز والتشبيه ، وكان يوازن بأقبي تمام في شعره ومذهبه ، وبابن العميد

(١) ١٨ وما بعدها المرح

(٢) ٢٠ : ١ نثرات الأوراق ٤ وليس في نسخة العمدة المطبوعة شئ من ذلك

أو الحمذاً في النثر والكتابة ، (١) ، وهو يكثر من ألوان التصنيع الحسية في شعره ويظهر فيها مهارة واسعة ويمزج بينها مزجاً دقيقاً وكان يكثر من الرسوم والصور في شعره حتى قال ابن خلدون : « كان شيوخنا يعيبون شعر ابن خفاجة لكثرة معانيه وازدحامها في البيت الواحد (٢) » ، يريد كثرة الصور وما يطوى فيها من خيالات مفعمة ، ويقول المقرئ فيه : أدب الأندلس وشاعرها وأوحد الناس في وصف الآهار والأزهار والرياض واليسابن وكان يلقب صنوبري الأندلس (٣) وقصيدته :

أما والنفات الروض عن أذرق النهر وإشراق جيد الفصن في حلية الزهر
قصيدة حافلة وبجلى فيها مذهبه وصنمته وروحه .

فلد ابن خفاجة شاعرنا ابن الممتز في صناعة الشعر وفي كثرة الصور الشعرية في البيت وفي الإكثار من التشبيه وفي العناية بأوصاف الطبيعة وفي كثير من خصائص الشاعرية ومما هو معروف للباحثين والنقاد ، وما يفتننا وندرجه عن الاغاضة فيه .

• • •

ونضيف إلى ذلك كله ما سبق شرحنا له من أن المتن كان يغير على شعر ابن الممتز ومعانيه (٤) ، كما كان ابن وكيع المصري م ٢٩٣ هـ يحتذى حذو ابن الممتز في تشبيهاته وأوصافه . وكذلك كشاجم والسري والوأواء وسواهم من الشعراء . فلتكتشف هذه الإشارة عن الشرح والتحليل ولنتنقل إلى بحث آخر جديد.

(١) ١٩١ بلاغة العرب في الأندلس (٢) ٧١ مقدمة ابن خلدون

(٣) ٣٧٨ و ٣٨٨ : غير الطيب نشر فريد رفاعي

(٤) واجع ١١٤ : ١ البنية

الفصل الثامن

شعر ابن المعتز وأثره في الدراسات البيانية

ابن المعتز أكثر الشعراء الذين يستشهد بشعرهم في دراسة البلاغة والبيان ، وأشعاره وخاصة تشبيهاته لها قيمة كبيرة في هذه الدراسات وقد أكثر من تحليلها وشرحها في إجابة عبد القاهر في الأسرار .

ونحن نعرض أمامك جميع الشواهد من شعر ابن المعتز لتعلم إلى أى مدى كان لشعره هذه المنزلة الكبيرة في الأدب والشعر والبيان .

١ - فبيته :

سألت عليه شعاب الحى حين دعا أنصاره بوجوه كالدنانير
من غاصى الاستعارة ونادرها وقد أفاض عبد القاهر في شرحه وتحليله وتبينه علماء البيان (١) .

٢ - وكذلك من نادر الاستعارة وبديعها قوله :

وأذن الصبح لنا في الأبحار .

، تجيل قد بليت به بكبد الوعد بالحجج

، يتاجى الإخلاف من تحت مطله

فتختصم الآمال واليأس في صدرى (٢)

٣ - ويستشهد ببيته :

يا مسكة المطار وخال وجه النهار

، فظلت تدير الراح أيدى جساآذر

عشاق دنانير الوجوه صلاح

(١) ٥٨ و ٥٩ دلائل الإعجاز ، ٣٩ و ٥٩ حسن التوسل إلى صناعة الوسل ، ٢٩١ الأيضاح
لأفريقي وقد ذكره عبد القاهر في موضع آخر من الدلائل (ص ٧٨) يشير إلى أن بلاغته إنما هي
في ظله (٢) ٦١ الدلائل

على جمال أسلوب الاضافة بعد الاضافة فيه مع أن من شأن هذا الضرب أن

يدخله الاستيلاء (١)

٤ - ويذكر عبد القاهر بيته :

أثمرت أغصان راحته لجنات الحسن عثايا
ومجمله . مثالا لنظرية أن الاستعارة تزداد حسنا كلما زدت ارادتك
التشبيه الخفاء (٢)

٥ - ويذكرون الاستعارة في الفعل في بيته :

جمع الحق لنا في إمام قتل البخل وأحيا السباحا (٣)
٦ - والبيتان :

اسبر على مضض الحسو د قان صبرك فانه
فالنار تأكل نفسها إن لم تجسد ما تأكله
من شواهد تشبيه التمثيل (٤)

٧ - ويذكر عبد القاهر في بحث التشبيه وأثره قول ابن المعتز :

بدلت من يوم كظليل حصاة ليلا كظلل الريح غير موات
وبصور (٥) فضله على قولهم : أيام كآباهم القطا . (٦)
٨ - والبيتان :

ولا زوردية تزهو بزرقها بين الرياض على حر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار في أطراف كبريت

- (١) ٨٢ دلائل ، ٧ الايضاح
(٢) ٤٠ أسرار البلاغة ، ٣٦ حسن التوصل ، ٢١٦ الايضاح
(٣) ١٤٨ الفتح ، ١٢٩ الفتح الايضاح
(٤) ١٠٧ الأسرار
(٥) لبربر :

ويوم كآباهم النطاة مزين إلى صباء غالب لي باطله
وذكر أعراى حبيبة له فقال : ما كانت أيامي معها إلا كآباهم النطاة تصرا (٣٤ أخبار النساء لابن
الطويزة) وبيت ابن المعتز في ديوانه هكذا :
أزلت من لي كظلل حصاة ليلا كظلل الريح وهو موات

من شواهد التشبيه (١)

ويطيل عبد القاهر في شرح بلاغة البيتين وأنهما أبلغ من تشبيه الترجس بمداهن الدر في قوله :

كأن عيون الترجس الغض حولنا مداهن در حشوهن عتيق
للبعد بين طرفي التشبيه (٢) ، وهما في الديوان برواية تختلف قليل عن هذه
الرواية (٣) ، وينسبان لابن الرومي (٤) ، ولأبي المناهية أيضا .
٩ - ومن شواهد التشبيه أيضا قوله :

وكان البرق مصحف قار قانطابا مرة وانفتاحا (٥)
ويشرح عبد القاهر البيت وبلاغته لشدة الالتلاف مع شدة الاختلاف بين
طرفي التشبيه .

١٠ - ومن شواهد التشبيه أيضا قوله :

كأن الثريا في أواخر ليالها تفتح نور أوجام مفصض (٦)
وكذلك قوله :

لجاءت بها في كأسها ذهبية لها حديق لم تتصل بهموم
وهو من دقيق التفصيل في التشبيه ، وكذلك قوله في البازي :
ومقلة تصدقه إذا رمق كأنها ترجسة بلا ورق (٧)
وقوله :

تكتب فيه أيدي المازاج لنا مجات سعار بغير تعريق (٧)

(١) الأسرار ، ١١٠ الايضاح ، ١٤٦ ، الفتاح ، ٥٣ المصباح لابن مالك
(٢) الأسرار ، ١١٠
(٣) ١٥٣ : معاهد النصيب
(٤) الأسرار ، ١٦٤ و ١٦٨ الايضاح ، ١٢١٤ معاهد النصيب
(٥) وما بعدها الأسرار ، وأشار عبد القاهر إلى ذلك مرة أخرى (١٥٩ الأسرار) ،
وعد البيت من غريب التشبيه ومثله عنده في ذلك قوله :
يلفظ يأخذ الحرف الخلل كان سعادته أنصاع شوك (١٣٦ الأسرار)
(٦) الأسرار ، ويشرح عبد القاهر هذا التشبيه في ص ١٤٦ الأسرار أيضا
(٧) راجع ١٤٤ و ١٤٥ الأسرار

ومن التفصيل في التشبيه أيضا قوله :
 والصبح نحت الليل باذ كطرف أشهب ماني الجلال (١)
 وكذلك قوله :
 وحلى أذينة فوق غده ككأس عقيق في قرارها منك
 ، قوله :
 كأن آذونهما والنمس فيها كالبه
 مداهن من ذهب فيها يقايا غالية (٢)
 ومن بليغ شواهد الاستقصاء في التفصيل في التشبيه قوله :
 كأننا وحده الصبح يستعجل الدجى - نظير غرابا ذا قوادم جدور (٣)
 وقوله : والشمس كالرآة في كف الأشل (٤) وهو من التشبيه الذي اقترنت
 فيه هيئة الحركة بغيرها من الأوصاف كالشكل واللون ، واللون ، وهو من التشبيهات
 الغريبة لقلة رؤية العيون له (٥) .
 ١١ - ومن شواهد التشبيه أيضا قوله :
 وقوقد المريح بين نجومها كبنار (٦) في روضة من ترچس (٧)
 وقوله :
 والصبح في طرة ليل مسفر كأنه غرة مهر أشقر (٨)
 وقوله :
 آدم مصقول ظلام الجسم قد سميت جبهة بيجم
 وقوله :

(١) الأسرار ، ١٧٧ ، الإيضاح
 (٢) الأسرار ، ١٨٧ ، الإيضاح
 (٣) الأسرار ، ١٨٤ ، الإيضاح
 (٤) الأسرار ، ١٦٣ و ١٧٦ ، الإيضاح ، ١ : ١٤٤ : معاهد النصيب
 (٥) الأسرار ، ١٦١
 (٦) واحده البهار ، وهو ذئب طيب الرائحة
 (٧) أسرار ، ١٨١
 (٨) المرجع ، ١٨٢

- وأغار ماء كالسلاسل تجرت لترضع أولاد الرياحين والزهر (١)
وقوله :
لدى ترجس غصن وسرو كأنه قدود جوار ملزق أذو غصن (٢)
وقوله :
تسقى بأنمار مفرجات مثل السيوف المتفرجات (٣)
وقوله :
وزراء يصفى فى القناة بكفه نجما ونجما فى القناة بحر
ومثله سواء قوله :
كأنما الحرية فى كفه نجم دجى شيمه البدر (٤)
وقوله :
وحت النعري وجوداوها كمثل زج جدره راج (٥)
وقوله :
نقلت الدجى والفجر قد مد غيطه رداء موشى بالكواكب معلبا
وقوله فى معناه :
والليل كالحلة السوداء لاح به من الصباغ طراذير مرقوم (٦)
وقوله :
وكان الشمس المنتيرة دبنا ر جلته حدائق الضراب (٧)
وقوله يشبه حركة الحجاب بحركة الطائر المقصوص :
ورفعنا خيائنا تضرب الر يح حشا كالجاذف المقصوص (٨)

- (١) ٢٥٠ المرجع
(٢) ١٨٥ أسرار - وهو شبه يقول ابن الروي
على حفاى جدول مسور كمثل من الصارم للشهور
(٣) ١٨٧ الأسرار
(٤) ١٨٦ المرجع
(٥) ١٨٦ المرجع
(٦) ١٩٣ الأسرار ، والبيت الأخير من شواهد الايضاح أيضا (١٧٤ الايضاح)
(٧) ١٩٣ وما بعدها الأسرار
(٨) ١٩١ الأسرار

- ١٣ - ومن شواهد حسن التعليل قوله :
قالوا اشتكت عينه فقلت لهم من كثرة القتل نالها الوصب
حرمتها من دماء من قتل والدم في النصل شاهد عجب (١)
٣ - ومن شواهد الادماج (٢) قوله في الخيري :
قد تفص العاشقون ما صنع الحجر بألوانهم على ورقه
فأدمج الغزل في الوصف (٣)
١٤ - ومن شواهد التليح (٤) قوله :
أترى الجيرة الذين تداعوا عند سير الحبيب وقت الزوال
علسوا أنى مقيم وقلبي راحل فيهم أمام الجبال
مثل صاع العزير في أرحل القوم ولا يدلون ما في الرحال (٥)
١٥ - ومن شواهد التوشيح (٦) قوله :
سقتني في ليل شبيه بشعرها شبيهة بخديها بفسير رقيب
فأزلت في ليلين : شعر وظلة وشمين : من حر وغد حبيب (٧)
١٦ - ومن شواهد التشكيل ويسمى الاحتراس ، وهو أن يلقى في كلام
يوم خلاف المقصود بما يدفعه ، قول ابن المعتز :
صبينا عليها ظالمين سيافنا فطارت بها أبدرأح وأرجل (٨)

(١) ٢٤٤ أسرار ، ٢٤ إيضاح ، ١٦ و ١٧ : معاهد التنصيص
(٢) هو أن يضمن كلام سبقه معنى آخر
(٣) ٢٦٨ الإيضاح ، ٤١ : معاهد التنصيص .
ولم نجد الدولة في الخيري :
كان أوراثة في الفد أجنة صفر وحر وبيش من دنالير
(٤) هو أن يشار إلى قصة أو شعر من غير ذكره
(٥) ٢٩٩ الإيضاح . ونسب التماهي للابيات للبخاز البلدي الشاعر (١٩٠ : ٢ القيمة)
(٦) هو أن يلقى عجز الكلام على مفسر باسمين أحدهما مطلق على الآخر
(٧) ١٤١ الإيضاح ، ونسب صاحب المقدم البيت الثاني للمعتر « ١٣٢ : ٤ » ونسبها التماهي
لبيد الله بن عبد الله بن طاهر « ١٠٥ خاص الخامس »
(٨) ١٤٥ إيضاح ، وعده ابن رشيق من باب المبالغة (٥٢ : ٢ المدة) . ويذكر البيت نفسه في
باب الحشو (٦٥ : ٢ المدة) ، ويقول الحصري : « طائين » أبيض حشو جرى في بيت (٢٦ : ٢ زهر)

١٧ - ومن شواهد الاعتراض قوله :

إن يحيى - لا زال يحيى - صديق
وغلبى من دون هذا الأيام (١)

١٨ - ويذكر بيت ابن المعتز :

فأتم بنو بنته دوننا ونحن بنو عمه المسلم

شاهداً لنوع من الإيغال يسمى الاستظهار ، فقوله « المسلم » ، استظهار ، لأن
الدوليين من بني عم النبي أيضاً أعنى أبا طالب ، ولكنه مات جاهلياً ، فكان
ابن المعتز أشار بحذقه إلى ميراث الخلافة (٢) .

١٩ - ومن شواهد التكرار قوله :

لساق لسرى كتوم كتوم ودعى يحيى نموم نموم (٣)

ومن شواهد التفريع قوله :

كلامه : أخدع من لحظه ووعدك أكذب من طيفه
فبينما هو يصف خداع كلامه خرج فيه ووصف كذب وعده وقوله أيضاً :
حتى إذا صب المزاج تبسمت عن ثغرها لحسبها من ثغره (٤)

ومن شواهد تجاهل العارف قوله :

وسكرت لأدري أمن غمر الهوى أم كأسه أم فيه أم عينيه (٥)

ومن شواهد جمع المؤنث والمختلف قوله (٦) ،

والله ما أدري بكينه صفاته ملك القلوب فأوبقت في أسره
أبوجه أم شعره أم ثغره أم نحره أم ردفه أم خصره ؟

(١) ١٨١ للفصاح (٢) ٥٧ : ٢ المدة ، ٩٩ حسن التوسل

(٣) ٥٧ : ٢ المدة ، ١٠٥ المصباح

(٤) ١٠٩ المصباح ، والبيت الأول في ٤ : ٣٨٥ حاشية السبك إحدى سواشي شروح الفخر

(٥) ٣٨٩ صناعين (٦) ٣٩٤ صناعين

ومن شواهد الاستطراد قوله :

يا ليت لي من جلد وجهك رقعة فأقد منها حافرا للأشهب (١)
وهو من قول أبي تمام :

أيقنت إن لم تثبت أن حافره من صخر تدمر أو من وجه عثمان
وقول البحتري :

ما إن يعاف قذى ولو أوردته يوما خلّاق حمدويه الأحول
وبعد فحصر ابن المعتز ثروة كبيرة في الدراسات البيانية ، وقل أن نجد
لشاعر من الشعراء مثل ما له من كثرة الشاهد في هذا الباب .

الفصل السابع

معارضات ابن المعتز -- أبياته المشهورة -- شعر ينسب له ولغيره

(١)

معارضات :

لابن المعتز قصائد تأثر فيها بالشرعاء قبله أو عارضهم بها ، ونحن نعرض عليك ألوانا من ذلك في هذا البحث .

١ - قصيدة ابن المعتز :

سقى نادر بنهر الكرخ من دار تركت فيها لباناتي وأوطاري
كم فيك يادار من عصر لهُوت به ياليتني لي من عمرى بأعصار
يرون فيها الظباء الأدم سائحة يشهن شرا بأعتاق وأبصار
ثم التفت إلى شبي فذكرني حلى فأبت إلى بأس وإفصار
ثم يصف كلاب الصيد وصفا دقيقا (١) . وهذه القصيدة شبيهة في روحها
وبعض معانيها بقصيدة النابغة :

عوجوا لحياو لنعم دمنة الدار ماذا تحبون من نوى وأحجار؟

٢ - قصيدة ابن المعتز :

حت الفراق بواكر الأحداج وسفك يوم نأوا بكم شاجي
هل غير إمسك بأطراف المني فيها لطالب خلة أورايجي
ومنها :

وإذا المنية أغرت أيامها فالخى من شرك المداوة ناجي
وهي على نمط قصيدة جرير في الحجاج :

هاج المـوى بفؤادك المحتاج فانظر بتوضيح باكر الاحداج (١)
ونتشابه القصيدتان في جزائهما والغراية التي تغلب عليهما وفي روح الشاعرية
ومنهج الشعراء ..

٣ -- قصيدة ابن المعتز :

أمكنت عاذلي من صمت أباه ما زاده النوى شيئاً غير إغراء
وقد عارض بها قصيدة الحسين بن الضحاك :
بدلت من نقحات الورد بالآء (٢) ومن صبوحك در الأبل والشا (٣)

٤ -- قصيدته :

بان الخليط ولم تطلق صبرا ووجدت طعم فراقهم مرا
قالت لأترب خلون بها وبكت قبل دمعها التحرا
ما باله قطع الوصال ولم أطأ الصوارم والقنا السمرا
إلى آخر القصيدة التي يظهر لك فيها بوضوح روح التأثر بعمر بن أبي ربيعة
في نهالكة إلى حد كبير

٥ -- وقصيدته :

شجاك الحى إذ بانوا فدمع العين تمنان
ومنها :
جربنا الأمويين ودناهم كما دانوا
فيها روح التأثر بقصيدة الفند الزماني في حرب البسوس :
صفحتنا عن بنى ذهل وقلنا القوم إخوان
ومنها :
قلنا صرح الشر فأمسى وهو عريان

(١) راجعها في ٢٣ : ١ ديوان جرير

(٢) نمر شجرة يأكله النعام وتسمى السرحة

(٣) راجع ٨٢ : ٢ وما بعدها مختارات البارودي

ولم يبق سوى العدوا ن دناهم كما دانوا
مشينا مشية الليث غدا والليث غضبان
وبعض الحلم عند الجهل للذة إذعان
وفي الشر نجاة حين لا يتجيك إحسان (١)

٦ - قصيدته :

هائيك درام فرج واسأل مقسومة بين الصبا والشمال
ومنها :

ولرب قرن قد تركت مجدلا جزرا لضاربة الذئاب العمل
صدى به والموت يخفر روجه وبرأسه كغم الفتيق الأهول
فيها روح التأثر الواضح بلامية عنبرة المشهورة .

٧ - وقصيدته :

لقد صاح بالبين الحمام الصوداح وهاج لك الشوق الحول الروائع
ومنها :

وقيدما بالتصل خرق كأنه إذا جد لولا ما جنى السيف مازح
على نخط قصيدة لعنتية بن بجر يقول منها :
فقام أبو ضيف كريم كأنه وقد جد من فرط الفكاهة مازح
إلى جذم مال قد تهكتنا سوامه وأعرأحتنا فيه يواق صحاح
الخ ، وتجدهما في الحماسة .

٨ - وقصيدته :

لما ظنت قراقهم لم أرقد وهلكت إن صح التظن أوقد
ومنها :
ما أسرع التفريق إن عزموا غدا لاشك أن غدا قريب الموعد

(١) تجدهما في ١٠ : ١ شرح مختصر ديوان الحماسة

وجرت لنا سحبا جآذر رملة تتلو المها كاللؤلؤ المتبدد
وقد أطلعت لإبر القرون كأنها أخذت المراد من صديق الإجمد
أشياء آتت الحديث غريفة كالشمس لاقتها نجوم الأسعد
واضحة التأثير البعيد بدالية النابغة :

من آل مية رائج أو مقتدى عجلان ذا زاد وغير مزود
والق يقول فيها :

زعم العواذل أن رحلتنا غدا وبذاك تنعاب الغراب الأسود
٩ - وقصيدته :

وقت إلى الكوم الصفايا بمنصلى فصيرتها مجدا لقوى وأحسابا
ومنها :

لجئت على ضوء ورقية غائر أحاذر حراسا غضابا وحجابا
على نخط شعر امرئ القيس ، وفيها غر يقرى الضيف ، وبالبسكور على
الأفراس للصيد وزياارة الأحباب على خوف ورقية غائر ، وبشرب الراح
المتنقة وسماع الغناء الجليل ، وهو النج الذي كان يسير عليه امرؤ القيس
في قصائده .

(٢)

ما ينسب له ولغيره :

وهناك شعر ينسب لابن المعتز ولشعراء آخرين ، فتجد بعض أبيات في ديوان
ابن المعتز وهي مع ذلك تروى لغيره الشعراء ، وسأذكر من ذلك مثلا تويب ما أقول :

١ - يروى لابن المعتز في معنى :

لا يمد الصوت فيه نفور لا ولا يقطعه منه بحر
فهذا قد أسفت حياة طعمها لولا التعال مر
وينسب لابن الرومي ،

٢ — و يروى لابن المعتز :

بلوت أخلاء هذا الزمان فأثقلت بالهجر من نصيب
فكلهم إن تصفحتهم صديق العيان عدو المغيب
والبيتان يرويان للمعتز والد شاعرنا عبد الله (١) .

٣ — والبيتان :

كأنتي عانقت ريحانة تنفست في ليلى البارد
فلو ترانا في قيص الدجى حسبتا في جسد واحد
لابن المعتز ، و يرويان لخالد الكاتب (٢) .

٤ — ولشاعر ويقال لابن المعتز :

رأين الغواني الشيب لاح بفرق فأعرضن عنى بالحدود التواضر
والبيت في البيان والتبيين منسوب للمعتز (٣)

• — و يروى لابن المعتز :

ورازقى عطف الخصور كأنه مخازن البلور
الآيات (٤) ، و تروى لابن الرومي (٥) :

٦ — سقتني في ليلي شبيه بشعرها شبيهة خديها بغير رقيب
فبت ولي ليلان بالشعر والدجى وشسان من نحر ووجه حبيب

يرويان لابن المعتز (٦) ، وينسبان لابن أبي طاهر (٧) ، ولسواء :

٧ — غدير ترجرج أمواجه هبوب الرياح ومر الصبا

هما لابن المعتز وفي ديوانه (٨) ، وقيل هما لابن وكيع في الشمس على الماء (٩) .

(١) ٤٩ المكنى

(٢) ديوان الصبا لابن أبي حجة ، ٢١٧ ترين الاسواق

(٣) ١٣٩ : ٢ البيان (٤) ١٠ فصول التنايل

(٥) ديوان ابن الرومي ، ١٠ : ٢ زهر ، ٣٧ : ٢ ديوان الماني

(٦) راجع : ديوانه ، ٢٢٧ : ١ الأمان ، ١٥ : ٣ زهر .

(٧) ٣٤٤ : ١ ديوان الماني (٨) م ٣٠٠ (٩) ٣٢٣ حنية السكيت .

- ٨ -- وسارية لا تحمل البكا جرى دمعا في حدود الثرى
الآبيات ، وهي لابن المعتز (١) ، وتروى لآبي فراس (٢) .
- ٩ -- تحقن الرجاجة لونها فكأنها في الكف غائمة بغير إناء
لابن المعتز (٣) ، وتنسب لآبي تمام (٤) ، وللبحتري (٥)
- ١٠ -- وممحف عقد الشراب لسانه خديشه بالرمز والإجماء
حركته يدي وقلت له انقب يا فرحة الخطاء والندماء
الآبيات ، وهي لابن المعتز (٦) ، وتنسب لآبي نواس (٧)
- ١١ -- ولا زوردية تزهو بزرقها بين الرياض على حر اليوافيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار في أطراف كبريت
لابن المعتز ، وتنسب لآبي العتاهية ، وتنسب لابن الرومي (٨) أيضا
- ١٢ -- وحيز أوطان الرجال إليهم مآرب قضاها الشياح هنالك
إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم عهود الصبا فيها لحوا لذلك
تنسب لابن المعتز (٩) ، وتنسب لابن الرومي وهي في ديوانه
- ١٣ -- أطال الدهر في بغداد هي رقد يشق المسافر أو يفوز
ظلال بها على كره مقيا كعنين تمنقه مجوز
لابن المعتز (١٠) ، وتنسب لابن الرومي (١١) ،
- ١٤ -- كأن الثريا هودج فوق ناقة
يبحث بها حاد إلى الغرب مزعج

(١) س • دونه (٢) ٣٢٤ الرندانة .
(٣) راجع كتاب فصول القابل وديوانه (٤) س ٣ ديوان أبي تمام
(٥) س • و ١٣٩ النوازة ، وديوان البحتري .
(٦) ٢٠٧ ديوانه ، ٤٩٣ : ١ وراث الأبيات .
(٧) ١٣٥ ديوان أبي نواس (٨) ١٥٣ : ١ معاهد النعيص .
(٩) ٣١٢ المنجل للعالي (١٠) ٣١٩ ديوانه
(١١) ١١١ ديوان ابن الرومي .

- وقد لمحت حق كأن يريقها قوارير فيها ذئبق يترجرج
 لابن المعتز (١). وتنسب لأبي القاسم القيمي (٢) .
- ١٥ - كأن البركة الغناء لما غدت بالماء دفعة تموج
 وقد لاح الضحى مرآة قين قد انصقلت ومقبضها الخليج
 لابن المعتز (٣)، وتنسب لأبي فراس (٤) .
- ١٦ - فليس لهم إلا شرب صافية كأنها دمة من عين مهجور
 لابن المعتز كما في ديوانه، ويروي لأبي نواس (٥) .
- ١٧ - ونحت زناير شددن عقودها زناير أركان معاقدها السرر
 لابن المعتز وينسب لأبي نواس (٦) .
- ١٨ - قالوا اشتكت عينه فقلت لهم من كثرة القتل نالها الرعب
 حرمتها من دماء من قتل والدم في النصل شاهد عجب
 لابن المعتز ويروي لابن الرومي (٧) .
- ١٩ - وجرأ قبل المزج صفراء بده أنت بين ثوبى ترجس وشقائق
 حكمت وجنة المشوق صر فاسلطوا عليها مزاجا فاكست لون عاشق
 فقم واغتم واشرب على كل روضة وفي كل بستان وبين الحدائق
 فما العمر إلا صحة وشيبة وكأس وقرب من حبيب موافق
 ومن عرف الأيام لم يغتر بها وبأدر بالذات قبل العوائق
 لابن المعتز (٨)، والبيتان الأولان برويان لابن دريد (٩) .

- (١) ٣٠٥ ديوانه
 (٢) ٣٠٥ ديوانه، ٣٠٣ حبة السكيت .
 (٣) ٣٠٣ حبة
 (٤) العدد ٤٥ : ٢ زبدات، ٣٣٧ الأدب العباسي لعماد مصطف .
 (٥) ٣٨٧ الأدب العباسي لعماد مصطف .
 (٦) ١٤٣ حبة السكيت .
 (٧) ٤٨ : ١ ثمرات الأوراق، ٧٠ : ١ ديوان الصباية لابن أبي حجلة بهامش تزيين
 الأسواق ط ١٣٢٨، ووفيات الأعيان .

- ٢٠- وكأس كصباح السماء شربتها على قبلة أو موعد بقاء
لابن الممتر كما في ديوانه ، وينسب لابي نواس (١) .
٢١ - وذكر ابن رشيق أبا ناس للعباس بن الاحنف ، وقال إن شيعتنا رواها
لابن الممتر (٢) .

(٣)

آياته المشهورة :

ولابن الممتر آيات كثيرة مشهورة نذكر بعضها :
قال ابن الممتر :

وكان ما كان عما لست أذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر
وهو بيت سائر رائع . .
، فأمامي المر من عمسرى وورائق منه ما طابا
، ويقول :
والصبا بمنلى حاجة وأمللا
، وما خفنا من الناس وهل في الناس إنسان ؟
، حظ مضى ما كثرت أعرف قدره حتى انتهى فعرفته حين انتهى
ومثله قوله أيضا :
عجبا للزمان من حالتيه وبلاء دفعت منه اليه
وب يوم بكيت منه فلما صرت في غيره بكيت عليه (٣)
، أم الكرام قليلة الأولاد

(١) ٨٥ فصول التنايل ، ديوان أبي نواس .

(٢) راجع ٨٩ : ٣ العمدة

(٣) هو من قول إبراهيم بن العباس الصولي :

سفيا ورعيا لأيام لنا سلفت بكيت منها فصرت اليوم أليها
ككذلك أيامنا لا شك نذهبها إذا تلفت ونحن اليوم نشكوها

قالوا جنت بلا شك فقلت لهم
ما زال صرف الزمان يقسمنا
خلقت في شر عصبة خلقت
يلقون ذا الفقر بالقطوب وذا
ويقول :

لنى غريب بدار لا كرام بها
أخذت من شبابى الأيام
إن المكروه لذعة شر
والتيبىخ فى لذاته
إن الزمان إذا جربت خلقت
ويقول فى المشيب :

نور الرؤوس واللى
ويقول : قد ملئ الزمان بالمعائب
وظللة القلوب
وارتفع المنم فوق الغارب
عذ بالسكفاء عن رجاء كاذب

إذا كنت فى ثروة من غنى
وحدثنى يا سعد عنهم فردنى
رب أمر تقيسه
غنى المحبوب منه
فأترك الدهر وسيله
ويقول :

وللدهر أيام تسمى عوامدا
وحدثنى يا سعد عنها فردنى
إن الزمان على الكرام لثم
ويقول :

مق يدرك الإحسان من لم تكن له
إلى طلب الإحسان نفس تنازع

الفصل العاشر

مقطوعات وقصائد لابن المعتز

ليست في ديوانه المطبوع في مصر وبغروت

ورد لابن المعتز :

أشكو إلى الله هوى شادن أصبح في هجري ممدورا
إن جاء في الليل تجلى وإن جاء صباحا زاده نورا
فكيف احتمال إذا زارني حتى يكون الأمر مستورا (١)

وقال (٢)

الآن زاد على عشر بواحدة من بعد أخرى وشاب الحب بالندع
وجاوب اللحظ منه لحظ عاشقه وجبر الوعد بين الياس والطمع

وقال (٣) :

إذا ما جمعت الحب قالت عواذلي فالك تبكي ؟ دمع عينيك أصدق
شقيت - كن يثقي - بريم أحبه على وجه نور من الحسن بشرق

وقال (٤) :

قالت : بليت ، بحق جسمي أن يبلى ، وهل أبقى من جسمي ؟
إن الرسول أشاع قولك لي إياك أن تزداد من علم
وقال يرثي أباه من قصيدة طويلة في ديوانه المخطوط :

(١) ٢٢٩ الأوراق تسم أثمار أولاد الخلفاء .

(٢) ٢٣١ الرجيع .

(٣) ٢٣٥ .

(٤) ٢٤٢ .

رب حنق بين أثناء الأمل وحياة المرء ظل ينتقل
 ابن من يسلم من صرف الردى حكم الموت علينا فعدل
 وكأنا لا نرى ما قد نرى وخطوب الدهر فينا تتصل
 إن للكامل في ذا حفرة سوف أبكيه بأطراف الأسفل
 ونرى القتل بقاء ثانيا ونرى الموت قبيحا بالرجل
 إن يكن غضبه أعداؤه بدم قالدن حناء البطل
 ولقد خلف من بعدهم لهم وصل الأعادى أى صل
 فرويدا بظلام صبحه قهر الأيام والدهر ديل
 إن مفتاح الذى تطلبه بيد المقدور فاصبر وانتك
 فرغ الله من الرزق ومن مدة العمر ومن وقت الأجل

وقال يرثيه أيضا من قصيدة طويلة في ديوانه المخطوط :

نبيه السيف على واثبه حي الجمل ومات الررار
 لو به أقتل كل قريب ويبيد لم ينم لي نار
 مغلته النصل متى سن لم تطل بي غطاها قصار
 وقال يصف أرضه أكلت له كتابا :

نقنى أنا ييب لها فيها سبيل مثل العروق لا ترى فيها خلل
 وهو مقلوب قول ابن الرومي يهجو مغنية :

فإذا غنت ترى في حلقها كل عرق مثل بيت الأرضة (١)
 وكتب إلى أبي الطيب القاسم بن محمد النخري :

يا أيها الجاني ويستجنى ليس تحنيك من الظرف
 إنك في الشوق إلينا كن يؤمن بالله على حرف
 عورت آثارك من ودنا غير أساطيرك في الصحف
 فلن تحاملت لنا ذورة يوما تحاملت على ضعف

(١) ١١١ : و ٢ : ١١٢ زهر — ويتبين العثر من قصيدة طويلة في الأوراق تسم أشعار أولاد الحناء وسأأتى بعضها .

وهو على قول أبي نواس :

صحت علائقي له وأرى دين الضمير له على حرف (١)
وقال في القاسم بن عبيد الله لما عرض ليخلف أباه :

قد سلم ما أراه أم فلك به رى بما شاء قاسم ويشير
خاشع في يديه يلتم قرطاً سا كلاً قبل البساط شكور
ولطيف المعنى جليل تحيف وكبير الأفعال وهو صغير
كم منايا وكم عطايا وكم حذ ف وعيش تضم تلك السطور
نقشت بالدجى نهارة فما أد رى أشط فيهن أو تصوير
وكذا من أبوه مثل عبيد الله ينمى إلى العلا ويصير
عظمت منه الإله عليه فهناك الوزير وهو الوزير (٢)

وقال :

لا شيء يسلى همى سوى قدح تدى عليه أوداج إربق

في يوم غيم ترجى سحابه برق ابتسام ورعد تصفيق (٣)

وكان أحمد بن سعيد يؤديه فتحمل البلاذرى على قبيحة أم المعتز يقوم سألوها
أن تأذن له أن يدخل إلى ابن المعتز وقتاً من النهار فأجابته أو كادت تجيب ، قال
ابن سعيد : فلما اتصل الخبر بي جلست في منزلي غضبان لما بلغني عنها ، وكتب إلى
ابن المعتز وله ثلاث عشرة سنة :

أصبحت يا ابن سعيد خذلن مكرمة عنها يقصر من يحق ويقتل
سربلتني حكمة قد هذبت شيمى وأججت نار ذهني فهي تقتل
أكون إن شئت قسا في خطابه أو حارثاً (٤) وهو يوم الحفل مرتجل
وإن أشأ فكزيد (٥) في فراخه أو مثل نيمان (٦) لما خافت الحيل
أو الخليل عروضياً أخا فطن أو الكسائي نحوياً له عائل
تعلو بداهة ذهني في مراكبها كثل ما عرفت أبائي الأول

(١) ولجج ١٢٩ و ١٣٠ زهر ٢ : ١٤٤ (٢) زهر ٢ : ١٤٤

(٣) ١٦٤ زهر ٢

(٤) هو الحرث بن حنظلة البكري الشاعر الجاهلي ومن أصحاب اعتقات .

(٥) زيد بن ثابت الأنصاري كاتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٦) هو أبو حنيفة م سنة ١٥٠ هـ .

وفى فى صارم ماسله أحد من غمده فدرى مالعيش والجذل
عقبك شكر طويل لانفاد له ببقى بجمده ماأطت الإيل (١)
وقال فى القاسم بن عبيد الله :

إذا ما مدحناه استعنا بفعله فتأخذ معنى قولنا من فماله (٢)
وقال :

وغنت فأغنت عن المسمعين وارنج بالطرب المجالس
عاشها نزهة للعيون ومعرضها كل ماتليس
أخذه كشاجم فقال :

كل اللباس عليها معرض حسن وكل ماتتفى فهو مقترح (٣)
وقال وذكر المرأة :

فبيئنى لى كذا رمت نظرة وناصحتى من دون كل صديق
يقابلنى منك الذى لاعدمته باجة ماء وهو غير غريق (٤)
وقال يرثى عبيد الله بن سليمان بن وهب :

يا ابن وهب بالكره منى بقيت عجبى يوم مت كيف حيث
إنما طيبك الشاء الذى خلفت لا مسك نعتك المفتوت
واختصرت الطريق بمدك النوات فلاقته ولدت أفوت
كيف يبقى على الحوادث حتى بيد الدهر عوده منحوت (٥)
وقال يرثيه أيضاً « والبيتان فى الديوان » .

(١) ٢٦٧ : ٢ زهر ، ١٣٢ : ١ مجمع الأدباء نشر مرجليوت .

(٢) ٢٧٦ : ٢ زهر .

(٣) ٣ : ٣٠ زهر .

(٤) ٣ : ٣٢ زهر .

(٥) ٨٥ و ٨٦ : ٣ زهر .

ذكرت عبيد الله والتراب دونه فلم تحبس العينان متى بكاهما
وحاشاه من قول سقى العيث قبره بداه تروى قبره من ندامها
وهذا مأخوذ من قول أبي تمام :

وكيف احتال للسحاب صديعة وقال يرثي أبا الحسين بن نوبة :

ليس شيء لصحة ودوام غلب الدهر حيلة الأقوام
وتولى أبو الحسين حميدا فعلى روحه سلام السلام
حين عاقده على الحفظ للعهد وصالحته بكف الزمام
وامطفته دون الأخلاء نفس كاصطفاء الأرواح للأجسام
كان ربحانة الندامى وميزا ن القوافي شعرا وبجر كلام
ومكان الوم الذي لا يرى الله لك ولا يستقيث بالآوهام
سامر الوحى فى القراميس لانه بس عنسه أعتة الأقلام
فإذا ما رأته غلت فى خديده به صبحاً منقياً بظلام
نفس صبرا لا تجزعى إن هذا خلق من خلأئى الأيام (٢)

وقال يهجو على بن يسام (٣)

من شاء يهجو عليا فشمعه قد كفاء
لو أنه لا يسه ما كان يهجو أباه (٤)

وقال :

فما تنفع الآداب والعلم والحجى وصاحبها عند السكال يموت
كما مات لقمان الحكيم وغيره فكلهم تحت التراب صموت (٥)
وقال فى الليلة التى قتل فى صبيحتها :

(١) ٨٦ : ٣ زهر .

(٢) ٨٨ : ٣ .

(٣) شاعر مجهول مجيد تولى سنة ٢٠٣ هـ .

(٤) ٩٠ : ٣ زهر وهما فى الفريوان .

(٥) ٩٧ و ٩٨ : ١٠ تاريخ بغداد .

يا نفس صبرا لعل الخير عقباك خاتك من بعد طول الأمن دنياك
مرت بنا سحرا طير فقلت لها طوباك يا ليتني إياك ، طوباك
لكن هو الدهر فالقيه على حذر قرب مثلك تنزو بين أشراك
إن كان قصدك شرقا فالسلام على

شاطئ الصراء (١) البلى إن كان مسراك
من موتى بالمتايا لا فكاك له يبكى الدماء على إلف له باكي
قرب آمنة حانت منبتها ورب مفلة من بين أشراك
أظنه آخر الأيام من حمري وأوشك اليوم أن يبكي لي الباكي (٢)
وقال حين قله :

وقل للشامتين بنا رويدا أمامكم المصائب والحطوب
هو الدهر الذي لا بد من أن يكون إليكم منه ذنوب (٣)
وقال :

سقى لظل زمانى ودهرى المحمود
ولى كلية وصل قدام يوم صدد (٤)
وقال ابن المعتز :

ولقد وطئت الغيث بعملى طرف كلون الصبح حين وفد
جماع أطراف الصوار فالأخرى عليه إذا جرى بأشد
يمشى فيعرض في العنان كما صدف المعشق ذو الدلال وصد
فكأنه موج يذوب إذا أطلقته فإذا حبت جد (٥)
وقال :

وفتيان سرورا والليل داج وضوء الصبح منهم الطلوع

(١) كان فيها دار ابن المعتز (تاريخ بغداد) .

(٢) ٩٨ و ١٠٠ : ١٠٠ تاريخ بغداد .

(٣) ١٠٠ : ١٠٠ تاريخ بغداد .

(٤) ٢٢٦ الأوراق قسم أشعار أولاد الحقاء .

(٥) ٢٢٠ : ١ زهر الأدب لمر الدكتور مبارك ، الطبعة الثانية

كأن بزاتهم أمراء جيش على أكتافهم صدأ الدروع (١)
وقال :

وفادر من الدهر عضبا مهتداً بفل شبا خصى وقلبا مشيعا (٢)
ورأيا كرامة الصناح أرى به سرائر غيب الدهر من حيث ما هي (٣)
أخذه (٤) من قول المنصور لابنه المهدي : لا تبرأ من أمرا حتى تفكر فيه فإن
فكر العاقل مرآته ، يريه قبجه وحسنه .
ولما (٥) دفن المنصور وقف الربيع على قبره فقال :

رحمك الله يا أمير المؤمنين ، وغفر لك ، فقد كان لك حى من العقول ، لا يطير
به الجمل ، وكنت ترى باطن الأمر بمرآة من الراى ، كما ترى ظاهره .

وقال :

ولجسة للنايا خضت عمرتها بصارم ذكر صمصامة خذم
وقارح صبغ الخيلان دمهته بسبهة كاختلاط الصبح بالظلم (٦)
وقال :

أنت رقطاء لا ينجو لرقبتها لو قدعا السيف لم يلقى به بلل
تلقى إذا نسلخت في الأرض جلدها كأنها كم درع قد بطل (٧)
وقال ابن المعتز يمدح الشراب في الصحو ويذمه في المطر :
أنا لا أشتى سماء كبطن الـ مير والشرب تحتها في غراب
بين سقف قد صار متخل ماء وجسد ملقى وتل تراب

(١) ٢١٩ : ١ زهر الآداب

(٢) ٥١ ديوان ابن المعتز مطبع بيروت ، ص ٢٢٢ : ١ زهر الآداب .

(٣) ١ : ٢٢٢ زهر الآداب وليس هذا البيت في ديوانه .

(٤) ٢٢٣ : ١ زهر الآداب .

(٥) ٣٣٣ : ١ زهر .

(٦) ٢٢٢ : ١ زهر .

(٧) ٢٢٢ : ١ زهر .

وبيوت يوقع الوكف فيهن
لأنما أشتبهى الصبوح على وجه
ونسيم من العبا يمشي
وكان الشمس المضيئة دينا
في غداة وكأسها مثل شمس
أو عروس قد ضمنت بخلق
وغناء لا عذر للعود فيه
ونشاط القلان إن عرضت ما
وجفاف الرمان والرجس القطن
ذاك يوم أراه غنا وحظا
وقال :
كم فرصة ذهبت فسادت غصة
وقال :
لئن للكره لدعة شر
وقال يصف شرابا :
كان أباريق اللجين لديهم
وقد شربوا حتى كان رؤوسهم
البيت الأول من قول علقمة بن عبدة :
كان إربيقهم ظبي على شرف
أراد : بسباب ، لحذف .
والثاني من قول أبي نواس :
كان أرقسهم والتوم واضعها
على المناكب لم تخلق بأعناق (١)
على إيقاعه بنسب صواب
هـ سماء مصقولة الجلباب
فوق روض ند جديد الشباب
رجلته حسدائد الضراب
طلعت في ملأه من شراب
فهي صفراء في قيص حباب
بتندى الأوتار والمضرب
جاننا في مجيئهم والذهاب
بأيدي الخيلان والأصحاب
من عطاء المهيمن الوهاب (١)

(١) ٢٤٢ : ١ زمر الآداب .

(٢) ٢٥٨ : ١ » » » » .

(٣) ٢٨٣ : ١ » » » » .

(٤) راجع ٢٨٩ : ١ زمر .

وقال :

كم من أخ لي لم يلد له والد وابن قربي كان هما ووجل
وقال :

ألا فاستقياني والظلام مقومض

ونجم الدجى تحت المغارب يركض

كان الثريا في أواخر ليلا تفتح نور أوجها مفضض (١)
وقال يمدح الخنصاب فأحسن :

وقالوا التصول مثيب جديد فقلت الخنصاب شباب جديد
إسادة ذا يا أحسان ذا فإن عاد ذا فهذا يعود (٢)
وقال (٣) :

سقتني في ليل شبيه بشعرها شبيهة بخديها بغير رقيب
فأمسيت في ليالي بالشعر والدجى وشمين من غمر وغد حبيب
وهو شبيه بقول مسلم :

أجذك ما تدبرين أن رب ليلة كان دجاها من قرونك ينشر
وقال :

أراجعتي فذاك بأعرجي كقندح النبع في الریش اللوام
بأدم كالظلام أغر يجلو بغرته دياجير الظلام
ترى أحجائه يصعدن فيه صمود البرق في جو الغمام (٤)
وقال من أبيات :

وسكرت لا أدري أمن غمر (٥) الهوى أم كاسه أم فيه أم عينيه (٦)
وقال :

(١) ٢٠ : ٢ زهر .

(٢) ١١٠ : ١ أمال طيبة ١٩٢٦ .

(٣) ٢٢٧ : ١ أمال . ويروى : وغرين من راح وشده حبيب ، ١٥ : ٣ زهر ، وراجع شعراً
لبعض الشعراء في هذا المعنى في ١٥ : ٣ زهر الآداب .

(٤) ٢٦ : ٢ زهر .

(٥) رواية ديوان الماتى : سكر الهوى .

(٦) ٢٤٣ : ١ الأوراق ، ٢٢٧ : ١ ديوان الماتى ط ١٣٥٢ هـ .

أشرف على خوف بأغصان فضة مقومة أطرافه عقيق
سلاما كإسراء الندى تحت ليله أتى حيث لم يرصد عليه طريق
وشكوى لو أن الدمع لم يطاف حرها تولد منها بينهن حريق
بني عشا إنا فريق على العدى نقل شياهم والآنم فريق
فلا تاهبوا نار المدادة بيننا فليس سواكم في قريش صديق (١)
وقال (٢) :

لمنى على دهر الصبا القصير وغصته ذى الورق النضير
وسكره وذنبه المغفور ومرح القلوب فى الصدور
وطول حبل الأمل المجرور فى ظل عيش ناعم غرير
قد أغتدى بين الدجى والنور نمرح فى الأطلواق والسيور
وقال (٣) :

غدوت فى ثوب من الليل خلقي بطارح النظرة فى كل ألقى
ذى مفسر ألقى إذا شك خرق ومقلة تصدقه إذا روى
• كأنها نرجسة بلا ورق •

وقال :

غلالة خسده صيغت بورد ونون الصدغ معجزة بخال (٤)
وقال برقي المتعبد :

فضوا ما قضا من أمرهم ثم قدموا إماما إمام الحق بين يديه
فصلوا عليه خاشعين كأنهم صفوف قيام للسلام عليه (٥)

(١) ٢٧٦ الأوراق وديوانه المخطوط .

(٢) ٢١٣ .

(٣) ٢١٨ الأوراق .

(٤) ١٠٠ : ٣ زهر ، نثر البيت بين الكتاب فقال : أجمعت يد الجبال نون صدغه بخال
١٠٠ : ٣ زهر ، والبيت فى الديوان من ٢٤٣ طبعة بيروت . وروى ديوان بدل : معجزة
١٦٠ : ٣ زهر .

(٥) ١٩٩ : ١ زهر .

وقال يرثيه :

قالت شريرة ما لجفتك ساهراً
ما قد رأيت من الزمان أحل بي
يا قمص صبرا للزمان وريبه
إن الذي سار الفضائل كلها
أما السيوف فن صنائع بأسه
وكان أحداث الزمان عبيده
يقظان من سنة المضيق قلبه
يرعى الضعاف قبل ساعة فرصة
كم فرصة تركت فصارت غصة
ولرب كيد ظل يسجد بعدها
وهي المنايا إن رمين بنبلها
فه ذك أي ليث كتيبة
ولقد صهرت ولا حرمت معاند

قلقاً وقد هدأت عيون النوم
هذا وتحت الصدر مالم تعلو
فهر الملى بما كرهت فسلى
هو ذاك في قمر الضريح المظلم
لولا لم يروين من سفك الدم
فني يؤخرهن لا تتقدم
ومعول للمعول المتظلم
فإذا رآها أمكت لم يحجم
تسجي بطول تلف وتندم
في بشر وجهه مطلق متجهم
يرمين في نفس الأجل الأعظم
والخيل تمر بالفنا المتحطم
حرم ولا الإسلام بالمستسلم (١)

وقال للمتصد بعزبه يابته هرون :

يا ناصر الدين إذا هدت قواعد
وقائد الخيل مذ شدت مآزره
كأنن قنا ليست لها عقد
قب كلى ثياب القصر مضمرة
وسائس الملك يرعاه ويكأؤه
تحوى أنامله الدنيا لصاحبها
كالسهم ييممه الرامي بصفحته
لا يشكى الدهر إن خطب ألم به
صبرا فدنياك إن الصبر عادتنا

وأصدق الناس في يؤس وإنعام
مذلات بإسراج وإلجام
بهزها الزجر في كر وإقدام
تقرب النار بين البيض والحام
إذا علا الغمض في أجفان نوام
ونصله من عداء قاطر دامي
يلقى الردى دونه والفوق للرامي
إلا إلى صعدة أوحد صمام
وإن طوبنا على حزن وتنبام

كما حثت عن برد ماء طريدة تمد إليه جيدها وهي تعرف (١)
وقال :

وما زلت منذدت يدي عقد مشزري غشاي عن الغير افتقاري إلى نفسي
ودل على الحد بجنى وعفتي كادل لإشراق النهار على الشمس (٢)
وقال :

سعى إلى الدن بالميزال ينقره ساق توشح بالمتديل حين وثب
لما وجعها بدت صفراء صافية كأنما قد سير من أدبم ذهب (٣)
وقال :

ليست صفرة فكك فنتت من أعين قد رأيتها وعقول
مثل شمس الغروب تسحب ذبلا صبغته برعفران الأصيل (٤)
وقال :

دعني إلى (داعي) الصبا ربة الحندر وأنت قناع الحز عن وضع الثغر
وقالت وماء العين يخطط كظها بصفرة ماء الوعفران على الثغر
لمن تطلب الدنيا إذا كنت قابضا عنا لك عن ذات الوشاحين والشدو
أراك جعلت الشيب للهجر علة كأن هلال الشهر ليس من الشهر (٥)
وقال :

يا من كلفت بحبه كلني بكاسات العقار
وحياة مافي وجنتيبك من الشقائق والبهار
وولوع ودفك بالترجرج تحت خصرك في الإزار
ما إن رأيت لحسن وجهك في البرية من نجار

(١) ٣١ و ٣٢ : ٤ زمر .

(٢) ٣٢ : ٤ زمر .

(٣) ٣٢ : ٤ زمر .

(٤) ٤١ : ٤ زمر .

لما رأيت الشيب من وجهي بما يحكي الحمار
قالت ذهبت بحجتي عني بحسن الاعتذار
يا هذه أرايت لي لامت خلقت بلا نهار (١)

وقال ، وقد كتب أبو أحمد بن المنجم إلى أخيه أبي القاسم رقة يدعو فيه
فتلظ الرسول فأعطاهما لابن المعتز فقرأها وعلم أنها ليست له فقلها وكتب :
دعاني الرسول ولم تدعني ولكن لعل أبو القاسم (٢)
وقال (٣) :

ومن عجب اللذات يوم سرقة من الدهر لم يعلم به الدهر سالف
غدونا ولما ترتق الشمس في أفقها تسيل بنا قود الجياد الزواحف
تثقب رياضا - قد تنفط نورها وبلاها دمع من المزن ذارف
كان عباب المسك بين بقاعها تفتحها أيدي الرياح الاطائف
وقال (٤) :

يا رب ليلى ضاع مني كوكبه مشتبه مشرقه ومغربه
قد اكتسى برد الشباب غميه والبرق في حافاته يشبه
كأنه والمزن صاف هيديه لايمة ثوب حداد تسجيه
وقام فيه رعدة يؤنيه وقارح تركبه أو نجنيه
يكاد لولا اسم الإله يصحبه تأكله عيونهم وتشربه
أضيق شيء سوطه إذ تركبه يعطيك من ورائه ما يكسبه
وقال في بستانه (٥) :

له ما ضيعته من الشجر أطفال غرس ترنجي وتنتظر
ومعجيات من يقول وزهر مصفرة قد هربت على صفر

(١) ٤١ و ٤٢ : ٤ زهر

(٢) ٩٧ : ١٠ تاريخ بغداد طبعة سنة ١٩٣١ .

(٣) ٢١٧ الأوراق .

(٤) ٢٤٦ الأوراق ، وديوانه المخطوط .

(٥) ٢٦١ الأوراق .

في بقعة لاسقيت صوب المطر حافلة لنيتها حلق الشعر
خيمرها نار وإن لم تستمر كم أكلت غبراؤها من الحضر
وقال (١) :

أفنى عنك حانت كبرة ومشيت أما للفقى والحق منك نصيب
أيا من له في باطن الأرض منزل أنانس في الدنيا وأنت غريب
وقال (٢) :

قد ملئ الزمان بالمعاجيب وارتفع المنسم فوق الغارب
عذ بالكاف من رجا كاذب واقعد فقد أعزرت في المطالب
وقال يصف أرضة أكلت كتابا له :

لم أبك ربعا مقفرا ولا طلل ولا شباها حان منه مرتحل
ولا حبيبا قطع الرصل ومل لكن لعظم حادث بي قد نزل
كنت امرأ عن الأنام معتزل على ستر دون دمي منسدل
على الذي يملك رزق متسل لا راجيا لمطفة من الدول
شغلي إذا ما كان للناس شغل دفتر فقه أو حديث أو غزل
فدب فيهن ديبا قد أكل عصا سايجان فظل منجدل
يا كل أثمار العقول لا أكل وصير الكشب سحيقا منسجل (٣)
وقال (٤) في النخل :

أعددت للجار وللمغاة كوم الأعلى مقساميات
تسقى بأنهار مفجرات على حصا الكافور فائضات
تظل فيها الطير ناعمات على النصوص متجاوزات
حتى إذا صرن إلى ميقات رحن من الجوهر موقرات

(١) ٢٨٠ الأوراق .

(٢) ٢٨١ " .

(٣) ٢٦٦ الأوراق وديوانه المخطوط .

(٤) ٢٦٧ " " " .

بالذهب الرطب مكالات وباليوانيت منسوجات
وقال :

كلامه أخدع من لحظه ووعده أكذب من طيفه (١)
وقال :

لا تعاتب إذا هو ت ولا تذكر المال (٢)

(١) ٢٢٥ الأوراق .

(٢) ٢٣٦ المرجع .

أرجوزة ابن المعتز في دم الصبوح

لى صاحب قد لامنى وزادا فى تركى الصبوح (١) ثم عاذا
وقال ألا تشرى بالنهار وفى ضياء الفجر والأسحار
إذا وشى بالليل صبح فافتضح وذكر الطائر شجرا فصدح (٢)
والنجم فى حوض الغروب وارد والفجر فى أثر الظلام طارد
وتفص الليل على الورد الندى وحركت أغصانه ريح الصبا
وقد بدت فوق الهلال كرمه كرامة (٣) الأسود شابت لحيته
فتور الدار ببعض نوره والليل قد أزيح من ستوره
وقدت (٤) النجرة الظلاما تحسبها فى ليلها إذا ما
تنفس الصبح ولما يستعل بين التجرم مثل فرق مكتهل (٥)
وقال : شرب الليل قد أذانا وطمس العقول والأذهانا
وشكت الجن إلى إبليس لأنهم فى أحقيق الحبوس
أما ترى البستان كيف نورا ونثر المنيثور زهرا (٦) أصفرا
وحضك الورد إلى (٧) الشقائق واعتنق القطر اعتناق الوامق (٨)
فى روضة كحلة العروس وغرم كهامة الطاووس (٩)
وباسمين فى ذرى الأغصان منتظما كقطع العقيان
والسرو مثل قطع الزبرجد قد استمد الماء من ترب ندى
على رياض وثرى ندى وجدول كالبرد الحلى

(١) الشرب فى الصباح

(٢) الشجو : الحزن ، صدح : غرد ؛ والمنى : لانتعرب حين ظهور ضوء الصباح فى القبل-

(٣) الهامة : الرأس

(٤) أى شقت

(٥) تنفس : ظهر . يستعل مخففة من يستعل ، الفرق : وسط الرأس

(٦) زهرا : رواية زهر الآداب (٢٤١ : ٢) ورواية الديوان : « بزدا »

(٧) هذه رواية الزهر ، ورواية الديوان : « على »

(٨) الشاقق

(٩) الحلة : الثياب ، الهامة : الرأس . الحرم : نوع من الزهور

وفرّج (١) الحنّاش جيباً وفق كأنه مصاحف بيض الورق
حتى إذا ما انتشرت أوراقه وكاد أن يرى إلينا ساقه
صار كأفداح من البلور كأنما تجسّمت من نور
وبعضه عريان من أثوابه قد خجل الأعين من صحابه
تبصره بعد انتشار الورد مثل الدبابيس بأيدي الجند
والسوسن الأبيض منشور الحلال كقطن قد مسه بعض الجبال
نور في حاشيتي بستانه ودخل البستان في ضلّاته
وقد بدت فيه ثمار الكنكر (٢) كأنها جماجم (٣) من عنبر
وحلق البهار (٤) فوق الآس جمجمة كهامة الشمس
خلال شبح (٥) مثل شيب النصف وجوهر من زهر مختلف
وجلائل (٦) كاحمرار الحند أو مثل أعراف ديوك الهند
والأفحوان كاللثابا النمر قد عقلت أنوارها بالقطر (٧)

• • •

قل لي أهذا أحسن بالليل وبلى بما تشتهي وعولى (٨)
وأكثر الفصول والأوصاف فقلت قد جئتك الخلافا
بت عتدنا حتى إذا أصبح سفر كأنه جدول ماء متفجر
قنا إلى زاد لنا معد وقهوة (٩) صراعة للجلد

- (١) هذه رواية الزهر (٢٤١ : ٢) ، ورواية الديوان : وفرّج
(٢) نوع من الثمار
(٣) ورواية الديوان جأثم وهي تعريف
(٤) البهار : نبات طيب الرائحة
(٥) هذه رواية الزهر ، ورواية الديوان جبال لدج
(٦) زهر الرمان ورواية الديوان مثل حجر الحند
(٧) الأفحوان : نبات له زهر أبيض ووسطه أصفر ، الثابا : مدمم الأسنان في الفم والنمر : البيض
الأنوار : الأزهار
(٨) العولى : الشدة
(٩) الحمر

كأنما حياها (١) المنشور كواكب في فلك تدور
ولا تقل لقد ألفت منزلي ففسد القول بعذر مشكل

• • •

فقال هذا أول الجنون متى نوى الضرب بوادي النون (٢)
دعوتكم إلى الصبح ثم لا أكون فيه إذ أجبتكم أولا
لي حاجة لا يد من قضائها ففسخ النفس من غشائها
ثم أجي والصبح في عنان من قبل أن يبدأ بالأذن
ثم مضى يوعد بالكور وهو رأس فرج مسرور
فقتلته منه غائفا مرثعا وقلت ناموا ويحك سراعا
ونحن نصغي السمع نحو الباب فلم نجد حسا من الكذاب
حتى تبدت حمرة الصباح وأوجع الندمان سوط الراح
وقامت الشمس على الزقوس وملك السكر على النفوس
جاء بوجه بارد التيم مفتضح لما جنى مذمم
يمر وسط الدار من حياته ويكشف الأهذاب من ورائه
تطمط (٣) القوم به حتى بدر وافتتح القول بعي وحصر
لأخذ العين من الرقاد حفا إلى تغلية المنادي
فسحت جنوننا المضاجعا ولم أكن للنوم قبل طائعا
نمنا قننا والظلام مطرق والعابر في أوكارها لا تنطق
وقد تبدى التجم في سواده كحلة الراهب في حداده (٤)
وقال يا قوم اسمعوا كلامي لا تسرعوا ظلماً إلى ملاهي
لجائنا بقصة كذابة لم يفتح القلب لها أبوابه

(١) الفناجيع التي تظهر دونها

(٢) النون : الموت

(٣) تطمطوا : خجوا وأجابوا ، بدر : أسرع ، العي والمصر : الكفة وعدم التدور على الكلام

(٤) الحداد : لبس السواد

كعذر المنين (١) يوم السابع إلى عروس ذات حظ ضائع
قال اشربوا فقلت قد شربنا أبتنا ونحن قد سكرنا
فلم يزل من شأنه منفردا يرفع بالكأس إلى فيه يدا
والقوم من مستيقظ نشوان أو غارق في نومه وستان
كأنه آخر غيل الحلب له من السواس ألف ضربه
مجتهدا كأنه قد أفلح يطلع في آثارها مفتحا

• • •

فاسمع فإني للصباح عائب عتدي من أخباره العجائب
إذا أردت الشرب عند الفجر والنجم في لجة ليل يسرى
وكان برد بالنسيم يرتعد وريقه على الثنايا قد جدد
وللغلام شجرة وهمهمه وشتمه في صدره بحججة (٢)
يمشى بلا رجل من النعاس ويدفق الكأس على الجلاس
ويعلن المولى إذا دعاه ووجهه إن جاء في قفاه
وإن أحس من تديم صوتنا قال عجيباً : طعنة وموتنا
وإن لم يكن للقوم ساق يمشق لجفنه بجفنه مـديق
ورأسه كمثل فرق قد مطر وصدغه كالصولجان (٣) المتكسر
أعجل عن مساوكة وزبته وهيئة تنظر (٤) حسن صورته
لجاءم بفسوة اللحاف محولة في الثوب والأعطاف
كأنما عض على دماغ متهم الانفاس والأرماغ
فإن طردت الكأس بالسنور (٥) وجشت بالسكانون والسمور

(١) هو من لآيى النساء مجزا ، وف الحيوان ، ففتر العين ونسر «عذر» بمعنى اتخذ طعام
السرور ، وهو كنه خطأ وتحريف

(٢) أى غير ظاهرة

(٣) الصدغ ما بين الأذن والعين ، الصولجان : الساس المتعطف الرأس

(٤) أى تكون نظيراً لها

(٥) لبوس كالفرع

غأى فعدل للصبح يعرف على الغبوق والظلام مسدوف
يحس من رياحه الثبائل صوارما ترسب في المفاصيل

* * *

وقد نسيت شرر الكانون كأنه تشار باسمين
يرى به الجر إلى الأحقاد فإن وقى قرطس في الآفاق
وترك الثياط بعد الحد ذا نقط سود كجلد الفهد
وقطع المجلس في اكتئاب وذكر (١) حرق النار للثياب
ولم يزل للقوم شغلا شاعلا وأصبحت جبايهم متاخلا
حتى إذا ما ارتفعت شمس الضحى قيل فلان وفلان قد أتى
وربما كان تقييلا بمحتشم فطول الكلام حينما وجشم (٢)
ورفع الريحان والنبذ وزال عنا عيشنا اللذيذ

* * *

ولست في طول النهار آمنا من حادث لم يك قبل كائنا
أو خبر يكره أو كتاب يقطع طيب الهم والشراب

* * *

فاسمع إلى مثاب الصبح في الصيف قبل العاطر الصدوح
حين حلا النوم وطاب المضجع وانحسر الليل ولد المجهج
وانهزم البق وكن رنما على الدماء واردات شرطا
من بعد ما قد أكلوا الأجسادا وطيروا عن الورى الرقادا
فقرب الزاد إلى نيام ألسنهم تقييلا الكلام
من بعد أن دب عليه النمل وحية تقذف سما صل

(١) معطوف على « شرر » السابقة أو على اكتئاب
(٢) جمع ، تكلف على كره

وعقرب عـ دودة قتاله وجعل (١) وفارة براله
والنقى عارض في حلقه ونفسه قد قدحت في حذقه

* * *

وإن أردت الترب عند الفجر والصبح قد سل سيوف الحر
فساعة ثم تيجيك الدامغة بنارها فلا يسوغ سائقه
ويسخن الشراب والمزاج ويكثر الخلاف والضجاج
من معشر قد جرعوا حيا وطعموا من زادم سموما
وغيمت أنفاسهم أقداحهم وعذبت أقداحهم أرواحهم
وأولعوا بالحك والتفرك وعصب الآباط مثل المرتك (٢)
وصار ربحانهم كالقت فكلمهم لكلم ذو مقت
وبعضهم يثنى بلا رجلين ويأخذ الكأس بلا يدين
وبعضهم محمرة عيناه من السموم يحرق غداه
وبعضهم عند ارتفاع الشمس يحس جوعا ، ولما للنفس
فإن أسر ما به تهوسا ولم يطق من ضعفه تنفسا
وطاف في أصداغه الصداغ ولم يكن بمثله انتفاغ
وكرث حذته وضجره وصار كالخى يطير شرره
وهم بالعريضة الوحشية وصرف الكاسات والتحية
وظهرت مشقة في حلقه ومات كل صاحب من فرقه
وإن دعا الشقى بالطعام خبط جفنيه على المنظام
وكلما جاءت صلاة واجبه فسا عليها فتولك هاربه
فكدر العيش بيوم أباق أفطاره بلهـ وه لم تلتق

* * *

(١) هي الخفاء

(٢) اسم دهن

فمن أدام للبقاء هذا من فعله والتذم التذاذا
لم يلف إلا دنس الأثواب مهوسا مهوس الأصحاب
فازداد سموا وحسنى وسقما ولا تراء الدهر إلا قدما (١)
ذا شارب وظفر طويل بتنقص الزاد على الأكيل
ومقصلة مبيضة المآقي وأذن كفتة الدياق
وجسد عليه جلد من وسخ كأنه أشرب نغطا أو لطخ
نخال من تحت إبطه إذا عرق لحية قاض قد نجا من العرق
وريقه كمثل طوق من آدم (٢) وليس من ترك السؤال يحتم
في صدره من واكف وقاطر كأثر الذرق على السكندر (٣)
هذا كذا وما تركت أكثر لجرى ما قلته وفكروا (٤)

(١) القدم : الثقل العايط

(٢) الأدم : الجلد

(٣) الواكف : السائل - الذرق : خرو الطائر. السكندر : جمع كندرة، وهي متعد البازي، مما أنه من خشب -

(٤) لابن حيدرة الغنيلي الشاعر أرجوزة طويّة ناض فيها ابن العزّ في هذه الأرجوزة

(٦٠ : ٢ فوات الوفيات ط ١٢٨٣ هـ)

الفصل الحادي عشر

شرح أرجوزة ابن المعتز في تاريخ الخليفة المعتضد

(٢٧٩ - ٢٨٩ هـ)

حياة المعتضد :

١ - أبو العباس المعتضد أحمد بن الموفق بن المتوكل ، ولد عام ٢٤٣ هـ ، ونشأ في ظلال والده الموفق ، وكان له عوناً في حروبه وأعماله ، واشترك في القضاء على ثورة الزنج بالبصرة عام ٢٧٠ هـ ، ثم غضب عليه والده خفيه عام ٢٧٥ هـ ، وكان والده الموفق هو المهيمن على جميع شئون الخلافة في عهد أخيه الخليفة المعتمد بن المتوكل (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ) ، فلما حان أجل الموفق خرج ابنه أبو العباس من السجن عام ٢٧٨ هـ ، وتوفي والده قبل مجده في تصريف أمور الدولة لعمه المعتمد ، وبعد قليل توفي المعتمد عام ٢٧٩ هـ فتولى أبو العباس المعتضد مقاليد الخلافة بعده .

٢ - كان المعتضد حازماً قوياً شجاعاً ، استردت الخلافة العباسية في عهده سالف مجدها وماضي عزها ، وغطى نفوذه على نفوذ الأتراك الذين كان يبدم شئون الخلافة آنذاك ، حسنت الأحوال ، وانتظم الأمن ، وعم الناس الاطمئنان والرخاء والسلام . وقام المعتضد بحروب كثيرة انتصر فيها على الثائرين والخارجين على الدولة ، كما قام بإصلاحات عامة كثيرة كان لها أثرها الاجتماعي في حياة الناس في عصره .

٣ - وكان ابن المعتز وثيق الصلة بالمعتضد وأشاد به في قصائده ومنظوماته ، ثم أمره المعتضد بتأليف كتاب في سيرته ، فمكث ابن المعتز هذه الأرجوزة ووجه بها إليه . وغنمها بأبيات مرتبة بعد وفاته وحفظها المعتضد جارية له فكانت تنشده إياها كثيراً ، واقتصر بها عن الكتاب الذي أمر بتأليفه (١) .

(١) راجع ديوان ابن المعتز المخطوط بدار الكتب الملكية .

٤ - والأرجوزة طويلة تبلغ نحو العشرين والأربعمائة بيت ، وهي ، صورة مصغرة لنظم الملاحم كالألياذة . والشاهنامة ، وسدت بعض النقص الذي يوجد في الشعر العربي (١) ، وهي في ديوان ابن المعتز ، وطبعت وحدها عام ١٩١٣ ؛ وقد نشرها وشرحها وترجمها إلى الألمانية لانغ الألماني (٢) .

وقد بقيت القصيدة مهمة بموادتها التاريخية المجهولة حتى قوت بشرحها ونشرها في هذا الكتاب ، وهو عمل له قيمة كبيرة في خدمة تراث ابن المعتز الأدبي .
٥ - ويشرح ابن المعتز في هذه القصيدة الحالة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وقضاياها قبل المعتضد ، واشترآكه مع والده في توطيد دعائم الخلافة العباسية والقضاء على الثأرين ، ثم يذكر توليه العرش وإنقاذه الخلافة من الضعف الذي كاد يقضى عليها وأعماله الكبيرة وحروبه التي قام بها ، والأرجوزة إشادة منقطعة النظير بالمعتضد ، وما هي ذى تقدمها إلى القراء .

تمهيد :

باسم الإله الملك الرحمن ذي العز والقدرة والسلطان
الحمد لله على آلائه أحمد والحمد من نعمائه
أبدع خلقاً لم يكن فكأنه وأظهر الحجة والبياناً
وجعل الخاتم النبوة أحمد ذا الشفاعة المرجوة
الصادق المذهب المطهر صلى عليه ربنا فأكثرنا
مضى وأبقى لبني العباس ميراث ملك ثابت الأساس
برغم كل حاسد يبغيه يهدمه كأنه يبنيه
أبو العباس المعتضد :

هذا كتاب سير الإمام مهذباً من جوهر الكلام

(١) ٢٥ و ٢٦ : ١ ظهر الإسلام ط ١٩٤٥ .
(٢) راجع ١٦٣ : ١ تاريخ آداب اللغة لجورجي زيدان ، ودائرة المعارف الإسلامية المجلد الأول ص ٢٨٠ .

أعنى (أبا العباس) خير الخلق للذك قول عالم بالحق

حالة الخلافة قبل المعتضد :

قام بأمر الملك لما ضاعا وكان نبياً في الوردى مشاعا
مدللاً ليست له مهابه يخاف إن طنت به ذبابه

الفوضى الاجتماعية :

وكل يوم ملك مقتول أو غاتف مروع ذليل
أو خالع للمقد كيا يفتى وذلك أدعى لردى وأدنى
وكم أمير كان رأس جيش قد نقصوا عليه كل عيش
وكل يوم شغب وغصب وأنفس مقتولة وحرب
وكم قى قد راح نبها راكبا إما جليس ملك أو كاتبا
فوضموا في رأسه السباطا وجمعوا يردونه شطاطا (١)
وكم فتاة خرجت من منزل ففصلوها نفسها في المحفل
وفضحوها عند من يعرفها وصدقوا العشيق كي يقرقها (٢)
وحصل الزوج للضعف حيلة على نواحه وتنف لحينه
وكل يوم عسكرياً فمكرا بالكرخ (٣) والدور (٤) موانئاً أحر
ويطلبون كل يوم رزقا يروونه ديناً لحسم وحقا
كذلك حتى أفقروا الخلافة وعودوها الرعب والخافة
فتلك أطلال لحسم قفارا ترى الشياطين بها نهارا
بالتل والجوسق والقطائع (٥) كم ثم من دار لحسم بلاقع
كانت تزار زمناً وتعمر ويتق أميرها المؤتمر
وتصل الخيل على أبوابها ويكثر الناس على حجائبها
وكم هناك والجا كرىا وراجما مدقفاً مظلوما

(١) السباط : جمع سوط . الإرداء : الإملاك . شطاطا : ماؤلا

(٢) يقرقها : يثممها .

(٣) ضاحية من ضواحي بغداد

(٤) أماكن بسر من رأى

وراقفا ينظر من بسيد عاقبة العقاب والتهديد
حق إذا ما ارتفع النهار ضجت بها الأصوات والأوتار
ودارت السقاة بالمدام وارتكبت عظام الآثام
ثم انقضى ذلك كأن لم يفعل والدهر بالإنسان ذو تنقل
فما بك عليهم الساء لما أتيج لهم القضاء

الفوضى السياسية والثورات قبل المتنشد :

وكان قد مزق ثوب الملك طوائف إيمانهم كاشرك
فمنهم فرعون مصر الثاني (١) عاصى الإله طامع الشيطان
والمسلوى (٢) قائد الفساق وبائع الأحرار في الأسواق
والداني (٣) العود والصغار (٤) ومنهم إسحاق (٥) البيطار
أعلم خلق الله بالماخور (٦) وبحساب مثلث وزر
وأعشق الناس لمن ينصره حق يطيل ليله ويسهره
ومنهم عيسى ابن شيوخ وابنه (٧) كلاهما لص حلال لعت
يدعون للإمام كل جمعه ولا يردون إليه قطعه
وهم يحورون على الرعيه فساد دين وفساد نيه
ويأخذون ما لهم صراحا ويخضبون منهم السلحا

-
- (١) يشير إل أحمد بن طولون الذي ملك عرش مصر مدة كبيرة (٢٥٤ — ٢٧٠ هـ)
(٢) « د » « الملوى صاحب الزنج وقد قتل بالبحر عام ٢٧٠ هـ »
(٣) هو ابن أبي دلف الذي استقل بکردستان ، وهو عريف ، وخرج على الدولة فأخذت
تورته عام ٢٨٢ هـ
(٤) يمتوب بن الليث الصغار تولى بالأمواز عام ٢٦٥ هـ وتولى أمر دوله بعده أخوه عمرو الذي
قال فيها حتى قتل عام ٢٨٧ هـ
(٥) الظاهر أنه من زعماء بني شيان الذين هزمهم المتنشد عام ٢٨٠ هـ
(٦) نجم أهل الفسق
(٧) أحمد بن عيسى بن شيخ استقل بآمد وظل بها حتى تولى عام ٢٨٥ هـ وقام ابنه بمحافظه
ثم حاصره جيوش المتنشد قبل نفيه له عام ٢٨٦ هـ

أبو العباس وأعماله في عهد أبيه الموفق :

ولم يزل ذلك دأب الناس حتى أغيشوا بأبي العباس
الساهر العزم إذا العزم رقد الحاسم الداء إذا الداء ورد
لجمع الراى الذى تفرقا وأبرأ الداء الذى أعى الرقى
كم عزمة بنفسه أمضاها لم يكل الأمر إلى سواها
كان لنا كأزدشير فارس إذ جد في تجديد ملك دارس
حتى انقوه كلهم بالطاعة وصار فيهم ملك الجاعة

فتنة الدولى الثامر وقضاؤه عليها عام ٤٧٠ هـ :

فلم يزل بالدولى الخائن المهلك المخرّب المبدائن
واليافع الأحرار فى الأسواق وصاحب الفجار والمراق
وقائل الشيوخ والأطفال ونائب الأرواح والأموال
ومهلك الفصور والمساجد ورأس كل بدعة وقائد
حتى علا رأس القناة رأسه وزال عنه كيد وبأسه
شيخ ضلال شر من فرعون لحيته كذنب البرذون
إمام كل رافضى كافر من مظهر مقالة وسائر
يامن أصحاب النّبى المهندي إلا فليلا عصابة لم تردد
فكفر الناس سواهم عنده فلمنة الله عليه وحده
مازال حيناً يخضع السودان ويدعى الباطل والبهتان
وقال سوف أفتح السودان (١) وأملك العباد والبلايا
ويدخلون عاجلاً بشداداً فلم ير الكذاب ذا ولاذا
صاحب قوما كالخمر جهله وكل شىء يدعيه فهو له
وقال إلى أعلم القيوبى لم ير فيهم عالماً مجيباً
وبعضهم يريد منه تفقه ويترك الدس عليه صدقه
مغرب الأماز والابله (٢) رواسطاً قد حبل فيها حله

(١) أى سواد العراق

(٢) فى الأصل : والثالثة وهو خطأ والأبنة أحرقت سنة ٤٥٦ .

وترك البصرة من رماد وأطعم الزوج أطفال الناس
فواحد يشدخ بالعمود وبعضهم مسمط مريوط
وجمل الأسرى مكنتيتا وبعضهم يحرق بالكيران
وبعضهم يصلب قبل الموت وهزم المساكر الجليله
ورامه موسى (٢) فأطلقه وقدسني مقلح (٣) كأس القتل
وترك الأتراك بعد قتله (٤) وقتل (ابن جعفر منصور)
من بعد ما صار أى حدير والشيخ قد أغرقه (نصيرا)
أعنى غلاما لسعيد الأعور وكى سوى ذاك وهناك وذا
حتى إذا ما أسخط الإله وشكت الأرض إلى السماء
وضاقت القلوب فى الصدور وارتفعت أبدي العباد شرعا
أغرى به الله هزبرا ضيقا قد جرب الحروب حتى شابا
لا عاجز الرأى ولا بليدا فلم يزل عاما وعاما ثانيا

سوداء لا توفن بالمعاد مكيدة منه فأعظم من بأس
وواحد يدخل فى السقود وبعضهم فى مرجل مدموط (١)
أغراض نيسل ومفللتا وبعضهم يلقى عن الحيطان
وبعضهم بين تحت البيت بشدة البأس ولطف الحيله
ويجه من فيه حين ذاقه وشكه بمخصف (٣) ذى فصل
كذى يد قد قطعت من زنده وكان قبل قتله كبيرا
وأرجف الناس له بالنصر وقال حسبي فقد هذا خيرا
قد كان فى الحروب موتا أحرا أبادهم حنفا وقتلا هكذا
وبلغت فتته مسددا ما فوقها من كثرة الدماء
وأيقنت بجاد كير بعد الصلاة جمعا لجمعا
إذا رأى أغراة تقدا فإن دعاه حادث أجابا
لكن شجاعا يخضب الحديد واثلا يكابد التواهيا

(١) مسمط : معلق . الرجل : القدر من النحاس .

(٢) نائذ كان فى محاربة أصحاب الزنج .

(٣) المخصف : محرز الاسكاف .

(٤) أى بعد قتل (مقلح) .

مجاهداً برأيه ونصله وماله وقوله وفعله
حق لقد سموه بالكناس وعابنوا صعباً شديداً الياس
مسابقا مطاعنا متابلا موافقا متازلا مجاولا
فكم له من شدة وحله وضربة وطعنة وقتله
إن رقدوا فإنه لا يرقد أو قعدوا فإنه لا يقعد
يحبو المطيع ويبعد الماصيا ويغضب السيوف والمواليا
ويقبل المستأمن المنييا ويفتر الزلات والذنونا
ولا تراه ناقضا لعمده ولا يشوب باطلا بحده
حق قضى الله له بالفتح من بعد طول تعب وكده
ونصب الناس له القبايا وشكروا المهين الوهايا

رحلة أبي العباس إلى الشام وقضاؤه على الخارجين فيها:

ثم سما من بعد للثامن لجرعوا من كأسه الصابين (١)
وعرفوا عند اللقاء صبره وشده يوم الوغى وكره

• • •

سل عنه قليلا صرعه بشيرا وآخر وآخر وآخر
وراكبا على التجيب هاربا لما رأى من فعله المعجبا
جاء من الشام إلى الفسطاط بحث عدو الخيل بالسياط
محاربه للصغار عمرو بن الليث :

وحارب الصغار بعد الزنج فطار إلا أنه في سرج
وفر من قدامه فرارا وكان قدما بطلا كرا
مصرع أبي الصقر إسماعيل بن بليال الوزير وكان قبض عليه عام ٢٧٨ :

وما نبينا مصرع الكفور الجاهل المخطئ المفور
إذ قدر الخلاف والمصيانا فزاده رب الملا هوانا

(١) في النسخة المطبوعة : « الأمرين » .

يكفى بصغر وأبوه بلبل هذا لعمري باطل لا يقبل
ما زال في نخوته وتيه لا يأخذ الصواب من وجوهه
بجهور اللفظ إذا تكلمنا ويزجر العاني والمسلما

خُطِّبَ أَبِي الصَّغَرِ :

أجراً خلق الله ظلاً فأحسنا وأجور الناس عقاباً بالوشى (١)
يأخذ من هذا الشق شيعته وذا يريد ماله وحرته
وويل من مات أبوه موسراً أليس هذا محسناً مشهراً
وطال في دار البلاء سجنه وقال : من يدري بأهلك ابنه ؟
فقال : جيرانى ومن يعرفنى فتفتوا سياله (٢) حتى فى
وأسرفوا فى لكه ودفعه وغدوت أكفهم فى صفعه
ولم يزل فى أضييق الحبوس حتى رى لإيهم بالكيس
وتاجر ذى جومر ومال كان من الله بحسن حال
فيل له عندك للسايطان ودائع غالية الأثمان
فقال : لا ، والله ما عندى له صغيرة من ذا ولا جليله
وإنما أربحت فى التجاره ولم أكن فى المال ذا خساره
فدعته يدعان التسعين وأوقدوه بثقال اللبن
حتى إذا مل الحياة وضجر وقال ليت المال جما فى سفر
أعطاهم ما طابوا فأطلقا يستعمل المشى ويمشى المتقا
ثم بى من النصب داراً فأصبحت موحشة قفارا
مامات حتى انتهت وهو يرى وبلغوا فى هدمها إلى الثرى
وأثبت الأعراب فى الديوان وقال لى من بنى شيان
مضطرب الآراء والأحوال والذى والألفاظ والأفعال
يستعمل الغريب فى خطابه وغامضات النحو فى كتابه

(١) أى بالرشاية

(٢) الببال : ما أسبل من شعر الشارب فى العبة

ويزجر الناس إذا تكلموا مفخما بجهورا مفصيا
كأنه قحطان أو معد وداره تنامة أو نجمد
وكان قد كفى ابنة شعلب كذا يكون العرق واقلب (١)
وهو عل الفطام ذو زثير أبلغ المجدى من التنور
مرسم ليافع طويل مثل جناح الطائر المجلول
ثم إذا ما قام عن غذائه ومزجت فهوته بماته
تناول الريشة والطنبورا فأضحك الصغير والكبير

مذهب أبي الصقر:

وحناعت الأمور عند ذاكا وضاعت أفلاطون والفلاسفة
ومدح أفلاطون والفلاسفة وساعدته في هواه طائفه
وذكر السعود والنحوسا والجوهر المقبول والنحوسا
وذرع طول الأرض والأفلاك وكل بلاد الصين والآتراك
والمرض الظاهر في التجسيم والقول في طبائع النجوم
وذكر التعديل والإقامة وقدم النظام أو ثمانية (٢)
واستقلوا من قام للصلاة فكيف من طول في القراءة (٣)
وطعنوا في الفقه والحديث وعجبوا من ميت مبعوث
فلم يزل ذلك دأب الجاهل حتى رى يسهم حنف قائل
فليت شعري كان ذا في لحمه وكان ذا غيا يرى من عليه
سبحان من أراح منه الخلقا فكيف يحيا مثله ويبقى؟
ثم استوت من بعده الخلافة وزالت الرهبة والخافة
ولاية المعتقد الخلافة عام ٢٧٩ هـ
وولى الملك إمام عادل قائل كل حكمة وفاعل

(١) هكذا في الأصل

(٢) إسمان من أئمة المعتزلة وتوفي في الربع الأول من القرن الثالث

(٣) أي القراءة

مثل حسام المصطب في جلالاته غدا به صيقله بجاته
فلقيت بيعته بالطاعة ورضيت بذلك الجماعه
مصر تضاح علاقتها بالخليفة :

فأنفذت مصر إليه مالها فأصلحت حصراً إليه حالها
الصغار عمرو بن الليث يذعن للخليفة :
وسارع الصغار بالإذعان وقبـل البيعة غير وان
عناية الخليفة بالجيش واختيار جنوده :

واختار من جنوده كل بطل يجرب إن حضر الموت قتل
ثم نقي كل دخيل فد مرق إذا رأى السيف جرى من الفرق
فإن غدا من فوق ظهر ندب (١) كان إلى الأرض سريع الجنب
وإن رمى كان مريض السهم ذا وتر رخو ضعيف الرجم
بضحك منه كل من يراه ويشتهي برجاسه (٢) ققاء
وهربت سهامه من الهدف كأنه يرى برجل لا يكف
وإن بدا بالرخ كان أعجبا تحسبه فرداً يجر ذنباً
سير المعتصد إلى الموصل .

حتى إذا صني ثخيار الجند وقال يا حرب اهزلى أوجدى
سار إلى الموصل ينوى أمرا فلا البر معا والبحرا
قضاؤه على الاصوصة التي انتشرت في البلاد وفي نهر دجلة :

وكبس اللصوص والأفرادا وأمن البلاد والعبادا
وجزعت من خوفه الفراعنة وأصبحت سفن التجار آمنه
وكان في دجلة ألف مائت لم يعنها إلا جناح طائر
يجبون كل مقبل ومدبر مجاهرين بالفعال المنكر

(١) الندب : الخفيف التثبط

(٢) البرجاس : غرض على رأس ربيع أو فيه

كم تاجر راوهم بزورقه فأنحدوا سيوفهم في مفرقه
وفرت الأعراب في البلاد وأهلكوا إهلاك قوم عاد
فأودعوا السفن مكشفتنا مغلغلين ومصعدينا
وبعضهم مراقبة دماؤهم قد عبت برمجهم صراخهم
وكلمهم قد كان لصا عاديا مازال قدما يعمل الدواهي
لما رأى من السيوف برقاً ملا السراويل الطوال زرقاً
فداسهم (١) دوس الحصيد اليابس بالخيول والرجال والقوارس
حتى أتى الموصل فاستملت لو قدرت صامت له وصلت

خضوع أحمد بن عيسى للخليفة :

وأرسل الرسل إلى ابن عيسى وكاد أن يجعله قيسا
وهم أن يدخل أرض الروم وظل في كرب وفي هموم
حتى اقتسدى حياته وأدى مالا يهد الحاملين هذا
وأرسل الرسل مع الهدايا من عنده فكان هذا رايا (٢)
فأثر الحياة والخوانا وما هدى حتى رأى الأمانا
وجاء إسحاق (٣) معلماً سامعا ولم يجد شيئاً سوى ذا نافماً

حمدان بن حمدون بقلعة مادون وظفر المعتضد به وحبيه ببغداد عام ٢٨٢ :

وقد أتى حمدان (حمدان) مثل هذا فأدخلوه صاغراً بغدادا
وهدمت قلعته الحصينة وأخذت نعمته اثني

هارون التماري وظفر المعتضد به عام ٢٨٢ بالموصل :

ولم يدع من بعده (هارونا) وكان رأساً للثراء حيناً
مراوغاً كالكملب الجسوال مستبصراً في الكفر والضلال
يلعن عثمان ويبرا من على والله منه ذو الجلال قد يرى

(١) الفاعل يعود إلى الخليفة

(٢) أي رايا .

(٣) الشاعر أنه من زعماء بني شيان الذين هزمهم الفضل سنة ٢٨٠ فطلبوا الصلح والأمان .

خليفة الأكراد والأعراب وقائد الفجار والحراب (١)
 يدعوته أمير مؤمنينا بل كافراً أمير كافرينا
 حتى حواء كفا (٢) أسيراً وألبسوه الوشى والحريراً
 وأركبوه أكبر البهائم مركب كسرى ملك الأعاجم
 آكل خلق الله للمصايد وماضغ اللحوم والثرايد
 يشرب جبا ويعرى مائده وهي عليه في العشى عاتده
 حتى إذا قام إلى الحفيرة ألقي كمنز ربهنت كسيرة
 فقل هذا طلبوا الرئاسة ولخير الناس أضحو ساسه
 لا لقلالات وعصقدين لكن لخدع الجاهل المفتون
 فنزلوا منازلنا عليه وارتفعوا عن موضع الرعية
 رافع بن هرثمة ومزيمته عام ٢٧٩ ثم قله عام ٢٨٣ على يد عمرو بن الليث :

وكان مما كان قبل (رافع) التناكث العهد الغرور الخالغ
 غرس من الروض ذكاً وأينما فاجتث من مكانه واقتلعا
 إذا أراد فتنة لا تجمتري خوفاً ويدي غير ذاك وبرى
 مازال يدي طاعة مريضه وهو يرى عصيانها فريضه
 حتى إذا ما استحكت مرأته وثقلت من دائه ضائره
 وقاد آلائنا من الضلال يمدح للحرب والقتال
 ناداه سلطان الأمانى الكاذبه وهي على رأس الشقي غاليه
 وأظهر الخلاف والعصيانا ونصر الباطل والبهتانا
 ويبيض الزى على أجناده تخلع السودد من سواده
 وما الذي أنكر من تسويدنا ومن عليه لج في تفنيدنا ؟
 وإنما كان حديد الميم على الحسين (٣) وعلى إبراهيم (٤)
 وكم حوى من بجرة وغيبه مذكراً بما حوت أميه
 ولم يزل دهرأ على ضلاله ذا بطر لجنده وماله
 يدعو النبي وعلياً الرضى منهم وعنا وجهه قد أعرضنا

(١) الحراب جمع حارب وهو الفاسد الناصب .

(٢) أى كفا الخليفة .

(٣) الحسين بن علي بن أبي طالب .

(٤) هو إبراهيم الإمام الذى قله بنو أمية عام ١٢٤ هـ .

ولو أضاع الناس هذا الدينا لقدوا ييغونه سينا
فاختلفوا فقال قوم : هذا : وقال قوم آخرون : لا ، ذا
وضاعت الأحكام والنرائع ولم يكن للناس أمر جامع
وقرت العين من الشيطان بما يرى في أمة الإيمان
من غير آل أحد المطهر وارث كل عزة ومفخر
عليك لمن الخالق المهيمن إلا بنو عم النبي المؤمن
ذاك سقى الله به (عليا) (وعمر) من السماء الربا (١)
ونصبوه قائما يدعو لهم لحقق الرحمن فيه سؤالهم
وهل رضا إلا أبو العباس الواسع الحلم التنديد الباس
رافع وإرسال رأسه إلى بغداد :

ما زال يأتي لك ما تريد حتى أتى برأسه البريد
وابتهج الحق وأهل السنة وشكروا لله تلك المنه
وأصبح الروافض الفجار يخفون حزنا فوقه استبشار
المتنشد يأمر عام ٢٨٢ يترك افتتاح الخراج في التبروز وتأخيرته إلى اليوم
الحادي والعشرين من حزيران وسمى ذلك التبروز المتنشدى .

ومن أبياده على الكبير من العباد وعلى الصغير
والنازع الدار البعيد عنه في كل أرض والقريب منه
تأخيرته التبروز والخراجا ولو أراد أخذه لرجا
نكرما منه وجوداً شاملا وحزم تدبير وحكما عادلا
مساوى. نظام الخراج القديم :

وعهدنا بكل من كان على مستأديا والزرع لم يسفل
فدكم وكم من رجل نبيل ذى هيئة ومركب جليل
رأيت يمتلئ بالأعداء إلى الحبوس وإلى الديوان
حتى أقبح في جميع المساجره ورأسه كمثل قدر قاتره

(١) الرى مقول سق ، وهو يشير إلى استنقاء عمر بالعباس لما امتنع المطر

وجعلوا في يده حبالا من قنب (١) يقطع الأوصالا
وعلقوه في عرى الجدار كأنه برادة في الدار
وصفقوا (٢) قفاه صفق الطبل نصبا بعين شامت وغسل
وحروا نقرته بين النقر كأنها قد خجلت من نظر
إذا استفاث من سمير الشمس أجابه مستخرج برقس
وصب سجان عليه الزيتا فصار بعد بزة كيتا (٣)
حتى إذا طال عليه الجهد ولم يكن بما أراد بد
قال لئذنوا لي أسأل التجارا قرصا وإلا بهم عقارا
وأجملوني خمة أياها وطوقوني منكم إنعاما
فضيقوا وجعلوها أريفة ولم يؤمل في الكلام منفعة
وجاءه المعينون الفجرة وأقرضوه واحدا بعشرة
وكتبوا صكا يبيع الضيعة وحلقوه يمين البيعة
ثم نادى ما عليه وخرج ولم يكن يطمع في قرب الفرج
وجاءه الأعوان يسألونه كأنهم كانوا يذلونه
وإن تلكا أخذوا عامت وجشوا أخدعه وهامت
فالآن زال كل ذاك أجمع وأصبح الجور بعدل يجمع

قصر الرباب الذي بناه المعتضد عام ٢٨٧:

ولا بني بان من الخلائف ولا ملوك الروم والطوائف
كما بني من أعجب البناء لا يزال فينا دائم البقاء
فرجعت كغادة كعاب تفر فيها أعين الأحباب
فن رأى مثل (الرباب) قصرا كم حكمة فيه تحال سحرا (٤)
والنهر والبستان والبحيرة قد جمع الماء إليها طيرة
والجزاة معها وقائع ففانص في جوفها وواقع
وبعضها يذبح في الأكف مأسورة قد رميت بحذف

(١) القنب : نبات لين يذبل منه الحبال .

(٢) الصفق : الضرب يسم له صوت

(٣) البزة : الهيئة والشاوة الحسنه ، السكيت : بين الأشقر والأدم

(٤) كفا في الأمل

وما رأى الرامون مثل الشجرة ذات قصون مورقات مشعة
ولم يكن غرسا تراه الثرى ولم يكن من جنة تسقى بما
لكنها تحجب عن حكيم موفق مجرب سليم
مفكر من قبل أن يقولا ويحسن التفهم والتبصير
كانها من شجرات الجنة أنزلها إلينا ذو المنه
والقبة العليا والآن ترجمه ملك فيها أربعين حجة

جمال المبادئ بالزبيدات :

وبالزبيدات فلا تنساها قرة عين كل من رآها
أبقة فيها جنان الخلد لكل ذى زهد وغير زهد
رب عدو هاجها وذعرا وملأت عينه لما نظرا
كانت على ساكنها دليلا جليلة قد وصفت جليلا
ومذكرات لجنان الخلد لطيفة ما إن لها من تد
ومظهرات قوة الإسلام على أعاديه من الأنام
تجبر عن عز وعن تمكين وحكمة مقرونة بالدين
كذاك كان قاعلا ساجان إذ أمكنته حكمة وسلطان
والتبصير وبجنت نصر وحكام الروم والإسكندر
وملك الملوك أعنى جمفرا (١) كفى به للقافرين مفخرا
كم لهم من نهر وقصر وأثر باقى جديد الذكر
فلم يزل للقافرين عجا ومفخرا للوارثين حبا
ومن أطاع رغبة ورهبة أكثر من قوم أطاعوا حسبه (٢)
لاسيما إن طال عمر الأمة ونظرت سلامة ونعمه
واختلفت وأحدثت أحداثا والثبات أمر دينها الثباتا
فما لذلك الداء من دواء إلا امتزاج الخوف بالرجاء

(١) هو جعفر المنصور الخليفة العباسى الثالث م سنة ١٠٠٨ هـ وهو باني مدينة بغداد

(٢) أى أجراً وثواباً

وكلما نغم أمر المملكة وجد من ضغن الأعدى حنكة
فتح آمد بالأمان عام ٢٨٦ هـ وكان صاحبها محمد بن أحمد بن عيسى بن شيخ وقبض
المتنشد عليه وحجبه عام ٢٨٧ هـ :

ومعظم الفتوح فتح آمد مفضل كل فاجر معاند
لم تر قط مثلاً مديته منبغة بسعدا حصينة
فلم يزل برأيه وحبله وحزمه في قوله وعمله
يذوقها بالرفق أى ذوق والجيش حول سورها كالطوق
حتى استغاثت بالأمان صاغره وأغد السيف بكف قادره
وحاز منها كل ما كان جمع فيها قديما لكع ابن لكع
نعم عفا عن ابن شيخ بعدما قد تقض العهد الذى قد أسكا
الحايقة في الرقة وقبضه على راغب مولى أحمد عام ٢٨٦ هـ :

ثم أتى الرقة ينوى أمرا فلم يزل فيها مقبلا شهرا
فزلزل الشام وشق داره وقربت منها شبا أظفاره
وبادرت مصر إلى رضائه خشية أن تصدق من سمائه
وحلت أموالها إليه وعافت البطشة من يديه
وعاد منصوراً إلى (التراب) وكل ما أراد قد نهيا
فدوم الوزير عبيد الله بن سنان والأمير على بن المتنشد بغداد بعد أعمال

حربية كبيرة عام ٢٨٦ هـ :

وجاء الوزير والأمير بغبطة فشكل السرور
مظفر من قد آباد (بكرا) (١) ومات خوفا منهما وذعرا
لما رأى الجيوش صار ثعلبا يجر في كل البلاد ذنبا
وقتل الأصوص والأكرادا وعمرها من بعدها البلاد
لم ير قط صاحباً إمام مثلهما في سائر الأنام

(١) هو بكر بن عبد العزيز بن أبي دلف وقد مات ببلبرستان

إلا أبا الحسين أعني قاسماً (١) أحضر خلق الله رأياً حازماً
ثلاثاً: ذلك كالأثافي قوادم أبيت من الخوافي
دينهم الطاعة للأخليفة ونية ناصحة عفيقه
وحزمة في الرأي. والمنشورة قديمة معروفة مشهورة
وانظر إلى التوفيق باختيارهم والعلم بالناس وباختيارهم

قتل صالح بن مدرك الطائي عام ٢٨٧ وكان قطع طريق الحاج عام ٢٨٥ هـ:

وصالح بن مدرك قد أدركا بما جناه ظالمًا وانهمكا
فكم ملب أشعث قد أحرمنا برجو من الله المطاء الأعظما
جاء إلى الكعبة من أرمينية ومن خراسان ومن إفريقية
وعايد جاء من الشامات قد سار في البر وفي الفرات
وتاجر مع حجة وعمرته يطلب ربح ماله في سفرته
مقدر في الریح أضماف الثمن من فاصد صنتعا إلى أرض عدن
فهم كذلك سائرون ظهرا أو تحت ليل أوضحي أو عصرا
إذ قال قد جاءكم الأعراب وكثر الطعان والضراب
وصار في حجهم جهاد واحمرت السيوف والصعاد (٢)
و (صالح) يسعر نار الحرب في شر أعوان وشر صحب
فكم أبلح من حريم متنوع وكم قتيل وجريح مصروع
وكم وكم من حرة حواها سنية وزوجها براها
وتاجر عريان يدعو بالحرب لآمال أبقاه له إلا سلب
فلم يزل كيد الإمام يرقبه يتركه طورا وطورا يطلبه
حتى إذا حاظت به آثامه وقربت من الردى أيامه
دس إليه قاصدا (أبا الأغر) (٣) بجيلة مكتومة عن البشر

(١) هو القاسم بن عبيد الله بن سليمان وزير للمعتضد بعد وفاة أبيه سنة ٢٨٨ هـ

(٢) هي الرماح

(٣) هو أبو الأغر السلمي وهو الذي احتال حتى قتل صالح بن مدرك .

قد راحها في قلبه زمانا حتى إذا أنقضا إغنا
أظهر ما في أمره المقبول لجاء برأسه المحمول
يميل مغروراً على القنافة كمثل تشوان على الأصوات
ورقة المعتضد الرسول صلى الله عليه وسلم :

حتى إذا قارب عد العشر في ملكة من السنين الزهر
وقع الجور بحكم عادل وملا الدين بحق شامل
بدا له النبي في المزام حلم يمين ليس كالاحلام
يشكره لحزمه ورأفته وحسن ما يفعل في خلافته
بشارة دلت على الرضوان من ربه ذي المن والإحسان
والله يولى الفضل من يشاء بكل شيء سبق القضاء
فدفع الله الخطوب عنه ونحن للأسوء فداء منه

أمر إسماعيل بن أحمد الساماني لعمر بن الصفار عام ٢٨٧ وإرساله أسيراً
إلى بغداد عام ٣٨٨ وعردة فارس إلى نفوذ الخليفة :

ثم حوى من بعد ذاك فارساً	كم نهب مال كان منه آسراً
وطالما كانت لعمري طامعه	يا كل منها ثمرات جمة
وكان لا يحمل من أموالها	شيئاً ويستعصى على استئصالها
سوى هدايا كل حول كامل	يشهرها في السوق والمخافل
منها رمادي كبيت قد صفن	وغلة في الفد يعلوهم درن (١)
فإن عدا ذلك قباز أبيض	وفرس حاقرة مقضض
ثم أنت سعادة الخليفة	وحيلة خفية أليفه
وانقض إسماعيل من بلاده	إليه حتى صار في قياده
وهكذا عاقبة الطغيان	وطاعة الأئمة لانيطان
وجاء مال فارس وقرا	كمهده فيما معنى وأكثرا

(١) القد : السير يند من الجلد . القدرن : الوسخ .

وحمل الصغار في القيود إلى إمام الأمة السعيد
قل إسماعيل الساماني لعمد بن زيد العلوي صاحب طبرستان عام ٢٨٧ :

تم ابن زيد بعد ذلك قد قتل لم ينجه حصن ولا رأس جبل
وأسلته للسيوف والناجى جند أجابوا منه حين قد دنا
وطالما عات وجار وعند وقام يبغي الملك حيناً وقعد
سل عنه كل كدة وحجر في طبرستان وواد وعمر (١)
فكان ما قد خيف أن يكونا وصار حقا قتله يقيننا

القبض على وصيف وقتله عام ٢٨٨ :

ورأسال نفور الشام عن وصيف تخبر بفتح عجب ظريف
قال أريد الفوز وهو آتي وليس يخفى كاذب وصادق
وقال ولوق في مكان وجاهر الإسلام بالعصيان
وسار بل طار إليه عسكره ما كان إلا بالعيان خبره
فعاين الموت الذي منه هرب ومن يفوت قدراً إذا اقرب ؟
فكم وكم من هارب ذليل وكم أسير عاضع مغلول
ونائب إلى الإمام بعدو وذله من قبله أشد
لما أتبع لوصيف عاقان فعلت كيف الرجال الحصيان
مؤنس ووصيف وجهودهما في القضاء على وصيف التركي خادم أبي الساج :

و (مؤنس) عادية عليه وغل من ساعته يديه
ولوصيف في وصيف أيضا يد فقد غاض المنايا خوضا
من بعدما أردى وصيف في الوغى سميه ولم يكن ممن يغي
ومات الاقشين (٢) عليه حبره وما بكى عين عليه قطره

(١) السكة : الأرض الغليظة . الحجر جمع حجرة وهي الناحية .

(٢) هو محمد بن أبي الساج الذعبي بالأفندي ومات بأذربيجان سنة ٢٨٨ هـ .

القبض على ثوار آخرين :

وصار أيضا قد طغى نفيل فوافق الخادم في الطريق وابن البغلي وأناس آخر فأدخلوا مدينة السلام فخطروا من تحتهم الجبال والفرمطيون وشرايعهم الفاسدة :

والفرمطيون ذور الآجام وشرعوا شرائع الفساد كانوا يقولون إذ قتلنا من بعد أيام إلى أهلينا وضرط العنز على هذا الخبر يجهلون عن إمام عتقى يال على يا أبا على ليس يزيد الناس أن تروا (١) ولا أراكم تحسنون ذاك ولا تكونوا حطبا للنار الصفار يدخل بغداد مأسورا عام ٢٨٨ ومات في الحبس عام ٢٨٩ :

وأدخل الصفار شر مدخل بغداد فوق جبل مغولا وقال شادان وقد رأه ليث رماه الله ذو المعارج بن من حص جديد مثقل (٢) أول يوم من جمادى الأولى كما يحب كل من عاداه بفالج قبل ركوب الفالج (٣)

(١) عتقى ترأسوا من الرئاسة .

(٢) عس الذي : صلب واشتد .

(٣) الفالج الجمل الضخم

وهربت سقينة الطوفان منها إلى الجودي والأركان
 وهم بنوا للجور صرحا عكبا فأنفروا إلى السماء سدا
 ولم يزل سكاها نجارا مستبصرا في الشوك أو سخارا
 تفرقوا وبالموا بابا لا وبدلوا من بعد حال حالا
 وهمزوا في الثمار إبراهيم لما رأوا أصنامهم رميا
 ودانوا لا طرحوا في الجب كغرا وشكا منهم في الرب
 وخذلوا وقتلوا (عليه) العادل البر التقي الزكي
 وقتلوا الحسين بعد ذاكا فأهلكوا أنفسهم إهنا لا كا
 وجحدوا كتبهم إليه وحرقوا وأقرانهم عليه
 ثم بكوا من بعده وناحوا جهلا كذاك يفعل النفساح
 فقد بقوا في دينهم حيا ولا نصارى فلا يهود هم ولا نصارى
 والمسلمون منهم براء رافضة ودينهم هباء
 فبعضهم قد جحدوا الرسولا وغاطلوا في فعله جريلا
 وبعضهم قالوا على ديننا وحسينا ذلك ديننا حسيننا
 ومنهم الشراف والخدرا ب إن سمعوا ببيعة أجابوا
 كم أسلوا من طالب مغرور وهربوا يوم وغى مشهور
 وليس منهم سوى ابن لثني وأنا أفدبه بأبي وأبي
 حتى إذا ما الحرب قامت سوقها بالضرب والطعن وصاح يوقها
 طاروا كما طار رعد البحر ووهبوه للرماح السمر

ابن أبي القوس بالكوفة وقله وصليه ببغداد :

و (ابن أبي القوس) لهم نبى إماما دل لهم مرخى
 خفف عنهم صلاة الغرض وقال ناب بهضبا عن بعض
 فاذهب إلى الجسر نجده فارسا على طمى لا سرير جالسا
 ونلك عقي النى والفضلال والكفر بالرحن ذى الجلال
 ثم انقضى أمر الإمام المعتضد بكل عمر فإلى يوم تقعد
 ومات بعد مائتين قد خات في عام تسع وثمانين مضت
 والحى منقاد إلى الغناء والرزق لا بد إلى انتماء

الفصل الثاني عشر

التشبيه بين ابن المعتز وبين ابن الرومي

(ملحق يبحث التشبيه في شعر ابن المعتز)

التشبيه

عنصر من عناصر الأسلوب وبلاغته ، يعتمد على التصوير والبيان والتخييل والتشخيص .

وهو فن واسع من فنون الكلام ، أداته الملاحظة والخيال ، وغايته رسم صور دقيقة لكل ما يدركه الحس أو العقل أو الوجدان ، سواء كانت هذه الصور بأداة من أدوات التشبيه أو جىء بها على سبيل الاستمارة والتخييل .

وذعم التشبيه في العصر الجاهلي أمرؤ القيس ، وفي العهد الإسلامي ذو الرمة ، وفي العصر العباسي شاعرنا أبو العباس عبد الله ابن المعتز ، ويليهِ في منزله الفنية في باب التشبيه ابن الرومي الشاعر العباسي المشهور .

وقد تدرج فن التشبيه منذ العصر الجاهلي حتى اليوم ، لحاول تصوير البيئة والحياة الاجتماعية ومناظر الطبيعة وتمثيل مظاهر الحضارة ، في شتى العصور والأجيال ، وقد يكون هذا الفن أكثر الفنون دلالة على حياة الأمم وحضارتها وثقافتها وتفكيرها ، لأنه مؤرخ صادق لمشاهدة الطبيعة وروائع العمران والحياة البدو والحضر والقرى والمدن والمجتمعات والشعوب ، وهو من ناحية البلاغة الأدبية فن واسع الأثر ، عظيم المدى في الاستدلال والافتتاح ، والتخييل والتصوير ، والبيان والتعبير ، وإثارة المشاعر والمواطف والوجدانات .

فما أحرأه بالدراسة لمعرفة حياتنا الماضية ، ومدى ما وصل إليه أجدادنا من حضارة وثقافة ، والاستدلال به على تاريخنا المجهول . فوق ما يرشد إليه التشبيه من أحكام في الأدب والنقد والبيان والبلاغة هي موضوع بحثنا الآن .

ابن المعتز

منازلته وحياته :

ابن المعتز أديب ساحر ، وشاعر ملهم ، وشخصية بارزة بين الشخصيات التي نبعت في القرن الثالث الهجري ، وهو أمير التشبيه في الشعر العربي : القديم والحديث .

بعد في الطبقة الثالثة من المحدثين ، وهي الطبقة التي خلفت طبقة أبي نواس ، وطبقة بنار زعيم المحدثين . ويعتبر معه في طبقة أبا تمام والبحتري وابن الرومي ، وإن كان بعض النقاد يحمل أبا تمام والبحتري طبقة وحدهما ، ويجعل ابن الرومي وابن المعتز طبقة رابعة من طبقات المحدثين .

ويقول ابن رشيق : « طبقة حبيب والبحتري وابن المعتز وابن الرومي طبقة متدركة ، وتلاحقوا ، وغطوا على من سواهم من الشعراء (١) » . ويقول : « وليس في المولدين أشهر اسما من أبي نواس ، ثم حبيب والبحتري ، ثم تبعهما في الاشتهار ابن الرومي وابن المعتز ، فطار اسم ابن المعتز حتى صار كأي نواس في المحدثين ، وامرى القيس في القدماء (٢) » .

ولد أبو العباس عبد الله بن المعتز في شعبان سنة ٢٤٧ هـ ، أو ٢٤٩ هـ كما ، يقول ابن خلكان ، في بيت الخلافة ، وولي والده المعتز بن المنوكل بن المعتصم بن الرشيد العرش عام ٢٥٢ هـ ، ومكث فيه ثلاث سنين قتل بعدها بيد الأتراك . الذين كان في يدهم جميع أمور الدولة إبان هذه الفترة الحافلة ، وكان لشكبة والده أثر عميق في حياته ونفسيته .

نلقى ثقافته في الدين واللغة والأدب على يد شيوخ العربية وأتمتها ، الذين حفل بهم هذا العصر الزاهر بألوان العلوم والثقافات والأدب . وكان من أساذته المبرد

(١) ٨٣ : ١ المدة .

(٢) ٨٢ : ١ المدة .

المتوفى سنة ٢٨٥ هـ ، وتعلب م سنة ٢٩١ هـ ، وسواهما من لحول العلماء .
وظهرت شاعريته في أول عهده بالشباب ، فامتثلت بها حيا ، كما انصرف عن
مؤامرات السياسة إلى حياة العلم والأدب ، فكان البليغ الساحر والشاعر المجيد ،
والناقد الواقف على خصائص الأدب والبيان ، وله مؤلفات كثيرة جيدة ، منها :
كتاب البديع ، وفصول الغائبيل ، وطبقات الشعراء ، وديوانه مطبوع في جزئين
في مصر والشام ،

عاصر ابن المعتز بعد وفاة والده أربعة من الخلفاء العباسيين هم : الممتدى
(٢٥٥ - ٢٥٦ هـ) ، والمعتد (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ) ، والمعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩ هـ) ،
والمستكني (٢٨٩ - ٢٩٥ هـ) ، وعاش بينهم معتزا بشخصيته ، نبيل النفس ، عظيم
الخلق ، يظهر انصرافه عن الخلافة ، وهو في نفسه قائم على الحياة التي ملكت سواء
مقاليدها ، وقبض عليه عدة مرات أطلق فيها سراحه ، ووضع موضع المراقبة ،
وكان يقول في شعره :

من يشتري حسبي بأمن يحول من يشتري أدبي يحفظ جهول ؟
ولما مات المستكني عام ٢٩٥ هـ ، ولي الأتراك ابنه المعتذر العرش بعده ، وكان
طفلا ، فثار الناس في بغداد ، وانتهت هذه الثورة المسالمة بمخلع المعتذر ، وتولية ابن
المعتز للخلافة عام ٢٩٦ هـ ، ومكث فيها ليلة واحدة . حيث قاوم حزب المعتذر
هذه الثورة ، تؤيد القوة الحربية في الدولة ، وقبض على ابن المعتز ، ووزيره محمد
ابن داود بن الجراح ، وقتلا عام ٢٩٦ هـ ، وبذلك انتهت حياة شاعر كبير ، من
شعراء العربية المحدثين .

بيئته :

عاش ابن المعتز في بغداد ، وسر من رأى ، في البيئة العامة التي امتاز بها القرن
الثالث ، والتي حققت بألوان الحضارة وشتى فنون العلوم والثقافات والأدب ،
كما عاش في بيئته الخاصة الحافلة بألوان الترف والنعيم والمجد ، في قور الخلفاء
والأمراء ، وكان لذلك كله أثره الواضح في شخصيته وشاعريته .

شاعريته وخصائصها :

أرهفت نفسية ابن المعتز وحياته وبيئته وثقافته ، مشاعره وجدانه وإحساسه

غنى شاعرا بطبعه ، مالم الشعاعية ، قوى المسكات .
ونظم الشعر يرضى به عواطفه ، ويصور فيه مشاعره وما يتخيل في صدره من
آمال وآلام ، وما تزخر به حياته من مظاهر الترف والحضارة .
فشعره [ذ] صورة لحياته الخاصة أولا ، ولحياته الطبقة المترفة ثانيا ، وللانتماءات
العلمية في السياسة والاجتماع والآداب أخيرا . وهو فوق ذلك صورة صادقة للفن
الخالص ، الذي يؤمن بالفن للفن لا لأغراض الحياة وحاجاتها ، لا كما كان يحيا حياة
فنية خالصة ، فلم يكن ينظم الشعر لمجد ، أو لمال ، أو لرضاء خليفة ، إنما كان
ينظمه لنفسه ، ليرضى به نفسه ووجدانه وذوقه .

أجاد في الشعر السياسي ، كما أجاد في الفخر ، والإخوانيات ، والغزل .
وخرى به فيها دقة معان ، ورقة تصوير ، وكثرة تشبيهات (١) ، وكذلك كان في
الصيد والطرد مجيدا مبدعا ، يقتنى فيه آثار امرئ القيس وأبي نواس ، والعتاب
والشكوى من الفنون الشعرية التي تفوق فيها ، وكذلك بلغ ابن المعتز في الوصف
حد الجودة والإبداع ورسم صوراً صادقة لكل ما وقعت عليه عينه ، من مناظر
الطبيعة ومظاهر الحضارة ، ووصفه وصف وجداني ، له موسيقى عذبة ، وفيه رقة
وسلاسة ، وروح وطبع ، ودقة وعمق ، وإبداع في الأسلوب وتجديد في التشبيه
والاستمارة ، وقد نمت ملكته في نفسه دقة حس ، ولطف شعوره ، وامتلاء ذهنه
بمشاهد الجمال ، وروائع الخيال ، وروائق الحضارة ، وأنه يقول الشعر لإرضاء
لنفسه ، وتصويراً لحسه ، مما صرفه إلى وصف الطبيعة ، وبجانب الأناشيد ، ومطاردة
الصيد : أما المدح والهجاء والرثاء والزهد ، فكان نصيب ابن المعتز منها قليلا ،
ترك الزهد لأبي العتاهية ، والرثاء لأبي تمام . والهجاء لابن الرومي ، والمدح
للبيهقي ، وعاش هو شاعر الترف والفن والجمال ، وهو مشهور بجودة قطعه الشعرية
كما يقول ابن رشيق (٢) .

ومعاني ابن المعتز تنصل بنفسه وحسه وحياته ، وهو فيها دقيق الفكرة ، بعيد

(١) وفيه فيها يتف بجانف فن أبي نواس في خرباته وسياق تهلل لبعضها

(٢) ١١٠ : ١ المدة

المنزع ، يحكم التصوير ، يجدد مبتكر حيناً ، ومقلد أحياناً أخرى .
وخياله الشعري خيال واقعي ، يستمد من صور الوجود وحقائقه وألوان
الحياة الحسية ومظاهرها ، ما ينطق به من معنى ووصف وتصوير ، وخياله النشط
يعنى بمحسّات الأمور ومرئياتها المشاهدة دون أن يكلف نفسه الجري وراء عالم
المثل والمعنويات .

ويمتاز أسلوبه بكثرة التشبيه وروعته ، وجودة التصوير ودقته ، وبالرواق
والمذبذبة ، في جزالة تشبيح في أعطافه حيناً ، وسهولة ورقة يقيض بها شعره حيناً ،
ومع جمال في ترف البيان وألوان البديع ، بما حدا فيه هذا بشار ومسلم وأبي تمام ،
وتشبيح في أسلوبه الصياغة الفنية ، المخلطة روساً وحياة وموسيقى ، ووضوحاً في
دقة تصوير ، وقرب مأخذ وجوده قريبة في فكرة وجدة خيال كما يقول :
والصبر بمثل حاجة وأمل لا

والمدرسة الأدبية التي يمثلها ابن المعتز ، هي مدرسة المحدثين ، التي قاد زمامها
أبو تمام والبحرّى ، والتي امتازت بميزتين :

الأولى : هي التعمق في المعاني واستنباطها ، بما يتجلى لك في شعر أبي تمام
وابن الرومي واضحا ملموسا .

والثانية : هي الصناعة الشعرية المتأنقة ، التي تطلب ألوان الجمال في الأداء ،
وتعتمد على البياني في الأسلوب ، من : جناس وطباق ، وتشبيه واستعارة وتمثيل ،
وكانت العرب -- كما يقول ابن رشيق -- لا تنظر في أعطاف شعرها ، بأن
تجنس أو تطابق أو تقابل ، أو تترك لفظة للفظ ، أو معنى لمعنى ، كما فعل المحدثون ،
ولسكن كان نظرها في فصاحة الكلام وجزالة ، وبسط المعنى وإبرازه ، وإتقان
بنية الشعر ، وما وقع فيه من هذا النوع فمن غير قصد ولا تعمل ، بما عرفوا
وجه اختياره على غيره حتى صنع زهير الحوليات على وجه التقييد والتشبيح ،
وأول من فتن البديع للمحدثين بشار وابن هرمة ، ثم قلدها فيه مسلم والعناني ،
والنخري وأبو نواس ، وانبج هؤلاء أبو تمام والبحرّى وابن المعتز . فانتفى علم
البديع والصنعة إليه . وختم به (١) . فابن المعتز إذاً هو الشاعر الذي انتهت إليه
الصنعة الشعرية المعتمدة المنكلفة .

فقد كان يحب الفن للفن ، ويظلم الشعر لياهور به ، وكان في العباسيين كالوليد في الأمويين ، وكان متكلفا جيدا في تكلفه ، بقدر ما كان الوليد طوبعا جيدا في طبعه . ويصف ابن رشيق صنعته فيقول : « وما أعلم شاعرا أكل ولا أعجب تصنيعا من ابن المعتز . فان صنعته خفية لطيفة ، لا تكاد تظهر في بعض المواضع ، إلا للبصير بدقائق الشعر ، وهو عندى الطلف أصحابه شعرا ، وأكثرهم بديما واقتنانا ، وأقربهم أوزانا وقوافي ، ولا أرى وراءه غاية الطالبا في هذا الباب (١) . ويقول الجرجاني فيه : وطريقة ابن المعتز طريقة أبي تمام ، ولم يكن من المطبوعين (٢) ، وكان الجرجاني يؤثر المطبوع وما قاربه من المصنوع .

ويقول أبو الفرج في وصف شعره وخصائصه : هو وإن كان فيه رقة الملوكية ، وغزل الطرقات ، وهلهلة المحدثين ، فان فيه أشياء كثيرة تجري في أسلوب المجيدين ، ولا تقصر عن مدى السابقين ، وليس يمكن واصفاً صبروح في مجالس اللووين تداوى وقيان وعلى ميادين من النور والبنفسج والرياحين إلى غير ذلك أن يعدل بذلك عما يشبه من الكلام البسيط الرقيق ، الذي يفهمه كل من حضر ، إلى جيد الكلام ووحشية ، وإلى وصف اليد والمهامه ، والظلي والظلم ، والناقة والجل ، والديار والقفار . . والأصغاني يشير بذلك إلى أن أسلوب ابن المعتز فيه جيد جزل كثير وإلى أن رقة أسلوبه غالبا ترجع إلى حياة الملك التي تستلزم الترف ، وإلى وصفه لألوان الملو التي تستدعي رقة الأسلوب ، وإلى بعد نفسية الشاعر غالبا عن أغراض الشعر البدوي ، فرقة شعره ودقة تشبيهاته إذا أمر من آثار البيت فيه .

ويقول ابن شرف القيرواني في رسالة الانتقاد : ابن المعتز ملك النظام له التشبيهات المثالية ، والاستعارات الشكالية ، والإشارات السحرية ، والافتخارات العلوية ، والغزل الرائقي ، والعناب الشائق ، ووصف الحسن الفائق .

التشبيه في شعر ابن المعتز :

وطارت شهرة ابن المعتز الأدبية والفنية في باب التشبيه وأتى في ذلك بما سحر الناس وخلد صفحات الشعر والأدب . وسار المثل في القديم والحديث بتشبيهات

ابن المعتز، لأنها أظهر سمّة وأبلغ تعبير عن شاعريته وتصوير لغته، وفي الحق أننا لا نجد التشبيه مالمكان من المملكات الفنية عند شاعر من الشعراء كما نجد عند ابن المعتز ولا نجد هذه الكثرة مع تلك الجودة عند أحد سواه، وكان ابن المعتز يقول: إذا قلت كأن ولم آت بعدها بالتشبيه فضض الله في (١).

وجميع النقاد يمتدحون لابن المعتز إمكانه الأدبية الكبيرة في باب التشبيه، ويقول الباقلاقي: وأنت تجد في شعر ابن المعتز من التشبيه البديع الذي يشبه السحر وقد أتبع من هذا عالم يتذبح غيره وانفق له عالم يتفق لغيره من الشعراء (٢)، ويقول الثعالبي: تشبيهات ابن المعتز يضرب بها المثل في الحسن والجودة ويقال إذا رأيت كاف التشبيه في شعره فقد جاك الحسن والإحسان ولما كان غدى النعمة وريب الخلافة ومنقطع القرن في البراعة تنبأ له من حسن التشبيه ما لم يتنبأ لغيره من لم يروا ما رأه ولم يستحدثوا ما استحدثته من تفائس الأشياء وطرائف الآلات. وبهذا المعنى اعتذر ابن الرومي في تصويره عن شأو ابن المعتز في الأوصاف والتشبيهات وفلا تفتد تشبيهاته وأطراف تمثيلاته أكثر من أن تحصى (٣).

ويقول المطوعي: جل كلام ابن المعتز في التشبيه عن أن يمثل بنظمير أو شبيه (٤). ويقول العباسي: هو أشعر الناس في الأوصاف والتشبيهات (٥). ويقول ابن رشيق: وقالت طائفة الشعراء ثلاثة: جاهلي وإسلامي ومولدي، فالجاهلي هو امرؤ القيس، والإسلامي ذو الرمة، والمولدي ابن المعتز. قال ابن رشيق: وهذا قول من يفضل البديع وبخاصة التشبيه على جميع فنون الشعر (٦). ويقول: ولا بد لكل شاعر من طريقة تغلب عليه فينقاد إليها طبعه ويسهل عليه تناولها كابن المعتز في التشبيه (٧). ويقول المحصري: وليس

(١) ١٤٦: ١ معاهد التنصيص، ٦٩٣: ١ دائرة المعارف فنيثاني. ومقدمة ديوان ابن المعتز المطبوع ببيروت وينسبها الرافعي لذي الرمة (٢٥: ٣ الرافعي) وهو غير صحيح.

(٢) ٢٠٧: إعجاز القرآن للباقلاقي.

(٣) ١٨٢: نثر اللؤلؤ في المصنف والنصوب.

(٤) ١٧٤: ١ زهر الآداب.

(٥) ١٤٦: ١ معاهد التنصيص.

(٦) ٨٢: ١ السفة.

(٧) ٢٥٥: ١.

بمدى الرمة أكثر افتنانا وأكبر تصرفا في التشبيه من ابن المعتز (١) . ويقول
الدميري : وهو صاحب التشبيهات التي أبدع فيها ولم يتقدمه من شق عبارته (٢) .
ويشيد بتشبيهاته كثير من الباحثين (٣) .

وقد وضع عبد القاهر هذه التشبيهات موضع الدراسة والنقد وأشاد بها في
أسراره . وتوضع تشبيهات ابن المعتز مع روائع الشعر العربي ، قال الخوارزمي :
من روى حويلات زهير واعتذاريات النابغة وخريبات أبي نواس وزهديات
أبي العنانية ومراثي أبي تمام ومدائح البحتري وتشبيهات ابن المعتز ثم لم يخرج
إلى الشعر فالموت أولى به . ويقول بعض المحدثين : فنّ الناس ابن المعتز بتشبيهاته
كما أسكرهم أبو نواس بخمرياته (٤) .

وقد قلده الشعراء في فن التشبيه وساروا على نهجه فيه . فكان تتم من الشعر
يحتذى حذو ابن المعتز في التشبيهات ويقف بجانبه ويفرغ فيه على قاليه (٥) .
وكان العتيلي أبو الحسن علي بن الحسين من أئمة المدرسة التي تعنى بالتشبيه وتجيدوه
وهو من شعراء القرن الخامس وسلك مسلك أبي نواس وابن المعتز في الخمر
وتوليد المعاني (٦) وكذلك أخذوا في تشبيهاته : ابن وكيع الشاعر م ٩٣ ، (٧) هـ
وأبو نواس والوواء (٨) وابن خفاجة وسواهم .

ترجع بواعث هذه الملكة المصورة في نفس ابن المعتز ، وأسباب تلك القدرة
البارعة على تقدير الأشياء ، وعلى تشبيه بعضها ببعض إلى : ذهنه الخصب ،
وعقليته الناضجة ، وثقافته الواسعة ، وإلى إحساسه الدقيق ، ومشاعره المرهفة ،

(١) ٢١٩ ج ١ زهر .

(٢) ٨٣ ج ١ دميري .

(٣) ٢٢٢ : ٢ شذرات ، ٢٧٠ الوسيط ، ٢٨٤ العصر النباني لسيامي بيومي .
٢٤٩ رسائل البائنة

(٤) ويشيد بها كثير من علماء الأدب والبيان

(٥) ١٨٣ ج ١ زهر

(٦) ٢١٤ ج ١ ظهر الاسلام

(٧) راجع ١٠٢ للتل السائر

(٨) شاعر مطبوع . نسجم الألفاظ عذب العبارة حسن الاستعارة جيد التشبيه ، ١٤٦ : ٧
قوات الوفات

وهيأمة الفنى بتذوق الجمال وتصوره وتصويره ، وإلى مظاهر الحضارة وترف الحياة التى عاش فيها وإلى مذهب الصنعة الزهرية الذى آثره ، ليدل بترف الأسلوب على ترف الخيال والفكر والحياة .

أوصاف التذبية فى شعر ابن المعتز :

ويمكننا أن تصور التذبية فى فن ابن المعتز ، تصويراً واضحاً ، على نمط من التفصيل ، فنقول : إنه يمتاز بميزات كثيرة ، أهمها ما يأتى :

أولاً : كثرة التشبيهات فى شعره كثرة هائلة ، حتى لا تخلو قصيدة من قصائده ، ولا قطعة من مقطوعاته من عدة تشبيهات نادرة ساحرة ، وكانت هذه الملمكة القوية ظاهرة ملبوسة فى فن ابن المعتز فى سائر شعره ، وشئ أغراضه ، وإن كثرت ظهورها فى أوصافه وخبرياته وغزله وطرده ، وهو فى هذا يبدى جميع الشعراء ، الذين لم يكثر التذبية فى شعرهم هذه الكثرة ، فقد عكف ابن المعتز على التذبية ، وأفرغ فيه جهده ، وراح يوشى به شعره ، ويطرز به قصائده ، ويظهر فيه براعة معدومة النظير (١) .

ثانياً : تشبيهات ابن المعتز تشبيهات حسية يعنى فيها بتصوير لمحات ، وبإخراجها فى مظاهر حسية يستمدّها من بيئته ، هو يصور ، ظاهراً الطبيعة وشئ ألوان الحضارة المادية ، فى صور لها سحرها وجمالها الفنى الرائع . وقد يعنى بتصوير الوجدانيات والعقليات . لأن خياله لم يؤثر أن يتجاوز نطاق الحياة المادى وجمالها الحسى إلى دائرة التحليل والتصوير للحقائق المجردة البعيدة عن مظاهر الأحساس والحياة ، وقاضت صناعته ... كما يقول بعض المحققين (١) - بأصباغ الزخرف الحسى . الذى لم ينص فى بحار الفلسفة . وهى مع ذلك تفيض رقة ، وتسيل عذوبة ، وتمثل الحضارة المزقة فى أروع صورها وأجلها . كما يفيض بالخيال الرائع ، ويبرز مكان هذه الحياة المزقة التى نذا فيها وعالمها ابن المعتز ، بما فيها من مدامن النبر ، وأواني الفضة وصحاف الذهب المحلاة بأنواع الجواهر الكريمة ، وأقل النادرة ، حتى ليخيل إلى القارىء أن هذا الصبغ مع تذوقه وعدم بلوغه حد التكاف قد استحال على يد ابن المعتز ، إلى صبغ آخر جديد . وذلك هو

(١) ٧٨ و ٨٠ الصبغ البديعى فى اللغة العربية غلطوط

سر تفرد في هذا اللون ، ثم هذه التشبيهات الحسية بدور أكثرها على الأشياء المدركة بحاسة البصر ، أكثر من سواها من المحسّات ، ولابن المعتز فن مستقل في تصوير الألوان خاصة من بين سائر المبهضات ، يبلغ فيه غاية الجودة والإحسان ، وسيأتي كثير من مثل ذلك في شعره وتشبيهاته . وكان ابن المعتز إذا اضطر إلى تشبيهات عقلية ، استمد صورها من المظاهر الحسية في غالب الأحيان فيقول :

رددت إلى التقي نفسى فقرت كما رد الحسام إلى القراب

أو يقول :

اصبر على مضض الحسو د فان صبرك قاتله
فالتار تأكل بعضها إن لم تجد ما تأكله

أو يقول :

في ليلة فيها السماء مرزة سوداء مظلة كقلب الكافر

أو يقول :

لا تجمعوا باقه ويحكوا غلط الوعيد ورقة الوعد
ثالثا : وابن المعتز في تشبيهه مصور بارع ، ينقل لك بريشته على صفحة شعره البديع صورة مطابقة كل المطابقة لما يصوره من أشياء ، هو فني في تصويره ، وفتى بخياله المصور ، وذمته الخصب ، الذي يقدر الأشياء ، ويقدر الصور بمقدارها ، ثم يفرجها تشبيها شعريا يمثل أصله في كل خصائصه التي أرادها الشاعر ، وصوره من أجلها ، ثم هو لم يحب أن يمثل عواطفه في تشبيهاته ، لئلا تخرج عن حقائق الأمور التي تمثلها أمام العقل ، وفي رؤية البصر ، ثم يظهر لك أصباغ صورته كلها دون أن يمزجها بعضها ببعض ، أو يلونها بلون خاص .

رابعا : وظاهرة أخرى في تشبيهات ابن المعتز هي دقة التصوير التي امتاز بها وبلغ فيها منتهى الإجادة وتقدم بها كثيرا من الشعراء الوصفين . كان يوضح الشبه بين الشيئين توضيحا بالغا مهما اختلفا في الجنس وتباعدة في الخيال ، وكثيرا ما كان يجمع أعناق المتناقضات في رتبة ، ويمقد بين المتباينات معاهد النسب والآلفة ، مما يدل على دقة الفكر ولطف النظر ونفاذ الخاطر وما يعطيه الناقد في كثير من منزلة الحاذق الصانع والمصور الملم ، الذي سبق إلى اختراع نوع من (٢٨)

الصنمة حتى صار إماما فيه وأسمى من بعده عيالا عليه وتبعاً ، فالبنفسج زهر
غض يرف ينصر فيه زرقة أوراقه وحررة ساقه ، يشبه ابن الممتز لا يزهر مثله
ولا بنات آخر شبّه به ولكن يشبه بلّب نار لا يستطيع سوى الحاذق أن يتخذ
منه له مثالا ، ثم لم يكتف بذلك ، بل دق في التصوير ، ونظر نظرة حاصية غريبة ،
فشبه برقة النار ، أول ما تشتمل في الكبريت ، فبلغ غاية التصوير ، وملك
زمام الإجابة حين يقول :

ولازوردية تزهو برقتها بين الرياض على حر اليواقيت
كأنها فوق قامات ضعفن بها أوائل النار في أطراف كبريت

والبرق في حركته واستطائه في أثناء وميضه ، يشبه ابن الممتز بالفرس ، ثم
يدق فيجعل الفرس بقاء ، ثم يدق فيجعلها ترح وتيجول ، ليسكون قد راعى ما به
يتم التشبه ، وهو معظم الغرض من تشبيهه ، وهو هيئة حركته ، وكيفية لمه . فيقول :

وترى البرق عارضا مستطيلا مرج البلق جلن في الأجلال

والصبح حين يظهر في حواشي الظلة ويدفع الليل دفعا يشبه ابن الممتز
بأشخاص الغربان ، ولكنه يجعل الغربان بيض قوادم الريش ، ثم يجعل الغربان
ذاهية في الفضاء طائرة في جو السماء . يدفعها الخوف لا الرجاء . فيبدع في ذلك
كله غاية الإبداع حين يقول :

كأنارضوا الصبح يستعجل الدجى تطير غرابا ذا قوادم جون

فيجيد التشبه والتصوير . وتمام التدقيق والسحر في هذا التشبيه ، في أن جعل
ضوء الصبح ، لقوة ظهوره ، ودفعه لظلام الليل ، كأنه يحفز الدجى ويستعجلها .
ولا يرضى منها بأن تتحول في حركتها . ثم صور ذلك كله في قوله : تطير غرابا
دون أن يقول غراب أو غراب يطير ، وذلك لأن الغراب وكل طائر إذا كان
هادئا واقفا في مكانه فأزعج وأخيف وأطير منه كان ذلك أسرع لطيرانه . ومسيره
إلى حيث لا تراه العيون ، وليس كذلك إذا طار عن اختيار ، لأنه يجوز أن يصير
إلى مكان قريب من مكانه الأول .

وكذلك يقول ابن الممتز وهو من أغرب ما قاله محدث :

وقد دفع الفجر الظلام كأنه ظلم على بيض تكشف جانبه

والشمس في توج شعاعها وفي إشراقها واستدارتها يشبهها ابن المعتز بتوج نور المرأة ، ولا يفتح بذلك بل يجعل المرأة في كف الأشل ويقول : والشمس كالمرأة في كف الأشل . ويصور أشعة الشمس في تلاقها وإشراقها ووقوع أشعتها على الأرض فيقول في [جادة] :

وشارق يضحك من غير عجب كأنه صب على الأرض ذهب
ومن عجيب التصوير ودقيق التشبيه . وبلغ القول في سرعة الغرس قوله :
كان جنان الفسالة تضربه كأن ما يهرب منه يطله
إلى آخر هذه التشبيهات الكثيرة الجيدة الصنعة والانتقان .

عامسا : وابن المعتز يسبق على صوره في التشبيه ظل حياته المترقة المقعمة بألوان النعم . ويشبه الأذريوة بكؤوس الذهب التي يحفظ فيها الطيب وفيها بقية منه ، ويشبه الترجس بكؤوس الدر التي في حشوها العقيق ، ويشبه العنب بمخازن البلور ، إلى آخر هذه الأوصاف التي استمدعا الشاعر من حياته ويثته .

القيمة الأدبية لتشبيهات ابن المعتز :

وهذا عنصر أدبي من عناصر الحديث عن تشبيهات ابن المعتز ، وبحال الكلام فيه متيق عسير إلا على لحول النقاد . ولكن سأسير فيه إلى منتهى غايات البحث ، فأقول :

أولا : لابن المعتز تشبيهات مبتكرة لم يحم حولها أحد وسأشير هنا إلى بعضها . قال ابن المعتز في وصف سقاء الراح :

وتحت زنانير شددن عقودها زنانير أعكان معاقدها السرر
وهذا تشبيه ما نعلم أنه سبق إليه ، يشبه بالزنانير المربوطة على خصورهن والمعقودة فوقها هذه الثنيات التي في أجسادهن والتي يحمل السرر عقدا لها . وقال مبتدعا غير متبع في وصف العنب :

كأنه عاذن البلور لم يبق منه وهج الحورور
إلا ضياء في ظروف نور

وقال في وصف الهلال ما لم يسبق إليه :

انظر إليه كزورق من فضة قد أثقلته حمولة من عثر

وقال فيه أيضا :

كنجل قد صيغ من فضة يحصد من زهر الدجى نرجسا
ويقول في الثريا ما لم يسبقه أحد إليه على كثرة ما وصفوا الثريا :
وقد امت بين التجوم كأنها قوارير فيها زئبق يترجرج
ويقول في وصف السراب وسط الصحراء ، مالا يعرف النقاد تشبيها في معناه
أحسن أو أصوب منه :
والآل ينزو بالصوى أمواجه نوز القطا الكندري في الاشواك
ويشبه الشرب جلوسا في مجلس الراح ، والسقاء وقوعا بينهم تشبيها مبتدعا
فيقول :

وكان السقاء بين الندامى ألفات بين السطور قيام
إلى ماسوى ذلك من تشبيهاته الجديدة المبتكرة كتشبيه الأذريون بمداهن من
ذهب فيها بقايا غالية . وتشبيه النرجس بكؤوس من الدر في حشوهن عقيق الخ .
ثانيا : ولابن المعتز تشبيهات بعضها استمدعها من تقدمه من الشعراء ولكنها
زاد عليهم في المعنى ، أو في حسن السبك وسحر الأسلوب وبعضها الآخر وجد
الشعراء قالوا فيها صورا فقال هو فيها صورا أخرى وهي كثيرة مبثوثة في كل باب
من أبواب شعره ، وسأذكر عدة مثل لها .

قال عتبية بن مجير يصف جوده ونهوضه إلى قرى ضيوفه وذبح إليه :
فقام أبو حنيف كريم كأنه وقد جد من فرط الفكاهة مازح
أخذ ابن المعتز فزاد في المعنى وأبدع في التصوير . فقال :
وقيدها بالنصل خرق كأنه إذا جد لولاما جنى الشيف مازح
فبلغ بقوله « وقيدها بالنصل » ، وبقوله : « لولاما جنى الشيف » غاية الأجداد
في التصوير .

ويقول البحرى في صفة المناق :

ولم أنس ليلتنا في العنلق لف الصبا بقهظيب قهظيبا

أخذه ابن المعتز وزاد عليه في المعنى وفي جودة التصوير ، ورقة التعبير . فقال
فلو ترانا في قيس الديجي حسبتنا في جسد واحد
وقال كثير :

أخذنا بأحرف الأحاديث بيننا وسات بأعناق المظى الأباطح
أخذه ابن المعتز فقال :

سالت عليه شعاب الحى حين دعا أنصاره بوجوه كالدينانير
فقله ، سالت عليه شعاب الحى ، يقابل الشطر الثانى كله من بيت كثير ، فهو
أوجز . على أن ، سالت عليه شعاب الحى ، أبلغ في التصوير من قول كثير
ومن أعجب التشبيه في النار قوله :

وموقدات بتن يضر من اللهب
يشبعنه من لحم ومن حطب
يرفعن نيرانا كأشجار الذهب

هذا تشبيه لا نظير له في شعر الشعراء ، فليوضع مع التشبيهات التي ابتكرها
ابن المعتز .

ويقول شاعر :

لا تعجبوا من بلى غلاته قد ذر أزراره على القمر
أخذه ابن المعتز ، فراد عليه ، وأجاد فيه ، فقال :
يمرك الدل في أنوابه غصنا ويطلع الحسن من أزراره قرا
ويشبه القمر بالنار في عدوه ، ومن أجمع ما جاء في ذلك قول ابن المعتز :
فهو نار والدخان تراب مستطير وحصى الأرض جمر
ومن أجود ما قيل في سمن الإبل قوله :
لنا إبل مليء الفضاء كأنما حملن التلاع الحو فوق الحوارك
وليس في شعر المحدثين في الحية أجود من قوله :
كأنها حين تبدو من مكانها غصن تفتح فيه الثور والورق

وقال شاعر في الهلال وتشبيهه بقلامة الظفر :

كأن ابن ليته جانحا فسيط لدى الأفق من مخصر
أخذه ابن المعتز ، فزاد وأجاد ، وحسن معرته . وسهل لفظه . في قوله :
ولاح ضوء هلال كاد يفضحنا مثل القلامة إذ قدت من الظفر
وقال ذو الرمة :

وليل كجلباب العروس ادرعه بأربعة والشخص في العين واحد
أخذه ابن المعتز . ونقله إلى ماهو أحسن منه معنى . وأرق لفظا . فقال :
وليل كجلباب الشباب قطعه بفتيان صدق يملكون الأمانيا
« وجلباب الشاب » أبدع تصويرا من « جلباب العروس » ، وقال شاعر مبدع :
على حين أفنى القوم ضر من السرى وطارت بأخرى الليل أجنحة الفجر
أخذه ابن المعتز فقال :

إلى أن تمرى النجم من حلة الذهبى وقال دليل القوم قد ثقب (١) الفجر
وقد أديم الفجر حتى ترفعت لهم ليلة أخرى كما حوم النسر
وقال أبو نواس في الراح :

كأن صغرى وكبرى من فقاقتها حياء در على أرض من الذهب
أخذه ابن المعتز فأجاد حين يقول :

من سماء كأنها أرض تبر في نواحيه لؤلؤ مفروس
ومن التمثيل القليل التظاير قول ابن المعتز :

ويخرج أحشائى يمين مريضة كالأن من السيف والحد فاطع
وفي وصف الحديث يقول بشار :
وكان رجع حديثها قطع الرياض كمين زهرا

(١) ثقب النار : انفلت

وفي هذا المعنى يقول ابن المعتز في محبوبته شرير، فيحسن غاية الاحسان:
(ونشر) أحاديث عذاب لو أنه جنى النحل لم يهيج حلاوته النحل
والناس كلهم شهبوا حلاوة الحديث بحلاوة العسل . إلا ابن المعتز فإنه زاد
هذه الزيادة الجميلة .

وقال بعض العرب . يصف قوة رائحة الشراب :
كيت تكاد وإن لم تذك تنثى إذا الساقيان استدارا
فذكر أنها تسكر برائحتها . وهذا من المعاني القرينة . أخذه مسلم فقال :
كفأى من شربها شربها فرحت أجرة نوب النمل
وقال ابن المعتز .

إن راحا قال الإله لها كوني فكانت روحا ورعيا ورعيا
درة حيثما أدبرت أضامت ومشم من حيثما شم فاحا
فأجاد وأبدع كل الإجابة والإبداع
وبعد فيطول بنا الحديث لو ذكرنا كل تشبيهات ابن المعتز وما فيها من
ابتداع ، وما في كثير منها من إجابة ، وما قصر في قليل منه عن
الشعراء . (١) فلنكتف بهذا القدر في هذا البحث ، فقها ذكرت
كفاية . وهو يرشدنا إلى عدة نتائج لها أهميتها في فهم القديس في شعر ابن المعتز .
أولا : أن ابن المعتز كان ذا ملكة قوية في التصوير والقديس ، وكان يقصده
قصدا ويفهم به افتنانا .

(١) وهو كثير وسيأتي بيانه ومنه قول أبي نواس :
يلينا على كسرى سماء مداعة مكالة حافاتها بنجوم
أخذه ابن المعتز فقال :
وكأس من زجاج فيه أسد فرائسهن أنساب الرجال
وزاد على أبي نواس في المعنى ولكنه حذف عنه في التصوير

ثانياً : أنه كان يقصد إلى أروع التشبيهات في الشعر العربي . فيصوغها بقته صوغاً مختاراً . ويخرجها لإخراجاً جيداً . أو يأتي بتظهير لها في التشبيه .
ثالثاً : أنه فيما حاكى فيه الشعراء منها مجيداً ، وفيما ابتكره من تشبيهات إمام الشعراء جميعاً لا يدركه منهم أحد .

فن ابن المعتز في موازين التقدير الأدبي :

أولاً : العامة تشبه الورد بالحدود والحد بالورد . وهو من المبتذل ، إلا إذا أضيفت إليه زيادة تنقله من العامى إلى الخاصى ، أو ضم إليه معنى يشفع به ، كما قال علي بن الجهم :

عشبة حياتي بورد كأنه حدود أضيفت لبعضين إلى بعض
وهذا من قصيدة ، مدح بها إبراهيم بن المهدي ، ولما سمع إبراهيم منه هذا البيت ، زحف حتى صار في ثألي القراش ، وقال : يا فني شهبوا الحدود بالورود ، وأنت شبهت الورد بالحدود (١) .

على أن في بيت ابن الجهم زيادة تبعده عن الابتذال . وهو إضافة بعضين إلى بعض . وقال ابن المعتز في هذا المعنى ، بصور بياض الورد وما في جوانبه من احمرار :

بياض في جوانبه احمرار كما احمرت من الخجل الحدود
فأبدع في التصوير والتشبيه : قال القاضي الجرجاني في وساطته : ولو اتفق له أن يقول : حمرة في جوانبها بياض لكان طبع المفصل ووافق شبه الخجل (٢) . قال عبد القاهر : إلا أنه لعله وجد الأمر كذلك في الورد . فشبّه على طريق العكس . فقال : هذا البياض حوله الحمرة كذه الحمرة حولها البياض في وجنة الخجل (٣) . ويقول ابن رشيق : البيت من سوء المقابلة وإن عده القاضي الجرجاني

(١) ١٠٨ : ٢ زهر الآداب

(٢) ١٠١ وساطة

(٣) ١٧٢ أسرار

غلطا في التشبيه (١) .

ثانيا : ويقول أبو هلال (٢) :

ومن ردى التشبيه قول ابن المعتز :

أرى ليلا من العمر على شمس من الناس
فاجمع بين الليل والناس ردى : وقد وقع هنا باردا .

وأقول أنا : إن رداة التشبيه إنما جاءت من أنه جعله شمساً فبالغ في الشبه
والتصوير ، ثم ناقض نفسه في هذا الادعاء حين قال من الناس .

ثالثا : وبأخذ بعض النقاد على ابن المعتز قوله في وصف كتاب :

بشكل يرفع الأشكال عنه كأن سطره أغصان شوك

لأنه مدح الكتاب بعمل سطره شوكا . وإن كان لاحظ التشبه التام في صورته .

لكنه بالذم أشبه (٣) .

وردى على هذا النقد : أن ابن المعتز إنما لاحظ الشكل في الشبه دون ماسواه .

رابعا : وبأخذ عليه بعض الكتاب . أنه لا يزيد في تشبيهاته على أن يعطيك

نسخة لما يرسم لك . دون أن يعبر في تصويره عن خلجات نفسه ومشاعره . فهو حين

يشبه الهلال بـ زورق من فضة أنفاته حولة من عثر ، لا يزيد على أن يعطيك نسخة

من صورة الهلال ، لعللاقة بينهما وبين إحساسه ، ومع ذلك فلم يحسن في نقل نسخة

تامة الشبه بالهلال . ويمكن أن تصور الهلال في خيالك ثم تصور بجانبه زورق

ابن المعتز ، لتدرك الفارق الكبير . وتعلم مقدار ماشوه ابن المعتز من منظر الهلال

الجميل . وكذلك قوله في الهلال أيضا :

كنجل قد صيخ من فضة يحصد من زهر الدجى ترجسا

ففضلا عن أنه لا تشابه بين الهلال والنتجل إلا في الشكل الخارجى ، ولا صلة

(١) ٧١ : ٢ المدة

(٢) ٢٢٩ الصائين

(٣) ٢٥٢ طراز الجاس .

بينهما في الطبيعة إلا حلة النظرة البصرية . فضلا عن ذلك فقد راح ابن المعتز يصنع المنجل من الفضة . ثم يجعله بمحدد الزجاج . وإيكن لهذا الزجاج زهر . وليكن هذا الزهر ثابتا في الدجى . وإيس وراء ذلك كله شيء من العاطفة والأحاساس أو إدراك شيء من خفايا الجبال . وأسرار العاطفة . وهذا نقد لا يقوم على أساس ويتخلص فيما يلي :

- ١ - أن البيتين السابقين لا يصوران الهلال تمام التصوير .
- ٢ - أن التشبيه عند ابن المعتز فن خالص وليكن لاجية فيه .
- ٣ - أنه في تشبيه بعيد الفكرة ، بعيد الوضوح .
- ١ - وردى على الأول هو أن ادعاء عدم تصوير اليقين للهلال تصويرا تاما سفسطة وينقض الناقد نفسه فيه ، ولما شبه هوجو الشاعر الفرنسى الهلال بمنجل من ذهب راح أعلام الأدب الفرنسى فكيف يرعون لو كانوا يعلمون بما أتى به ابن المعتز .
- ٢ - وردى على الثانى هو أن فن ابن المعتز فى التشبيه لا يخلو كله من التعبير عن عواطفه وشعوره ، وما خلا من ذلك فأنما كان الشاعر فيه يسير الفن الخالص ، لثلا تبعد الصور التى يرسمها عن حقائقها المرسومة ، وأى حيز على الفنان فى ذلك ، وهل اتفق النقاد بعد على أن الفن تصوير ، وعاطفة تلون هذا التصوير بلونها الخاص ؟ اللهم لا ، على الفن وحده مهما سار فى طريقه بعيدا عن العاطفة ، فهو وحده مظهر يستثير العاطفة والوجدان .
- ٣ - وردى على الثالث هو أن نظرية الوضوح والخفاء فى الأدب لا تزال محل بحث النقاد الآن ، ولم يتفق عليها بعد اثنان ، فالجاحظ - من كان ينادى بالوضوح والإفهام ، وبأن البليغ من الكلام ما كان معناه إلى قلبك أسبق من لفظه إلى سمك ، إنما كان يدعو إلى أن يجتهد المتكلم فى تهذيب اللفظ وترتيبه ، وصيانه من كل ما أدخل بالدلالة ، وعاق دون الإبانة ، ولم ير أن غير الكلام العامى المرذول ؛ والقاصى الجرجانى لم يحاسب المتن فى وساطته على عمقه فى التفكير والتصوير ، لأن ذلك سمعة عامة فى شعر المحدثين ، وعبد القاهر فى أسرارهم يقسم

العموض إلى ما سببه التقيد في الأداء فقيرده ، وإلى ما سببه الدقة في المعنى فيشيد به ، ويرى أن المعاني الشريفة لا يد فيها من بناء ثان على أول ، ورد تال إلى سابق ، ورأى بعض الباحثين من المحدثين : أن العموض في فن المتنبي هو سر عبقرية الشاعر ، التي أرتفعت به إلى مقام الخالدين من الشعراء :

وتحدث كذلك ناقد آخر ، عن قصيدة المقيمة البحرية للشاعر الفرنسي بول فاليري وكيف أثارت اهتمام النقاد جميعاً في فرنسا فلم يتفقوا على شيء حول مذهب الشاعر في فن الشعر ، أو حول الموضوع والعموض في فن الشاعر كما يسميه كثير من النقاد . وبعد فهذا ردى الموجز على هذا النقد الجريء ، ولا تنقل إذا إلى العنصر الثالث من عناصر هذا البحث .

ابن الرومي

منزله وحياته :

ابن الرومي شاعر مجيد . وعلم من أعلام القريضة في القرن الثالث الهجري ، ويعتد في الطبقة الثالثة من شعراء المحدثين ، وهي الطبقة التي كان من أبطالها ؛ أبو تمام والبحرئى وابن المعتز ، وورثت مجد الشعر بعد طبقة أبي نواس ، وكان لها منهجها الأدبي الخاص ، الذي يقوم على العناية بالصناعة الشعرية ، ودلى نوايد المعاني وضحى الخيال .

ولد أبو الحسن علي بن العباس بن جريج الرومي عام ٢٢١ هـ ، من أبوين عتاني الأرومة ، فأمه تنحدر من عنصر فارسي ، وأبوه ينحدر من عنصر رومي كان يحتفظ بطبيعته الشاعر ويعتز به طول حياته ، كان مولد لحفيد من أحفاد الخليفة أبي جعفر المنصور ، وولد في بغداد في دار بازام نصر مولاة ، ومات والده في طفولة الشاعر ، فنشأ ابن الرومي في ظلال والدته وأخيه الأكبر يعيش هو وأسرته على مال ضئيل خلفه لهم أبوه ، وأخذ يتزود بقسط من ثقافة عصره . فلم يلبث أن أحاط بكل ما يمكن أن يحاط به من العلوم والآداب ، ونسج في الشعر ، ونظم القريض وطارت شهرته في سماء بغداد ، ولكن هذه الشهرة لم تنفعه ، كان فقيراً يريد أن

يعيش، وجائعا يريد أن يأكل، وظمآن يريد أن يروي، وخلق الشباب يبحث عما يلبسه، وقصد يشمره رجالا الدولة في عصره مادحا لخرموه المعطاء، فعماش ساخطا على الحياة والأحياء.

في دولتي أنا مقصوب وفي زمني عودي ظمى. بلا رى ولا بلل
كان شابا جريلا قوى الملكات، مزودا بشتى ألوان الثقافة، فلم يفقه ذلك شيئا في حياته، وكان يسمع ويرى حياة الترف التي يحياها في عصره كثير من الناس، فتمنى لنفسه حظا من النعمة، فلم يحفظا تامل، وهو الشاب الذي ذاق ألم اليم والشاعر المرهف الإحساس، فاشتد سخطه على الناس وأمطرهم وابلا من أهاجيه، التي بلغت إلى الكثير وزادت من آلامه في الحياة.

تزوج فأعقب ثلاثة أولاد فقدم جميعا. وفقد بعدم أخاه ثم زوجته وأمه. فعماش حزينا مهموما.

وكانت هذه الحياة الخافلة بالأحداث سببا في هذه الطيرة التي لازمت ابن الرومي طول حياته.

عاصر المتصم والرائق والمتوكل المتصم والمستعين والمعتز، والمهتدي والمعتمد. وتوفي في عهد المتعبد سنة ٢٨٣، أو ٢٨٤ هـ كما يقول ابن خلكان.

شاعريته وخصائصها:

كان للدم الرومي وأثر الوارثة، ولحياة الشاعر وبؤسه، وثقافته وبيئته، ولشاعره المرهقة ووجدانه الرقيق، كان لذلك كله أثره البعيد في شاعرية الشاعر وفنه الأدبي، الذي كان صورة مكبرة لكل ألوان هذه الحياة. اجتمعت له دقة الملاحظة والإحساس، وعمق الشعور بالمتناقضات في نفسه وفي زمنه، فولدت في نفسه روح السخرية، وأشاعت في فنه هذا اللون الجيد من ألوان الشعر والشعور، وهو فن الهجاء، الذي امتاز به الشاعر وأجاده، حتى حين يهجو من لم يؤذ به. كما يقول يهجو مغنيا من قصيدة طويلة:

ومسمع لا عدمت فرقه قائما نعمسة من النعم
بجلاسه مأتم الأذاذات والقصد السلف وعرس الموموم والندم

وكذلك جيمته في رثاء يحيى العلوي الذي قتل عام ٢٥٠ هـ وميمته في رثاء البصرة حين ضربها الزنج عام ٢٥٧ هـ (١). وشغف قلب ابن الرومي بالحياة ، وتطلعه إلى متعها ولذاتها ، وحياته في مظاهر الحضارة التي كانت تفسر عصره ، وأثر الرواية في نفسه ، كل ذلك جعله من أعظم الوصافين في الشعر العربي ، وقصيدته في «وحيد الغنية» مثل من أمثلة هذه الإجابة ، ويقول منها :

(١) زاد من مفتلي لذيذ المنام
، أماك فاطراى نهجيك نهج

مطلقات وما حملن جنينا مرضعات ولسن ذات ليلان
كل عود يدعى بأسماء شتى بين عود ومزهر وكران
أمة دهرها تترجم عنه وهو بادی الغنى عن الترجمان
إلى غير ذلك من روائع فصائده في الوصف والتصوير ، كما أجاد في وصف
الحرف وفي وصف الأخلاق والمواطف ، ويبلغ في العتاب العافية في الجودة ، كما في
قصيدته في عتاب أبي القاسم الشطرنجي ، التي مطلعها :
يا أخى أين عهد ذاك اللقاء أين ما كان بيننا من صفاء
وله آيات في المدح تحوز الإحسان والإجادة ، ومنها نونيته في أبي الصقر ،
ومطلعها :

أجنت لك الوجد أغصان وكشبان فيهن نومان تفاح ورمان
ويقول فيها :

قالوا أبو الصقر من شيبان قلت لهم كلا لعمرى ولكن منه شيبان
وكم أب قد علا بآبى ذرى شرف كما علت برسول الله عدنان
ويمتاز ابن الرومي بتفضيله المعنى على اللفظ كما كان المتنبي ، فهو يطلب صحة
المعنى ولا يبالي حيث وقع من هجونة اللفظ وخشونته ، كما يقول ابن رشيق (١) .
كان بديع المعاني بمبدعها ، كثير الاختراع والتوليد فيها ، والاستقصاء لها ،
لا يترك فيها بقية لفيرة ، والقدرة التامة في تحقيق المعاني وتفصيلها هي أغصان
خصائص شاعرية ابن الرومي ، ويقول ابن رشيق فيه : « إنه أكثر الشعراء
اختراعا للمعاني » .

أما أسلوبه فجمع بين الجيد والردى وروح الصنعة ظاهرة فيه ، وإن
كانت في شعره أقل منها في شعر ابن المعتز ، لم يكن ابن الرومي يعني بتدبيب شعره
وتتقيحه ، ولو أسقط رديته لكان في ذلك أجود الشعراء ، وفي الغالب أن شعراء
المعاني كابن الرومي وأبي تمام ، فلما تنهض أفاضلهم بأداء معانيهم ، وقد كان ابن

الرومي لا يحتفل باللفظ إلا بقدر أداء المعنى . وتمتاز قصائده بطول النفس ،
علا بخاريه فيه إلا ابن هانيه الأندلسي . وقد ساعده على الإطالة أسلوبه الخاص
في تناول كل معنى من معانيه بالإطناف والنسج ، ونقله على كل نواحيه كما تمتاز
قصائده بالانسجام والوحدة في تأليفها ، حتى لكأنها قطعة واحدة ، مؤلفة
تأليفاً منطقياً لا عوج فيها ولا ضعف ولا استطراد .

وخياله خيال يقظ ، حسي في غالب شعره ، يترك الحس إلى عالم العقل أحياناً ،
أوتى ملكة التصوير ولطف التخيل ، وبراعة اللعب بالمعاني والأشكال .
ولأنه كان شاعراً يختلف النقاد في منزلته الأدبية مثل ابن الرومي ، أحمله
صاحب الأغاني إهمالاً ، بعامله بعض بالخصوصيات الأدبية التي كانت بين ابن الرومي
والأخفش ، أستاذ أبي الفرج ، ويعمله آخر بان ابن الرومي كان شيعياً وأبا
الفرج كان أموياً . وقال آخرون : إن روح السخط على ابن الرومي كانت لا تزال
متأججة الملأ ، لأهاليه في رجالات الدولة ، وأعله أنا بأن أبا الفرج لم يرتض
مذهب ابن الرومي في الشعر ، ونهجه في نظم القريض . يقول القاضي الجرجاني
عنه في وساطته : « وقد نجد كثيراً يتجمل تفضيل ابن الرومي ، ويقولون في تقديمه ،
ونحن نقرأ القصيدة الواحدة من شعره ، وهي قد تنأهز المسألة أو تزيد ، فلا نعلم
فيها إلا البيت الذي يروق أو البيتين . ثم قد تنسج قصائد منه ، وهي واقفة
تحت ظلها جارية على رسالها (١) ، لا يحصل منها السامع إلا على عدد القوافي ، وانتظار
الفراغ منها (٢) » . ويقول ابن رشيق في عمده : « وأما ابن الرومي فأولى الناس
باسم شاعر ، لكثرة اختراعه ، وحسن اقتضائه ، وقد غلب عليه الهجاء (٣) » .
ويقول ابن شرف القيرواني فيه : « وابن الرومي شجرة الاختراع ، وثمرتها
الابتدع ، وله في الهجاء ، ما ليس له في الإطراء وقد كان واسع العطن ، لطيف
العطن (٤) » . ويقول الممرى عنه في رسالة الغفران : « وابن الرومي أحسن من
يقال إن أدبه أكثر من عقله ، وكان يتعاطى علم الفلسفة (٥) » . ويقول فيه ابن

(١) الرسل : البوذة

(٢) ٤٤ وساطة

(٣) ٣٣٥ : ١ المدة

(٤) وسائل الانتقاد

(٥) ١٦٦ - ١٦٤ رسالة الغفران

خلدكان : هو صاحب النظم العجيب ، والتوليد الغريب ، يفحص على المعاني النادرة فيستخرجها من مكانها ، ويبرزها في أحسن صورها ، ولا يترك المعنى حتى يستوعبه إلى آخره ، ولا يبقى فيه بقية . . ويقول المسمودي فيه : « كان من مختلفي معاني الشعر ، والمجودين في القصير والطويل ، وكان الشعر أقل أدوائه » ، وقد أشاد به أدياء العصر الحديث وعدوه شاعر الفن والتصوير في الشعر العربي ، ويقول ناقد من المحدثين : « إنما جنى عليه وغربه عند أهل عصره ، وفي أذواقهم ، تفرد ، ووحدة ذوقه وبمده عن أذواق الناس ، فلم يألفوه ولم يطربوا له ، طربهم لأشباعه الذين ينظرون إلى الحياة بأعينهم ، ويتناولون المعاني على طريقتهم (١) » ، وقد صور ابن الرومي رأيه في شعره في قصيدته التي يقول فيها :

قولا لمن عاب شعر مادحه أما ترى كيف ركب الشجر
ركب فيه اللحاء (٢) والخشب اليابس والشوك دونه الثمر
وكان أولى بأن يهذب ما يخلق رب الأرباب لا البشر
فليعذر الناس من أساء ومن قصر في الشعر ، إنه بشر

التشبيه في شعر ابن الرومي :

وابن الرومي مع كل سمات شاعريته وخصائصها ، مصور يجيد التصوير ، ومثبه يأتي برائع التشبيهات ، ورسام يرسم بمألفته ومشاعره التي تشيع في فنه صور الأشياء ، وشق المحسات والوجدانيات .

نحى في فنه هذه الملكة ، وتلك القدرة الفنية : عواطفه المتأججة وإحساساته المرفهة ، وحبه للجمال ، وفننه بالطبيعة ، مع خصوبة ذهنه ، وقوة خياله ، وتضج ملكاته ، وتنوع ثقافته ، ومع ترف الحضارة التي كانت تغمر بيئته وعصره ، والتي عاش يستلهمها الخيال ، ويلتقط من الطبيعة شق الصور والأشكال .

كل هذه الحوافز وسواها نمت في نفس ابن الرومي ملكات التخيل والتصوير ونفحته بواطن الصور . وجيد التشبيهات .

(١) مقدمة ديوان ابن الرومي للمقاد

(٢) قصر الشجر

خصائص تشبيهاته الفنية :

والتشبيهات ابن الرومي خصائص وسماة غالبة عليه ، ظاهرة فيه ، يمكننا أن نوضحها فيما يلي :

أولاً : أجاد ابن الرومي وأكثر من تشبيه الحسيات . أما المعنويات فصورها في شعره قليلة مع إجادته بالغة . ومنها قوله :

وإذا امرؤ مدح امرأ لنواله وأطال فيه فقد أراد هجاءه
للمدح بقدر فيه بعد المستقى عند الورود لما أطال رشاءه
وكنكك قوله :

وتدأبىرك اللطاف المراتي من أخفى من مستقر الحياة
لك مكر يدب في القوم أخفى من ديبب الغداء في الأعضاء
بل من سر في ضمير محب أدبته عقوبة الإفتاء
أر ديبب الملال في مستاء بين إلى غاية من البغضاء
أو مسير القضاء في ظم الغيب ب إلى من يريد بالشفاء
أو سرى الشيب تحت ليل سواد مستحير في لمة سوداء
ويقول :

وكان لذة صوته وديبها سنة تمشت في مفاصل نعس
ويقول في الكتاب :

أخى وترى وإني كان مولدنا معاً وربقى الأيام حيث ربي
ويقول : ومدامة كحشاشة النفس لطفت عن الإدراك والحس

وبعض هذه التشبيهات استمدتها من مظاهر الحس والحساسة .

ثم كانت أبرز حاسة يتسكى عليها في تصويره هي حاسة الابصار ، وبرزت من بين مرئيات هذه الحاسة الألوان خاصة ، فكان يهرك في هذه الفطنة الحسية حاسة اللون المتوهجة ، التي تظالمك في كل وصف من أوصافه ، للحسان والازهار والراح . وغيرها من المناظر التي تلامس البصر بألوانها ، فقرأ يقول :

ليت شري أسحر عينيك داء القلب أم تار غدك الوهاج

ويقول الراح :

صفراء تنتحل الرجاجة لونها فنخال ذوب النبر حشو أديها
لطمت فقد كادت تكون مشاعة في الجو مثل شماعها ونسبها

ويقول فيما :

ثوت تصطلى شمس الظاهر برهة إلى أن أفادت لون شمس الاضائل
ويقول في قوس قزح :

يطرزا قوس السحاب بأخضر على أحر في أصفر إثر مبيض
ويقول في وصف الصوت :

وتراه يموت طورا ويحيى مستلذ قصيده والفتيد
فيه وشى وفيه حلى من النغم مصوغ يختال فيه التفصيد
ويصف الحركات مع دقتها فيبدع ويجيد ، كقوله في وصف حركة الرقاق :
ما بين رؤيتها في كفة كرة وبين رؤيتها قوراء كالقمر
إلا بمقدار ما تندج دائرة في صفحة الماء يرى فيه بالحجر
ويصف حركة الري في النبات فيبدع حين يقول :

ويحور الخريف وهو ربيع وتسور (١) المياه في العيدان
ويصف الحركة البطيئة في سير السحاب المثقل بالماء فيقول :

حدثها النعاسي (٢) مثملات فأقبلت تمادى رويدا . سيرها كركودها
إلى غير ذلك مما فيه صدق تمثيل للحركة في الجملة والتفصيل .. والتفات الشاعر
هذا الالتفات الدقيق ، إلى كل لحظة من لحظات اللون والظل ، وإلى كل صغير وكبير
من دقائق الأشكال والحركات ، دليل على أنه مطبوع على التصوير ، وقصيدته
النونية في المهرجان ، والتي مطلعها :

عن الله طامة المهرجان كل بمن على الأمير الهجان
مظهر للسكة التصوير عند ابن الرومي ، وهكذا ظهرت مقدرته الباهرة في
التشبيه والتشخيص ، في مظهرها الحسى المتعدد الصور والألوان ، لأنه كان له عين

(١) سورة النشأ : وتوبه .

(٢) ربح الجنوب ومعى أبل الزباغ وأرطابها .

تلح فتى ، ونفس نحس قدستوعب ، وخیال يبصر الجمال المنظور فيثرى بالالوان
والسمات .

ثانيا : ويمتاز التشبيه في شعر ابن الرومي بدقة التصوير . فهو فطن دقيق اللفظة ،
حلفت إلى كل ما تتطلبه صورته الشعرية من الالوان والاصباغ ، يحكم ظلها
وأضواءها ، ويلتزم بين ألوانها وأشكالها ، ويخرجها صورة مكتملة الحياة في كل
من أجزائها . يقول في وصف أحبيب :

قصرت أعاده وطال قتاله فكأنه متربص أن يصفعا
وكأنما صفعت قفاه مرة وأحس ثانية لها فتجمعا
وهي دقة وفطنة بالغة لا نظير لها في وصف الشكل والحركة ، قصورة الرجل
وهو يتنهد لأن يصنع ، ثم يتجمع فيتنقى الصفعة الثانية ، هي صورة الأحبيب ، التي
لا ينقصها شيء . ولا يموها زيادة ، وهكذا يحكم الشاعر خلق الصورة ، ويضحك
بالمقابلة بين الشيء وشبيهه ، ولقد كان ابن الرومي في مجال فنه ، لا تفوته من الأغراض
فاتنة ، في اللفظ أو المعنى أو التصوير ، كما كان لا يفوته لون من الالوان التي
تنسجها غيوط النمس .

وكذلك يقول في هجاء مفضية :

وإذا غنت بدا في جيدها كل عرق مثل بيت الأروضة (١)
فصور بقوله « في جيدها » كل ما يمكن أن يبلغه التصوير ، وبذاته التعبير ،
وأراك القبح من حيث ترى سمات الحسن ، ووضع يدك على العيب بعد أن
وضع يدك على الجمال ، فكان ذلك أدعى لإعجابك بالتشبيه ، وسرورك بهذه
الصورة الحاذقة .

وكذلك يقول في وصف أصلع :

فوجه يأخذ من رأسه أخذ نهار الصيف من ليله
فيجيد ، ويدق في التصوير :

(١) دوبة تأكل الخشب .

ويقول في هجاء معن :
وتحسب العين فكيف إذا اختلفا عند التثني فكى بقل طلعان
قبيلغ بالتصوير ، وبالسخرية فيه غاية الإتيان
ويقول في صانع الزلاية :
يلقى المجهين لجيناً من أنامله فيستحيل شبايبكا من الذهب
فيبدع التصوير أى إبداع
ويصور المغنيات يحملن أعوادهن على صدورهن ، فيقول :
وقيان كأنها أموات عاطفات على بنينا حواني
ويصف افتتان الطبيعة في توشية الرياض بألوان الزهر ، فيقول :
ورياض تتقابل الأرض فيها غيلاء الفتاة في الأبراد
ثالثاً : وتمتاز تشبيهات ابن الرومي بأنه يفيض عليها من حياته وعواطفه
ما يلبسها ثوب الحياة ، لأنه كان يحس الحياة بكل جارحة فيه ، فهو حين يصور
الطبيعة يديرها روحه ، ويفضئ إليك بأحاسيسه في تصويرها ؛ ويحاول أن يندمج
هذه المحسات في عواطفه ووجداناته ، وهذا من أبرز خصائصه في فنه التشبيهي ،
والفرق عظيم بين شاعر يصف لك مارآه وشعر به وتخيله ، وأجالة في صدره ، وجعله
جزءاً من حياته ، وشاعر يسجل الصور لحسب . ومن أجل ذلك كانت الطبيعة في
تشبيهات ابن الرومي ، ليست مجرد صورة ولا حلية ، ولكنها جسم نابض بالحياة ،
يصف قدحاً من أقذاح الراح فيقول :
كفم الحب في الخلاوة بل أحد لي وإن كان لا يتاغى بحرف
ويقول في وصف حاله في شببه :

لاح شبي فرحت أرح فيه مرح الطرف في العذار المحلى
رابعا : وقد استمد ابن الرومي صور تشبيهاته ، من مشاهد الحياة التي تألفه
وبألها ، وبرأها في بيئته العامة والخاصة والتي هي في متناول كل رجل ، يعيش
في مثل المجتمع الذي كان يعيش فيه ابن الرومي ، وبمجيا حياته التي كان يعيشها ، ثم
يأخذ في عقد تلك الصور ومزج تلك الأصباغ ، وتركيب هذه المواد الممزوجة من
من مظاهر حياته وبيئته

القيمة الأدبية لتشبيهات ابن الرومي

سنستعرض هنا بعض تشبيهات ، لرى مدى جودتها أو مدى ما فيها من ابتداع وتجديد:

قال ابن الرومي في امرأة ورقبها :

ما بالها قد حسنت ورقبها أبدا قبيح . قبح الرقباء
ما ذاك إلا أنها شمس الضحى أبدا يكون رقبها الحرباء
وهي صورة شعرية غنية بنفسها عن الإعجاب والشرح .

وأجود ما قيل في الريق قوله :

يا رب ريق بات بدر الدجى عجمه بين ثناياكا
يروى ولا ينهك عن شربه والماء يروى وينهاكا
فليس لهذا البيت نظير في معناه .

وقال في الخمر والزجس :

ريحانهم ذهب على درر وشراهم درر على ذهب
فأجاد وأبدع في إخراج هذه الصورة الساحرة .

وقال في غيبو الشمس حين غروبها :

كأن غيبو الشمس ثم غروبها وقد جعلت في مجنح الليل تمرض
نخاوص عين بين أجفانها السكرى يرتق (١) فيها النوم ثم تغمض
وهي صورة جيدة الشبه للشمس عند الغروب .

ومن جيد تشبيهات أبي نواس وقد نبه ندبما للصبروح قوله :

فقام والليل يحلوه الصباح كما جلا التيسم عن غر الثنيات
ولابن الرومي التقدم عليه بقوله في الراح ، وقد أخذ أصل المعنى ونقله
إلى وصفها :

(١) وثقه : كدره

يفتر ذاك السواد عن يقن من نفسرها كاللآلئ النسق
كأنها والمزاج يضحكها ليل تعرى دجاء عن فلق
وقال أبو نواس :

تبكي فتندى الدر من ترجس وتلطم الورد بعناب
أخذه سعيد بن حميد فقال :

وكأنتما أثر الدموع بخدها طلال تساقط فوق ورد بانع
وقال البيهقي في هذا المعنى :

شقائني يحملن الندى فكأنه دموع الصابي في حدود الخرائد
وقال ابن الرومي في دموع المحبين وقت الوداع :

كأن تلك الدموع قطر تدي قطار من ترجس على ورد

فأجاد وأبدع باختصار اللفظ وحسن السبك . ومن الأبيات الجامعة في المدح
قول ابن الرومي :

هو الغرة البيضاء من آل هاشم وهم بعده التحجيل والناس أدهم
ومن أجود ما قيل في الثريا قول بعض الشعراء :

ولاحث لساريها الثريا كأنها على الأفق الغربي قرط مسلسل
أخذه ابن الرومي فقال :

طيب طعمه إذا ذقت فام والثريا في جانب الغرب قرط

ومن أحسن ما قيل في شروق الكأس قول ابن الرومي ، وأتى بشيء لم يسبق
إليه ، وهو تشبيه الحجاب بفلق الثؤاز ، فقال :

لها صريح كأنه ذهب ودغوة كاللآلئ الفائق (١)

وقال ابن الرومي :

(١) الفلق : الصبح

وقبلت أفواها عذابا كأنها ينابيع بحر خضبت لؤلؤ البحر
قال أبو هلال في ديوان الممان (١) : البحر زيادة لا يحتاج إليها . لأن اللؤلؤ
لا يكون إلا في البحر . ولو كان في غير البحر لؤلؤ فليس لشدته إليه فائدة . وأخيرا
فلابن الرومي القدرة الفائقة على تهجين ما أجمع الناس على استحسانه كما فعل في
الورد من تهجينه وتفضيل الترجس في صورة جميلة مؤثرة (٢) . وبعد فيختينا ذلك
كل الغنى في فهم النتيجة الأدبية للتشبيهات ابن الرومي .
ولنتقل بعد ذلك إلى البحث الأخير في الكتاب .

موازنا أدبية بين التشبيه في شعر الشعراء :

أولا : التشبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي حسي ، وإن ألم ابن الرومي
ببعض التشبيهات في غير الحسيات .

ثانيا : لحاسة البصر ، والألوان خاصة ، منزلة كبيرة في تشبيهات الشعراء .
ثالثا : كل من الشعراء يستمد مادة التشبيه من بيئته ، ولذلك كثرت في
تشبيهات ابن المعتز ألوان الحياة المرفقة ، من كؤوس النهر ، وأواني الفضة ،
وصحاف الذهب المخلاة بأنواع الجواهر الكريمة والآلئ النادرة ، عمالا يوجد نظيره
عند ابن الرومي إلا نادرا .

رابعا : التشبيه عند ابن المعتز ملحمي ، وعند ابن الرومي رغبة في ابتداع
الصور والمعاني ، ولذلك كثرت في شعر ابن المعتز ، حتى لا تبلغ كميته عند ابن
الرومي حد تلك الكثرة .

خامسا : وألفاظ ابن المعتز أرق من ألفاظ ابن الرومي فيه ، أما دقة
التصوير فهي سمة للتشبيه في شعر الشعراء .

(١) ٢٣٩ : ١

(٢) وذلك في قطعة شعرية مطوية أولها :

شجرات خمر والورد من نفضله شجلا توردها عليه شاعر
وقد حلقها عبد التاهر وبين مكرلها في البيان وفي جودة التخييل وحسن التعليل حتى قال فيها :
« إنه جاء بحسن وإحسان لا تجد مثله إلا له ، ٢٤٨ أسرار .

سادسا : ابن الرومي في صوره يمزج الاله باغ ويركب الصور ، وابن المعتز يمجها بجمعة دون اتحاد وامتزاج .

سابعا : وهذا لون آخر من ألوان الموازنة بين التشبيه في شعر الشعراء ، قال امرؤ القيس :

وتعطر برخص غير شسن كأنه أساريع ظبي أو مساويك إبل
وحول هذا المعنى يقول أبو نواس :

تعاطيكما كف كأن بنانما إذا اعترضتها العين صف مدارى
ويقول ابن الرومي :

أشارت بفضبان من الدر رقعت يواقيت حرا فاستباح فؤادى
ويقول ابن المعتز :

أشرن على خوف بأغصان فضة مقومة أثمارهن عقيق
وقال ابن الرومي :

أعاققه والنفس بعد مشوقة إياه وهل بعد العناق تدان؟
كأن فؤادى ليس يشقى غايله سوى أن يرى الروحاني يمزجان
وفي هذا المعنى يقول ابن المعتز :

يا رب إخوان صحتهمو لا يملكون سلوة قلبا
لو تستطيع قلوبهم فددت أجسادها وتماقت حبا
وقال أبو نواس في الراح :

إذا عب فيها شارب القوم خلكه يقبل في داج من الليل كركبا
أخذه ابن الضحاك وأحسن :

كأنما نصب كأسه قر يكرع في بعض أنجم الفلك
وقال ابن الرومي فيه ، وكان أحسن منهم ما :

فكأنما وكأن شاربها قر يقبل عارض الشمس
وقال ابن المعتز فزاد عليهم جميعا :

وكأنه وكأن الكاس في فـه هلال أول شهر غاب في شفق
وهو أحسن ما وصف به كأس على قم . ومن أحسن ما قيل في وصف مقن
قول ابن المعتز :

ومقن ملحق كل نفس بهواها ، وهو للسكر عذر
وأجمع من ذلك قول ابن الرومي :
تنفى كأنها لا تنفى من سكون الأوصال وهي تميد
ولها الدهر لائم مستزيد ولها الدهر سامع مستجيد
وقال ابن الرومي :

كأن نسيمها أرج الحزمى ولاها من بعد وسمى ولي
إذا أنفاسها نسعت سحيرا تنفس — كالشجي — لها الخلى
وحول هذا المعنى يقول ابن المعتز :

وما دبح قاع عازب طله الندى وروض من الريحان ذرت سحائبه
لجأت سحيرا بين يوم وليلة كاجر في ذيل الغلالة ساحبه

ثامنا : وقد يكون في الإمكان الموازنة بين قصدين للشاعرين ، في موضوع
واحد ، انرى من هذه الموازنة مدى فن كل من الشاعرين في التنبية ، ولكن
هذه الموازنة لا تعطينا حكما حاسما على شاعرية أيهما ، فكثيرا ما يأتي أحد الشاعرين
بتشبيهات في موضوع القصيدة لا يأتي بها الآخر ، ومع ذلك فأنا أعرض هاتين
القطعتين ، اللتين اخترتهما من شعر الشاعرين لتأريهما في الخيال ، ووجدتهما
في الموضوع ، فوق وحدتهما في الوزن . قال ابن الرومي من قصيدة في وصف
بجاس الراح :

شمس من الحسن في معصرة ضاهت بلون لها معصرها
في وجنات تخمر من خجل كأن ورد الربيع حرها
يسعى إليها بكاهه رشاً أشه الله وذكرها

- في كفه كالثهاب لاح على ظلام ليل دجت فنورها
إن برزت للهواء غيرها أو قرعت بالمزاج كدورها
ويقول ابن المعتز في مجلس الراح أيضا من قصيدة :
ومجلس جل أن تشبهه جن به مزرع ومزار
وزانه من بني العباد رشا بالجيد والمقنن سحر
قد ركب كفه مشعشعة إربقة في الكؤوس همدار
يلع فيها من كل ناحية كوكب نور إليك تظار
فظلت في يوم لذة عجب وافي به للسعود مقدر
وقابل الشمس فيه بدر دجى بأخذ من نورها ويمتار
- ١ - ففي هاتين القطعتين وصف للساق والراح ، وفي قطعة ابن الرومي زيادة وصف للقيظة التي تنفي في مجلس الراح .
- ٢ - وصف ابن الرومي الساق بالانوة ، ووصفه ابن المعتز بالسحر .
- ٣ - شبه ابن الرومي نور الراح في الكأس ، بالثهاب في ظلام الليل ، أما ابن المعتز فقد شبه الكأس بالبدر ، والراح بالشمس . وجعل الكأس يأخذ من نورها ويمتار .
- ٤ - وصف ابن الرومي الراح بأنها أصفى من الماء وألطف من الهواء ووصف ابن المعتز بكوكب نور متوقد .
- ٥ - ألفاظ ابن المعتز موسيقية ، وأعذب من ألفاظ ابن الرومي ،
- ٦ - وابن الرومي في جملة الأمر يركب الصور ويمزج التذييمات ولكن ابن المعتز يقف عند حدود التصوير . لا يعتمد لمزج تلك الأصباغ بعضها ببعض بل يزيحها بجمعة دون اتحاد أو امتزاج .
- ٧ - وابن الرومي يفوته أحيانا ما هو أبلغ في الوصف ، وأروع في أداء الغرض من حيث لا يفوت ابن المعتز ذلك كما رأينا في وصف ابن الرومي للساق بالانوة ، ووصف ابن المعتز له بالسحر .
- تاسما : وليس هناك شيء آخر يمكن أن نعرضه في سياق الموازنة بين الشاعرين في التشبيه ، إلا هذه الرواية الأدبية التي رواها ابن رشيق في المعمد والبيضا في خزانة الأدب والعباسي في معاهد التنصيص ، فقد لام لاثم ابن الرومي ، وقال له :

لم لا تشبه تشبيهات ابن المعتز وأنت أشعر منه ، فقال : ألا تلتدنى شيئاً من قوله ،
الذى استعجزتني عن مثله ، فأثدده قوله في الهلال :

انظر إليه كزورق من فضة قد أنقلته حمولة من عنبر
فقال له زدني ، فأثدده قوله في الأذريون (وهو زهر أصفر في وسطه نخل
أسود وليس بطيب الرائحة) :

كأن أذريونها والشمس فيها كالسنة
مداهن من ذهب فيها بقايا غالية
فصاح : واغوثاه : لا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، ذلك إنما يصف ما عاون
بيته ، لأنه ابن خليفة ، وأنا أي شيء أصف ؟ ولكن انظر إذا وصفت ما أعرف ،
أين يقع قول من الناس هل لأحد قط مثل قول في قوس النعام ؟

وساق صبيح للصبح دعوته فقام وفي أجفانه سنة الغمش
يطوف بكاسات العقار كأنهم فن بين منقش علينا ومنقش
وقد نشرت أبدي الجنوب مظارفاً على الجو دكتنا والحواشي على الأرض
يطرزاها قوس السحاب بأخضر على أحمر في أصفر إثر مبيض
كأذبال خود أقبلت في غلاتل مصبغة والبعض أقصر من بعض

وقول في صانع الرقاق

ما أنس لا أنس خياز امرؤ به يدحو الرقاقة مثل الملح بالبصر
ما بين رؤيتها في كفه كرة وبين رؤيتها قوراء كالفر
إلا بمقدار ما تنداح دائرة في لجة الماء باق فيه بالحجر
وقول في قائل الزلاية :

رأيت سحرا يقلى زلاية في رقة القشروالتجويف كالقصب
باني المعجين لجيناً من أنامله فيستحيل شبابكا من الذهب

أئمة الشعر في القرن الثالث

كان أبرز شعراء القرن الثالث أبو تمام والبحتري وابن الرومي وابن المعتز .
وقد علت بما سبق عن ابن الرومي وابن المعتز الكثير .

كان أبو تمام وابن الرومي ينعمان في الثقافة وينزعان إلى التفكير ويؤثران المعاني العميقة والآراء البعيدة في الشعر . وكان أبو تمام مع ذلك يتخذ الشعر صناعة فنية دقيقة ، فهو يختار ألفاظه وأسلوبه اختياراً دقيقاً ، ويصوغه صياغة خاصة مصبوغة بألوان الترف والزخرف وأصباغ البديع المتعددة التي عرفها شعراء القرن الثالث بدوقهم وعقلهم ؛ من حيث كان ابن الرومي قائماً بالعوض على المعاني دون النعمات أو إظهار الألوان الجمال في الأسلوب ؛ أما أبو عبيدة البهري فقد كان قريباً في أفكاره وأحداثها في أسلوبه ، يحب الصنعة ولكنه يؤثر منها ما كان مراعياً للفطرة العربية السليمة وللدق الأدبي الخالص الذي لم يفسده آثار الحضارة وألوان الثقافة ومذاهب الصنعة في الشعر ، وكان شعره صورة لهذا الاتجاه دون ماسواه ؛ أما ابن المعتز فقد شغف بصناعة الشعر شغفا شديداً ، فتأنت في ألفاظه وفي أسلوبه وأجاد في ألوان البديع وأصباغ الزخرف التي وشى بها شعره ، وعنى بذلك عناية كبيرة ، ومع ذلك فإنه لم يغفل نزعات التفكير التي كان يدفعه إليها عقله وبيئته وألوان الثقافات التي امتزجت بالحياة العقلية في هذا العصر الحصب ، فكان شعره صورة عامة لمدرسة أبي تمام ومدرسة البهري ومثلها أدق تمثيل مع ظهور شخصيته ووضوح أثره في الحياة الأدبية وتطور الشعر في عصره .

ونحن بعد ذلك لا غنى لنا عن عرض آراء النقاد في أبي تمام والبهري وابن الرومي عرضاً واسعاً يوقفنا على اتجاه ومنهج كل شاعر في التفكير والنتاج .

أما أبو تمام فشاعر مبدع ألفت إليه زعامة الشعر من جميع الشعراء في عصره وأثر في نظم الشعر تجويد المعنى ودقته ، فكان لطيف الفطنة دقيق المعاني غواصاً على ما يستصعب منها (١) ، وهو متكلف إلا أنه مصيب ، وشغله المطابقة والتجسس ، جزل المعاني ، مدحه ورنائمه لا غزله وهجاؤه ، وطارت له أمثال وحفظت له أقوال (٢) ، ولا يتعلق بحيدده جيد أمثاله ورديته مرذول مطروح (٣) ، وكان صاحب طريقة مبتدعة ومعان كاللؤلؤ متبعة (٤) ، وهو رأس

(١) ١٦٨ : ٧ مذهب الأعراف

(٢) ٢٤٩ رسائل البهاء من رسائل الاعتقاد لابن شرف

(٣) ٢ الموازنة

(٤) ١٦٦ رسالة النفران

في الشعر ومبتدئ. لمذهب سلكه كل محسن بعده فلم يبلغه فيه (١) ، وقد شقف بجزالة اللفظ ومثانة الأسلوب وبالصنعة وقصد البديع فهو أكثر الشعراء بديما واقتناا وصنعة في شعره إلا أن مصنوعه جيد ينبغي أن يكون مطبوعا ولحلاوة شعره ودقة أسلوبه خفيت الصنعة فيه كثيرا ، وهو من المبرزين بمجودة الرثاء (٢) ، ولم يكن له حلوة توجب له حسن التغزل (٣) ، وكان يكره نفسه على العمل حتى يظهر ذلك في شعره (٤) ، وكان يأتي في شعره برد الأعجاز على الصدر ولا يأتي به إلا شاعر متصنع كجيب ونظرائه (٥) . قصيدته « حتى أنت عن ذهلية الحى ذاهل » محشوة بالصنعة وتكاف فيها ألوان البديع مما عيب هو وأشباهه عليه (٦) . وشعره مبالغ في عصره مباينة واضحة من حيث تصويره للشعر وشدة أخذه نفسه بتجويد المعنى ووحدة القصيد وفي كلفه بوصف الطبيعة وميله إلى المعاني الفلسفية يضمنها شعره أيا كان الموضوع الذي ينظم فيه ، ويرى بعض المحققين أنه يجيد في هذا المعنى وذلك واسكنه لا يعرض عليك العالم كله في حالة من الحالات (٧) . ويرى آخر أن أبا تمام لا يعد في نظر أهل العصر الحاضر مثالا أعلى للشعر لأنه لم ينقل في شعره كثيرا من صور العواطف التي كانت تهيش بصدر المجتمع في ذلك الحين ولم يمثل الحياة القومية في عصره تمثيلا صحيحا ولم يكن كأبي العلاء حرا في إبداء ما يحتاج بنفسه من المعاني ولا شجاعا في بيان ما يعتقد حقا (٨) ، ومهما يكن فقد كان أبو تمام رأس طبقة ، وأخيل هو والبحر في زمانهما خسارة شاعر كلهم مجيد كما يقولون ، وتلذذ عليه كثير من كالبحتري وسواه ، وكان البحتري يقدمه وكذلك ابن الرومي (٩) ولم يدركه ابن المعتز وإن كان تلذذ على أدبه وشعره .

• • •

- (١) أخبار أبي تمام لاصولي . وراجع رد الأمدى عليه في ذلك ص ٦ من الموازنة
- (٢) ٢٤١ : ٢ المدة
- (٣) ١١٣ : ٢ المدة
- (٤) ١٨٢ : ١ المدة
- (٥) ١٨٣ : ١ المدة
- (٦) وراجع ١٩٥ إعجاز الفرائد
- (٧) وراجع مقالة لنقاد في الرسالة عدد ٤٥٨
- (٨) ص ٨ مقدمة مختصر شرح ديوان الخاسية
- (٩) ٦٥ أخبار أبي تمام

وأما البحرى فليبدأ في تمام . وكان ينتبه به في شعره . ويجذر جذوه في
البدیع وكان يراه صاحباً وإماماً (١) ، ترسم خطاً أي تمام رمضى على أثره في البدیع
إلا أنه أحسن في سبك اللفظ على المعنى وأراد أن يشعر ففى (٢) ، استمد
معانيه من وحى الخيال وجمال الطبيعة لا من آراء العلم وقضايا المنطق
والفلسفة فأعاد للشعر مذهب من بهجته ورونقه حتى قال المنفى فيه : أنا وأبو تمام
حكيمان والشاعر البحرى ، ويشيد النقاد بمذوبته وجمال لفظه وأسلوبه (٣) . وهو
في عذوبة اللفظ وسهولته يبد غير في هذا الميدان ، والكتاب بفضلون كلامه على كل
كلام ويقدمون رأيه في البلاغة على ما وصفه :

في نظام من البلاغة ماشك امرؤ ، أنه نظام فريد
وبديع كأنه الزهر الضاحك في رونق الربيع الجديد
حزن مستعمل الكلام اختياراً وتجنباً طلبة التعقيد
وركن اللفظ القريب فأدرك به غاية المرام البعيد (٤)

وهو من المكثرين في وصف الخيال المجيد فيه (٥) ، وأحسن الناس طريقاً
في العتاب (٦) ، وكان بعض النقاد يحتم به الشعراء (٧) ونوه به الأمدى في الموازنة
أعظم تنويه (٨) ، وكان يذكر أن أجود شعره : أهلاً بذلك الخيال المقبل (٩)
وكان ابن المعتز يشيد بشاعريته وبقصيدته في وصف إيوان كسرى وقصيدته في

(١) ١٨٣ : ٧ مذهب الأغانى

(٢) ٣ : ٢ الملل السائر

(٣) راجع : ٢٤٩ رسائل الباء ، ٧٣ أخبار أي تمام للصوفى ، وكان يقال لشعره
سلاسل الذهب ، ٣٧٨ : كشف الظنون . وكثر الغناء في شعره استظرافاً لا فيه من الحلاوة
على طبع البداوة ، ١٢٨ : ١ الممددة .

(٤) ١٠٠ : ١ معجزة القرآن

(٥) ٩٩ ديوان الصبابة لابن أبي حجلة

(٦) ١٥٢ : ٢ الممددة

(٧) ١٨٣ : ٧ مذهب الأغانى

(٨) راجع الموازنة ، ٢٠٥ : ١ الممددة

(٩) ١٧٠ : ١ معجزة القرآن

بركة المنكحل واعتذاراته (١) ، وكان الصاحب يعجب بطريقة شعراء الشام المثل التي هي طريقة البحترى في الجزالة والعذوبة والفصاحة والسلاسة (٢)

ولمّا يوازن شعر البحترى بشعر شاعر من طبقة ومن هو في مضماره أوفى منزله (٣) ونحن نقول البحترى بدبياجة شعره على ابن الرومي وغيره من أهل زمانه وتقدمه بحسن عبارته وسلاسة كلامه وعذوبة ألفاظه وقلة تعقيد في قوله (٤) ، والكتاب بفضلون البحترى على أهل دهره (٥) ، وبطيل الأمدى في الموازنة بينه وبين أبي تمام (٦) .

وقد اتصل البحترى بابن المعتز ، وله في والده وفيه في عهد طفولته قصائد كثيرة سبق الإشارة إليها ، وترجم له ابن المعتز في كتابه طبقات الشعراء ترجمة موجزة (٧) وكان يشيد بشاعريته وبسببته في إيوان كسرى وهاتين في بركة المتوكل (٨) ، وكان يجتمع به ويجلس معه (٩)

وأما ابن الرومي فشجرة الاختراع وثمرة الابتداع وكان واسع المعطن لطيف

(١) راجع ٣٣ رسائل ابن المعتز

(٢) ١ : ٩ البيعة

(٣) ١٩٠ إعجاز الفرائد

(٤) ١٩١ المرجع

(٥) ١٩٢ المرجع

(٦) راجع الموازنة وعلى الأخص ص ٢ و ١٨٠ و ١٨١ ويقول الأمدى إن النقاد لم ينفقوا هل أنهما أشعر من ٢ الموازنة

(٧) ١٨٦ و ١٨٧ طبقات الشعراء لابن المعتز وله تراجم في ٩٦ — ١٠٣ : ٣ وفیات ، ١٨٣ : ٧ وما بعدها مذهب الأتاني ، ٣٢٠ الموشح وما بعدها

(٨) راجع ٣٣ رسائل ابن المعتز

(٩) ٦ مقدمة ديوان البحترى

القطر (١) ، وهو أشعر أهل زمانه بعد البحترى وأكثرهم شعرا (٢) ، ويمتاز بطوله نفسه في قصائده (٣) ولم يجعل اللفظ شغلا شاغلا في صناعته (٤) ، وكان من عتاني معاني الشعر (٥) وهو أولى الناس باسم شاعر (٦) ، وهو غريب الأخذ (٧) ، ويرى صاحب الوساطة أن قصائده على طوفا لا تمثر فيها إلا بالبيت الذي يروق أو البيتين (٨) وهو على أى حال شاعر مجيد وعلم من أعلام القريض في القرن الثالث ، ويمتاز ابن الرومي بتفضيله للفظ على المعنى وباستقصائه واختراعه وتوليدته في معانيه .

كان ابن الرومي شاعر مكتمل السن وابن المعتز ما يزال يافعا شابا ، وكان ذلك يضع ابن الرومي موضع الأستاذ لابن المعتز ، ولكن شاعرنا ابن المعتز لم يبال به ولا تأثر تأثرا واضحا بشعره ، لأنه كان بين الشاعرين صلات مقطوعة ، ففضلا عن تفاوت السن كان ابن المعتز سنيا وابن الرومي معتزليا ، وكان ابن الرومي يحب المستعين ويكره المعتز كما أحب المهتدي وهما المعتز قبل قتله وقد سبق ذكر ذلك ، وكان لذلك ولا شك أثره في نفس الأمير ، فنقم على ابن الرومي واعتزله ورفض الاتصال به ولم يترجم له في كتابه طبقات الشعراء مع أنه ترجم للبحترى (٩) ولأبي تمام (١٠) ولأبي العيناء (١١) والناشي . م ٢٩٣ (١٢) وسواهم .

وأما ابن المعتز فشاعريته وشعره وبطل الكلام في ذلك وفي كل ما يتصل به هي موضوع هذا الكتاب .

-
- (١) ٢٤٩ رسائل الربيع من رسائل الاعتقاد لابن شرف
 (٢) ٢٨٩ معجم الشعراء
 (٣) ٣٠٨ ابن الرومي القفاذ
 (٤) ٣١٦ للرجع
 (٥) ٢١٤ : ٤ السمودي
 (٦) ٢٥٥ : ١ الممددة
 (٧) ١٠٥ : ٣ زهر ، وكان يأخذ الحكم الفارسية فينظمها شعرا (راجع ٢٧٨ : ٣ زهر)
 (٨) ٥٤ الوساطة
 (٩) ١٨٦ طبقات ابن المعتز
 (١٠) ١٣٣ للرجع
 (١١) ١٩٦ للرجع
 (١٢) ١٩٨ طبقات الشعراء لابن المعتز

الباب الرابع
ابن المعتز
وأثره في النثر الأدبي

الفصل الأول

(١)

النثر الأدبي أو الفني هو الكلام الذي يصور العقل والشعور ولا يتقيد بوزن أو قافية .

ويرى بعض الباحثين من الأدباء المحدثين ومن بينهم الدكتور طه حسين أن القرن الأول الهجري لم يكن فيه نثر فني يعتد به إنما كان الشأن للشعر - والقرآن ليس نثراً بل ولا شعراً (١) ، وقد احتذى الدكتور في ذلك حذو الأستاذ موسى الفرنسي وهو أول من ذهب إلى ذلك وإلى أن النثر الفني في الأدب العربي يتبدى بآين المقفع (٢) ، وابن المقفع في نظر هؤلاء أول يمثل للتطورات الجديدة في الإنشاء العربي (٣) وهو أول مؤلف للإنشاء الأدبي في اللغة العربية (٤) وقد آمن الدكتور طه حسين بهذا الرأي وبأن الشعر أسبق من النثر الفني في آداب اللغة العربية وأذاع ذلك في كثير من مؤلفاته (٥) وقد ثار بعض الباحثين في وجه هذه النظرية وهاجموها (٦) :

وهذه النظرية وهي أن الشعر سبق النثر الفني في الوجود نجد أصولها عند أرسطو في كتابه الشعر فهو يقول فيه : « والأقدم من الأشعار الأقصر والأولون

(١) ٣٣ : ١ النثر الفني

(٢) ٣٨ : ١ المرجع

(٣) مجلة الأدب والفن عدد نوفمبر سنة ١٩٤٥ من مقال للأستاذ جب بنون : خواطر في الأدب العربي

(٤) ص ١٩ المرجع السابق

(٥) التوجيه الأدبي ١٢ و ٣٦٤ - ٣٦٨ الأدب الجامع ١٥ و ١٦ المجلد في تاريخ الأدب العربي ، من حديث الشعر والنثر

(٦) راجع ٥٨ - ٦٦ تاريخ الأدب في العصر الجاهلي للأستاذ محمد حاتم ، و ٣٣ : ١ النثر الفني .

كانوا يقررون الاعتقاد في النفوس بالتخييل الشعرى ثم نبهت الخطابة بعد ذلك .
وهي نوع من أنواع النثر ، وقد عم بعض المحدثين من المستشرقين ذلك الحكم
فذهبوا إلى أن الشعر أسبق من النثر الفنى وجودا ، على أن بعض المستشرقين من
علماء الألمان كجلدزهر وبروكلمان على الراى القائل بأن السجع كان المرحلة الفنى
عبرها النثر إلى السفر عند العرب (١)

ونحن لانميل إلى هذا الراى الجديد ولا نؤيده فالقرآن أثر من آثار النثر الفنى
وكذلك الكتب الدينية والأدبية القديمة التى يشير إليها القرآن الكريم وكثير
من الأمم القديمة كان لها نثر فنى قبل الميلاد بكثير : فاليونانيين آثار كبيرة فى
الخطابة من قبل الميلاد يقررون عديدة ، والرومانيين آثار فيها قبل الميلاد وبعده (٢) ،
فلماذا لا يكون للعرب نثر فنى بعد الميلاد بخمسة قرون ؟ مع أن اميد الخيد الكاتب
آثارا كبيرة فى النثر الفنى وهو قبل ابن المقفع على أى حال . والقديما من النقاد
يؤيدون سبق النثر للشعر ، فابن رشيق يقول : وكان الكلام كله منشورا فاحتاجت
العرب إلى الفناء بمكارم أخلاقها وطيب أعرافها فتوهموا أعادىض جعلوها
موزاين للكلام فلما تم لهم وزنه سموه شعرا (٣) وكذلك صنع كثير من الباحثين
كالهافى (٤) وسواه

وإذا فالتى فى الأدب العربى وجد قبل القرآن بقليل وصاحب نزول
القرآن وتأثر به تأثرا عظيما ثم اتصل المسلمون بالفرس بعد الفتح الإسلامى واحتذوهم
فى ألوان من أدبهم احتذاء ظهر أثره فى النثر الفنى منذ آخر القرن الأول الهجرى
على أيدى بعض الكتاب .

(٢)

كان كثير من الكتاب والموالى يعرف اللغة الفارسية وبعضهم كان يعرف
الرومية أو اليونانية أو السريانية مما كان له أثر فى النثر

(١) ٦٢ الأدب الجامع لمحمد حاشم

(٢) راجع ٦٥ — ٧٣ التوجيه الأدبى

(٣) ٨ : ١ المدة

(٤) راجع الجزء الأول من سحر الشعر

فريد بن ثابت تعلم كما يقال الفارسية من رسول كبرى والرومية من صاحب النبي والحبيشية من غادم النبي والقيبطية من غادمه (١) وتعلم السريانية بأمر رسول الكريم (٢)، وأبو العلاء سالم مولى هشام بن عبد الملك وأستاذ عبد الحميد الكاتب وأحد الواضعين لنظام الرسائل نقل رسائل أرسطو إلى الإسكندر (٣) إلى العربية مما يدل على معرفته للغة غير اللغة العربية وكان جيلة بن سالم كاتب هشام أحد النقلة من الفارسي إلى العربي (٤) وكذلك كان عبد الحميد الكاتب يعرف الفارسية وقد استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها من اللسان الفارسي نحوها إلى اللسان العربي (٥) وهو أول من نقل تقاليد الفرس إلى الكتابة العربية (٦) وكذلك كان ابن المقفع وهو من سلالة فارسية عريقة ومن ذلك يظهر بوضوح أثر الثقافات والأدب الفارسي على الخصوص في تطور الكتابة والنثر الفني في أدب لغتنا العربية :

وعبد الحميد الكاتب هو الذي سمل سبيل البلاغة في الترسل وعنه أخذ المرسلون (٧) وهو أحد كتّاب القرن الثاني الذين فهموا الفصول كما كان يفهمها علماء البيان من اليونانيين (٨) وهو أول من فنى أحكام البلاغة وسمل طرقها وفك رقاب الشعر (٩) وآلت إليه زعامة الكتابة فهد سبيلها ووضع معالمها ورسم لها رسوما خاصة في بدئها وغناها والإطناب فيها مرقاة للإيجاز أخرى فكان بذلك شيخ الكتاب (١٠)

(١) ٦ ج ٣ القند

(٢) ٧٣ الأدب الإسلامي محمود مصطفى

(٣) ١٧١ القهرست

(٤) ٣٤٢ القهرست

(٥) ٦٩ صناعات و ٨٩ : ٢ ديوان المعاني

(٦) ٥٧ : ١ النثر الفني وما بعده

(٧) ١٢٠ فهرس

(٨) مقدمة نقد النثر

(٩) ٧ : ٣ القند

(١٠) ٢٩ البصر العباسي للإسكندري ، وراجع في ذلك ١٩٣ تاريخ الأدب العربي فزريات وقد توفي عبد الحميد عام ١٣٢ هـ وله من الآثار الأدبية : رسالة إلى الكتاب (١٧٢-١٧٥ رسائل البلاغة) ورسالة في الشطر (١٦٤-١٦٦ المرجع) ورسالة في نصيحة ولي العهد (١٣٩-١٦٤ المرجع) وكلمات ورسائل أخرى (١٦٦-١٧٢ المرجع)

ويحق لقد قيل بدمت الكتابة بعبد الحميد (١) .
ثم ازداد أثر الفارسية في النثر الأدبي فنقل الفرس إلى العربية القصص الغرامى
والغزل بالمذكر (٢) .

(٣)

ثم ظهر ابن المقفع عام ١٤٢ هـ وأحدث أثره في النثر الأدبي وفي تطوره (٣) .
كان ابن المقفع من عنصر فارسي وهو أحد النقلة من الفارسية إلى العربية —
وذاع أنه ترجم كتب أرسطو من الفارسية (٤) إلى العربية — والصحيح أن الذي
قام بذلك هو ابنه محمد بن عبد الله بن المقفع وهو الذي كان كاتب المنصور
لا أبوه (٥) .

وإبن المقفع هو إمام المثنئين في ذلك العصر وكان إمام الطبقة الأولى من
الكتاب في العصر العباسي وهي الطبقة التي أدركت الدولتين ومن شخصياتها: يحيى بن
زباد الخارثي وحمارة بن حمزة وأبو أيوب وزير المنصور وكاتبه . وقد آخى ابن
المقفع في طريقته بين التفكير الفارسي والبلاغة العربية وكان مقدما في بلاغة
اللسان والقلم والترجمة واختراع المعاني وإبتداع السير . فأدبه وإن كان عربي
اللفظ والأسلوب فهو أجمعى الفكر والتأليف فقد استخلص من الأسلوب الفارسي
والعربي طريقة عرفت به وأخذت عنه (٦) ، وتظهر مزيته في ترتيب أفكاره
وحسن تقسيمها . ويغلب على أسلوب عبد الحميد الصبغة العربية ، كما تشيع
فيه الحكمة التي يروضاها بعدوبة ألفاظه وسلامة أسلوبه ، وحقا لقد كان
أمة في البلاغة ورصانة القول وشرف المعاني مع وضوح الغرض وسمو الأسلوب

(١) راجع ٢٩٤ التوجيه الأدبي ، والتناهد يقولون : فتحت الكتابة ببعد الحميد وختمت
بإبن الحميد

(٢) راجع ١٤٧ — ١٦٢ : النثر الفني ، والغزل بالمذكر أظهر في الشعر منه في النثر

(٣) ١٧٢ القهرست

(٤) ويقول ابن النديم : وكتاب المتولات لأرسطو فسرهم ابن المقفع ٣٤٨ فهرست ، ويقول
وكتاب المباشرة لأرسطو اختصرهم ابن المقفع ٣٤٨ فهرست ١٠ ابن المقفع لردم بك ، ويقولون :
وإبن المقفع أول من اعتمد في اللغة الإسلامية بترجمة الكتب المتعلقية للمنصور ، ٣٨ ابن المقفع
لردم بك .

(٥) ١٠٥ — ١٢٠ التراث اليوناني لعبد الرحمن بسوى (٦) ٢٢٢ التزيات

وهو أكثر كتاب عصره تأثقا في صوغ الجملة فكان يقوم في النثر بما كان يقوم به زهير في الشعر، وهو أحد الكتاب الذين لم يلزموا السجع (١) فكان في كلامهم قليلا ولكنهم لا يكادون يخلون بالمناسبة بين الألفاظ في الفصول والمقاطع إلا في مواضع يسيرة (٢)، وقد اهتموا ببسط المعاني وتأكيدها وتركوا مذهب الإيجاز الذي كان شائعا في القرن الأول إلى الإطناب وتنويع العبارة وتفطيع الجملة والمزاوجة بين الكلمات وتوضي الإفهام، وابن المقفع أول من أفسح مكان الأدب العربي بالترجمة فهو الذي ترجم كلية ودمنة ترجمة عما ينم عن جهد بذله المترجم في تحويل الخصائص الهندية الصميعة التي للكتاب الأصلي (ينشأ شترا) ليجهله ملامنا للذوق العربي وأضاف إليه فصولا جديدة في مواضع مختلفة (٣).

خلف ابن المقفع طائفة من الكتاب تأثروا به تأثرا واضحا بعيد المدى في تطور النثر الأدبي والكتابة الفنية ومنهم يعقوب بن داود وزير المهدي وأبو الربيع محمد بن الليث وكتب للمهدي والهادي والرشيد والقاسم بن صريح وسهل بن هارون (٤) ويحيى بن برمك ثم أبناء جعفر بن يحيى (١٤٢ - ١٨٧ هـ) وأخوه الفضل والحسن سهل (٥) وأخوه الفضل (٦) وأحمد (٧) بن يوسف (٨) وعمر بن (٩) مسعدة عام ٢١٧ هـ والعنبر (١٠) ومحمد بن يزيد المأمون (١١).

(١) ٧١ : ١ : النثر القوي

(٢) ١٦٧ : ١ : سر الصياحة ولا تكاد تجد كتابا في القرن الأول والثاني وأوائل القرن الثالث ينفذ السجع طالبا ملازما لنثره وقد كان السجع كثيرا في الجملانية وغلب على النثر في عصر النبوة ثم أخذ سلطانته يهبط قليلا في العصر الأموي ولكنه عاد يسترد قوته في أول القرن الثالث (٣) ولا ينال المنع كراء كثيرة متفرقة في البلاغة، راجع ٩١ : ١ : البيان و ٥ - ٧ : الصانعين وبروي له : البلاغة كشف ما تخفى من الحق وتصور الباطل صورة الحق، ٥٣ : صناعين والصنيع أن ذلك للمعاني ٩٠ : ١ : البيان

(٤) راجع ٥٥ : ١ : البيان و ٢٨٢ : ٢ : زهر و ٢٩٠ : ٣ : زهر أيضا

(٥) يبيد به الجملاني ٨٤ : ١ : البيان وله كلمة يعرف بها أنواع الآداب، ١٩٥ : ١ : زهر

(٦) تيناه يحيى البرمكي وضعه إلى المأمون ٧٤ : ١ : الكرامة، وأشاد المصري ببلاغته، ٩٦

و ١٩ : ١ : زهر

(٧) له ترجمة في الأوراق قسم أخبار الشعراء ٢٠٦ - ٢٣٦، وكان عال الطليقة في

البلاغة ولم يكن في زمانه أكتب منه وله شعر جيد، ١٤٨ : ٢ : زهر، وكان ممن تبقوا في

الكتابة، ١١ : ٣ : القصد، وهو أول من افتتح للكتابة في انتهاء باليونان والبريجان،

٩٥ : ١ : ديوان المعاني

(٨) راجع ١٧٥ : فهرس و ٣٥٢ : معجم الشعراء (٩) راجع ٤٢٤ : معجم الشعراء

(٤)

وفي العصر العباسي الثاني بلغ النثر الفني منزلة سامية وامتاز بسهولة العبارة وانتفاء الألفاظ وجودة الأسلوب، كما امتاز بجودة المعاني واختراعها ودقة الاختيلا وابتداعها وظهور آثار الثغافات الحديثة وخاصة اليونانية فيه بل الاحتفال بها والعلمن فيها سواها مما شكاً منه النقاد (١) ومال الكتاب إلى الإطناب حتى قال ابن قتيبة: (ولو كتب كاتب إلى أهل بلده في الدعاء إلى الطاعة والتحذير من المعصية كتاب يزيد بن الوليد إلى مروان وأما بعد فإني أراك تقدم رجل وتؤخر أخرى الخ لم يعمل هذا الكلام في أنفسهم عمله في نفس مروان ولكن الصواب أن يطيل ويدور ويعيد ويبدأ ويحذر وينذر (٢)، والإطناب مذهب فارس حتى في الأساطير وكتابة التاريخ ويقول ابن الأثير والمعجم يفضلون العرب في الإطناب لأن شاعرهم يذكر كتابه من أوله إلى آخره شعرا وهو شرح قصص وأحوال كما فعل الفردوسي في نظم الشاهنامه وهو ستون ألف بيت من الشعر يشتمل على تاريخ الفرس وهذا لا يوجد في اللغة العربية على اتساعها وتشعب فتوتها (٣) ولم يحفل الكتاب في أوائل العصر الثاني بالبديع والتأني الكثير في الأسلوب، ويعيب البديع الجاحظ لأن كلامه بعيد الإشارات قريب العبارات قليل الاستعارة ليس له لفظة مصنوعة الخ... (٤) كما عابه الباقلاقي بقرب كلامه وكثرة الاقتباس فيه (٥).

وكان حامل لواء هذه الطريقة الجديدة إمام البيان الجاحظ واقضى به كتاب عصره كالصولي وابن الزيات والحسن وسليمان ابن وهب وسعيد بن حميد وأحمد ابن مخلد وبنو المدبر وسواهم من الكتاب الذين نشأوا في هذا العصر وجمعوا بين

(١) من أدب الكتاب لابن قتيبة بهامش النسخ السائر و ٤٢ و ٤٣ رسائل الجاحظ حيث يقول الجاحظ: والناسي من الكتاب إذا أراد وطء مقصد الرئاسة يكون أول بدوء العلم على القرآن في تأليفه ولا يرتقى من الكتب إلا المتعلق... ومثل ذلك يقول ابن قتيبة، وهذا ينق رأى ابن الأثير من أن الكتاب والشعراء لم يتأثروا بثقافة اليونان، ٢٠ مثل السائر

(٢) راجع مقدمة أدب الكتاب

(٣) ٣٢٤ مثل السائر وقد وجدت رسائل معلولة كثيرة في هذا العصر كرسالة الخنيس

١٠٧ — ١١١: ابن طيفور مخطوط

(٤) ٨٢ مقامات البديع المفاة الجاحظية

(٥) راجع ١٩٤ إعجاز القرآن

الأدب والنقد والبلاغة العربية والدخيلة وقرأوا كتب الفرس واليونان والهند
وظهر أثر ذلك في تفكيرهم وإنتاجهم وآثارهم الأدبية المتعددة الألوان .

أثر الجاحظ الطبع والبعد عن التكلف والتعقيد والحوشية والسوقية كما أثر
الوضوح وظهور شخصيته فيما يكتبه من رسائل أو مؤلفات واحتال على
نشاط القارئ . بالفكاهة ومزج الجدل بالهزل وبالاستطراد وبراعة الأسلوب وسحره
وبالرواية والنقد والتمحيص والإطناب والانتباه العقلي والتغلغل الفكري ودقة
الملاحظة والشرح والتحليل والتعمق وشمول الفكرة وتفوذها ، وإحاطتها بشق
جوانب الحياة أظهر سمات أسلوب الجاحظ ، وهو مع ذلك متقد الحاسة للعرب
والعربية ، بفضل بلاغة العرب على كل بلاغة ويستشهد بكلمة العربي وبيت الجوى
كما يستشهد بحكمة الحكم ورأيه المفسر وفي إنشاء الجاحظ كثير من أساليب الخطابة
والجدل وكان من المعجبين بابن المقفع ونوه بفكره ولكنه لم يسلك مسلكه في
الأدب لأنه رأى أفق الأدب أوسع من أن يقصر على الحكم والمراعاة .

حقاً لقد كان الجاحظ وسحر بلاغته (١) وسمو أسلوبه وشخصيته البارزة في كل
فقرة من فقراته وثقافته الواسعة في شق آثاره الأدبية نسيج وحده وفريد عصره
كما يقولون ، ورسائله الترييع والتدوير والحيوان من مظاهر ثقافته الواسعة العميقة .
ولذا كان ابن المقفع امام المنشئين في عصر الترجمة ، فإن الجاحظ إمامهم في
عصر التأليف .

(١) ويقول الجاحظ من رسالة له إلى ابن الزيات : نحن أعزك الله تسحر بالقول ونموه بالبيان
٣٩١ دلائل الإعجاز

الفصل الثاني

ابن المعتز وأثره في النثر الأدبي

(١)

ابن المعتز مع أنه شاعر مشهور كاتب من كبار الكتاب في عصره بل هو إمام الكتاب في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، فهو أخل المترسلين وشيخ المنشئين والذي بلغ في عصره الذروة في بلاغة القول وسحر البيان وسمو الأسلوب ، وتدوول كلامه ورواء النقاد والأدباء. والكتاب والمؤلفون في شئ المعصور كما فعل الصولي والحصري وسوام ، وينقل الثعالبي من كلامه « فلانند وروائع » وشي بها كتابه سحر البلاغة (١) .

نبغ في عصر ابن المعتز كثير من الأعلام في النثر والكتابة ، كمبيد الله بن سليمان بن وهب ، وأبي العباس بن نوابه ، وأبي الحسن علي بن الفرات ، ومحمد ابن داود الجراح ، وعلي بن عيسى بن الجراح وسوام ممن كتبوا المعتمد والمعتز والمكتفي ؛ وكان ابن المعتز على رأس هؤلاء الفحول في النثر والترسل ، وخلف هو وطبقته طبقة الكتاب التي كان يترجمها الجاحظ شيخ البيان العربي م ٢٥٥ هـ ، وكان هو وطبقته يحتذون الجاحظ وأسلوبه وتفكيره ، وابن المقفع في حكمته وأخلاقياته ودراسه وترجيئه ونصائحه للجنم ، ويعملون النثر كما جعلوا الشعر وسيلة فنية للتعبير عن الحياة في جدها ولحرفها وعن الطبيعة ومشاهدها والوجود وآثاره والمجتمع وتقدمه والأفكار العامة وتصويرها والآراء والمذاهب والعلوم والفنون وتحليلها رغم كثرة الأسباب التي كانت تدعو إلى فنور أمر الكتابة وهبوط منزلتها ، من ضعف التشجيع وخطر الشعبية وانصراف الناس إلى العلوم العقلية وجعل الكثير بأصول الكتابة وأدواتها مما حفز ابن قتيبة إلى تأليف كتابه « أدب الكاتب » .

(١) • سحر البلاغة طبع مطبعة النثرى بدمشق ، ١٦٨ : ١ زهر .

(٢)

تمتاز كتابة ابن المعتز الأدبية بسلامة الأسلوب وجماله وإشراقه ، وبسمو المعاني ودقتها وغلبة روح الحكمة والنقد الاجتماعي ، والتوجيه الخلقى عليها ، وإصدارها عن طبع مطبوع ، وفطرة جياشة ، وعقل واسع الثقافة والتفكير ، واضح الاتجاه والرأى ، سليم الفكرة والمنزع .

وكتابه تمثل فوق ذلك شخصيته ، وترشد إياها وتدلل عليها بوضوح ، وهو فيها قليل الاقتباس من غيره ، يسجع فيها سجعاً قصير المقدرات جميل الأثر ، وقد يستغنى عن السجع أحياناً فيقطع الجملة تقطيعاً فنياً دقيقاً له جماله وسحره .

وموضوعات نثره الفنى تدور غالباً حول التهيئة والتعزية والاعتذار والاستعطاف والشقاعة والنصائح والآداب والحكم والأخلاق والوصف وسوى ذلك من الأغراض والموضوعات .

وممن نتقل من هذا الإجمال الموجز إلى التحليل الواسع نثره الفنى وخصائصه الأدبية العامة .

(٣)

إن أسلوب التقشيب الذى رأيناه سمة واضحة فى شعر ابن المعتز يظهر كذلك واضحاً كثيراً فى نثره الأدبى ، وكذلك ألوان البديع من طباق وتجنيس وكذلك السجع وسواء ، مما يراه القارىء لنثره والباحث فيه .

يقول فى شجرة الكرم : الكرم شجرة مكرمة شريفة العنصر ، تزهو بورق مجلو البصر ، كأنه السندس الأخضر ، وتضحك عن ثمر حلو الخوبر ، كأنه شماتخ الجوهر ، وكبائن الشفر المعنبر ، استخرجته الأيام من الغمام ، ونقلته الأزمان إلى ضائير الأغصان ، فصار غداة براء العيان بعد أن كان هواء خفى المكان ، ثم عاد كما الزعفران ، وكهصارة المرجان ، لطيف المظهر ، جميل المصور ، يدل على حقيقة شيطان : لون معصفر ، ونسيم معطر ، كأنه المسك الأزفر (١) .

(١) ٧ فصول التائيل .

ويقول في الشراب : الشراب مثمرة الملك ، وتاج بدره ، وعروس مجلسه
وتحفة نفسه وشفا. حوته (١) .

فتجد فنا خالصا ، وتصويرا ساحرا ، وروح الصنعة الواضحة في كلماته وجملة
وفصوله ، وتجد التشبيه والاستعارة واضحتين غالبتين على أسلوبه ، كما تجد السجع
أهم خصائص هذا الأسلوب . والسجع يشيع في نثر ابن المعتز في موضوعاته
الفنية الخالصة ، فتجده يقول في الشراب : يمازج الأشباح ، ويرواح الأرواح ،
ويؤدى إلى نشأة القوى ، وانبساط الهوى ، ويعنى من الخدر ونصبه والتحذر
وتدب الخ (٢) ، ويقول في فصل له : قد ملئت اليك فا أعتدل ، ونزلت بك فا
أرتحل ، ووقفت عليك فا أنتقل ، ويقول (٣) : ذكرت حاجة فلان ، لافصلها الله
بالنجاح ، ولا يسر بابها لافتح ، فإنه خبيث النية ، فاسد الطوية ، جائر المعانيب
طالب للمعائب ، يقلب لسانه بالملق ، سائر بالخلق وجه الخاق ، موجود عند
الرجاء مفقود عند البلاء ، ويقول : قد أن للحق أن يتضح (٤) ، وللباطل أن
يفتضح ؛ ويقول في سر من رأى : كتبت من بلد أنهض الله مكانها ، وأقعد
حيطانها ، فشاهد اليأس فيها ينطق ، وحبل الرجاء فيها يقصر ، فتكأن عمراتها
يطوى وخراياها ينثر ، وقد تمزقت بأهلها الديار ، فا يجب فيها حق جوار ، كركبها
يقظان ، وجوها عريان ، وحصباؤها جوهر ، ونسيمها معطر ، وتراياها أذفر ،
ويومها غداة وليها سحر الخ (٥) .

وأحيانا يعمد ابن المعتز في نثره إلى المزاوجة والتقطيع ، فيقول في إشار :
وشعره أنقى من الراحة ، وأصنى من الزجاج (٦) ، وأحيانا يرسله لإرسالا دون
تقييد بسجع ، أو حرص على ازدواج ، فيقول : الحق في منادمة النظراء هو وجه
المناصرة ، والتحفظ ، وقد كان يقال : إن من الأدب تركك الأدب عند من

(١) ١٠ فصول التآويل

(٢) ١٢ فصول التآويل

(٣) ٥١ رسائل ابن المعتز ، ٢٩٢ الأوراق قسم أخبار أولاد الخلفاء

(٤) ٥٧ رسائل ابن المعتز ، ورقة ٢٥ من الأوراق قسم المنتدر مخطوط

(٥) ٥٨ رسائل ابن المعتز ، ٢٤٢ : ٢ معجم البلدان ، ٨٢ : ١ النثر الفني

(٦) ٤ طبقات الشعراء لابن المعتز

لا تحتشمه ، فأما مناداة العظاماء فتراثها أكثر من منافعها عند من عقل أمره ، وحصل فكره (١) .

ونثره يصور لك ثقافته الواسعة ، وعقليته الناضجة ، وتفكيره العميق ، وهو أظهر دلالة من شعره على ذلك ، فتجده يقول : حفظ الله النعمة عليك وفيك ، وتولى إصلاحك والإصلاح لك ، وأجزل من الخير حظك ، ومن عليك وعلينا بك (٢) ؛ ويقول في التمرية : لئن حرم الأجر برك ، لقد كفر الائتم بمعقودك ، ولئن لمجت بفقده ، لقد أمنت الفتنة به (٣) . ويقول لأستاذة الدمشقي : قيد نعيمك عندك بما كنت استدعيتها به وذب عنها أسباب سوء الظن واستدم ما أحب متى بما أحب منك (٤) . ويقول : الله يعلم أن خيالك شمس نفسى إذا نمت ، وذكرك سراجها إذا انقمت (٥) ، وفصوله القصار مثال لدقة تفكيره وعمق إدراكه وسعة ثقافته .

وبتراوح نثره الفنى بين الجملة القصيرة الدالة على حكمة أو المسوقة لغرض آخر ، والرسالة الطويلة يصف بها مشاعر نفسه ، وخلجات عواطفه ، وشق إحساساته ، مما تراءى في كتاباته ورسائل ابن المعتز ، الذى أغنانا نشره عن الإفاضة والتحليل والإطناب في هذا الباب . وقد نشر عام ١٩٤٦ في القاهرة .

وقد كان نثر ابن المعتز مرجعاً أدبياً هاماً في عصره وبعد عصره ، حتى احتذاء أئمة الكتاب ، وكبار المفسرين ، احتذاء نظم أثره في إنتاجهم الأدبي ، وظهر به نفوق ابن المعتز عليهم ، وصحة طبعه وجمال صنمته في أسلوبه مما لم يدانوه فيه ، ويظهر ذلك من هذه الموازنات القليلة :

(١) يقول ابن المعتز يعتذر للقاسم الوزير : ترفع عن ظلى إن كنت بريئاً ، وتفضل بالعفو إن كنت مسيئاً ، فوالله لئن لأطلب عفو ذنب لم أجته ، وأنتس الإقالة بما لا أعرفه ، لتزداد تطولاً ، وأزداد تذلاً ، وأنا أعين سالى عندك بكرمك من واثى يكيدها : وأحرمها بوقائك من باغ يحاول إفسادها ، وأسأل الله تعالى

(١) ٧١ فصول التنايل

(٢) ٥٠ رسائل ابن المعتز ، ٩٧ : ٢ ديوان الماتق

(٣) ٤٩ رسائل ابن المعتز ، ٢٩٠ الأوراق قسم أخبار أولاد الحفاه

(٤) ٥٤ رسائل ابن المعتز ، ٢٦٦ : ٢ زهر

(٥) ٥١ رسائل ابن المعتز ، ٢٩١ الأوراق قسم أخبار أولاد الحفاه

أن يجعل حظى منك بقدر ودى لك ، وعلى من رجائك بحيث أستحق منك (١) .
وقد احتذى ابن زيدون معاني ابن المعتز في هذه الرسالة وحين الكثير منها
رسائله الجدية التي استعطف بها ابن جمهور أمير قرطبة وهو محبوس في سجنه ،
وإن شئت فقل قول ابن زيدون فيها :

« ما هذا الذنب الذي لم يسمع عفوكم ، والجميل الذي لم يأت من ورائه حلك ،
والنطاول الذي لم يستغرقه تطولك ، والتحامل الذي لم يف به احتيالك ، ولا أغلو
من أن أكون بريئاً فأين العدل ؟ أو مسيئاً فأين الفضل ؟ » .

(ب) ويقول ابن المعتز في مطلع رسالة له إلى عبيد الله بن سليمان الوزير :
أخترت الملة عن الوزير أعز الله ، لحضرت بالدعاء في كتابي ليتوب عني ، ويعمر
ما أخلته العوائق مني الخ (٢) . ويقول البديع الحمداوي م ٣٩٣ هـ من رسالة له :
« يمز على أطال الله بقاء الرئيس أن ينوب في خدمته قلبي عن قدي ، ويسعد
برؤيته رسول دون وصولي . ويرد مشروع الأفس به كتابي قبل ركابي ، ولكن
ما الحيلة والعوائق جمة : وعلى أن أسمى وليس علي إدراك النجاح .

بل إن الشعراء أخذوا كثيراً من معاني نثر ابن المعتز ونظموه في شعرهم ،
كما يشهد بمقدرته وتفوقه ، قال ابن المعتز : الموت سهم مرسل إليك وعمرك بقدر
مسيره إليك ، أخذه بعض الشعراء فقال :

الموت سهم مرسل والعمر قدر مسافته

إلى غير ذلك من مظاهر التأثير والاحتماء ، التي يغنيها ما ذكرناه عن مزيد
الإفاحة فيها .

(٤)

وتشتمل آثار ابن المعتز في النثر الأدبي والكتابة الفنية على :

أولاً - رسائل ابن المعتز إلى أصدقائه من رجالات الدولة وعظمائها وأمرائها
وكبار الشخصيات فيها والأدباء والشعراء الذين اتخذهم له أصدقاء وإخواناً ، وقد

(١) رسائل ابن المعتز ، ٢٢٧ : ١ زهر ، ٢٩٢ الأوراق قسم أسماء أولاد الخلفاء .

(٢) رسائل ابن المعتز ، ٢٢٦ : ١ زهر ، ٢٠٠ : ٢ ديوان النائي .

جمعت طائفة منها ونشرتها في رسائل ابن المعتز ، ، وهي لاشك أنها قليلة بالنسبة لما له من رسائل ، وليكنها على أى حال كل ما أمكننا العثور عليه في شتى كتب الأدب وأصوله إلى الآن .

ثانياً - ولابن المعتز رسالة طويلة في الفناء ومذاهبه ورأيه في التجديد فيه ، وقد بعث بها إلى صديقه ابن حمدون (١) وهي مفقودة لم نعثر عليها الآن ، ولاشك أنها كانت تفيدنا كثيراً لو أن الحظ ساعدنا في العثور عليها .

ثالثاً - ثر ابن المعتز الوصفى ، وفي كتابنا ، رسائل ابن المعتز ، بعض منه كوصفه لبرمن رأى ، وللحمام والجيش ، وسوى ذلك ، ومن هذا الباب كثير مما كتبه ابن المعتز في كتابه ، فصول التبايل ، . .

رابعاً - الفصول القصار ، وستعرض له بشئ من التحليل والشرح في هذا البحث .

(•)

الفصول القصار لابن المعتز :

هو كتاب في الحكم والآداب والاعلاق والاجتماع والسياسة ، وقد أشار إليه في كتابه البديع (٢) ، عا يدل على أنه ألفه قبل عام ٢٧٤ هـ ، وهو العام الذي ألف فيه كتابه البديع (٣) ، وهو مفقود ، وقد جمعت منه طائفة كبيرة عثرت عليها في شتى كتب الأدب (٤) ، وعلى نهجه وضع الشهاب الحفاجي كتاباً مشابهاً له سماه الفصول القصار ، أشار إليه ونقل منه كثيراً في كتابه « الرىحانة » (٥) ، كما نقل المسارودى م ٤٥٠ هـ في كتابه أدب الدنيا والدين عنه كثيراً من الحكم مما ترى بعضه مذكوراً في هامش رسائل ابن المعتز .

والفصول القصار تأثر فيه ابن المعتز بالحكمة الفارسية عامة وحكم ابن المفضل

(١) ١٤١ : ٩ الأغاني

(٢) ص ٩٠

(٣) ١٠٦ البديع

(٤) ٦٤ - ٧٦ رسائل ابن المعتز

(٥) ٢٨٨ وما بعدها رىحانة الألبا

على الحصرص . كما تأثر فيه بالحكم الأجنبية التي نقلت إلى الأدب العربي (١) .
والكتاب دليل على نبوغ كبير ، وعبرية فذة ، وذكاء شديد ، وتفكير بعيد
لشاعرنا ابن المعتز ، وهو تصوير لكثير من الأدب الشخصية والفضائل الخلقية
وتحليل لأخلاق المجتمع ودراسة نفسية الجمهور ، ولحاشية السلطان ، ونحن
نعرض عليك ألواناً من حكمه الاجتماعية المثبوتة في الكتاب ، قال ابن المعتز .

- فساد الرعية بلاملك كفساد الجسم بلا روح .
- الملك بالدين يبق ، والدين بالملك يقوى .
- المعروف ريق والمكافأة عتي ، والمعروف غل لا يفك إلا شكر أو مكافأة .
- يكفيك الحاسد غمه بسرورك .
- عبد الشهوات أذل من عبد الرق .
- الزهد في الدنيا الراحة العظمى .
- لولا ظلة الحفظ ما أشرق نور الصواب .
- لا تترضى لعدوك في دوله ، فاما إذا زالت كفتك مؤوته .
- العقل غريزة تربيها التجارب .

لأنصح للكذاب رؤيا لأنه يخبر عن نفسه في اليقظة بما لم ير ؛ فترى نفسه في
النوم ما لا يكون

والحكمتان الأخيرتان من أدق الحكم التي يمكن أن يبتدى إليها عقل إنسان ،
والأولى منهما لها أثرها في التربية الحديثة ؛ والثانية كشف لأسرار الاحلام ،
التي عجز العلماء عن فهمها وتعليلها حتى العصر الحديث ، وذلك دليل على تضجج
في التفكير ودقة في تصوير الأشياء وعين في فهم الأمور والحكم عليها .

(١) ومن كتب الحكمة التي ترجمت إلى العربية كتاب « سر الأسرار في الحكمة الذي ترجم
في زمن النامون ، ٢٤ : ٢ كشف الظنون

الفصل الثالث

نصوص من نثر ابن المعتز الفقي

تمثية^(١)

كتب ابن المعتز يثني الوزير عبيد الله بن سليمان بن وهب بقدمه :
الحمد لله على ما أمّن به في الوزير أعزّه الله ، من جميل السلامة ، وحسن الإنابة ،
حمداً يستمد أمر مزبده ، وإخلاصاً مستندعياً لقبوله ، وبارك الله له في قدومه
ومسيره ، في جميع أموره ، وجعل له مئة واقية على نعمه ، وأبقاه الملك يحرسه ،
ومؤمل ينمته ، وعائز برقه ، وحفظ له ما خوله ، كما حفظ له ما استرعاه ، ووقفه
فيما طوفه ، وزاده كما زاد منه .

تمزية^(٢)

وكتب يمزى الوزير عبيد الله بن سليمان عن ابنه أبي محمد :
علم الوزير ، أيده الله بذخائر الأجر ، يغنى عن تمزيته (٣) فيه ، وسبقه إلى الصبر
يكفي في تذكرة به ؛ لكن لولى الوزير - أيده الله - موضع ، إن خلاه دخل في جملة
المعنيين لحقه ، اللاهين عما عناه . وقد كان من قضاء الله في أبي محمد رضي الله عنه ،
ما خصت به المنصية مواقع نعم الوزير ، وآثار إحسانه ، حاشاه . إقراراً بالحق ، وتنجيلاً
للوعد . وعظم الله أجا الوزير أجزرك ، ووفر ذخرك ، وعمر يقينك ، وكثر عددك ، وسرك
ولاساك ، وزادك ولا تفصك ، ووصل بسلام الزمان نعمتك ، وأولاك ما تحب فيها
حوالك ، وكل صبية وإن عظمت صغيرة في نواب الله عليها ، متبيلة بين نعم الله قبلها
وبعدها ، وما زال أولياء الله يعرضون على المحن فيستقبلونها بالصبر ، ويتبعونها بال شكر

(١) ص ٢٨٨ الأوراق تسم أشرار أولاد الخلفاء طبعة ١٩٣٦ مطبعة الصاوي ، وقد أخطأ في
اسم الوزير حيث ذكره عبد الله ؛ لا عبيد الله ، وعبيد الله وزير المتمدن والمتنشد وتوفي عام ٢٨٨ هـ
(٢) ص ٢٨٨ ، ٢٨٩ الأوراق .
(٣) في الأوراق : تزعمه ، وهو تحريف

وتنفذ بصائرهم مذموم أوائلها إلى محمود عواقبها ، ويمدونها مرأى إلى شرف الآخرة ، وسرايب لأهل السعادة ، في دار لاتبها المذموم ، ولايزول فيها التعميم ، وإذا تأمل الوزير ما تجاوزت هذه الحادثة عنده من التعميم في ولده أبي الحسين ، الذي قد نهض بما حمله ، ووفى آماله ، وأقر عينه ، وغاظ حسنه ، واكتفى لباس كرامته ، وقام للخلافة بخلافته ، علم أنه راجع على الدهر ، حقيق بتجاوز الصبر إلى الشكر ، لمجمل الله الخلف للوزير من الماضي طول عمر الباقي ، وحرسه من المكارة كلها ؛ وكفاه وكفانا فيه .

وقال (١) : إنما قلبي (٢) نهى ذكرك ، ولساني عادم شكرك .

تعزية بولد^(٣)

أئن حرم الأجر برك ، لقد كفى الإثم بمقوفك ، وأئن لجعت بفقدك ، لقد أمنت الفتنة به .

عذر مقبول^(٤)

وقال : كيف أرد عذرا من لا تهدي إليه الموجهة ، ولا تساط عليه التهمة ، ووالله ما عرضت لك ، وحركت منك ، إلا بخلا بما ذخرته من مودتك ، واعتمدت عليه من إخلاصك ، لحوفي مع ذلك أن تصير غفلتك تغافلا ، وذلتك تمهدا ، وهذا ما لا أحبه لك ، وإن كنت أحتمله منك ، وما أعذر من مطالبتك بما جعلك أهلا للمرة به . وجماني بورك مستحقا له .

وقال (٥) : موصل كتابي فلان ، وقد جعلت الثقة بك معطية إليك ، فلا تنصبا بمظلك ، وأسرع ردها بسابق إنجازك ، وتصديق الآمل فيك ، والظن بك .

(١) ٢٨٩ الأوراق قسم أشرار أولاد الخلفاء

(٢) في الأوراق : نلى

(٣) ٢٩٠ الأوراق

(٤) ٢٩٠ الأوراق

(٥) ٢٩٠ الأوراق

فصل (١)

قد ملئت إليك فما أعتدل ، ونزلت بك فما أرتحل ، ووقفت عليك فما أتنقل .

فصل (٢)

لولا أن الإطباب في وصف مطية للتخرص ، وتهمة للتخلص ، لأطلت به كتابي ، وكفى بمقاساة ذي النقص مذكراً بأهل التمام ، قد لبثت بمدك بقلب يود لو كان عيناً ليراك ، وعين نود لو كان قلباً فلا تخلو من ذكراك ،

وفاء (٣)

وقال : كيف ينقطع ذكرى لك ، بغير خلف منك ، وينصرف قلبي عنك ، والتجارب تروى إليك ، والله يعلم أن خيالكم شمس نفسى إذا نمت ، وذكركم سراجها إذا اتقمت ، وإن ذلك لأقل حقوقك ، ولا ظلمت غيرك بك ، ولا ملت عليك لك .

ذم (٤)

ذكرت حاجة فلان ، لأفصلها الله بالنجاح ، ولا يسر بها لا فتاح ، ووصفت عذراً له ، نصح به غير نفسه ، وما نصح عنها ، ولكن نصح عليها ، وأنا والله أصوبك عنه ، وأنصح لك فيه ، فإنه خبيث النية ، فاسد الطوية ، جائر المعاتب ، طالب للمائب ، يقلب لسانه بالملق ، سائر بالتخلق وجه الخلق ، موجود عند الرجاء ، مفقود مع البلاء ، فأتمب عقلك باختياره (٥) ، ولا توحش نعمتك باصطناعه .

(١) ٢٩١ الأوراق قسم أخبار الثمراء .

(٢) ٢٩١ .

(٣) ٢٩٦ .

(٤) ٢٩١ الأوراق .

(٥) في الأصل : باختياره .

كلمات

وقال : لما ولي الخلافة :
قد آن للحق أن يتضح ، وللباطل أن يقتضغ (١) .
وقال : لنسأل الله عزنا وتوفيقنا (٢) .

الشعوبيون

وقال في جماعة من الشعوبيين الذين يظهرون حب آل البيت (ويقصد بهذا يحيى ابن علي المنتقم) .

كلاب قد عدتهم أنعمنا ، وأشادت بذكركم خدمتنا ، سعوا بالباطل علينا ،
وجحدوا إحساننا ، وهجروا نبينا صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كظمهم المذاب ،
وأسكنهم الجواب ، تحسبوا بالترفض ، ومدحوا أهلنا وأخص الناس بنا ، وبالغوا
في هجائنا مفرقين بذلك بيننا ، لتصرم علينا طائفة ، وليؤاموا (٣) قلوبا نفرت
عنهم ، ولو يعلم الجاهل الكافر أنا وبني عمنا من آل أبي طالب ، ولو افترقنا في كل
شيء تجتمع الناس عليه ، ما افترقنا في أن الثالب لرسول الله كافر ، والفاخر عليه
قاجر ، وأنا نرى جميعا قتله ، ونستحل دمه ، وليس بمسلم يخالف في هذا قولي (٤) .

مجلس حفظ (٤)

قال ابن المعتز : كان لنا مجلس حفظ ، أرسلت بسببه خادمة إلى قينة ، فأجابها ،
فلما مرت في الطريق وجدت فيه حارسا حراميا ، فرجعت ، فأرسلت أعاتبها ،
فككتبت إلى تعتذر ، فأجبتني :
كيف أرد عذر من لا تسلط التهمة عليه ، ولا تهدي الموجدة إليه ؟ وكيف
أعله قبول المماذر ، ولا آمن بعض جواهره إلى يسير إلى انتهاز فرصة فيما عاد إلى

(١) ورقة ٢٥ من كتاب الأوراق في أخبار القندر المولى مغلوط مكتبة الأزهر رقم
٦٧٣٧ أمانة

(٢) في الأصل : وليألفوا .

(٣) ورقة ٢٦ : الربع السابق

(٤) زمر. ٣٠ : ٤ .

الفرطة ، فإن سلبت من ذلك فن يجبرني من توكله على تقديم العذر ، ووقوعه
موقع التصديق في كل وقت ، فتتصل أيام الشغل والعلة ، وتنقضي أيام الفراغ
والصحة ، فتطول مدة التوبة ، وتدرس آثار المودة ، وكتب آخر الرقعة :

إذا غبت لم تعرف مكاني لذة ولم يلق نفسي لها وسورها
وبدأت سمماً وأهياً غير محسن يقول وعينا لا يراي ضميرها

كتاب شكر

وكتب ابن المعتز في الشكر :

« قد جلت نعمتك عن شكري ، فتولى الله مكافأتك ، عن عجزى بعدجدي .
بما هو أرفع له ، وأقدر عليه ، بمنه ورافته ، .
وهذا من قول طريح :

« فقهرت مغلوباً وإني لساكر » (١)

وصف حمام

وكتب ابن المعتز يصف حماماً طلبه من إنسان :

أريد حري الطريق حاجي المنقار ، أغن الهدير ، ذا ذنب قصير ، يسحب
حوصله إذا هدر ، وتررح صفقته إذا صفق ، قرطاسي الدفتين ، سبجي الجناحين ،
كأن رجليه غامتا دما ، أو شربنا عندما ، وكأن عينيه جرة ، ورأسه زينة (٢) .

سر من رأى (٣)

وقال ابن المعتز : يمدح سر من رأى ويصف خرابها ويذم بغداد :
كنت من بلد آمن من الله سكانها ، وأقعد حيطانها ، فشاهد اليأس فيها ينطق ،
وحبل الرجاء فيها يقصر ، فكان عمرانها يطوى وخرابها ينثر ، وقد تمزقت

(١) ١٠٣ و ١٠٤ : ديوان المائي

(٢) ١٣٦ : ديوان المائي

(٣) النثر الفتي ٨٢ : ١ ، مجمل البلدان ٢٤٢ : ٢

بأهلها الديار، فأجيب فيها حق جوار، فإلها نصف للعيون الشكوى، وتشير إلى ذم الدنيا، على أتم (جفيت) (١) معشوقة السكنى، رضية المئوى، كوكها يقظان، وجوها عريان، وحسباؤها جوهر، ونسيمها معطر، وتراها أذفر، ويومها غداة وليها سحر، وطعامها منى، وشراها مري، لا كبد تكلم الوسخة السبا، الومدة (٢) الماء والهواء، جوها غيار، وأرضها خبار (٣) وماؤها طين، وتراها اسرجين، وحيطانها نزوز (٤) وتشرنها تموز؛ فك في شمسها من يحترق، وفي ظلها من غرق، ضيقة الدار، وسيدة الجوار، أهلها ذئاب، وكلامهم سباب، وسائلهم محروم، وما لهم مكتوم، لا يجوز إلقاؤه، ولا يحمل خناقه، حشوشهم (٥) مسابل، وطرقهم مزابل، وحيطانهم أخصاص، ويوتهم أقفاص، ولكل مكروه أجل؛ وللبقاع دول، والندهر يسير بالمقيم، ويخرج اليأس بالنعم.

فكاهة وجد^(١)

وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز :

استعرت من علي بن يحيى المتجم (٧) جزءا فيه أخبار معبد، بخط حماد بن اسحاق الموصلى، وكان وعدنى به، فبعث إلى بست ورفات لطاف، فرددتها وكتبت إليه : إن كنت أردت بقولك جزء الجزء الذى لا يتجزأ فقد أصبت، وإن كنت أردت جزءا فيه قائمة القارىء، وممتعة للسامع، فقد أحلت (٨)، وقد رددته عليك بعد أن طار اللحظ عليه طيرة.

(١) مكثذا بالأصل.

(٢) الومد بالفتح : الحر الشديد مع سكون الريح.

(٣) الأرض العلية.

(٤) النز بفتح النون وكسرهما : ما يتعذب من الأرض من الماء.

(٥) الحش بفتح الحاء وضما : البستان، والمخرج أيضا.

(٦) زهر ١٨٩ : وما بعدها.

(٧) صديق لابن المعتز كاتب شاعر بلغ توفى عام ٣٧٠ هـ.

(٨) أسأل : تكلم بالتحال.

شوق^(١)

إلى لآسف على كل يوم فارغ منك ، وكل لحظة لا تؤنسنا رؤيتك ، وسقيا لدهر
كان موسوما بالاجتماع معك ، معمورا بلقائك ، جمع الله شمل سروري بك ، وحرر
بقائي بالنظر إليك .

شفاعة^(٢)

من عظمت النعمة عليه ، كثرت الرغبة إليه ، فاستجلب بالإنعام منك لإنعام الله
عليك ، واسترد مانعك منك بما يجب لك ، واجعل حظي من ولايتك قبول
اختياري لك هذا الرجل ، واخلفه بأوليائك القائلين في ظلك ، فقد أفردك رغبته ،
وصرف إليك وجه رجائه ، وليس فيه فضل للانتظار ، ولا بقية للإذكار ، فمجل
إن نويت جودا ، وبادر إن نويت صنعا ، ولا تكن عن ولايته وعد ، وصرفه اعتذار

فراق^(٣)

كان الدهر أبخل من أن يمليني بك ، وأنتك من أن يسوغني قربك ، وإني له
لصابر إلا على فقدك ، وراض إلا ببعثك .

تهنئة بمولود^(٤)

اتصل بي خبر مولودك ، فسرني لك ماسرك ، وأنا أسأل الله أن يتبع النعمة به
عليك ببقائه لك ، وأن يعمرك حتى ترى زيادة إليه منه ، كما رأيتها به .

دعاء^(٥)

قال : تولى الله عن مكافأتك ، وأعان على فعل الخير نيتك ، وأحب بقاءك عزاً .

(١) الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء . ص ٢٩٢ .

(٢) ٢٩٣ الأوراق

(٣) ٢٩٣ الأوراق .

(٤) ٢٩٤ الأوراق .

يسط يدك لوليك ، وعلى أعدائك ، وكلاءك تذب عن ودائع منته عندك ، وزاد في نعمك وإن عظمت ، وبلغك آمالك وإن انفسحت .

وقال (١) : لا أزال الله عنا ظلك ، وأعلى في شرف المنازل مرتفأك ، ولا أعدمنا فيك إحساناً باقياً ، ومزیداً متصلاً ، ويوما محموداً ، وغداً مأمولاً ، وعزاً يمكن قبضتك ، وعد بسطتك .

تعزية^(١)

عازية شرك الله بمدتها ، وآثرك بشواها ، وأتابك عند ارتجاعها ، فأبشر بما جل من صنعه ، وآجل من جزائه ومثوبته .

عظم الله أجرک ، وجعل الثواب عوضك ، ووفقك لنيل مرضاته ، وإن الله قولاً بما علم ، تتنجز به ما وعد .

دعوة بالشفاء

وله في عليل :

أذن الله في شفائك ، وتلقى داءك بدوائك ، ومسح بيد العافية إليك ، ووجه واعد السلامة إليك ، وجعل عنك ماحية لذنوبك ، مضاعفة لثوابك (٢) .

نصيحة^(٣)

وكتب إلى بعض الرؤساء :

لا تشن حسن الظفر بقیح الانتقام ، وتجاوز عن كل مذنب لم يسلك من

(١) ٢٩٤ الأوراق .

(٢) زهر الآداب ، ٢٢٦ : ٧ ، وقد مضت برواية أخرى عن ديوان المعاني ، وهي في الأوراق اسم أشعار أولاد الخلفاء مع اختلاف قليل . ص ٢٩٠ . وفي الرمانة لشهاب الخفاجي أيضاً ص ٣٢٢ .

وتنسب لابن الروي « جامع » ٩٧ ابن الروي للعناد ، ١٤٩ مجموعة النظم والنثر .
(٣) ٢٢٧ : ١ زهر ، ٣٢٣ الرمانة لشهاب الخفاجي ، ٢٩٣ الأوراق اسم أشعار أولاد الخلفاء مع بعض تغيير في الرواية .

الأعداء طريقاً ، حتى اتخذ من رجاء عفوكم رقيقاً ، ولم يسر ميلاً ، حتى اتخذ حسن الظن دليلاً .

اعتذار

وكتب يعتذر إلى القاسم بن عبيد الله (١) :
ترفع عن ظلي إن كنت بريئاً ، وتفضل بالعفو إن كنت مسيئاً ، فوالله إني لأطلب عفو ذنب لم أجهته : وأنتمس الإقالة بما لا أعرفه ، لتزداد تقولاً ، وأزداد تذلاً ، وأنا أعيد حالي عندك بكرمك من واش يكيدها ، وأحرصها بوفائك من باغ يحاول إفسادها ، وأسأل الله تعالى أن يجعل حظي منك بقدر ودي لك ، وعلى من رجائك ، بحيث أستحق منك (٢) .

وله إلى القاسم أيضاً :

لو كان في الصمت موضع يسع حالي لحففت عن سمع الوزير ونظيره ، ولم أشغل وجهها من فكره ، وما زالت الشكوى تعرب عن لسان البلوى ، ومن اختلت حاله ، كان في الصمت هليكنه ، وقد كان الصبر ينصرني على ستر أمري حتى غداً (٣) .

حكمة في رسالة

وكتب ابن المعتز إلى أحمد بن محمد (٤) جواباً عن كتاب استزاره فيه :
قيد نعمتي عندك بما كنت استدعيتها به ، وذبح عنها أسباب سوء الظن ، واستدم ما تحب مني بما أحب منك (٥) .

(١) ولي الوزارة للمعتز عام ٢٨٨ بعد وفاة والده عبيد الله ، وتوفي عام ٣٢٩ هـ .
(٢) زهر الآداب ٢٢٧ : ١ ، والأوراق ص ٢٩٢ مع تغيير في الرواية ، وتنسب لابن الروي « ١٠٩ : ١ » مراجع البيان ، ٩٧ ابن الروي لمقاد ، ١٥٠ مجموعة النظم والنثر .
(٣) زهر الآداب ٢٢٧ : ١ .
(٤) هو أحمد بن محمد بن سعيد الدمشقي أستاذ ابن المعتز وكان أديباً عالمياً راوية توفي عام ٣٠٦ هـ « راجع ١٣٣ : ١ » مجمع الأدباء لياقوت قنبر مرجليوث « وهذه الرسالة في المجمع » ص ١٣٤ : ١ مع تغيير قليل في الرواية ، وله ترجمة أيضاً في تاريخ بغداد « ١٧١ : ٤٤ » .
(٥) زهر ٢٦٦ : ٢ .

وكتب إليه جواباً عن اعتذار كان من الدمني في أمر بلغ ابن المعتر عنه :
والله لا تأبل إحسانك مني كسفر ، ولا تمنع إحسانك مني ، ولك عتدي يد
لا أقبضها عن نفعك ، وأخرى لا أبسطها إلى ظلك ؛ فتجنب ما يسخطني ، فإن أوصون
وجهك عن ذل الاعتذار (١) .

اعتذار من وشاية

وكتب إلى بعض الوزراء (٢) :
ما زال الحاسد لنا عليك أيها الوزير ينصب الحبائل ، ويطلب الفوائل ، حتى
اتهم فرصته ، وأبلىك شيئاً زخرفه ، وكذباً زوره ، وكيف الاحتراس من يحضر
وأغيب ، ويقول وأمسك ؟ مرصد لا يغفل ، وما كر لا يفتر ، وربما استنصح
الغاش ، وصدق الكاذب ، والخطوة لا تترك بالحيلة ، ولا يجرى أكثرها على
حسب السبب والوسيلة (٣) .

تهنئة بالعيد

وكتب إلى عبيد الله بن سليمان بن وهب (٤) الوزير في يوم عيد :
أخبرتني العلة عن الوزير — أعزه الله — حضرت بالدعاء في كتابي لينوب عني ،
ويصير مأخذه العوائق مني ، فأنا أسأل الله تعالى أن يجعل هذا العيد أعظم الأعياد
السالفة بركة على الوزير ، ودون الأعياد المستقبلية فيما يحب ويحب له ، ويقبل
ماتوسل به إلى مرصاه ، ويضاعف الإحسان عليه على الإحسان منه ، ويمتعه
بصحبة النعمة والباس العافية ، ولا يره في مسرة نقصا ، ولا يقطع عنه مؤيداً ،

(١) زهر ٢٦٦ وما بعدها : ٢ ، ١٣٤ : ١ مجمع الأدباء .

(٢) لله التأمم بن عبيد الله الوزير م ٢٩١ .

(٣) زهر الآداب ٣١ : ٤ .

(٤) وزير العتيد والمنشد وتوفى عام ٢٨٨ هـ .

ويجملني من كل سوء فداء ، ويصرف عيون الغير عنه ، وعن حظي منه (١) .

مرض الإخاء

وكتب إلى بعض الكتاب :

قد طالت عنك أو تعاللك ، واشتد شوقنا إليك ، فعاذك الله عما بك ، من مرض في بدنك أو إصابتك ، ولا أعدمتك (٢) .

سؤال

وقال ابن المعتز في كتابه البديع (٣) :

قلت لبعض فقهاءنا وأنا على - وقد سألتني عائد بحضرته : كيف أنت ؟ - :
أتراني إن قلت في عافية كاذبا ؟ فقال لي : لا ، إن أعلك الله من بدنك ، فقد أحصاك من ذنوبك .

المحامد والشرف (٤)

وقال : لن تكسب - أعزك الله - المحامد ، وتستوجب الشرف ، إلا بالخل على النفس والحال ، والنهوض بحمل الأثقال ، وبذل الجاه والمال ، ولو كانت المكارم تنال بغير مؤونة لا شريك فيها السفل والأحرار ، وتساهمها الوضعا من ذوى الأخطار ، ولكن الله تعالى خص بها الكرماء ، الذين جعلهم أهلها ، تخفف عليهم حملها ، وسوغهم فضلها ، وحظرها على السفلة ، أصغر أقدارهم عنها ، وبعد طباعهم منها ، وتقورها عنهم ، واقتصرارها منهم .

(١) زهر الآداب ٢٢٦ : ١ وما بعدها ، وديوان الماني ١٠٠ : ٢ مع تنبيه قليل في الرواية .
وتنسب هذه القطعة لابن الروي ١٤٥ : ١ مراجع البيان . وقد أشد ابن المعتز بعض معاني هذه التهنئة من قول سيدي بن جند : تاج الله لك صالح الأيام وعمود الأعوام حتى يكون كل يوم منها موفيا على ما قبله منصرفا محسا بده .

(٢) ٣٨ البديع لابن المعتز طبعه ١٩٤٥ .

(٣) ٨٢ البديع .

(٤) س ١٣٢ تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي لاسماعيل بوي طبعه ١٩٣٦ ، و ١٢٩٩ : ٤
زهر الآداب نصر الفكتوري زك مبارك ، ١٤٧ مجموعة النظم والنثر ط ١٩١٤ .

تعزية^(١)

الخلود في الدنيا لا يؤمل ، والفناء لا يؤمن ، ولا سخط على حكم الله ، ولا وحشة مع خلافته ، والآنس بطلاعته ، فأدما استرد صابرا ، وأصبح لما استرجع مسلما ، فإن من علم أن النعمة تفضل من واهبها ، شكرها مقبلة ، وصبر عنها مولية ، جعلك الله محتملا للنعمة ، مؤديا للشكر ، صابرا عند المحنة ، محفوظا موقورا أجرها ، والعوز بالصبر عليها .

سلوى^(٢)

وكتب ابن المعتز :

قد علمتني نبوتك سلوتك ، وأسلفتني اليأس منك إلى الصبر عنك .

إلى صديق

وكتب أيضاً :

حفظ الله النعمة عليك وفيك ، وول إصلاحك والإصلاح لك ، وأجزل من الخير حظك ، ومن عليك وعلينا بك (٣) .

دعاء بالشفاء

وكتب إلى خليل :

مسحك الله بيد العافية ، ووجه إليك وافداً السلامة ، وملاكها أفادك ، وهنأك ما قسم لك ، وأمتع بك وليك ، وألان لك طاعة عدوك ، وجل الدولة بيقانك ، وزينها بدوام نعمائك (٤) .

(١) ٢٩٤ و ٢٩٥ الأوراق

(٢) ٩٧ : ٣ هيران المأقي

(٣) ١٠٠ : ٢ المرجع نفسه .

(٤) المرجع نفسه ١٠٠ : ٢ وما بعدها

وصف جيش^(١)

وقال : فلان في جيوش عليهم أردية السيوف ، وأقصة الحديد ، وكان رماحهم قرون الوعول (٢) ، وكان أذراعهم زبد السيول ، على خيل تأكل الأرض بحوافرها وتمد بالفتح (٣) سرادقها ، قد نشرت في وجوها غرر كأنها صحائف الرق (٤) ، وأمسكها تحجيل كأنه أسطورة اللجين (٥) ، وقرطت عذار (٦) كأنها الشنف ، تتأقف الأعداء أوائله (٧) ولم تنض أوخره ، قد صب عليهم وقار الصبر ، وهبت معهم ريح النصر (٨) .

(١) وتندب لابن الرومي «راجع» ١٤٨ مجموعة النظم والنثر ط ١٩٩٤ .
(٢) جمع وعل وهو النيس الجبى .
(٣) البوار .
(٤) جلد وقيق يكتب فيه .
(٥) القضة .
(٦) جمع عذارى والشف بالفتح الفرط .
(٧) في مجموعة النظم والنثر : أوائلها وأواخرها .
(٨) زهر ٢٦ : ١

حكم وآداب لابن المعتز

الله وعظمته

قال أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله :
إن الله جل ثناؤه لا يمثل بنظير ، ولا يغلب بظهير ، جل عن موقع تحصيل
أدوات البشر ، ولطف عن الحناط خطرات الفكر ، لا يحمد إلا بتوفيق منه يقتضى
حمدا ، ففى تحصي نعمائه ، وتكافأ آلائه (١) ؟
وقال : يحز أقصى الشكر عن أداء نعمته ، وتضائل ما خلق فى سعة قدرته ،
قدر فقدر ، وحكم فأحكم ، وجعل الدين جامعا لشمل عياده ، والشرائع مناراً
على سبيل طاعته ، يتبعها أهل اليقين به ، ويحيد عنها أهل الشك فيه (٢) .

البيان

ولابن المعتز (٣) : البيان ترجمان القلوب ، وصيقل العقول ، ويجلى الشبهة ،
وموجب الحججة ، والحاكم عند اختصام الظنون ، والمفرق بين الشك واليقين ،
وهو من سلطان الرسل الذى انقاد به المصعب (٤) ، واستقام الأصيل (٥) وبهت
الكافر ، وسلم المعتنع ، حتى أشب (٦) الحق بأنصاره ، وخللا ريع الباطل من
عماره . وخير البيان ما كان مصرحاً عن المعنى ، ليسرع الفهم إلى تلقيه ، وموجزاً
ليخف على اللفظ تعاطيه (٧) .

-
- (١) زهر الآداب نصر الدكتور زكى مبارك — الطبعة الثانية ص ١٣٧ : ١
(٢) ولابن للفتح : الذين أفضل المواهب التى وصات من الله إلى خلقه ، وأفضلها منقصة ،
وأحدها فى كل حكمة ، فقد بلغ من فضل الدين والحكمة أن مدحا على ألسنة الجبال على جهالتهم
جها ص ٣٥ الأدب الصغير ط ١٩٢٧
(٣) راجع تعريف البيان فى القدر الفريد ١: ٢٢٠ ط ١٩٢٨ ، وفى البيان والبيان للجاحظ
١٩٢٧ ط ١ : ٦٨
(٤) المصعب : الفعل الصعب التباد ، وفى الأصل للمصعب
(٥) الأصيل : هو المائل المنق كبراً
(٦) أشب : تجميع وقوى
(٧) ١ : ١٣٩ زهر الآداب ، ١٧٤ مجموعة النظم والنثر الطبعة الثالثة ١٩١٤ بالطبعة
الأميرية . و ٦٠ ج ١ مراجع البيان

القرآن وبلاغته

وقال : فضل القرآن على سائر الكلام معروف غير مجهول ، وظاهر غير مخفي ، يشهد بذلك مجز المتماطين ، وروهن المتكلفين ، وتحير الكذابين ، وهو المبلغ الذي لا يمل ، والجديد الذي لا يخلق ، والحق الصادق ، والنور الساطع ، والماضي لظلم الضلال ، ولسان الصدق النافي للكذب ، ونذير قدمته الرحمة قبل الهلاك ، وناعى الدنيا المنقولة ، وبشير الآخرة المخلدة ، ومفتاح الخير ودليل الجنة ، إن أوجز كان كافيا ، وإن أكثر كان مذكرا ، وإن أومأ كان مقتضا ، وإن أطلال كان مفهوما ، وإن أمر ففاسما ، وإن حكم فمادلا ، وإن أخبر فصادقا ، وإن بين فشافيا ، سهل على الفهم ، صعب على المتماطين ، قريب المأخذ ، بعيد المرام ، سراج تستضيء به القلوب ، حلو إذا تفوقته العقول ؛ بحر العلوم وديوان الحكم ، وجوهر الكلم ، ونزعة المتوسمين ، وروح قلوب المؤمنين ، نزل به الروح الأمين ، صلى محمد حاتم النبيين ، صلى الله عليه وعلى آله الطيبين ، نخلص الباطل ، وصدع بالحق ، وثألف من النفرة ، وأنقذ من الهلكة ، فوصل الله له النصر ، وأضرع به خد الكفر (١).

بين الحكمة والبلاغة

وقال أبو العباس ابن المعتز .

لحظة القلب أسرع خطرة من لحظة العين ، وأبعد مجالا ، وهي الغائصة في أعماق أودية الفكر ، والمتأمله لوجوه العوقب ، والجامعة بين ما غاب وحضر ، والميزان الشاهد على ما نفع وحضر ، والقلب كالمعلل للكلام على اللسان إذا نطق ، واليد إذا كتبت ؛ والمائل يكسو المعاني وشي الكلام في قلبه ، ثم يبينها بألفاظ كواس في أحسن زينة ، والجاهل يستعجل بإظهار المعاني قبل العناية بتزيين المعارض ، واستكمال محاسنها (٢)

(١) ١٣٩ و ١٤٠ : ١ زهر الأواب ، ١٤٨ مجموعة النظم والنثر .

(٢) زهر ١٤٩ : ١

وقال : البلاغة البلوغ إلى المعنى ، ولم يطل سفر الكلام (١) .

الفصول القصار لابن المعتز

قال ابن المعتز (٢) من كتابه الفصول القصار :

للشعر دال على السخاء ، كما يدل النور على الثمر .

كما أن الشمس لا يخفى ضوءها وإن كانت تحت السحاب ، كذلك الصبي لا يخفى غريزة عقله وإن كان مغموراً بأخلاق الحدادة .

كرم الله عز وجل لا ينقض حكمته ، ولذلك لا يسجل الإجابة في كل دعوة ، كما أن جلالة السيف أهون من صنعه ، كذلك استصلاح الصديق أهون من اكتساب غيره . إذا استرجع الله مواهب الدنيا كانت مواهب الآخرة

لولا ظلمة الخطأ ما أشرق نور الصواب :

الحوادث المصنة مكسبة لحطوط جزيلة ، من صواب مدخر ، وتطهير من ذنب ، وتنبه من غفلة ، وتعريف بقدر النعمة ، ومرون على مقارعة الدهر (٣) .

ومن الفصول القصار أيضاً (٤) :

الحكمة شجرة تثبت في القلب ، وتثمر من اللسان .

لا يقوم الغضب بذل الاعتذار .

الشفيع جناح الطالب ، والبشر رائد الراغب .

المرض حبس البدن ، والحلم حبس الروح .

(١) زهر ١ : ١٥٧ ، وابن خلسكان ٤٦٢ : ١ ، والمعدة ٢١٧ : ١ ، وشفرات الذهب لابن العماد (٢ : ٢٢٣ طبعة القدسي) ، وفي الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء ص ٢٩٦ : البلاغة أن تترب ما تريد ولم يطل سفر الكلام ، وهي في السبك أحد شراح النخبس برواية مقارنة سا ذكر أولاً (ص ١٢٨ : ١) .

(٢) ٢ : ٢٦٦ زهر الآداب

(٣) مثل هذا الفصل محفوظ عن ذي الريبسة فإشار عليه ابن المعتز (راجع ٢ : ٦٦ زهر)

(٤) الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء ٢٩٥ وما بعدها وقد صعدنا هنا كثيراً من الأخطاء الموجودة فيما أثبتته ناشر الأوراق .

الغضب يبدأ بالفتيان ، يعظم ذنبه ، وتصبح صورته ، ويعمل بذمه .
أول الدنيا إلى انقضائها ، كصور في صحيفة ، كلها : نشر بعضها ، وطوى بعضها .
أصبر على مصاحبة الكريم وإن اختلفت حاله ، فليس ينتفع بالجوهره من لم
ينتظر بقاءها .

الشرير لا يظن بالناس خيرا لأنه يراهم بعين طبعه .
لئن استبطأنا لإجابة دعائنا ، لقد سدونا طرقه بذنوبنا .
كلما كثرت حفاظ الأسرار ، ازدادت ضياعا .
أعدت الناس من أنصف عقله من هواء ، ومن لم يملك ذلك فليس لعقله عليه
سلطان .

بئس مال البخيل لحادث أو وارث .
الحاسد مغتاظ على من لا ذنب له ، يحفل بما لا يملكه ، طالب لما لا يجده .
شكرك نعمة سائلة ، يقتضى لك نعمة مستأنفة .
كلما حسنت نعمة الجاهل ، ازداد قبحا فيها .
الوعد راحة الجود ، والمطل مرصه ، والإنجاز برؤه .
الساعي كاذب لمن سعى إليه ، وعائن لمن يسعى به .
كنى بالظلم داعيا لنعمة ، وطاردا لنعمة .
البلاغة أن تقرب ما تريد . ولم تطل سفر الكلام .
خير المعروف ما لم يتقدمه مظل ، ولم يتبعه من .
إذا حضرت الآجال ، اقتضت الآمال .
الصبر على المصيبة يقل حد الثامت بها ، ويظيل عبوس المتضاحك لها .
المعروف رق ، والمكافأة عنق .
انتظر عند الظلم عدل الله فيك ، وعند المقدرة قدرة الله عليك ، ولا يملك
اللجاج على إقرار إثم ، فتشقى غيظك وتسقم دينك .
أعرف الناس بالله أرضاهم بأقداره .
الدنيا تبين من أكرمت : والأرض تأكل من أطعمت .

من كان في يدك ، فهو بك أملاك منك بنفسك
غضب الجاهل في قوله ، وغضب العاقل في فعله
لا تعين من وليته على جبايته ، بقلة جراته ، فليس بكفيك من لم تكفه .
بعض التقدير للقدر دفع .
كل علو خطر ، وربما أدى إلى الهلاك الحذر .
وقال (١) :
المعروف وق ، والمسكافة عتق (٢) :
الحاسد مشاغل على من لا ذنب له ، بخيل بما لا يملك ، طأب لما لا يجد .
وقال (٣) : ربما شرب الماء قبل ربه .
وقال : بكفيك للحاسد غمه بسرورك (٤) .

السلطان وصحبه

وقال (٥) : ربما أورد الطمع ولم يصدر ، ووعد ولم يوف ، ومن تجاوز الكفاف
لم يفته لكثارة ، ومن ارتحل (٦) الحرص أنضاء الطلب ، والأمانى تعمى الأبصار
والبهائم ، والحظياني من لا يأتيه ، وربما طاب وعاء حشوه المتناف . وأشقى الناس
بالسلطان صاحبه . كما أن أقرب الأشياء إلى النار أسرعها احتراقا (٧) ،

-
- (١) من ٣٢٢ ومائة الألبا للشهاب الحقاقي ط ١٣٩٤ هـ .
(٢) وفي أدب الدنيا للحميد اللاوردي م ٤٥٠ هـ من ١٨٤ ط ١٩٢٨ بالقاهرة .
قبل في منثور الحكيم المعروف وق الخ .
(٣) من ٢١٧ المرجع غصه ، ومعاهد التنصيص ١٤٩ هـ .
(٤) وفي أدب الدنيا والدين م ٢٤٢ هـ : قال بعض الحكماء : بكفيك من الحاسد
أنه يتم وقت سرورك .
(٥) راجع الأوراق قسم أثمار أولاد الخفاء (من ٢٨٧ وما بعدها ط ١٩٣٦) وهذا
من انقصول القصص (راجع زهر الآداب ٩٤ : ٣) ، وهنا أخطاء كثيرة جدا قد صحتها فيما
أستأنه من هذا النص ؟ وبش هذه الحكيم تجددها أيضا في دائرة المعارف للبياتاني ٦٩٥ : ٦١
وفي معاهد التنصيص ١٤٩ هـ ج ١ مع بعض اختلاف في الرواية .
(٦) رواية معاهد التنصيص : ارتحل .
(٧) من قول ابن المقفع : أشوق ما يكون الإنسان لمريق النار أقرب ما يكون منها (٤٩)
وسائل البلاء ، ٦٤ الأدب الصغير ، ورواية معاهد التنصيص (١٤٩ : ١٥) : إلى الاحتراق .
(٣٣)

ولا يدرك الفنى بالسلطان إلا جسم تعب ، ونفس خائفة ، ودين ينظم ، ولعن كان
البحر كثير الماء إنه لجعيد المهوى ، ومن شارك السلطان في عز الدنيا قاربه في ذل
الآخرة ، وما أحلى تلقى النعمة ، وأمر عاقبة الفراق ، لاسيما في هذا الزمان ، الملون
الأخلاق ، المتداعى البنيان الموقظ للشر ، المنبئ للخير ، الماطق أعنة الظلم ، والحابس
لروح العدل ، القريب الآخذ من الإعطاء ، والسكابة من الهجة والقطوب من
من البشر ، والذل من العز ، والمقر من الوجود ، المرائية ، البعيد المجتنى ، الفاض
على النفوس بكرهه ، المنحى على الأجسام بغربه ، لا ينطق إلا بالشكوى ، ولا يسكت
إلا على بلوى ، ومن لم يتأمل الأمر بعين عقله ، لم يفتح سيف حيله إلا على مقاتله
والثقت طريق الرأى إلى الإصابة ، والاعتذار طريق المذنب إلى الإثابة ، والمعجلة
تضمن العبرة ، وتجلب الحسرة ، وما أحب أن أصرف عنك خطأ تؤم ، ولكنى
قدمت ما لا أستجير تأخير ، من النصيحة لك والمشورة عليك .

جملة أخرى (١) في ذكر السلطان

فساد الرعية بلا ملك كفساد الجسم بلا روح .

إذا زادك السلطان تأنيسا فزده إجلالا .

من محب السلطان صبر على قسوته ، كصبر القواص على ملوحة بحره .

الملك بالدين يبق ، والدين بالملك يقوى .

من نصح الخدمة ؛ نصحته الجحازة .

لا تنلبس بالسلطان في وقت اضطراب الأمور عليه ، فإن البحر لا يكاد يسلم

صاحبه في حال سكونه ، فكيف عند اختلاف رياحه ، واضطراب أمواجه (٢) .

جملة أخرى من الفصول القصار (٣)

النهر سريع الوثبة ، شنيع العثرة .

أهل الدنيا كركب يسار بهم وهم نيام .

الناس وفد البلى ؛ وسكان الثرى ؛ وأقران الردى ،

(١) راجع زهر الآداب ٣ : ٩٤

(٢) ولابن المقفع حكم كثيرة في السلطان ومما شرته وآداب حاشيته تجددها في الأدب الصغير
والهرة الزينية وفي رسالة الصعابة له أيضاً مما تراه في رسائل الباقاء ، ولا شك أن ذلك كان
بعض مصادر الحكمة عند ابن المقفع

(٣) زهر ١٩٧ : ٣ وما بعدها

المرء نصب الحوادث ؟ وأسير الاغترار .
الآمال مصائد الرجال .
الحرص ينقص المرء من قدره ؛ ولا يزيد في رزقه .
الكذب والخد والتفاق أثناف الذل :
النقام جسر الشر .
الحاسد اسمه صديق ومعتاه عدو .
الحاسد ساعط على القدر ، مفتاظ على من لا ذنب له ، بخيل بما لا يملكه ،
عشفيك أنه يفتن في وقت سرورك .
الفرصة سريمة الفوت ، بطيئة العود .
الصبر من ذى المصيبة مصيبة على ذوى الشهوات .
التواضع سلم الشرف ، والجلود صوان المرض من الدم .
الفدر قاطع .
كنوز السر إذا كثرت خزائنها ازدادت متباعا .
السوء كشجرة النار يحرق بعضها بعضها .
عبد الشهوات أذل من عبد الرق .
وعاء الخطأ بالصمت يمتنم ، والخرق بالرفق يلحم .
الوعد مرض المعروف ، والإنجاز برؤه ، والمطل تلفه .
إذا حضر الأجل ، خرق الأمل .
لا تشن وجه الغفو بالقرع .
لا تنكح خاطب سرك ، ومن زاد أدبه على عقله كان كالراعي الضعيف مع
المواشى الكثيرة .
الهم حبس الروح (١) .
من كرمت عليه نفسه ، هان عليه ماله .
من جرى في عنان أمه ، عثر بأجله .
ما كل من وعد وعدا يحسن إنجازه .

(١) ولابن المقفع : الهم مرض العقل ١١٨ رسائل البغاة

وبما أورد الطمع ولم يصدر ، وضمن (١) ولم يوف .
وبما شرق شارب الماء قبل ديه (٢) .
من تجاوز الكفاف لم يقنعه (٣) لكثار .
كلما عظم قدر المنافس فيه ، عظمت الفجعة بفقده ، ومن أرحله الحرص أنضاء الطلب .
الاماني تسمى أعين البصائر ، وربما كان الطمع وعاء حشوه الخائف ، وسائفا
يدعو إلى التدامة .

ما أحلى تلقى البقية (٤) ، وأمر عاقبة الفراق .
من لم يتأمل الأمر بعين عقله ، لم تقع حيلته إلا على مقائله .
وقال في الفصول النصار أيضا :
طلاق الدنيا من الجنة (٥) .
وقال : عقوبة الحاسد من نفسه ، لا يرضى عنك الحاسد حتى تموت (٦) .
وقال : أنفاس الحى خطاه إلى أجله (٧)
المعروف غل لا يفكر إلا شكر أو مكافأة (٨) .
من عجائب الدنيا أن تطرح التراب على وجه من تكرمه ، أهل الدنيا كركب
يساق بهم وهم نيام . من أحب البقاء فليعد للنوائب قلبا صبوراً . أفترك الولد
وعاداك . من لم يتعرض للنوائب تعرضت إليه . إذا كثر الناعي إليك قام
الناعي لك (٩) .

-
- (١) في الأوراق من ٢٨٧ : ووعد
(٢) وهذه الحكمة في الريانة من ٣٢٢ .
(٣) في ملهذ التنصيص من ١٤٩ : ١ : ينه
(٤) في الأوراق من ٨٧ : النمة .
(٥) البديع من ٩٠ ط ١٩٤٥ : والصناعين ٣٠٦ .
(٦) تاريخ آداب اللغة الحسيني القواهرى من ١٠٦ : وذكرها الساوردي في أدب الدنيا والدين
من ٢٤٢ ط ١٩٢٨ على أنها من منثور الحكم .
(٧) أبو القداء أخبار عام ٢٩٦ .
(٨) ديوان اللغوى ٩٥ : ٢ .
(٩) تاريخ آداب اللغة الحسيني القواهرى .

أدب وحكمة

وقال ابن المعتز (١) :

لا تسرع إلى أرفع موضع في المجلس ، فالموضع الذي ترفع إليه ، خير من الموضع الذي تحط منه .

لا تذكر الميت بسوء ، فتكون الأرض أكرم عليه منك .

ينبغي للماقل أن يدارى زمانه ، مداراة السابح للواء الجارى .

وقال (٢) : نعم الجاهل ، كالرياض في المزايل .

كلنا حسنت نعمة الجاهل ، ازداد فيها قبحا .

لسان الجاهل مفتاح حقه .

لا ترى الجاهل إلا مفرطاً أو مفرطاً .

وقال (٣) : أهل الدنيا كصور في صحيفة إذا طوى بعضها نشر بعضها (٤) .

بشر مال البخيل بمحدث أو وارث .

البشر دال على السخاء كما أن النور دال على الثمر .

ما أدري أيهما أمر : موت الغنى ، أم حياة الفقر ؟

إذا صحت النية وتأكدت الثقة سقطت مؤنة التحفظ .

الزهد في الدنيا الراحة العظمى .

الحكمة الخالدة

وقال ابن المعتز :

(١) ١٣٢ : ٤ زهر .

(٢) ١٥٦ : ٤ زهر .

(٣) ص ٦ غص الحماص للتتالي مطبعة ١٣٢٦ هـ .

(٤) قال التتالي : كنت أظن أن ابن المعتز أبو عذرة هذا حتى قرأت فرائده :

ما الدهر والناس إلا مثل واردة إذا مضى عنق منها آتى عنق ص ٨٤ من المرجع السابق ، والعنق : الطائفة من الناس .

الأزمان المحمودة والمذمومة لها آجال كآجال العباد ، فاصبر لزمان السوء ، حتى يفتي حمزه ، ويأتى أجله ، كفانا الله وإياكم شقوة القدر ، وأعاننا بطاعته على الخذل من شر الزمن (١) .

وقال : لا تعرض لعدوك في دونه ، فإنها إذا زالت كفنتك مؤثته (١) .
وقال : الغضب يصدى القلب ، حتى لا يرى صاحبه شيئا حسنا فيفعله ، ولا قبيحا فيجتنبه (٢) .
وقال : تجاوز عن مذنب لم يسلك من الإقرار طريقا حتى اتخذ من رجاء عفوكم رفيقا (٣) .

العقل

وقال (٤) : العقل غريزة تربها التجارب .
العاقل من عقل لسانه (٥) ، والجاهل من جهل قدره .

كلمات في الحكم

وقال (٦) لما عرف أهل النفس حالهم عند ذوى الكمال استعانوا بالكبر ، ليعظم صغرا ، ويرفع حقيرا ، وليس ينفع الطمع في وثاق الدل .
الغضب يصدى العقل ، حتى لا يرى صاحبه صورة حسن أيرتكبه ، ولا صورة قبيح فيجتنبه .

(١) ٢٠٧ الخلة للعامل

(٢) ٢٠٩ الخلة للعامل

(٣) ٢٤٥ الكشكول للعامل

(٤) زهر ١٢٩ : ٤

(٥) هذا قريب من قول الحسن :

لسان العاقل من وراء قلبه ، ولسان الأحمق أمام قلبه

الكامل للبند ٢٦٣ : ١ ط ١٣٥٥ هـ

(٦) زهر ١٥٦ : ٤ وما بعدها

المعصب ينيء عن كامن الحقد .
من أطاع غضبه ، أضاع أدبه .
حدة الغضب تعثر المنطق ، ونقطع مادة الحاجة ، ونفترق الفهم .
عقوبة الغضب تبدأ بالمعذبان ، تقبح صورته ، وتثل ديبته ، وتعجل ندمه .
ما أقبح الاستعانة عند الغنى ، والخضوع عند الفقر .
من يملك سر غيره ، تكشف عورة بنيه .
نفاق المرء من زلة الشرير ، لا يظن بالناس خيراً ، لأنه يراهم بعين طبعه .
من عدد نعمه ، يحق كرمه :
خلف الوعد ، خلى الوعد .
من أسرع كثر عثاره .

مصير الحياة^(١)

وقال ابن المعتز :

وعد الدنيا إلى خلف ، وبقاؤها إلى تلف ، وبعد عطائها المنع ، وبعد أمانها
الفجع ، طواحة طراحة ، آسية جراحة ، كم راقد في ظلها قد أيقظته ، ورائق بها
قد غانت ، حتى يلفظ نفسه ، ويودع دنياه ، ويسكن رمله ، وينقطع عن أمله ،
ويشرف على عمله ، وقد رجح الموت بحياته ، ونقض قوى حركاته ، وطمس البلى
جمال مجته ، وقطع نظام صورته ، وصار كخط من رماد ، تحت صفائح أنضاد (٢)
وقد أسله الأحباب ، واقترش التراب ، في بيت قد نجرته المعاول ، وفرشت فيه
الجنادل ، مازال مضطرباً في أمله ، حتى استقر في أجله ، ومحت الأيام ذكره ،
واعتادت الالحاظ فقره (٣) .

(١) ولابن النظم في وصف الدنيا : الدنيا زخرف يظلم الجوارح ، ما لم تنله الأبواب ،
والحكيم من ينفق عنه ولم يشغل به قلبه من ٣٣ الأدب الصغير الطبعة الأولى سنة ١٩١١ ،
وراجع : صفة الدنيا لابي بن أبي طالب في المفسد القريد ١١٣ : ٢ طبعة ١٩٢٨ ، ورسالة
المناظرة إلى بعض إخوانه في ذم الزمان من ٣١٦ : ١ المقدم القريد
(٢) الصفائح : الحجارة المرصنة ، والأنضاد المنحوتة باستواء
(٣) زهر ٣١٧ : ١ ، السككول ٩٤ ، مجلة الأزهر عام ١٣٦٣ هـ من ٣٠٢

الغضب

وقال ابن المعتز :

غضب الجاهل في قوله ، وغضب العاقل في قوله (١) .

خيانة

وقال ابن المعتز :

من قرأ سطرأ من كتاب قد خط عليه فقد خان كاتبه ، لأن الخط يحرم ما تحته (٢)

الشيبة

وقال (٣) : الشيبة أول مواعيد المناء .

حكمة

وقال (٤) : عظم الكبير فإنه عرف الله قبلك ، وادحم الصغير فإنه أغرب بالدنيا منك

الشورى (٥)

وقال : من رضى بحاله استراح ، والمستشير على طرف النجاح (٥) .

وقال : من أكثر المشورة في الإصابة ، لم يدم الصواب ، وكان في الإصابة مأسا وفي الخطأ عذراً (٦) .

الولاية والعزل

وقال : ذل العزل يضحك من نيه الولاية ، وقال :

كم نائه بولاية وبعزله ركض البريد

سكر الولاية طيب وحارها صعب شديد

(١) الأوراق قسم أعداد أولاد الخفاء ٢٩٦ ، البديع ص ٩٠ ط ١٩٤٥ ، الصناديق ٣٠١ طبعة صبيح ، زهر ١٥٦ : ٤

(٢) زهر ١٨٣ : ١

(٣) زهر ٤٩ : ٤

(٤) ولابن القنق : لا رأى لمن اغرد برأيه ، المستشار مؤمن

(٥) زهر ٢٥٢ : ٣

(٦) زهر ٢٥٣ : ٣

وقال : المزل طلاق الرجال ، وحيض العمال (١) .

الصدق^(٢)

وقال : علامة الصديق إذا أراد القطيعة أن يؤخر الجواب ، ولا يبتدىء بالكتاب ، ولا يفسد بك الظن على صديق أصلحك اليقين له .
إذا كثرت ذنوب الصديق انمحق السرور به ، وتسلطت التهم عليه .
نصح الصديق تأديب ، ونصح العدو تأنيب .
ظاهر العتاب خير من باطن الحقد .
ما حبس الود بمثل العتاب .
من صدقت لهجته ، ظهرت محبته .

الموت والعمر

وقال : الموت سهم مرسل إليك ، وعمرك بقدر سيره إليك .
أخذه بعض الشعراء فقال :
الموت سهم مرسل والعمر قدر مسافة (٣)

المزاح

وقال : من كثر مزاحه لم يحل من استخفاف به أو حقد عليه (٤) .

الكذب

وقال : علامة الكذاب جوده في التمين لغير مستحلف . وقال :

(١) زهر ٢٥٥ : ٣

(٢) زهر ٢٦٢ : ٣ وما بعدها .

(٣) زهر ١٦ : ١٤ ، ١٠٦ تاريخ آداب اللغة الحسيني الطواغري

(٤) زهر ١٨٨ : ٢ ، وبنول عمر للأخنف : من كثر مزاحه كثر سقطه الخ ، واج

١٤٣ : ٢ البيان والتبيين للجاحظ نصر السدوسي ط ١٩٢٧

وفى اليمين على ما أنت قاعله ما دل أنك فى الميعاد متهم (١)
وقال اجنب مصاحبة الكذاب ، فإن اضطرت إليه فلا تصدقه ، ولا تعلمه
أنك تكذبه ، فينتقل عن وده ، ولا ينتقل عن طبعه (٢) .
وقال : يعترى حديث الكذاب من الاختلاف ، ما لا يعترى الجبان من الاعتماد
عند الحرب (٣) .
وقال : لا تصح للكذاب رؤيا لأنه يخبر عن نفسه فى البيضة بما لم ير ، فترى
فى النوم ما لا يكون ، وأنشد :
لا يكذب المرء إلا من مهاتته أو عاده السوء أو من قلة الأدب (٤)

الكتاب والقلم^(٥)

الكتاب والى الأبراب ، جرى على الجواب ، مفهوم لا يفهم ، وناطق لا يتكلم ،
به يشخص المشتاق ، إذا أقمده الفراق ، والقلم مجهز لجيوش الكلام ، يخدم
الإرادة ، ولا يمل الاستزادة ، ويسكت واقفا ، وينطق سائرا ، على أرض رياضها
مظلم ، وسوادها مضىء ، وكأ أنه يقبل بساط سلطان ، أو يفتح نوار بستان .

الصداقة

وقال : لا يزال الإخوان يسافرون فى المودة ، حتى يبلغوا الشقة ، فإذا بلغوها
ألقوا عصا التيار ، وأطمأنت بهم الدار ، وأقبلت وفود التصامح ، وأمنت خبايا
الضياير ، خلوا عقد التحفظ ، ونزعوا ملابس التخلف (٥) .

(١) زهر الآداب ٢: ١٤٢ ولابن المقفع فى الكذب : رأس القنوب الكذب هو يؤسها
وهو يتقدمها وينبها ، ويتلون ثلاثة ألوان : بالأمنية والجمود والجدل ، ٤٧ الأدب الصغير

(٢) زهر ١٤٢ و ٢٦٦ : ٢

(٣) زهر ١٤٢ : ٢

(٤) زهر : ١٤٤ : ٢ والأوراق تسم أشجار أولاد الخلفاء من ٢٩٢ ، والقدر ٢٦ : ٣

ط ١٩٢٨

(٥) الكتكول من ٢٤٥ ، زهر الآداب من ٢٢٥ : ١ وما بعدها

كلمات

وقال : قاي نجى من ذكرك ، ولساني عادم شكرك (١) :

وقال : القول بعد الفكر يؤمن ذبغه شتان بين روية وبدية (٢)

ولابن المعتز (٣) :

قد رخصت الضرورة في الإلحاح ، وأرجو أن تحسن الظن كما أحسنت الانتظار .
فلان لو أمهت حاله لأمهك ، لكن أعجلته فأعجلك ، فأعته بشى . يكون مادة
لهبيرة عليك ، وأقم رغبته إليك مقام الحرية بك .
حالى مرقمة ، فإن تحركت بها تمزقت .

ربما أدت الشكوى إلى الفرج ، وكان الصمت من أوكد أسباب العطية .
إذا صحت المودة كان باطنها أحسن من ظاهرها .

توقيعات لابن المعتز^(٤)

كتب إليه قهرمانه ينسب وكيله إلى الخيانة والسرقة ويستأمره في الاستدلال
به ، فوقع في رقعة : أغن من وليته عن السرقة فليس يكفيك من لم تكفه .
وكتب إليه بعض مواليه يذكر جهده في خدمته وتوقعه زيادة نظر له فوقع :
من نصح الخدمة نصحته المجازاة .

العلم والتواضع

قال ابن المعتز : العلم جمال لا يخفى . ونسب لا يجنى . وقال أيضا : زلة العالم
كانسكار سفينة تفرق ويفرق معها خائف كثير . وقال غيره : إذا زل العالم . زل
بزلته عالم .

(١) خاس الخاس للتمالي ص ٦ ، وديوان العاني ١٠٤ : ٢ ، والبدع ص ٣٨

(٢) الممعة ١٦٨ : ١

(٣) خاس الخاس للتمالي مطبعة ١٣٢٦ ص ٦ ، والكلمة الأولى في البدع

(٤) ص ٧١ خاس الخاس

وقال ابن المعتز : المتواضع في طلاب العلم أكثرهم علما كما أن المسكان المنخفض أكثر البقاع ماء . إذا علمت فلا تذكر من دونك من الجبال . واذكر من فوقك من العلماء .

وقال أيضا : مات خزنة الأموال وهم أحياء . وعاش خزان العلم وهم أموات . مثل علم لا ينفع ككنز لا يتفق منه .

المقدمة التي صدرت بها كتابي « رسائل ابن المعتز »

ابن المعتز أديب ممتاز ، وشاعر ملهم ، وشخصية بارزة بين الشخصيات التي تفتت في القرن الثالث الهجري .

وهو إلى جانب ذلك مؤلف كبير له كتب جيدة منها :

١ - طبقات الشعراء : وقد طبع جزء منه في أوروبا ، وكنت عازما على طبعه وتصحيحه لولا أن حمل عنى هذا العبء الثقيل الأستاذ عبد الستار فراج حيث نشر الكتاب في نحو ٦٠٠ صفحة (١)

٢ - البديع : نشر في أوروبا عام ١٩٣٥ ، ونشرناه نحن عام ١٩٤٥ ، بشرح أدبي واسع وترجمة لنحو مائتي علم من الأعلام الواردة فيه ، مع تصحيح كثير من الأخطاء والتحريرات التي كان يشتمل عليها ؛

٣ - رسائل ابن المعتز : ولم يجمعها أحد قبلي ، وقد أحضارنا البحث في التنقيب عنها في أمهات كتب الأدب وأصوله .

٤ - رسالة في محاسن ومساوي شعر أبي تمام : وكانت غنافية عن أنظار الباحثين حتى وجدنا طائفة كبيرة منها ؛ فنتهناها وصححتها ، وراجعتها على الموازنة للآمدى ، ثم نشرناها في الكتاب .

٥ - سركات الشعراء : وقد أشار إليه الآمدى في الموازنة (٢) وورد ذكره

(١) لعاس إقبال دراسة بالفرنسية عن غملولة الطبقات التي نشرت مصورة قبل نشر الكتاب في القاهرة

(٢) ١٢٠ و ١٢٩ الموازنة — طبعة صبح .

- في بعض المراجع كـشذرات الذهب (١) وابن خلكان (٢) والفهرست (٣).
- ٦ - فصول الغائبين في نياشير السورور ، وقد طبع في مصر عام ١٩٢٥ .
- ٧ - ديوانه وقد طبع في مصر وبيروت ، طبعت فيها كثير من التحريف ولا تشتمل على كل شعره ، ويوجد نسختان كاملتان من ديوانه ، وهما مخطوطتان بدار الكتب (٤)
- ٨ - وله عدة كتب أخرى مفقودة ، منها : « الزهر والرياح » ، كتاب مكاتبات الإخوان بالشعر ، كتاب الجوارح والصيد ، كتاب أشعار الملوك ، كتاب الآداب ، كتاب حلى الأخبار ، كتاب الجامع في الغناء .
- وابن المعز مع أنه شاعر مشهور ، كاتب من كبار الكتاب في عصره ، بل هو إمام الكتاب في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، وكثير من أئمة الأدب كانوا يضعونه مع حلول الكتابة في منزلة واحدة . وقد خلف طبعة الكتاب التي كان يتزعمها الجاحظ شيخ البيان العربي م ٢٥٥ هـ ؛ وتمتاز كتابته بسلاسة أسلوبها وجمالها وإشراقه ، ويسمو معانيها ودقتها ، وغلبة روح الحكمة عليها ، وبصورتها عن طبع متمكن من اللغة وآدابها ، ومطبوع في كل فترة من فقراته ، ورسالة من رسائله . وتشتمل آثاره الأدبية في الكتابة على مجموعتين :
- ١ - رسائله إلى أصدقائه من رجالات الدولة ووزرائها وكبار الشخصيات فيها وقد جمعت منها طائفة ، لاشك أنها قليلة بالنسبة لما له من رسائل ، ولكنها على أي حال هي كل ما وجدته في شتى كتب الأدب العربي وأصوله ، مما أمكنني الاطلاع عليه إلى الآن ، ويشير الأغاني إلى أن له رسالة طويلة في الغناء ومذاهبه ورأيه في التجديد فيه ، وقد بعث بها إلى صديقه ابن حمدون (٥) ، وهي مفقودة ؛ لم نثر عليها لأن ؛ ولعلها ضاعت مع ما ضاع من آثاره الأدبية المختلفة .
- ٢ - الفصول القصار ، وهو كتاب لابن المعز في الحكم والآداب والأخلاق والاجتماع والسياسة ، وقد أشار إليه في كتابه « البديع » (٦) ، وهو مفقود ، وقد

(١) ٢٢ ٣ ج ٢ شذرات طبعة الفس.

(٢) ٤٦٢ ج ١ طبعة ١٢٩٩ مصر .

(٣) ١٦٨ طبعة الرحمانية .

(٤) وقد نشره لوين بمساعدة جمعية المستعمرات الألمانية في أربعة أجزاء عقب الحرب العالمية الثانية

(٥) ١٤١ ج ٩ الأغاني

(٦) ص ٩٠ ط ١٩٤٥

جمعت منه طائفة كبيرة عثرت عليها في شتى كتب الأدب ، وهناك حكم كثيرة لابن المعتز جمعتها من مصادر متعددة ، وهذه المصادر وإن لم أشر إلى أن تلك الحكم من « الفصول القصار » إلا أني أرجح أنها منقولة منه . وأنها بعض محتوياته ، وإذا بجمع الحكم المنشورة في هذا الكتاب ، ترجع أنها جزء كبير من « الفصول القصار » ، وهي على أي حال كل ما أمكننا العثور عليه .

وأثر ابن المعتز في النقد الأدبي أثر كبير خالد . ففضلا عن أن له : « طيقات الشعراء » و« سرفات الشعراء » له آراء كثيرة متفرقة في النقد الأدبي ، وله رسالة في نقد شعر أبي تمام .

وقد جمعت كل ما أمكنني جمعه من آرائه في النقد ، وجمعت كثيرا من رساله في أبي تمام ، إن لم يكن ما أثبتته منها هو كل الرسالة ، وعثيت بمراجعتها على الموازنة ، ولا شك أن لهذه الرسالة قيمة خاصة في النقد الأدبي ، وفي نقد شعر أبي تمام على الخصوص ، لأنها من أوائل ما كتب في نقد شعره ، فوق أنها أصل كبير من أصول الموازنة للآمدني ، ولقدامة بن جعفر كتاب في الرد على ابن المعتز فيها عاب به أبا تمام (١) ، ولعله رد على رسالة ابن المعتز هذه التي كتبها في نقد شعر أبي تمام .

وبعد فإثر من الواجب على من يريد أن يدرس ابن المعتز أن يعرف آثاره الأدبية المختلفة ، قبل أن يكتب عنه ، ويحيل شخصيته ، ويبين أثره في النشاط الأدبي في عصره ومنزله بين رجالات النهضة وأئمة الأدب . لذلك بادرت إلى نشر هذا الكتاب « وسائل ابن المعتز في النقد والأدب والاجتماع » ، بعد أن نشرت كتاب البديع ، ليعيننا ذلك على البحث والدراسة ، ونسلك على منواله سبيلا واضحة إلى الفهم والنقد والحكم . وقد قسمته أربعة أقسام :

(١) القسم الأول آثار ابن المعتز في النقد .

(٢) والثاني رسائله الأدبية ونثره الفني .

(٣) والثالث حكم وآداب .

(٤) والرابع أرجوزة ابن المعتز في تاريخ المعتضد ، وهي مشروحة شرحا تاريخيا ولغويا واسعا ، ويلبها أرجوزته في ذم الصبوح ؛ والأرجوزة الأولى لها مكانة ممتازة في الشعر العربي لأنها صورة مصغرة للملحة الإلياذة وشاهنامة الفردوسي ، والأرجوزة الثانية تحتل مكاناً أدبيا كبيرا في شعر ابن المعتز .

الباب الخامس

ابن المعتز
وأثره في النقد الأدبي

الفصل الأول

النقد قبل ابن المعتز

(١)

كان ابن المعتز أنقد النقاد (١) وكان الناس يستشهدون بفضله وعليه في الشعر (٢) ويمجبون من فعلته بالشعر (٣) ، وكان متهما بنقد المحدثين (٤) .
وهذه الممكنة الممتازة في النقد التي نالها ابن المعتز جعلتنا نقرده له هذا البحث في هذا الباب .

(٢)

والنقد الأدبي هو الحكم الذي تصدره على الشعر والنثر وهو عند المحدثين (٥) تقدير النص الأدبي تقديرا صحيحا وبيان قيمته ودرجته الأدبية .
هو - كما أقول - تحليل الآثار الأدبية والحكم عليها وبيان قيمتها الأدبية العامة والموازنة بينها وبين ما يشابهها من الآثار ، وأصول النقد قراءة وفهم وتفسير وحكم والفرض منه دراسة الأساليب أو الكتاب أو الآراء والأفكار (٦) .
والخطابة والشعر لارسطو هي المرجع الأول لكل الدراسات في النقد والبلاغة (٧) ، وارسطو أول من كتب في النقد الأدبي ووضع في كتابه « فنون الشعر » قواعد البلاغة التي بنى عليها طريقته في النقد (٨) وعلى أساس مذهب ارسطو في

(١) ٢٤٠ : ١ الممددة

(٢) ١٤ للوازنة

(٣) ١٧ رسائل ابن المعتز ورقة ٣٦ الأوراق قسم المقتدر

(٤) ١١٧ تاريخ النقد الأدبي عند العرب

(٥) أصول النقد الأدبي للشايب

(٦) ٩٠ وما بعدها مقدمة لدراسة بلاغة العرب

(٧) أصول النقد الأدبي للشايب

(٨) ١٠٠ مقدمة لدراسة بلاغة العرب

النقد قامت مدارس النقد الحديث في أوروبا وعلى رأسها سانت بوف (١٨٠٤ - ١٨٩٦) ونين (١٨٢٨ - ١٨٩٣) وبرون تير (١٨٤٩ - ١٩٠٧) وجول لوتر (١٩١٧ م)

والنقد في الآداب العربية هو شرح الشعر و تقرير طريقة (٢) الشعر الجاهلي لشكون منهاجاً للشعراء لا حركة العقول والأفكار ، وأكبر مظاهره عندهم هو علم البلاغة (٣)

نشأ النقد في الجاهلية مرتجلاً وكان هيناً يسيراً ملائماً لروح العصر وللشعر العربي نفسه (٤) فهو عربي النشأة كالم لم يتأثر بثورات أجنبية ولم يرقم إلا على الذوق العربي السليم (٥)

وجد في أطوار تهذيب الشعر وفي اختيار المعلمات وتعليقها على السكبة (٦) وفي حكمية أم جندب بين امرؤ القيس وعلمة (٧) وحكومة النابغة على الشعراء وكان تضرب له قبة حراء بعكاظ وبأنية الشعراء ونفثه اشعارها (٨) ، وفي حكم وبيعة بن حذار الأسدي على الزرقان والخبيل السعدي وعبد بن الطيب وعمر بن الأهم (٩) ووجد في نقد الشعراء للشعر قمارؤ القيس ير يكعب وأخويه الفضيلان

(١) راجع مقدمة لدراسة بلاغة العرب ، وأصول النقد للشباب ، و ٤٥ — ٥٠ الأدب الجاهلي

(٢) مقدمة لدراسة بلاغة العرب

(٣) المرجع ١٦٨

(٤) تاريخ النقد الأدبي عند العرب

(٥) المرجع ٢٥

(٦) ٣٧٩ : ٣ العقد

(٧) راجع ١٢٨ : ٧ الأغانى . وقد نقد الرافض هذه الحكومة ورأى أنها جائرة ٢٢٥ —

٢٣٤ : ٣ آداب العرب لرافض وتأييده في ذلك عهد هاشم ١٨٤ الأدب العربي في العصر الجاهلي ، ويرتاب باحث في صحة هذه التهمة ويرى أن امرأ القيس غير مقسم ويقول : ولعل ذلك ما حل عين المعنى أن ينكر هذه التهمة فيما أنكره من شعر امرؤ القيس ٢١ و ٢٢ تاريخ النقد الأدبي عند العرب

(٨) الشعر والشعراء

(٩) تاريخ النقد الأدبي عند العرب

والقعقاع فأشدوه فقال انى لا أعجب كيف لا تحلى عليك نارا جودة شعركم فسموا
بى الذار (١) ويقول النابغة أشعر الناس من استجيد كذبه وامتحك رديته (٢)
وسمى كعب الغنوى كعب الأشكال لكثرة ما فى شعره منها (٣) وطفيل الغنوى طفيل
طفيل الخيل لكثرة وصفه أباهما والثر بن تolib المحبر لحسن شعره (٤) وسموا
قصيدة سويد بن أقي كاهل ، بسطت رابعة الجبل لنا ، الليثية كما سموا بعد ذلك
خطية لسحبان الشوهاة لحسنها (٥) ويقول زهير ، وبروى لحسان :
وإن أشعر بيت أنت قائله بيت يقال إذا أشدته صدقا
ورأى ليد بعد شيخوخته أن أشعر الناس امرؤ الغنيس ثم طرفه ثم نفسه (٦)
إلى غير ذلك من مظاهر النقد فى الجاهلية

(٤)

وأخذ النقد فى القرن الأول يسير فى طريق التضوج والوضوح مع الفطرة
الخالصة والدوق السليم وكان كثير من الخلفاء والصحابية نقادا بفطرتهم وذوقهم :
فايو بكر يقدم النابغة ويقول هر أحسنهم شعرا وأعذبهم شعرا وأبدعهم شعرا (٧)
وكان عمر يتذوق الشعر ويتفده (٨) وقدم زهير ولم يحكم بذلك لحسب بل شرح
سبب حكومته بأنه كان لا يعامل فى الكلام وكان يتجنب وحشى الشعر ولم يمدح
أحدا إلا بما فيه (٩) وكان يرى أنه أشعر الناس (١٠) وكان يجلس هو وأصحابه

(١) من المؤلف للأمدى

(٢) ٢٥٦ سر الفصاحة و ٥٨ : ٢ المدة

(٣) ٣٤١ معجم الشعراء

(٤) ١٨٤ المؤلف ١١٢ : ٢ المدة

(٥) ٢٢٥ : ١ البيان

(٦) ٢٠ جهرة أشعار العرب

(٧) ٧٨ : ١ المدة

(٨) راجع ٩٩ أهازى القرآن و ١٦٩ و ١٧٠ : ١ و ٢٢٤ — البيان ٢٢٥ جزء ٢

البيان والتبيين ٢٠ و ٣٨ و ٥٩ و ٦٠ و ٧٦ : ١ المدة .

(٩) ١٢٥ الموازنة و ٨٠ : ١ المدة و ٣٢ جهرة أشعار العرب والمأطلة وتفسيرها فى

الموازنة و سر الفصاحة و ٣٢ الجهرة و ١٠٥ نقد الشعر

(١٠) ٣٧٩ : ٣ النقد وما بعدها

فيتذاكرون الشعر والشعراء وأيهما أشعر (١) ، وقال لوفد غطفان عن النابغة إنه أشعر شعرائهم (٢) وكذلك على بن أبي طالب كان يقدم امرأ القيس على الشعراء لأنه أحسنهم نادرة وأسبقهم بادرة (٣) ، وكان معارفة يفضل مزبنة في الشعر ويشيد بذكر شاعرها في الجاهلية زهير وشاعرها في الإسلام ابنه كعب ، وكان عبد الملك بن مروان عالماً بالشعر ناقداً له ، ونفيض يذكر أخباره في ذلك كتب الأدب .. ونقده للشعراء كثير ، كمنقده لابن الرقيات (٤) ولسكثير (٥) .

وفي آخر القرن الأول ازدهر الشعر وتعددت مذاهبه الأدبية واشتدت المصيبة وكثر التنافس بين الشعراء كثرة الموازنة بينهم وأحكام النقد الأدبي التي يصدر عنها على الشعر والشعراء الجاهليين والإسلاميين ، فقالوا : أشعر العرب امرؤ القيس إذا ركب وزهير إذا رغب والنابغة إذا رهب والأعشى إذا طرب (٦) واختلوا في الجاهليين فقال الفرزدق : امرؤ القيس أشعر الناس ، وقال جرير : النابغة وقال الأخطل : الأعشى ، وقال ابن مقبل : طرفة ، وقال السكيت : عمرو بن كلثوم ، وقال أبو عبيدة وأبده صاحب الجهرة : امرؤ القيس ثم زهير والنابغة والأعشى وليد وعمرو وطرفة (٧) ، وكان جرير يشبه بالأعشى (٨) والفرزدق بزهير (٩) ، والأخطل بالنابغة (١٠) وقال الفرزدق لما سمع نسيب ابن أبي ربيعة هذا الذي

(١) ٣٢ الجهرة .

(٢) ٣٤ الجهرة .

(٣) ٢٧ و ٢٨ : المدة .

(٤) ٤٠٠ : ١ : النقد

(٥) ٤٣٨ : ٣ : المند

(٦) ١١١ حلبة السكيت وتروى بروايات مختلفة ١١١ خزائن الأدب و ٥٨ : ٩ : الأغاني

و ٣٨٠ و ٤١٣ : ٣ : المند و ١٩٣ حاضرة الإسلام في دار السلام . وهذه الرواية تروى

عن كثير أو نصيب ٧٨ : ١ : المدة ، وعن ابن أبي طرفة مع حذف امرئ القيس وزيادة عنتر

إذا كلب ٧٨ : ١ : المدة ، وعن الأصمى ٣٣ جهرة أشعر العرب

(٧) ٤٥ الجهرة

(٨) ١٨٠ الشعر والشعراء

(٩) ١٨٦ المرجع

(١٠) ١٨٩ المرجع وراجع ٣٠ طبقات الشعراء لابن سلام

كانت الشعراء تطالبه فأخطأته وبكت الديار (١) وورد في مثل ذلك عن جرير (٢) وقال جميل لعمر : والله ما غامط النساء مثل غامطيك أحد (٣) وفضل ابن أبي عتيق عمر فقال أشعر قریش من دق معناه ولطف مدخله وسهل مخرجه ومن حشوه وتعطفت حواشيه وأتارت معانيه (٤)، وقال ينقده : أنت لم تنسب بالنساء وإنما تنسب بنفسك (٥) وقال نصيب : جميل أمامنا وعمر أوصفتنا للنساء وكثير أبكنا على الدمن وأمدحنا للذك (٦) وقال : أما أصدقنا في شعره لجميل وأما أكذبنا فمعر وأما أوصفتنا للنساء فكثير (٧) ونقد قول السكيت تكامل فيها الدل والشغب (٨) كان نقد كثير عمر والأحوص ونصيب (٩) ، وقال كثير في نصيب جميل : هذا والله هو الشعر المطبوع وما كنت إلا رادية لجميل ولقد أتى للشعراء مثالا تحذى عليه (١٠) ، ونقد جرير قول الأحوص : يقر بعيني ما يقر بعينها (١١) وحسد الفرزدق ليلي الأخيلية على شعرها وعزق عنه التميمي الخ (١٢) وقال في جرير ما أحوجني مع فسوق إلى رقة شعره وأحوجه مع عفافه إلى صلابه شعري (١٣) ونقد الجهمدي (١٤) وهكذا تناول النقد الشعر ومذاهبه وعناصره وكثيرا مما يتصل به .

(١) ٣٤ و ٦٤ : ١ الأغاني وراجع ١٦ : ٤ النقد

(٢) ٤٥ : ١ الأغاني

(٣) ٤٩ و ١٢٩ : ١ الأغاني

(٤) ٤٦ : ١ الأغاني

(٥) ٤٦ : ١ المرجع

(٦) ١٣٧ : ١ الأغاني

(٧) ١٤١ : ٢ المرجع

(٨) ٣٣٥ : ١ السكامل القبر

(٩) ٣٣٢ و ٣٣٣ : ١ السكامل

(١٠) ١٦ : ١ النقد

(١١) ١١٣ : ١ الأغاني

(١٢) ١٢١ : ١ السككول

(١٣) ٢٧ : ١ الشعر والشعراء و ١٠٣ : ٤ زهر

(١٤) ٤٣ : ١ طبقات الشعراء لابن سلام

ولكن النقد على أى حال لم تكن له مناهج معروفة وكانوا ربما أخطأوا فيه
كما أخطأ الفرزدق في نقد بيت جرير (١) :

يا حبذا جيل الريان من جيل وحبذا ساكن الريان من كانا

فقال : ولو كان ساكنه قردا ، فقال جرير : لو أردت هذا لقلت : ما كانا ..
وكان لمريد البصرة مقام كبير في حركة النقد في هذه الفترة الحافلة - وكان مآلف
الأشرف (٢) ويقول الجارود فيه : عليكم بالمريد فإنه يطرد الفكر ويحول البصر ويحلب
الحبر ويجمع بين ديمة ومضر (٣) .

(٥)

وابتدأ القرن الثاني قازداد النقد فيه دقة وتحليلا وعمقا وكان أئمة اللغة
وشيوخها ينتقدون الشعر عن صناعة وثقيف ويحللون نصوصه من جميع نواحيها
طبعا وبنية وتركيبا وفنا وأوزانا وقوافي ومنهم أبو عمرو بن العلاء م ١٥٤ وحماد
الراوية م ١٥٦ وخلف م ١٨٢ والمفضل م ١٨٩ ويونس وأبو عمرو الشيباني
وأبو زيد الأنصاري م ٢٠٦ وأبو عبيده م ٢٠٨ والأصمعي م ٢١٦ وابن
الاعرابي م ٢٣١ وكانوا جميعا يروون اللغة والغريب والشعر والنسب والأخبار
والتوارد مع تفاوت في الميول (٤) - وقام كثير منهم برواية الشعر وجمعه .

وكان خلف مكانة في النقد وكان أبو عمرو بن العلاء وأصحابه لا يجهلون مع
خلف في حلبة هذه الصناعة - النقد - ولا يشقون له غبارا لنفاذه فيها ، وحذقه
بها ، وإجادته لها (٥) ، وكان يجمع كثيرا من الآداب (٦) ، وكان عالما بالغريب

(١) ١ : ١٥٥ البقية .

(٢) ٢ : ٢١٠ المقدم .

(٣) ١ : ٢٢٣ البيان والتبيين .

(٤) راجع ٣ : ٢٢٤ البيان والتبيين .

(٥) ١ : ١٩٧ المعجمة .

(٦) راجع ٣ : ٢٢٤ البيان .

والنحو والنسب والأخبار شاعرا كثير الشعر جيدة (١) ، وأصاحب الأصمعي رواية بيت من شعر جرير وقال : اروه كذلك فلقد كانت الرواة قديماً تصلح شعر الأوائل (٢) وأعجب بنقد بشار للشعر (٣) ؛ وعرض عليه مروان لاميته ففضلها على لامية الأعشى (٤) ، وكان أبو عبيدة يرى أن أشعر الناس امرؤ القيس والنايفة وزهير (٥) وأشعر الإسلاميين الفرزدق وجرير والأخطل لأنهم أعطوا حظاً في الشعر لم يعطه أحد في الإسلام (٦) ، وكان الأصمعي يعجب بشعر بشار لكثرة فتوته وسعة تصرفه ولطيفه ، وكان يشبهه بالأعشى والنايفة ، ويشبه مروان بزهير والخطيب (٧) ، وكان يفضل بشاراً على مروان (٨) ، وكان يقول هو وأبو عبيدة : عدى في الشعراء بمنزلة سبيل في النجوم يمارضها ولا يجرى معها (٩) ، وعاب بين يدي الرشيد قول النايفة :

نظرت إليك ، بحاجة لم نقضها نظر السقيم إلى وجوه العود
لذكره السقيم (١٠) ؛ وستل المفضل عن الراعي وذى الرمة : أيهما أشعر فصاح
صيحة متكررة ، أى لا يقاس ذو الرمة بالراعي (١١) . وقد سبق رأى هؤلاء
النقاد في مذهب الصنعة والمصنعين .

وكذلك كان الأدباء ينقدون الشعر بفطرتهم وذوقهم ، وكان بشار أجودهم
وأدقهم في نقد الشعر ومذاهبه ، وكان أبو عبيدة يعجب من « فطنة بشار وصحة

(١) ٣٠٨ الشعر والشعراء

(٢) ١٣ : ٢ زهر

(٣) ٤٣ : ٣ الأعشى

(٤) ٤٠٢ : ٣ البدر

(٥) ٤٤ الجهرة

(٦) ٤٦ المرجع

(٧) ٢٥ : ٣ الأعشى

(٨) ٢٥ : ٣ الأعشى ، ٢٥١ للوشح

(٩) ١٢ : ٢ الأعشى

(١٠) ٢٢٠ : ٢ المسدة

(١١) ١٧٩ الموازنة . وكان ذو الرمة راوية قراعى ٢٠٧ طبقات ابن سلام .

فربحته وجودة نقده للشعر (١) ، وكان خلفه يجب من نقده للشعر ومذاهبه (٢) وغضب بشار على سلم لسرقته معانيه (٣) ، وكان مروان يعرض شعره عليه (٤) ، وكان أبو العتاهية يعتمد على معاني بشار (٥) ، وكان أشجع يأخذ عنه ويظلمه (٦) وكان ابن الرومي يقدمه ويذمهم أنه أشعر من تقدم وتأخر (٧) ، وكان كثير من الشعراء يجادون بشاراً في هذا الميدان .

ولكن جهرد علماء اللغة في النقد كانت أقوى وأظهر فوضعوا الجاهليين في طبقات ولم يتركوا شاعراً مشهوراً من الجاهليين إلا رأوا فيه رأياً ، ولا فتاً من فنون الشعر إلا نقدوه ونوهوا بما فيه من جيد وردى . وهم الذين جمعوا أقوال النقاد في الشعر والشعراء ، ووازنوا بين الإسلاميين والمتقدمين ، ونقدوا ورواية الشعر وبنيته ومعانيه وغير ذلك من الموضوعات .

(٦)

وفي القرن الثالث أخذ النقد يستقل بالبحث والتأليف على أيدي النقاد وعلماء الأدب وسواهم ، كابن سلام م ٢٣١ هـ ، والجاحظ م ٢٥٥ هـ وابن قتيبة م ٢٧٦ هـ ، وابن المديبر م ٢٧٩ هـ . والمبرد م ٢٨٥ هـ ، وابن المعتز م ٢٩٦ هـ وسواهم من الأدباء وعلماء الأدب واللغة وأصحاب الثقافات الحديثة وغير هؤلاء من الذين عاصروا في أصول الموازنات والبلاغة وموازين النقد :

(١) فن الأدباء النقاد : أبو تمام م ٢٣١ هـ ووصيته للبحتري حول الشعر وفنه ومذهب الشاعر فيه مثال واضح من أمثلة النقد الدقيقة وأصل من أصوله

(١) ٢٣ : ٢ : الأغاني

(٢) راجع ٤٣ : ١ : الأغاني ، ٢١٠ : اللآلئ ، ٧٥ : الفناح ، ١٧ : الإيضاح

(٣) ٤٨ : ٣ : الأغاني

(٤) ٥٨ : ٣ : الأغاني

(٥) ١٣٤ : ٣ : الأغاني

(٦) ١٣٧ : ٣ : الأغاني

(٧) ١٣ : ٢ : زهر الآداب وكان بشار يقدم جريراً على الفرزدق ١٣٩ طبقات ابن سلام ، من حيث كان البحتري يفضل الفرزدق ٢٤ صناعتين ، وقد قد بشار قول كثير : « ألا إننا ليلي صا خيرواة » ٨٠ : ٢ : الكامل

الأولى (١) ، وله آراء أخرى في النقد مفرقة في شتى المصادر (٢) ، ومنهم ابن المعتز وسواه ، وتحمل هذه الطبقة إلى العناية بأدب وشعر المحدثين ونقدتهما ، وخاصة شعر أبي تمام والبحتري ، ولدى ابن أحمد المنجم رسالة في العباس بن الأحنف والديلمي والموازاة بينهما (٣)

(ب) ومن علماء الأدب ابن سلام والجاحظ وابن قتيبة :

أما ابن سلام فبصري راوية عالم بالشعر مؤلف في نقده ، عاش في النصف الأخير من القرن الثاني الهجري والثالث الأول من القرن الثالث ، ودرس وتثقف وأحاط باللغة والآداب والأشعار ، وأهتم بالنقد مع تأثر بروح عصره في الاستنباط والشرح والتحليل ، وله كتاب طبقات الشعراء الجاهليين وكتاب طبقات الشعراء الإسلاميين (٤) ، وقد أديجا في بعض طبعا من عهد قريب باسم « طبقات الشعراء » ، والمقدمة المطبوعة في أوله هي مقدمة كتاب طبقات الإسلاميين ، يرشد إلى ذلك الكثير من مقدمته كقوله : « ورويت هذا المؤلف على عشر طبقات كل طبقة تجمع أربعة من غزل شعراء الإسلام (٥) » . وكتاب أول مؤلف في النقد (٦) كما يقولون ، والصحيح أنه ألف قبله في موضوع كتابه نفسه كثير من الكتب كما سنذكره بعد قليل ، وبحوث كتابه تشمل ذكر أئمة العربية واتجاهاتهم العلمية ، وتتناول شرح الشعر العربي وأثره ونشأته وتطوره وتنقله في القبائل وانتقاله ، ثم يذكر طبقات الجاهليين العشر وشعراء المراثي وشعراء القرى العربية ، كما يذكر طبقات الإسلاميين العشر جاعلا في كل طبقة أربعة من الشعراء ، مع الدراسة العميقة والتحليل الدقيق والنقد الممتع لرجال هذه الطبقات وحياتهم ومذاهبهم الفنية في الشعر ، والكتاب يحق من مصادر ثقافتنا الأدبية

(١) راجع الرصيفة في ١٥١ : زهر ، ٢٠٩ : ٢ : المصنف ، ١٦٠ حقيقفة الأفراح لبيبي ط ١٣٢٠ هـ ، ٢٧ المطالعة التوجيهية

(٢) راجع مثلا من ١٩٢ طبقات الشعراء لابن المعتز

(٣) ٩٢ — ٩٤ زهر ، وهي في الوشج ٢٩٣ و ٢٩٤ مذبوبة لأبي أحمد يحيى بن علي المنجم م ٣٠٠ هـ

(٤) ١٦٥ فهرست

(٥) من ١ طبقات الشعراء لابن سلام

(٦) ١٠٨ : ٢ زياد ، ٧٤ تاريخ النقد الأدبي عند العرب

في النقد ، ولا يكاد يستغنى عنه باحث أو دارس ، وهو ضروري في دراسة النقد
وجامع لكثير من الآراء فيه ، وقد رواه عن ابن سلام ابن أخته أبو خليفة الفضل
ابن الحباب الجبلي م ٣٠٥ هـ والذي يشيد الحصري بأدبه وبلاغته (١) .

وأما الجاحظ فملم من أعلام الأدب والنقد والبيان ، وفي كتابه « البيان »
وسواء من مؤلفاته ثروة كبيرة في النقد الأدبي ، فتجده يحلل في دقة وتفصيل مذهب
الطبع والصنعة في الشعر (٢) ، ويشير إلى سرقات أدبية (٣) ، وموازنات أدبية (٤)
ويستجيد بعض أمثال الشعراء فيقول مثلاً : وكان أبو حنيفة أشعر الناس لقوله الخ (٥) ،
ويقول : ومن جيد محدث أشعارهم الخ (٦) ، ويقول : ومن جيد الشعر قول
جرير الخ ، ويثني على أبي نواس وشعره وخبرياته (٨) ، ويرى أنه ليس
هناك مولد إلا ويشار أشعر منه ولا مولد أشعر بعد بشار من أبي نواس (٩) وأبو
نواس عنده أشعر الناس في قوله : كأن ثيابه أطلعن من أزراره قرأه (١٠) .

ورأى أن بيتي عنزة وخلا الذباب بها الخ ، من المعاني العظم (١١) ، ومثله
قول أبي نواس « قرايتها كسرى الخ » (١٢) ، وينتقد أبا العتاهية ذاهباً إلى (١٣) أن

(١) ٢٥٣ ج ٣ زهر

(٢) ٥٤ و ٥٥ و ١٥٠ ج ١ و ٢١ — ٢٦ ج ٢ البيان

(٣) ٨٩ و ١١٦ و ١٧٩ و ٢٥٥ ج ١ البيان

(٤) ٢٤٣ ج ٢ البيان

(٥) ١٦٦ ج ٢ و ٢٠٥ و ٢٠٦ ج ٤

(٦) ١٧٥ ج ٣ البيان

(٧) ١٣٣ : ٣ البيان ، وتجد شرحاً لبيت جرير اللذين ذكرهما الجاحظ في هذا الموضع في

م ٢٠٨ طبقات الشعراء لابن سلام

(٨) ٤٢ ج ٤ المقدم

(٩) ٩١ ج ١ المدة

(١٠) ١٨٥ ج ٣ زهر

(١١) ١٨٤ ج ٣ البيان

(١٢) ١٦٦ ج ٣ زهر ، وراجع شرح البيت في المدة ٢٧٥ ج ١ ، وكذلك ذهب

للبريد في الروضة في بيت أبي نواس ، وقدحما ابن الأنبار في ذهابها إلى أن بيت أبي نواس من المعاني

للشكره ورأى أنه من المعاني المتأخرة ، وأن فصاحة هذا الشعر هي الوصف لا هذا المعنى

١٢٢ للتل السائر

(١٣) ٥٢ ج ٣ زهر

شعره أملت المتون ليس له عيون أخرى الخ ، ويجب بقوله ، رائج الجنة في الشباب ، [عجايبا كبيرا (١) ، ويجب بحدة أشعار عذرة وعبد يغوث وقت [حاملة الموت بما (٢) ، وينذكر حوار إبراهيم بن عبد الله لآبيه في شعر كثير (٣) ، وأن الناس كانوا يستحسنون بيت الأعشى ، وبات على النار الندي والحلق ، حتى قال الحطيمية :

مضى نأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقف
فقط بيت الأعشى (٤) ، وينقد الكتيب لقوله في رسول الله :
لج بنفضلك اللسان ولو أكثر فيك اللجاج والصخب
كما ينقده لقوله في رثائه :

لقد غيبوا حزما وعزما ونائلا عشية واره الصفيح المنصب
لأنه يصلح في عامة الناس (٥) ، وقد دافعوا عنه بأنه إنما أراد في البيت الأول آل الرسول لا الرسول فورد عنهم يذكر النبي خوفا من بني أمية (٦) ، وينذكر مناهج الرواة (٧) وتغصب أبي عمرو بن الملاء على الإسلاميين (٨) ، وأن الرواة كانوا (٩) يحرصون على نسب العباس بن الأحنف حتى أورد عليهم خلف نسب الأعراب فغضبوا به وزهدوا في نسب العباس ، والجاحظ ينسبوا المنصبين على الشعراء المحدثين ، ويرى أن لو كان لهم بصر لعرفوا موضع الجيد عن كان ، وفي أي زمان كان (١٠) إلى غير ذلك من شتى آرائه في النقد .

(١) ٣٨ ج ٣ الأغاني ، ٣٦٦ ج ٢ عصر التأمون

(٢) ١٩٣ ج ٢ البيان

(٣) ١٤٦ ج ٢ البيان

(٤) ٣٦ ج ٢ البيان

(٥) ١٧٢ و ١٧٣ ج ٢ البيان ، ١٧٠ ج ٢ الحيوان ط ١٩٤٣ ، ١٤٥ ج ٢ المدة

(٦) ٢٠ الموازنة ، ١٣٦ ج ٢ المدة

(٧) ٢٢٤ ج ٣ البيان ، ٤ و ٥ الكشف عن مساوي الناني

(٨) ٢٠٩ ج ١ البيان

(٩) ٢٢٤ ج ٣ البيان

(١٠) ٤٠ ج ٣ الحيوان ، وذلك مما يردده ابن الممر الذي حكم عدالة الحكومة الأدبية

وحتم ألا يدفع إحسان حسن عدوا كان أو صديقا (١٣ و ١٤ رسائل ابن الممر) ، وكذلك رأى ابن قتيبة ٧ و ٨ الشعر والشعراء ، وابن رجب ٧٤ ج ٢ المدة

وأما ابن قتيبة فهو عالم ملم بالثقافات في عصره ، جود في التفكير ، ولكنه مع ذلك يحافظ كل المحافظة في الأدب ، ينسب على الأدباء انصرفهم إلى المنطق وشغفهم به عما سواه من علوم الدين واللغة (١) ، ويرى وجوب اتباع منهج المتقدمين في نظم القصيدة (٢) ، ولكنه مع ذلك لا يتعصب للتقديم ولا المحدث تمصيا أعمى ولكن يعطي كلا حقه من العدالة والانصاف ، وكتاب الشعر والشعراء وعلى الأخص مقدمته دراسة عميقة للشعر وأقسامه وعناصره ولطابع والصنعة فيه وللخصوصية بين القدماء والمحدثين ولدواعي الشعر ونظمه وأسباب اختلاف شعر الشاعر . والكتاب مظهر لثقافة واسعة (٣) وإطلاع واسع وذوق سليم ، وفيه عرض لنحو مائة وستين شاعرا من الجاهليين والمخضرمين والإسلاميين وصدور المحدثين ، وقد عني في دراسته لهم ببيان مذاهبهم وخصائصهم واتجاهاتهم وذكر آراء النقاد في شعرهم وسرقاتهم وما يستجد لهم من حكمة أو تشبيه أو وصف وما سبقوا إليه من معان ، وسرد الشعراء سردا دون ترتيب لطبقاتهم أو لهم بحسب عصورهم يعكس ابن سلام ، وقد اهتم بدراسة لغة الشعراء وأثر البيئة فيها (٤) ، وتكلم على بعض النساء الشاعرات كالحنساء (٥) وليلى الأخيلية (٦) ، وهو حريص على ذكر زلات الشعراء من ناحية العقيدة (٧) ، ويعني بتحقيق نسبة الشعر لقائله عناية كبيرة .

وأما طبقة علماء اللغة فأثرهم في النقد واضح جليل ، يتجلى في آرائهم وكتبهم . وكان هؤلاء كلهم أو جلهم يؤثرون الشعر القديم ، ومنهم : أبو العميش المتوفى ٢٤٠ هـ ، وابن السكيت م ٢٤٤ هـ ، وأبو حاتم الجسني م ٢٥٥ هـ ، وأبو الفتح

(١) ص ٢ أدب الكتاب .

(٢) ١٤ وما بعدها الشعر والشعراء

(٣) راجع مثلا شرحه للشكل من شعر أبي نواس ٣١٥ و ٣١٦ و ٣٢٠ و ٣٢٥ الشعر والشعراء وسوى ذلك

(٤) راجع رأيه في عدى وأميسة بن أبي الصلت وأبي ذؤاد ٩٣ و ٩٦ و ١٧٦ الشعر والشعراء ، ١٧ ج ٢ الأغاني مثلا

(٥) ١٢٢ الشعر والشعراء

(٦) ١٧٠ المرجع

(٧) راجع مثلا : ٣٢١ و ٣٢٢ المرجع

الرباشي م ٢٥٧ هـ ، والسكري م ٢٧٥ هـ ، والمبرد م ٢٨٥ هـ ، وتعلب م ٢٩١ هـ .
وأظهرهم أثرأ في ذلك المبرد الذي حفظه السكامل ، كثيرا من آرائه في النقد .
وعلى أي حال ثقافة اللغويين في النقد كانت قليلة بالنسبة لأدباء الكتاب وعلماء
النقد (١) ، وسئل البحري عن مسلم وأبي نواس أيهما أشعر ، فقال : مسلم لأنه
يتصرف في كل فز ، فقيل له إن تعلبا لا يوافقك على هذا ، فقال ليس هذا من علم
تعلب وأضرابه ، وإنما يعرف الشعر من دفع إلى مضابقه (٢) ، وقال البحري
لصديق له أراد التوجه لأبي العباس (٣) ليقرأ عليه شيئا من الشعر : رأيت أبا عباسكم
هذفا رأيت ناقداً للشعر ولا يميزأ له ورأيت مستجيده شيئا وما هو بأفضل الشعر (٤)
وأما النقد من ذوى الثقافات الحديثة في النقد والذين تأثروا بالثقافة اليونانية
فأشهرهم قدامة بن جعفر ، (٢٧٦ - ٣٢٧ هـ) (٥) ، وله كتاب نقد الشعر ، الذي
فصل فيه مذهبه في النقد أتم تفصيل ما احتذى فيه حذو أرسطو في كتاب الخطابة
الذي ترجمه إسحاق بن حنين في النصف الأخير من القرن الثالث الهجري ، وتجد
أثر أرسطو واضحا عند قدامة في كلامه على الصفات النفسية التي يجعلها أمهات
الفضائل ، وذكر أن المدح الجيد لا يكون إلا بها (٦) ، وفي سوى ذلك من بحوث
الكتاب ، ويرى قدامة أن الرثاء كالمديح في وقوعه بهذه الصفات (٧) ، وأن الهجاء
حد المدح ولا يكون إلا بأضدادها (٨) ، وهذا وغيره من كثير من بحوث الكتاب

- (١) راجع كلمة لاحظ في ذلك من ٤ و ٥ السكتف عن مياوي شعر للنبي
(٢) دلائل الإعجاز من ١٩٥ والسكتف من ٥ وإعجاز القرآن ١٠١ والمدة ٩٩ ج ٢
(٣) لله يريد تعلبا ، وأبو العباس لقب للمبرد وتعلب
(٤) الدلائل من ١٩٥
(٥) أحد البغاة الفصحاء والفلاسفة الفضلاء . ومن يشار إليهم في علم اللغاق وأسلم على يد
المسكتف ٢٠٣ - ٢٠٥ ج ٦ معجم الأدياء ، ١٨٨ فهرست ، وله ترجمة مشابهة كذلك في
تاريخ بغداد ، وله تفسير بعض المقالة الأخرى لأرسطو (راجع كشف الظنون من ٣٤ ج ٢)
وكثير من المؤلفات
(٦) تلذ الشعر من ٤٩ - ٤١
(٧) نقد الشعر من ٥٩ ، الصناعين من ١٢٦
(٨) نقد الشعر من ٥٥ ، ويقول عبد الصمد بن النذل م ٢٤٠ هـ : الشعر كله في ثلاث
لفظات وليس كل إنسان يحسن تأليفها : فإذا مدحت قلت أنت ، وإذا هجوت قلت لست ، وإذا
رثيت قلت كنت - المدة من ١٠٣ ج ١ ، وهذا أساس نظرية قدامة ، وأيدها أبو حلال وابن رشيق
في كتابيهما : الصناعين والمدة

أمر لشفاقة قدامة العقلية التي نزل في مواضع الذوق والإحساس والشعور في النقد وفهم الشعر والأدب ، وعناصر الشعر عند قدامة اللفظ والمعنى والوزن والقفائية وما تركب منها ، ثم يذكر أسباب الجودة التي تلحق بكل عنصر من هذه العناصر في نظم الشعر ، ويرى أن أصداد هذه الأمور هي أسباب الرداءة في النظم ، ويحتم على الشاعر أن ينظم الشعر متبعاً لأسباب الجودة وحذراً من الرداءة وأسبابها ، والنافذ يحكم على ضوء هذا المنهج نفسه فيرى مواطن الجمال والمعيب في شعر الشاعر سواء في العاطفة وأساليبه أو في معانيه أو في أوزانه أو قوافيه أو في سوي ذلك مما تركب منها ، فيحكم عليه أو نه بالرداءة أو الجودة والإحسان ، وهذا نهج عقلي واضح .. وأسكنه في تقييده الشعر بهذه القيود الثقيلة وفي تطبيقه على هذه الأصول التي رسمها في كتابه يخطئ كثيراً .. وقد ألف الأمدى كتاباً في تعيين غلط قدامة في نقس الشعر ، وأهداه لأبي الفضل محمد بن الحسين بن العميد وقرأه عليه وكتب خطه عام ٤٣٥ هـ ، كما تقدم كثير من علماء النقد والأدب في شتى العصور . .

الفصل الثاني

ابن المعتز وأثره في النقد الأدبي

(١)

ابن المعتز أديب من الأدباء الذين ألبوا بالثقافات المختلفة التي حفل بها معاصروه وزخرت بها بيئته في عصره ، وكان عليه بالشعر وتقده له وتفوقه فيه وفي فهمه وقدرته على الموازنة بين الآثار الأدبية المختلفة محل تقدير وإعجاب من رجال الأدب وعلماء الشعر وأئمة النقد .

وله في النقد الأدبي آثار كثيرة متعددة أهمها : سرقات الشعراء ، ورسائله في محاسن ومساوي شعر أبي تمام ، وطبقات الشعراء ، وآراء كثيرة أخرى جمعت الكثير منها في « رسائل ابن المعتز » . وستتناول ذلك كله بالشرح ، والتحليل والدراسة في هذا البحث بتوفيق الله .

(٢)

سرقات الشعراء لابن المعتز :

(١) كتاب مفقود ، ويشير إليه الأمدى كثيراً (١) ، وورد ذكره في الفهرست ووفيات الأعيان وشذرات الذهب ومقدمة ديوانه .

والسرقات ألف فيها بعض العلماء قبل ابن المعتز ، وخاصة في سرقات البحري وأبي تمام الذين شغلوا الناس والنقاد لشعرهما أمداً طويلاً ، فلابن السكيت م ٢٤٤ هـ كتاب سرقات الشعراء (٢) ، والزيبر بن بكار م ٢٥٦ هـ كتاب لغارة كثير على الشعراء (٣) ، ولأحمد بن أبي طاهر طيفغور م ٢٨٠ هـ كتاب سرقات

(١) ١١٧ و ١٢٠ و ١٢٩ و ١٦١ الموازنة ، وكذلك ذكره الأمدى م ١٤٥

المؤلف والمحقق

(٢) ١٠٨ فهرست

(٣) ١٦١ فهرست

البحرئى من أبى تمام (١) ، وقد أخرج للبحرئى سنانة بيت مسروق منها ما أخذه من أبى تمام خاصة نحو مائة بيت (٢) ، وقد أخرج سرفات أبى تمام فأصاب فى بعضها وأخطأ فى البعض لأنه خلط الخامس من المعاني بالمشترك بين الناس مما لا يكون مثله مسروقاً (٣) ، ولأبى الضياء بن بشر يحيى كتاب سرفات البحرئى من أبى تمام وكتاب السرفات الكبير (٤) ، ولجعفر بن حمدان الموصلى م ٣٢٣ كتاب السرفات (٥) ، وقد ألف أحمد بن عمار م ٣١٤ هـ فى سرفات أبى تمام ومما يملأ من يموت فى سرفات أبى نواس (٦) ، كما ألف السجستاني فى القرن الرابع فى سرفات أبى تمام ، والآمدى فى السرقة كتاب الخاص والمشارك من المعاني وكتبها فى أن الشاعرين لا تتفق خواطرهما . وللخالدى رسالة صغيرة اسمها ظلامة أبى تمام وضما على لسان أبى تمام يشكو الواقع الموصلى ، وكان كثير الإغارة فى كلامه وشعره على شعر أبى تمام (٧) .

(ب) والكتاب مع أنه مفقود يوجد منه بعض فصوص متفرقة فى شتى كتب الأدب تعطىنا صورة عامة لبحرئه ، وموضوعاته ونحن نشير إلى بعض هذه النصوص الآن .

١ - نقل الآمدى فى موازنته بعضاً من بحوث الكتاب . فهو ينقل عنه شرحاً لبيت لذي الرمة وينقله فى هذا الشرح (٨) ؛ ويقول وأنشد ابن المعتز فى كتاب سرفات الشعراء لسطم يعقوب بردي . الاستعارة فى قول يرثى الهادى :

(١) ٢١٠ فهرست ، ١٦٦ و ١٧١ الرسالة

(٢) ١٣١ الموازنة

(٣) ٥١ الموازنة ، وينقل الآمدى كثيراً من الأبيات التى عدّها ابن أبى طاهر من سرفات أبى تمام ٥١ - ٦٠ الموازنة

(٤) ١٤٩ الموازنة ، ٢١٣ فهرست ، ١٦٦ الرسالة . وكتابه الأول ينقل عنه الآمدى فى الموازنة ١٣٧ - ١٤٨ ثم ينقله ١٤٩ - ١٥٧ الموازنة

(٥) ٢١٣ القهرست

(٦) ١٦٦ الرسالة

(٧) راجع ٣٠٤ - ٣٠٩ الرعيانة

(٨) ١١٧ الموازنة ، ٣٦ وما بعدها رسائل ابن المعتز

لولا المقابر ماحط الزمان به لا بل تولى بألف كله دأى
وقال (ابن المعتز) : هذاردى كأه من شعر أبي تمام (١) ، وينقل عنه رواية
ذكرها ابن المعتز ورواها عن أبي العتاهية في شعر ابن مناذر الشاعر م ١٩٧ هـ في التكم
بما فيه من غريب (٢) ، وينقد ابن المعتز بيت امرئ القيس :
لها ذنب مثل ذيل العروس تسد به قرجها من دبر
لأن ذيل العروس مجرور ولا يجب أن يكون ذنب العروس مجرورا
ولا قصيرا (٣) ، قال الأمدى : وقد عيب على امرئ القيس قوله : لها ذنب ،
ولا أرى العيب لحق امرأ القيس في هذا ، لأن العروس إذا كانت تسحب ذيلها
وكان ذنب الفرس إذا مس الأرض فهو عيب فليس ينكر أن يشبه الذنب به
وإن لم يبلغ أن يس الأرض لأن الشيء إنما يشبه بالشيء إذا قرب منه أو دنا من
معناه ، ولأن امرأ القيس أراد السبوح والكثرة والكثافة ألا تراء قال : تسد به
قرجها من دبر الخ (٤) ، ثم يقول الأمدى : وقد استقصيت الاحتجاج لبيت
امرئ القيس فيما بينته من سهو أبي العباس ابن المعتز فيما ادعاه على امرئ القيس
من الغلط في كتابه الذي جمع فيه سرقات الشعراء (٥) .
٢ — كما ينقل عنه صاحب الموشح كثيرا ، كنفذ ابن المعتز لامرئ القيس (٦)
وللتأنيفة (٧) ، ولزهير (٨) ، وللأعشى (٩) .
وذلك بالطبع جزء من محتويات كتاب سرقات الشعراء وهو يبين لنا
بوضوح منهج بحث المؤلف فيه .

(١) ١٣٠ الموازنة و ٣٥ رسائل ابن المعتز

(٢) ١٢٩ الموازنة ، ٣٦ رسائل ابن المعتز

(٣) ٣٥ الموشح

(٤) ١٦٠ الموازنة

(٥) ١٦١ الموازنة

(٦) ٣٤ — ٣٦ الموشح ، ٣٨ — ٤٠ رسائل ابن المعتز

(٧) ٤٣ وما بعدها الموشح ، ٤٠ و ٤١ رسائل ابن المعتز

(٨) ٤٧ وما بعدها الموشح ، ٤١ و ٤٢ رسائل ابن المعتز

(٩) ٥٦ وما بعدها الموشح ، ٤٢ و ٤٣ رسائل ابن المعتز

أما متى ألف هذا الكتاب فلا نجد على ذلك دليلاً ، وأغلب ظني أنه ألف قبل كتاب البديع أي نحو عام ٣٧٠ هـ ، ثم ألف بعد ذلك كتابه و الفصول القصار ، ثم كتابه و البديع ، وبرجح ذلك عندى أن شخصية ابن المعتز فيه كانت ما تزال متأثرة بحياة التلذذ والدراسة والتعلم ، وكثيراً ما يقول فيه : و وقال مؤدبي أبو سعيد محمد بن هبيرة الأسدي ، مما يدل على أنه كان في عهد التلذذ أو قريباً منه .

و موضوع الكتاب على أي حال لا يقتصر كما رأينا على بيان سرقات الشعراء ، بل يتناول مع ذلك إنتاج فنون الشعراء بالنقد واحصاء آراء النقاد في شعرهم وبيان أخطائهم التي أخذت عليهم ، وذلك عمل كبير في النقد ، ومجهود ساهل في الحكم على الشعراء .

(٣)

طبقات الشعراء لابن المعتز

(١) واسمه الكامل . و طبقات الشعراء في مدح الخلفاء والوزراء ، و منه نسخة خطية بمكتبة الاسكوريال (رقم ٣٧٩ أدب) بعنوان و الخمار من طبقات الشعراء لابن المعتز (١) ، و أو و مختصر طبقات الشعراء (٢) . و نشره عباس أقبال على نفقة لجنة جب التذكارية (٣) . و نشره في مصر عبد الستار فراج (ب) و أول مقدمة الكتاب يظهر فيها أسلوب بعيد عن أسلوب ابن المعتز وعصره ، و الظاهر أنه تمحيد لأحد نساخ الكتاب كتبه في أوله فأضافه النساخ بعده إلى أصل الكتاب .

ويقول ابن المعتز في مقدمة الكتاب : عقد الفكر طروق ليلة بالنجوم ، لوارد ورد على من الموم ، نفض عن عيني كحل الرقاد ، وأليس مقلق - لمل السباد ، فتأملت فخطر في بعض الأفكار ، أن أذكر في نسخة ما وضعه الشعراء من

(١) راجع معجم المخطوطات العربية (٢) ١٦٣ : ٢ زبدان
(٣) و منه نسخة بمكتبة الأزهر (٣٠٢٧ تاريخ) وأخرى بمكتبة الجامعة (٣٠٥٩٠) ،
وأخرى بدار الكتب المصرية (١٣٥٥٢ ز)

الأشعار في مدح الخلفاء والوزراء والأمراء من بني العباس ، ليكون مذكوراً عند الناس ، متابعاً لما ألفه ابن نجيم قبلي بكتابه المسمى « طبقات الشعراء الثقات » مستعيناً بالله المسهل الحاجات ، وسميته طبقات الشعراء المتكلمين من الأدباء المتقدمين ، فكان أول ترجمة ابن نجيم بشار بن برد ، فأختصرت ذلك ، وذكرت ما كان شاذاً من دواوينهم . وما لم يذكر في الكتب من أشعارهم ، واقتصر على ما كان من مطولات قصائدهم وبالله الاستعانة ومنه التوفيق (١) .

وأول ترجمة في الكتاب هي بشار م ١٦٧ هـ ، وأقصى شاعر متأخر ترجم له ابن المعز هو الناشئ م ٧٩٢ هـ (٢) ، ومحمد الشيرازي الذي يقول فيه المؤلف : وهو اليوم شاعر زماننا ، وجميع التراجم التي يحتوى عليها الكتاب والتي تبلغ أكثر من ١٣٠ ترجمة هي لشعراء عاشوا بين هذين التاريخين ، وقد جمّع ابن المعز فيه الشعراء المحضرمين من طبقة بشار ثم المحدثين من طبقة ابن نواس وأبي تمام والبحتري ، ويكاد لا يترك شاعراً من هؤلاء ، وهو استقصاء لا نجد له مثيلاً في أى مصدر أدبي آخر .

والكتاب يصور اتجاهات الشعراء ومذاهبهم وبيئاتهم أدق تصوير ، وفيه تفصيل للخصائص الفنية في شعر المحدثين وكثير من الموازنات الأدبية ، والشرح الأدبي لكثير من النصوص ، وكثير من المختارات للشعراء الذين ذهب شعرهم وضاعت دواوينهم ، وكثير من الآراء القيمة في النقد ، ويشيع فيه الذوق الأدبي في العرض والبحث والنقد والاختيار والترتيب .

وهذا والكتاب جافل بالأحكام الأدبية المتعددة التي ترسم لك مذهب كل شاعر وخصائصه واتجاهه الأدبي وأسانيده في الشعر ونظمه ؛ فيقول في ابن الضحاك : وهو غلام أستاذة والبة (٣) ، وفي أبي هفان : وهو من غلبان أبي نواس ورواته (٤) ، ويقول في الحارثي : كان شاعر مغلقة مفوها مقتدراً مطبوعاً على الشعر ، وكان لا يشبه شعره شعر المحدثين وكان تحفه نبط الأعراب وهو أحد

(٢) م ١٦٨ المرجع

(١) م ١ طبقات ابن المعز

(٣) م ٢٢٨ طبقات ابن المعز

(٤) م ١٩٥ المرجع

من نسخ شعره بماء الذهب (١) . ويقول في ربيعة الرقي : وشعره في الغزل يفضل على أشعار هؤلاء من أهل زمانه وعلى كثير من قبله ولا أحد أطبع ولا أصح غزلا منه (٢) ، ويقول : قال الأخيطل : أئنددت أبا تمام شيئا من شعري فقال : اذهب إذا شئت فليس للناس بعدى غيرك (٣) إلى غير ذلك من آراء في النقد وأحكام على الشعراء ، وبيان لقبحه الفصائد الفنية ، وموازنات أدبية بين الشعراء . والكتاب لم يقسمه ابن المعتز إلى طبقات كما فعل ابن سلام ، وإنما عدد الشعراء وحلل كل ما يتصل بهم وشعرهم تحليلا واسعا ، فهو يسير على الخط الذي سار عليه ابن قتيبة مع اختلاف في الاتجاه والغاية .

والظاهر أنه ألف بعد عام ٢٩٣ هـ ، وهو الذي نوفي فيه الناشئ - الذي ترجم له في الكتاب (٤) ، وهو حين يذكر شاعرا من معاصريه يشير إلى أنه موجود كما قال عن الشيرازي وهو اليوم شاعر زمانه نفلو ترجمة الناشئ . من ذلك دليل على أنه ألف بعد وفاته ، وربما كان لإقامة الناشئ في مصر آخر حياته أثر في ذلك . وعلى أي حال فالكتاب فيما اعتقد ثمرة من ثمرات ابن المعتز التي أخرجها لاسريرة في أواخر حياته . وهو ثمرة ناضجة مثمرة لها الأثر في النقد وأحكامه ودراسة الشعراء وفهم آثارهم

هذا والكتاب المؤلف في الشعر والشعراء وطبقاتهم كثيرة ، وقلا يعرف الباحثون والأدباء من ذلك غير طبقات ابن سلام وابن قتيبة وابن المعتز والكتبي عنيت بالبحث في شتى المصادر عن الكتاب المؤلف في هذا الباب فوجدتها تبلغ نحو خمسة وأربعين مؤلفا . وكاد أن يدفعني عامل الرغبة في الاختصار إلى عدم ذكرها في هذه الدراسة . والكتبي أثرت أخيرا رغبة في الفائدة لإحصاءها هنا في هذا الباب : ألف في الشعر والشعراء وطبقاتهم وفي دراسات أشعارهم كثير من العلماء الذين أخرجوا أنفس المؤلفات في هذه الناحية ويمكننا أن نعرض عليك أسماء هذه المؤلفات الآتية :

(١) ١٣٠ للرجع

(٢) ٧٠ للرجع

(٤) ص ١٩٨

(٣) ١٩٥ للرجع

- ١ - كتاب الأربعة في اخبار الشعراء ، وكتاب صناعة الشعر لأبي هفان المزي م ١٩٥ هـ (١) .
- ٢ - كتاب الشعر والشعراء لأبي دعامة العبسي أحد من انقطع إلى البرامكة (٢) .
- ٣ - عبيدة ٢٠٩ هـ (٣) .
- ٤ - طبقات الشعراء لأبي المنعم (٤) .
- ٥ - كتاب الشعراء لعبيد الله بن أبي سعيد الوراق (٤) .
- ٦ - د الشعراء للأصمعي م ٢١٦ هـ (٥) ، وله كتاب معاني الشعر (٦) ولابن اخته عبد الرحمن كتاب معاني الشعر (٧) والفضل كتاب معاني الشعر (٨) ، وكذلك لابن كناسة م ٢٠٧ هـ (٩) ، وابن الأعرابي م ٢٣١ (١٠) والأشناداني م ٢٥٧ هـ (١١) وكذلك ابن السكيت (١٢) م ٢٤٤ هـ وابن قتيبة (١١٥ فهرست) .
- ٧ - أخبار الشعراء للدانقي م ٢١٥ هـ (١٣) .
- ٨ - طبقات الشعراء الجاهليين وطبقات الشعراء الإسلاميين لمحمد بن سلام الجلي م ٢٩١ هـ (١٤) .
- ٩ - طبقات الشعراء لاسماعيل بن يحيى بن المبارك اليزيدي (١٥) .
- ١٠ - كتاب الشعراء وكتاب ألقاب الشعراء لأبي حسان الزبدي م ٢٤٣ هـ (١٦)
- ١١ - كتاب الشعراء وأنسابهم وكتاب الشعراء وطبقاتهم لأبي جعفر محمد ابن حبيب م ٢٤٥ هـ (١٧) .

-
- | | |
|---|--------------------|
| (١) ٢٠٧ فهرست و ٢٨٨ : ٤ معجم الأدباء | (٢) ٧١ فهرست |
| (٣) ٧٩ فهرست | (٤) ١٥٨ فهرست |
| (٥) ٢٢١ الوسيط | (٦) ٨٢ فهرست |
| (٧) ٨٣ فهرست | (٨) ١٠٢ فهرست |
| (٩) ١٠٥ فهرست | (١٠) ١٠٣ فهرست |
| (١١) ٨٩ و ١٢٣ فهرست | (١٢) ١٠٨ فهرست |
| (١٣) ٣١٦ : ٥ معجم الأدباء | (١٤) رابع ٩٥ فهرست |
| (١٥) ٧٦ فهرست ووالده يحيى م ٢٠٢ هـ وأستاذ أنأون | |
| (١٦) ١٦٠ فهرست و ١٤٥ : ٣ معجم الأدباء | |
| (١٧) ١٥٥ فهرست و ٤٧٦ : ٦ معجم الأدباء وله كتاب معاني جرير م ١٥٩ فهرست | |

- ١٢ — طبقات الشعراء لدعبل م ٢٤٦ هـ (١) .
 ١٣ — الشعر والشعراء لمحمد بن عبد الله الخنعمي (٢) وهو شاعر عاصر
 البحري وله كتاب أدب الشعر (٣) .
 ١٤ — كتاب الشعراء للقاسم بن سلام (٤) .
 ١٥ — عدة رسائل في أخبار الشعراء الوزير بن بكار م ٣٥٦ هـ (٥) .
 ١٦ — الشعر والشعراء لخادم بن اسحق الموصلي (٦) .
 ١٧ — كتاب الشعر والشعراء لابن المرزبان (٧) .
 ١٨ — د د د وكتاب طبقات الشعراء وكتاب الأغاني لعمر بن
 شبة (١٧٢ — ٢٦٢ هـ) (٨) .
 ١٩ — كتاب الشعر والشعراء لأبي جعفر محمد بن أحمد البرقي م ٢٧٤ هـ (٩) .
 ٢٠ — د د د لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
 (٢١٣ — ٢٧٦ هـ) (١٠) .
 ٢١ — كتاب أخبار الشعراء لابن أبي خيثمة م ٢٧٩ هـ (١١) .
 ٢٢ — الشعراء القدماء والإسلامية لأبي الحسن علي بن المنجم
 م ٢٧٥ هـ (١٢) .
 ٢٣ — أخبار الشعراء لمحمد بن يحيى بن أبي منصور المنجم (١٣) وهو آخر
 على بن يحيى المنجم .
 ٢٤ — الجامع في الشعراء وأخبارهم لأبي طاهر طيفور (٢٠٤ — ٢٢٨ هـ) (١٤) .
 ٢٥ — الشعر والشعراء لأبي حنيفة الدينوري م ٢٨٢ هـ (١٥) .

- (١) ٢٢٨ فهرست و ١٩٧ : ٤ معجم الأدباء (٢) ١٠٩ فهرست
 (٣) ٢٤٣ فهرست (٤) ١٠٦ فهرست
 (٥) ١٦١ فهرست وميلاد الوزير عام ٢٠٨ هـ
 (٦) ٢٠٤ فهرست (٧) ٢١٤ فهرست
 (٨) ١٦٣ فهرست و ١٩٤ : ٤ معجم الأدباء
 (٩) ٢ : ٣١ معجم الأدباء (١٠) ١١٦ فهرست
 (١١) ٣٢١ فهرست
 (١٢) ٣٠٥ فهرست و ٤٥٩ : ٥ معجم الأدباء و ٥١ : ٢ وفيات
 (١٣) ٢٠٥ فهرست (١٤) ٢١٠ فهرست و ١٥٥ : ١ معجم الأدباء
 (١٥) ١١٦ فهرست و ١٢٧ : ٤ معجم الأدباء

- ٢٦ - الروضة والكامل وقواعد الشعر والبلافة المبرد (٣١٠ - ٣٨٥) (١١)
- ٢٧ - معاني الشعر للبحر م ٣٨٤ واثعلب م ٣٩١ واثعلب قواعد الشعر أيضاً (٢)
- ٢٨ - كتاب البارع وهو اختيار شعر المحدثين . وكتاب اختيار الشعراء الكبير لأبي عبد الله هارون بن علي المتجهم (٢٥١ - ٣٨٨) (٣)
- ٢٩ - طبقات الشعراء لابن نجيم (٤)
- ٣٠ - الشعر والشعراء لعلي بن مرشد (٥)
- ٣١ - محمد بن أحمد بن الحرون وله كتاب المطابق والتجنيس أيضاً (٦)
- ٣٢ - طبقات الشعراء المحدثين وكتاب أشعار الملوك لابن المعتز م ٣٩٦ (٧)
- وله رسالة في نقد أبي تمام (٨)
- ٣٣ - الشعر والشعراء وكتاب الأربعة وكتاب الورقة وكتاب من سمي من الشعراء عمرو ، لابن عبد الله محمد بن داود بن الجراح (٣٤٣ - ٣٩٦) (٩)
- ٣٤ - كتاب الباهر في أخبار شعراء عظمى الدولتين ليحيى بن علي المتجهم (٣٤١ - ٣٥٠) (١٠) ولأبته أحمد ذيل عليه (١١)
- ٣٥ - كتاب الإشارة في أخبار الشعراء لعبيد الله بن عبد الله بن طاهر (٣٣٣ - ٣٥٠) (١٢)
-
- (١) ٨٨ فهرست وقد جمع في الروضة أشعار المحدثين من أبي نواس إلى من عاصرهم المبرد راجع المثل السابق وينقد صاحب العقد اختيارات في هذا الكتاب - ١٤١ : ٤ العقد (٢) ١١٠ و ١١١ فهرست (٣) ٢٠٦ فهرست و ٤٨٥ معجم الشعراء و ٢٣٥ : ٦ معجم الأدباء و ١٣١ : ١ وفيات (٤) من ٦ طبقات ابن المعتز (٥) ٧١ فهرست (٦) ٢١٢ فهرست و ٢٧٩ : ٦ معجم الأدباء (٧) ١٦٩ فهرست و ٢٢١ : ٢ شذوات و ٤٦٣ : ١ وفيات (٨) ٣٠٨ - ٣١٩ الموشح . ولقدامة كتاب الرد على ابن المعتز فيما خطأ فيه أبا تمام - ٢٠٤ : ٦ معجم الأدباء (٩) ١٨٦ فهرست ، وورد اسم كتاب الورقة في الموازنة للأصمدي كثيراً * و ٨ و ٦٦ وكان ابن داود من علماء الكتاب فاعلا عارفاً بالآيام والأخبار - ٢٥٥ : ٢ تاريخ بغداد (١٠) ١٨٥ فهرست و ٢٨٨ : ٧ معجم الأدباء و ٢٠٨ : ٣ وفيات (١١) ٢٠٦ فهرست (١٢) ١٧٠ فهرست

- ٣٦ - طبقات الشعراء الجاهليين لأبي خليفة الفضل بن الحباب الجبلي
م ٣٠٥ هـ (١)
- ٣٧ - مناقضات الشعراء لابن بسام م ٣٠٣ هـ (٢)
- ٣٨ - الشعر والشعراء وكتاب عيار الشعر لابن طباطبأ العلوي م ٣٣٣ هـ (٣)
- ٣٩ - كتاب صناعة الشعر لأبي زيد البلخي م ٣٣٣ هـ (٤)
- ٤٠ - الشعر والشعراء لابن السراج م ٣١٦ هـ (٥)
- ٤١ - الباهر في الاختيار من أشعار المحدثين عارض به روضة المبرد والشعر
والشعراء (لم يتم) ومحاسن أشعار المحدثين للجعفر بن حمدان الموصلي
(٢٤٠ - ٣٣٣ هـ) (٦)
- ٤٢ - أخطاء أبي تمام لأبي العباس الشافعي أحمد بن عبيد الله بن عمار القطريلي
الكناني المعروف بالفريدي، أبان فيه أخطاء أبي تمام وما في شعره من مجيئ اللفظ
وبعيد الاستعارة (٧) ، ونقده الأمدى في كتاب مستقل (٨) الحقه بالموازنة (٩) ،
وتوفي ابن عمار عام ٣١٤ هـ (١٠)
- ٤٣ - كتاب طبقات الشعراء بالآندلس لعثمان بن ربيعة الآندلسي ذكره
الحيدري قريبا من سنة ٣١٠ هـ (١١)
- وسوى ذلك من شق المؤلفات في هذا الباب

-
- (١) ١٦٥ فهرست
(٢) ٢١٤ فهرست و ٤٥ : ٢ وفيات
(٣) ١٩٦ فهرست والأمدى م ٣٧١ هـ كتاب ما في عيار الشعر لابن طباطبأ من المجلد
وكتاب « تبين غلط تدامة في نقد الشعر » ٥٨ : ٣ معجم الأدباء
(٤) ١٩٨ فهرست (٥) ٩٠ فهرست
(٦) ٢١٣ فهرست و ٤١٩ : ٢ معجم الأدباء
(٧) ٦٢ الموازنة (٨) ٦٢ - ٦٩ من الموازنة
(٩) ٥٨ : ٣ معجم الأدباء و ١٢٥ الموازنة و ٢٢١ فهرست
(١٠) راجع ترجمته في ٢٥٢ : ٤ تاريخ بغداد
(١١) ٨ : ٢ كشف الظنون

رسالة ابن المعتز في محاسن شعر أبي تمام ومساويه :

(١) شغل أبو تمام النقاد طول القرن الثالث والرابع الهجري ، ألفوا في سرفاته ونقده ، وصنف فيه الأصول م ٣٣٦ هـ ، أخبار أبي تمام ، قاصدا به تبين فضل الطائي (١) ، ووازن الأمدى م ٣٧١ هـ بينه وبين البحتري مع ميل إلى البحتري وتقديم له ، وللحائمي م ٣٨٨ هـ مناظرة به وبين أعرابي حول أبي تمام والبحتري وكان الأعرابي متعصبا للبحتري والحائمي لأبي تمام (٢) .

وأول من كتب في نقده ابن المعتز ، فألف فيه رسالته في محاسن شعره ومساويه ، وقد روى المزياني جزءا منها إن لم يكن ما أثبت في كتابه هو كل الرسالة ، وقد نشرناها في كتابي « رسائل ابن المعتز » (٣) ، ولقدامة كتاب الرد على ابن المعتز فيما عاب فيه أبا تمام (٤) ، وللأمدى كتاب في الرد على ابن عمار فيما خطأ فيه أبا تمام (٥) .

(ب) والرسالة لها قيمتها في النقد وهي أصل من أصول الموازنة التي اعتمد عليها الأمدى في نقد شعر أبي تمام .

ويقول ابن المعتز في أولها : « ربما رأيت في تقديم بعض أهل الأدب الطائي على غيره من الشعراء إفراطا بينا فاعط أنه أؤكد أسباب ناخير بعضهم إياه عن منزلة في الشعر لما يدعوه إليه اللجاج ، فأما قولنا فيه فإنه بلغ غاية الاساءة والإحسان فكان شعره قوله :

إن كان وجهك لي تترى محاسنه فإن فمك لي تترى مساويه

ينتقد ابن المعتز أبا تمام فيها ويعيبه بفساد المعنى حينما وبعد الاستعارة وسوء المطابقة أو التكلف الفني وكثرة الغريب المستكره أو بالحشو في بعض أساليبه

(١) أخبار أبي تمام (٢) ٢٠ - ٢٧ : ٣ زهر

(٣) ٣٠٧ - ٣١٩ الموشح ، ١٩ - ٣١ رسائل ابن المعتز

(٤) ١٨٨ فهرست ، ٣٠٤ : ٦ معجم الأدباء لدمر مطبوع

(٥) ٨٦ : ٨ معجم الأدباء لدمر رفاعي

أو يفتح كثير من ابتدائه أو بسرقاته الكثيرة أو بقبائنه أسلوبه أو بأسفاهه إلى ما سوى ذلك أحيانا أخرى .

وموضوع الرسالة كما يؤخذ من عنوانها ذكر محاسن شعر أبي تمام ومساويه ، ولكن بحوث ابن المعتز فيها تدل على أنه لم يرد منها إلا ذكر مساويه ، وربما كان ذلك دليلا على أن ما بين أيدينا إنما هو جزء من الرسالة وأن باقيها مفقود ولعله أشار في هذا الجزء المفقود إلى بعض خصائص أبي تمام التي استحسنتها له النقاد .

(٥)

آراء الأخرى في النقد

ولابن المعتز آراء كثيرة أخرى في النقد الأدبي تبعدها في رسائل ابن المعتز . فهو يمدح المحدثين وشعرهم . لأنه يجب ألا يدفع إحسان حسن عدوا كان أصدقيا . ويطلب العدالة في الحكومة الأدبية (١) . وهو يرد على ابن المديبر الذي كان يتعصب على أبي تمام (٢) وهو يشيد بشاعرية البيهقي ودروائع آثاره الأدبية (٣) وهو فطن بالشعر ممتاز في نقده (٤) وهو كثير العناية بالبيان والنقد (٥) . يشيد بالمحدثين كإسحاق وسواه (٦) . إلى غير ذلك من آرائه في النقد التي تدل على كبر مكانته وأثره في هذا الباب .

(٦)

وبعد فإن المعتز علم من اعلام النقد المتأخرين في عصره ، وهو رفيع المكانة عظيم المنزلة في هذا الفن ، بل هو أعظم نقاد عصره آثارا وأكثرهم عناية بالبحث في النقد والتأليف فيه ، ألف في طبقات الشعراء وفي السرقات وتناول بعض الشعراء وشعرهم بالنقد ، ودرس مشاكل النقد التي أثرت في عصره وكتب فيها ، ولكنه لم يؤلف كتابا في أصول النقد الأدبي كما فعل قدامة بعده في كتابه " نقد الشعر " الذي رسم فيه خطة محكمة لنقد الشعر استمدت منها البلاغة منبر البحث والتأليف فيها وذلك لا يفتقر من مكانته في النقد كإمام من أئمة وعلم من اعلامه .

- | | |
|------------------------------|------------------------------|
| (١) ١٣ و ١٤ رسائل ابن المعتز | (٢) ١٢ و ١٣ المرجع |
| (٣) ٣٣ المرجع | (٤) ١٦ و ١٧ و ٣٨ و ٤٤ المرجع |
| (٥) ١٠ رسائل ابن المعتز | (٦) ٣٢ و ٣٤ وما بعدها للمرجع |

الفصل الثالث

أصوص من آراء ابن المعتز في النقد

عناية ابن المعتز بالبيان والنقد^(١)

قال أبو بكر الصولي (٢) : اجتمعت مع جماعة من الشعراء عند أبي العباس عبد الله بن المعتز وكان يتحقق بطل البديع تحقفاً ينصر دعواه فيه لسان مذاكرته ، فلم يبق مسلك من مسالك الشعراء إلا سلك بنا شعياً من شعابه ، وأرانا أحسن ما قيل في باب ، إلى أن قال : ما أحسن استمارة اشتمل عليها بيت واحد من الشعر ؟ قال الأسدي (٣) : قول لبيد :

وغداة ربح قد كشفت وقرة إذ أصبحت بيد النبال زمامها
قال أبو العباس : هذا حسن ، وغيره أحمد منه ، وقد أخذ من قول ثعلبة ابن صعيبر المازني (٤) :

فتذاكرا ثقلاً رثيداً بعد ما ألفت ذكاً يمينها في كافر (٥)

(١) للرجع ١٢٣ : ٤ زهر وما بعدها

(٢) أديب شاعر مؤلف نقد توفي سنة ٣٣٥ هـ

(٣) من أساتذة ابن المعتز وهو أبو سعيد محمد بن هبة الأسدي النحوي الراوية والتصرف في فنون الأدب - راجع ترجمته في معجم الأدباء نشر من مطبوعات ١٣٣٣ ج ٧ ، وتاريخ بغداد ص ٣٧١ ج ٣

(٤) شاعر صحافي ومن شعراء المفضليات

(٥) نسبة الباقلي في إعجاز القرآن لابيد ص ٣٠٠ طبعة الساقية ١٣٤٩ هـ قال : « يريد بيض التمام لأنه يتشد بضمه على بعض » - وفي « الشعر والشعراء لابن قتيبة » نسبته لندبة وذكر أنه أخذ من قول لبيد :

حتى إذا ألفت يداً في كفائر أو جن عورات التنوير ظلامها
ص ٩٥ الشعر والشعراء ط ١٩٣٢ هـصر : والبيت من قصيدة لندبة رواها صاحب المفضليات ص ٥١ ط ١٩٣٦ شرح السندوقي : تذاكرا أي الظالم والناثم ، ورواية المفضليات تذكرا ، والزبد : أي يضها المنقود ، من رثد الناع : نضده فهو رثد ، وذكاً : الشمس والكافر : القيل القللم لأنه يعطى بظلمته كل شيء

وقول ذى الرمة أنجب إلى منه :
 ألا طرقت من هيوما بذكرها وأبدي الثريا جنح في المغارب
 وقال بعضنا بل قول لبيد أيضا :
 ولقد حميت الخيل تحمل شكتى فرط ، وشاحى إن غدوت لجامها
 قال أبو العباس : ولكن ينزل عن قول لبيد . وغداة ريح . وقال آخر :
 ولو أننى استودعته الشمس لاهتدت إليه المنايا عينها ورسولها
 قال أبو العباس : هذا حسن ، وأحسن منه في استعارة لفظة الاستبداع قول
 الحصين بن الحزام ، لأنه جمع الاستعارة والمقابلة في قوله :
 نظاردهم نستودع البيض هامهم ويستودعون السمرى المقوما (١)
 وقال آخر : بل قول ذى الرمة :
 أقامت به حتى ذوى العود في الثرى وساق الثريا في سلامته الفجر
 قال أبو العباس : هذا لعمري نهاية الخبرة ، وذو الرمة أبدع الناس استعارة ،
 وأبرعهم عبارة ، إلا أن الصواب : حتى ذوى العود والثرى ، لأن العود لا ينزوى
 مادام في الثرى (٢) . وقلت . بل قوله (٣) :
 ولما رأيت الليل والشمس حية حياة الذى يقضى حشاشه نازع
 قال أبو العباس : اقتدحت زندك بأبا بكر (٤) فأورى ، هذا بارع جدا . وقد
 سبقه إلى هذه الاستعارة جرير ، حيث يقول :
 تحمي الروامس ربهما وتحمده بعسد البلى فتمينه الأقطار
 وهذا يثبت جمع الاستعارة والمطابقة ، لأنه جاء بالإحياء والإماتة ، والبلى والجدة ،

(١) البيت من قصيدة حصين ثاقب المصنوعات ١٩ — ٢١

(٢) وهذا قد سبق به الفرزدق النناد — ١٢٤ : ٤ زهر ؟ ورواية العمدة : ذوى العود
 والثوى ، قال : فاستعار للفجر ، لامة وأخرجه مخرج التشبيه — ٢٣٩ : ٢ عمدة

(٣) وكان ابن المعتز يقدم ذا الرمة بحسن الاستعارة والتشبيه لاسيما بهذا البيت ٢٤٥ : ١
 العمدة ط ١٩٣٤

(٤) هو أبو بكر الصول الذى روى هذه الرواية الأدبية

ولكن ذا الرمة قد استوفى ذكر الإحياء والإماتة في موضع آخر ، وهو قوله :
وتنوان من طول النماس كأنه بحباين في أنشودة يرجع
إذامات فوق الرجل أحيت روحه بذكرك واليس المراحل جمع
قال الصولي : فما أحد من الجماعة انصرف من ذلك المجلس إلا وقد غمره من
أبي العباس ما غاض فيه معينه ، ولم ينهض حتى زردنا من بره ولعظه نهاية ما اتسعت
له حانه .

أبو تمام والبحتري في رأى المبرد^(١)

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولي : حدثني أبو العباس عبد الله بن المعتز قال :
جاءني محمد بن يزيد المبرد يوما ، فأفئنا في ذكر أبي تمام ، وسألته عنه وعن
البحترى ، فقال : « لأبي تمام استخرجات لطيفة ، ومعان طريفة ، لا يقول مثلها
البحترى ، وهو صحيح الخاطر ، حسن الانتزاع ، وشعر البحتري أحسن استواء ،
وأبو تمام يقول النادر والبارد ، وهو المذهب الذي كان أعجب إلى الأصمعي ،
وما أشبه أبا تمام إلا بغائص يخرج الدر والخيلبة^(٢) » ، ثم قال : والله إن لأبي
تمام والبحتري من المحاسن ما لو قيس بأكثر شعر الأوائل ما وجد فيه مثله^(٣) .

خصوصة أدبية حول أبي تمام

قال الصولي : وحدثني عبد الله بن المعتز قال : كان إبراهيم في المدير^(٤) يتعصب
على أبي تمام ، ويحطه عن رتبته ، فلا حاشي فيه يوما ، فقلت له : أقول هذا
لمن يقول :
غدا الشيب مخبطا بفودي خبطة سبيل الردى منها إلى الموت مهيع
وأثدده الأبيات ؟ ولمن يقول :

(١) نصرتنا هذه الكلمة ومى رأى للمبرد زيادة في الفائدة

(٢) خرز أبيض يشبه الخؤل

(٣) أخبار أبي تمام للصولي طبعة ١٩٣٧ ص ٩٦ و ٩٧

(٤) كاتب يدعى أسره الرنج بالبصرة عام ٢٥٧ هـ ثم فك سراحه وظل يعمل فخدمة الدولة
حتى توفي عام ٢٧٩ وهو صاحب الرسالة المفرد ، وترجمته في مجمع الأدباء ٢٩٢ — ٢٩٦
ج ١ نشر مطبوع

فإن ترم عن عمر نداني به المدى نطالك حتى لم يجد قبلك مزرعا
فأ كنت إلا السيف لاقى ضريبة فقطعها ثم انثنى فقطعها
ولم يقول :

غشموا أصولك التي هي عندهم كاثوت يأتي ليس فيه عار
قالتى همس والنسباء إشارة خرف انتقامك والخبيث سرار
أيامنا مصقولة أظرفها بك واللبالي كلها أسحر
وأنشدته غير ذلك ، فكأننى - والله - أقمته حجرا (١)

الحكومة الأدبية

قال أبو بكر الصولي : ومن الإفراط في عصبيتهم على أبي تمام ما حدثني به
عبد الله بن المعتز قال :

حدثت إبراهيم بن المديبر - ورأيت يستجيد شعر أبي تمام ولا يوفيه حقه - يحدث
حدثني أبو عمر بن أبي الحسن الطوسي ، وجعلته مثالا له ، قال : وجه بي إلى ابن
الأعرجي (٢) ، لأقرأ عليه أشعاراً ، وكنت معجباً بشعر أبي تمام ، فقرأت عليه
من أشعار هذيل ، ثم قرأت عليه أرجوزة أبي تمام ، على أنها لبعض
شعراء هذيل :

وعاذل عدك في عدله فظن أني جاهل من جهله
حتى أتممتها ، فقال : اكتب لي هذه . فكتبتها له ، ثم قلت : أحسنه هي ؟
فقال : ما سمعت أحسن منها ، فقلت : إنها لأبي تمام ، قال : خرق خرق .

قال عبد الله بن المعتز : وهذا العمل من الملأاء مفرط القبح ، لأنه يجب ألا
يدفع إحسان محسن عدواً كان أو صديقاً ، وأن تؤخذ الفائدة من الرقيق والوضيع ،
فإنه يروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب أنه قال : « الحكمة ضالة المؤمن ،
فخذ حذائك ولو من أهل الشرك » ، ويروى عن بزرجمهر أنه قال : أخذت من

(١) أخبار أبي تمام ص ٩٧ - ٩٩

(٢) إمام من أئمة البرية توفي عام ٢٣١ هـ

كل شيء أحسن ما فيه ، حتى انتهيت إلى الكلب والحرة والغراب والخنزير ،
قيل : وما أخذت من الكلب ؟ قال : إله وذبه عن حريمه ، قيل : فن الغراب ؟
قال : شدة حنره ، قيل : فن الخنزير ؟ قال بكوره في إرادته ، قيل : فن الحرة ؟
قال : حسن رفقها عند المسألة ولين صياحها .

قال أبو العباس عبد الله بن المعتز : ومن عاب مثل هذه الأسماء التي ترتاح لها
للغلوب ، وتجذل بها النفوس ، وتصفي إليها الأسماع ، وتشحذ بها الأذهان ، فإنما
غضب من نفسه وطعن على معرفته واختياره ، وقد روى عن عبد الله بن العباس
رحمه الله ، أنه قال : الحوى إله معبود ، واحتج بقول الله عز وجل : أفرأيت
من اتخذ إلهه هواه (١) .

أبو تمام والمبرد

قال أبو بكر الصولي : حدثني ابن المعتز قال : جاني محمد بن يزيد (المبرد)
التحوي فاحتسته ، فأقام عندي ، جرى ذكر أبي تمام ، فلم يوفه حقه ، وكان في
المجلس رجل من الكتاب ، ما رأيت أحداً أحفظ لشعر أبي تمام منه ، فقال له
يا أبا العباس : ضع في نفسك من شئت من الشعراء . ثم انظر أيحسن أن يقول
مثل ما قاله أبو تمام لأبي المغيث موسى بن إبراهيم الرافعي يمتدح إليه :

شهدت لقد أقوت مغانيكم بعدى ومحت كما محت وشائع من برد
وأشدده القصيدة ، فقال أبو العباس (المبرد) : ما سمعت أحسن من هذا قط ،
ما يهضم هذا الرجل حقه إلا أحد رجلين : إما جاهل يعلم الشعر ومعرفة الكلام ، وإما
عالم لم يتبحر شعره ولم يسمعه ، قال ابن المعتز : ومما مات إلا وهو منتقل عن جميع
ما كان يقوله ، مقر بفضل أبي تمام وإحسانه (٢)

(١) ١٧٥ - ١٧٧ أخبار أبي تمام الصولي طبعة ١٩٣٧

(٢) ٢٠٢ - ٢٠٤ أخبار أبي تمام

أبو تمام وأحمد الخصب^(١)

قال الصولي : وجدت بخط ابن المعتز : صار أبو تمام إلى أحمد بن الخصب في حاجة له أيام الواثق ، فأجلسه إلى أن أصابته الشمس ، فقال :
تفاقل عتاً أحمد متناسياً ذمام عهود المديح والشكر واتخذ
نموت من الحر المبرح عنده وحاجتنا قدمين من شدة البرد

بين ابن المعتز والمبرد

قال أبو بكر الصولي : حدثني ابن المعتز قال : صار إلى محمد بن يزيد النحوي متصرفاً من عند القاضي إسماعيل (٢) ، وكان يجيئني كثيراً ، إذا انصرف من عنده ، فأعلمني أن الحارثي - الذي يقول فيه ابن الجهم (٣) :
لم يطلعا إلا لأبدية الحارثي وكوكب الذنب
دخل إلى القاضي إسماعيل ، فأثدده شعراً لابي تمام إلى الحسن بن وهب يستسقيه نبيذاً لم أر أحسن منه في معناه ، وأنه كره أن يستعيده أو يقول له :
أكتبه ، لحال القاضي ففقت له : أنحفظ منه شيئاً ؟ قال : نعم ، أوله : جعلت
فذاك عبد الله عندي .. قال ابن المعتز : فأثدته الأبيات وكنت أحفظها فكتبها
بيته (٤) .

أبو تمام والبديع

وقال ابن المعتز : مسلم بن الوليد أول من وسع البديع ، لأن بشار بن برد أول من جاء به ، ثم جاء مسلم غشياً به شعره ثم جاء أبو تمام فأفرط فيه ، وتجاوز المقدار (٥) .

(١) ٢٦٩ - ٢٧٠ أخبار أبي تمام

(٢) هو إسماعيل بن إسحاق الفتيبة المالكي النخعي توفي ببغداد ٢٨٢ هـ - ٦ : ٢٨٤ تاريخ بغداد .

(٣) شاعر مشهور توفي عام ٢٤٩ هـ

(٤) أخبار أبي تمام ص ١٨٤

(٥) ص ١٠٩ مطبقات الشعراء لابن المعتز نشر عباس إقبال وطبع أوربا

نقد ابن المعتز للشعر

قال أبو بكر الصولي : دخلت إلى عبد الله بن المعتز يوماً وعنده جماعة ، فرمى إلى هذه القصيدة (قصيدة ليحيى بن علي المنجم) ، وقال : اظر ، أترى فيها لفظة رائمة ، أو معنى مليحاً ؟ فقلت له : الأمير - أيده الله - أعلم بهذا معنى ومن جميع الناس ، فقال لي : ما فيها لفظة تمر في طريق الإحسان إلا قوله : والشعر صوب العقول (من بينه :

والشعر صوب العقول يظهر في) الخدي أفن الإنسان أو حكمه (١) فسرقت هذا الملاحظة مما ليس بسرقة ، من لفظة الفث ، وإنما أخذه من قول أبي تمام :

فلو كان يفنى الشعر أفناء ما فرت حياضك منه في العصور الدواهب
ولكنه صوب العقول إذا انحلت - حياض منه أعقت به حياض
فقلت : لقد جوده أبو تمام وبيته ، وإن كان المعنى أخذه ، قال : ومن أين أخذه ؟
قلت من قول أوس بن حجر :

أقول بما صبت على غمامتي وجهدي في جبل العشيعة أسطب
فقال ، هاهنا والله أخذه ؛ وجماعات أعجب من لفظة ابن المعتز بالشعر ، وهذا في الملوكة قليل ، فإذا برع منهم الواحد بعد الواحد ، تقدم الناس ، وخاصة بنو هاشم ، فإنهم أرق الناس أنهما ، وأدقهم أذهاناً ، وأحسنهم طبعاً ، إنما يكفي الواحد منهم قدحه حتى يتأجج نار (٢) .

بين البحري وأبي تمام (٣)

وكان البحري عند عبد الله بن المعتز ، فشكر بعض الأمراء طاهر بن علي

(١) ما بين التوسين زيادة عن الأصل لتوضيح المعنى ، والقصيدة المتحدث عنها روائع الصولي قبل ذلك في كتابه الأوراق تسم أخبار المنصور

(٢) ورقة ٣٦ من الأوراق الصولي في أخبار المنصور - مخطوط بمكتبة الأزهر ٧٦٣٦ أباظة

(٣) راجع ص ٦ مقدمة ديوان البحري طبع سنة ١٩٩١

شفاعته في حاجة للبحرئى عند أبى العباس بن الفرات ، بكتاب كتبه له ، فقال له
الأمير : وهب لي هذا ، (أفقت) كما قال أبو تمام :

فلقيت بين يديه حلوا عطائه ولفيت بين يديه مر سؤاله
وإذا امرق أهدى إليك صنيعة من جواهر فكأنها من ماله

فقال ابن المعتز : قل معنى لأن تمام لم يعمل البحرئى في نحوه ، وما أعرف
له في هذا المعنى شيئاً ، فقل له : قد قال (البحرئى) لأحمد بن عبد الرحيم الحراني
من أبيات (١) :

وكريم غدا فأغلق كفى مستميحاً بنعمة من كريم

حاز حمدى وللرياح الآواني تجلب الغيث مثل حمد الغيوم

قال (ابن المعتز) : هذا ذاك ، ثم قال لوراقه فكنتيهما له... وقال ابن المعتز (٢)
أبو تمام كثير الشعر جدا ، وأكثر ماله جيد ، والردى الذى له إنما يستغلق
لفظه فقط ، فأما أن يكون في شعره شيء يخلو من المعاني اللطيفة ، والمحسن
والبدع الكثيرة ، فلا ، وقد أنصف البحرئى ، لما سئل عنه ، فقال : جيده
خير من جيدي ، وردئى خير من ردئيه ، وذلك لأن البحرئى لا يكاد يغلط لفظه ،
إنما الغاظه كالعدل حللوه ، فأما أن يشق غبار الطاني في الخلق بالمعاني والمحسن
فهيئات ، بل يفرق في بحره ، على أن للبحرئى المعاني الغزيرة ، ولكن أكثرها
مأخوذ من أبي تمام ومسروق من شعره .

نقد لبيت من شعر أبي تمام

وعاب ابن المعتز على أبي تمام تكرار كلمة أمدحه أمدحه ، مع الجمع بين
الحاء والهاء ، وهما من حروف الخلق ، وذلك في قوله :

كريم متى أمدحه أمدحه والورى معى وإذا ما منه لته وحدى (٣)

وهذا النقد منسوب لابن العميد ، ونجده منشوراً في أول رسالة الكشف عن

(١) راجعها في ديوان البحرئى من ٢٥٠ : ٧

(٢) من ١٣٥ طبقات الشعراء لابن المعتز نصر عباس إقبال وطبع أوروبا

(٣) مجلة الرسالة مجلد عام ١٩٤٠ من مقال في الأدب الفارن للفرى أبو السعود من ٦١٢
(٣٥)

مساوي. شعر المنفي للصاحب ابن عباد (١) وفي العمدة لابن رشيق أيضا (٢)
منسوباً لابن السعيد...

رسالة ابن المعتز في محاسن شعر أبي تمام ومساويه (٣)

قال عبد الله بن المعتز في رسالة فيه فيها على محاسن شعر أبي تمام ومساويه :
رسم رأيك في تقديم بعض أهل الأدب الطائي على غيره من الشعراء إفراطاً
يبتأ فأعلم أنه أوكد أسباب تأخير بعضهم إياه عن منزله في الشعر لما يدعوه
إليه الاجاج .

فأما قولنا فيه ، فإنه بلغ غابات الإساءة والإحسان ، فكان شعره قوله :
إن كان وجهك لي تترى محاسنه فإن فمك لي تترى مساويه
فما أنكر عليه قوله في قصيدة .

تلكاد عطاياه بمن جنتونها إذا لم يعوذها بنفمة طالب
ولم بمن جنتون عطاياه انتظاراً للطلب ؟ يتدى بالجوهر ويستريح ، وفيها يقول :
يقود نواصيا جذيل مشارق إذا آبه هم ، عذيق مغارب
عني أنه كثير الأسفار ، فأراد بذلك قول الفاضل : أنا جذيلها المحكك ،
وعذيقها المرجب

وقوله في قصيدته التي أولها :

سرت تستجير الدمع خوف نوى غد وعاد قتاداً عنها كل مرقد
لعمري لقد حررت يوم لقيته لو أن القضاء وحده لم يبرد
فلم تخرج هاهنا المطابقة لخروجها حسناً ، ولا تحسن في كل شيء . وقوله :
لو لم تدارك مسن المجذ مذكمن بالجوهر والبأس كان المجذ قد خرقاً (٤)
فقوله : مسن المجذ ، من البديع المقيت (٥) .

(١) ص ٦ و ٧ طيبة ١٣٤٩ (٢) العمدة ٢ : ٢٥١

(٣) ٣٠٧ — ٣١٩ للوشح للرزاني

(٤) راجع ١١٣ موازنة حيث بعد الأمدى في موازنه البيت من فيج الاستمارة

(٥) أي السكره

وقال يصف الخطايا :

إرقاها بعمييدها ، ووسيجها سعادتها ، وذميلها تنومها
الإرقال ضرب من السير ، وكذلك الوسيج والذميل ، واليمصيد نبت ،
وكذلك السعدان ؛ والتنوم ، بمعنى أنه لا علف لها إلا السير ، وقد سبق إلى هذا المعنى ،
وكنته الشعراء من الكلام أحسن من هذه الكسوة . وقال :

تسمين ألقا كآساد الثرى نضجت أعمارهم قبل نضج الثين والعنب
وقد سبق الناس إلى عيب هذا البيت قبل ، وهو من خيس الكلام (١) وقال :
شاب رأسي وما وأيت مشيب رأس إلا من فضل شيب الفؤاد
فيا سبحان الله ! ما أقبح مشيب الفؤاد ، وما كان أجراه على الاسماع في هذا
وأمثاله ، وقال :

كان في الأتفلى وفي النقرى عر فك نضر المعموم نضر الواحد
يقال : « دعاهم الجفل » إذا دعاهم كلهم فأجفلوا ، ويقال : « دعاهم النقرى » ،
إذا دعاهم واحداً واحداً ، وهذا من الكلام البغيض ، والغريب المستكره البدرى ،
فكيف به إذا جاء من ابن قرية متأدب ؟

وقال في واقعة له بايك ، انهزم فيها ، ومدح الأفنديين :
ولى ولم يظلم ، وما ظلم امرؤ حث التجاء وغلقه الثنين (٢)
فلو كان أجهد نفسه في هجاء الأفنديين ، هل كان يزيد على أن يسميه الثنين ؟
وما سمعت أحداً من الشعراء شبه به بمدحاً بشجاعة ولا غيرها .
وقال في مثل ذلك :

علوا مجنوب موجدات كأنها مجنوب فيول ما لمن مضاجع
أراد أنهم لا يغلبون ولا يصرعون ، كما أن القبيلة لا تضجع ، وهذا بعيد جداً
عن الإحسان ، وقال :

(١) يرد المولى في « أخبار أبي تمام » على من تعد هذا البيت لأن أبي تمام إنما ذكر
« الثين والعنب » تذكراً بأهل عمورية الذين قالوا : إن أيام هؤلاء إلى زمان الثين والعنب
لم يفلت منهم أحد
(٢) ضرب من الحيات

ذهبت بمذهبه الساحة فالتوت فيه الظنون : أمذهب أم مذهب (١)
يريد غلبت على مذهبه الساحة ، فكان فيها مذهباً يظنه بعض الناس ، وقال :
لو لم يمت بين أطراف الرماح إذا لمات - إذ لم يمت - من شدة الحزن
فكانه لو نصر أيضاً وقاتل ، كان يموت من الغم ، حيث لم ينصر ويقتل ، فهذا
معنى لم يسبقه أحد إلى الخطأ في مثله وقال :

إذا فقد المفقود من آل مالك تقطع قلبي رحمة للكارم
وهذا قد عيب قبلنا ، وقالوا : تقطع رحمة للكارم من كلام المخشيين .
وقد كان الناس قبلنا يتكرون على الشاعر أقل من هذه المعايير ، حتى هجوا شعر
الآخطل ، وقدموا عليه بثلاثة أبيات لم يصب فيها ، وهو شاعر زمانه ، وسابق
ميدانه من ذلك قوله :

لقد أوقع الجعاف بالبشر وقعة إلى الله منها المشتكى والمحول
فأنكروا عليه في هذا البيت ما أظهر من الجزع ؛ وعظم من فعل عدوه به ، وقوله :
بنى أمية إلى ناصح لكم فلا يبين فيكم آمنا زفر
فمعظم قدر عدوه ومن يهجو ، حتى خوف الخليفة منه ، وقوله :
قد كنت أحسبه قينا وأنبؤه فالיום طير عن أنوابه الشرر
فأراد أن يمدحه بهجاء (٢) ، فكيف نجيز للمحدثين - مع تصفحهم لأشعار
الأوائل ، وعليهم بها - مثل هذا الجنون ؟ . . نرجع الآن إلى ما ابتدأنا به :
فن ابتدأناه المذمومة : قوله :

خشنت عليه أخت بني غشين (٣)

وهذا الكلام لا يشبه خطاب النساء في منازلهن ، وإنما أوقعه في ذلك محبة هاهنا
للتجئيس ، وهو بهجاء النساء أولى .

(١) راجع ١٢٢ الموازنة حيث عد الأمدى البيت من قببح التجئيس

(٢) وكذلك ذكر الأمدى البيت في الموازنة من ١٩

(٣) وعده الأمدى من قببح التجئيس - ١٢٢ موازنة ، وتقدم في موضع آخر من الموازنة
من ٢٠١ ، وكذلك قد هذا الطبع صاحب الموضع - من ٣٠٥ و ٣٢٤ الموضع للرباعي

وقال :

لما تفوقت الخطوب سوادها بياضها غثيت به فتفوقا
غسقة من قول الآخر :

قصر الليالي خطوه فتداني وثنين قائم صلبه فتداني
ما بال شيخ قد تحدد لمح أفنى ثلاث عمام ألوانا
سوداء داجية وسحق مغوف وأجد لونا بعد ذاك هجانا

ومن استعماله الغريب - الذي كان يستشيع مثله من المعجاج ورؤية - قوله وهو
يصف ظبية :

تقرو بأسفله ربولا غصنة وتقبل أعلاه كناسا قولنا
أراد ملتفا ، ويقال : الإنسان يقرو الأرض إذا سار فيها ينظر حافها وأمرها ،
والربول : جمع ربل وهو نيات يصيبه برد الليل ونداء فيبيت بالمطر ،
والكناس : مولى للوحش من البقر والظباء تستظل فيها . وقوله :
أدتيت رحلى إلى مدن مكارمه إلى يمتيل الذ جئت أهتيل
« الذ » بمعنى الذى . وقال :

إذا مشى يمشى الدفق ، أو سرى وصل السرى ، أو سار سار وجيفا
الدفق : مشية سريعة ، قال الشاعر :
من الحفريات لآتمشى الدفق ولا تختال فى الثوب المعار
وقال الطائي فى مثل ذلك :

وقد سدد مندوحة القاصعا . منهم وأمسك بالناقعا
القاصعا : جعر اليربوع الأول الذى يدخل فيه ، والناقعا : موضع يرقعه
من جعره ، فإذا أتى من قبل القاصعا ضرب الناقعا ففتحه ،
ولم نعب من هذه الالفاظ شيئا غير أنها من الغريب المصدود عنه ، وليس
يحسن من المحدثين استعمالها ، لأنها لا تتجاوز بأمثالها ، ولا تتبع أشكالها ، فكأنها
تشكو الغربة فى كلامهم ، ألا ترون بعد قوله :

فرب الحيا وانهل ذاك البارق والحاجة العثراء بعدك فارق

• • •

ومن قوله في الغزل :

أيا من شغني وصبرت حتى ظننت بأن نفسي نفس كلب

ومن قوله :

به عاش السباح ، وكان دهرأ من الأموات ميتاً في افاقه
وما كان أحوجه إلى أن يستعمل ما مدح به الحسن بن وهب ، حيث يقول :
لم يتبع شنع الكلام ولا مثنى مثنى المقيد في حدود المنطق
وقال :

ألا لا يد الدهر كفاً بىء إلى مجدى نصر فتقطع من الزند (١)
فتجاوز حد المدح ولم يبحى بىء في ذكر زند يد الدهر . وقال يصف المطايا :
لو كان كلفها عبيد حاجة يوماً لزنى شديداً وجديلاً
يعنى : عبيد الراعى ؛ ما أحسن قوله : « لزنى شديداً وجديلاً » وما معنى تزنية
ناقة أو جل أوبهجة ؟ وما أشبه هذا بقول عبيد الراعى :

إلى المصطفى بشر بن مروان ساورت بنا الليل حول كالفداح ولقع
الناقة الحائل : التي لم تحمل تلك السنة ، واللقح : الخوامل ...
تلتها بنا روح زواحل ، وانتحت بأجوازه أيد تجسد وتمزج
الأروح : الذى فى صدر قدمه انيساط ...

فظلت يجهول الغلاة كأنها قراقرير فى آذى دجلة تسبح
لهاميه فى الخرق البعيد نياطه وراء الذى قال الأدلاء تصيح

• • •

ولطافى سرقات كثيرة : أحسن فى بعضها ، وأخطأ فى بعضها ، ولما نظرت فى
الكتاب الذى ألفه فى اختيار الأشعار ، وجدته قد طوى أكثر إحسان الشعراء .

ولنما سرق بعض ذلك فطوى ذكره ، وجعل بعضه عدة يرجع إليها في وقت حاجته ، ورجاء أن يترك أكثر أهل المذاكرة أصول أشعارهم على وجوهها ، ويزيدوا باختياره لهم . فتعنى عليهم سرقاته . ولا يعذر الشاعر في سرقة ، حتى يزيد في إضاعة المعنى ، أو يأتي بأجزل من الكلام الأول ، أو يستغنى له بذلك معنى يفضح به ما تقدمه ، ولا يفتضح به ، ويثقل إلى ما قصده نظر مستغن عنه ، لا فقير إليه .

• • •

وأراد امتداح عبد الحميد بن جبريل ، لجملة طليبا في قوله :
شكوت إلى الزمان تحول جسمي فأرشدني إلى عبد الحميد
وقال في هذه القصيدة :

ولا تجمعل جوابك فيه لى (لا) فأكتب ما رجوت على الجليلد
ولنما مضى المثل بالكتابة على الماء ، فلم يصنع في ذكر الجليلد شيئا .
وقال وهو يغوص على المعاني ، ولا يريد أن يعطى بيتاً من كلام مستغنى ،
مثل هذا الشعر :

لقد وهب الإمام المال حتى لقد نخفتا بأن يهب الخلافه
به عاش السباح ، وكان دهرأ مع الأموات ميتاً في لغافه
وقال: فضربت الشتاء في أخدعيه ضربة غادرته عوداً ركوبا (١)
يقال ، عود البعير تمويداً ، وذلك بعد بزوله بأربع سنين ، والعود : الطريق
القديم ، قال الراجز :

عود على عود لأفوام أول يموت بالترك ويحيا بالعمل (٢)
وقال: سأشكر فرجة اللبب الرخى وابن أعادع الزمن الابي (٣)
وقال: ذلت بهم عنق الخليط ، وربما كان المنع أخدعا وصليفا
فأكثر من ذكر الأعادع ، وقال بعض أصحاب الهزل ، وقد أنشدته هذه

(١) راجع الموازنة ص ١١٢

(٢) الموازنة ص ٤٥

(٣) الموازنة ص ١١٢

الآيات ، ما كان أحوجه إلى أن يعاقب في أخذه على هذا الشعر ، وبلغنى أن
إسحاق بن إبراهيم المعنى سمعه يثمد شعره ، فقال ، يا هذا لقد شددت الشعر على
نفسك ، وقال :

إذا التلج في حر المجيرة لم يذب من الصن والصنبر ذابت فوائده
الصن : أول أيام العجز ، والصنبر : الثاني ، وسرق هذا المعنى من قول
الآخر ، ما أجد في حق ، ولا أذوب في باطل ، فأساء البرقة ، وشوه المعنى ، وقال :
كانوا رداء زمانهم فتصدعوا فكأنما لبس الزمان الصوفا
وقد تقدم إنكار الناس هذا البيت قبلى ، لما بين نصفيه من التباين في الإساءة
والإحسان ، وقال :

يبض إذا اسود الزمان توضحوا فيه ، فغودر ، وهو فيهم أبلى (١)
فهذا من عجايبه أيضاً ، وقال :

بنفسى حبيب سوف يشكلى نفسى ويجعل جسمى تحفة اللحد والرمس
أراد هنا أن يتدامت ، فازداد من البفض ، وقال فى مثل ذلك :
ما زال قلبى متسداً علقته أعنى من الحرقه ما يبصر
وقال فى مثل ذلك :

وأنا الذى أعطيت محض الهوى وصميمه فأخذت عذرة أنه

وقال : لم تسق بعد الهوى ماء على ظمإ كماء قافية يستيكه فهم (٢)

فهذا وأمثاله يفضح نفسه ، ويستغنى عن وصفه ، وقال :

رقت جواهر أجناس الغزال قلو ملكته لشربت الخشف فى الكاس
فانظر ، ما أبض قوله ثم والغزل ، وقال هاهنا الخشف ، فى بيت واحد ،
وإنما سرق المعنى من قول ابن المتاهية لمخارق وقد غنى :
رقت حتى كدت أن أحسوكا

* * *

(١) راجع ١١٣ موازنة

(٢) راجع نقد الأمدى لبيت ١١٨ موازنة .

وبما ينسب إلى التكلف قوله (١) :

قـك انتـب أريـت في الفلـواء كم تصـذلون وأتمـ سـجراتـي
السـجـير : الأفسـ ، وقولـه :

مستـسلم لله سائـس أمة بذوى تـجهـمنا له استـسلام
يقال : تـجهـم الفـعل إذا علا أقرانه ، ويعبر تـجهـم المجتـن أي رحبـها ، فـي
هـذا البيت كما ترى تـيفـض وتكـلف . وقال :

فإن صـريح الحـزم والرأى لأمـرى إذا بلغـته الشـمس أن يتـحوـلا
وليس هـذا بشـيء ، ربـما استـطاب الناس التـحول إلى الشـمس ، وإنـما أخـذه من
كلام العامة ، إذا بلغـك الشـمس فتـحول ، ، وقال (٢) :

لا تـتـسـجن لها فإن بكاهـا ضحك وإن بكاهـك استـغـرام
يقال : تـسـج الباكـى إذا غص بالبـكاء ، والخار تـسـج ، والطـمة تـسـج عند خـروج
الدم مع قفـح ، والقدر تـسـج عند الغليان ، وسرق هـذا المعنى من قول القائل :

أحـفا يا حـمامة بطن فوج هـذا الوجد أنك تصدقينا
غلبـتك في البـكاء بأن ليلي أوأصـله وأنـك تـهـجـعينا
وأتى إن بكيت بكيت حقا وأنك في بكائك تـسـديتـنا (٣)

وقال الطائي :

يوم أقاض جوى أغاض تـمزيا غاضـ المـوى يـجرى حـباء المـزبد (٤)
وهـذا من الكلام الذي يستعـاذ بالصمت من أمثاله . وقال :

من شرد الإعدام عن أوطانه بالبذل حتى استـطـرف الإعدام
وسرق هـذا المعنى من الأعشى إذ يقول :

هم يطردون الفقـر عن جـلهم حتى يرى كالتصن الناصر (٥)

• • •

(١) راجع ١٢٨ موازنة
(٢) نقل ذلك الأمدى في الموازنة مع اختصار ٦ • الموازنة — صبيح •
(٣) رواية الموازنة . تكذيبنا (ص ٥١)
(٤) راجع نقد الأمدى البيت (١٢٦ موازنة) .
(٥) وبفضل الأمدى في الموازنة بيت الأعشى على بيت أبي تمام (ص ٦ • الموازنة) .

وقد أسقطنا من معانيب شعره شيئا كثيرا لم نشبه في رسالتنا هذه ، وقصدنا من ذلك ما يبرر الحجة ، ويقلل حد النصرة .

* * *

وقال : كأن به غداة الروع ورداً وقد وصفت له نفس الشجاع
الورد : اسم من أسماء الخي ، يقال له : رجله مورود ، إذا كان محموا ،
قال الشاعر :

إذا ذكرتك النفس ظلت كأنما عليها من الورد التهامي أفكلك
الافكلك : الرعدة ، أراد كأن به خي ، وقد وصفت له نفس الشجاع يتعالم بها .
ومن المعانيب قوله :

فدى له مقشعر حين تسأله خوف السؤال كأن في خده وبر
وقوله : مازال يهذي بالمكارم والعلا حتى ظنننا أنه محوم (١)
وقال في وصف الفرس :

إمليسه إمليده لو علقت في صهونه العين لم تتعاق
مسرقة من امرئ القيس حيث يتول :

• متى ما ترق العين فيه تسفل •

وبيت امرئ القيس أصبح معنى ، لأنه أراد أن العين إذا صعدت فيه صوبت
إشفاقا عليه من أن تصيبه ، خبرني بذلك أبو سعيد (٢) ، وأراد الطائي أن العين
لا تعلق به من انتقال لونه واملاسه ، فأقرط ولم يصنع شيئا ؛ الإمليده والاملك :

الناعم . قال الراجز :

• بعد التصابي والشباب الاملك •

(١) يقول الصولي في أخبار أبي تمام : عابوا هذا البيت فلم لم يبيروا إذا قول أبي نواس :

جئت بالأموال حتى قيل ما حسدا صحيح

أي عاقل ، وقوله : جئت بالأموال حتى حسبه الناس حسدا

وقول الشاعر : بطل تذاذره السكاة كأنه مما يدل على القوارس أحمق

(٢) أبو سعيد محمد بن هيرة الباضري النحوي الأسدي من أسانطة بن المتمر ونوفى في

أوائل القرن الرابع

ومن عجائبه أيضا قوله :

ذعرتم النوى فأسبلت الد
وقوله : ولا أرى ديمة أكنى لثابتة
مع على الحد من تلاح المآ في
منه على أن ذكراً طار للديم
جد رعى تلعات الدهر وهو فنى
حتى غدا الدهر يمشي مشية الحرم
وفي هذه يقول :

كان الزمان بكم كلباً فغادركم
لا تجعلوا البنى ظهراً إنه جعل
نظرت في السير الأولى عقلت فإذا
وقال : والحرب تعلم حين تجعل غارة
وسرق هذا المعنى من شعر ليرة بنت أبي لب في يوم الفجار ، وهو
بالسيوف والدهر فيكم أشهر الحرم
من القطيعة يرعى وادي النعم
أيامه أكلت با كورة الأمم
تنقى على حطب القنا المحطوم
مدوسسة خرساء يحسبها
والجرود كالعقبان كاسرة
فيهم ذعاف الموت أبرده
وقال الطائي :

أبا جعفر إن الجبال أمها ولود وأم الحلم جداء حائل
الجداء : المنقطعة النسل ، وسرق هذا المعنى من قول الشاعر :
بغات الطير أكثرها فراخا وأم الصقر مقلدة لزور
قال الخليل : البغات طير كالبواشق لا تصيد شيئاً ، والواحدة بغاة ، وتجمع
أيضا على البغاث ، الإقلاط : أن تضع الناقة واحداً ، ثم يقلت رحها فلا تحمل .
ويقال : امرأة مقلدة ، ونسوة مقاليات . وقال :

سدك السكف بالندى عائر السمح إلى حيث صرخة المكروب
السدك : المولع بالشيء في لغة طيء ، قال شاعرهم :
وودعت القداح وقد أراقي بها سدا وإن كانت حراما
ويقال : إنه سدك بالرمح ، أي رفيق به سريع . فوجدناه قد سرق هذا من
بيت لبعض الشعراء ، مدح به يحيى بن خالد البرمكي ، وهو :

وأيت يحيى حين ناديته . متصل السمع بصوت المتاد
وهو أجود من بيت الطائي ، وأسلم من التكلف ، وأمثى في الإحسان . وقال :
جعلت الجود لآلاء المساعي وهل شمس تكون بلا شعاع ؟
كاد البيت أن يكون جيداً ، لولا أن في لآلاء المساعي بفضا . وقال :
ما زال يرمين حتى إنه ليقال ما خلق الإله سجيلا
انظر كيف ضعف القول ، واضطرب ، فبهه الله . وقال يصف قصيدة :
لجملت قيمها الضمير ومكنت منه فصارت قيا للقيم
هذا وأمثاله ما أنكره عليه إسحاق بن إبراهيم ، حتى قال له : لقد شددت على نفسك
وقال : فهو غرض الإيابة والرأى والحزم ، وغرض التدا وغرض الشباب
ولا والله ما أدري ما معنى : غرض التأني ولا غرض الرأى ، في المديح .
وقال في الغزل : قلن الله من واصله من الأحباب ، على هذا وأمثاله :
ومن قد شقني فصبرت حتى ظننت بأن نفسي نفس كلب
وقال :

جحدت الهوى إن كنت مذجول الهوى بحاسنه شمسى نظرت إلى الشمس
وقال : كيف يصد الدمع عن جريه من عينه من جريه منخل
وقال : ليا لينا بالرقين وأرضها سقى العهد منك العهد والعهد
وقال : إن الأشاء إذا أصاب مشذب منه اتهمل ذرى وأث أسافلا
الشذب : قشر الشجر ، والشذب : المصدر ، والفعل يشذب ، وهو القطع ،
وكذلك تنحية الشيء ، والشوذب : الطويل من كل شيء . قال رؤبة :
• شذب أخراهن عن ذات البهق •

وذات البهق موضح . اتهمل ذرى ، يريد ، طال ذرى ، والأشاء . صفار
التخل والواحدة أشاءة ، ويقال : أث يث أثاة ، وهو نعمت بوصف به كثرة
الشعر والنبات ، وهذا من غريبه الشنع . ومن ذلك قوله :

طالت يدي لما بلغتك سالما وأنحت عن خدي ذاك العظم

المعظم : عصارة شجر ربما ديفت به الجلود ، أفترى لو قال هذا رؤبة والمعراج
يكونان فيه بغيضين ثقيلين ، وهجا دعيا عنده فقال :
والله لو ألقيت نفسك بالفرى في (كلب) (١) لاستيقنت ألا تلصق
فأى شيء هذا من هجاء القحول ؟ ولو تهاجت به الحاككة لما أمضت . وقال :
وركب يساقون الركاب زجاجة من السير لم تقطب لها كف فاطب
سرقه من قول أبي نواس :
وركب تساقوا على الأكوار بينهم كاس الكرى فاستوى (٢) المدق والساق

المطبوعون الأربعة

قال ابن المعتز (٣) : وأبو عبيدة بن محمد بن أبي عبيدة الماهلي (٤) ، أحد
المطبوعين الأربعة ، الذين لم يرف في الجاهلية والإسلام أطبع منهم ، وهم : بشار ،
وأبو العتاهية ، والسيد (الخيرى) وأبو عبيدة .

العباس بن الأحنف (٥)

كان ابن المعتز يقول : لو قيل لى أى شعر أحسن ما تعرفه ؟ لقلت قول العباس
ابن الأحنف (٦) :

قد سحب الناس أذيال الظنون بنا وفرق الناس فينا قولهم فرقا
فكاذب قد رى بالظن غيركم وصادق ليس يدري أنه صدقا

(١) اسم قبيلة .

(٢) وروى : فائضى

(٣) طبقات الشعراء لابن المعتز .

(٤) شاعر عباسى مصرى ، مطبوع ظريف غزل هجاء ٢٧٥ : ٧ مذهب الأغاني .

(٥) ٤٦٢ : ١ ابن خلكان طبعة ١٢٩٩ هـ . وهذه برواية الصول عن ابن المعتز وهي

في الأغاني أيضا ٨٠ ص ٢٣ .

(٦) شاعر عباسى غزل نوى سنة ١٩٢ هـ .

بشار

كان بشار شاعراً مجيداً مقلداً ظريفاً محسناً (١)، وكان أستاذ أهل عصره من الشعراء غير مدافع، يجتمعون إليه ويذندونه ويرضون بحكمه، وتشديدهماته - على أنه أعمى لا يبصر - من كل ما لغيره أحسن (٢)، وكان بشار يعد في الخطباء والبلغاء، ولا أعرف أحداً من أهل العلم والفهم دفع فضله ولا رغب عن شعره... وكان شعره أتقى من الراحة، وأسقى من الزجاجة، وأساس على اللسان من الماء العذب (٣).

أبو نواس

قال ابن المعتز: وروى عن أبي هفان قال: كان أبو نواس آدب الناس وأعرفهم بكل شعر، وكان مطبوعاً لا يستقصي ولا يحال شعره ولا يقوم عليه، ويقول له على السكر كثيراً، لذلك يوجد فيه ما هو في الثريا جودة وحسن وقوة، وما هو في الخبيث ضغف وركاكه (٤)، وكان أبو تمام شغوفاً بشعر مسلم وأبي نواس (٥).

الحسين بن الضحاك

هو أحد المفتنين في الشعر، جيد المدح، جيد القول، جيد الهجو، جيد المجون، صاحب جد وهزل، وهو عندهم في نهار أبي نواس، بل هو أتقى شعراً وهو غلام أستاذة والبة (٦).

قدرة ابن المعتز على التشبيه

وكان يقول: إذا قلت وكان، ولم آت بعدها بالتشبيه ففرض الله قاي (٧).

(١) من ٢ طبقات الشعراء لابن المعتز.

(٢) من ٣ الترجع نفسه.

(٣) من ٤ الترجع نفسه.

(٤) من ٨٧ الترجع نفسه.

(٥) من ١٣٤ الترجع نفسه.

(٦) ١٢٨ الترجع نفسه.

(٧) ١٢٦٩٣ دائرة المعارف البستاني، ١٢٦٤٦ معاهد التنصيص طبعة ١٣١٦ هـ، ومقدمة ديوانه

شاعرية البحترى

وقال ابن المعتز : لو لم يكن للبحترى إلا قصيدته في إيوان كسرى فليس للعرب سينية مثلاً وقصيدته في وصف بركة المنوكل لكان أشعر الناس (١) .

قال الصولي : سمعت عبد الله ابن المعتز يقول : لو لم يكن للبحترى إلا قصيدته في وصف إيوان كسرى - فليس للعرب مثلاً - وقصيدته في صفه البركة - ميلوا إلى الدر من ليلي نحيباً ، ، واعتذاراته في قصائده للفتح بن خاقان التي ليس للعرب بعد اعتذارات النابغة مثلاً ، وقصيدته في دينار بن عبد الله (٢) التي وصف فيها ما لم يصفه أحد قبـله وهي التي أولها : ألم ترتعـس الريح المبكر ، وصفه حرب المراكب في البحر ، لكان أشعر الناس في زمانه ، فكيف وقد انضاف إلى هذا صفاء مدحه ، ورقة تشبيهه (٣) في قصائده (٤) . وكان كثير ما ينشد ويعجب من جودته :

إذا زحمر النوى فوق علانه رأيت خطيباً في ذوابة منسـر
(إلى آخر هذه القصيدة) (٥) .

حول أبي الشيص

قال عبد الله بن المعتز : قال لي أبو خالد العامري : من أشعرك أنه كان في

(١) ٥٠٢ العصر النبائي للأستاذ محمود مصطفى طبعة ١٩٣٧ .

(٢) القصيدة في ديوان البحترى « من ٢٢ - ٢٤ : ٢ طبعة ١٩١١ » يدرج بها كما في الديوان أحمد بن دينار بن عبد الله ويصف مركباً كان أخذه وهو والي البحر وغزا فيه بلاد الروم . ففي ما نقلته عن ديوان الشافعي تحريف « والصواب » في ابن دينار « - ويشير إليها ابن الأثير في التلخيص السائر من ٣٢٣ .

(٣) في الأصل : تشبيهه .

(٤) ٢١٨ : ١ ديوان الشافعي لأبي حلال نصر القديسي ط ١٣٥٢ ، ٦٣ ، ٦٤ : المرجع نفسه ، ٧ و ٨ متبعة ديوان البحترى طبعة مصر ١٩١١ م .

(٥) ٦٤ : ٢ ديوان الشافعي . وهي في ديوان البحترى من ٢٣ : ٢

الهدنيا أشعر من أبي الشيص (١) فكذبه ، والله لكأن الشعراء من شرب الماء على العطشان (٢) ، كان أوصف الناس للشراب وأمدحهم للبلوك (٣) . قال عبيد الله ابن المعتز : وليس توجد هذه الصفات في ديوان شعره ولا هو بساقط ولكن هذا سرف شديد (٤) .

العلوي الشاعر

وكان عبد الله بن المعتز لهجا يذكر أبي الحسن محمد بن طباطبا العلوي - وهو شاعر عالم ولد ومات بأصفهان عام ٣٢٢ هـ - مقدما له على سائر أمه ، وكان يقول : ما أشبه في أوصافه إلا محمد بن يزيد بن مسلمة بن عبد الملك ، إلا أن أبا الحسن أكثر شعرا من المسلمي ؛ وليس في ولد الحسن من يشبهه ، بل يقاربه (٥) .

ربيعة الرقي

وقال ابن المعتز : كان ربيعة الرقي أشعر غزلا من أبي نواس ، لأن في غزل أبي نواس برذا كثيرا ، وغزل هذا سليم عذب سهل (٥) . وقال : وشعر ربيعة الرقي في الغزل يفضل على أشعار هؤلاء من أهل زمانه جميعا ، وعلى كثير من قبله ، ولا أجده أطيب ولا أصح غزلا من ربيعة (٦) .

أربعة شعراء

وكان ابن المعتز يقول : أربعة من الشعراء سارت أشعارهم بخلاف أفعالهم .

(١) شاعر عباسي مطبوع توفي سنة ١٩٦ هـ .

(٢) هامش ص ٧٠ : ٣ من البيان والتبيين للجاحظ طبعة ١٩٢٧ / ٢٤٦ : ٧٠ مذهب الأغاني ط ١٩٢٦ .

(٣) ٢٤٦ : ٧ مذهب الأغاني .

(٤) معجم الأدباء نصر مرجليوث ٢٨٥ : ٦٢ .

(٥) الأغاني ٣٧ : ١٥ ، آداب اللغة لزيدان ٩٣ : ٢ .

(٦) ظلمات الشعراء لابن المعتز نصر عباس إقبال ص ٧٠ .

فأبو العتاهية : سار شعره بالزهد وكان على الإلحاد . وأبو نواس : سار شعره باللوامط ، وكان أذن من قرد . وأبو حكيمة السكاكيب : سار شعره بالعنسة وكان أهب من تيس ، ومحمد بن حازم سار شعره بالقناعة ، وكان أحرص من كلب (١) .

شعر أبي تمام

وقال الآمدى في الموازنة : أنشد أبو العباس ابن المعتز في كتابه سرقات الشعراء ، لسلم الخاسر ، يعيبه بردى . الاستعارة في قوله يرثى موسى . الهادى : لولا المقابر ماحط الزمان به لا ، بل تولى بأنف كله دأى وقال : هذا ردى . كأنه من شعر أبي تمام الطائي (٢) .

ابن مناذر^(٣)

وقال الآمدى : ذكر أبو العباس عبد الله بن المعتز في كتابه المؤلفات في سرقات الشعراء ومعانيهم ، عن العنزي عن السلي الزارع عن ابن أبي عاتقة ، قال :

قال أبو العتاهية لابن مناذر : إن كنت أردت بشعرك العجاج ورؤية فما صنعت شيئا ، وإن كنت أردت شعر أهل زمانك فما أخذت مأخذنا (٤) .

(١) ٢٢٤ : ٢ شذوات الذهب ، ٤٦٢ : ١ ابن خلكان طبعة ١٢٩٩ هـ .
(٢) ١٢٠ موازنة ، وذكر بعض هذه الرواية في تاريخ النقد الأدبي عند العرب لعل إبراهيم ص ١٨٥ ط ١٩٢٧ .
(٣) ١٢٩ موازنة .
(٤) راجع الرواية بتفصيل في الألفاظ ٣ : ١٦٥ .

مسلم بن الوليد^(١)

وقال ابن المعتز : لا يفتق لشاعر مثل ما افتق لمسلم في هذا المقي في ألف سنة وهو قوله :

ولئن وإسماعيل حين فقدته لكالغمد يوم الروع قارقه التصل
فإن أغش قوماً بعده أوازورهم فكأوحش يذئبا إلى الأتس المحل

أحسن الشعر

قال ابن المعتز : قبل لمجتون : ما أحسن الشعر ؟ قال : ما لم يحبه عن القلب شيء (٢) .

حول أبي تمام

قال صاحب الموازنة (٣) ، قال ذو الرمة يصف الحمار :
إذا شم أنف الصيف ألحق بطنه مراس الأوامى وامتعان الكرائم
قال أبو العباس عبد الله بن المعتز في كتاب سرقات الشعراء : وهذا البيت غر الطائي حتى أتى بما أتى به (٤) ، وإنما أراد ذو الرمة بقوله : أنف الصيف ، كقولهم : أنف النهار ، أى أوله ، قال امرؤ القيس :
قد عدا يحملي في أنفه لاحق الأطلين محبوك بر
وقوله : في أنفه ، : أى في أول جريه ، قال صاحب الموازنة : ويقال في أنفه أى في أنف الغيث الذي ذكره في أوله ، يقول : لم يعل هذا الغيث أحد قبلى ، ولم يذهب هذا الشاعر حيث ذهب أبو العباس .

(١) هامش من ١٧٥ وساطة

(٢) المعقة ١٠٣ : ١ ط ١٩٣٤ ، وراجع أصل الرواية في البديع لابن المعتز من ٣٨

(٣) راجع للموازنة من ١١٧

(٤) أى من استعارات قبيلة .

آل مروان ومكانتهم في الشعر^(١)

قال الصولي : كنا يوما عند عبد الله بن المعتز ، فقرأ شعر لمؤج بن محمود بن مروان الأصغر بن أبي الجنوب بن مروان الأكبر ، وكان شعرا رديئاً جداً فقال : أشبه لك شعرا آل أبي حفصة ، ونناقضه حالا بعد حال ، فقلنا : إن شاء الأمير ، فقال : كأنه ماء أسخن لعليل في قدح ، ثم استغنى عنه ، فكان أيام مروان الأكبر على حرارته ، ثم انتهى إلى عبد الله بن السمط ، وقد برد قليلا ، ثم إلى إدريس ابن أبي حفصة وقد زاد برده ، وإلى أبي الجنوب كذلك ، وإلى مروان الأصغر وقد اشتد برده ، وإلى أبي مؤج هذا وقد نغن لبرده ، وإلى مؤج هذا وقد جد قلم يبق بعد الجود شيء .

حول شعر لذى الرمة

ذكر ابن رشيق بيت ذي الرمة :

كأن البرى والعاج عيجت متونه على عشر نهي به السيل أبطلح (٢)

وقال ، قال ابن المعتز : نهي به السيل أى بلغ به إليه فهو أنعم له وأكثر لدونته . وأنا أقول : معناه ترك به السيل نهياً ، وهو العذير ، وذلك أنهم لما أرادوا ابن المعتز ، اللهم إلا أن يكون معناه جعل نهايته هناك ، فإنه أنهم وأجود (٣) وكان ابن المعتز يفضل ذا الرمة كثيراً ويقدمه بحسن الاستعارة والتدبيه (٤) .

أبو الهندي

وقال ابن المعتز : وكان شعر أبي الهندي كله حسناً جيداً لا سبياً إذا قال في الشراب (٥) وكان جماعة مثل أبي نواس والخليل وأبي هفان وطبقة منهم ، إنما

(١) ٣٠٣ التوشح ، ١١٦ و ١١٧ الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء .

(٢) راجع شرحه في هامش ص ٥٧ من البيهق لابن المعتز طبعة ١٩٤٥ .

(٣) ١ : ٢٩٣ مودة .

(٤) المودة ٢٤٥ : ٢ .

(٥) ص ٦٠ طبقات الشعراء لابن المعتز .

اقتدروا على وصف الخمر بما رأوا من شعر أبي الهندي ، وبما استنبطوا من معاني شعره (١)

نقد

وقال الصولي ، قال لي يوما ابن المعتز ، من أين أخذ أشجع قوله :
وليس بأوسمهم في التني ولكن معروفة أوسع
فقلت من قول موسى شهوات لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب :
ولم يك أكثر الفتيان مالا ولكن كان أرحبهم ذراعا
فقال : أصبت ، هكذا هو .

أمرؤ القيس

قال عبد الله بن المعتز ، عيب على امرئ القيس قوله :
أغرك متى أن حيك قاتلي وأنتك مهما تأمرى القلب يفعل
قال : وقالوا : إذا لم يفرها هذا ، فأى شيء يفرها ؟ قال : وإنما هذا كاسير
قال لمن أسره . « أغرك متى أتى في يدك » ، ونحوه قول جرير :
أغرك متى أنما قاذى الهوى إليك وما عهد لكن بدائم
قال : وعابوا على امرئ القيس :
لما ذنب مثل العروس تسد به فرجها من دبر
وقالوا : ذيل العروس مجرور ، ولا يجب أن يكون ذنب الفرس طويلا
مجرورا ، ولا قصيرا (٢) ، قالوا . والصواب قوله :

(١) ٦٦ المرجع السابق .

(٢) ٨٣ و ٨٤ الأوراق قسم أخبار الشعراء الطبعة الأولى سنة ١٩٣٤ .

(٣) الموشح للفرزاني ص ٣٤ وما بعدها طبعة السلفية عام ١٣٤٣ .

(٤) رد الأبدى في الموازنة هذا التند وراجع ص ١٦٠ من الموازنة ؛ ثم قال : وقد استعصيت
الاحتجاج لبيت امرئ القيس فيما بينه من سهو أبي العباس عبد الله بن المعتز فيما ادعاه على امرئ
القيس من الغلط في كتابه الذي جمع فيه « سرفات الشعراء » ص ١٦١ من الموازنة .

حذّيع إذا استدبرته سد فرجه بضاف فوق الأرض ليس بأعزل
قال : وذكروا أن الأصمى عاب عليه قوله :
وأركب في الروح خيافة كسا وجهها سمف منتشر
وقال : إذا غطت الناحية الوجه لم يكن الفرس كريما ، والجيد الاعتدال ، كما
قال عبيد :

مضبر خلقتها تضجيرا ينشق عن وجهها السيب
قال : وقال مؤدبي أبو سعيد محمد بن هبيرة في قول امرئ القيس :
وللسوط منها مجال كما تنزل ذو برد منهم
وهذا أيضا ردى ، ما لها وللسوط ؟ قال : وعيب عليه قوله :
• فتوضح فالقراءة لم يعف رسمها •
ثم قال : وهل عند رسم دارس من معول ؟
قال : ومثله قول زهير :

• قف بالديار التي لم يعفها القدم •
ثم قال : بلى وغيرها الأرواح والديم :
فذكرت الرواة أنه أكذب نفسه ، وقال أبو سعيد مؤدبي : وأخس من
لكذابه نفسه أن يكون جعل عفوها خلوها من أحبه ، ومع خلوها منهم فقد
غيرتها الأمطار (١) .

قال : وعيب على امرئ القيس قوله :
فقلت له لما تمطى بصلبه وأردف أعجازاً ونا بلكل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي بصبح وما الإصباح منك بأمثل
فانسلخ البيت الأول بوصف الليل ، من غير أن يذكر ما قال ، وجعله متعلقا
بما بعده وذلك معيب عندهم .
قال : وعيب أيضا على امرئ القيس لجورده وعبره في شعره كقوله :

(١) يرد صاحب النقد الفريد على هذا التند في كتابه « ٤١٦ : ٣ المتد مطبعة ١٩٢٨ » .
وهو عطاء البديع مثل هذا لونا من ألوان البديع يسونه « الرجوع » .

وملك حبل قد طرقت ومرضع فألهيتها عن ذى تمام يحول
إذا ما بكى من خلقها انصرفت له بشق ونحى شقها لم يحول
وقالوا : هذا معنى فاحش .

النايضة^(١)

قال عبد الله بن المعتز : عيب على النايضة قوله في وصف النعام :
• مثل الإمام الفوادى تحمل الحزما •
قال الأصمى : إنما توصف الإمام في هذا الموضع بالروح لا بالقدر ، لأنهم
يتمن بالخطب إذا رحن ، وأشد للأخنس بن شهاب :
نظل به ربد النعام كأنها إماء تزجى بالعشى حواطب
لأن النعام إذا خفضت عنقه ومثت كانت أشبه شئ . بجاش وعلى ظهره حمل .
وعابوا قول النايضة أيضا :
وكنت امرأ لا أمدح الدهر سوقة فلست على خير أذاك بحاسد
قال (ابن المعتز) : قالوا كيف يحسده على ما قد جاد به له .
قال : وعابوا قوله : • فاحكم كحكم فتاة الحى • ،
وقالوا : أمره أن يحكم كحكم امرأة .
قال : وعابوا عليه اختلاف القوافي في الإعراب ، وذلك قوله :
• يا يؤس الدهر ضرارا لأقوام •
وقوله : • لالنور نور ولا الإظلام إظلام •
وقوله : • غير مزود • ، ثم قال : • الفراب الأسود • .

زهير^(٢)

قال عبد الله بن المعتز : حكى عن ابن سلام أنه قال : مما قدم به زهير على

(١) الموشح ص ٤٣ وما بعدها

(٢) الموشح ص ٤٧ وما بعدها .

الشعراء أنه كان أبعدهم من السخف ، وأشدهم اجتنابا لحوشى الكلام ، فأى شئ
نصنع بقوله :

ولولا عسبه لرددتموه وشر متبحة أير معار
إذا جعت نساؤكم إليه أشط كدأته مسدد معار
أشط : قام . قال : فهذا السخف . وأما حوشى الكلام فقوله :

• فلست بمثلوج ولا بمليح •

يريد الدعى ، وقيل : المثلوج البليد ، والمليح الاحق . وقوله :

• بنمكة ذى قرين ولا بمقلة •

والحقلة : السبي الخلق ، وقيل القصور الجبان .

قال : وعابوا عليه قوله فى الضفادع :

يخرجن من شربات ماؤها طحل على الجذوع ، يخفن الغمر والعرفا
لأن الضفادع لا تخرج من الماء لأنها تخف الغمر والعرق ، وإنما تطلب
السطوط لتبيض هناك وتفرخ .
قال : وأنكروا عليه قوله :

• ماء بشرق سلى قيد أو ركك •

لأنه حكى عن بعض الأعراب أنه قال : إنما هو « رك » .

قال : وقال مؤيد أبو سعيد محمد بن هبيرة الأسدى فى قول زهير :

وأبت المنايا خبط عشواء من نصب تمتة ومن تخطى يعمر فيرم

لأنه كان يسمع من المشايخ يقولون : هذا بيت زائدة ، وهو بعيد من أبياته
التي يقول فى بعضها :

فيرفع فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يجعل فينقم

قال : وأجيب من زهير خطأ فى هذا المعنى . لأن زهيراً كان جاهلياً كافراً .

زياد بن قتيح التصرى ، فى سرقته هذا المعنى ، لأنه فى أكبر ظنى مسلم ، حيث يقول :

وأبت المنايا خبط عشواء من نصب بصر حرصاً من عركها بالكلال

الأعشى^(١)

قال عبد الله بن المعتز : عابوا على الأعشى قوله :
ونبت قيسا ولم آتة وقد زعموا ساد أهل اليمن
فما يوه هذا التلك ، ويقال إن قيسا أنكر ذلك عليه ، فجعل مكان « وقد زعموا »
« على نأيه » . قال : وبما استضعف من معانيه قوله :

فرميت غفلة عينه عن شاته فأصبت حبة قلبها وطحالمها
وقد عابه قوم بذلك ، لأنهم رأوا ذكر القلب والفؤاد والتكيد يتردد كثيراً
في الشعر ، عند ذكر الهوى والمحبة والشوق ، وما يحده المغرم في هذه الأعضاء
من الحرارة والكرب ولم يجدوا الطحال استعمال ، إذ لا صنع له فيها ، ولا هو
عما يكتسب حرارة وحركة ، في حزن ولا عشق ، ولا برداً وسكوناً في فرح أو غم ،
فاستهجنوا ذكره .

قال : وعابوا عليه الإيطاء في قوله :

« وهل تطيق وداعاً أيها الرجل ؟ »

وقوله : « ويلى عليك ويلى منك يا رجل »

قال : وعابوا عليه استعماله الألفاظ الأعجمية في شعره ، وأنكروا عليه :

لو استندت ميتاً إلى نحرها عاش ولم ينقل إلى قابر

قال : وأخبرني بعض شيوخنا أنه أدرك الناس وهم يزعمون أن هذا البيت
أكذب بيت قالته العرب .

حول امرئ القيس

وروي ابن المعتز قول الأعشى :

تدب ديباً في المظالم كأنها ديب نعال في نقا يتهيل

(١) الموشح ص ٥٦ وما بعدها .

وقول أبي الهندي :

ولها ديب في العظام كأنه فيض النعاس وأخذه في المفصل
ثم قال : قال أبو العباس (ابن المعتز) وذا كرفي أمير المؤمنين المعتضد بالله
فقال لي : من أين أخذه أبو الهندي ؟ فقلت من قول منصور بن بجر في وصف سيف :
وكان موقفه بمجمة الفتي خدر الدامة أو نعاس الهاجع
قال لي : أحسنت ، فمن أين أخذه الأخطال ؟ فقلت : لا علم لي يا أمير المؤمنين ،
فقال : أول الناس إحسانا في وصف لطف الديب امرؤ القيس :
سموت ليلها بعد ما نام أهلها سمو حباب الماء حالا على حال
فقلت يا أمير المؤمنين : من هنا والله أخذ القوم أجودون هذا المعنى وأوردوه
بالفاظ مختلفة، (١)

مجلس نقد^(٢)

وقال أبو العباس عبد الله بن المعتز : سألت محمد بن يزيد (٣) عن قول المسيب
ابن علس :

وصبها تستوشى بذى اللب مثلاً فرعت بها نفسى إذا الديك أعتما
تمزذتما صرفاً وقارعت دنها بمسود أراك هزم فترنما
فلزحج فيه بحجاب أرغضيه . ثم سألت عنه أبا أحمد عبيد الله (٤) بن عبد الله
ابن طاهر في دار أمير المؤمنين المعتضد بالله (٥) ، فقال لي معنى : تستوشى ، أى
تستخرج ما عند ذوى اللب ، مثلاً به ، وذلك كما نقول : استوشيت الحديث من
فلان ، أى استخرجته ، وقوله : فرعت بها نفسى ، أى شربتها ففرعتنى ، ويقال
: ابتدأت بها نفسى ، ويروى أيضاً مثاماً ، ثم وقف عن تفسير : قارعت دنها .

(١) ص ٢٠ و ٢١ فصول التنايل ط ١٩٢٥ .

(٢) راجع فصول التنايل في تراجم السرور لابن المعتز ص ٤٥ وما بعدها .

(٣) هو المبرد المتوفى عام ٢٨٥ هـ .

(٤) شاعر أمير توفى سنة ٣٠٠ هـ .

(٥) تولى الخلافة من عام ٢٧٩ إلى عام ٢٨٩ هـ .

وخرج أمير المؤمنين من دار الخلوة ونحن في المنازعة ، فأمر بكتيب رقعة إلى أبي العباس أحمد بن يحيى (١) ، فورد الجواب مستنداً عن أبي عمرو بن العلاء أن الملقى حريت دنيا بهذا العود فإذا طن علت ألق قد شربت ما فيه وفرغته ، وعن الأصمعي أن الملقى ، أتى غثيت ووقعت يعود الأراك على الدن فترتم ، أي رفع صوته ، وأنشدنا أمير المؤمنين قول الحكيم (٢) - وسأنا عن الملقى فيه - :

يا شقيق النفس من حنك نمت عن يسلي ولم أتم
فاسقى البكر التي اختمرت بخمار الذيب في الرحم

فقال أبو أحمد عبيد الله بن عبد الله بن طاهر : غشاء الزبد الطافي على الشراب في رأس الدن ، فقال ابن حدون : يا أمير المؤمنين إن الشراب يطفوا عليه في الدن شيء أبيض ، فلهه أراد معناه ، وقال ابن الطيب : عني يا أمير المؤمنين نسج المتكبت على الدن ، فقال : ما تقول يا عبيد الله ؟ فقلت : الصواب لا يخرج عن أحد هذه الوجوه يا أمير المؤمنين . فقال لنا : قرأت بخط المأمون أن الكرم أول ما يجري في عوده الماء يبدو فيه نقط ، فجعلها الحكيم قناعاً من الشيب لبياضها وهي بعد في خير القضيبي ، وكذبناه بأجمعنا عن المأمون (٣) .

حول التصحيف

قال أبو بكر الصولي : قال لنا عبيد الله بن المعتز يوماً وليس معنا يحيى بن علي المنجم : أما تعلمون أن أبا عمرو بن العلاء والأصمعي وأبا عبيدة وسائر علماء البصرة والكوفة قد حكي عنهم غلط وتصحيف ؟ كما يقال : إنما العالم من أصمعي غلطه وزله . قلنا له نعم ، ما من أحد إلا وقد حفظ عليه شيء من ذلك .

(١) هو تطلب للتوفى عام ٢٩١ هـ .

(٢) أبو نواس الشاعر المتوفى سنة ١٩٨ هـ .

(٣) وقد اختلف في معنى البيت أيضاً بمحضرة الرشيد ، فقول المراد بخمار الشيب في الرحم أن الخمر تكون في جوانبها ذات زبد أبيض على وجهها ، وقول غير ذلك ، وقال الأصمعي : إن أبا نواس ألطف غامراً من هذا وأسد غرضاً فأسأله فأخبره الخليفة وسئل فقال : إن الكرم أول ما يجري فيه الماء يخرج شبيهاً بالقطنة وهي أصل النخود ، وأصح ١٢٢ التل السائر و ١٥٤ الكشكول .

فقال : أفتروني في العلم فوق هؤلاء ؟ تحدثت يوما ، فذكرت يوم بعثت (١) ، فقلت يوم بعثت ، وكنت قرأت ذلك في كتاب ، على غلط من كتبه ، فسمع ذلك يحيى بن علي قطار به في الناس ، ثم لم يرض بذلك ، حتى عمل رسالة يمزني - زعم - فيها ، ويذكر من صحف ، وما سمع هذا غيره وغير اثنين كانا عندي ، وما كان يسمع هذا أحد فيثبته علي ، وما أشاعه عن غيره ، ثم محمد علي بأنه عمل رسالة يمزني فيها ، فنادى علي بها في الناس ، وما هذا آخر فعلنا به ، واصطناعنا له ولأبيه وجده (٢) .

(١) من أيام الرب في الجاهلية بين الأوس والخزرج قبل الإسلام يقابل (٢٨٦ - ٢٨٨ : ١٢٨٨ : الكامل لابن الأثير) .
(٢) ورقة ٣١ الأوراق قسم أخبار المتنوع مخطوط مكتبة الأزهر .

البَابُ الثَّانِي

ابن المعتز وأثره في البيان العربي

الفصل الأول

البيان قبل ابن المعتز

(١)

لابن المعتز منزلة كبيرة في البيان العربي فقد ألف فيه كتابه (البديع) الذي عدد فيه شتى أساليب البديع ومحاسن الشعر كما عرفها ابن المعتز وعصره ، وهذا الكتاب ليس قاصراً على البديع بالمعنى الضيق المحدود ، لأن ابن المعتز يذكر فيه التشبيه والاستعارة وهما من صميم البيان العربي ، ويذكر فيه الكتابة ولكنه يريد بها معناها اللغوي وهو أهم من المعنى الاصطلاحي المعروف ، فإذا قلنا إن ابن المعتز ألف في البيان فقد سرنا مع الحق والتفكير السليم ، وإذا قلنا إنه ألف في البديع فقد ضيقنا دائرة البحث بغير مبرر ، وإن كان البديع في الاصطلاح متأخر جزءاً من البيان ، وإن كان البديع بالمعنى القديم المعروف عن بعض علماء البلاغة يرادف كلمة البيان أو البلاغة .

فإن المعتز إذا ذكر أثر كبير في البديع ، وعلى وجه الدقة له أثره في البيان العربي ودراساته وذلك ما سنتناوله الآن بالبحث والتحليل .

(٢)

١ - كان للعرب في حياتهم الأولى ذوق ، وفيهم طبع ، كانوا يهتما في غنى عن الشرح والتحليل والتوجيه والتعليق لأحكام النقد ولأصول البيان العربي ومذاهبه ، وكذلك كانت أصول البيان بعيدة عن البحث والدراسة والتقرير .

وفي ظلال الحياة الإسلامية اختلطت العناصر ، وتمازجت الثقافات ، فلتججت العقول ، وأصابت الألسنة آثار من الآسنة واللحن ، وأخذ أئمة العربية يعملون في صبر وعزيمة في وضع أصول النحو العربي ، وجمع مواد اللغة الفريضة ، وصحب ذلك وتلاه دراسات أخرى تتناول البيان العربي وأصوله ومذاهبه بالبحث والتحليل ، وأخذت تتكون من تلك الدراسات النواة الأولى للبيان العربي ،

وطل الزندم العسكري والنضوج الأدبي والعلى يسير بهذه البحوث والدراسات نحو السكالك الملتود بخطوات كبيرة ، وكانت الثقافة الليانية نمو حين ذاك بجهود ثلاث طبقات :

(أ) الأولى طبقة رواة وعلماء الأدب من البصريين والسكوفيين والبغداديين ، من أمثال ، خلف والأصمى وأبي زيد وأبي عبيدة ويحيى بن نعيم وعمر بن كركرة ، وأستاذهم أبو عمرو بن العلاء أعلم الناس بالعرب والعربية (١) ، ومن عامة الرواة الذين لا يقفون إلا على البليغ الساحر من الأساليب كما يقول الجاحظ دون النحويين واللفويين والإخباريين الذين لم يتجهوا هذا الاتجاه (٢) ، وبحوار هؤلاء أئمة الشعراء (٣) وغيرهم من الخطباء ورجال الأدب الذين تشفقوا بالثقافة العربية.

(ب) والثانية طبقة الكتتاب الذين لم ير الجاحظ قوماً قط أمثل طريقة في البلاغة منهم والذين التمسوا من الألفاظ ما لم يكن وحشياً ولا سوقياً (٤) ، ورأى الجاحظ البصر بهذا الجوهر من الكلام فيهم أعم (٥) ، وحكم مذهبهم في النقد (٦) ، ومثلهم المعتزلة وفرق المتكلمين الذين رأهم الجاحظ فوق أكثر الخطباء وأبلغ من كثير من البلغاء (٧) ، وكان بعضهم من عناصر عربية وتشفقوا بثقافة أجنبية ، والآخر من عناصر أجنبية تشفقت بالثقافة العربية ، مما كان له أثره في أصول البيان وفي توجيه دراسته وبحوثه وفي الدعوة إلى آراء في الأدب توائم ثقافتهم وعقليتهم ، وكان بعضهم يلقن مذهبهم الأدبية العامة للتلاميذ وشدة الأدب ، كما ترى في محاضرة بشر بن المعتز المعتزلى م ٢١٠ هـ في أصول البلاغة (٨) ، وإلى يقول الجاحظ عنها إن بشراً مر بإبراهيم بن جبلة بن عجرة (٩) وهو يعلم الفتيان الخطابة فوقف بشر فظن إبراهيم أنه إنما وقف يستفيد فقال بشر : احربوا مما قال صفحاً ، ثم دفع إليهم صحيفة من تحبيره وتنميقه في أصول البلاغة وعناصر

(١) ١/٢٠٩ البيان	(٢) ٣/٢٢٤ البيان	(٣) ١/٥٤ البيان
(٤) ١/١٠٥ البيان	(٥) ٣/٢٢٥ البيان	(٦) ١/٢٤٠ البيان
(٧) ١/١٠٦ البيان		
(٨) ١/١٠٤ وما بعده البيان ، ٢٢٨ وما بعده صناعين		
(٩) بعده الجاحظ من الخطباء الشعراء ١/١٠٥ البيان		

البيان (١) ، ومن رجال هذه الطبقة : أبو العلاء سالم مولى هشام وعبد الحميد الكاتب أو الأكبر كما يقول الجاحظ (٢) ، وابن المقفع وسهل بن هرون (٣) ، والحسن والمفضل (٤) ابننا سهل ويحيى البرمكي وأخوه جعفر (٥) وأيوب بن جعفر وأحمد بن يوسف وعمرو بن مسعدة (٦) وابن الزيات وسواهم

وكان لهذه الطبقة أثرها في بحث عناصر البيان وبلاغة الكلام ، ونستطيع أن نعرف آثار هاتين الطبقتين في دراسات البيان بالرجوع إلى آرائهم المثبتة في شق أصول الأدب ، والتي يمكننا أن نذكر لك هنا طرفاً منها ، وإن شئت فقرأ جواب صهارم لمعاوية حين سأله عن البلاغة (٧) ، وبروي قبل هذا بكثيراً أن عامر بن الظرب سأل حمزة بن رافع : من أبلغ الناس ؟ فقال : من حل المعنى المزج باللفظ الوجيز وطقى المفصل قبل التحزير (٨) وقرأ تحديد المفصل العنبي للإيجاز (٩) ، وتفسير ابن المقفع للبلاغة (١٠) ، وحوار الثمري لعمرو بن عبيد في البلاغة (١١) ، وتعريف الأصمعي للبيان (١٢) ، ورأى إبراهيم بن محمد في البلاغة (١٣) ، وتمرير جعفر البرمكي للبيان (١٤) ، وتعريف العتافي للبلاغة (١٥) ، وتفضيل الجاحظ لرأيه (١٦) ، ووصف الرشيد للبلاغة (١٧) ، ورأى شبيب بن شبة في تفضيل بلاغة جودة القطع

- (١) ولعصر كتاب في نظم كتابة ودية (٢) ١/١٥١ : البيان
(٣) كانت سهل يقول : سياسة البلاغة أشد من البلاغة ١/١٤٤ : البيان ، ٣/٣٣ : المقعد
(٤) ذكر الحميري كثيراً من بلاغته ١٦ - ١٩ ج ٢ زهر
(٥) وصف الجاحظ بلاغته وأشاد به ٨٥٥ و ٩١/١ : البيان ، ٢/٨١ : زهر ، وكان يؤثر الإيجاز ١/٨١٥ : البيان ، ١/١٧٧ : السكامل ، ونوه به سهل بن هرون ٢/١١٥ : زهر
(٦) نوه المأمون ببلاغته ٣/٢٦٤ : زهر
(٧) ١ : ٨١ : البيان ، وراجع ١٨ : ٢ : السكامل
(٨) ٢١٦ : ١ : المدة ، ٢٨٠ : ٢ : الأمان ، ٩١ : ٨١ : البيان
(٩) ٩١ : ١ : البيان ، ٢١٤ : ١ : المدة ، ١٥ - ١٧ : صناعات
(١٠) ٩٠ : ١ : البيان ، ١٤٢ : ١ : زهر ، ٤٧ : الرسالة المتروكة
(١١) ٨٦ : ١ : البيان ، ٢٢٠ : ١ : المدة ، (١٣) ٧٥ : ١ : البيان
(١٤) ٨٥ : ١ : البيان ، ٤٢ - ٤٧ : صناعات
(١٥) ٩٠ : ١ : زهر ، ١٥٧ : ١ : البيان
(١٦) ١٢١ : ١ : البيان
(١٧) ٢٦٤ : ٣ : زهر

أو القافية على جودة الابتداء (١) ووصف ابن المقفع كلام الاعراب (٢) ؛ الذين أعجب الجاحظ ببلاغتهم (٣) ووصف الحسن بن وهب بلاغة أبي تمام (٤) ، وتعريف المأمون للبايع بأنه من كان كلامه في مقدار حاجته ولا يحيل المعركة في اختلاس ما صعب عليه من الالفاظ ولا يعتمد الغريب الوحشي ولا الساقط السوقي (٥) وقول خالد بن صفوان : أبلغ الكلام ما لا يحتاج إلى الكلام (٦) ، وتعريفه للبلاغة بأنها التقرب من المعنى البعيد ، والتباعد عن غريب الكلام والدلالة بالكثير على الكثير ، وتعريف ابن عتبة لها : بأنها دنو المأخذ وقرع الحجة والاستغناء بالقليل عن الكثير ، وعرفها الخليل بأنها ما قرب طرفاء وبعد متناه ، وعرفها إبراهيم الامام : بأنها الجزالة والاصابة ، وعرفها ابن المقفع بأنها قلة الحصر والجرأة على البشر ، إلى غير ذلك من شتى هذه التجديدات (٧) ، ويقول أبو ذؤاد الإبادي : رأس الخطابة الطبع وعمودها الدربة وجناحها رواية الكلام وحليها الاعراب (٨) الخ ، ويقول الخليل : كل ما أدى إلى قضاء الحاجة فهو بلاغة فان استطعت أن يكون لفظك لمعناك طبقا ولك الحال وقفا وآخر كلامك لأوله مشابها وموارده لمصادره موازنة فافعل ، واحرص أن تكون لكلامك متما وإن ظرف (٩) ، ووصية أبي تمام للبحتري تدخل في هذا الباب (١٠) ، ويقول عبد الملك بن صالح م ١٩٩ هـ : البلاغة معرفة أرق الكلام وفنقه (١١) ، وقال ابن الرومي : البلاغة حسن الاقتضاب عند البداة والفرارة عند الإطالة (١٢) ، ويقول البحتري : خير الكلام ما قل وجعل ودل ولم يمل (١٣) ، ويقول الثعالي بمد : خير الكلام ما قل ودل وجعل ولم يمل (١٤) ، ويقول ابن الأعرابي : البلاغة التقرب من البنية ودلالة قليل على كثير (١٥) .

- | | |
|--|--------------------------------------|
| (١) ٨٩ : ١ البيان . | (٢) ١١٨ : ٢ زهر . |
| (٣) ١١٠ : ١ البيان | (٤) ٢٦٣ : ٣ زهر |
| (٥) ٤٢٣ صناعات | (٦) ٣٠ و ٣٦ الرسالة المذراء . |
| (٧) راجع : ٤٤ - ٤٦ الرسالة المذراء ، ٧٥ : ١ البيان ، ٢ و ٣ و ٢٢ و ٢٣ : ٣ | |
| الفند : ١٤٠ - ١٥٠ : ١ زهر ، ٨٧ - ٩١ ديوان المعاني ، ١٠٩ و ٢٠٢ إعجاز القرآن ، ٢١٣ - ٢٢١ : ١ المدة (٨) ١٤٧ : ١ زهر ، ٥١ : ١ البيان . | |
| (٩) ٤٨ الرسالة المذراء | (١٠) ١٠١ : ١ زهر |
| (١١) ٢٦٨ : ٣ البيان | (١٢) ٤٥ صناعات |
| (١٣) ١ : ٣٦ المستطرف | (١٤) ٢١٨ : ١ المدة (١٥) ١٧ : ١ المدة |

(ج) وأما الطبقة الثالثة فهي طبقة المفكرين والمثقفين الذين تشفقوا بشغاف أجنبية واسعة ، وتأثروا كل التأثر بأداب الأمم الأخرى ، وترجموا آراءهم في البيان ومناهجه إلى اللغة العربية ، أو ألفوا كتباً تبحث في هذه الانجازات ، وهؤلاء قد عاشوا في البيئة الإسلامية ، وأثروا في النقد والأدب والبيان ودراساته وتطوره تأثيراً واضحاً كبيراً ، ويمكننا أن نذكر شينا عن مجرود هذه الطبقة في خدمة البيان :
أهم عمل على قامت به هذه الطبقة : هو ترجمة كتابي الخطابة والشعر لأرسطو إلى العربية ؛ فأما الخطابة فهو أصل كبير من أصول البلاغة ودراساتها ، وقد أصيب بنقل قديم ونقله إسحاق بن حنين م ٢٥٨ هـ ، وكذلك نقله إبراهيم بن عبد الله وفسره الفارابي م ٣٣٩ هـ (١) ، وأما كتاب الشعر فقد اختصره الكندي م ٢٥٣ هـ ونقله يحيى بن عدي ومثى في القرن الرابع من السريانية إلى العربية (٢) . . . وقد ألفوا في صناعة الشعر ، وللكندي رسالة في صناعة الشعر (٣) ، ولأبي زيد البلخي كتاب بعنوان « صناعة الشعر » أيضاً (٤) ، وكذلك لأبي هفان (٥) . وهناك آراء كثيرة مأثورة عن هذه الطبقة في البلاغة وعناصرها وهي متفرقة في شتى كتب الأدب ومصادره ، ونجد في البيان والعمدة وسواهما أن صاحب اليونانيين عرف البلاغة بأنها تصحيح الأقسام واختيار الكلام ، وعرفها الرومي بأنها وضوح الدلالة واتخاذ الفرصة وحسن الإشارة ، وعرفها الفارسي بأنها معرفة الوصل من الفصل . وعرفها الهندي بأنها البصر بالحجة والمعرفة بمواضع الفرصة الخ : وعرفها أرسطو بأنها حسن الاستعارة ، وعرفها جالينوس بأنها إيضاح المفصل وفك المشكل ، واقرأ

(١) ٣٤٩ فهرست

(٢) ٣٤٩ و ٣٥٠ فهرست ، ونجد تحليلاً كاملاً للكتاب في (٦٤ - ١٣٦ قواعد النقد الأدبي) ، وهو لم يصل إلينا كاملاً ، وليس من شك في أن الكتاب جزءاً ثانياً قد فقد (٦٨ الترجيح) ، ونكاد نجزم أن أرسطو أراد بكتابه هذا أن يكون رداً على أملاطون في رأيه الذي ذهب إليه وهو أن الشعر عمل غير جدير بعناء الذكاء البشري وأنه من أشد بواعث الفساد (٧١ الترجيح) ، ويقول أرسطو في أوله : « سأسلك هنا عن فن الشعر وأنواعه المختلفة ووظائف كل نوع ، وفي البناء الصحيح للنظومة وعدد أجزائها وخصائص كل منها » (٧٩ الترجيح) . . . وترجمه ابن سينا وابن رشد (٢٤ وما بعدها مقدمة نقد النثر) (٣) ٣٥٦ فهرست (٤) ١٦٨ فهرست (٥) ٢٠٧ فهرست

(٣٣)

البلاغة كما يراها حكيم الهند (١) ويقول ، حكيم : البلاغة معرفة السليم من المعتل
وفرق ما بين المضمن والمطلق وفصل ما بين المشترك والمفرد (٢) ، ويعرفها سقراط
بأنها استكشاف الحقائق (٣) ، ويقسمها الكندي ثلاثة أنواع . فنوع لا تعرفه
العامّة ولا تتكلم به ، ونوع بالعكس ، ونوع تعرفه ولا تتكلم به وهو أحدها (٤) ،
ويقول : يجب اللبّغ أن يكون قليل اللفظ كثير المعاني (٥) ، وذكر بزرجمهر فضائل
الكلام ورواها ، فقال : فضائله أن يكون صدقا وأن يقع موقع الانتفاع به وأن يتكلم
به في حينه وأن يحسن تأليفه وأن يستعمل منه مقدار الحاجة ، ورواها بالصد (٦) ،
وقال أبو ريز لكانته : الكلام أربعة : سؤالك الشيء وسؤالك عن الشيء وأمرك
بالشيء وخبرك عنه ، فإذا طلبت فأسجع وإذا سألت فأوضح وإذا أمرت فأحكم
وإذا أخبرت لحقّق . وقال أيضا : واجمع الكثير مما تريد في القليل (٧) ، ولعل
تعلبا حين ذكر في صدر كتابه قواعد الشعر ، أقسام الشعر وأنها أمر ونهي
وخبر واستخبار (٨) قد تأثر بذلك الرأي
ويعد فقد تمازجت هذه الطبقات في خدمة البيان ، ولها جميعا أثرها في
نشأته وتطوره .

(١) ٧٨ و ٧٩ : ١ : البيان ، ٢٠ - ٣٨ ص ٢٤٤ ، ١ : زهير .

(٢) ٨٨ : ٢ : البيان والتبيين

(٣) أصول النقد الأدبي لقشاي

(٤) ٢١٩ : ١ : السدة

(٥) ١٨٣ : الموازنة .

(٦) ١٠ : أدب الكاتب .

(٧) ١١ : قواعد الشعر .

الفصل الثاني

ابن المعتز وجهوده في دراسات البيان

(١)

لابن المعتز منزلة كبيرة في البيان العربي فقد ألف فيه كتابه « البديع » ، الذي عدد فيه شتى أساليب البديع وعلم حسن الشعر كما عرفها ابن المعتز وعصره ، وهذا الكتاب ليس قاصراً على البديع بالمعنى الضيق المحدود ، لأن ابن المعتز يذكر فيه الكناية والاستعارة والتشبيه وهي من صميم البيان العربي ، يذكر فيه الكناية ولكنه يريد بها معناها القوي وهو أعم من المعنى الاصطلاحي المعروف ، فإذا قلنا إن ابن المعتز ألف في البيان فقد مرنا مع الحق والتفكير السليم ، وإذا قلنا إنه ألف في البديع فقد ضيقنا دائرة البحث بغير مبرر ، وإن كان البديع في الاصطلاح المتأخر جزءاً من البيان ، وإن كان البديع بالمعنى القديم المعروف عند بعض علماء البلاغة يرادف كلمة البيان أو البلاغة .

فابن المعتز إذا ذو أثر كبير في البديع ، وعلى وجه الدقة له أثره في البيان العربي ودراساته ، وذلك ما ستنتارله الآن بالبحث والتحليل .

(٢)

كان ابن المعتز من أئمة البيان في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ، وله في ذلك آراء عظيمة الأهمية ناضجة التفكير (١) ، وقد اهتم بنوع خاص من ألوان البيان ، هو أساليب البديع وألوان الترف في الأداء .

كان ابن المعتز يحتذى حذو أبي تمام في صنعة البديع ، ويوشى شعره بشق ألوانه يقصدها قصداً ويعتمد عليها تعمداً ، ويصوغ شعره فنا تغلب روح الصناعة

(١) راجع وصفه للبلاغة: الفرقان (٦٣ رسائل ابن المعتز) ، ونبريقه للبلاغة بأنها بلوغ المعنى ولم يخل سفر الكلام (٦٤ رسائل ابن المعتز ، ١٥٧ : ١٥٨ زهر ، ٤٦٢ : ١ : وفیات ، ٢١٧ : ١ : الصدقة ، ٢٢٣ : ٢٢٤ شذرات ، ٢٩٦ : ٢٩٧ الأوراق ، ١٢٨٠ : ١ : حاشية السيكي على التنقيص) ، وله كتاب في الحسنة والبلاغة (٦٣ رسائل ابن المعتز ، ١٢٣ : ١ : زهر)

فيه مذكرات الطبع والمطبعة ، وكان مع ذلك ، يتحقق بهما البديع تحقفا ينصر دعواه فيه لسان مذاكرته (١) ، وألف فيه عام ٢٧٤ هـ كتابه ، البديع (٢) وسماه إذكاس سبعة وعشرون عاما ، مما يدلنا على أن ابن المعتز لم يبدش في العقد الثالث من عمره حتى كان قد قتل الشعر العربي حفظا ورواية ودوسا وفهما .

وكان لكتاب البديع دوى في المجالس الأدبية ، ثم شاع وذاع وتلقفته الأيدي وعكف العلماء والأدباء عليه ، وصار مصدرا ممتازا من مصادر الدراسات البيانية بعد عصر ابن المعتز ، ثم فقدت نسخ الكتاب الخطية وقل تداوله ولم يبق له أثر إلا ما قرأ عنه في شتى كتب البيان والبديع ، ولكن العناية شاعت أن يحفظ من الكتاب نسخة خطية واحدة هي الوحيدة في العالم وهي في الاسكوريال برقم ٢٨ أدب ، وقد نشرها المستشرق الروسي المأصر أغناطيوس كراتشوفسكى عضو أكاديمية العلوم بليزغراد وعضو المجتمع العلمى العربى بدمشق وذلك عام ١٩٣٥ ، وقد تسنى بعمل هذا المستشرق الاطلاع على هذا الكتاب القذ النادر والإفادة بما فيه من بحوث تعتبر المصدر الأول للدولعين في البلاغة وفن البديع

وقد فت بشرح هذا الكتاب والتعليق عليه وتصحيحه ونشرته عام ١٩٤٥ ، فكان ذلك إحياء لكتاب ابن المعتز ، ومساهمة كبيرة في خدمة الثقافة البلاغية ، وسعيا لتداول أم وأول مصدر ألفت في البديع

والكتاب أول مؤلف في البديع وصنفة الشعر كما أجمع على ذلك جميع الباحثين (٣) ، وهو أم كتب ابن المعتز بالنظر إلى اختصاصه في هذا الفن (٤) ، ويمدقها جديد (٥) ، ويقول ابن المعتز نفسه : وما جمع فنون البديع ولا سبقنى إليه أحد (٦)

(١) رسائل ابن المعتز ، ١٢٣ : ٤ زهر
(٢) ٢٣٥ : ١ المدة ، ١٤٦ : ١ معاهد التنصيص ، ٢٧٦ الزيات ، ٤٥ : ٢ أدب الأمة
لحمد بك دياب ط ١٩٠٠ ، ١٤٨ : ١ كشف الظنون ، ٦٩٣ : ١ البستاني ، ١٩١
الاسكندرية ، ١٠٥ أدب اللغة انظر امرى (٤) ٣٠٦٣ زيدان
(٥) ٢٨٠ المجلد الأول من دائرة المعارف الإسلامية ، وراجع في الإشادة به ، ٩٢ —
١٠١ الصبح البديع في الأنة العربية للاستاذ أحمد موسى ، ١٠٣ — ١٠٧ تاريخ البلاغة العربية
للاستاذ الشعراوي ، وما مخطوطان بمكتبة كلية الآلة (٦) ١٠٦٦ البديع

(٣)

ولقب البديع ليس لقباً مستحدثاً في عهد ابن المعتز ، ولكنه اسم لهذه الألقاب الساحرة في الأسلوب ، ولهذا الترفيب في الأداء ، من تشبيه واستمارة وتجنيس وتطبيق وسوى ذلك ؛ سماء به مسلم بن الوليد الشاعر م ٢٠٨ هـ ، وكان يعرف قبل ذلك باللطيف (١) ، ودرج على هذا اللقب من بعده من العلماء والأدباء ، وفي الأغاني أن الأصمعي م ٢١٦ هـ كان يفضل بشاراً لأنه أكثر تصرفاً وفنون شعر وأغزراً وأوسع بديعاً (٢) ، وذكر الجاحظ البديع وبعض المشهورين به من الشعراء وأنه مقصور على العرب ومن أجمله فافت لغتهم على كل لغة (٣) ، وذكر كثيراً من الشعراء الذين أكثروا منه في شعرهم ورأى أنه لم يكن في المولدين أصوب بديعاً من بشار وابن هرمة (٤) ، ويقول ابن المعتز : البديع اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين منهم ، فأما العلماء بالشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو (٥) ، والبديع ونشأته في اللغة العربية موضوع عناية الباحثين المحدثين ، فرأى المسيو مرسية أن الزعفران الفنى والوان البديع قد وصلت إلى العرب من اليونان (٦) ، ورأى باحث أنه حصر أصيل في اللغة العربية وإن شاركتها في ذلك بعض اللغات (٧) ، وشاهد ذلك القرآن الكريم فهو أثر عربي صرف وهو مع ذلك يشتمل على ألوان من البديع ، والخواص الفنية الموجودة في القرآن توجد كذلك في الشعر الجاهلي كما أثبتته صاحب جمهرة أشعار العرب في مقدمتها ، وهي موجودة كذلك في الآثار الأدبية التي عاصرت القرآن كالحديث وخطب الخلفاء والولاء الذين شهدوا عصر النبوة (٨) ، والحق أن البديع أصباغ عربية خالصة كثرت ألوانه وتطورت زمناً بعد زمن .

(١) ١٠ : ٢٢٢ معاهد التنصيص

(٢) ٢٤٢ : ٣ البيان

(٣) ١٠٦ : البديع .

(٤) ٤٤ : ١ التزلفى .

(٥) ٤٥ : ١ وما بعدها البدر الفنى .

(٦) ٤٧ : ١ التزلفى .

(٧) ٢٥ : ٣ الأغاني

(٨) ٤٤ : ١٠٠ و ١٠١ البيات

وزادت قوة هذا التطور بتأثير الفرس واليونان ، فالاستعارة والتشبيه وكثير من هذه الأساليب تشترك فيها سائر اللغات (١) ، ولقد عرف البديع فناً منذ نشأ الأدب العربي ، أما معرفته علمياً فابتدأ من عصر بشار وأبي نواس ومسلم ، ثم عرف بصورة أوضح في عهد أبي تمام والبحتري وابن المعتز ، وبما كتبه عنه الجاحظ مؤلف البيان .

(٤)

وموضوع كتاب البديع ذكر لآلوان البديع وشواهدنا في الأدب العربي شعراً ونثراً ، يذكر مؤلفه ما أثر للون البديعي من شاهد في كتاب الله ثم في حديث رسوله ثم في كلام الصحابة والأعراب وبلغاء الكتاب ثم في الشعر العربي الجاهلي فالإسلامي فشعر المحدثين ، ويختتم كل لون بذكر ما عيب من شواهد المتكلمة السقيمة ، والكتاب حافل بثقى النصوص التي جمعها ابن المعتز وساقها في عرض جليل ونظام محكم .

وكان الباحث لابن المعتز على تأليف هذا الكتاب أن يعلم كما يقول : « ان يشاراً ومسداً وأباً ونواس ومن تيليهم وذلك - ييلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن - البديع - ولكن كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب عنه ودل عليه ، ثم إن حبيب بن أوس الطائي شذف به حتى غلب عليه وأكثر منه فأحسن في بعض وأساء في البعض الآخر وإنما كان يقول الشاعر من ذلك الفن البيت والبيتين في القصيدة وربما قرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع » (٢) فالفرص الأول منه « تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع » (٣) .

لقد نشأ ابن المعتز في عصر لم يخل من آثار التدهب للتراث الأدبي القديم ومن المنكرين لمذاهب المحدثين في البيان والناعين عليهم ما افتتوا فيه من ألوان

(١) راجع : هذا النثر ، مراجعات للمعاد .

(٢) ١٥ و ١٦ البديع ، ٧ و ٨ للوازنة

(٣) ١٨ البديع

البديع التي أكثر منها بشار ومدسته ثم مسلم وأبو تمام ومن جاء بعدهما ، فكان لا بد لابن المعتز أن يدافع ويناضل هؤلاء المنعصين ، نعم لقد وقف ابن المعتز بين مذهبين في البيان متناقضين : مذهب المحدثين الذي يؤثره ويسير عليه في الشعر وفهمه ونظمه ، ومذهب القدماء المنعصين للقديم الذين كانوا يزدرون نهج المحدثين وقصدهم وتكلمهم للبديع ، ولكنه انتصر بفطرته وذوقه للذهب الأول الذي أحبه وشغف به ، فأخذ يدافع عنه ، وألف في ذلك كتابه البديع الذي أثبت فيه أن ألوان البديع كانت معروفة عند الشعراء القدامى والاسلاميين وألوا بها في شعرهم كما ألم بها المحدثون فهي ليست غريبة على الشعر الجاهلي والاسلامي ، وليست جديدة على أساليب البيان في شعر المحدثين ، وليست بدعا جديد في الأدب والشعر كما ذهب اليه من تعصبوا للأدب القديم واعتزوا بفحولة الشعر الجاهلي وجزالته وأنكروا مذاهب المحدثين في صناعة الشعر وسهولته وتكلف البديع فيه . وكان دفاع ابن المعتز رائعا قويا موقفا استحق عليه كل تقدير من المصنفين والمثقفين من النقاد . ولون الثقافة الشائنة في الكتاب هي الثقافة العربية العميقة الخالصة من شوائب الثقافات الأخرى ، فقد ألمه ابن المعتز وهو في سن الشباب قبل أن يتعمق في دراسة آثار الثقافات الأخرى . وإذا ما وازنا بين البديع لابن المعتز وقصود القاتيل أحد مؤلفاته في أواخر حياته وجدنا الأول عربيا غالبا في ثقافته من حيث كونه اثنا مظهرا لثقافة متنوعة مختلفة الاصباغ والألوان .

(٥)

وألوان البديع عند ابن المعتز خمسة : الاستمارة - التجديس - المطابقة - ورد المعجز على المصدر - المذهب الكلامي ،

ويجمل ما عدا ذلك من محاسن الكلام والشعر ويقول إنها كثيرة ولا يرى حرجا في إضافة هذه المحاسن أو غيرها إلى البديع (١) ، وذكر من هذه المحاسن : الالتفات ، الاعتراض ، الرجوع ، حسن الخروج ، تأكيد المدح بما يشبه الذم ،

تجاهل المارف ، الحزل الذي يراد به الجذ ، حسن التضمين ، التبريض والكثافة
الافراط في الصفة ، حسن التشبيه ، لزوم ما لا يلزم ، حسن الابتداء .
ونحن الآن نتكلم على كل لون من هذه الألوان ونطور البحث البياني
فيه بدقة وتفصيل .

١ - الاستعارة :

عرفها الجاحظ بأنها تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه مقامه (١) ، ورجع
بعض المثل إليها (٢) .

وذكرها ارسطو في خطابه فرأى ان الاستعارة تجعل الشيء غيره والتشبيه
يحكم عليه بأنه كغيره ، وقسمها إلى استعارة من العدد واستعارة من التشبيه (٣)
واستعارة من الاسم وحده وتكلم على بلاغة الاستعارة والمقام الذي تستعمل فيه
ورأى أنه يجب أن تكون غير كثيرة التداخل بأن لا تدخل الاستعارة في استعارة (٤)
وأن تؤخذ من جنس مناسب لذلك الجنس محال له غير بعيد منه ولا خارج عنه (٥)
وأن تكون المماثي التي يستعار من أجلها لطيفة معروفة . . وهذه الدراسة لا نظير
لها عند الجاحظ وهي دراسة فيلسوف عميق البحث

وأشار المبرد إلى الاستعارة في كماله من غير أن يبرج عليها بالدراسة أو
التحديد (٦) وأشار ابن المدبر إليها إشارة عابرة (٧) وذكر ثعلب الاستعارة وقال

(١) ١١٦ : البيان

(٢) ١٩٢ : ١ : البيان

(٣) وسار على ذلك عبد القاهر في الأسرار ص ٦٨ ، وفي نقد الشعر ص ١٠٥ ذكر
للاستعارة التي يخرجها مخرج التشبيه

(٤) أخذ ذلك فداية في نقد الشعر فجعل فاحش الاستعارة أن يدخل بعض الكلام فيما ليس
من جنسه وما هو غير لائق به - ١٠٤ نقد الشعر - مما لم يعرف له مجاز - ١٠٦ نقد الشعر -
وأفاد في شرح ذلك ابن سنان في سر القصص

(٥) وذلك ما سار عليه علماء البيان ١٠٥ و ١٠٦ عند الشعر ، ١١٧ الموازنة ، ٣٧
و ٣٢٤ الوسائط ، ٣١٢ أسرار . ويقول ابن رشيق : إنما يستعانون من الاستعارة القريبة
وعلى ذلك مضي جلة العلماء ٢٢٩ و ٢٤٠ : الصفحة

(٦) ٣٧ و ٥٧ و ١٦٧ ج ١ الكامل (٧) ٦ و ٨ الرحالة الطبري

« وهي أن يستعار للشيء اسم غيره أو معنى سواه (١) » ويذكر مثلاً كثيرة لها (٢) والاستعارة هي الباب الأول في كتاب البديع ، وعرفها ابن المعتز بأنها استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها (٣) وذكر كثيراً من شواهدا (٤) ومثلاً لقييحها (٥) وبذلك تنتهي دراسته لهذا الباب الذي نتج فيه منتج أستاذة ثعلب في قواعد الشعر .

وقد عقد لها أبو هلال باباً تأثر فيه خطأ ابن المعتز في دراسة الاستعارة (٦) وعلى ضوءه سار ابن رشيق (٧) وقد ألم بها قدامة في نقد الشعر (٨) وفي نقد التثر (٩) مع بعد عن اتجاه ابن المعتز في دراستها وقد قسمها إلى حسن الاستعارة وفاحشها وفاحش الاستعارة هي الاستعارة غير المفيدة عند عبد القاهر (١٠)

٢ - التجنيس :

يذكره أرسطو في خطابه ويحدده بأن يكون المكرر وإن كان لفظين في المسموع فهو مختلف في المفهوم وذلك ما ذكره قدامة في تعريفه لهذا اللون الذي سماه المطابق والجانس (١١) وسبقه إلى ذلك أستاذة ثعلب حيث ذكر المطابق وعرفه بأنه تكرير اللفظ بمعنيين مختلفين (١٢) . كما بين أرسطو بلاغته وآثاره في الكلام بما احتذاء فيه عبد القاهر في الأسرار (١٣)

والجاءه لا يعرف ذلك اللون ولا يذكر شيئاً عنه ويمر بمثال بليغ للتجنيس (١٤) فلا يذكر عن هذا الاصطلاح شيئاً .

- | | |
|--|------------------------------|
| (١) ٢١ قواعد الشعر لثعلب | (٢) ٢١ — ٢٣ قواعد الشعر |
| (٣) ١٧ البديع و ٢٩ حسن التوسل | (٤) ١٩ — ٥٢ البديع |
| (٥) ٥٢ — ٥٤ البديع ؛ وبأخذ ابن المعتز على أبي تمام فتح الاستعارة في كثير من أبيات شعره ولكنه لا يذكر كلمة « استعارة » خلافاً في رسالته في أبي تمام . | |
| (٦) ٢٥٨ — ٢٩٧ صناعات | (٧) ٢٣٩ : ١ وما بعدها المسمة |
| (٨) ١٠٤ — ١٠٦ نقد الشعر | (٩) ٦٤ — ٦٦ نقد الشعر |
| (١٠) راجع ١٠٤ وما بعدها نقد الشعر و ٢٢ — ٢٨ أسرار | |
| (١١) ٩٦ نقد الشعر ، قال قدامة : وهو أن تكون في الشعر معان متمايزة قد اشتركت في لفظ واحد والفاظ متجانسة مختلفة | |
| (١٢) ٢٤ قواعد الشعر | (١٣) ١٢ و ١٤ والأسرار |
| (١٤) ٢١٨ : ١ البيان | |

وكان الجاج يسمى هذا الباب عطف الرجز (١) وألف الأصمى كتاب الأجناس (٢) وكان الأصمى يدفع قول العامة هذا بجائس لهذا إذا كان من شكله ويقول ليس يعرف عائص (٣). وابن المعتز هو أهم من درس التجنيس، وجمعه قال: التجنيس أن يجمع الكلمة بجائس أخرى في بيت شعر أو كلام، والمجانسة أن تشبه اللفظة اللفظة في تأليف حروفها على الوجه الذي ألف الأصمى كتاب الأجناس عليه (٤) ولم تكن القدماء (٥) تعرف هذا القالب وقد صنف الناس فيه كتباً كثيرة وجمعلوه أبواباً متعددة كابن المعتز والخاتمي والقاضي الجرجاني وقدامة وغيرهم (٦).

ولابن الخرون كتاب المطابق والمجانسة (٧)، وحقيقة التجنيس أن يكون اللفظ واحداً والمعنى مختلفاً كما يقول ابن الأنباري (٨) ويجعل ابن الأنباري أيضاً رد المعجز على الصدر ضرباً من التجنيس (٩).

وابن المعتز هو الواضح لهذا القالب وهو أول من أفرد هذا الباب بالبحث والتأليف (١٠) فقد عرف (١١) وذكر أقسامه (١٢) وأفاد في ذكر شواهد (١٣) وذكر مثلاً لمصيب (١٤) وبذلك ينتهي الباب وقد تأثر أبو هلال خطأ ابن المعتز في هذا الباب (١٥).

٣ - المطابق:

ذكر الأصمى المطابقة في الشعر فقال: أصلها وضع الرجل موضع اليد في معنى ذوات الأربع ثم قال وأحسن بيت قيل لرهير في ذلك: ليث يمشي يصطاد الرجال إذا ما نال كذب عن أفراجه (١٦) صدقا وقال الأصمى والتحليل: يقال طابعت بين الشيتين إذا جمعتما على حرف

(١) ٢٩٩ : ١ المدة	(٢) ٥٥ البديع
(٣) ٩٨ المثل السائر	(٤) ٢١٢ الفهرست
(٥) ١٠٠ كائن السائر	(٦) ٢٩٩ : ١ المدة و ٥٥ البديع
(٧) ٢٩٩ / ١ المدة	(٨) ٥٥ البديع
(٩) ٥٥ وما بعدها البديع	(١٠) ٥٦ - ٧١ البديع
(١١) ٧١ - ٧٣ البديع	(١٢) ٣١٠ - ٣٢٨ الصنائع
(١٣) ٦ : ٢ المدة	

واحد وألصقهما (١) فذلك هو مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان كما قال الرماقي : المطابقة مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان (٢) قال ابن رشيقي : هذا أحسن قول سمعته في المطابقة وهو مشتمل على قول القوم وغيرهم جميعاً (٣) .

وفي البيان للجاحظ وردت كلمة التطبيق بمعنى إصاية الكلام الغرض المسوق له (٤) ويذكر تطبيق الحديث وأنه غير التطبيق الأول (٥) وفي كامل المبردة المطابقة بمعنى الجمع بين الشيء وما يقابله في الكلام (٦) وكذلك أراد ابن المعتز هذا المعنى من هذا الاصطلاح ويسميه ثعلب مجاورة الاضداد (٧) ويسميه قدامة التكاثر (٨) .

فالمطابقة إذاً لها معنيان : مساواة المقدار والجمع بين الشيء وحده وأول من سماها هذا الاسم هو الأصمعي مريداً منه المعنى الثاني ؛ وورد في اشتقاقه كلام عن الخليل والأصمعي وآه ابن رشيقي ظهراً في المعنى الأول . ويقول الياقوتى : وأكثر العلماء على أن المطابقة أن يذكر الشيء وحده كالليل والنهار وإليه ذهب الخليل والأصمعي ومن المتأخرين ابن المعتز . وقال آخرون : المطابقة أن يشترك معنيان بلفظه واحدة وإليه ذهب قدامة (٩) ويذكر الأمدى أن قدامة لغب هذا الباب المتكافؤ وأنه سمي ضرباً من المجانس (المطابق) وينقده في مخالفته للعلماء ولا ابن المعتز في هذه الاصطلاحات (١٠) ورد الأغفش على قدامة (١١) ونقل ابن سنان كلمة الأمدى في نقده وأشاد به (١٢) .

وقد ذكر ابن المعتز هذا الباب في كتابه البديع وفيه كثير من الشواهد (١٣) وذكر مثلاً لما عيب منه (١٤) .

ومن الغريب أن يكون أرسطو قد تكلم على المطابقة والمقابلة حيث ذكر التقابل وأن المتقابلات إذا توافقت أحدثت رونقاً لظهور بعضها ببعض وأن

(١) ٢/٦ السبعة ٧٤ البديع

(٢) ٢/٦ السبعة

(٣) ٨٧ — ١/٧٩ و ٢/١٢٣ البيان

(٤) ١/٨٢ البيان (٥) ١/٢٤١ الكامل (٦) قواعد الشعر لثعالب ٢٤

(٧) ٨٥ غدد الشعر (٨) ٢٩ إيجاز الترتيب

(٩) ١٢٤ الموائمة (١٠) ١/٩١ السبعة

(١١) ١/٥١ سر الفصاحة (١٢) ٧٤ — ٩٠ البديع

(١٣) ٩٢ — ٩٠ البديع

المعتدل (الذي لا يفرط في الصفة حتى يدخل في حيز الكذب الظاهر) وخصوصا إذا شعن بالمطابقات المأخوذة من المتقابلات لذيذ جدا وأن المتقابلات بعضها اعتداد وبعضها كاعتداد .

وابن المعتز فوق معرفته بالمطابقة فهو يعرف المقابلة ويذكرها باسمها (١) ، ولم يذكرها في كتابه البديع . وقد ذكر قدامة المقابلة وعرفها في نقد الشعر (٢) تعريفاً متأثراً فيه بأرسطو وأخذ السكاكي تعريف قدامة وأيا له في تعريفه للمقابلة . وفي الصناعتين باب للمطابقة تأثر فيه أبو هلال بابن المعتز إلى حد كبير (٣) ، وكذلك فعل ابن رشيق (٤) .

٤ — رد المعجز على الصدر :

وهو اصطلاح جديد لابن المعتز لم يسبق إليه وقد ذكر ابن المعتز أقسامه (٥) ، وشواهد كثيرة له (٦) ثم ذكر مثالا قليلة لما عيب منه (٧) وقد سار على نهجه أبو هلال (٨) .

وابن رشيق يسميه التصدير (٩) ونقل فيه كثيراً من مثل ابن المعتز وشواهد ويذكر ابن رشيق من مثله نقلا عن ابن المعتز :

ولم يحفظ مضاع المجد شئ . من الأشياء كالمال المضاع (١٠)
وهذا البيت غير موجود في نسخة البديع الموجودة بين أيدينا مما يدل على نقصها . وابن الأثير يحمل رد المعجز على الصدر ضرباً من التجنيس (١١) .

٥ — المذهب السكلاي :

وهو إيراد حجة على المطلوب على طريقة أهل المتظان وهي أن تكون

(١) رسائل ابن المعتز	(٣) ٢٩٧ — ٣١٠ صناعتين
(٢) ٧٩ نقد الشعر	(٥) ٩٣ البديع
(٤) ٢/٥ الصفة	(٧) ١٠٠ البديع
(٦) ٩٤ — ١٠٠ البديع	(٩) ٢/٣ الصفة
(٨) ٣١٧ — ٣٨٠ الصناعتين	(١١) ١٠٠ النال السائر
(١٠) ٢/٥ الصفة	

للمقدمات مستلزقة للطلوب والمجاوِظ هو الذي سماه هذا الاسم (١) وابن المعتز يذكر أنه ليس في القرآن منه شيء وأنه ينسب للتكليف (٢) وقد تقدم أبو هلال لأنه عد هذا الباب من البديع مع أنه نسبته إلى التكليف (٣) وابن المعتز يذكر شواهد له (٤) ومثلاً للبعيب منه (٥) واحتذاء أبو هلال (٦) وابن رشيق (٧)

٦ — الالتفات :

أشار إليه صاحب الجهرة فذكر أن العرب تتخاطب الشاهد غطية الغائب (٨) وكذلك فعل المبرد (٩) فذكر أن العرب تترك غطية الغائب إلى غطية الشاهد وبالعكس (١٠) .

وحكى عن اسحاق الموصلي قال : — قال لي الأصمى انصرف التفاتات جرير قلت وما هي فأنشدني :

أنفى إذا نودعنا سليماً يعود بشامة سقى البشام ؟

ثم قال : ألا تراه مقبلاً على شعره إذا به التفت إلى البشام فدعا له (١١) .

والالتفات هو الاعتراض عند قوم منهم صاحب العمد (١٢) ولذلك ذكر ابن رشيق في عمدته بعض مثل للالتفات ذكرها ابن المعتز في باب الاعتراض (١٣) كما نقل ابن رشيق مثلاً للالتفات ذكرها ابن المعتز في باب الالتفات (١٤) وقال آخرون : هو الاستدراك وحكاة قدامة وسبيله أن يكون الشاعر آخذاً في معنى ثم يعرض له معنى غيره فيعدل عن الأول إلى الثاني فيأتي به ثم يعود إلى الأول من غير أن يخل في شيء عما يشد الأول (١٥)

(١) ١٠١ البديع و ٢ / المدة	(٢) ١٠١ البديع
(٣) ٣٩٨ الصنائع	(٤) ١٠١ — ١٠٤ البديع
(٥) ١٠٥ و ١٠٦ البديع	(٦) ٣٩٣ — ٣٩٩ الصنائع
(٧) ٢ : ٧٥ المدة وما بعدها	(٨) ٣ جهرة أشعار العرب
(٩) ٢٧١ : ١ و ٣٠ : ٢ السكامل	(١٠) ١٠٠ : ٣٠ : ٢ السكامل
(١١) ٢ : ٤٤ المدة	(١٢) ٢ : ٤٢ المدة
(١٣) راجع ٤٢ — ٤٤ : ٢ المدة و ١٠٨ البديع	(١٤) ٤٢ : ٢ المدة و ٨٧ البديع
(١٥) ٤٤ : ٢ المدة و ١٠٧ البديع	(١٥) ٤٢ : ٢ المدة و ٨٧ البديع

وعرفه ابن المعتز بأنه انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى معنى آخر (١) ويستحسن ابن رشيقي هذا التعريف (٢) وتبع أبو هلال قدماء (٣) وكذلك الباقلاقي (٤) قال: ومضى خرج عن الكلام الأول ثم عاد إليه على وجه يلفت كان ذلك التفاتاً، فللتفات معنيان ما ذهب إليه صاحب الجهرة والمبرد وما ذهب إليه قدماء وأبو هلال والباقلاني، وقد عرفه ابن المعتز بتعريف يجمع المعنيين... وصاحب فقد النثر يسمى الالتفات الصريف (٥).

يعرف ابن المعتز هذا اللون (٦) ويذكر شواهد له (٧) وقد تبعه ابن رشيقي فأفاض في الحديث عنه (٨).

٧ — الاعتراض :

في خطبة أرسطو يجعل ادخال كلام في كلام وهو الاعتراض الطويل بين الكلام المتصل ببعضه ببعض من الأشياء المفسدة لرواق النظم.

ويعرف ابن المعتز الاعتراض بأنه اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه ثم يعود إليه فيتمه في بيت واحد (٩) وقد تبعه أبو هلال (١٠).

٨ — الرجوع :

عرفه ابن المعتز بأن تقول شيئاً وترجع عنه (١١) وذكر شواهد له (١٢) وابن المعتز أول من ابتكر هذا القلب له فكانت الرواة تميم مثل هذا الإسلوب لأن الشاعر يكذب نفسه وكان أستاذه الاسدي يشتد في نقد زمير في قوله « على وغيرها الارواح والديم» (١٣) ويرد صاحب المقدم على هذا النقد (١٤) وابن المعتز يعده من ألوان البديع.

- | | |
|--|-----------------------------|
| (١) ١٠٦ البديع و ٨٠ حسن التوسل | (٢) ٤٤ : ٢ السبعة |
| (٣) ٣٨٣ — ٣٨٥ الصناعيين | (٤) ٩٠ إيجاز القرآن |
| (٥) ٧١ نثر النثر | (٦) ١٠٦ البديع |
| (٧) ١٠٧ البديع | (٨) ٤٢ : ٢ وما بعدها السبعة |
| (٩) ١٠٨ البديع | (١٠) ٣٨٥ صناعيين . |
| (١١) ١٠٨ البديع | |
| (١٢) ١٠٨ و ١٠٦ البديع وراجع ٣٦٧ خزنة الأدب | |
| (١٣) ٣٥ و ٣٦ للوشح | (١٤) ٣٦٦ : ٣ المقدم |

٩ - حسن الخروج :

قال ابن رشيق : هو عتدم شبيه بالاستطراد وليس به لأن الخروج هو ان تخرج من ذيب إلى مدح أو غيره باطلف تحيل ثم تستمر فيما خرجت إليه (١) والاستطراد أن يبنى الشاعر كلاما كثيرا على لفظة من غير ذلك النوع يقطع عليه الكلام وهو مراده دون جميع ما تقدم ويعود إلى كلامه الأول وكأنه عثر بذلك اللفظة من غير قصد . لحسن الخروج على هذا الرأي هو حسن التخلص ويقول ابن رشيق : ومن الناس من يسمي الخروج تخلصا وتوسلا (٢) وعلى هذا الرأي سار ثعلب في قواعد الشعر وهو أول من لقبه بهذا اللقب ، قال حسن الخروج من بكاء الطلل ووصف الابل وتحمل الاطمان وفراق الجيران بغير (دع ذا) (عد عن ذا) و(اذكر ذا) بل من صدر إلى عجز لا يتعداه إلى سواء (٣) وقد سار ابن المعتز على نهج أساتذه ثعلب في اللقب وعرفه بأنه حسن الخروج معنى إلى معنى (٤) . ويرد على ذلك أن المثل التي ذكرها له منها مثل واضح فيه الاستطراد كقول الشاعر :

إذا ما اتقى الله الفقى وأطاعه فليس به بأس وإن كان من جرم
ومثل أخرى واضح فيها حسن التخلص كقول الشاعر :

وأجبت من حبها الباخلين حتى ومقت ابن سلم سميدا
فالظاهر أن ابن المعتز يريد بحسن الخروج ما يشمل التخلص والاستطراد والحائطي يسمي الخروج استطرادا اتساعا كما يقول ابن رشيق (٥) وعلى أي حال فالاستطراد قريب من التخلص وكان شبيب بن شيبه يقول : الناس موكلون بتفضيل جودة القطع ويمدح صاحبه (٦) وجودة القطع هي حسن التخلص فإذا كان القدماء يعرفون هذا المعنى ولا يسمونه تخلصا . أما الاستطراد فقد أشار إليه الجاحظ في بيانه ولم يلقبه بهذا اللقب (٧) وهو ضرب من البديع يظهر الشاعر أنه يذهب لمعنى

(١) ٢٠٦ : ١ المدة (٢) ٢٠٨ : ١ المدة

(٣) ٢٣ قواعد الشعر (٤) ١٠٩ : ١ البديع

(٥) ٣٨ : ٢ المدة (٦) ٨٩ : ٢ المدة

(٧) ٢٠٥ : ٢ المدة و ١٣٨ : ٣ البيان

فيمر له آخر قياتي به كأنه على غير قصد وعليه يتي وإليه كان مغزاه وقد أكثر المتحدثون منه - ومنه قول أبي تمام يصف فرسا :

أيقنت أن لم تثبت أن حافره من صخر تدمر أو من وجه عثمان

واحتذى البحترى هذا الخنق في حدوده الأحول - وقال في فرس :

ما إن يعاف قذى ولو أوردته يوما خلأته حدوده الأحول

وهذا الملقب (الاستطرد) أعجب به المتحدثون وقد وقع لمن قبلهم .
قال الفرزدق :

كان فتاح الأسد حول ابن مسمع إذا جلسوا أفواه بكر بن وائل

وأق جري بهذا النوع فقال :-

لما وضعت على الفرزدق ميسرى وعلى البيت جدعت انتب الاخطل

وأول من ابتكره السموأل وكل أحد تابع له فقال :-

ولنا أناس لا نرى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسلول (١)

ولإسحاق الموصلي :-

فا ذو قرن الشمس حق كأننا من الهى نحكى أحمد بن هشام

ومن الاستطرد قول ابن المعتز :

علت بماء بارد فكأنما علت ببرد قصيدة ابن سميد

وأول من سماه استطردا أبو تمام .

قال البحترى - أنشدني أبو تمام بيته : أيقنت أن لم تثبت أن حافره الخ . . . ثم قال لي ما هذا الشعر؟ قلت لأدري، قال هذا المستطرد والاستطرد، يرى أنه يريد وصف الفرس وهو يريد هجاء عثمان .. قال الصولي فالتدنى البحترى في هذا بأبي تمام فقال : ما أن يعاف . . البيت (٢) ، وقال صاحب حسن التوسل : الاستطرد

(١) راجع ١٤٩ - ١٥١ : ٢٠ زهر و ٣٨٨ - ٢/٣٩١ القصيدة

(٢) راجع ٦٨ أخبار أبي تمام و ٢/٢٨ المدة و ٩٢ إنجاز القرآن و ٤ مقدمة ديوان البحترى

هذه التسمية نقلها البهري عن ابن تمام وسماه ابن المعتز الخروج (١). وقد تكلم على الاستطاد أبو هلال (٢) وابن فارس (٣)

١٠ - تأكيد الملح بما يشبه الدم :

وهو من ابتكار ابن المعتز واصطلاحه ويحمله أبو هلال ضرباً من ضرب نوع من البديع يسميه الاستثناء (٤) وكذلك فعل ابن رشيق (٥)

١١ - تجاهل المعارف :

وهو من ابتكار ابن المعتز واصطلاحه (٦) وتبعه أبو هلال (٧) .

١٢ - الهزل يراد به الجدة (٨) :

وهو من ابتكار ابن المعتز واصطلاحه، وفي الجاحظ مثل تصلح أن تكون من هذا النوع (٩) .

١٣ - حسن التضمن للشعر :

وهو أن يضمن الشاعر شيئاً من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً وقد عرف هذا المعنى من قبل ابن المعتز ، ولكنهم لم ينقبوه هذا القلب وقد نقد عبد الله بن طاهر أبا تمام في اقتباسه من القرآن في شعر له ورأى أن القرآن أجل من أن يستمار شيء من المعاطة للشعر (١٠) ويذكر ابن المبرور حسن الأخذ من الشعر والأمثال (١١) ويقول المبرد في أبي العتاهية: لا يكاد يحلو شعره بما تقدم من الأخبار والآثار (١٢) ، ويقول ابن سلام : إن الزرقان أخذ بيت النابغة :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتنتق حومة المسفة المادي في شعره كأنثى حين جاء في موضعه لا مجتلباً له ، وقد تفعل العرب ذلك لا يريدون به السرة (١٣) .

(١) ٨٩ حسن التوسل	(٢) ٣٨٩ صناعين
(٣) ٢٢٦ المعاصي	(٤) ٣٩٦ صناعين
(٥) ٤٥ : ٢ المدة	(٦) راجع ١١١ و ١١٢ البديع
(٧) ٣٨٧ - ٣٨٩ صناعين	(٨) ١١٢ و ١١٣ البديع
(٩) ٢٤٥ : ٢ المدة	(١١) الرسالة المفروء
(١٠) ٢١١ أخبار أبي تمام	(١٢) ٢٧ طبقات الشعراء لابن سلام
(١٣) ٢٣٨ : ٢ الكامل	(٣٨)

ويذكر ابن المعتز شواهد لهذا الباب (١) واحتذاء أبو هلال (٢) وابن رشيق (٣)

١٤ - التعريض والسكتاية:

التعريض أن يكنى عن الشيء ويعرض به ولا يصرح على حسب ما عملوا باللحن والتورية عن الشيء (٤). والسكتاية قسبان لغوية واصطلاحية - فللغوية ذكرها المبرد في السكامل وذكر أقسامها (٥)، ويشير إلى مثل للسكتاية الإصطلاحية (٦) وكلامه يفهم منه أنه يسميها إيماءً ويسميها قسدامة الأرداف (٧). وكذلك أبو هلال (٨) ويسميها ابن رشيق التتبع (٩)، ويقول الجاحظ في البيان عن أبي عبيدة: المعارضة كناية عن البدء وإذا قلوا فلان مقتصد فتلك كناية عن البخل الخ (١٠) وقال شريح: الحدة كناية عن الجمل وذكر أمثلة أخرى (١١) وذكر الجاحظ أنه يستعمل الناس السكتاية وربما وضعوا الكلمة بدل الكلمة يريدون أن يظهروا المعنى بألین لفظ إما تمويهاً وإما تفصيلاً كما سموا المعدول مصروفاً والبخل مقتصداً (١٢).

وفي خطابة أرسطو: ومن حسن أدب الخطيب إذا حاول العبارة عن معنى فاحش ألا يصرح بل يستعير له ويقوم شيئاً بدله، وذلك أساس لبحت السكتاية التي ذكرها الجاحظ في بيانه. وقد ذكر نعلب لطفة المعنى وعرفها بأسماء الدلالة بالتعريض على التصريح (١٣) وذكر مثلاً له (١٤) وفي العقد باب السكتاية والتعريض (١٥) وفي الصاحبي أيضاً (١٦) ويذكر صاحب نقد النثر اللحن بمعنى التعريض والسكتاية (١٧).

- | | |
|--|--|
| (١) ١١٤ البمع | (٢) راجع ٣٨ الصناعين |
| (٣) ٢ : ٨٠ السدة | (٤) ٣٦٠ صناعين |
| (٥) ٥ و ٦ : ٢ السكامل | (٦) ٧٧ و ١٦٦ : ١٢ و ٩٢ و ٢٨١ : ٢ السكامل |
| (٧) ٩٢ نقد الشاعر | (٨) ٣٤١ الصناعين |
| (٩) ٢٨٢ : ١ السدة | (١٠) ١٨٠ : ١ البيان |
| (١١) ٢٩ - ٣١ : ٢ البيان | |
| (١٢) ١٣٣ : ١ رسالة النساء للجاحظ يهملش السكامل للمبرد | |
| (١٣) ١٩ قواعد الشعر | (١٤) ١٩ المرجع |
| (١٥) ١٠ - ١٤ : ٢ القصد | |
| (١٦) وينقد ابن الأثير الجاحظ لمدح بيتا لتعريب من السكتاية وهو : | |
| فما جوا ما أنتوا بالذي أنت أهله ولو سكتوا أنتت عليك الخفاف | |
| ويرى أن البيت من التنبيه المضمرا الأداء الخارج عن السكتاية ٢٤٩ وما بعدها . | |
| (١٧) ٥٩ نقد النثر | |

١٥ — الإفراط في الصفة :

ذكره أرسطو في خطابه فذهب إلى أنه لا يحسن استعمال اللفظ المفرط في الصفة حتى لا يدخل في حيز الكذب ولا يفرط أيضاً تقصيراً لسلب الصفة رونقها ، ويقول : ومن الإفراطات التي تقال للتعظيم مع العلم بكذب من يدعيها قول القائل : لو أعطيت مثل هذه المرأة ذهباً لما رضيت في نكاحها .

فهذه إيست أمثالا ولا تشبهات بل هي أكاذيب ظاهرة... ويؤخذ المبرد الشعراء على إفراطهم في شعر لهم (١) ويذكر ثعلب الإفراط في الإنحراق وشواهد له (٢) وذكره ابن قتيبة في الشعر والشعراء (٣) .

وقد ذكره ابن المعتز مع شواهد له (٤) وذكره الصاحب (٥) ، واستحسن قدامة السرف والمبالغة في الشعر لأن أرسطو ذكر أن الكذب فيه أكثر من الصدق (٦) ويذكر قدامة العلو في المعنى والإفراط فيه ويستحسنه ويؤثره على الإقتصار على الحد الوسط (٧) ويذكر البيت (وأخفت أهل الشرك الخ) ويستحسن (٨) ؛ وذكره صاحب المقدم واعتذر عن إفراطه فيه (٩) كما اعتذر عن الثابتة في إفراطه في وصف السيف (١٠) وفي نقد النثر باب للمبالغة (١١) . ويقول صاحب الحزامة : وتسمية المبالغة منسوبة إلى قدامة ومنهم من سمى هذا النوع التبليل وسماه ابن المعتز الإفراط في الصفة وهذه التسمية طابقت المسمى ولكن الناس رغبوا في تسمية قدامة لحفتها (١٢) .

- (١) ١٧٣ : ١ و ٤٤ و ٤٦ و ٧٦ و ٧٧ : السكائل
(٢) ١٨ و ١٩ قولهم الشعر (٣) ٩٩ و ١٠٦ و ١٨٦ الشعر والشعراء
(٤) ١١٦ — ١٢١ البيهقي (٥) ٢٢٤ الصاحب .
(٦) ٩٠ نقد النثر وابن سنان أيضاً جد المبالغة والعلو (٢٥٦ سرافصاحة) ، وراجع تريف أبي حلال للعلو (٣٤٨ الصناعيين) وللمبالغة ٣٥٦ الصناعيين ، وقد ذكر قدامة المبالغة (٨٤ نقد الشعر) وكذلك البائلي ٨٤ إيجاز النثر
(٧) ٣٥ — ٣٨ نقد الشعر وراجع ٤٩ نقد الشاعر أيضاً .
(٨) ٣٦ نقد الشعر (٩) ٢٠ و ٢١ : ١ و ٤١٨ : ٣ نقد
(١٠) ٩١ : ١ نقد (١١) ٧٠ و ٧١ نقد النثر .
(١٢) ٢٢٥ خزائن الأدب الحموي

١٦ - حسن التشبيه :

ذكره أرسطو ورأى أن الشعراء يقبحون في التشبيه إذا أبعدوا وفرق بين الاستمارة .

وأشار إليه الجاحظ إشارة عابرة حيث ذكر مثالا له (١) رعدله المبرد في كاهله باباستغلا (٢) وكذلك فعل ثعلب (٣) وابن المعتز (٤) والإصابة في التشبيه معدودة من أسباب جودة الشعر (٥) وذكر ابن قتيبة التشبيه في مواضع كثيرة من كتاب (٦) ورأى أن المنبته به يجب أن يكون أقوى من المنبته في وجه الشب (٧) ذكر قدامة أيضا بابا مستغلا للتشبيه (٨) وكذلك صاحب العمدة وابن ملال وسوام من العلماء . ولقد كان اهتمام ابن المعتز بالتشبيه وعدله من ألوان البديع متمشيا مع فطرته وذوقه الأدبي الذي شغف بهذا الصنف البياقي شغفا خاصا .

١٧ - اعنات الشاعر نفسه في القوافي (٩) :

وهو باب لزوم ما يلزم . وهو من أفراد ابن المعتز (١٠) - وإذا كان ابن المعتز يسميه إعناتا فكيف يمدحه من البديع ؟

١٨ - حسن الابتداء (١١) :

سمى ابن المعتز براعة الاستهلال حسن الابتداء ، وأورد في هذا الباب قول النابغة دكلى لم يا أميمة ناصب ، قال ابن أبي الأصم : ولقد أحسن ابن المعتز الاختيار (١٢) ويقول الحلبي : وحسن الابتداء تسمية ابن المعتز وأراد بها ابتداء القصائد ، وقد فرغ المتأخرون من هذه التسمية براعة الاستهلال (١٣) . وقد ذكر أرسطو أنه يحسن في صدر الخطب الإشارة إلى الغرض المقصود

- | | |
|------------------------------|----------------------------------|
| (١) ٢٢٩ : ٢ و ٢٤٣ : ٣ البيان | (٢) ٣٥ - ١٠١ : ٢ الكامل |
| (٣) ١٤ - ١٨ قواعد الشعر . | (٤) ١٢١ - ١٣١ البديع |
| (٥) ٢٠ الشعر والشعراء | (٦) ٢٠ و ٢١ و ١٠٦ الشعر والشعراء |
| (٧) ٣١٧ للرجح | (٨) ٦٥ - ٧٠ قد الشعر |
| (٩) ١٣٢ - ١٣٣ البديع | (١٠) ٨٦ حسن التوسل |
| (١١) ١٣٣ - ١٣٥ البديع | (١٢) ٣ خزنة الأدهب |
| (١٣) ٩٣ حسن التوسل | |

وذكر أن الكلام الخطابي صدرأ واقصاها وخاتمة — وأشار ابن المدبر إلى حسن الاتباع (١) — وذكر ابن المقفع أنه يجب أن يكون في صدر كلامك دليل على حاجتك (٢) وشرح ذلك الجاحظ شرحاً وافياً (٣) مقررأ بلاغة هذا اللون أحسن تقرير (٤) . ولكن ابن المعتز هو الذى سبق إلى هذه التسمية وأفاض في ذكر شواهد هذا الباب عما احتداه فيه أبو هلال وسواء ، وبهذا تنتهى ألوان البديع ومحاسن الشعر التى ضمنها ابن المعتز كتابه (البديع) .

(٦)

فأين المعتز قد جمع من ألوان البديع ثمانية عشر لونا ، ولقد عاصره قدامة بن جعفر السكاكب الذى جمع منها عشرين نوعا ، اشترك مع ابن المعتز في سبعة منها وهى : الدلو أو الإفراط — التنبية — الاستمارة — الكتباية ويسمىها قدامة الإرداف مریدا بها المعنى الاصطلاحي للكتباية في حين أن ابن المعتز يريد بها المعنى الآخرى — التكاثر وهو عند ابن المعتز المطابقة — اللطيق أو المجانس وهو عنده باب التجنيس — الالتفات ، وانفرد قدامة بثلاثة عشر نوعا هى : التصريح — المفاصلة — المساواة — الإيغال — الاستطراف — محنة التسميم — محنة التفسير — المبالغة — وهو غير الغلو عند قدامة — الإشارة (الإيجاز) — التمثيل — التلميح — الترصيع وهو أن تكون أجزاء البيت مسجوعة — التوشيح (١) ؛ وهذه الأنواع الثلاثة عشر التى استقل بها قدامة إذا أضفنا إلى السبعة عشر نوعا التى جمعها ابن المعتز يكون البديع قد وصل في عهد قدامة إلى ثلاثين نوعا ، ثم تفرع الناس هذه الألوان ، فجمع أبو هلال منها في الصناعتين سبعة وثلاثين نوعا ، منها ٢٩ نوعا ذكرها أبو هلال في باب أنواع البديع (٥) ومنها التنبية الذى ذكره في باب مستقل (٦) غير الباب الذى عقده للبديع وإن كان لا يشير إلى أنه من البديع ، فيكون الجميع ثلاثين نوعا يضاف إليها سبعة من زياداته (٧) وهى : التسطير — المحاورة — الاستمارة — المضاعفة (التورية) —

- (١) الرسالة المذروا (٢) ٩١ : ١ : البيان (٣) ٩٢ : ١ : الرجح
(٤) سماء على بن هارون النخعي (تسوية) وسماء أبو زكريع (الطبع) وسماء الأخرون (إرمادا)
وهو أن يدل صدر البيت على فقره .
(٥) ٢٥٨ صناعين وما بعدها (٦) ٢٢٦ — ٢٤٩ صناعين
(٧) ٢٩٩ — ٤١٢ صناعين

التطريز - التلطف - المثنى ، ثم جمع ابن رشيق من ألوان البديع مثل ما جمع أبو هلال وأضاف إليها في عسده نسخة وستين بابا في بحث الشعر ، وتلاه شرف الدين الشافى فبلغ بها أكثر من ذلك ، ثم تكلم فيها ابن أبي الأصم المصرى م ٦٥٤ هـ فأوصلها إلى التسمين في كتابه الجديد ، تحرير التحرير في علم البديع ، ثم صنف ابن منقذ كتابه ، التفريع في البديع ، جمع فيه خمسة وتسعين نوعا ثم جاء صفي الدين الحلبي م ٧٥٠ هـ بجمع ١٤٠ نوعا في بديعته في مدح الرسول التي سماها ، الكافية البديعية ، وشرحها بنفسه ثم حذا الناس حذوه ونظموا كثيرا من البديعيات ، وأما السكاكي فذكر تسعة وعشرين نوعا من البديع ، وقد ذكر صاحب التلخيص من البديع المعنوية ثلاثين نوعا ومن اللفظي سبعة ، وقد ألم بتطور البديع في اختصار كثير من الباحثين (١) .

(٧)

وابن المعتز قد تأثر في كتابه ، البديع ، بأستاذه ثعلب وكتباه ، قواعد الشعر ، ويسير على نهجه في العرض وذكر الأمثلة لبعض الألوان البديعية ودراساتها : كالتمثيلية والاستعارة والإنراط والطلاقة المعنى (التعريض) وحسن الخروج ، أما المطابقة عند ابن المعتز فهي مجاورة الأضداد عند أستاذه ، وأما التجنيس عند ابن المعتز فن ألوانه عند ثعلب ، المطابق ، واحتذى قدادة في ذلك اللون وفي تسميته حذو أستاذه ثعلب .

كما جمع ابن المعتز من البيان والتبيين كثيرا من شواهد البديع من الشعر الأدبي ، وكذلك أخذ من الحماسة قليلا من شواهد الشعرية .

(٨)

أما أثر ابن المعتز وكتاباه البديع في بحوث البيان وفي الدراسات البيانية وفي علماء البلاغة وكتبها التي ألفت بعده فنحن نشير إليها الآن :

(١) راجع ٩٧ عتود الجآن - دوى ، ٤٦٧ : وما بعدها حاشية السبكي على التلخيص ، ٤٥ : ٢ تاريخ آداب اللغة لشمس دياب وسوى ذلك من المراجع .

ابن المعتز وقدامة :

أثر ابن المعتز وكتابه البديع في قدامة قليل ويجلى في :

- (أ) أن كثيراً من مثل الاستعارة عند قدامة (١) تجددها عند ابن المعتز .
(ب) ويذكر قدامة أن المحرّرين أكثرها من الطبايع وإن كان الأعراب قد أتوا بكثير منه (٢) ، وذلك هو أساس الفكرة التي يسلمها ابن المعتز (٣) في البديع .
(ج) والالتفات كما عرفه قدامة أخص من تعريف ابن المعتز له ، أو هو جزء منه كما يقولون .

ولكن التفاوت بين السكتا بين كثير :

- (أ) فالطبايع عند ابن المعتز يسميه قدامة النكافز ويذكر مثلاً له لا تجددها في البديع (٤) .

- (ب) ويجعل قدامة المطابق نوعاً من أنواع التجنيس (٥) كاستاذة ثعلب (٦)
(ج) وروح السكتا بين ومنهجها مختلفان كل الاختلاف ومع أن قدامة كان كابن المعتز تليفاً لاستاذة ثعلب (٧) إلا أن الثعلب عليه هو تأثيره بأرسطو وخطابته : سواء في أفكاره العامة في نقد الشعر التي سبقه إليها الجاحظ وسواء من تأثروا بثقافة اليونان ، وذلك كبدعته إلى حسن الدلالة ووضوح العبارة وفصاحة اللفظ وغلوه من اللحن واستكراه الإغراب ، ومن ذلك آراؤه في التشبيه والاستعارة والكتابة والتجنيس ، ونظريته في الفضائل الذي نأثر فيها بأرسطو إلى حد بعيد .

ويمكننا أن نقول : إن بحوث الظلم وعناصر البلاغة في نقد الشعر وفي البيان والتبيين هي مدونة لأرسطو كثيراً ، أما بحوث صناعة الشعر فهي أو الكثير منها مما يستقل به ابن المعتز في بديعه ، والسبيل الذي سلكه الجاحظ كانت خطورة جريته

(١) ١٠٤ - ١٠٦ نقد الشعر
(٢) ١٦ البديع
(٣) ٩٦ نقد الشعر
(٤) ٧٥ وما بعدها نقد الشعر
(٥) ٢٤ قواعد الشعر
(٦) ٨٤ و ٤٦ و ٤٥ و ٤٦ و ١٠٤ و ١١٣ نقد الشعر
(٧) ويكثر قدامة من ذكره والإشارة إليه (٤٥ و ٤٦ و ٨٤ و ١٠٤ و ١١٣ نقد الشعر)

في سبيل تدوين عناصر البلاغة والنظم ، كما كان عمل قدامة في القند ذائع الأثر كبير القيمة ، وكما كان عمل ابن المعتز خطوة جريئة لتدوين البديع ، وإني أرجح أن جد قدامة هو قدامة حكيم المشرق الذي ذكره الجاحظ في رسائله عرضاً وروى شعراً له (١) ، أما والده فهو جعفر بن قدامة صديق ابن المعتز الخميم م ٣١٩ هـ ، وأما قدامة فقد تلمذ مع ابن المعتز على ثعلب ولكنه تعمق في الفلسفة وفي ثقافة اليونان وجاء إنتاجه مصطبغاً بصيغة خاصة يدل عليها كتابه نقد الشعر الذي ألف الآمدي كتاباً في نقده وتبيين غلط قدامة فيه (٢) ، كما ألف عبد اللطيف البغدادي م ٦٢٩ كتاباً في شرحه (٣) .

ابن المعتز والآمدي :

والمراzone للآمدي تتخذ البديع مصدراً كبيراً من مصادرها العلمية ، تأخذ منه وتعتمد عليه إلى حد كبير :

- ١ - فنشأ البديع وأن المحدثين وأبا تمام ليسوا أول السابقين إلى اختراعه يفيض في شرحها الآمدي (٤) نقلاً عن ابن المعتز .
- ٢ - وذكر الآمدي أبا تمام وإفساده لنعره بالبديع نقلاً عن كتاب ابن المعتز (٥) .

٣ - ويشيد بفضل ابن المعتز وعلمه بالشعر وحسن اختياراته في كتاب البديع (٦)

٤ - ويذكر الآمدي مثلاً كثيرة للتجنيس بعضها مأخوذ من كتاب البديع

(١) ٦٦ رسائل الجاحظ

(٢) ١٢٥ للوازنة ، ٥٨ : ٣ معجم الأدباء

(٣) ٢ : ٧ فوات وللبغدادي كتاب توازين البلاغة وله اختصار الصنائع (٧ : ٨ و ٢ فوات) ، وفي كشف الطون يذكر كتابي تسكلة الصلة في شرح نقد قدامة (٦ : ٢٤٦) وكشف الغلالة عن قدامة (٤٠ : ٢ كشف الظنون) وبنب الأول لبديع الخفيف بن يوسف ولله هو شرح البغدادي نقد الشعر ، والكتاب الثاني لله رد على من تند قدامة كالآمدي وسواه

(٤) ٦ - ٨ للوازنة (٥) ٨ و ٩ و ٦١ للوازنة

(٦) راجع ١٤ موازنة في شرح بيت البحتري (نحو الزجاجة لونها) ، وهو في البديع (ص ١٢٩)

ومصرح بذلك الأمدى أبداً (١)، وينتد الأمدى قدامة في مخالفته لابن المعتز في تسميته الطبايق تكاؤاً (٢)، إلى غير ذلك من مظاهر الأثر والاحتذاء .
ابن المعتز وصاحب العمدة :

وابن رشيق في عمده يرجع إلى البديع ويحتذيه :

١ - فهو يشير إلى الكتاب وينوء به (٣)

٢ - وينقل عنه تعريف ابن المعتز للنجنيس ويقول : وهو أول من نحا هذا النحو وجمعه (٤)

٣ - وباب التصدير (رد المعجز على الصدر) في العمدة (٥) تأثر فيه بابن المعتز إلى حد كبير ونقل فيه من البديع وأشار إليه (٦)

٤ - والالفاظ عند ابن رشيق هو الاعتراض ولذلك ذكر من شواهد الشواهد التي ذكرها ابن المعتز للاعتراض (٧)

ويقول ابن رشيق : وقد أحسن ابن المعتز في العبارة عن الالفاظ بقوله : هو انصراف المنكلم من الإخبار إلى المخاطبة ومن المخاطبة إلى الإخبار (٨) .

٥ - والاستثناء عند ابن رشيق هو توكيد المدح بما يشبه الذم (٩) .

٦ - والمذهب السكلافي في العمدة منقول من البديع (١٠)

٧ - وبعض شواهد باب التضمن مأخوذة من البديع (١١)

ابن المعتز والباقلاني :

وأبو بكر الباقلاني م ٤٠٣ هـ يعتمد في كتابه إعجاز القرآن على بديع ابن المعتز اعتماداً كبيراً :

(١) ١٢١ و ١٢٢ الموازنة	(٢) راجع ١٢٤ الموازنة
(٣) ٢٣٥ ج ١ وما بعدها السدة	(٤) ١٩٩ : ١ السدة
(٥) ٣ — ٥ : ٢ السدة	(٦) ٥٠٤ : ٢ السدة
(٧) ٤٢ — ٤٤ : ٢ السدة ١٠٨ البديع	(٨) ٤٤ : ٢ السدة ١٠٦ البديع
(٩) ٧٥ : ٢ السدة ١٠١ البديع	(١٠) ٨٣ : ٢ السدة ١١٤ البديع

فهو ينقل منه مثلاً البيديع (١) ، ويذكر معنى المطابقة عند ابن المعتز (٢) ، وينقل عنه تعريفه للتجنيس (٣) وسواه

ابن المعتز وأبو هلال :

وكتاب الصنائع لابن هلال في الباب التاسع الذي وقفه على دراسة أنواع البيديع (٤) وفي دراسته لباب التشبيه أيضاً (٥) يكاد يكون صورة مطابقة لبيديع ابن المعتز ، فهو يعرض اللون البيديعي كما عرضه ابن المعتز وينقل كثيراً من شواهد كتاب البيديع ولا يزيد عليها إلا القليل من شعر الشعراء المتأخرين عن عصر ابن المعتز .

وعلى أي حال فقد اطلع أبو هلال على البيديع وأخذ منه (٦)

ابن المعتز وعلماء البلاغة :

وكثير من علماء البلاغة المتأخرين قد اعتمدوا على كتاب ابن المعتز اعتماداً وثيقاً :

(أ) فالخالي م ٧٢٩ هـ صاحب حسن التوسل إلى صناعة التوسل ، ينقل عنه تعريف ابن المعتز للاستعارة (٧) وللانفادات (٨) ، ويشير إلى الاستطراد وأن ابن المعتز يسميه الخروج (٩) وينقل عنه شواهد كثيرة (١٠) .

(ب) وكذلك ينقل عنه ابن مالك في المصباح كثيراً (١١)

(ج) وكذلك ينقل عنه الخوي م ٨٣٧ هـ في خزانة الأدب كثيراً (١٢)

(د) ويتوه به صاحب كشف الظنون وبأثره في مؤلفات البيديع (١٣)

- | | |
|---|-----------------------|
| (١) ٦٩ - ٧٢ إيجاز القرآن | (٢) ٧٦ إيجاز القرآن |
| (٣) ٨١ المرجع ، ٥٥ البيديع | (٤) ٢٥٧ - ٣٩٩ الصنائع |
| (٥) ٢٢٦ وما بعدها المرجع | (٦) راجع ٣٩٨ صائغين |
| (٧) حسن التوسل | (٨) ٨٠ المرجع |
| (٩) ٨١ المرجع | |
| (١٠) راجع مثلاً ٨٧ حسن التوسل و ١١٤ البيديع ، ٨٦ حسن التوسل و ١٣٣ البيديع | |
| (١١) راجع مثلاً ١٠٣ و ١٢٤ المصباح | |
| (١٢) راجع مثلاً ٣ و ٦ و ٤١ و ٢٢٥ و ٣٦٧ المخرانة | |
| (١٣) ١٤٨ : كشف الظنون | |

(٥) كما ذكره ونوه به وقيمته العلمية كثير من الباحثين (١) ، واللا برأسامة ابن منقذ كتاب سماء ، البديع ، أيضا (٢) ولم نطلع عليه لئلا نرى منه أثر ابن المعتز فيه ، وكثير من شواهد البديع عند علماء البلاغة المتأخرين هي من شواهد ابن المعتز في كتاب البديع

(٩)

خصائص الكتاب :

وللبديع أهمية كبيرة في فهم نشأة البديع وتطوره في البيان العربي على مر عصورنا الأدبية ، وهو ينحوي في دراسة ألوان البديع نحو الدراسة التطبيقية لواسمة أي لها أثرها في تكوين المنسكة والذوق ودعم الفكرة والرأى في نفس القارىء . ويشتمل الكتاب على ٣١٢ شاعدا من عيون الشعر العربي نابغ ٤٢٥ بيتاً أو يزيد فوق ما اشتمل عليه من بليغ النصوص والشواهد من الذكر الحكيم وحديث رسول الله وكلام الصحابة والأعراب ولبقاء الكتاب . والكتاب مع ذلك خـسـلو من الاصطلاحات العلمية الدقيقة وتحديثات المطابع الحديثة ، وهو يكتفى في توقيفك على مدلول الآراء البديعية بشرح أدبي موجز حيناً وبما تدل عليه الشواهد حيناً آخر وبأـلـوب يفيض بلاغة وسهولة مما يدل على ذوق سليم وفطرة عربية مطبوعة .

وأهم سمـة يمتاز بها الكتاب بعد ذلك كله هو النظام الدقيق في العرض مما يتجلى في جميع أبواب الكتاب مع الذوق وسعة الإطلاع وحسن الاختيار في جمع شواهد الكتاب ، وهو فوق ذلك أول خطوة علمية موفقة في التأليف في البديع والبيان ، وإذا غضضنا النظر عن الخطورة الأولى التي خطاها ثعلب في كتابه وقراءند الشعر . كان عمل ابن المعتز جديداً مبتكراً من كل نواحيه .

(١) ١٠٣ : ٢ زيدان ، ٢٢٦ الزيات وسواما

(٢) ١١٩ : ١ كلف القانون ، ومه نسخة خطية بمكتبة بلدية الإسكندرية رقم ١٣٤٤ ب

في ١٢٩ ورقة كتيبت عام ٧١١ هـ

الفصل الثالث

كتاب البديع لابن المعتز

تمهيد

(١)

في مكتبة الاسكوريال بمدريد برقم ٣٢٨ آداب توجد نسخة خطية من كتاب البديع للخليفة العباسي الناصر أبي العباس عبد الله بن المعتز المقتول في عام ٢٩٦ هـ وهي النسخة الوحيدة الموجودة من الكتاب في جميع مكتبات العالم . وقد قام المستشرق الروسي اغناطيوس كراتشكوفسكي بنشر الكتاب باللغة العربية ، معتمدا على نسخة الاسكوريال الخطية ، وطبعه عام ١٩٣٥ بمطبعة استيفن أوستن بمدينة هرت فورد بإشراف لجنة تذكارية الانكليزية . وكان الأستاذ كراتشكوفسكي عضواً بأكاديمية العلوم بليفينغراد ضمن روسيا الأولى ، وقد أنعمت حكومة السوفييت عليه في يونيو عام ١٩٤٤ بوسام لينين ؛ لأنه أنقذ مكتبة لينتجراد ، بقيت في مأمن من الضرب والتلف ، بفضل ما بذله من جهود في خلال حصار المدينة وضربها المستمر بمدافع الألمان وقنايل طائراتهم في الحرب العالمية الثانية (١) .

وهو من المستشرقين الذين وقفوا وقفهم وجهودهم على دراسة العلاقات بين الإسلام والبلدان الداخلة في الاتحاد السوفيتي على الخصوص ، وله في ذلك مباحث قيمة ، وهو الذي نشر كتاب البديع لعبد الله بن المعتز الخليفة العباسي البائس ، كما أنه نقل إلى الروسية كتاب الأيام للاكتور طين حسين وقد أخرج هذا المستشرق الكتاب بالعربية في سبع وسبعين صفحة .

(١) راجع المصرد عدد ١٧ يونيو / ١٩٤٤ .

وأضاف إليه عدة فهارس وتعليقات ومقالات، ويستغرق ذلك نحو ثمة صفحة أخرى والمجهود الذي قام به الأستاذ الروسي بمجهود منظم ، ولكن الكتاب الذي نشره معلوم بالأخطاء والتعريفات ، ولذا يمتدئ الأستاذ إلى تصحيح أخطائه الكثيرة .

وقد تبنى للباحثين بعمل هذا المستشرق الاطلاع على هذا الكتاب القذ النادر ، والإفادة بما فيه من بحوث تعتبر المصدر الأول للؤلئين في البلاغة والبيان وفن البديع ، الذي يعتبر ابن المعتز أول من ألف فيه . كما يقول ابن رشيق (١) في حمدته وسواء من الدلائل (٢) ، وكما يقول ابن المعتز نفسه في هذا الكتاب ، إذ يقول : « وما جمع فنون البديع ولا يفتنى إليه أحد » (٣)

وقد حفزنى ما لهذا الكتاب من أثر على كبير ، وما يحتاج إليه من جهود جديدة تخدمه وتبني السبيل لدارسته ، إلى القيام بشرحه والتعليق عليه ، موجهة عتائى إلى الإشارة إلى كثير من المصادر الأدبية الهامة في مراجعة نصوصه ، وإلى المقابلة بين روايات الكتاب وروايات هذه المصادر ، وإلى الترجمة للأعلام الواردة في الكتاب ، وإلى شرح نصوصه الأدبية شرحاً أدبياً واسعاً ، ثم إلى كتابة كلمة تحليلية للكتاب وأثره العلمى الخالد .

وهذا المجهود الذى بذلته — على أنه شاق — يعتبر ضرورة لازمة لهذا الكتاب ، وتنمياً للخطوة الأولى التى بدأ بها ناشره ، وخدمة أدبية كبيرة لكتاب يستحق هذه الخدمة وتلك الجهود ، وهو تذليل واسع النطاق للصعوبات الكثيرة التى تحيط بدراسى الكتاب وقارئيه ، فوق أنه عمل جديد فى ميدان البحث العلمى والأدبى جميعاً .

(٢)

وقد ألف هذا الكتاب عام ٢٧٤ هـ ، ألفه الأمير العباسى الشاعر الأديب العالم أبو العباس عبد الله بن الخليفة المعتز بالله بن الخليفة المتوكل بن الخليفة

(١) السبعة لابن رشيق ٣٣٥ : ١ طبع القاهرة ١٩٣٤

(٢) ٤٥ : ٢ أدب الله لمحمد دياب ، ١٤٦ : ١ معاهد التنصيص ، ٢٧٦ أدب الله للزيات ، ٢٠٨ مجموعة النظم والنثر (٣) ١٠٦ البديع .

المعتز بن هرون الرشيد أعظم خلفاء بني العباس ، ونسخه منه صديقه الأديب الشاعر الناقد ابن يحيى بن أبي المنصور المنجم^(١)

وقد ألفه وسنه إذ ذاك سبعة وعشرون عاما ؛ أى بعد أن استكمل الكثير من خصائص شخصيته الثقافية والأدبية ؛ فكان إذ ذك الشاعر المهتم ، والأديب الفذ ، والكتاب البليغ ، والناقد الواقف على خصائص الأدب والبيان ، والعالم المحيط بكثير من ألوان الثقافة العربية ، وكانت ظروف الحياة السياسية إذ ذك تبعد ابن المعتز عن السياسة وتصله بالعلم والأدب ، فقتل أبيه المعتز عام ٢٥٥ هـ ، وما استتبعه من أحداث ، مما أهدى عرش الخلافة عن بيت ابن المعتز إلى بيت أعمامه وأبناء أعمامه ، وجده محاطا بالنك والريبة من نفوس هؤلاء وهؤلاء ، وكاد أن يقضى على آماله الواسعة وهو في مستهل حياته وفي مقتبل شبابه ، وفرض عليه أن يظهر الوثام مع رجال الحياة السياسية إبان ذلك ، وأن يبدي لهم طيب طاربه وإخلاص سريره ، حتى يطعن هؤلاء الخلفاء هؤلاء العمد من جهة ، فأخفى ابن المعتز أمانيه المتغلغلة في أعماق نفسه ، وعاش للألم والعلم يروى ظمأ من مشارعها العذاب .

ولون الثقافة البادية على الكتاب هو الثقافة العربية الخاصة من شوائب الثقافات الأخرى ، فهو مظهر ثقافة أدبية واسعة ، تتم عن اطلاع عميق على كتب الأدب والنقد والبيان التي كانت في متناول الشباب الناشئين إذ ذك ، لاسيما كتب الجاحظ عامة ، والبيان والبيان خاصة ، كما تم عن نشأة عالية على يد شيوخ العربية وأئمتها ، الذين تولد عليهم ابن المعتز في ذلك العهد . والظاهر أن كتاب البديع هو من أوائل مؤلفات ابن المعتز^(٢) ، وأنه ألفه قبل أن يلج ثقافة أخرى سوى الثقافة العربية ، ولذلك فهو نتاج عربي خاص سبق فترة التلقيح التي مرت على تطور البيان العربي بعد عهد ابن المعتز وعلى يد قدامة ومن تلاه من أئمة النقد والبيان ، وإذا ما قارنا بين البديع لابن المعتز وفصول الخليل أحد مؤلفاته الذي ألفه في أواخر حياته وجدنا الأول عربيا خالصا في ثقافته من حيث كان

(١) راجع ١٠٦ من هذا الكتاب

(٢) لم ينس ابن المعتز في كتاب البديع إلى مؤلفات له اللهم إلا إلى كتابه « الفصول القصار » (راجع ص ٩٠ من هذا الكتاب)

الثاني مظهرا للثقافة متنوعة متعددة تستمد من شتى الثقافات ما تعرضه عليك من آراء وبحوث .

(٢)

وكتاب البديع بعد ذلك كله حافل بالنصوص الأدبية من الشعر والنثر التي جمعها ابن المعتز حين أخذ يمرض ألوان البديع ، وساقها في نظام جميل ، فهو يعرض عليك ما يجمده لهذا اللون البديعي أو ذاك من نصوص أدبية من القرآن والآلة وأحاديث رسول الله حاذقا منها أساسا نديها ، ومن كلام الصحابة والأعراب وغيرهم من جلة الكتاب وزعماء البلاغات ، ثم من عيون الشعر العربي مبتدئا بشعر الجاهليين ثم الإسلاميين ثم المحدثين ، وهذا كما يقول ابن المعتز « ليدل أن بشارا ومسلما وأبا نواس ومن تقيهم لم يسبقوا إلى هذا الفن (أي البديع) ، ولكنه كثر في أشعارهم ، فعرف في زمانهم ، حتى سمي بهذا الاسم ، ثم أكثر حبيب بن أوس الطائي منه ، فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض ، وتلك عقي الإفراط ، وإنما كان يقول الشاعر من هذا الفن البيت والبيتين في القصيدة ، وربما قرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع (١) » ، « وإنما عرضنا من هذا الكتاب تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع (٢) » .

ويتم كلام ابن المعتز هذا على جدول أدبي حول البديع واستساغته في الشعر وسائر ألوان الأدب العربي : ففريق من رجال العربية وآمه تكلفا يذهب بروعة الطبع وسحر الملوكات في الأداء ، فذمه وعابه ، وتنقص الشعراء البديعيين ، ذاهبا إلى أن البديع لو كان خيرا لكان القرآن والحديث وشعر المتقدمين من الجاهليين والإسلاميين أولى به من شعر المحدثين وأدب المحدثين ، وفريق آخر ذهب إلى استحسانه ، ولم ير في نوشية نتاج الطبع بألوان الصنعة الساحرة شيئا من الإهم يستحقون عليه المؤاخذه ، فألموا بفنون من البديع في آثارهم الأدبية المختلفة ، وكان من نتائج هذا الخلاف الأدبي الواسع أن وجد مذهب يباقي وسط بين مذهب الناقين على البديع ومذهب المسرفين فيه ، يدعو إلى قبول هذا النوشى البديعي في الأداء ، مادام قريبا

(١) راجع الكتاب ص ١٥ و ١٦ (٢) راجع ص ١٨ من هذا الكتاب

من الطبع ، بعيدا عن الصنعة والتكلف ، يتعلبه الغرض الذي سبق له ، والأسلوب الذي سبق فيه ، وأعمل في ما ذكره ابن المعتز عن أبي تمام في كلفه السابقة ما يدل على أنه هو نفسه كان ينحو نحو هذا الاتجاه ، ونقول : إن هذا هو نفس اتجاه الجاحظ ، لحين ذكر السجع ذكر آراء رجال البيان فيه : استساغة وذما ، ثم ذكر وجه من ذمه ، ثم ذهب هو إلى إثارة المطبوع منه دون المتكلف (١) ، وقد أيد ابن المعتز رأيه بالبحث عما في الكتاب والحديث والشعر الجاهلي والإسلامي من بديع .

(٤)

ولقب البديع ليس لقباً مستحدثاً في عهد ابن المعتز ، ولكنه اسم لهذه الألوان الساحرة في الأسلوب ولهذا الترف البياني في الأداء ، من استعارة وتشبيه وتجنيس وعطيق ونحو ، سماه به مسلم بن الوليد الشاعر م ٢٠٨ هـ ، وكان يعرف قبل ذلك باللطيف (٢) . ودرج على هذا اللقب من بعده من العلماء والأدباء ، وقد ذكر الجاحظ البديع في «البيان والتبيين» قال : «والراعي كثير البديع في شعره» ويشار حسن البديع والمتناهي بذهب شعره في البديع ، وقال : «والبديع مقصور على العرب ومن أجله قاقت لذتهم على كل لغة وأرابت على كل لسان» وقد ساق ذلك عرضاً حين ذكر بيت الأشهب بن رميلة :

هو ساعد الدهر الذي يتقى به وما خير كف لا تنوء بساعد
قال الجاحظ : قوله : «هو ساعد الدهر» إنما هو مثل ، وهذا الذي تسميه الرواة البديع (٣).

وذكر الجاحظ المتناهي ثم قال : «وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله في البديع يقول جميع من يتكلف ذلك من شعراء المولدين : كاتنرى ، ومسلم وأشباههما» وكان المتناهي يمتدح حذو بشار في البديع ، ولم يكن في المولدين أصوب من بشار وابن هرمة (البيان ج ١ ص ٥٤ و ٥٥) .

(١) البيان والتبيين ص ١٩٤ و ١٩٥ : ١ (٢) راجع ج ٢ ص ١٠ ساعد التلمص
(٣) • • • ص ٢٤٢ : ٣

فلقبه «البدیع» كان معروفًا — كما قلت — قبل ابن المعتز (١). أما ألقاب ألوانه وفنونه فبهذهما كان معروفًا قبله : كالنشبية ، فقد ذكر الجاحظ له شواهد في بيانه (ج ٢ ص ٢٢٩) ، ونسكلم عنه ثعلب في قواعد الشعر (ص ١٤ - ١٨ طبع لندن) ، وعقد المبرد م سنة ٢٨٥ هـ في كماله بابًا واسمًا لدراسة النشبية وتحليل كثير من أبلغ شواهد الأدبية (راجع ٣٥ - ١٠١ / ٢ الكامل طبعة ١٣٥٥ هـ بالقاهرة) ، وما كتبه المبرد و ثعلب عن النشبية كان أساسًا لابن المعتز وسواه ؛ وكلاستعارة ، ذكرها الجاحظ وعرفها بأنها « تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه » (بيان ج ١ ص ١١٦) ، وعرفها ثعلب في قواعد الشعر بأنها أن يستعار للشيء اسم غيره أو معنى سواه (ص ٢١) ، وكالتقديم والتفصيل (بيان ج ٢ ص ٩١ و ٩٢ و ج ١ ص ١٧٠) ، وكالاستطراد الذي أشار إليه الجاحظ دون أن يذكر اسمه ويسميه ابن المعتز : حسن الخروج (ج ٣ ص ٢٠٥ و ج ١ ص ١٣٨) ، وأبو تمام هو الذي سماه استطرادًا (٢) ؛ وكجودة الابتداء (٨٩ / ١ بيان) التي يسميها من بعد الجاحظ كابن المعتز بحسن الابتداء ، ويسميا المتأخرون : حسن الابتداء وبراعة الاستئلال ، وجودة القطع والقافية (بيان ج ١ ص ٨٩ و ٩٠) ، ويعني بها استقرار عاتمة الكلام وقافية البيت في مقرها وحسن ملامتها للعرض المقصود ولما قبلها من الكلام ، قال ابن رشيق في العمدة : ورواية الجاحظ تدل على أن المقطع آخر البيت أو القصيدة ، وهو بالبيت أليق (١٩٠ / ١ العمدة) ، وكالمذهب السكلاي ، والجاحظ هو الذي سماه هذا الاسم (٣) وهو القياس المنصر عند أصحاب الخطابة والمنطق ، والتطبيق كان معروفًا بمعنى إصابة الكلام العرض المسوق له ، أو كما يقول الرماني : مساواة المقدار من غير زيادة ولا نقصان واختاره ابن رشيق (٤) ، وذكره الجاحظ كثيرًا في بيانه (٥) ، وهو بهذا المعنى خلاف ما عرف عند ابن المعتز حيث سماه (مطابقة) مريدًا به الجمع بين الشيء

(١) ويقول ابن المعتز في كتابه : البدیع اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأدين منهم أما العلماء بالغة الشعر القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو وما جمع فنون البدیع ولا سبق إليه أحد « ص ٢٠٦ » .

(٢) راجع ص ٤ مقدمة ديوان البحتري طبع ١٩١١ بالقاهرة و ٣٨ : ٢ المدة

(٣) ١٠١ البدیع ، ٧٥ : ٢ المدة لابن رشيق (٤) ٦ : ٢ المدة

(٥) ٨٦ — ٨٩ : ١ ، ١٣٣ : ٢ البيان والبيان

وما يقابله في الكلام (١) ولكن الأهمى سبق ابن المعتز إلى ذلك المعنى وتسميته بالمطابقة (٢/٦ الممعدة) ، ويسميه قدامة في نقد الشعر التكافؤ (٢) ، ويسميه ثعلب في قواعد الشعر : مجازة الأضداد (ص ٢٤ طبع ليدن) ، وكلاهما في الصفة ، فقد ذكر ابن قتيبة في الشعر والشعراء كثيرا مما أخذه على الشعراء من إفراط ، مسميا لهذا النوع من المطابقة بهذا الاسم ، فيقول في مهابل وهو أحد الكذبة لقوله ولولا الريح البيت (٣) ، ويقول في الفر بن تولب : ومن إفراطه قوله يصف السيف الخ (٤) ، ويذكره المبرد في كماله كثيرا (٥) ، ويذكره ثعلب في قواعد الشعر (ص ١٨ و ١٩ طبع ليدن) .

وأما التجنيس (٦) والاعتراض والالتفات وتأكيد المدح بما يشبه الذم وتجاهل العارف والتعريض (٧) وحسن التضمين والرجوع ورد الإعجاز على الصدر والحزل الذي يراد به الجلد ، فنسكاه كما أن نكون ألفاها خصصها ابن المعتز بجدولاتها الفنية .

(٥)

أما موضوع كتاب البديع فهو ذكر لآلوان البديع وشواهدا في الأدب العربي شعرا ونثرا ، ويذكر مؤلفه ما أثر للربن البديعي من شاعر في كتاب الله ، ثم في حديث رسوله ، ثم في كلام الصحابة وسواهم ، ثم الأعراب وبلغاء الكتاب ، ثم يذكر كثيرا مما أثر له من شواهد في الشعر العربي : الجاهلي والإسلامي فشعر المحدثين ، ويختم الكلام على كل لون يذكر ما عيب من شواهد المتكلمة الخارجية عن حدود البلاغة وسحر البيان .

والبديع عند ابن المعتز خمسة أنواع :

الاستعارة ، التجنيس ، المطابقة ، رد أعجاز الكلام على ما تقدمها ، المذهب الكلامي .

- (١) ويسميه ثعلب المطابق « ٢٤ قواعد الشعر طبع ليدن » ، وتبعه قدامة فسمى نوعا من الجنس بذلك الاسم ٩٦٥ نقد الشعر
(٢) ٨٥ هـ الشعر (٢) الشعر والشعراء ص ٩٩ (٤) الشعر والشعراء ص ١٠٦
(٥) ١٧٣ : ٩ ، ٤٦ و ٨٧ : ٢ الكامل للمبرد ط ١٣٥٥ بالقاهرة
(٦) راجع إعجاز القرآن لباقلائي ص ٧٩
(٧) في قواعد الشعر ثعلب « ص ١٩ طبع ليدن » يذكر « لطانة المعنى » ويعرفها بأنها الدلالة والتعريض على التصريح ، ثم يذكر أمثلة كثيرة لها

ويجعل ابن المعتز ماعدا ذلك من محاسن الكلام والشعر ويقول : إنها كثيرة ولا يرى حرجا في إضافة هذه المحاسن أو غيرها إلى البديع (١) ، وذكر من هذه المحاسن ثلاثة عشر نوعا وهي :

الالتفات ، الاعتراض ، الرجوع ، حسن الخروج ، تأكيد المرح بما يليه ، الدم ، تجاهل المعارف ، المزل الذي يراد به الجذ ، حسن التضمن ، التعريض ، الكناية ، الإفراط في الصفة ، حسن التشبيه ، لزوم ما لا يلزم ، حسن الابتداء . وبذلك تنتهي ألوان البديع ومحاسن الكلام وينتهي معها الكتاب .

ويقول السيوطي عن البديع (٢) : « أول من اخترع ذلك ابن المعتز فجمع منها سبعة عشر نوعا ، وعاصره قدامة فجمع منها عشرين نوعا ، تواردا منها على سبعة ، فكان جملة مازاده ثلاثة عشر نوعا فتكامل بها ثلاثون نوعا ، ثم تقيعها الناس لجمع العسكري سبعة وثلاثين ثم جمع ابن رشتي مثلها وأضاف إليها خمسة وستين بابا من الشعر ، وتلاهها شرف الدين الناشي . فبلغ بها السبعين ثم تكلم فيها ابن أبي الأصم واستخرج عشرين وكتابه المحرر أصبح كتب هذا الفن لاشتهاله على النقل والنقد ، الخ ، وهذا رأي ابن السبكي أيضا وهو صحيح . فمن نجد ألوان البديع عند ابن المعتز هي ثمانية عشر لاسبعة عشر (٣) ، وهو عند أبي هلال ستة وثلاثون يضاف إليها التشبيه الذي ذكر في بحث مستقل (٤) ، ومنها سبعة من زياداته وهي : التشطير ، المجاورة ، التقرير المضاعفة ، الاستشهاد ، التلطف ، المشتق (٥) ، وهي عند قدامة عشرين نوعا لاغير : التصريع ، التصريح ، الغلو أو الإفراط ، صحة التقسيم ، صحة المقابلة ، صحة التفسير ، التتميم ، المبالغة ، التكاثر ، الالتفات ، الاستغراب أو الطرافة ، المساواة ، الإشارة ، الإرداف ، حسن التشبيه ، التمثيل ، المطابق أو المجانس ، التوشيح ، الاستعارة ، الإيغال . ويتفق قدامة مع ابن المعتز في سبعة أنواع منها ، كما قال ابن السبكي وهي : الغلو أو المبالغة (أو الإفراط في الصفة كما يسميه ابن المعتز) ، التكاثر (أو

(١) ١٠٦ البديع .

(٢) شروح التلخيص ج ٤ ص ٤٦٧ ، شرح علود الجمان للسيوطي ص ٩٢

(٣) أنهم إلا إذا لم يند الإعانات (لزوم ما لا يلزم)

(٤) ٢٢٦ صناعتين وما بعدها

(٥) الصناعتين ص ٣٩٩ — ٤١٦ ص ٢٥٨ أيضا

المطابقة كما يسميه ابن المعتز (١)، المجانس (أو التجانس كما اقيه به ابن المعتز) ، حسن التشبيه ، الالفاظ (٢) وممناء عند ابن المعتز غير ممناء عند قدامة (٣) ، الكناية (٣) ، الاستعارة .

(٦)

ولكتاب البديع ميزات كبيرة الأهمية :

فهو ينحو في دراسة ألوان البديع وفنونه دراسة تطبيقية واسعة ، لها أثرها في تكوين المذكرة والذوق ، وفي دعم الفكرة والرأى في نفس القارىء ، وحديثك أن الكتاب يشتمل على ٣١٢ شاهداً من عبون الشعر العربي تبلغ حوالى ٤٢٥ بيتاً أو يزيد ، فوق ما اشتمل عليه من بلغ الشواهد من : الذكر الحكيم ، وحديث رسول الله ، وكلام الصحابة والأعراب ، وبلغاء الكتاب . والكتاب مع ذلك مطبوع بالطابع الأدبي الخاص ؛ فهو خلو من الاصطلاحات العلمية ، وتحديثات المنطقيين العميقة ؛ وهو يكتفى في توقيفك على مدلول اللون البديعي بشرح أدبي موجز حيناً ، وبما تدل عليه الشواهد حيناً آخر ، وبأسلوب واضح يفيض بلاغة وسهولة .

ويمتاز بمصافة الذوق وسعة الاطلاع وحسن الاختيار في جميع شواهد الكتاب .

وكذلك بالنظام الدقيق في العرض مما يتجلى لك في جميع أبواب الكتاب . والكتاب يمد أول خطوة عملية موفقة في التأليف في البديع وفي البيان ، فلا شك أن بعضاً من موضوعات الكتاب كالاستعارة والتشبيه هما العمود الفقري للبيان العربي عند علماء البلاغة والبيان ، أما ما عداهما من أنواع البديع الباقية الى احتوى عليها الكتاب فهو أهم أبواب البديع عند علماء البديع .

(١) راجع ٨٧ عدد الشعر ٣٨٣ المتنازعين .

(٢) يبنى به قدامة مايشمل التخييل وشبه كمال الاتصال .

(٣) يسميها قدامة الأرداف . ويبدأ بها المعنى الاصطلاحي المروف لكناية وهي عند ابن المعتز مراد بها المعنى القوي العام

(٧)

وقد ألف ثعلب إمام (١) - العربية م ٢٩١ هـ كتاباً باسمه «قواعد الشعر» وكان هو أحد مؤلفات هذا العالم الكبير ، وللدرد كتاب اسمه : «قواعد الشعر» أيضاً ، لا ندري عنه ولا عن موضوعه شيئاً ، ولا نعلم من منهما الذى سبق بتأليف كتابه ، وإن كان يظن على ظنى أن ثعلباً هو السابق بتأليف كتابه لنقدمه فى السن ، والكتاب جديد فى شئ نواحيه .

أما من حيث موضوعه فقد درس ثعلب فى الكتاب هيكل الشعر العربى دراسة عامة جيدة جميلة مبتكرة ؛ فتكلم على قواعد الشعر العامة وأنها أربع : أمر ونهى وخبر واستخبار ، ولا شك أن ذلك لا يكتفى بالشعر وحده ، بل الأثر مثله فيه ؛ وعرض لفنون الشعر وقسمها إلى : مدح وهجاء ومرثية واعتذار وتشبيه وتشبيب واقتصاص أخبار . وذكر شواهد للتشبيه الجيد ، وشواهد لرائع المديح . ثم تحدث عن : المبالغة (الإفراط فى المديح) ، وذكر شواهد لها من الشعر العربى وعن لطافة المعنى (التبريض والكناية بدل التصريح) وشواهد لها ؛ والاستعارة ومثابها ؛ وحسن الخروج أو التخلص كما يقول البلاغيون ، وبجاورة الاختداد أو العطباق كما يسميه البلاغيون ؛ والمطابق وهو نوع من الجناس ، مع ذكر نماذج لكل باب من هذه الأبواب من جيد الشعر الجاهلى والإسلامى والاموى ، دون أن يتخطى ذلك فى الاستقهاد إلى شعر المحدثين ، ثم عرف الجزالة فى الشعر ، وتكلم على اتساق الظلم ومعرزاته . وأخيراً تجده يقسم الشعر خمسة أقسام ويتحدث عن كل قسم ويحدده ويوضحه ويذكر شواهد كثيرة له وبذلك ينتهى الكتاب .

والكتاب أولى أثر على لعالم من علماء القرن الثالث يتحدث فيه مؤلفه عن الشعر بهذا اللون من الدقة والتحديد والوضوح والفهم للشعر والأدب والتذوق لها والوقوف على آثار بلاغتهما .

والبديع لابن المعتز م ٢٩٦ هـ لا يشارك «قواعد الشعر» فى هذا لأن ابن المعتز ألف «البديع» ليتحدث فيه عن ألوان البديع العامة كما كان يمرقها هو ويعرفها عصره ، لا ليتحدث عن الشعر بمثل هذا الحديث الفنى .

(١) راجع ١٣٤ : سيجم الأدباء .

و « الرسالة العذراء » لابن المديرم ٢٧٩ هـ لاتشارك « قواعد الشعر » في ذلك أيضا ، لأنها إلى البلاغة أقرب منها إلى الحديث عن الشعر . و « السكامل » للبرد م ٢٨٥ هـ ليس فيه أثر للتخصص في دراسة الشعر أو البديع أو البلاغة بوجه عام . و « البيان » للجاحظ وما فيه من دراسات عن الشعر أو النقد أو البيان هي عامة لا تخصص فيها ، والكتاب لم يؤلف لها ، وأحكامه الأدبية والبيانية أحكام مقارنة ليس فيها مثل هذا الوضوح ولا مثل تلك الدقة .

وأما أثر قواعد الشعر في البيان فهو ولا شك أثر كبير ، فنحن نجد أنفسنا لأول مرة أمام عالم يؤلف ويكتب ويتحدث عن كثير من ألوان البديع والبيان : كالتشبيه ، والاستمارة ، والطاقة المعنى ، أو التعريض والكتابة كما نقول نحن ، وكالإفراط في المعنى (المبالغة) ، وحسن الخروج ومجاورة الأضداد (الطباق) ، والمطابق (لون من ألوان الجناس) . والثلاثة الأنواع الأولى هي أصل علم البيان ، وباقي الأنواع هي أبرز ما في البديع من فنون . وابن المعتز من غير شك مدين لأستاذه ثعلب في هذه الدراسة ، فنحن نكاد نجزم بأن ثعلبا ألف هذا الكتاب قبل أن يؤلف ابن المعتز كتابه « البديع » عام ٢٧٤ هـ لأن ثعلبا عالم معمر ، ولأنه لو كان ابن المعتز قد سبقه بالتأليف لما أمكن ثعلبا أن يقف عند هذا الحد في عرض ألوان البيان والبديع الساحرة في الشعر العربي والقي ألم بها ابن المعتز ، مثل الالتفات والاعتراض وتجاهل المعارف والمزول يراد به الجدد وحسن الابتداء وحسن التضمين وتأكيده المدح بما يشبه الذم والمذهب السكالي وغيرها : إذ كان ثعلب ولا شك سيستفيد من دراسات ابن المعتز - لو كان ابن المعتز قد ألف كتابه « البديع » قبل أن يؤلف أستاذه « قواعد الشعر » - وسيعاود أن يقتبس منها بعض الاقتباس في كتابه .

فثعلب إذا هو أول من كتب في مؤلف عن هذه الألوان البيانية والبديعية يمثل هذا الوضوح والعرض والنظام ، وذلك أثر غير قليل لثعلب في فن البيان .

ومن الغريب أن لا يشير ابن المعتز في « البديع » إلى كتاب « قواعد الشعر » مع أنه ساق بعض الشواهد الواردة في « قواعد الشعر » ومع أنه قريب في تحديد الاستمارة وغيرها من أستاذه ثعلب . بل ومن الغريب أيضا أن يخالفه في تسمية « المطابق » الذي سماه ثعلب « مجاورة الأضداد » وفي تسمية « الجناس » الذي سمي ثعلب نوعا منه « المطابق » ، ولكن لاضير في اختلاف الاصطلاحات ، فلكل مؤلف

أو مبتكر الحق في تسمية ما يشاء بما يشاء ، ومن قبل ذكر أرسطو أنه مطابق لكل أحد احتاج إلى تسمية شيء ليعرفه به أن يسميه بما شاء من الأسماء. (١) ولكن الغريب حقاً أن يقول ابن المعتز عن نفسه ، وما جمع فنون البديع ولا سيقني إليه أحد (٢) ، ، فلا شك أن الثعلب الفضل في أنه جمع في ، قواعد الشعر ، أم ألوان البديع التي ذكرها ابن المعتز في كتابه مثل : التشبيه والاستعارة ولطاقة المعنى والعريض ومجاورة الأضداد والمطابق ، وهذه الأنواع هي أهم ما في كتاب ، البديع ، لابن المعتز من ألوان البديع ، ، وقواعد الشعر ، يتنازع بأنه يعرض لأصل هام في البلاغة العربية بتقسيمه الشعر : إلى خير واستخبار وأمر ونهى ، وأما أثر الكتاب في الأدب والشعر فلا شك فيه لوضوحه ، فهذا الحديث عن الشعر بهذا الأسلوب قد أفاد دراسات الشعر ودراسات الأدب جميعاً ، فوق ما في الكتاب من شواهد كثيرة من جيد الشعر العربي تبلغ نحو المائتين بيتاً ، فوق هذا العرض الجليل لفنون الشعر وألوانه العامة

وأما أثره في النقد الأدبي بمعنى العام ، فالكتاب نراه يتحدث عن الجزالة في الشعر ، وعن أنساق النظم ، وعن أقسام أخرى للشعر في أسلوب جيد ، وعرض هو إلى النقد أقرب منه إلى الشعر أو البلاغة : مما لا شك في قيمته في النقد فوق قيمته في دراسات الشعر .

(٨)

ويرجع قدامة إلى والبديع ، في كتابه نقد الشعر ، وكذلك رجع إليه الأمدى كثيراً حين ألف موازنه (٣) . وكتاب ، الصنائع ، لأبي هلال - في الباب التاسع الذي وقفه على دراسة أنواع البديع (٤) يكاد يكون صورة مطابقة لبديع ابن المعتز تمام المطابقة ، فهو يعرض عليك اللون البديعي ، كما عرضه ابن المعتز ، وينقل كل الشواهد التي احتواها كتابه ، والبديع ، ، ولا يزيد عليها إلا القليل من الشواهد للنعراء المتأخرين عن عصر ابن المعتز .

وكذلك كان مصدراً كبيراً لابن رشيق حين درس في عمدته ألوان البديع ،

(١) ٧٤ نقد النثر ط ١٩٣٧ .
(٢) راجع ص ٧ و ٨ و ٩ و ١٤ و ٦١ و ١٢٢ و ١٢٤ من الموازنة (طبع صبيح)
(٣) ٢٠٧ - ٤١٦ ص ٢٠٧
(٤) ١٠٦ البديع .

وقد أشاد به إشادة الماروف بقيمته وخطره (١) ونقل عنه الكثير من شواهد فنون البديع في عمدته ، ويشير إليه الباقلائي في إعجاز القرآن ، ويأخذ منه (٢) وكثير من مثل ألوان البديع عند علماء البلاغة المتأخرين كالحطيب ومن سواه .
هي من شواهد كتاب البديع ، سبقهم إلى جمعها من شتى أبواب الأدب العربي ، وأحصاها في كتابه القيم ، البديع ، .

و ، للبديع ، أهميته الكبيرة في فهم نشأة البديع وتطوره في الأدب العربي وعلى مرور عصوره الأدبية المختلفة وهو من هذه الناحية كبير الأثر عظيم الخطر ، وكل من عرض لنشأة البديع وتطوره من علماء النقد كالأمدى والقاضى الجرجاني وسواهما فلا شك أنه كان متأثراً بكتاب البديع .

ولا يفوتنا أن نشير إلى أهم المصادر لكتاب البديع . وأجل هذه المصادر وأهمها كتاب قواعد الشعر للشلب الذى احتضنه ابن المعتز : في التأليف والبحث في أساليب البديع ، وكتاب البيان والتبيين للجاحظ ، حيث أخذ منه ابن المعتز كثيراً من النصوص والشواهد المختارة من بديع النثر الأدبي ، وقد أخذ ابن المعتز من حماسة أبي تمام بعض شواهد البديع من الشعر العربي .

كما لا يفوتنا أن نشير إلى أننا قد وضعنا بعض عناوين للكتاب من عندنا (٣) وأخيراً فهذا هو كتاب البديع ، وهذا مجهودنا الشاق في : شرحه شرحاً أدبياً مستفيضاً ، وفي الترجمة بجمع الأعلام الواردة فيه (٤) ، وفي تحقيق الكثير من رواياته الأدبية ، وفي تحليل الكتاب الذى عرضناه عليك في هذه المقدمة .

نعرض كل ذلك على الباحثين ، راجين أن نكون قد أصبنا الهدف ، فجا نقدناه من توفيق ، وأردناه من خدمة لهذا الأثر الخطير .

(١) ١١٠ و ٢٢٥ : ١ العدد

(٢) راجع ص ٧٩ و ٦٩ وما بعدها و ٨٩ من إعجاز القرآن لباقلائي (طبع القاهرة ١٩٤٩هـ) في الموضع الأول يشير إليه ، وفيما بعده يأخذ منه دون إشارة إليه

(٣) كما أننا صححنا أخطاء الأصل الخطأ للكتاب ، الذى نشره المستشرق الروسى وكل كلمة تناولناها بالصحيح فقد أشرنا إلى أصلها كما ورد في أصل الكتاب وبيننا ذلك في هامش هذا الشرح .

(٤) في هذا الشرح نحو مائتي ترجمة ، وفيه شرح نحو ٤٢٠ بيتاً من الشعر ، فوق مائتيه من شرح النصوص النثرية وتحقق الروايات الأدبية

آراء المستشرق كراتشوفسكي في الكتاب

بحث . كراتشوفسكي ، في المقدمة التي كتبها لكتاب البديع باللغة الإنجليزية مسألين :

- ١ - احتمال التأثير الأجنبي على نظرية الشعر العربي
- ٢ - أسبقية ابن المعتز أول من ترك في هذا الميدان بحوثاً منهجية ، وقد ذكر أن له بحوثاً منظمة أخرى حول احتمال وجود أي تأثير أجنبي في نظريات الشعر العربي وعلى الأخص تأثير أرسطو
- وبسبيل الإجابة عن هذين السؤالين تناول الموضوع إلى بحث في نقطتين أساسيتين
- ١ - الدور الذي قام به كتاب أرسطو في فن الشعر :
- ٢ - البحث عن مصادر تمكنه من إصدار كتاب ابن المعتز
- وقد عالج النقطة الأولى ببحث : (١) مقالات المعتزلة وتأثيرها في القرن التاسع على الإنتاج الأدبي : (٢) والمؤثرات الهندية والفارسية في الشعر العربي .
- وقد وصل إلى نتيجة سلبية من ناحية تأثير كتاب الشعر لأرسطو على نظريات الشعر العربي ، وهو يشير إلى قلة معلوماته في البحوث الأفريقية ، وإلى أن رأيه في تأثير أرسطو على نظريات الشعر العربي يطابق رأى بعض النقاد الغربيين في هذا البحث
- وذلك ملخص ما أورده كراتشوفسكي في الصفحات ١ - ٥ من مقدمته لكتاب البديع .

مقدمة ابن المعتز لكتاب البديع

قال عبد الله بن المعتز رحمه الله :

قد قدمنا^(١) في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع ، ليعلم أن بشارا^(٢) ومسلما^(٣) وأبا نواس^(٤) ومن تقليم^(٥) وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنه كثرت في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي بهذا الاسم فأعرب

(١) قدم الشيء جملة مقدما .

(٢) أبو معاذ بشار بن برد، نشأ في البصرة وقدم بغداد وأدرك الدولتين: الأموية والعباسية ، وهو زعيم المحدثين ومن المبتدعين في مذاهب الشعر ومعاتيه والمنصرفين في شتى فنونه والمجيدون في الأساليب الشعرية ، اتمهم بالزندقة وقيل سنة ١٦٧ هـ .

(٣) نشأ صريع الغواني مسلم بن الوليد الأنصاري في الكوفة ، وفيها درس وتأدب ونظم القريض ومدح الأمراء وأثرى ، ويمد في الطبقة الأولى من المحدثين ، وهو ممن تسكاهوا البديع في شعرهم حتى روى بإفساده ، ويجمع شعره بين الأسلوب القديم والحديث مع رقة واضحة ، مات بمرجان سنة ٢٠٨ هـ .

(٤) نشأ أبو نواس الحسن بن هانيء بالبصرة ثم تحول إلى الكوفة ليتخرج على والبة بن الحباب ، وتبع في الشعر فرحل إلى بغداد وفيها تألى نجمه ووثقت ملامته بالرشيد والأمين ، وكان حليما في سائر فنون الثقافة الدينية والأدبية ، وهو شاعر القنات الحسية وشعره صورة لمذهب اللغة الذي طبع عليه ، ويمتاز بافتنانه وكثرة تصرفه وحسن جودته وسهولة أسلوبه ورقة لفظه وسلامة نظمه وأجود شعره خمرياته ، مات ببغداد سنة ١٩٨ هـ .

(٥) تقليل الولد أباه : نزع إليه في القبه واحتذى حذوه .

عنه ودل عليه ، ثم إن حبيب^(١) بن أوس الطائي من بعدهم شغف^(٢) به حتى غلب عليه وتفرع^(٣) فيه وأكثر منه فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض ، وتلك عقي الإفراط وثمرة الإسراف ، وإنما كان يقول الشاعر من هذا الفن البيت والبيتين في الفصيدة ، وربما قرئت من شعر أحدهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بديع ، وكان يستحسن ذلك منهم إذا أتى نادراً ويزداد حظوة بين الكلام المرسل ، وقد كان بعض العلماء يشبه الطائي في البديع بصالح بن عبد القدوس^(٤) في الأمثال ، ويقول : لو أن صالحاً نشر أمثاله في شعره وجعل بينها فصولاً من كلامه لسبق أهل زمانه ، وغلب على مد^(٥) ميدانه ، وهذا أعدل كلام سمعته في هذا المعنى^(٦) .

أصل الكتاب

بسم الله [الرحمن الرحيم] :
من الكلام البديع قول الله تعالى : وإنه في أم الكتاب لدينا للى حكيم .
ومن الشعر البديع (قوله) من البسيط :

(١) ولد بحاسم من قرى حوران بالشام عام ١٩٠ هـ وحل إلى مصر صبياً فتروى الأدب وأكثر من حفظ الشعر وعالج نظم القريض حتى أجاده ثم رحل إلى بغداد ومدح المتصم وولى بريد الموصل واشتهر أبو تمام بقوة الحافظة وألف الحماسة ، وغزل الشعراء ، وه نقائض جرير والأخطل ، وغير ذلك ، ويمتاز شعره بتخير اللفظ وتجويد الصياغة ودقة المعاني وتكلف البديع ، مات سنة ٢٣١ هـ .

(٢) شغفه الحب أمرضه أو أحرق قلبه وشغف بكذا على البناء للجھول .
(٣) تفرعت أغصان الشجرة كثرت . وتفرع القوم : ركبهم ، وفرع من هذا الأصل مسائل جعلها فروعه فتفرعت .

(٤) شاعر حكيم متكلم كان يعظ الناس في البصرة اتمم بالزندقة وقيل ببغداد نحو سنة ١٦٠ هـ .

(٥) المد : السيل ، ومد البصر : مداه .

(٦) بسط الجاحظ ذلك الرأى في البيان والتبيين (نشر السندوبى عام ١٩٢٩)
١٥٠ هـ والم به ابن رشيق في العمدة (٢٥٥ / ١) .

١ - والصيح بالكوكب الدرى منحور^(١)

وإنما هو استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها ، مثل : أم الكتاب ، وجناح الذل ، ومثل قول القائل : الفكرة مخ العمل^(٢) ، فلو كان قاله لب العمل ، لم يكن بديعاً .

ومن البديع أيضاً التجنيس والمطابقة ، وقد سبق إليهما المتقدمون ، ولم يتكرهما المحذون ، وكذلك الباب الرابع^(٣) والخامس^(٤) من البديع .

وقد أسقطنا من كتابنا هذا أسانيد الأحاديث : عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعن أصحابه ، إذ كان من التكرير ، ولم نذكر إلا حديثاً مشهوراً . ولعل بعض من قصر عن السبق إلى تأليف هذا الكتاب متحدثه نفسه وتحميه مشاركتنا في فضيلته ، فيسمى فنا من فنون البديع بغير ما سميناه به ، أو يزيد في الباب من أبوابه كلاماً منشوراً ، أو يفسر شعراً لم يفسره ، أو يذكر

(١) صدر البيت : أوردتهم وصدر العيس مستنفة ، (راجع ٣٤٧ صناعتين ، ٩٦ نقد الشعر) ، ويروي أوردتها ، والبيت لمبد الرحمن بن علي بن علقمة بن عبدة ، مستنفة (بصيغة اسم المفعول) : أي مشدودة بالسناف (بكسر السين) وهو غيظ يشد من حقب البعير إلى تصديره ثم يشد في عنقه إذا أخير (مادة سنف في اللسان) . منحور : أي مستنقل (بصيغة اسم المفعول) كما في مادة نحر في اللسان ، والكوكب الدرى : المضيء الثاقب نسب إلى الدر لبياضه . ومعنى البيت : أنه أورد هذه الإبل الضامرة - أو أورد القوم الذي كان رائداً لهم - منهل الماء والإبل في نهاية الكلال والليل قضى كواكبه وتبعد لإشراق الصباح عنه فكأنها نحرته . قال قدامة : أشار إلى الفجر إشارة ظريفة بغير لفظه ، وقال أبو هلال : وليس في هذا البيت إشارة إلى الفجر بل صرح بذكر الصبح وقال هو منحور بالكوكب الدرى أي صار في نحره ، ووضع هذا البيت في باب الاستعارة أولى (٣٤٧ صناعتين) .

(٢) هي لإبراهيم بن يزيد النخعي فقيه المراق سنة ٩٩ هـ . وعاص كل شيء هو عنه . والمراد أنها الروح المدبرة للعمل كما سيأتي في الكتاب .

(٣) هو رد أعجاز الكلام على ما تقدمها .

(٤) هو المذهب الكلامي .

شعرا قد تركناه ، ولم نذكره ، إما لأن بعض ذلك لم يبلغ في الباب مبلغ غيره فإلغيناه ، أو لأن فيما ذكرنا كافيا ومعنيا ، وليس من كتاب إلا وهذا يمكن فيه لمن أراد^(١) ، وإنما غرضنا في هذا الكتاب تعريف الناس أن المحدثين لم يسبقوا المتقدمين إلى شيء من أبواب البديع . وفي دون ما ذكرنا مبلغ العاية التي قصدناها ، وبالله التوفيق .

الباب الأول من البديع وهو الاستعارة^(٢)

قال الله تعالى : « هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب . » وقال : « واخفض لهما جناح الذل من الرحمة . » وقال : « واشتمل الرأس شيئا . » وقال : « أو يأتيهم عذاب يوم عقيم . » وقال : « وآية لهم الليل نسلخ منه النهار . »

الاحاديث : فأما أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم . فقوله : « خير الناس رجل ممسك بعنان فرسه في سبيل الله ، كلما سمع هيلة طار إليها » . وقوله : « ضموا ماشيتكم حتى تذهب لحمة العشاء »^(٣) . وقوله : « إنا لا نقبل زبد

(١) وذكر أرسطو : أنه مطلق لكل أحد احتاج إلى تسمية شيء . ليعرف به أن يسميه بما شاء من الأسماء . (ص ٧٤ نقد النثر ١٩٢٧)

(٢) سبق أن عرفنا ابن المعتز بأنها « استعارة الكلمة لشيء . لم يعرف بها من شيء . قد عرف بها » ، وقد عقد لها أبو هلال في الصناعتين بابا نأثر فيه خطأ ابن المعتز في دراسة الاستعارة (الصناعتين ٢٥٨ - ٢٩٧) ، وكذلك فعل ابن رشيق (المدة ج ١ ص ٢٢٩ طبعة القاهرة ١٩٣٤) ، وألم بها قدماء في نقد الشعر (ص ١٠٤ - ١٠٦) وفي نقد النثر (من ٩٤ - ٩٦) - وذكرها وذكر مثلالها ثعلب في كتابه قواعده الشعر (ص ٢١ - ٢٣ طبع ليدن)

(٣) العنان : اللجام . الهيمة : الصوت تفزع منه ونخفة من عدو ونحوه ، أو هي صوت الصارخ للفرح . والمعنى : خير الناس رجل أخذ عنان فرسه واستعد للجهاد في سبيل الله كلما دعا داعي الجهاد . استعار العنان للعدو .

(٤) لحمة العشاء : ظلمته . العضم : الجوع والحفظ .

المشركين . . أى رفرهم : وقال صلى الله عليه وسلم : . رب تقبل توبتي واغسل حوبتي (١) . . وقال صلى الله عليه وسلم : غلب عليكم داء الأمم الذين من قبلكم: الحسد والبغضاء ، وهي الخافقة ، حافظة الدين لا حافظة الشعر . .

كلام الصحابة : قال علي بن أبي طالب (٢) رضى الله عنه فى كتابه إلى ابن عباس (٣) وهو عامله على البصرة فى بعض كلامه : . أرغب راغبهم واحلل عقد الخرف عنهم (٤) . . وسئل عن تغيير الشيب (٥) وما روى فى ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم فى قوله : . غيروا الشيب ولا تشبهوا باليهود . . فقال على رضى الله عنه : . إنما قال ذلك والدين فى قل (٦) ، فأما وقد اتسع نطاق الإسلام فكل امرئ . . وما اختار لنفسه . . وقال أبو بكر الصديق (٧) رضى الله عنه وذكر الملوك فقال : . إن الملوك إذا ملك أحدكم هذه الله فى ماله ، ورغبه فى مال غيره ، وأشرب قلبه الإشفاق وهو يحسد على القليل ، ويتسخط الكثير جذل الظاهر ، حزين الباطن ، فإذا وجبت نفسه ونضب عمره وضحا ظله [حاسبه الله عز وجل] فأشد حسابه وأقل غفره (٨) ، أراد (٩) من هذا نضب عمره ، وهو الاستعارة.

(١) الخوبة : الإيم .

(٢) ابن عم رسول الله تولى الخلافة بعد عثمان ، وقتل سنة ٤٠ هـ .

(٣) هو عبد الله بن عباس ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين ، كان حبر الأمة وعالمها وولى البصرة لعل وتوفى بالطائف سنة ٦٨ هـ .

(٤) عقد جمع عقدة وهى موضع العقد وهو ما عقد عليه .

(٥) أى بالخصاب . (٦) أى قلة .

(٧) الخليفة الاسلامى العظيم الأول توفى سنة ١٣ هـ .

(٨) من خطبة لأبي بكر تراها فى البيان والتبيين (٤٧ : ج ٢) مع اختلاف قليل فى الرواية . يتسخط : يستقل من تسخط عطائه أى استقله ، أو من السخط وهو المقت والكرامية والغضب . الجذل : الفرح . وجب الميت والحائط : سقط . ووجبت الشمس : غابت . ضحا ظله : أى مات ، من ضحا الظل إذا صار شمساً ، والإنسان إذا صار ظله شمساً فقد بطل .

(٩) أى أبو العباس عبد الله بن المعتز .

وروي أن علياً رضي الله عنه سأل كبير فارس عن أحمد سير ملوكهم عندهم فقال : لأردشير^(١) فضيلة السبق غير أن أحمد سير أنوشروان^(٢) . قال : فأى أخلاقه كان أعظم (عليه) ؟ قال : الحلم والأناة ، قال علي رضي الله عنه : هما توأمان يفتنهما غلو الهمة . وقال علي رضي الله عنه : العلم قفل مفتاحه السؤال . وروي أن علياً رضي الله عنه قال لبعث الخوارج في حديث طويل : والله ما عرفت حتى نمر الباطل فتجتمت نجوم قرن الماعزة^(٣) . أردنا قوله : نمر الباطل؟ وروي أن عمر^(٤) رضي الله عنه لما حسب المسجد^(٥) قال له رجل : لم فعلت ذلك . قال : هو أغفر للنخامة^(٦) . وقال الشعبي^(٧) : كتب خالد بن الوليد^(٨) إلى مرازمة^(٩) فارس عندهم المراق : أما بعد . فالحمد لله الذي فض خدمتكم وفرق كلمتكم . الخدمة : الحلقة المستديرة ، ومنه قيل للخلائيل خدام ، قال الشاعر (من المتقارب) :

٢ - وتبدى لذلك العذارى الخداما^(١٠)

وسئلت عائشة^(١١) رضي الله عنها : هل كان النبي صلى الله عليه وسلم يفضل

(١) من ولد ساسان بن أردشير مؤسس الدولة الساسانية مكث في الحكم خمسة عشر عاماً .

(٢) من الأكاسرة الساسانية مكث في الحكم ٤٨ عاماً بلغت فيها فارس ذروة المجد . (٣) نمر : صوت وصاح . نجم : ظهر وطلع .

(٤) الخليفة الإسلامي الثاني قتل عام ٢٣ هـ .

(٥) أى فرشه بالحصى . (٦) أى أستر للبصقة إذا سقطت فيه .

(٧) راوية كوفي كان نديم عبد الملك بن مروان وكان محدثاً وفقهياً وشاعراً استقضاء عمر بن عبد العزيز ، (١٩ - ١٠٣ هـ) .

(٨) الصحابي المشهور والقائد الإسلامي الفاتح مات عام ٢١ هـ . (٩) أى قواد .

(١٠) الإبداء عن الخدام مثل في صعوبة الأمر وشدة الخطب وأصله في الروع والحزينة وتسمير النساء عن سوقهن وإبداء خلاصهن عند ذلك .

(١١) بنت الصديق وزوج الرسول وأم المؤمنين (٩ ق هـ - ٥٨ هـ) .

بعض الأيام على بعض ، قالت : كان عدله دية ، أى دائماً . ولما قتل عثمان^(١) رضى الله عنه قال أبو موسى^(٢) : هذه حبيصة من حصات الدين ، بقى من المثقلة الرداح^(٣) . وقال الحجاج^(٤) يوماً في حديث ذكره الشعبي : دلونى على رجل سمين الأمانة . ولما عقدت الخوارج^(٥) الرياسة لعبد الله بن وهب الراسي^(٦) أرادوه على الكلام فقال : لا خير فى رأى الفطير والكلام القضيب ، فلما فرغوا من البيعة له قال : دعوا الرأى يغيب فإن غيبوه يكشف لكم عن فسه^(٧) . وقال بعض الصالحين فى ذمه الدنيا : دار غرست فيها الأحران ، وسكنها الشيطان ، وذمها الرحمن ، وعوقب بها الإنسان . وكان يقال : رأس المأثم الكذب . وعمود الكذب البتان . وقال إبراهيم النخعي^(٨) : الفكر منح العمل . وقيل لأعرابي : إنك لحسن

(١) الخليفة الإسلامى الثالث قتل سنة ٣٥ هـ .

(٢) الأشعري الصحابي من الولاة وأحد الحكمين فى فتنه على ومعاوية كان أحسن الصحابة صوتاً وحدث عن رسول الله مات بالكوفة عام ٤٤ هـ .

(٣) الحبيصة : الجلبة والضوضاء ، وحبيصة من حبيصات الفتن أى دوعة منها عدلت إلينا ، الرداح : الثقبلة المعجزة والضخمة الوركين ، أراد الفتنه الله الله الله .

(٤) قائد داعية وبلغ مصقع ولى العراق واشتهر بالقسوة وكان خطيباً مؤثراً توفى عام ٩٥ هـ .

(٥) فرقة خرجت على على بعد التحكيم وكفروا علياً ومعاوية وناضلوا بمجد السيوف عن آرائهم طول دولة بنى أمية .

(٦) أزدى ومن أئمة البياضية أدرك النبي وخرج على على وقتل فى موقعة النهروان عام ٣٨ هـ .

(٧) راجع الرواية فى البيان والتبيين ١/ ١٤٩ ، ١/ ٢٦٠ و ٢/ ٩٣ . والفعابر : المعين الذى لم يختم . والقضيب : الناقة التى لم تمهر الرضاة أو التى لم ترض ، يريد الكلام المرتجل عن غير خبرة ، والغيوب تدل مادتها على المكث والانتظار ، فالغيب فى سقى الإبل يوم ويوم ؛ وغيب كل شىء عاقبته . ففس الأمر : مفصله الذى يفصل منه كما يمر المظلم من المفصل .

(٨) من أكابر التابعين صلاحاً وصدق رواية وحفظاً للحديث ، وكان فقيه العراق وإماماً مجتهداً صاحب مذهب ، وهو من أهل الكوفة مات عام ٩٦ هـ وقد سبق ذكر له فى الشرح .

الكعدة^(١)، قال: ذلك عنوان نعمة الله عندي، ووصف أعرابي قوما فقال: كانوا إذا اصطفوا سمرت بينهم السهام، وإذا تصالحوا بالسيوف قعد الحمام^(٢)، وقال أكثم^(٣): الحلم دعامة^(٤) للعقل، وسئل آخر عن البلاغة فقال: دنو المأخذ، ونزع^(٥) الحجية، وقيل من كثير. وقال خالد بن صفوان^(٦) لرجل: رحم الله أباك، فإنه كان يرى العين جمالا والأذن بيا^(٧)، وسئل أعرابي عن صديق له فقال: صفرت عياب^(٨) الود بيني وبينه بعد امتلائها، واكفهرت وجوه كانت بمثابة. وذكر أعرابي رجلا فقال: إن الناس ياكلون أماناتهم ألقا، وفلان يحسوها حسوا^(٩)، وقيل لأعرابية: أين بلغت قدرك؟ فقالت: حين قام خطيبها^(١٠)، وقال بعضهم: من ركب ظهر الباحل نزل دار الندامة، وقيل لأعرابي: كم أهلك؟ قال أب وأم وثلاثة أولاد، أناسيل عيشهم، وقيل لرؤبة^(١١): كيف خلفت ما وراءك،

- (١) الكعدة: السنام والشحم والمراد الهيئة.
(٢) راجع الرواية في الصناعتين ص ٢٧٤. ويرى فقره: فتحه. وقد أصوب.
(٣) أكثم بن صيفي حكيم العرب في الجاهلية وأحد المعمرين أدرك الإسلام وقصد المدينة عام ٩ هـ مع جماعة من قومه ليسلوا فأت في الطريق (الأغاني ١٥: ٧٠).
(٤) دعامة كل شيء عماده.
(٥) في رواية: وقرع كما في البيان والصناعتين.
(٦) غطيب بليغ ومتكلم فصيح عاصر الدولة الأموية وجالس السفاح وتوفي في أول عهده عام ١٣٣ هـ وكان بخيلا مطلقا، وقال فيه الجاحظ: هو من الخطباء المشهورين في العوام المقدمين في الخواص وكان يقارن شبيب بن شبة الخ (البيان ٢١٩ و ٢٢٠ / ١ / ٢٢٨ / ٢).
(٧) رواية الجاحظ: يئلا العين جمالا (٢٦٤ / ٣ البيان).
(٨) صفرت: خلت. عياب: جمع عيبة وهي الحقيبة.
(٩) اللقم: الابتلاع. وحسا المرق من باب عدا: شربه شيئا بعد شيء.
(١٠) تريد صوت ماتها وهو يغلى.
(١١) يعرف الأدبي العربي بهذا الاسم ثلاثة (١٢١ و ١٢٢ المؤلف الكندي) وأشهرهم رؤبة بن العجاج القيمي راجع فصيح مشهور من مخضرمي البوكتين كان

قال : المراد بابس والمال عابس (١) .

ومن الاستعارة قول امرئ القيس (٢) (من الطويل) :

٣- وليل كوج البحر مرخ سدوله على بأنواع الحموم ليتلى
فقلت له لما تغطي بصليه وأردف أعجازا وناه بكلكل (٣)

هذا كله من الاستعارة ، لأن الليل لاصلب له ولا يجز . وقال (من الطويل) :

٤ - يضيئ سناه أومصاييح راهب آمال السليط بالذبال المفتل (٤)

أردنا من البيت قول : « آمال السليط » . وقال زهير (٥) (من الطويل) :

== أكثر إقامته في البصرة وأخذ عنه كثيرون من رجال اللغة وكانوا يرون إمامته فيها
ويحتجون بشعره . ولما مات قال الخليل : دفنا الشعر واللغة والفصاحة ، مات بالبادية
عام ١٤٥ هـ .

(١) رواية الجاحظ : قال عتبة بن هرون قلت لرقبة : كيف خلقت ماوراءك؟

قال : التراب بابس والمرعى عابس (٨٣ و ١٣٦ / ٢ البيان) المراد : المكان
الذي يذهب فيه ويجماء ، والمراد : الأرض التي كانت تهباً للإنبات . يريد قلة الماء
وانعدام النبات وظهور الجندب .

(٢) إمام الشعراء ورأس الطبقة الأولى من الجاهليين مات نحو عام ٥٤٠ م .

(٣) السدول : الستور الإبتلاء : الاختبار . تغطي : تمتد . الإرداف : الإتيان .

الأعجاز : المآخير . السكلكل : الصدر . ناه : يمد . المعنى : رب ليل شبيه بأمواج
البحر في هوله أرغى على سدول ظلامه مع أنواع الأحزان ليختبرني أصير أم
أجزع حتى تمنيت أن يتكشف الليل وينجلي بنور الصباح لما أفرط طوله وبعثت
أوائله وازدادت أواخره طولاً . يفتخر بالصبر والجلد وتحمل آلام الأحزان في
ظلام الليالي الطوال .

(٤) السنا : الضوء . السليط : الزيت . الذبال : الفتيل . المعنى أن هذا البرق

يتلألأ ضوؤه وهو شبيه في لماعته بمصاييح الراهب إذا أقعم صب الزيت عليها فتكون
أشد إضاءة .

(٥) من غزل الطبقة الأولى من الشعراء الجاهليين وصاحب هرم بن سنان ،

وشعره مختار مذهب بعيد عن الحوشية والمعاظلة . ومات قبل الإسلام .

- ٥ - إذا لقحت حرب عوان مضرة ضروس نهر الناس أياها عصل^(١) نهر : أى تحملهم على أن يكرهوا ، يقال : هر فلان كذا إذا كرهه . وأهرته أنا حملته عليه ، وهرير الكلب صوت يردده إلى جوفه إذا كره الشيء أو النساء لشدة البرد أو الخبره ، وقال أبو سعيد^(٢) : القول نهر ومن قال نهر الناس أراد أنها أسامت أخلائهم لشدتها ، ونهر كأنها تفتح في وجوههم . وقال أيضا (من الطويل) :
- ٦ - صحا القلب عن سلى وأفصر باطله وعرى أفراس الصبا ورواحله^(٣) وقال أيضا (من الزائر) :
- ٧ - إذا سددت به لحوات ثغر يشار إليه جانبه سقيم^(٤)

(١) لقحت : حملت ، والمراد اشتدت ، وضرب اللامح مثلا لشدتها : العوان : الحرب التي قوتل فيها مرة بعد مرة الضروس : المعضوض السببة الخلق . نهر الناس : قال الأعلام الشنمى أى تصيرهم يرونها أى يكرهونها . العصل : السكالحة المموجة ، وضربها مثلا لقوة الحرب وقدمها . وقال قدامة : أراد أن هذه الحرب قديمة قد أشدت أمرها كما يكون ناب البعير أعصل إذا طال عمره واشتد (١٠٥ نقد الشعر)

(٢) أبو سعيد عبد الملك بن قريب الأصمى راوية العرب وأحد علماء اللغة ولد ومات بالبصرة عام ٢١٦ هـ وكان وثيق الصلة بالرشيد .

(٣) المعنى : صحا القلب عن حب سلى وكف باطله أى صباه ولهوه ، وتمرية أفراس الصبا مثل ضربه أى أنه ترك الصبا وركوب الباطل ، والتقدير وعرى أفراس ورواحل كئت أركب بها في الصبا وطلب اللهو .

(٤) لحوات الثغر : مداخله جمع لهاة وهي مدخل الطعام في الحلق استعاره لمدخل الثغر ، والثغر : الموضع الخوف الذي ينفذ منه الأعداء . ويشار إليه صفة ثغر أى يتم به ويذكره ، وجانبه سقيم : أى جانب الثغر غروف يخشى القوم أن يؤثروا منه بجملة سقيا لذلك ، وسداد الثغر : تحصينه ومنع العدو منه . هذا رأى الأعلام الشنمى ، وأرى أن يشار إليه ، جهاب الشرط أى يتم به ويشار إليه وهو مع ذلك لا يرى ما آتى به من بطولية شيئا يستحق أن يزهى به فهو سقيم من الحياء والتواضع

وقال النابتة^(١) (من الطويل) :

٨ — وصدر أراح الليل عازب همه تضاعف فيه الحزن من كل جانب^(٢)

أراد قوله : أراح الليل عازب همه ، هذا مستعار من إراحة الراعي الإبل إلى مياهاها ، أى موضع تأوى إليه . وقال أيضا (من الطويل) :

٩ — على أن حبليها إذا قلت أوسعا صموتان من مله وقلة منطق^(٣)
وقال الأعشى^(٤) (من الكامل) :

١٠ — إذ لمتى سوداء أنبع ظلها غزلا فعود بطالة أمشى ددا^(٥)
وقال أيضا (من الطويل) .

١١ — سما لابن هر في العثار بطلمنة تفور على سرباله نعراتها^(٦)

(١) شاعر ذبيان في الجاهلية ، كان من أشراف قومه ، وتكسب بالشعر ، وقصد به ملوك الحيرة والفساسة ، وهو من الطبقة الأولى من لحول الجاهليين ، واشتهر باعتذارياته ، وشعره بحكم قوى ، مات قبل البعثة بقليل
(٢) أراح : رد ، والعازب : البعيد الماضي المنصرف
(٣) الحجل : الخلل . المعنى : خلخالها لا يتحركان من امتلاء ساقيها فهما في قدميهما ضيقان مع ستمهما
(٤) ميمون بن قيس صناجة العرب وأحد رجال الطبقة الأولى من الجاهليين ، أستاذ الأخطل وأبي نواس في محرماته ، وكان لشعره دوى بين العرب ، قصد الرسول فأغترته قريش بالمسال ، فعاد إلى بلده ومات في الطريق
(٥) اللة : الشعر الذي يجاوز شحمة الأذن . غزل : أى صاحب غزل . القعود : ما يقتضيه الراعي في كل حاجة ، والمعنى : ملازم بطالة . الدد : اللهو واللعب . المعنى : أنه كان كلفا بالإنشاء حين كان في فضايرة الشباب يسير وفق لذاته ومآربه ، صاحب غزل ، وخذل هو والعب .

(٦) المعنى : أن هذا الممدوح سما — أى نهض وعلا — لهذا الرجل الشجاع فطمته طمئة عينة تركته تفور وتندفق على قيصة الدماء المنصبة منها والتمرة : صوت في الخيشوم جمعها نعرات ، ونعر الجرح بالدم إذا قار ، ونعر العرق قار منه لدم . العثار : الحرب . السربال : القميص .

وقال أيضا (من الوافر) :

١٢ - فارت الحرب أمسى غلبها في الناس مغتلا (١)
وقال أوس (٢) بن حجر (من الطويل) :

١٣ - وإني امرؤ أعددت للحرب بعدما رأيت لها ناباً من الشر أعصلا (٣)
وقال عنتره (٤) بن معاوية العيسى (من الكامل) :

١٤ - جادت عليه كل بكر حرة فتركن كل قرارة كالدرهم (٥)
البكر : أول السحاب ، أراد أنها لم تمطر قبل ذلك .
وقال مهلهل (٦) (من الكامل) :

١٥ - تلقى فوارس تغلب ابنة وائل يستطعمون الموت كل همام (٧)

(١) المعنى : أنها ضربت واشتدت وازدادت تماديا وكان غلبها هائج نأثر تدفقه شهوة الحيوان لأن يقضى حاجاتها وأوطارها .

(٢) شاعر تميم في الجاهلية عمر طويلا ولم يدرك الإسلام وفي شعره حكمة وروقة وجوده ، مات قبل الهجرة بقليل

(٣) ناب أعصلا : كالخ معوج كناية عن شدتها ، ومفعول أعددت ذكره في أبيات تالية (قوساً .. وتبلاً .. ودرعاً .. وسيفاً .. وطرقاً الخ)

(٤) أشهر فرسان العرب في الجاهلية ومن شعرائها الممدودين ومن أصحاب المعلقات مات قبل الهجرة بأكثر من عشرين عاما

(٥) البكر من السحاب التي لم تمطر قبل ، وفي شرح المعلقات أنها ماسبق مطره .
الحرة : الخالصة من البرد والرياح ، والمعنى : مطرت على هذه الروضة كل سحابة سابقة المطر لا يرد معها ولا ريح حتى تركت كل حفرة كالدرهم لاستدارتها بالماء ورياض مائها وصفائه

(٦) عدى بن ربيعة أخو كليب وائل الذي هاج بمقتله حرب اليبوس ، وهو شاعر مجيد وعال امرئ القيس ، من بني تغلب ، وكان الشعر في الجاهلية في ربيعة ومهلهل هذا ألهم . وانفب مهلهلا لأنه أول من هلهل الشعر أرقته ، وينكر ذلك المعري في رسالة الغفران (ص ١٠٠)

(٧) يصف أبطال تغلب - من قومه - بالشجاعة والقوة والظفر فهم يناضلون ويذيقون الموت كل سيد كريم .

وقال الآفوه الأودي^(١) (من الرمل) :

١٦ - ملكتنا ملك لقاح أول وأبونا من بني أود خيار^(٢)

قال أبو سعيد : اللقاح من العرب الذين لا يدينون للبلوك وهو مأخوذ من لقاح الإبل ، أى هم مستغنون بما عندهم من العز عن غيرهم . وقال علقمة ابن عبدة^(٣) (من البسيط) :

١٧ - بل كل قوم وإن عزوا وإن كرموا عريفهم بأثافي الشر مرجوم^(٤)

وقال المسيب بن علس^(٥) (من المتقارب) :

١٨ - وإنهم قد دعوا دعوة يتبعهم ذنب أهلب^(٦)

وقال الأسود بن يعفر^(٧) (من الوافر) :

(١) شاعر جاهلي قديم ، ورائته - ألقى منها هذا البيت - في مجاء الجرهميين .
جمعها صاحب الطرائف الأدبية .

(٢) يفخر بحسب عشيرته ومجدهم وعزم . واللقاح من العرب هم الذين لا يدينون للبلوك وهو مأخوذ من لقاح الإبل لأن الناقة إذا لفحت لم تطاوع الفحل .
(٣) من بني تميم شاعر جاهلي عاصر أمراء القيس ومات قبل الهجرة بنحو سبعين عاماً .

(٤) العريف : سيد القوم وهو النقيب دون الرئيس . الأثافي هي الحجارة يحمل عليها القدر واحدها أنفية واستعار للشر أثافي ، يريد أن الموت لا يترك زعيماً ولا سيداً مهما كان مجده ومنته قومه ، ويروي بدل الشر الدهر .
(٥) شاعر جاهلي قديم اسمه زهير بن علس والمسيب لقب له ، وله في المفضليات قصيدة عينية مختارة (ص ١٧ المفضليات) .

(٦) لعل المعنى أنهم أحدثوا بدعة لها عواقبها الوخيمة . وأهلب : كثرة الشعر والأهلب الذي لا شعر له أيضاً .

(٧) أعشى بن نهم بن دارم شاعر جاهلي مشهور وله قصيدتان مختارتان في المفضليات وجمع ما بق من شعره في ذيل ديوان الأعشى . وهو من سادات تميم ومن قوم الفرزدق مات قبل الهجرة بأكثر من عشرين عاماً وشعره فيه قوة وجزالة وطبع وحكمة .

- ١٩ - فأد حقوق قومك واجتنبهم ولا يطع بك العز الفطير^(١)
قال أبو سعيد : أراد عزاً ليس بالحكم ، كما أن الفطير من المعين ليس
بمستحكم ، والفطير في غير ذا : الجسد الذي لم يديغ . وقال طفيل^(٢)
(من الكامل) :
٢٠ - وجعلت كورى فوق ناجية يقات شحم سنامها الرجل^(٣)
وقال أيضاً (من الطويل) :
٢١ - جذت حول أطناب البيوت وسوفت
مراداً فإن تفرع عصا الحرب تركب^(٤)
سوفت : شمت . مرادها : الموضع الذى تروود فيه . وقال الحرث
ابن حنزة^(٥) (من الكامل) :
٢٢ - حتى إذا التفع الظباء بأطسراف الظلال وقلن فى الكنس^(٦)

(١) كل شيء أعجلته عن إدراكه فهو فطير . والمعنى : أد لقومك ما لمع عليك
من حقوق مع اجتنبهم وعدم انظار شيء منهم ثم لا يطع بك العز الذى لم
يستمحكم أمره إلى غايات لا يستطيع الوصول بك إليها .
(٢) طفيل الغنوى شاعر جامل شجاع وأوصف العرب للخييل وربما سعى
طفيل الخيل لكثرة وصفه لها ، عاصر النابغة وذهيراً ومات نحو ١٣ ق هـ .
(٣) الكور : الرجل بأدائه . الناجية : الناقة الكريمة . يذكر سفره على
ناقة كريمة قد أضناها السفر وأذاب شحم سنامها ملازمة الرجل لها فى الظمن
والارتحال : وفى الأصل لحم يدل شحم
(٤) جذ : ثبت قائماً أو قام على أطراف أصابعه . التسويق : الشم . المراد :
الموضع الذى يراد فيه أى يحام ويذهب . وقرع عصا الحرب كناية عن الددوة
لإليها . يصف فرسه بأنها واقفة حول أطناب الخيام فإذا دعا داعى الوغى امتعلبت
وسير عليها إلى الميدان . والمراد الاختيار بالبطولة والاستعداد الدائم للحرب .
(٥) أحد أصحاب المملكات ويعدى الطيقة لثلاثة من الجاهليين مات سنة ٥ ق هـ .
(٦) الظلال : ما يظل الإنسان من شجر ونحوه ، الفائلة : الظهيرة أو النوم فيها
وقال فهو قاتل ، الكنس : جمع كناس وهو موضع الظفر فى الدجر يكتن فيه ويستتر

- قال أبو سعيد : التفع من المناع وهو اللحاف الذى يلتنع به ثم صار كل
ثوب يحلل^(١) به الإنسان لناعا . وقال عمرو بن كلثوم^(٢) (من الطويل) :
٢٣ - إلا أبلغ النعمان عني رسالة فجدك حولي ولزومك قارح^(٣)
وقال الأبيفة الجعدي^(٤) (من المتقارب) :
٢٤ - إذا أغلق الأمر أبوابه وعى ذوو الحزم بالمذهب
علا بهم لجة مهلكا وإن بطف أحمابه يرهب^(٥)
وقال الخطيب^(٦) (من الطويل) :
٢٥ - ألا من لقب عارم النظرات يقطع طول الليل بالزفرات^(٧)
وقال أبو ذؤيب الهذلي^(٨) (من الكامل) :

- (١) أى يفتل
(٢) شاعر جاهلي ساد قومه شاعرا وعمر طويلا وقتل الملك عمرو بن هند وأشهر
شعره معلته النونية وفي شعره سهولة واعتداد بالنفس والقبيلة مات عام ق. ٤٤ هـ
(٣) يقول إن مجده ناشئ ضئيل - والحول من الإبل ما أتى عليها حول -
ولومه قديم متأصل كحل ، والقارح من الإبل ما أتى عليها خمس سنين .
(٤) أبو ليلى حسان بن قيس بن عبد الله الجعدي العامري شاعر مفلح صهاقي
معمر واشتهر في الجاهلية وسمى النابغة لتبوعه في الشعر بعد سن عالية وقد على
الرسول فأنتدبه فدعا له وشهد صفين مع علي ثم سكن الكوفة فسيره معاوية إلى
أصبهان مع أحد ولاتها فأت فيها نحو عام ٨٠ هـ ، وقد جاوز المائة بكثير .
(٥) أغلق الأمر أبوابه : كناية عن إشكال الأمر والتياسه وعدم تبين الطريق
فيه ، عى بالأمر : لم يتد لوجه . المذهب : الطريق والرأى ، علا في المسكان من
باب سما ، رتب : سفل ، لجة المساء : معظمه ، المهلك هو الهلاك ، طقا : رتب ،
يصف عدو حه بشغوب الرأى وسداده حين ترقبه الأمور وتظلم وجوه الرأى ويصي
أولو الحزم بطريق السداد .
(٦) شاعر مخضرم مجيد كان راوية زهير وفي شعره قوة طبع وشدة أسر ويكاد
يكون القد في طبعه مات نحو سنة ٣٠ هـ
(٧) الخطيب النظر .
(٨) شاعر مخضرم ومرثيته - في أبنائه الخسة الذين هاجروا إلى مصر في عهد -

- ٢٦- وإذا المنية أذنبت أنفاسها ألفت كل تيممة لا تنفع (١)
وقال أبو خريش الهذلي (٢) (من الطويل) :
٢٧- أرد شجاع البطن قد تعلينه وأوثر غيري من عيالك بالطمع (٣)
وقال ليبد (٤) (من الكامل) :
٢٨- فبتلك بذار قص المرامع بالضحي واجتاب أردية السراب إكامها (٥)
وقال أيضا (من الكامل) :
٢٩- وغداة ربح قد كشفت وقرة إذا أصبحت بيد الشمال زمامها (٦)

== عثمان فأنوا فيها في عام واحد - راتمة ، وهو رواية مساعدة بن جوبة الهذلي ،
وخرج مع عبد الله بن الزبير في غزوة فأت في خلافة عثمان (راجع ص ١٩ المؤتلف ،
و ١٥٤ الشعر والشعراء) .

- (١) أنشبت : أعلفت ونسب في الشيء علق فيه القيمة : عودته تعلق على
الإنسان ، المنية : الموت ، ألقى : وجد
(٢) شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام وأسلم يوم حنين ، وقصيده
الضادية في الخاسة (٢٣٣ : ١)

(٣) الشجاع : الثمبان ، وشجاع البطن كناية عن ألم الجوع ، وهو خراقة
كانت تحدث به العرب

- (٤) ليبد بن ربيعة العامري أحد الشعراء الفرسان الأشراف الأجواد ، وأحد
أصحاب الملققات أسلم وترك الشعر ، وسكن الكوفة وعمر طويلا ، وهو في شعره بدوي
يصف حياة البادية والصحراء ، وفيه جزالة وقوة وغرابة واستقصاء للمعاني ، وإشادة
بنفسه وقومه وفي شعره في كبريته حكمة وقوة شعور دينية مات سنة ١٤٤ هـ عن ٥٧ سنة
(٥) المعنى : أفضى حواجي بتلك الناقة في وقت الحر الشديد ، ورقصت لوامع
السراب : أي تحركت ، وهو كناية عن احتدام الحواجر ، وكذلك قوله لبست
الأكام : (جمع أكمة) ، أردية : (جمع رداء) من السراب .

(٦) القرة : البرد ، المعنى : كم من غداة تهب فيها الشمال - وهي أبرد الرياح -
وبرد قد ملكك الشمال زمامه ، قد كشفت عادة البرد - الذي يلازمه الجذب -
عن الناس ينهر الجزور وإطعام الطعام .

- وقال أوس بن مفرأ (١) يهجو بني عامر (٢) (من الطويل) :
- ٣٠ - يشيب على لزوم الفعّال كيرها (٣) ويفغذى بندي التّؤم فيها وليدها
وقال مزرد (٤) (من الطويل) :
- ٣١ - عسوف السرى خبازة في عشائها رؤوس الأفاعي بين خف ومقسم (٥)
هو (٦) ضربها يدها ومنه أخذ الخبز لإصاقه بالنور. وقال الأخطل (٧)
(من الطويل) :
- ٣٢ - وأهجر هجرانا جبلا وينجى لنا من ليالينا الأوائل أول (٨)
وقال جرير (٩) (من الطويل) :

- (١) شاعر جاهلي أدرك الإسلام .
(٢) م بنو عامر بن صعصعة من قبس عيلان .
(٣) أنت الضمير لرجوعه إلى القبيلة .
(٤) من شطمان واسمه يزيد ، وهو أخو النخاج ، وأقرب مزرد بقيت قاله ،
وهو طويل النفس في شعره ، وفي شعره قوة وجزالة وجودة سبك وكثرة افتنان ،
وله قصيدتان في المفضليات .
(٥) العسف : الأخذ على غير الطريق ، والعسوف الظلوم . خبازة : صيغة
مبالغة من الخبز ، العشاء : عدم الإبصار ليلا والإبصار نهارا . الأفاعي : الحيات .
الحف : وإحداً أخفاف البعير . والمقسم : خف البعير . يصف ناقته بالجلد والقوة واحتمال آلام
السير بالليل ورغم ظلامه وما يصاحب السأوفيه من ضعف البعير والتعرض للآذى .
(٦) أي قوله : خبازة .
(٧) تغلب نصراني ، ولد في أوائل خلافة عمر ، وكان شاعر عبد الملك بن
مروان السياسي ، واشترك في ملحمة جرير والفرزدق ، ومات سنة ٩٥ هـ ، ويمتاز
بتنقيح الشعر وجودة المدح ووصف الجفر .
(٨) تحا بصره عنه : عدله .
(٩) من كليب من يربوع من تميم ، ولد في خلافة عثمان بالجماعة من أسرة شاعرة
ثم نظم القريض ونسخ فيه ، وهجا كثيرا من الشعراء فأحلمهم ، وهاجى الفرزدق
هشريتين وهو مقيم بالجماعة ، ثم انحدر إلى البصرة مقبلا بها . وانصل بولاية العراق =

- ٣٣- لحقت وأحجاني على كل حرة مروح تبارى الأخفى المسكاريا (١)
وقال المرار الفقعى (٢) (من البسيط) :
- ٣٤- والقوم قد طلحووا العيش رازحة كأن أعينها نوح القوارير (٣)
وقال الفرزدق (٤) (من الطويل) :
- ٣٥- ليغمز عراق قد عسا عظم رأسه قراسية كالفعل يصرف بازله (٥)
ومن البديع والاستعارة من كلام المحدثين وأشعارهم قول مالك بن دينار (٦)

== ومات سنة ١١ هـ ، وهو عميد الشعراء الإسلاميين ، وشعره شعر الطبع المتدفق ،
وامتاز بركة النسيب وسطوة الهجاء وروعة المدح وبقوة شعره السياسي .

(١) ناقة حرة : أى كريمة . مروح : ذات نشاط فى السير ، تبارى : تمارض ،
الحنساء : البقرة الوحشية ، والحنس : الظباء والبقر ، المسكارى : الذى يكره فى
مشتبه : أى يثب وثبا .

(٢) لإسلامى كثير الشعر (١٧٦ المؤلف و ٤٠٨ معجم الشعراء) .

(٣) طلع : أضاء السفر ، العيس : الإبل يخالط ياضها شئ . من الشقرة ،
رازحة : مجدة فى السفر مزولة منه ، ورزحت الناقة : سقطت إعياء أو هزالا . أعين :
جمع عين ، نوح الدار : بعدت . القوارير : جمع قارورة ، وهى حذقة العين .

(٤) تميمى دارى ، ولد عام ١٤ هـ بالبصرة ، وهاجى جريرا أكثر من نصف
قرن . ومات عام ١١٠ هـ ، وفى شعره بعض غرابة وتعقيد ، وقد ضخته كثيرا من
أخبار العرب وشعرها ، والهجاء والفخر والمدح هى الفنون التى غلبت عليه ،
وشعره فى أسلوبه حصيف قوى الأسر .

(٥) نسب قدامة البيت إلى الخبل (١٠٦ نقد الشعر) . يغمز : يصيب ويعلمن .
عسا الشئ : يمس وصلب القراسية : الضخم الشديد من الإبل أو البعير الأصخم
والضخم أعوجاج فى الفم كما يقول الجاحظ (١/٥٧ البيان) الفعل معروف . البازل :
التاب يطلق فى سن التاسعة . يقول : عزنا قديم ثابت راسى الدعائم لا يثال منه
الطاعن عليه مثالا .

(٦) بصرى عالم ناسك زاهد روع محدث توفى عام ١٣١ هـ .

القلب إذا لم يكن فيه فكرة خرب . ورأى المأمون (١) بعض ولده في يده دفتر فقال : ما هذا يا بني ؟ فقال : بعض ما يشهد (٢) الفطنة ويؤنس في الوحدة ، فقال المأمون : اخذ الله الذي أراى من ذريتي من ينظر بعين عقله .

وقال المنصور (٣) لمحمد بن عمران النيمي (٤) قاضي المدينة : بلغني أنك تجيل ، قال : والله ما أجدني حق ولا أذوب في باطل وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي (٥) : حدثني أبو دلف (٦) قال : دخلت على الرشيد (٧) وهو في طارمة (٨) ، وإذا بباب الطارمة شيخ جليل على طنفسة (٩) ، فلما سلمت قال لي الرشيد : كيف أرضك ؟ قلت : خراب يباب . خرب الأعراب والأكراد . فقال قائم : هذا آفة الجبل (١٠) هو أفسده ، فنلت : فأنا أصلحه ، فقال الرشيد : وكيف ذلك ؟ قلت : أفسدته وأنا أنت على فأصلحه وأنت معي (١١) ، فقال الشيخ : إن همته لترى به من وراء

(١) الخليفة العباسي المشهور ولي الخلافة عام ١٩٨ ومات عام ٢١٨ .

(٢) شجذ السكين : حدها .

(٣) ثاني خلفاء بني العباس ولي الخلافة عام ١٣٦ ومات عام ١٥٨ هـ .

(٤) تجمد بعض أخباره في الأغاني (١ : ١٥٢ : ٤٠ : ٦٠٩٠ : ٨٧) وهو مدق من رجال العلم والفقه والفنانيها على عهد المنصور ، وتوفي في عهد المهدي ، وله ابن يسمى عبد الله ولاء الرشيد قضاء المدينة ومكة ثم عزله ومات بالري عام ١٨٩ هـ (١٠ : ٦١ تاريخ بغداد) .

(٥) علم في الغناء والموسيقى وكان شاعرا عالما أديبا . ولد ومات ببغداد ، وتادم كثيرا من الخلفاء (١٥٥ — ٢٣٥ هـ)

(٦) قائد عباسي كان في جيش الرشيد وقربه المأمون وتوفي عام ٢٢٥ هـ

(٧) الخليفة العباسي الخامس العظيم ولي الخلافة عام ١٧٠ هـ بعد أخيه الهادي ابن المهدي ومات بطوس سنة ١٩٣ هـ

(٨) بيت من غشب فارس معرب (٩) بالفتح والكسر واحدة الطنافس

(١٠) إقليم بين إذربيجان وعراق العرب

(١١) راجع الرواية في زهر الآداب (١٣١ و ١٣٢ : ١)

سنه مرمى بعيداً (١) ، فسألت عنه فقيل لي: العباس بن الحسن العلوي (٢) ووقع بين أحمد (٣) بن يوسف وبين رجل شر بين يدي المأمون فقال أحمد للمأمون: قد - والله - رأيته بأمرير المؤمنين يستمل عن عيذك ما يلفاني (٤) به. وقال الرشيد وقد أنشدته النثرى (٥) (من البسيط) :

٣٦- ما كنت أوفي شياي كنه غرته حتى انقضى فإذا الدنيا له تبع (٦)
وما خير الدنيا لا يخطر (٧) فيها برداء الشباب وكتب خالد بن برمك (٨)
للى ابنه يحيى (٩) لعمر و (١٠) بن عثمان التيمي : عافانا الله وإياك من السوء برحمته ،

(١) وكان أبودلف في ذلك الوقت شابا ، وهذه الجملة يستند لها الحصري إلى الرشيد
(٢) هو العباس بن الحسن بن عبيد الله بن عباس بن علي بن أبي طالب ،
شريف هاشمي شاعر أديب ، عاصر الرشيد والمأمون وقرباه لسنه وأدبه (١٣٠ : ١٠٠)
زهر الآداب) وقد حرف ناشر زهر الآداب اسم والده فجعله الحسين ، وفي الإمتناع
والمؤانسة كلمة بليغة له (١٤٤ و ١٤٥ : ٢)
(٣) كاتب بليغ اشتهر في زمن المأمون وله كتب ورسائل في نهاية البلاغة
وله ترجمة كبيرة في الأوراق للصولي قسم أخبار الشعراء (ص ٢٠٦ - ٢٣٦)
ومات عام ٣١٣ هـ (٤) في الأصل : تلقاني .

(٥) منصور النثرى شاعر عباسي دقيق ، مدح الرشيد وكان يتعصب للعلويين ،
وهو من حفلة الشعراء في عصر الرشيد ، وكان تلميذ العتاني وراويته وقربه العتاني
من البلاط العباسي ثم حدثت بينهما جفوة فتأجبا ، وشعره كما يقول إسحاق
الموصل في : غريب المني قريب المعنى سهل الكلام صعب المرام سليم المتن
كثير العيون (٦٥ - ٦٩ : ١٣ تاريخ بغداد) .

(٦) كنه الشيء : نهايته ، الغرة : الغفلة وقلة التجربة .

(٧) خطر الرجل : اهتز في مشيه وتبخر .

(٨) من أسرة فارسية عريقة (٩٠ - ١٦٣ هـ) ، وذر للسفاح والمنصور (٣٥٨ / ٢٣
الحزاة تصحيح يحيى الدين) ، ومدحه بشار عام ١٥٨ هـ وهو وال على الموصل .

(٩) ابن خالد ، ووالد الرشيد رضاعا ومربيه ووزر للرشيد ، (١٢٠ - ١٩٠ هـ)

(١٠) من أنصار البرامكة وكان قاضي البصرة في عهد المهدي وله أخبار مع أبي

نواس (ص ٤ / ١٨ الأغاني) ، وفيه يذكر اسمه عمر لا عمرو ولعله تحريف .

قد عرفت حال عمرو بن عثمان النخعي ، وتقادم وده ، وانخراطه في سلكنا ،
قول من أمره ما يشبهك أو يشبهه ، فأمر له يحيى بألف ألف درهم . وقال
إسحاق (١) : قلت للعباس بن الحسن (٢) : إني لأحبك ، فقال : رائد (٣) : ذاك معي
وذكر له رجلا فقال : دعني أأذوق طعم فراقه ، فهو والله لا تشجى (٤) به
النفس ، ولا تنكسر في أثره الالتفات . وكتبت إلى بعضهم : إنما قلبي نجى (٥)
ذكرك ولساني خادم شكرك .

وكتبت في بعض الكتاب : قد طالت علتك أو تعالك واشتد شوقنا
إليك فمافاك الله ما بك من مرض في بدنك أو إغاثتك ولا أعدمتك . وقال
عبد الله (٦) بن إدريس قال : كان لي جار معنوه فقلت له يوما : ما أجود الشعر ،
فقال : ما لم يحجبه عن القلب شيء ، انظر إلى قوله (من الطويل) :

٣٧ - ألا أيها النوام ويحكوه هيو (٧)
وأنشده بصوت جهوري ، ثم قال : أعرا في استأذن على القلب فلم يؤذن له ،
ثم أنشد (من الطويل) :

٣٨ - أساتلكم هل يقتل الرجل الحب (٨)

(١) هو إسحاق الموصلي الذي مرت ترجمته .

(٢) مرت ترجمته .

(٣) الرائد : الذي يتقدم القوم في طلب الماء والكفا .

(٤) شجاء : حزنه ، وأشجاء : أغصه . وتذوقه : ذاقه مرة بعد مرة وشيئا
بعد شيء .

(٥) النجى : الذي تساره واحدا أو جماعة .

(٦) كوفي محدث ورجع أراد الرشيد أن يوليه القضاء فأبى ، مات عام ١٩٣ هـ
وهو غير ابن إدريس الشافعي م سنة ٣٠٤ هـ .

(٧) شعر بيت جميل بن ميمون المذري (وراجع ١٣ و ١٤ الشعر والشعراء ،
ومن ١٣ من فصول التائيل لابن المعتز ، ومن ٧ ج ٤ العقد الفريد طبع
القاهرة ١٩٢٨)

(٨) عجز الشعر السابق وهو جميل ، والبيت نجهده في الأمالى (٢٩٨ / ٢) .

بصوت لين ، ثم قال . هذا محنت استأذن على القلب فأذن له . وقال أبو عبد الله الزيري (١) : ما سمع النبي صلى الله عليه وسلم أحدًا يحمد الله إلا جاذبه الحمد . وقال عمر (٢) بن عبد العزيز : وجبت حجة الله على ابن الأربعين ، وأنشد (من الطويل) :

٣٩ - إذا المرء وفي الأربعين ولم يكن له دورب ما يأتي حياه ولا ستر
فدعه ولا تنفس عليه الذي مضى وإن مد أسباب الحياة له العمر (٣)
يقال : نفست بالشئ على فلان أنفاس إذا بخلت به عليه . وكان رجل من أهل الأدب له أصحاب يشرب معهم وينادهم فدعوه فلم يجبه فقالوا : ما منكم ؟ قال : دخلت البارحة في الأربعين وأنا أستحي من سني . وحج المهدي (٤) فر يلاذ بني جعفر (٥) ، فقالت امرأة منهم : أي شرف وجمال لو أن الله دعمه (٦) بأم جعفرية . وقال يحيى بن خالد : العقل خادم للجهل . وقال بعضهم في رسالة : وحصن أقواله ، وأوقع بأهه بحرثومة (٧) الضلال ، ومناخ (٨) الشرك ، ومركز الظلم ،

(١) لعله أبو عبد الله الزير بن بكار من أحفاد الزير بن العوام وكان عالماً وادياً ولي قضاء مكة وتوفي بها عام ٣٥٦ هـ . ويقال لمصعب بن الزير : الزيري (١٢ / ١١٠ الأغانى ، ١٥ الأوردان للمولى قديم أشعار أولاد الخلفاء ط ١٩٣٦) ومصعب مدني نسبة وهو عم الزير بن بكار ومات عام ٣٣٦ هـ ، وقال فيه المرزبانى : إنه كان شاعراً راوية .

(٢) الخليفة الأموي العادل المتوفى سنة ١٠١ هـ

(٣) مما - كما في سر العربية للشمالى - للأقشير الأسدي وهو أحد مجان الكوفة وشعراتهم مجا عيسد الملك ورفى مصعب بن الزير (راجع ٥٦ المؤتلف و ٣٦٩ معجم الشعراء) ، وينسبان لآمين بن خريم كما في الأمالى ، ومما في البيان والتبيين (٣ / ٣١٥) مع تغيير في الرواية

(٤) الخليفة العباسى الثالث ، ولى الخلافة بعد أبيه المنصور عام ١٥٨ هـ وتوفي عام ١٦٩ هـ (٥) م بنو جعفر بن كلاب العامرى وبلادهم كانت بتجد

(٦) دعم الشيء : جعل له دعامة ، والدعامة : أساس البيت

(٧) بحرثومة الشيء ، أصله (٨) المناخ ، موضع الإناءة والبرك

بعد طول الإملاء (١)، وقلة المراقبة والارعاء (٢)، وقال آخر : الاستطالة (٣) لسان الجهالة . وقال ذوالرياستين (٤) : الطب استدامة الصحة . ومروءة (٥) السقم ، وكتب ابن مكرم (٦) في تمزيته أحمد بن (٧) دينار بأخيه : ليس لأهله وولده مرجع إلا غبرك ولا مقييل (٨) إلا في ظلك ، فأشددك الله فيهم ، فإنه خربهم بهارة مروءته (٩) . ولإبراهيم بن العباس (١٠) في بعض كتبه : إن أحق من أشاد بنعمة ، ناطقاً بلسان شكرها ، من أليس من نعمة أعز ملابسها ، وحى أفضل مواهبها ، كتبت إليك وأمير المؤمنين من لين الطاعة ، واتساق الكلمة ، من في بلدانه وحوادث سلطانه ، على ما يحمد الله عليه ويستزيده منه . وقال يحيى بن خالد : الشكر كفاء (١١) النعمة ، وبعضهم : فأتيتك - حين أنفد (١٢) الصبر مدته . وبلغ المكروه غايته ، ولم يبق من السر إلا ما يشف دونه . وبعضهم في رسالة : إن

(١) الإملاء ، الإمهال

(٢) الارعواء ، الكف

(٣) الاستطالة ، التناول على الناس

(٤) هو الفضل بن سهل وزير المأمون ولي له الوزارة وقيادة الجيش فلقب

ذا الرياستين ، مات مقتولا عام ٣٠٣ هـ

(٥) رم الشيء مروءة ، أصلحه

(٦) محمد بن مكرم الكاتب وله مع أبي العيناء أخبار مشهورة (٤٤٤ معجم

الشعراء) ، وتوفي نحو عام ٣٨٥ هـ

(٧) من رجال الدولة العباسية وأعيانها توفي نحو عام ٣٨٠ هـ

(٨) المقييل ، النوم في الظيرة

(٩) أي مروءته . يريد أن عائلته كان جوادا فلم يترك لهم مالا مؤثرا حمارة

مروءته ولو كان فيها شقاء ذريته وإقتار أسرته ،

(١٠) الصولي الشاعر الكاتب البليغ كان يلقب بكاتب العراق وتولى ديوان

التنفقات المتوكل وشعره بمجوع في مجموعة الطرائف الأدبية ، مات سنة ٣٤٣ هـ

(١١) الكفاء ، الظير ، وكفاء وكافأه ، جواه

(١٢) نفد الشيء ، قنى ؛ وأنفده : أفناه

شدة الحجاب تنغل (١) أديم المردة . ودخل أبو سعيد (٢) الخزومي على إسحاق ابن إبراهيم المصعبي (٣) فأنشده قصيدة ، وكان حسن الإنشاد . ثم دخل بعده الطائي (٤) فأنشده ، وكان رديء الإنشاد ، فقال المصعبي للطائي : لو رأيت الخزومي أنشدنا أنتما ١١ فقال الطائي : أيها الأمير نشيد الخزومي يطرق (٥) بين يدي نشيدي . وحدثني أبو عبد الله (٦) قال : قال الحسن (٧) بن سهل : خير الماء لمن العارة (٨) . ولأعرابي في البرق (من الطريل) :
٤٠ - إذا شيم أنف الليل أومض وسطه سناً كاتسام العامرية (٩) شاعف

- (١) أنقل الأديم : أفسده في الدباغ .
(٢) شاعر عباسي مقل مجيد هجا دعبلا ومدح المأمون وكان يعاصر أبا تمام (٢٦٠ معجم الشعراء) وقد حرف في المعجم إلى : أبو سعيد . ونفته الجاحظ في البيان بأنه دعي بنى غزوم (١٤٣ : ٣)
(٣) من بنى غزوم صاحب شرطة بغداد أيام المأمون والمنعم والواثق والمتوكل مات عام ٢٣٥ . (٤) هو أبو تمام الشاعر م ١٢٣ هـ .
(٥) طرقت القفاة : حان خروج بيضاء ، وطرق فلان بحق : جعده ثم أقربه وطرق الإبل : حبسها عن السكلا ، وطرق لها : جعل لها طريقا .
(٦) هو محمد بن داود الجراح الكاتب العالم ، عمه علي بن عيسى الوزير ، وكان صديق ابن المعتز وكان له رغبة في أن يلى ابن المعتز الخليفة ، وولى له الوزارة لما تقلدها ، ولما قُتل حركه ابن المعتز قبض عليهما ولقيهما حتفهما عام ٢٩٦ هـ . وله كتاب في الشعر والشعراء ، وله ترجمه في تاريخ بغداد (٢٥٥ : ٥) . وكان ميلاده سنة ٢٤٣ هـ .
(٧) وزير المأمون وصهره (أبو زوجه بوران) ، توفي عام ٢٣٦ هـ ، ولبثت بوران بعد المأمون مدة طويلة وتوفيت عام ٢٧١ هـ ، وقد روى صاحب المقدم قصة زواج المأمون بها وهي أسطورة أدبية رائعة .
(٨) يريد أن الماء يثير بالخصب والعمران والرياء .
(٩) شام البرق : نظر إلى صحابه أين تخطر . أنف الليل : أوله وسط : ظرف السنن : العضو : والعامرية محبوبة ، شغفه الحب : أحرق قلبه أو أمرضه .
(٤١)

- وقال أبو نواس (من الكامل) :
- ٤١- صباه تفترس العقول فأتري منها بمن سوى السبات جراحا (١)
وقال آخر (من الكامل) :
- ٤٢- أما الطلول فخبرا ت أنهم ظعنوا قريبا
أخذتني الأحزان حين وقفت فيها والكروبا
فتركن في قلبي الندوبا وزرعن في رأسي المشيبا (٢)
وقال أبو الشيص (٣) (من الحقيف) :
- ٤٣- ربيع دار مدرس العرصات وطلول محوة الآيات
خفق الدهر فوقها بمناحيسن مريشين باليلي والشتات (٤)
وقال سليمان (٥) بن أبي الجنوب بن مروان بن أبي حفصة (من الكامل) :
- ٤٤- يتبعن جاهلة الزمام كئانها إحدى القناطر وهي حرف ضامر (٦)
(١) الصباه : الخمر . السبات : النوم وأصله الراحة . الجراح : جمع جرح .
(٢) الطلول : ماشخص من آثار الديار . ظعنوا : رحلوا . أخذاء : أعطاء .
الندب : أثر الجرح الباقي على الجلد ، جمعه ندوب ، ويرى في قلبي بدل رأسي ،
(٣) هو محمد بن دزين الخزاعي ، ابن عم دعلج ، عاصر الرشيد ، شاعر مطبوع
سريع الخاطر وقيق اللفظ عاصره أبو نواس ومسلم وقتل عام ١٩٦ هـ (١٥: ١٠٤)
الأغاني (وتماجي هو ومسلم وكان لأبي الشيص طبع ومسلم إدمان (٣ . ١٤٧)
شرح الخاسة) .
(٤) درس الرسم ، عفا ، ودرس مضعف درس ، الربيع : الدار ، العرصة : كل
بقعة بين الدور واسعة ليس فيها بناء ، الطلل : ماشخص من آثار الديار ، عا
الشيء فهو محو ، الآية : العلامة ، خفقت الراية : اضطربت ، راس السهم : الرق
عليه الريش فهو مريش ، البلى : مصدر بلى أى خلق ، الفتات : التفريق .
(٥) شاعر عاصر المتوكل ، جده مروان شاعر المهدي ، ووالده شاعر أيضا
(راجع ٥٠٠ معجم الشعراء ، ٣٠٢ الموشح)
(٦) الضمير في يتبعن الأبل . زمام اليمير : خطامه ، وجاهلة الزمام : كناية عن
مرسها في السير ، القناطر : جمع قنطرة وهي الجسر . ضامر : هزيل خفيف اللحم .
الحرف : الناقة التي هزلها طول السفر .

- وقال أبو نواس (من الكامل) :
 ٤٥- في مجلس ضحك السرور به عن ناجذيه وحلت الخمر (١)
 وقال مسلم (من الطويل) :
 ٤٦- فأنتمت أنسى الداعيات إلى الصبا وقد فاجأها الدين والستر واقع
 قطفت بأيديها ثمار نخورها كأيدي الأسارى أنهلتها الجوامع (٢)
 وقال أشجع (٣) (من الطويل) :
 ٤٧- وجارية لم تسرق الشمس نظرة إليها ، ولم يعبت بأيامها الدهر (٤)
 وقال العتابي (٥) (من الطويل) :
 ٤٨- ومعضلة قام الربيع (٦) إزاءها ليعمد ركن الدين لما تهدهما
 غداة عداة الملك شاحذة المدى عليه وغول الحرب فاعرة فما (٧)

(١) الناجذ : آخر الأخراس .

(٢) الجوامع : جمع جامعة وهي الفل . أنسى : أى لا أنسى يحذف لا . وقع السرقه قط . الأسارى : جمع أسير .

(٣) هو أبو الوليد أشجع السلي شاعر لخل عاصر بشارا ولد بالجماعة وفتاً بالبصرة واتصل بمجمر البرمكي فقربه من الرشيد وله ترجمة طويلة في الأوراق قسم أخبار الشعراء . (ص ٧٤ - ١٣٧ ط ١٩٣٤ بالقاهرة) وتوفي عام ١٩٥ هـ .

(٤) لم تسرق الشمس نظرة إليها : كناية عن لزومها الخدر لتفرها وتمعتها .

(٥) كلثوم بن عمرو التغلبي العتابي ، كاتب بليغ وشاعر مجيد ، مدح الرشيد ، وتوفي عام ٢٢٠ هـ ، وكان منصور القرى رايته وتلميذه (٤٨٨/١٢) تاريخ بغداد . وكان يجمع بين الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاعرة مع البيان الحسن ، وعلى نهجه في البديع يقول جميع من يتكلف ذلك من المولدين (٥٤/١) البيان والتبيين .
 (٦) مدح الفضل بن الربيع بن يونس ٢٠٨ هـ وكان وزير الرشيد بعد البرامكة ثم وزير الأمين وصاحب تدبيره وينوه في ذلك المدح بوالده الربيع بن يونس العدو اللدود للبرامكة المتوفى عام ١٧٠ هـ .

(٧) الأبيات في زهر الآداب (٣٥٠ و ٢٥٩ ج ٣) ، المعضلات : الشدائد . عمد الشيء : أقامه بماد يعتمد عليه ، شحذ السكين : حدها ، المدى : جمع مدينة وهي الشفرة ، فترفه : فتحه .

وقال (من البسيط) :

٤٩- إن البرامك لا تنفك أنجية بصفحة الدين من نجواهم قدب
تجرمت حجج عشر ومنصلهم مضرج بدم الإسلام مختضب (١)

وقال (من الطويل) :

٥٠- ومن فوق أكوار المطايا لبانة أحل لها أكل الذرى والغوارب
ففى ظفرت منه اللبالي بركة فأقلعن عنه داميات الخالب (٢)

وقال (من الكامل) :

٥١- ناهضت بالحسن بن عمران العلى وتنبهت لذكاته آمالي
سكناته ععدة وفى نطقاته تفريق بين قرائن الأموال
لما لجأت إلى ذراك وأشرفت عنق من الحدثان قلت : نزال (٣)

وقال النمرى للرشد (من الوافر) :

٥٢- منعت على ابن عبد الله (٤) يحيى وكان من الختوف على شفير

(١) أنجية : جمع نجي وهو الذى تساره ، التدب : الجرح . تجرم : انقضى ، حجج : جمع حجة أى سنة ، المنصل : السيف ، مضرج : ملطخ بالدم ، يرى البرامك بالكيد للإسلام والعمل على القضاء عليه ، والآيات فى زهر الآداب (٣/٣٩) .

(٢) أكوار : جمع كور وهو الرجل ، لبانة : ساجة ، أحل : فى الأصل بالبناء للفعول ولا معنى لما يلحقه بالبناء للفاعل وفاعلها هو قوله ففى ، و أكل : مفعولها وأحل - أى أباح - للأكوار أكل الذرى والغوارب من هذه المطايا ، كناية عن هزله لها بكثرة السفر ، ذرى الثى : أعاليه : الغارب : ما بين السنام إلى العنق ، دى الثى : تلوث بالدم .

(٣) ناهضت : ساميت ، سكنات : جمع سكة أى سكوت ، نطقات : جمع نطق . عدة : أى وعد بالمطاء ، قرن بين الشيئين قرانا : جمع بينهما ، والقرن صاحب وقرينة الرجل : امرأته ، والذرى بالفتح الملقب ، أشرفت : تطلعت ، عنق من الحدثان : طائفة منها أو أوائنها ، والحدثان والحادة بمعنى ، وفى الأصل ذراك بالضم وهو خطأ (٤) هو حفيد الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب تار على الرشيد ببلاد الديلم عام ١٧٦ هـ لجهز إليه الرشيد الفضل على رأس جيش فطلب الأمان من الرشيد ==

- وقد سخطت بسخطك المنايا فظلت وهي (١) حائمة الفسور
لم رحم تصور كم عليهم وتكسر عنكم حمة التكير (٢)
وقال يصف بغداد (من البسيط) :
٥٣ - تحيا النفوس إذا أرواحها نفحت وحرشت بين أوراق الرياحين (٣)
وقال العباس بن الأخنف (٤) (من البسيط) :
٥٤ - قد سحب الناس أذيال الظنون بنا وفرق الناس فينا قولهم فرقة (٥)
فكاذب قد رمى بالظن غيركم وصادق ليس يدري أنه صدقا
وقال محمود (٦) الوراق (من الوافر) :
٥٥ - أين ناصي (٧) سواد الرأس شيب فزعت إلى التعلل بالحضاب
ألم تعلم وفرط الجهل أولى بمثلك أنه كفن الشباب
وقال أشجع (من الطريل) :

== وحضر يحيى العلوي إلى بغداد فأكرمه الرشيد ثم حبسه حتى مات في الحبس
(أبو الفداء ، ٣٠٨ مقال الطالبين) .

(١) في الأصل : قبي .

- (٢) الخنوف : جمع خنوف وهو الموت ، شفير الشيء : حافته ، السخطة : الغضب ،
حام حول الشيء : دار ، حمة العقرب : سمها وضربها ، والمراد بحمة التكير شدته ،
(٣) الأرواح جمع ربح ، نفحت : هبت . التحريش : الإغراء . وفي تاريخ بغداد
قالت زبدة النعمري : قل شعرا تحبب بغداد فيه إلى الرشيد فقد اختار عليها الرقة
فقال أبياننا منها هذا البيت فأعطته أبنى دينار .
(٤) شاعر غزل ظريف نشأ في بغداد في نعمة ولم يصطبغ بالمدح وتوفر على الغزل
في محبوبته فوز ، مات عام ١٩٢ هـ .

(٥) سحب : مضطرب سحب بمعنى جبر ، قال الصولي : سمعت عبد الله بن المعتز
يقول : لو قيل لي ما أحسن شيء تعرفه لقلت شعر العباس بن الأخنف : قد سحب
الناس الخ .

(٦) شاعر أكثر شعره في المراءضة والحكم توفي نحو عام ٢٣٠ هـ .

(٧) أي قبض على ناصيته والمراد غائط .

- ٥٦ - تعض بأنياب المشاي سيرة وتشرّب من أخلاف كل وريد^(١)
وقال بشار (من الكامل) :
- ٥٧ - تبعت عطاياه مواهب كالسيل متبعاً قنا مطره^(٢)
وقال (من المتقارب) :
- ٥٨ - صبت هواك على قلبه فضاق وأعلن ما قد كتم
وبيضاء يضحك ماء الشبا ب في وجهها لك أو يتسم
ألا أيها الساتلي جاهلا ليعرفني أنا أنت الكرم^(٣)
نمت في الكرام بني عامر فروعي وأصلى قريش العجم
وقال (من الوافر) :
- ٥٩ - شربنا من فزاد الدن حتى تركنا الدن ليس له فزاد
وقال محمد^(٤) بن أحمد من ولد طباطبا العلوي الأصفهاني (من المفرج) :
- ٦٠ - رب نهار أمست أصائله ترشف من شمس صبايات^(٥)
وقال محمد^(٦) بن ديزين من ولد مسلمة بن عبد الملك يصف فرسه (من الكامل) :
- ٦١ - عودته فينا أزور حباتي إصائله وكذلك كل مخاطر
فلذا احتبي قريوسه بعنانه علك الشكيم إلى انصراف الزائر^(٧)

(١) أنياب : جمع ناب . الأخلاف : جمع خاف ، وهو حلة ضرع الناقة ، أو هو للناقة كالضرع للثاة ، الوريد : عرق من الوتين وهما وريدان غليظان في جانبي العنق ،
(٢) الفقا ، مؤخر العنق ، والمراد أواخر المطر .
(٣) استعارة ، يشير إلى أنه موضع العزة والمنعة والسيادة .
(٤) هو محمد بن أحمد بن إبراهيم طباطبا العلوي الحسني شاعر أديب عالم ولدومات بأصم ان عام ٣٢٢ هـ (راجع ج ٤٦٣ معجم الشعراء) ٦٠٢٦٥ معجم الأدباء
(٥) الأصائل ، جمع أصيل وهو ما بعد المصير إلى المغرب ؛ الرشف : المص الصباية ؛ بقية المساء في الإباء .
(٦) شاعر محسن مكثّر مدح المأمون (٤١٩) معجم الشعراء
(٧) الضمير في عودته لفرسه ، الحباب : جمع حبيبة ، المخاطر ، الذي لا يبال النتائج ، القريوس هو مقدم السرج ، الملك : المضغ ، الشكيم : الحديدة المعترضة =

وقال أبو المتاهية (١) (من المنيد) :

٦٢-راكب الأيام يجرى عليها وله منهن يوم حرون (٢)

وقال أبو نواس السابق في ميدان الشعراء (من الرجن) :

٦٣ يئنال خزان الصحارى الرقطا

يلقن منه حاكما مشططا

للعظم حطماً والأديم عطا (٣)

وقل (من الكامل) :

٦٤-عزم الزمان على الذين عهدتهم بك قاطنين وللزمان عرام (٤)

وقلت (من الخفيف) :

٦٥-أسقى الراح (٥) في شباب النهار

وانف همى بالحنديس (٥) العقار (٥)

==في قم الفرس، وأراد بالزائر نفسه، يقول، قد رحت فرسى على الأدب الحيد
وعودته الإهمال والترك عند زيارة الأحبة وعند فعل كل أمر خطير، فإذا نزلت
عنه وأقيمت لجامه في مقدم سرجه وقف مكانه كالمتنظر لربه لا يبرح ذلك المكان
حتى أعود إليه.

(١) نثراً بالكوفة وعالج الشعر فني ونسخ فيه وألم بمذاهب المتكلمين والفلاسفة
والزهاد، وامتناز بالسهولة والوضوح والطبع، ومات عام ٢١١ هـ
(٢) فرس حرون، أى لا يتقاد.

(٣) يصف فرسه بقوة السير وشدة الأبد، والاعتبال: الافتراس من حيث
لا يشعر، الخزان بالكسر: الذكور من الأرانب، الرقط جمع رقطاء وهي ما بها
سواد يشوبه نقط بياض، الاشتطاط: الجور، الحطيم مصدر حطمه: أى كمره
الأديم: الجلد، العط مصدر عط الثوب أى شقه بلايتونة، وعط فلانصرعه وغلبه
(٤) العرام، الحدة والبددة، وعرام الزمان مافيه من شراسة وأذى
قاطنين: مقيمين.

(٥) من أسماء الخمر، والآيات في ٤٣، ٢ ديوان ابن المعتز، وجلا العروس
يجلوما. النطر: المطر، نثره فأنثر والاسم النثر بالكسر.

- فكان الربيع يملو عروسا
وكانا من قطره في ثار
وقال أبو الشيص (من الطويل) :
- ٦٦ - سقاني بها والميل قد شاب رأسه غزال بجناء الزجاجة مختضب (١)
وقال الخريبي (٢) يذكر الإبل (من الطويل) :
- ٦٧ - وكم خيطت من لحة لدجة
وحررة وهاج من (٣) الصيف جاحم (٤)
وقال أبو نواس (من الكامل) :
- ٦٨ - عين الخليفة بي موكلة عقد الخذار بطرفها طرفي
صحت علائقي له وأرى دين الضمير له على حرف
فلئن وعدتك تركها عدة إني عليك لخائف خلقي
سلبوا قناع الطين عن رفق حي الحياة مشارف الخنف
فتنفس في البيت إذ مزجت كنتفس الريحان في الأنف (٥)
وقال (٦) في الفرس (من الكامل) :

- (١) الخزام معروف ، واختضب بها فهو مختضب .
(٢) شاعر عباسي مجيد ، اسمه أبو يعقوب اسحاق بن حسان ، وهو حسن
الديباجة جيد المعاني .
(٣) في الأصل : عن .
(٤) خبط البعير الأرض بيده : ضربها ، الفجعة : الظلة ، الدجة من النجم
المطبق أو المظلم الذي ليس فيه مطر ، والدجة : الظلة ، الحررة : الحصاة ، وبرى ،
وجعرة ، الوهج : حر النار ، الجاحم : التنديد القبيح والحرارة .
(٥) الخذار : المحاذرة ، الطرف : العين .
القناع : النطاء . الرفق : بقية الروح ، الحياة : ضد الموت ، والحي : ضد الميت
مشارف : مقارب ، الخنف : الحلاك ، تنفس الصبح : تباهج ، مزجت : صب عليها الماء
(٦) وينسب البيت لرؤبة .

٦٩- بينى العجاج على مفارقة بمقعب لم يعد أن وقعا (١)
وقال الملوى الأصمهانى ابن طباطبا (٢) (من الخفيف) :

٧٠- صدف شق على لآلىء در أم كتاب قد فض عن نظم شمر ؟
وتواف متومات لدى الأبيات موزونة بقسطاس (٣) فكر
وقال الطائي (من الكامل) :

٧١- مطر يذوب الصحومته وبعده صحو يكاد من التضارة بمطر (٤)
وقال (من البسيط) :

٧٢- أمطرتم عزمات لوريت بها يوم الكريمة ركن الدهر لانهدما
حتى انتهكت بحمد السيف هاهم جزاء ما انتهكوا من قبلك الحرما (٥)
وقال يخاطب منزلا (من الكامل) :

٧٣- يا منزلا أعطى الحوادث حكما لا مظل في عدة ولا تسويها
أرسي بناديك الندى وتنفست نفسا بعقوتك الرياح ضعيفا
ولئن ترى بك ملتئما بجراثة ضيف الخطوب لقد أصاب مضيفا (٦)
المعنى : أنه أصاب موضعا يضيف إليه فيه ، أى يميل إليه ؛ لأن أهله قد

(١) العجاج : الغبار ، المفرق : وسط الرأس ، وهو الموضع الذى يفرق فيه الشعر ، التقيب ، أن يكون الحافر مقبيا ، توقيح الحافر : تصليه بالشمع المذاب .

(٢) شاعر عالم أديب توفى عام ٣٢٢ هـ .

(٣) صدف الدرّة : هو غشاؤها ، اللؤلؤة : الدرّة ؛ والجمل لآلىء ، قزم النىء .

تقويعا فهو قويم أى مستقيم ، القسطاس : الميزان .

(٤) الصحو : ذهب الغيم . التضارة : الحسن والرونق .

(٥) نهك السلطان عقوبة : أى بالغ فى عقوبته ، وانتهك الحرمة : تناولها بما

لا يحل . الهام : الرؤوس . الحرم : جمع حرمة ، وهى ما لا يحل انتهاكها .

(٦) أرسى السفينة ورسى : وقفت فى مرسأها . التادى : مجلس القوم

ومتحدثهم . الندى : الجود ، العقوة : ماحول الدار والرحلة . نوى : أقام . الجران : مقدم عتق البعير . المضيف : صاحب الضيف ، وأضاف الرجل أنزله به ، وأضافه ، نزل عليه .

فارقوه ، ومضيف محال ، لأن البلد لا يضيف ، ولأن الزمان لا يحتاج ، وإنما المعنى أن الزمان مال عليك فأصاب موضع محل ومبتذل .

وقال (من الكامل) :

٧٤ - ياسم كيف يقيق من سكر الهوى حيران يصيح بالفراق ويشقى
عمرى لقد نصح الزمان وإنه لمن العجائب ناصح لا يشفق (١)
نصح الزمان : أى أدبك بما يريك من غيره واختلافه ، والزمان لا يشفق
على أحد ، لأنه يأتى على الإنسان بما يقضى عليه . فقال : . من العجائب أن
يتصحك الدهر وهو لا يشفق .

وقال (من الطويل) :

٧٥ - كلوا الصبر غصنا واشربوه فإنكم أثرتم بعير الظلم والظلم بارك
من يأنك المقدار لآنك (٢) هالكا ولكن زمان غال مثلك هالك (٣)
وقال العباس بن الأحنف (من البسيط) :

٧٦ - ولى جفون جفاها النوم فأصلمت أعجاز دمع بأعناق الدم السرب (٤)
وهذا وأمثاله من الاستعارة مما عيب من الشعر والكلام ، وإنما نخبه بالقليل
ليعرف فيتجنب . قال المهلب (٥) لرجل من الأزد : متى أنت ؟ قال : أكلت
من حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم سقتين ، فقال : أطلعك الله لحك .

(١) الصبوح : الشراب بالغداة ، ضد الغبوق وهو الشراب بالعشى .

(٢) فى رواية : لاندع .

(٣) آثار النى : أنهضه من مقامه . برك البعير : أى ألبخ . المقدار : القدر
غال النى : اغتاله .

(٤) أعجاز ، جمع عجز وهو مؤخر النى . العنق جمعها أعناق ، وهى أول
النى . لأن العنق من أول ما يرى من الإنسان : دم سرب ، أى سائل متدفق .

(٥) سيد أهل العراق نشأ بالبصرة وولى إمارتها لمصعب وصعد لقتال الأزارقة
تسعة عشر عاما ، وولى خراسان عام ٧٩ هـ ، ومات فيها عام ٨٣ هـ .

وقال عبيد (١) الله بن زياد يوماً وكانت فيه لكنته : افتحوا سبقي (٢) ، يريد : سلوه ، فقال يزيد (٣) بن مفرغ (من الواقري) :
 ٧٧- ويوم فتحت سيفك من بعيد أضعت وكل أمرك للضبايع (٤)
 وقال عبيد الله أيضاً لسويد (٥) بن منجرف : أقعد على است الأرض ، فقال
 سويد : ما أعلم أن للأرض اسماً (٦) . وقال الجاحظ (٧) : رأى قوم مع رجل
 خفاً فتأوا : ما هذا ؟ فقال : قلنسوة . فضحكوا منه ، فقال عياض (٨) :
 صدق ، هذه قلنسوة الرجل . وقال بعضهم (٩) في يوم مطر شديد : قد انتطع
 شريان النمام . وقال بعض أهل زماننا في مخاطبته اصاحبه : يا إمام الخطباء ،
 وباعنصر (١٠) الخلاء ، وهو لى الأدباء . ولدى بن عاصم العبدى (١١) الأصم فى
 (من الكامل) :

- (١) هو ابن زياد بن أبيه ولى بعد أبيه العراق ، وقتل في حرب المختار الثقفى
 عام ٦٧ هـ . (٢) دعر بأصوات طير غفها صوت الأعداء فقال ذلك .
 (٣) شاعر محسن له أهاج كثيرة في زياد وابنه وتوفى عام ٧١ هـ .
 (٤) ضاع النوى : هلك . والإضاعة والتضييع بمعنى .
 (٥) ابن عم ابن ظبيان النيسى العائلى الحفليب المالك (٢١٣ : ١ البيان
 والتبيين) وأنضم لمصعب بن الزبير وكان من رجاله (١ : ١٣٤ الجوان نشر مطبعة
 الحلبي) وهجاء الأخطل (١٩ موازنة ، ٧ : ١٤٧ أغاني) .
 (٦) راجع الرواية مفصلة في البيان (١٥٥ و ١٥٦ : ١)
 (٧) أبو عمرو عثمان بن بحر الجاحظ لإمام البيان العربى وشيخ الأدباء ورئيس
 المؤلفين وزعيم من زعماء المعتزلة توفى عام ٢٥٥ هـ .
 (٨) ديمكان هو عياض المدنى الشاعر (٢٦٩ : معجم الشعراء) .
 (٩) هو جعظاء البرمكى الأدب الشاعر الراوية المتصرف في كثير من فنون
 العلم و نادم ابن المعتز والمعتد . (٣٣٤ - ٣٣٤ هـ) و راجع هذه الرواية في معجم
 الأدباء . نشر فريد رفاعى (٣٦٣ و ٣٦٤ : ٢) ، وهذا من كتاب بعث به جعظاء إلى
 ابن المعتز .
 (١٠) العنصر : الأمل .
 (١١) شاعر جميل متكلف (٩١ المؤلف)

- ٧٨- زم العراء غداة زم جمالمم لخدنا الحسدة به مع الأجمال
والخادئات متى ففرن بنفصتي لقمتهن شجرا بوخد جمال^(١)
وقال آخر (من الطويل) :
٧٩- خطوب المنايا صرحت عن مواهب مواهب أجر من تاج المصائب^(٢)
وقال الطائي (من الخفيف) :
٨٠- فضربت الشتاء في أخدعيه ضربة غادرته عودا ركوبا^(٣)
ومن عجيب هذا الباب قول الكهيت^(٤) (من الطويل) :
٨١- ولما رأيت الدهر يقلب ظوره على بطنه فعل الممعل في الرمل
كما طعنت عا قضاة طعنة هي الجلد مأدوم التحيزة بالهزل^(٥)

الباب الثاني من البديع وهو التجنيس^(٦)

وهو أن تسمى الكلمة بجناس أخرى في بيت شعر وكلام ، ويجانسها لها أن
تشبهها في تأليف حروفها على السبيل الذي ألف الأصمعي كتاب الأجناس عليها.

(١) زم البعير : غطمه . والمراد أن صبره ذهب برحيل أحبابه . والحدو :
سوق الإبل والغناء لها ، الأجمال : جمع جمل ، فقرقه . فتحه . الفصة : الشجا .
اللفم : الابتلاع . الشجا : ما يذهب في الحلق من عظم وغيره . الوخد : ضرب من السير
(٢) المواهب : جمع موهبة ، وهي الاسم من وهب . نتجت الناقة بالبناء
للفعل : حان تناجها .

(٣) الأخدعان : عرقان في صفحتي العنق . العود : الجمل المسن .
(٤) أسدي ، شاعر متشيع مكثّر مجيد ، توفي عام سنة ١٣٦ هـ .
(٥) الملك : اللى ، وتممكت الدابة ، تمرغت ، وممكها صاحبها ، مأدوم : من
أدم الخبز باللحم ، والإدام ما يؤتدم به ، التحيزة : الطبيعة .
(٦) عقده صاحب الصنائع بابا (٣١٠ - ٣٢٨) تأثر فيه بآب المعلن إلى
حد بعيد ، وكذلك فعل ابن رشيق (٢٨٩ : ١) العمدة طبعة ١٩٣٤) ويسميه
قدامة المجانس (ص ٩٦ نقد الشعر) وسمي نوعا منه بالمطابق ، وقد تأثر في ذلك
بشعلب (٢٤ قواعد الشعر لشعلب طبع لندن ، ١٩٦٠ نقد الشعر)

وقال الخليل (١) . الجنس لكل ضرب من الناس والطير والعروض والنحو، فنه :
ما تكون الكلمة تجانس أخرى في تأليف حروفها ومعناها ويشق منها ،
مثل قول الشاعر (من الكامل) :

٨٢- يوم خلجت على الخليج نفوسهم (٢)
أو يكون تجانسها في تأليف الحروف دون المعنى مثل قول الشاعر
(من البسيط) :

٨٣- لمن لوم العاشق اللوم (٣)
قال الله تعالى : « وأسألت مع سليمان الله رب العالمين » . وقال سبحانه :
« فأقم وجهك للدين القيم » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عصية (٤)
عصت الله ، وغفار (٥) غفر الله لها » . وقال : « الظلم ظلمات » . وقال
معاوية (٥) لابن عباس رحمه الله : ما لكم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم ؟
(فقال (٦) : كما تصابون في بصائركم . ويقال : إن عقيل بن أبي طالب تكلم
بذلك . وقال أبو تمام (من الطويل) :
٨٤- جلا ظلمات الظلم عن وجه أمة أضاء لها من كوكب الحق آله (٧)
وسرقه من قول النبي صلى الله عليه وسلم الذي تقدم . وقال القطامي (٨)
(من الوافر) :

-
- (١) إمام اللغة والأدب وصاحب العين ومبتكر علم العروض وأستاذ سيويه
(١٠٠ - ١٧٠ هـ) .
(٢) خلجت عينه ، من باب جلس ودخل ، واختلجت : طارت ، والخليج من البحر
شرم منه ، وهو أيضاً النهر ، والبيت للخرمى كما سيأتى في الشاهد ثمرة ١١٧ .
(٣) جزء من بيت شعر لمسلم كما سيأتى في الشاهد ١١٣ ، واللوم تخفيف اللوم .
(٤) اسم قبيلة ، وفي الأصل : له بدل .
(٥) أول خلفاء بني أمية مات عام ٦٠ هـ .
(٦) زيادة عن الأصل لتصحيح المعنى وهي رواية الصنعانيين أيضاً .
(٧) جلا : كشف . ظلمات : جمع ظلمة .
(٨) شاعر لحل رقيق حواشي الكلام كثير الأمثال في شعره مات نحو عام ١٠١ هـ

- ٨٥- ولما ردها في الشول شالت بذبال يكون لها لقاعا (١)
ويروي في بعض الحديث عن عمر رضى الله عنه أنه قال: هاجر وأولاه تاجر (٢)
وقال محمد بن كناسة (٣) (من الطويل) :
٨٦- وسميته يحيى ليحيا ولم يكن إلى رد أمر الله فيه سبيل (٤)
تيممت فيه النال حين رزقته ولم أدر أن النال فيه يفيل
وقال جرير (من الطويل) :
٨٧- فما زال معقولا عقلا عن البدي وما زال محبوبا عن المجذوب حابس (٥)
وقال ذو الرمة (٦) (من الطويل) :
٨٨- كأن البرى والعاج عجت متونه على عشر يرى به السيل أبطح (٧)

(١) شال الميزان : ارتفعت إحدى كفتيه . الشول : جمع شائلة وهي الناقة التي تشول بذنها عند إرادة الفتح ولا لب فيها ، والشائلة من الأبل ما أتى عليها من حملها أو من وضعا سبعة أشهر . الحف لبها ، جمعها شول على غير قياس . الذبال: الذيل الطويل . اللامع: ما يلمع به . يقول : لما أراد أناس ناقة رفعت ... طلبا له ... ذبالا الطويل الذي يكاد يكون لقاعا وغطاء لها .

(٢) تاجر فلان تشبه بالماجرين .
(٣) من أسرة شاعرة وهو شاعر عباسي رقيق الحاشية جميل الطبع عاصر المأمون ومات عام ٢٠٧ هـ ، وكان كوفي المولد والنشأة ، وروى عنه شيء من الحديث ، وكان لا يتعرض لمذبح أو هجاء ورفض الاتصال بالخلفاء مع إملاقه (١١١/١٣) الأغاني .
(٤) البينان في رثاء ابن له كان اسمه يحيى . جمعه نقصده . العال : التماؤل بالخير وقال : غاب

(٥) عقلا وحابس أحد أجداد الفرزدق (راجع ٥٨ و ٥٩/٣ زهر الآداب) .
(٦) هو غيلان بن عقبة عشيق مية واشتهر بها ، وتوفي عام ١١٧ هـ ، وهو شاعر أموى مجيد في وصف الأطلال وكان يذهب في ذلك مذهب الجاهليين ويعبد من لحول الطبقة الثانية في عصره

(٧) البرى جمع برة وهي الخللخال والحفنة في أنف البعير ، العاج عظم الفيل والذبل أيضا ، عاج عطف رأس البعير بالانعام . والعشر شجر يمينه كما قال المبرد =

وقال زياد الأعمى (١) (من الطويل) :

٨٩- وبنتهم يستنصرون بكامل وللزم منهم كامل وسنام (٢)
وفي هذا البيت تجنيس واستعارة . وقال رجل من بني عيسى (من البسيط):

٩٠- أبلغ لديك بني سعد مغللة إن الذي بيننا قد مات أو دنفا
وذاكم أن ذل الجار حالكم وأن أنفكم لا يعرف الأنفا (٣)

وقال مسكين (٤) الدارمي (من البسيط) :

٩١- وأقطع الخرق بالخرقاء لاهية

إذا الكواكب كانت في الدجى سرجا (٥)

وقال حيان بن ربيعة الطائي (من الوافر) (٦) :

==والأبطح: مسبل واسع فيه دفاق الحصى، المن: الصلب، ذكر المبرد البيت في كامله
وشرحه (ص ١٢ ج ٢) وذكر أن العاج كان يتخذ مكان الأسورة، ورواية ابن
دشيق في العمدة، نهي بدل يرى وقال قال ابن المعتز: نهي به السبل أي بلغ به
إليه فهو أقوم له وأكثر لدونة، وأنا أقول: معناه ترك به السبل نهيًا وهو الغدير،
وذلك أتم لما أراده ابن المعتز. اللام إلا أن يكون معناه جعل نهايته هناك فانه أتم
وأجود أي لم يجد متصرفًا فأقام (١/ ٢٩٣ العمدة) .

(١) شاعر مشهور جزل الشعر فصيح الألفاظ مات بخراسان عام ٨٥ هـ
(٢) كامل الأول اسم، والثاني المراد به الحارث وهو ما بين السكتين، السنام
واحد أسنمة الإبل، نهي: خبر .
(٣) المغالطة: الرسالة، دنف المريض: ثقل حاله: صار حليفاً له. الأنف
بفتح النون، والأنفة: الاستنكاف والعزة .
(٤) شاعر إسلامي، جزل الشعر مطبوعه اتصل بمعاوية وزيد بن ورقى في آخر
القرن الأول، ولقب المسكين بيت شعر له (٢/ ٣٥٦ الخزائن نشر الأستاذ محي الدين)
(٥) الخرق: الصحراء الواسعة. الخرقاء: الناقة تخرق الأرض أي تجوبها .
سرج: جمع سراج .
(٦) ذكره أبو تمام في حماسه وروى البيت: ذوو حد، وذكره المؤلف
(ص ٩٨) .

- ٩٢ - لقد علم القبائل أن قومي لهم حد إذا لبس الحديد (٢)
وقال النعمان (١) بن بشير لمعاوية (من الطويل) :
٩٣ - ألم تبتدركم يوم بدر سيوفنا وليك عما ناب قومك نائم (٣)
وقال الكهيت (من الطويل) .
٩٤ - ونحن طمعنا لامرئ القيس بعد ما
رجا الملك بالطماح تكباً على نكب (٤)
وأخذه من قول امرئ القيس (من الطويل) .
٩٥ - لقد طمع الطماح من بعد أرضه ليلبسي من دائه ما تلبسا (٥)
وقال الفرزدق (من الطويل) :
٩٦ - خفاف أخف الله عنه سحابه وأوسع من كل ساف وحاصب (٦)
وقال أوس بن حجر يصف وادياً وموضعا (من البسيط) :

- (١) ذوو حد : أي ذوو متعة وقوة ، الحديد يريد به الدروع .
(٢) أنصاري أمير خطيب شاعر من أهل المدينة ومن أجلاء الصحابة ولى قضاء دمشق لمعاوية ثم إمارة الكوفة له ثم ولى حمص ، وبايع لابن الزبير بعد موت يزيد قتل سنة ٩٥ هـ .
(٣) ابتدروا السلاح : تسارعوا إلى أخذه .
(٤) طمع بصره إلى الشيء : ارتفع ، نكب عن الطريق : عدل ، والتكب : الطرح أيضاً والمصيبة .
(٥) الطماح : رجل من بني أسد بعثه قيسر بحملة مسمومة إلى امرئ القيس ، وهو الذي وشى به عند قيسر . ومعنى البيت : أصابني الطماح بما نالني من البلاد من بعد ، يقال : طمع ببصره إذا أبعد النظر ورفعته ، وقوله : ليلبسي من دائه ما تلبسا أي ما لبس جسمه وغشاه (٩٣٠) شرح ديوان امرئ القيس لابن أيوب .
(٦) السحابة : الذئب ، وجمعها سحاب . سفت الريح التراب : أذنته ؛ الحاجب : الريح الشديدة تثير الحصباء أي الحصى ؛ يدعو عليه بالجذب وانقطاع المطر .

- ٩٧ - لكن - بفرناج (١) فالخلصاء (١) أنت - بها
 - تختل (١) فملى سراء (١) - مسرور
 وقال زهير بن أبي سلمى (من البسيط) :
 ٩٨ - كأن عيني وقد سال الليل بهم وجيرة ماعم لو أنهم أمم (٢)
 وقال الكميث (من الطويل) :
 ٩٩ - قل لجذام قد جذمتهم وسيلة
 إلتاكتار الرداف على الرجل (٣)
 وقال الأرقط (٤) (من الرجز) .
 ١٠٠ - مرتجز في عارض عريض (٥)
 وحدثنى المعزى (٦) قال : حدثني عمر بن (٧) عبيدة قال حدثني الوليد

- (١) اسم موضع ومسروور خبر أنت .
 (٢) سال للليل بهم : أى ساروا فيه سيرا سريعا لما انحدروا فيه والسبيل :
 واد بعينه . عبرة مام - ويرى وجيرة - أى هم عبرة لى أى سبب عبرتى وبكائى ،
 وما زائدة لتوكيد المعنى . أمم : قريب ، وجواب لو محذوف .
 (٣) جذام : قبيلة . جذم : أى قطع . وسيلة : صلة مودة . الرداف الركوب
 على عجز الدابة .
 (٤) حميد الأرقط شاعر إسلامى أموى عاصر الحجاج وبعدة الجاحظ من جمع
 الرجز والقصد من الشعراء .
 (٥) الرجز : ضرب من الشعر . ورجز الراجز وارتجز بمعنى واحد . المعارض .
 السحاب المعترض فى الأفق والمراد به هنا ما يعترض الإنسان فى سيره . من وديان
 وجبال ، وعريض : واسع .
 (٦) هو الحسن بن علي بن المعزى (٩٤/٩٠) يافوت نشر مرجليوت) ، وهو أحد
 الأدباء الذين عاصروا ابن المعتز ، وهو أحد رواة الألفاظ ، وكان رواية للأخبار
 كما كان وثيق الصلة بابن المعتز . ومات عام ٣٩٠ هـ (٣٩٨ / ٧ تاريخ بغداد)
 (٧) رواية أخبارى كان فى عصر المأمون والمتوكل .

ابن هشام^(١) قال مر عامر بن عبد الله بن الزبير^(٢) بحسن بن حسن^(٣) بمر^(٤) قال : نزلت بمر فرر عليك عيشك ، فقال : بل نزلت في مر في حال طاب لي أكله إذ أنت متلوث في أدناس بني أمية^(٥) . وقال أعرابي وذكر عبدا : ما ترام إلا في وجه وجيه^(٦) .

المحدثون : كتب أبو العيناه^(٧) إلى ابن مكرم في بعض ما يذمه وأخاه^(٨) وكيف أظهرتم حب النساء وبكم عرق النساء^(٩) ، وكيف تقدمتم المهور^(١٠) مع حاجتكم إلى الذكور . قال الطائي (من البسيط) :
١٠١ - ويوم أرشقي والهيجاء قد رشقت من المنية رشقا وبلاقصفا^(١١)
وقال (من الطويل) :

-
- (١) أديب عاصر المهدي والرشد .
(٢) عبد الله بن الزبير ولي الخلافة من عام ٦٤ إلى عام ٧٣ هـ وعامر هذا هو أحد أبنائه .
(٣) كان مثل والده الحسن م عام ٤٩ هـ صلاحا وورعا ، وتزوج فاطمة بنت عمه الحسين ، وتوفي في آخر القرن الأول الهجري .
(٤) بطن مر : يقال له مر الظهران على مرحلة من مكة .
(٥) الأكل بالضم : ثمر الشجر والنخل . لوث ثيابه بالطين : طأها . الأدناس : جمع دنس وهو الوسخ .
(٦) الوجه : المذهب والطريق . وجيه : أي حسن وجميل .
(٧) محمد بن القاسم ضرير ذو لسان وبيان وعارضة ورواية واسعة وله مع المتوكل أخبار وله شعر قليل وتوفي بالبصرة عن سن عالية عام ٢٨٢ هـ .
(٨) هكذا في الأصل .
(٩) النساء : عرق يتصل بالفخذ ، ولا تقل عرق النساء ، وأجاز ذلك ابن السكيت .
(١٠) تقدم : أي قدم . المهور : جمع مهر ، وهو الصداق .
(١١) أرشقي : اسم مكان . الرشقي : الرمي . رشقه بالنبل : رماه . القاصف : القاصف الشديد الصوت . الوايل : المطر الشديد .

- ١٠٢- إذا أجمت يوماً لجسيم وحولها بنرا الحصن نجل المحصنات النجائب
فان المنايا والصوارم والفنا أقاربكم في الروع دون الأقارب (١)
وقال (من الخفيف)
- ١٠٣- فاض فيض الآتي حتى غدا المو سم من فضل سبيه موسوما (٢)
وقال (من الخفيف):
- ١٠٤- سعدت غربة النوى بسعاد فهي طوع الإتهام والإيجاد (٣)
وهذا من الأبيات الملاح، ثم مدح فيها فقال (من الخفيف):
- ١٠٥- عاتق معتق من الهون إلا من مقاساة مغرم أو نجاد
للحالات والحسائل فيه كاجوب الموارد الأعواد
كادت المسكرات تنهد لولا أنها أيدت بحى إباد
ملاكم الأحساب، أى حياة وحيا أزيمة وحية وادى (٤)
وقال سعيد بن حميد (٥) (من الكامل):

(١) أجمت: وضعت اللجم في الأفراس. لجم وبنوا الحصن: قومان بينهما صلة.
المحصنات: المعقائف. نجائب: أى كريمات أو منجيات. الصوارم: السيوف
القاطعة. الفنا: الرماح. الروع: الفزع.

(٢) الآتي: السيل. السيب: المنحة. أرض موسومة: أصابها الوباء.

(٣) هو طوع يديه: أى منقاد له. أتهم الرجل: صار إلى ترامة. أجمد: دخل
في بلاد نجد.

(٤) العاتق: موضع الرداء من المشكب. معتق: أى أعنت من ذلة الهوان.
المقاساة: المماناة. مغرم: غرامة. النجاد، حائل السيف، الخالات: جمع حمالة
بالفتح، ويقال: حمل به حمالة أى كفل. الخائل: علائق السيف. اللجوب: الشجوب
الموارد، جمع وراذ، وهم الذين يردون الماء، والمراد بهم ضيوفة. الأعداد: الكثير.
والمعنى هو شاحب كشجوب عفانة لما حمل من الحقوق وحائل السيوف. والحيا،
المطر. الأزيمة: الجذب والشدة. وأى خبر مبتدأ محذوف أى أنت أى الخ.

(٥) كاتب شاعر مترسل عذب الألفاظ مقدم في صناعته وراجع نبذة من شعره
في زهر الآداب (١٦٤ - ١٧٠ / ٤). وتوفى نحو عام ٢٦٠ هـ.

- ١٠٦- طلعت أرائل للرياض فبشرت
نور الريحع بمجة وشباب
وغدا السحاب يكاد يسحب في الربا
أذيال أسحم حلاك الجلباب
وترى السماء إذا أسف ربابها
وكانها كبيت جناح غراب
وترى الفصون إذا الريح تنفست
ملففة كتعاق الأجباب
تبكي لتضحك نورهن فياله
ضحكا تكشف عن بكاء سحاب (١)
أردنا قوله «وغدا السحاب يكاد يسحب» . وقال مسلم بن الوليد (من
الكامل):
١٠٧- دار الغواني بدلت أطلالها حور المها وشوادن الغزلان
لعبت بها حتى محت آثارها ريمان رائحتان باكرتان (٢)

(١) النور : الزهر . المجدة : من جد الشيء صار جديداً . سحب : جر ، الربا : جمع رهبة ، وهي المكان المرتفع ، أذيال : جمع ذيل ، أسحم : أسود ، حالك : مشد ، السواد ، الجلباب : الملحفة ، أسف : دنا من الأرض ، الرباب : السحاب الأبيض أو السحاب المرقى دون السحاب الأبيض أو أسود ، وكل ذي رقة فهو متنفس ، وتنفس الصبح : تبليج ، تكشف : انكشف
(٢) الغواني : جمع غانية ، وهي المرأة التي غنيت بزوجها أو بحسبها وجمالها . الأطلال : ما شئخص من آثار الديار ، حور : جمع حوراء من الحور وهو شدة بياض العين في شدة سوادها ، المها : جمع مهاة ، وهي البقرة الوحشية ، شوادن : جمع شادن من شدن الغزال أي قوى وطلع قرنائه واستغنى عن أمه ، الغزلان : جمع غزال ، ريمان فاعل لعبت ، رائحتان : من راحت بالأنف أي رجعت . باكرتان : من بكره وكل من يادر إلى شيء فقد بكر إليه ، والبكرة النداء .

وقال عمار بن عبدل بن بلال بن جرير (١) في المطر (من الطويل) :
 ١٠٨ - رعدا لغاط فبات يلغظ سيله ويبيع في لب الرغام ويصخب (٢)
 جمع في هذا البيت التجنيس والاستمارة . وقال الطائي (من الكامل) :
 ١٠٩ - راحت لأربعك الرياح مريضة وأصاب معذك الغمام الصيب (٣)
 وتقدم في بعض المجالس إلى صديق لنا بخمر ، فقال له غلام صاحب المنزل :
 • تبخر فإنه تد ؛ فلما ألقاه على النار لم يستطع فقال : هذا تد عن التد (٤) .
 وقال بعضهم (من البسيط) :
 ١١٠ - لاتصغ للوم إن اللوم تضيل واشرب في الشرب للإخوان تعليل
 فقد مضى القيط راحته راحله وطابت الراح لما آل أيلول
 لم يبق في الأرض نبت يشكى مرها إلا وناظره بالطل مكحول (٥)
 وقال أبو محمد اليزيدي (٦) للأصمعي (من المتقارب) .

(١) شاعر فصيح من أحفاد جرير مدح المأمون وقراده ومات سنة ٣٤٠ هـ .
 (٢) لغاط : جبل أو مكان مرتفع واللفظ : الصوت والجلبة . والعجة والعجيج :
 رفع الصوت ، واللب : اللبة وهي المنحر ، الرغام : التراب ، صخب : أى اشتد
 صوت وقعه على الأرض .
 (٣) أربع : جمع ربع وهو الدار بعينها مريضة أى ضعيفة . المنفى : منزل
 الإقامة . الغمام : السحاب . الصيب : السحاب المتدفق .
 (٤) الند : عود طيب الرائحة ؛ وتند : تفر وهذه الرواية في الصناعتين ص ٣١٣
 (٥) أصغى إليه : مال بسمعه نحوه . تضليل : منسوب إلى الضلال . علله بالنى . تمايلا
 لهاء به . القيط : شدة الحر . أحدث : سيرها سيرا حديثا ، الرواحل : جمع راحلة وهي
 الناقة التي تصلح لأن تحمل الراح : الخمر . آل : رجع . أيلول : من أشهر الربيع .
 مرها : أخطأ ، والمرء مريض في العين ترك الكحل . الناظر في المفلة : السواد
 الأصفر الذي فيه سواد العين . الطل : أضغف المطر .
 (٦) هو يحيى بن المبارك صاحب يزيد بن المنصور خال المهدي يؤدب ولده فنسب
 إليه ، واتصل بالرشيد فعمد إليه بتأديب المأمون وله شعر جيد وكان من علماء العربية
 والأدب ، توفي سنة ٣٠٢ هـ .

١١١-وما أنت؟ هل أنت إلا امرؤ إذا صح أصلك من باهلة
وللباهلي على خبزه كتاب لأكله الآكلة (١)
وقال أبو العباس (٢): وكتب إلى بعض الإخوان: وقد رخصت الضرورة
في الإلحاح وأرجو أن تحسن النظر كما أحسنت الانتظار. وقال إسحق بن إبراهيم
الموصلى: نزل بأبي دلالة (٣) أضياف له ففداهم ثم بعث إلى سندية نياذة (٤)،
يقال لها: دوم، وأرسل إليها بجرة (٥)، فوجهت إليه (٦)، فشرى بها؛ ثم أعاد،
فبعثت بأخرى، وجاءت تقتضيه الثمن (٧)؛ فقال: ليس عندي ما أعطيك،
ولكن أدعوك، فقال (من الوافر):

١١٢- ألا يا دوم دام لك النعيم وأحمر ملء كفك مستقيم
شديد الأصل بنض حالياه قوى فوقه فخر عظيم
يقويه الشباب ويزدهيه وينفخ فيه شيطان رجيم (٨)
وقال مسلم بن الوليد (من البسيط):

-
- (١) باهلة: قبيلة الأصمى. الأكل اسم فاعل من أكل. الآكلة: النار أو السياط
أو العصا المحددة: وآكلة اللحم: السكين. والبيت الأخير في الكامل مع تغيير في الرواية
(٢٤ / ٢) كامل، طبعة التجارية).
(٢) يعني به ابن المعتز نفسه.
(٣) شاعر كوفي مليح الشعر كثير النادرة شهد آخر الدولة الأموية واتصل
بالسفاح والمنصور والمهدي وتوفى في آخر خلافة المهدي عام ١٦١ هـ.
(٤) أى تصنع النبيذ.
(٥) الجرة من الخزف.
(٦) المراد: أرسلتها إليه معلومة نبيذاً.
(٧) تقال به،
(٨) يعنى بأحمر: آلة الرجل، ويروى الأسر بدل الأصل، والأسر الخلق، وبعض
العرق: تحرك، الحالبان عرقان في جانبي الذكر، الفهر: الحجر الصلب، وهذه
الآيات والرواية الأدبية المذكورة في الأغاني (١٣١ / ٩) مع تغيير ضئيل.

- ١١٣ - يا صاح إن أخاك الصب مهموم فارق به إن لوم العاشق اللوم^(١)
وقال أيضاً (من البسيط) :
- ١١٤ - تورى بزندك أو تسمى بمدك أو تفرى بمدك كل غير محدود^(٢)
وقال بعضهم^(٣) يصف السحاب (من الخفيف) :
- ١١٥ - نسجته الجنوب وهي صناع وترقى كسأنه حبشى
وقرى كل قرية كان يقروها قري لا يحف منه القري^(٤)
وقال آخر (من الكامل) :
- ١١٦ - وقالت فراسة من بطور يشيل ورد وتزعم أنه لا يفرس^(٥)
وقال أبو يعقوب اسحق بن حسان الخزري^(٦) (من الكامل) :
- ١١٧ - يوم خابحت على الخليج نفوسهم غضبا وأنت بمنلها مستام^(٧)
وقلت من الكامل :

(١) اللوم مخفف اللزم .

(٢) وري الزند ربا : خرجت ناره وأوراه غيره . والزند : العود الذي يقدح به النار وهو الأعلى . الجذ : الحظ . فري الشيء : قطعه الحد المراد به السيف . والمحدود المتنوع من البخت وغيره . والرواية بالياء في الأفعال كلها .

(٣) ينسب لابن النعمان الجلي الطهوي (أماري ١/١٧٩) وكان كاتب الحسن بن زيد العلوي مؤسس الدولة العلوية في طبرستان والمتوفى سنة ٢٧٠ هـ وأسمه في النعمان هرون بن موسى ورفي الحسين بن زيد (٤٨٥ هـ معجم الشعراء) ووقع في اسم في المعجم تحريف . ومات بعد عام ٢٧٠ هـ .

(٤) الجنوب ريح تقابل الشمال . الصناع : الجيد الصنعة . وترقى : رقى درجة بعد درجة . والقرية : البلدة . والمصدر : الجامع . وقرى الضيف يقربه قري : أحسن إليه ويقروها من القرو وهو الفصد وقرى المساء على وزن فمیل : مسيله من النلاح .

(٥) طار يطور : حلق . المشيل : الأسد الذي له أشبال (أولاد) الورد الاسديين الكيت والأشقر ، فرس الأسد قريسته وأقرسها : دق عنقها .

(٦) شاعر عباسي مجيد عاش في عصر الرشيد والمأمون .

(٧) الشعر الأول سبق في الشاهد ٨٢ شرحه . سامت الماشية : رعت ، والسوم في الجابحة نفول ساومه واستام على ، واستام الناقة ساوم عليها .

١١٨- يا دار أين طباؤك اللعس قد كان لي في إنسها أنس
أين البدور على غصون نقا من تحتين خلاخل خرص^(١)
وقال أبو نواس (من الكامل) :

١١٩- تدع المطى أمامها وكأنها صفت تقدمين وهي إمام^(٢)
وقال والبة بن الحباب^(٣) يرثي أخاه (من المنسرح) :

١٢٠- أمسيت في حفرة يلقعة جاورها في محلبها حفسر
وكنت لي مألفاً إذا نفر من بعض إخوان ودم قفروا^(٤)
وقال البحتري^(٥) (من البسيط) :

١٢١- لولا علي بن مر لا مستمر بنا خلق من العيش فيه الصاب والصبر
برد الحشا وهجير الروح محتفل ومسر، وشهاب الحرب مستعر
ألوى إذا شاك الأعداء كدم حتى يروح وفي أطفاره ظفر

(١) اللعس : جمع لعساء ، يقال شفة أو امرأة لعساء ، واللعس لون الشفة إذا كانت تقرب إلى السواد قليلاً وبابه طرب . الإنس : ضد الجن ، والإنس المؤانسة والتفا : كثيب الرمل يشبه به الردف . خرص أى لشدة امتلاء الساقين .

(٢) يصف سرعة تأفته وتقدمها على المطايا ، ويشبهها مع النوق التي ذاملتها في السير بالإمام يتقدم على الصف الأول في الصلاة ، وبربرى — بدل أمامها — وراءها .

(٣) كوفي شاعر غزل ظريف ماجن وصاف للشراب وأستاذ أبي نواس ، توفي قريباً من عام ١٧٥ هـ .

(٤) البلقعة : الأرض القفر لاشئ . بها ، النفر : عدة رجال من ثلاثة إلى عشرة نفرت الدابة تنفر تفاراً . المؤلف : الإلف .

(٥) أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي ، ولد بمجنج سنة ٢٠٦ هـ ، وتنقل في قبائل طيء وغيرها ، واتصل بالمتوكل والفتح بن خاندان ، ومات سنة ٢٨٤ هـ . ويمتاز شعره بركة الالوب وحسن الخيال وجودة الوصف والرياء والسناب والغزل والمديح ، كما يمتاز بقوة الطبع وبانباع مذاهب العرب في نظم الفريض .

جاني المضاجع ما ينمك في لجب يكاد يقمر من لآلائه القمر (١)
وقال أيضا (من الكامل) :

١٢٢ - ورمى بثغره الثغور فسدها طلق اليدى مؤملا مرهوبا (٢)
وقال أيضا (من الطويل) :

١٢٣ - حيا الأرض الفت فوقه الأرض ثقلها وهول الأعادى حوله الترب هائل
ستبكيه عين لا ترى الجرد بعده إذا فاض منها هامل عادها مل (٣)
وقال أبو تمام (من الكامل) :

١٢٤ - وله إذا خلق التخلق أو نبا خلق كروض الحزن أو هو أخصب (٤)

(١) استمر : صار مرأ من المرارة ضد الحلاوة ، واستمر ذهب ومر مرورا ، واستمر أيضا استحكم . الصبر : الدوام الحر . ورد الحشا : أى الممدوح ، برد الحشا ، أى به يثنج الصدر ويطيب القلب . الهجير : اشتداد الحر في نصف النهار الروع : الفزع . الحننل بالثى : اجتماع له وعنى به . ويقال : هو مسعر حرب : من سمر النار والحرب هيجها وألهها . واستمرت النار توقدت . الثهاب : شدة نار ساطعة . رجل أوى : أى قوى شديد الجدل ، والآوى الشديد الحسومة الجدل والمنفرد المعزى . ومن الطريق البعيد المجمل . ل ، شاك الأعداء : أى اشتكى واختلط بهم في الحرب ، والشبك : الحفظ . كدهم : أنهم . جان : جانب . اللجب : الجيش العظيم المختلط الأصوات . الألاء : الألقاب ، أقر : طلع أو أضاء .
(٢) الثغرة : النقرة في أعلى البحر . الثغور : موضع الخفاة من فروج البلدان ، طلق اليدى : أى كريم .

(٣) حيا الأرض ، أى هو - أى المرنى - حيا الأرض ، والحيا : الحصب والمطر ، وأفت فوقه الأرض ثقلها : أى دفن في جوفها وهيل عليه التراب ، وهول الأعادى : أى هو هولهم من هاله الثى . أفرده . هائل : عظيم ، هامل من هملت عينه ، أى فاضت ، وبرى غاض بدل فاض .

(٤) خالق الثوب ، بلى ، التخلق ، إظهار الإنسان غير خلقه ، نبا السيف إذا لم يعمل في الضريبة ، الحزن : ما غاظ من الأرض .

وأشدد العتيبي (١) (من الكامل) :

١٢٥ - دنس القميص غليظه من غير لخته سده
وشعار من شعره فكأنه من مك شاد (٢)
ويقال إن عبد الله بن إدريس (٣) سئل عن النبيذ فقال : جل أمره عن
المسألة ، أجمع أهل الحرمين على تحريمه ، ولم يقصده فيما أعلن ، ولكن كاتبا
له في الكلام .

ومن التجنيس المعيب في الكلام والشعر قول بعض المحذنين ، وهو
منصور بن الفرّج (٤) (من المتقارب) :

١٢٦ - أكابد منك أليم الألم فقد أحل الجسم بعد الجسم (٥)
وقال أيضاً (من الكامل) :

١٢٧ - إن كان يوم صائراً لمنية إلفاً فيوم تفرق الألفين (٦)

(١) محمد بن عبد الله من بني عتبة بن أبي سفیان البصري راوية الأخبار والآداب
وله شعر حسن ومصنفات (٢٠٠ معجم الشعراء) ، كان متصلاً بمحمد بن
عالم بن يرمك (٧٦ / ٢٠) أغاني ، وقال ابن التميمي ، كان العتيبي وأبو عبد الله
فصيحين ، وتوفي العتيبي عام ٢٢٨ .

(٢) الدنس : الوسخ ، السدى . ضد اللحمة ؛ ولغة الثوب بهنم اللام وقبحها .
الشعار : ما روى الجسد من الثياب ، المسك : الجلد .

(٣) مروت ترجمته وهو محدث ورع توفي عام ١٩٣ . وهو بالطبع غير أبي
عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المتوفى عام ٢٠٤ هـ ، وقد أخطأ عبد القاهر حيث
فهم أنه الشافعي فذهب إليه (٧ أسرار البلاغة - المنار) .

(٤) شاعر عباسي رقيق عذب الأسلوب واضح الصنعة فيه ، أنيق الديباجة ،
عاصر ابن المعتز . وتوفي في أواخر القرن الثالث ، وهو أخو إبراهيم بن الفرّج
البغدادي الشاعر ، وفي الصناعتين : أشده ابن المعتز (٣٣٧ صناعتين) .

(٥) الجسم : الجلد ، جسم الشيء . عظم ، والبيت في الصناعتين ٣٣٧ .

(٦) الإلف ، الأليف ، والمهني أن يوم تفرق الأحباب هو اليوم الذي صار
أليف المنية ، أي يوم الفراق ويوم المنية سواء عند المحبين .

وقال آخر (من البسيط) :

١٢٨ - كم رأس رأس بكى من غير مقلته دماً وتحسبه بالقساع مبتسماً^(١)
وهذا أيضاً يدخل في باب المطابقة . وقال أيضاً بعض المحدثين ، يعرف
بالبندنجي^(٢) يمدح عبيد الله بن عبد الله بن طاهر^(٣) (من البسيط) :
١٢٩ - هي الجآذر إلا أنها حور كأنها صور لكنها صور
نور الحجال ولكن من معسايبها إذا طلبت هواها أنها نور
غيداء لو بل طرف البابل بها لارتد وهو بغير السحر مسحور
إن الرواح حكى روح العراق لنا أصلاً وقد فصلت من مكة العير
تشكى المعقوق وقد عني المعقوب لها وأرض عروة من بطحان فالنير
يحبتها كل زول دأبه دأب من طول شوق وهجيراه تهجير
مقورة لآل من خوض الفلات إذا ما اعتم بالآل من أرجائها القور^(٤)

- (١) القناع : الأرض المستوية . المقلة : شجرة الدين التي تجمع البياض والسواد
الرأس معروفة ، والرأس الثانية : الرجل العظيم ، يقال فلان رأس قوم أي عظيمهم
والمعنى : كم سيد عظيم قتل وطرح رأسه في القناع والدماء تتدفق منها فكانت كما يبكي
من غير مقلته . والبيت في الصنائع ص ٢٢٧
(٢) إبراهيم بن الفرج شاعر عباسي متأق جميل النظم موقى البديع وقيق
الأماني عاش إلى آخر القرن الثالث الهجري .
(٣) أمير أديب شاعر انتهت إليه رئاسة أمه وولى شرطة بغداد وولده ووفاته
بها (٢٣٣ - ٣٠٠ هـ) ، وكان رفيع المنزلة عند المعتضد ، وله براعة في الهندسة
والموسيقى حسن الترسيل ، ألف كتاباً في أخبار الشعراء ، وكتاب السياسة الملوكية
وكتاب البراعة والفصاحة وله مراسلات مع ابن المعتز .
(٤) الجآذر : الغلياء . حور : جمع حوراء من الحور وهو شدة بياض
العين في شدة سوادها . الصور : المثلة . الحجال : بيت يزين بالثياب والأسرة
والستور ، أي هي هجتها وأنسها . ونور الثانية بمعنى نأفراة ، وبينهم نأفرة :
أي عداوة وشحناء . غيداء : ناعمة من الغيد وهو النعومة ، بابل ، نسبة إلى بابل =

وقال أبو تمام (من الكامل) :

١٣٠ - ذمبت بمذهبه السباحة قائلتوت فيه الفنون أمذهب أم مذهب^(١)
وقال البسيط :

١٣١ - أحطت بالخزم حيزوما أحاهم كشف طخياء لاضيقا ولا حرجا^(٢)
وقال البهروى^(٣) في طاهر بن الحسين^(٤) (من البسيط) :

١٣٢ - ولو رأى هرم معشار نائله لقليل في هرم قد جن أوهرما^(٥)

== موضع المرافق ينسب إليه السحر والخمر، يريد به هاروت. الطرف : العين. وبلى به : كناية عن رقبته إياها. الرواح : من راح السفر بالعشى يروحون أى رجعوا. والروح : الاستراحة والرزق والنعمة. أصل : جمع أصيل وهو ما بعد صلاة العصر إلى الغروب فصل من الناحية : خرج العير : الإبل تحمل الميرة. العقوق : جحود الجليل. المقيق : وانظراهم المدينة. أرض عروة وبطحان والنير أسماء أمكنة ببيتها، وللضمير في تنكي اللال أى إرهابها في المسير كالعقوق حثه على النسي. فاحت : أى حصنه، والضمير في يحتم لغير الزول : الرجل الضخم العظيم. الدأب : العادة. الدأب : الدؤوب والجد هجيراء : أى عادته. التهجير : السير في الهجرة. الآل : الشيع والسراب، مقورة مكورة. وفور الشيء أى غرقه من وسطه مستديراً، والفور : جمع قوراء وهى الأرض الواسعة، أى أن جسمها هزل من إغضاء السفر وغوض العلوات. غاض في الماء : اجنازه، وغاض القمرات : افتحمها. القلاة : المعازة، اعتم : نعمم، ورواية الأصل : من حوض القلاة بالخاء. (١) المذهب : الطريق.

(٢) الخزم : ضبط الرجل أمره، الخيزوم : وسط الصدر وما يضم عليه الخزام. الطخياء : اللبلة المقلدة، والمنكلاات المتلبسة، لاضيقا : أى لاضيق الصدر من المعجز يضيق بالأمور ذرعه، أولاً بخيلاً، وخرج : ضيق، وخرج صدره : ضاق.

(٣) لعل هنا تحريفاً، وصححه البهراني، وهو اسحق بن خلف شاعر عاصر المأمون وروى له المبرد في كامله شعراً كثيراً، ورواية الصنائعيين. الخزوى (صفحة ٣٢٨) وهو أبو سعيد الخزوى الشاعر، وقد سبق ترجمته ولعل هذه الرواية هى الصحيحة (٤) من كبار القواد والوزراء وطرد الملك المأمون فولاء شرطه بغداد ثم ولاه خراسان سنة ٢٠٥، وتوفى بها عام ٢٠٧ بمرو.

(٥) هزم بن ستان مدوح زهير، وهرم : أى كبير وشاخ.

الباب الثالث من البديع وهو المطابقة^(١)

قال الخليل رحمه الله : يقال طابقت بين الشيئين إذا جمعتما على حدو^(٢) واحد . وكذلك قال أبو سعيد . فالغائل لصاحبه : أنبتاك لتسلطك بناسيل التوسع فأدخلتنا في ضيق الضمان^(٣) ، قد ضايق بين السعة والضيق في هذا الخطاب . وقال الله تعالى : ولكم في القصص حياة يا أولي الألباب . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأَنْصار : إنكم لتكثرون عند الفزع وتقلون عند الطمع^(٤) وقال عيسى ابن طلحة^(٥) لعروة بن الزبير^(٦) حين ابتلى في رجله : إن ذهب أهونك علينا

(١) يسميها قدامة في نقد الشعر : « التكاثر » (ص ٨٥) وقد نقل العسكري في الصناعتين جميع ما كتبه ابن المعتز في الطبايق ولم يزد عليه إلا القليل (٢٩٧ وما بعدها) ، قال أبو هلال : المطابقة في الكلام الجمع بين الشيء وصدده في جزء من أجزاء الرسالة والخطبة أو البيت من بيوت القصيدة مثل الجمع بين البياض والسواد والليل والنهار والحرب والبرد ، وعالمهم قدامة فقال : المطابقة إيراد لفظتين متشابهتين في البناء والصيغة مختلفتين في المعنى كقول زياد الأعجم .

ونبتهم يستنصرون بكامل وللؤم فيهم كامل وسنام وسمى الجنس الأول التكاثر ، وأهل الصنعة يسمون النوع الذي سماه المطابقة التعطيل الخ ، وقريب من ذلك في إعجاز القرآن للباقلاني (ص ٧٩) . وراجع باب المطابقة في العمدة الذي تأثر فيه ابن رشيق بمن سبقه من العلماء وخاصة ابن المعتز (ص ٥ ج ٢ العمدة طبعة ١٩٣٤) . وتعلم يسمي المطابقة مجاورة الأضداد (٢٤ قواعد الشعر طبع ليدن) .

(٢) هذا العمل بالعمل : قدر كل واحدة منها على صاحبها .

(٣) ضيق الشيء ضمانا : تكفل به .

(٤) في صفحة ٣ من الكامل للبرد شرح واف للحديث .

(٥) هو عيسى بن طلحة بن عبد الله ناسك جيد الكلام وقد على عبد الملك وكله في عزل الحجاج فعزله وتوفي سنة ١٠١ هـ .

(٦) عروة هو أحد الفقهاء السبعة ، ولد بالمدينة سنة ٣٣ هـ ، وقدم إلى مصر ، وأقام بها سبع سنين ، ثم عاد إلى المدينة . وتوفي فيها عام ٩٣ هـ .

فقد بقي أعزك علينا ، فطابق كما ترى بين العز والمهوان ^(١) .
وقال أدد بن ^(٢) مالك بن زيد بن كهلان وهو طي في وصيته لولده : لا تكونوا
كالجراد ^(٣) ، أكل ما وجد ، وأكله من وجده . وقيل لابن عمر ^(٤) رضي الله عنه :
ترك فلان مائة ألف ، فقال : لكنني لا أتركه . وقال الحجاج في خطبته : إن الله
كفانا مزونة الدنيا وأمرنا بطلب الآخرة ، فليت الله كفانا مزونة الآخرة وأمرنا
بطلب الدنيا . وقال : من العمل ما هو ترك للعمل ، ومن ترك العمل ما هو عمل . ومن
المطابقة قول الحسن ^(٥) المشهور : ما رأيت يقينا لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه
من الموت ^(٦) . وقال الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ^(٧) للحسين ^(٨) وهو وإلى
المدينة في بعض منازعاتهم : ليت طول حلينا عنك لا يدعوا جهل غيرنا إليك .
وقال أبو الدرداء ^(٩) : معروف زماننا مكر زمان قدقات ، ومنكره معروف
زمان لم يأت . وقال الحسن رضي الله عنه وقد أنكر عليه الإفراط في تخويف

(١) في البيان (ج ٢ ص ٦٣ طبعة سنة ١٩٢٧) الرواية تفصيلا مع بعض تغيير ،
وفي صفحة ٢١١ / ٢ يرويها الجاحظ برواية أخرى وهي : قال عيسى لعروة حين
ابتلى برجله ففقطها : يا أبا عبد الله ذهب أهولك علينا وبقي أكثرك لنا .

(٢) جاهل قديم وكان رئيس قومه .

(٣) يضرب به المثل في التفرق والانتشار .

(٤) صحابي جليل أثر البعد عن ضجيج الحياة وشغب الفتنة وورث عن والده
الفاروق الخلق والدين ، وكان فقيها ومعدنا ، وتوفي بالمدينة عام ٧٣ هـ .

(٥) هو الحسن البصري الإمام الزاهد الواعظ المتوفى سنة ١١٠ هـ وولد
في خلافة عمر .

(٦) وفي رواية للجاحظ : من أمر نحن فيه ، يدل من الموت ، ٣/٩٧ بيان .

(٧) سيد شريف من قريش في الصميم وكان من أسرة بني أمية وولاه معاوية
المدينة وتوفي بعد منتصف القرن الأول .

(٨) سبط رسول الله وابن فاطمة الزهراء ، وقيل عام ٦٣ هـ في عهد يزيد بن معاوية .

(٩) صحابي جليل وولي قضاء دمشق لما دأبه بأمر الفاروق ، مات سنة ٣٣ هـ .

الناس : إن من خوفك حتى تبلغ الأمن خير من أمنك حتى تبلغ الخوف (١).
ولما حضر بشر بن منصور (٢) الموت فرح ، فقيل له أنفرح بالموت ؟ فقال :
أتجعلون قدومي على غائبي أرجره كتمانى مع مخلوق أغاته .
وقال عمر : إذا أنا لم أعلم ما لم أر فلا علمت ما رأيت . وقال مسلمة (٣)
ابن عبد الملك : ما حدثت نفسى على ظنر ابتداءه بعجز ، ولا لمتها على مكروءه ابتداءه
بجزم . وقال (٤) : الغنى فى الغربة وطن ، والفقر فى الوطن غربة . وقال ابن عباس :
كم من أذنب وهو يضحك دخل النار وهو يبكي ، وكم من أذنب وهو يبكي دخل
الجنة وهو يضحك . وقال أعرابي لرجل : إن فلانا وإن ضحك لك فإنه يضحك
منك ، فإن لم تتخذه عدوا فى علانيتك فلا تجعله صديقا فى سريرتك . وقال على
رضي الله عنه : إن أعظم الذنوب ما صغر عند صاحبه . وقال الحسن : كثرة النظر
إلى الباطل تذهب بمعرفة الحق من القلب . وشتم رجل الشعبي (٥) فقال له : إن
كنت كاذبا فغفر الله لك ، وإن كنت صادقا فغفر الله لي (٦) . وأوصى يزيد
ابن معاوية (٧) غلاما فقال : اعلم أن الظن إذا أخلف فيك أخلف منك . وقال

- (١) فى البيان ٣/٩٧ وقال الحسن المغيرة بن عمارش التميمي الخ ، ومن جيد
الطباق قول أبي بكر الخالد ، إحرص على الموت توجب لك الحياة .
(٢) ناسك صالح ورع من جلة رجال العصر الاسلامي الأول .
(٣) أمير قائد أموى له فتوحات مشهورة وكان شجاعا خطيبا وبارع اللسان
جوادا ولم يكن فى ولد عبد الملك مثله ، ١١٤ / ٣ بيان .
(٤) وتنسب هذه الحكمة لأرسطو ، وليد من الشعراء .
الفقر فى أوطاننا غربة والمال فى الغربة أوطان
(٥) رسالة الفقراء طبعة ١٩٠٣ بمصر .
(٦) رواية يضرب المثل بحفظه ولد ونشأ ومات بالكوفة سنة ١٠٣ وكان
تدريسا عبد الملك بن مروان وتقدمت له ترجمة
(٧) راجع هذه الرواية فى البيان ٢/٦٩ والسكامل ١/١٩٠ الطبعة القديمة .
(٨) الخليفة الأموى الثانى توفى سنة ٦٤ بعد أن مكث فى الخلافة ثلاث سنين
ونصف . وفى البيان ١١٩ و ١٢٠ / ٢ نسبتا لمعاوية ، وفى رواية الجاحظ إذا أخلف
منك أخلف مني فيك .

الحسن (١) : أما تستحيون من طول مالا تستحيون (٢) . وقال : من خاف الله أخاف الله منه كل شيء ، ومن خاف الناس أخافه (٣) من كل شيء . وقال علي (٤) ابن عبد الله بن عباس وقد ذكرت عنده بلاغة بعض أمهله : إني لأكره أن يكون مقدار لساني فاعثلا عن مقدار علي كما أكره أن يكون مقدار علي فاضلا على مقدار علي . وقال لقمان (٥) لابنه : إياك والكسل والضجر ، فإنك إذا كسلت لم تؤد حقاً ، وإذا ضجرت لم تصبر على حق .

وقال بعض الراغبين (٦) : كان الناس ورقاً بلاشوك فصاروا أشوكاً بلا ورق . وحدثني الأسدي (٧) قال : قيل لأبي دؤاد الأيادي (٨) ، وبنته تيسر دابته : أهنتها يا أبا دؤاد ، فقال : أهنتها بكرامتي كما أكرمتها بهواني (٩) . وقال زهير (من البسيط) :

- (١) نسبها الجاحظ لعبد الواحد بن زيد (٣/١٠٢ بيان) .
 (٢) ويروي تستحون وهو الأولى .
 (٣) الفاعل يعود على الله ، وقد ورد مظهراً في رواية الصنعيتين .
 (٤) من أعيان التابعين وجد الخلفاء العباسيين توفي سنة ١١٨ وفي البيان (١/٧٤) نسبها لمحمد بن علي بن عبد الله بن عباس وروايته بالهاء بدل ياء التثنية (٥) نبي وحكيم وردت قصته وآثار من حكته في القرآن الكريم .
 (٦) نسبها الجاحظ لأبي الدرداء ، وروايته وكان الناس ورقاً بلاشوك فيه وم اليوم شوك لا ورق فيه ، (٣/٧٣ بيان) وفي موضع آخر نسبها لأبي ذر (٢/١٤٧)
 (٧) رواية أديب وأستاذ من أساندة ابن المعتز واسمه محمد بن هبيرة الأسدي ويعرف بصمودا . وتوفي نحو عام ٨٣٠٥ (١١٠ فهرست . ٣/٣٧٠ تاريخ بغداد)
 (٨) أبو دؤاد بن جرير الأيادي مشهور باللسن والخطابة وأحد من يجيد قريض الشعر وتغيير الكلام وله كلمات في بلاغة الخطابة (٤٩ — ١/٥١ بيان) وتوفي في أوائل عهد العباسيين .
 (٩) يريد خدمتها لي كبيراً حفظاً لكرامتي كما كانت خدمتي لها وأنا شاب حفظاً لكرامتها .

- ١٣٣ - ليث يعثر يصطاد الرجال إذا ما الليث كذب عن أقرانه صدقا (١)
وقال عبد الله بن الزبير الأسدي (٢) (من الوافر) :
١٣٤ - رمى الحدثان نسوة آل حرب بمقدار سمحن له سموداً
فرد شعورهن السود بيضا ورد وجوههن البيض سودا (٣)
وقال حسين بن مطير (٤) (من الطويل) :
١٣٥ - مبتلة الأرداف زانت عقودها بأحسن مما زينتها عقودها (٥)
وقال طفيل الغنوي (٦) (من البسيط) :

(١) ليث يعثر : أي هو في الجراءة والإقدام على الأفران كالأسد ، وعثر اسم مكان ، كذب : لم يصدق الحيلة ، القرن : الصاحب في القتال ، يقول : إذا رجع الشجاع عن قرنه ولم يصدق الحيلة عليه قائم دوح يحمل ولا يكذب
(٢) شاعر من شعراء الدولة لامية كوفي المنشأ والمنزل ، تعصب للأمويين فلما غلب مصعب بن الزبير على الكوفة أخذ أسيراً فن عليه ووصله فدحه وانقطع إليه حتى قتل مصعب ، وعنى بعد ذلك ، ومات بالري في خلافة عبد الملك .
(٣) الحدثان والحدثان : الحادثة وفاتية الدهر ، المقدار : ما قدره الله ، وفيه قلب ، أي رمى تفديراته نسوة آل حرب بحدثان ، والسمودة تغير الوجه من الحزن ، وآل حرب : هم بنو أمية (٢/٨٤) حرانة نصحيح بحج الدين) ؛ وشرح البيهقي في الخاسة ٣٩٧ / ١ .
(٤) شاعر فصيح متقدم في الرجز والفصيد ومن تحول المحدثين من مختصرى الدولتين ، وشعره بدوي ، وتوفي سنة ١٦٩ . وله رثاء بليغ في معين بن زائدة .
(٥) الأرداف : جمع ردف وهو الكفيل والمعجز ، المعقد : القلادة . مبتلة : الجميلة كأنها يتل حسناتها على أعضائها أي قطع ، والتي في أعضائها استرسال ، والمعنى : لهذه المرأة كشح لطيف دقيق ، وعقود لبانها تنكتسب الحسن والجمال منها وايسست هي التي تنكتسبها الجمال ، والبيت وشرحه في الخاسة (٢/٦٠) ؛ ويروي مبتلة الأطراف ، ورواية الأماي : الأماز (١/٤٣) أمالي .
(٦) شاعر جاهلي فحل ، وأوصفهم للخيال ، عاصر الجعدى وزهيرا ، ومات قبل الهجرة بقليل .

- ١٣٦ - بسام الوجه لم تقطع أباجله يسان وهو ليوم الروح مبدول (١)
وقال الأخطل (من الكامل) :
١٣٧ - المهديات لمن هوين مسبة والمحسرات لمن قلين مقالا (٢)
وقال الطائي (من الطويل) :
إذا ذاقها - وهي الحياة - رأيته يقطب تقطيب المقدم للقتل (٣)
وقال كثير (٤) (من الطويل) :
١٣٨ - تشنى إلى الأعداء حتى إذا أنوا لمرضاته طوعا وكرها تحيا (٥)
وقال الفرزدق (من الطويل) :
١٣٩ - قبح الإله بنى كليب إنهم لا يندرون ولا يفون لجار (٦)
وقال آخر (من الطويل) :
١٤٠ - ألا يانسيم الريح إن كنت هابطا بلاد سليبي فالتس أن تكلما

(١) يصف فرسا، والروح: الفزع، الأباجل جمع أبجل: عرق غليظ في الرجل أو في اليد
لإزاء الأكل، السام: حر السوم ووهج الصيف، وسهم أى أصابه ذلك، والسام
التغير والضرر، وقد سهم سهوما، والسامة: الناقة الضامرة، والسوم العيوس.
(٢) هوى: أحب وبأه صدى، مسبة: سيا وشتا، قلين: هجرين، والقليل
البعض، المقال: القول.

(٣) قطب وجهه تقطيبا: عيس، ومن بيت أبي تمام معنى قول الحسن بن أبي رجاء:
تعبس في وجهها وهي تضحك في وجهك، وقول ابن المعتز:
ضحكت إليه فتعبس، (راجع ٢٢ فصول الثنائيل).

(٤) شاعر إسلامي وفد على عبد الملك وأكثر الإقامة بمصر، وتوفى بالمدينة
سنة ١٠٥ هـ.

(٥) تشنى: تباعد وتباغض، والثائق: المبتض من شئته، والتحبب: التقرب،
والبيت من قصيدة لكثير في مدح عبد الملك (٣٥٠ معجم)، ورواية المعجم مخالفة
لهذه الرواية بعض مخالفة.

(٦) يلزم بنى كليب وبصغهم بالمجز والقوم والموان.

وبلغ سليمى حاجة لى مهمة . وكن بعدها عن سائر الناس أجمعاً^(١)
وقال بعضهم : . إذا شربت النبيذ فأشربه مع من يفتضح هو ، لا مع
من يفتضح به،

المحدثون : سعى على^(٢) بن عيسى بن ماهان إلى الرشيد بالفضل بن يحيى^(٣)
فرمى بكتابه إلى جعفر^(٤) وقال أجه فكذب على ظهره : حفظك الله يا أخى،
وحبب إليك الوفاء فقد أبغضته ، وبغض إليك الغدر فقد أحببته ، إن حسن
الظن بالأيام داعية الخير^(٥) ، والله المستعان .

وقال محمد^(٦) بن إسرائيل بن محمد بن إسرائيل القاسبي : قال لى مجنون
يكون فى الخرابات^(٧) : يا إسرائيل خف الله خوفاً يشغلك عن الرجاء ، فإن
الرجاء يشغلك عن الخوف ، وفر إلى الله ولا تفر منه .

وقال ابن السكك^(٨) : لأن أكون فى السوق وقلبي فى المسجد أحب
إلى من أن أكون فى المسجد وقلبي فى السوق .

(١) النسيم : الريح لطيفة . هبط : نزل وانحدر، المهم : الأمر الشديد ، وأهمه الأمر
أقلقه وأحزنه : الأعجم : الذى لا يفصح وهو الذى فى لسانه عجمة لا يبين كلامه .

(٢) من كبار القوادى عصر الرشيد والأمين وهو الذى حرض الأمين على
خلع المأمون من ولاية العهد ، وتولى قتال جيوش المأمون وقتل سنة ١٩٥ هـ .

(٣) وزير الرشيد وأخوه فى الرضاع وولاه خراسان سنة ١٧٨ هـ ، ثم قبض
عليه فى نكبة البرامكة عام ١٨٧ هـ ، فسجن وتوفى فى سجنه بالرقعة عام ١٩٣ هـ ، وكان
مولده عام ١٤٨ هـ .

(٤) جعفر بن يحيى البرمكى وزير الرشيد ، يوصف بفصاحة المنطق وبلاغه
القول وكرم اليد والنفس راجع (١/١٨٠ بيان) ، وقتل سنة ١٨٧ هـ .

(٥) غير الأيام : أحداثها ونوائبها .

(٦) أدب عالم ومن بيت مجد ونفوذ ، وذر أحمد بن إسرائيل للمعز وقتل
عام ٢٥٥ هـ ، وكان محمد معاصراً لابن المعز .

(٧) جمع خربة ، وهى ما أقفر وخالاً من الديار .

(٨) ناسك زاهد ورع توفى فى عصر الرشيد وله أحاديث وعظات مع الرشيد
وتوفى عام ١٨٥ هـ .

وباع أبو العيناء دابة ، كان عبيد الله بن يحيى حمله عليها . من ابن لعبيد الله ، فدافعه بشمته ، ثم لقيه . فقال إيش ^(٢) خيرك يا أبا العيناء ؟ فقال : بخير ، يأمن أبوه يحمل وهو يرجل . وقال ذو الرياستين ^(٣) : احذروا اجتماع المضار وافتراق المسار ^(٤) . وكتب عبد الصمد ^(٥) بن علي إلى مروان ^(٦) ، وقد ذكر له أمر الحرم : الحق لنا في دمك ، وعلينا في حرمك ^(٧) . وقال عبيد ^(٨) الله بن عبد الحيد في تمزية : ما أشبه الباقي الذي ينتظر الفناء بالماضي الذي قد أنى عليه الفناء . وقلت لبعض فقهاءنا وأنا غليل وقد سألتني عائداً لي بحضرته كيف أنت : أتراني إن قلت في عافية كاذبا ؟ فقال لي : لا ، قال بعض الصالحين إن أهلك الله من جسمك فقد أصححك من ذنوبك . وكتب يحيى بن خالد ^(٩) إلى الرشيد : يا أمير المؤمنين إن كان الذنب لي خاصا فلا تعمن بالعقوبة فإن الله يقول « ولا تزر وازرة وزر أخرى » . وبعضهم : الكريم واسع المغفرة إذا ضاقت المعذرة ^(١٠) . وقال أبو تمام (من الطويل) :

- (١) وزر للتوكل والمعتمد ونوفي سنة ٢٦٢ هـ ، وله ألفان بقتية وأدب الكاتب .
- (٢) أي : أي شيء .
- (٣) الفضل بن سهل قتل ٢٠٢ هـ وتقدمت ترجمته .
- (٤) جمع مضرة ومسرة والمضرة خلاف المنفعة والمسرة السرور .
- (٥) عباس هاشمي عم المنصور وتولى ولاية كثير من البلاد ومات سنة ١٨٥ هـ عن ٨١ عاماً .
- (٦) هو مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية قتل سنة ١٣٣ هـ .
- (٧) جمع حرمة ، وحرمة الرجل حرمة وأهله .
- (٨) أبو عبيد الله محمد بن عبد الحيد الطائي الطوسي القائد شاعر أديب وإخوانه شعراء أدباء (٢٧٧ هـ معجم الشعراء) .
- (٩) معنت ترجمته .
- (١٠) عذره في فعله عذراً ، والاسم المعذرة .

- ١٤١ - لم منزل ، قد كان بالبيض كالمها فصيح المعاني ، ثم أصبح أعجبا (١)
ورد عيون الناظرين مهابة وقد كان مما يرجع الطرف مكرما
وقال في الإبل (من البسيط) :
١٤٢ - المرضياتك ما أرغمت أنفسها والهادياتك وهي الشرد الضلل
إذا تضللت من أرض فصلت بها كانت هي العز إلا أنها ذلل (٢)
وقال في الشيب (من الحفيف) :
١٤٣ - غيرة مرة إلا إنما كنت أغسر أيام كنت هببا
دقة في الحياة تدعى جلالا مثل ماسي المديح سليبا (٣)
وقال ابن السكك للرشيد : يا أمير المؤمنين تواضعك في شرفك أشرف
من شرفك . وقال الصائغ (من الطويل) :

(١) بيض : جمع بيضاء وصف لأحبابه . المها : وصف للبيض ، جمع مهابة وهي البقرة الوحشية . وأعجم : أي غير ناطق . مهابة : من الهوان . وأرجمه ورجمه واحد . والطرف : العين ، ومكرما : اسم مفعول من أكرم . يصف عفا . معاني أحبابه بعد فراغهم إياه ورحيلهم عنه وآثار هذا العفا . في نفس المحب الراه .
(٢) المرضيات : جمع مرضية من أرضيته عني : أرغمت : أهنت ، من أرغم الله أنفه أي ألصقه بالتراب . أنفس : جمع أنفس . والهاديات : جمع هادية من هداه الطريق أي أرشده إليها . شرد البعير : نفر فهو شارد وشرد وهم شرد ، والضلل : جمع ضالة من الضلال ضد الرشاد ، وتضللت : بمعنى نسيت فيها إلى الضلال فكهرت الإنامة بها ، أو بمعنى تظلت ، كانت هي - أي الإبل - العز ، لأنها تنأى في عن موطن الدل والهوان ، والذلل ، جمع لئالة ذلول من الدل بالكسر وهو اللين والافتقاد .

(٣) الغرة ، يباض في جبهة الفرس ، مرة : من المرارة ، أي شديدة الألم للنفس ، وأغر : أي أكرم ، وغرة كل شيء أوله . وأكرمه ، والفرس الهم ، هو الذي لا يخطئ لونه شيء . سوى لونه ، والدقة : مصدر دق الشيء . أي صار دقيقاً ، والدقيق ضد الغليظ ، ولدغته العقرب فهو ملدغ ولدغ .

- ١٤٤ - وحمل بك المرتاد من حيث يهتدى وحضرت بك الأيام من حيث تنفع وقد كان يدعى لابس الصبر حازما فأصبح يدعى حازما حين يجوزع (١) وقال آخر (من الكامل) :
- ١٤٥ - أما القبور فإنها مأنوسة بجوار قبرك والديار قبور (٢) وقال أبو العتاهية (من الكامل) :
- ١٤٦ - يا حسرتا من يوم يجمع شرقي كفن ولحد ضيعت مالا بد لي منه بما لي منه بد (٣) وقال سديف (٤) (من الكامل) :
- ١٤٧ - وأصبح رأيت العيون محاجرا ولهن أمراض مارأيت عيوننا (٥) وقال عمارة بن عقيل (من الخفيف) :

(١) ضل الطريق : لم يهتد إليه . والمرتاد : من راد السكك وارتاده أي طلبه ، والرائد الذي يرسل في طلب السكك ، والبيتان في الرثاء ، يقول : قد كان هدى المرتاد فضل بعده ، وكانت الأيام تنفع بما يفعل فيها من مكرمات ، فصارت تضر بعده ، وإن كان الحزم في الصبر فقد صار بعد وفاته في الجزع والبكاء .

(٢) مأنوسة : من الإناس ضد الإيماش ، والبيت للتميم في منصور بن زياد ، والقيى هو أبو محمد عبد الله بن أيوب من أهل الجماعة شاعر مولد نصيح عربي متكلم عالم ، وكان بعد مسلم بن الوليد بقبيل (راجع ٤٠١ / ١ حاسة) ونسبة السكك لرجل من خزاعة . ولشكير ، وقال إن الصحيح أنه اقتررب النحوى في رثاء عمر بن عبد العزيز (٢٦٧ / ٢ كامل طبعة التجارية) ونسبته الموازنة للعتابي (٥٦ الموازنة) .

(٣) شرة الثياب : نشاطه وجلده وحرصه .

(٤) سديف بن ميمون مولى بني هاشم شاعر حجازي مقل كان شديد التعصب لبني هاشم وعاش إلى زمن المنصور ، مات سنة ١٤٦ هـ .

(٥) محاجر : جمع محجر ، ومحجر العين ما يبدد من الثقب ، ورواية الأصل جوارحا ، وجوارح الإنسان : أعضاؤه التي يكتسب بها ، وفي الأصل منهن بدل : ولهن .

- ١٤٨ - وأرى الوحش في معنى إذا ما كان يوماً عنانه في شمال (١)
وقال أو تمام (من البسيط) :
- ١٤٩ - فيم الشجاة إعلاناً بأسد وغي أفتاهم الصبر إن بقاكم الجزع (٢)
وقال البحرى (من الخفيف) :
- ١٥٠ - إن أيامه من البيض بيض مارأين المفارق السود سوداً (٣)
وقال النمرى (٤) (من الكامل) :
- ١٥١ - ومجالس لك بالخي وبها الخليط نزول
أيامهن قصيرة وسرورهن طويل
وسعودهن طوالع ونحوسهن أقول
والمالكية والشبا ب وقينة وشمول (٥)
- وقال بشار (من البسيط) :

١٥٢ - حتام قلبي مشغول بذكر كم يهذى وقلبك مربوط بفساقي

- (١) النان : اللجام ، يقول : إذا ركبت الفرس فكان لجامه في شمال اصطدت
الوحش فكان عنانه في معنى ، يصف فرسه بسرعة المدور .
- (٢) الشجاة : الفرح بمصيبة المدور ، إعلاناً : جهوراً ، الأسد : جمع أسد .
- (٣) في الأصل رأيتنا ، البيض : جمع بيضاء ، وامرأة بيضاء أى حسنة جميلة ،
والمفارق جمع مفروق وهو وسط الرأس وما يفرق منه الشعر ، والمعنى أنه يتمتع بمجال
الحياة وبهجة الدنيا بوصول الفانيات الذي يظل مادام في روعة الشباب ونضارة العمر .
- (٤) النمرى هو منصور النمرى شاعر الرشيد من سلالة النمر بن توبل ، والنمرى
هو محمد بن عبد الله بن نعيم من قس وهو شاعر غزل مولد من شعراء الدولة لأموية
وله في ديوانه أخت الحجاج غزل كثير راجع (٦/٣٤ الأغاني) ، وفي الأبيات
روح منصور النمرى مما يجعلنى أجزم بأن الصحيح هو : وقال النمرى ، فتكون
كلمة النمرى الواردة في الأصل محرفة ، وفي زهر الآداب (٣/٦٩) : وقال
المتأني يمرض بالنمرى ، وهو تحريف أيضاً .
- (٥) الحمى : المكان المسمى ، ويقال للوطن حمى لحمايته من الأعداء ، والخليط :
المخالط كالنديم والمنادم وهو واحد وجمع ، والمالكية : اسم محبوبته ، والقينة :
المفتنة ، الشمول : الراح .

لحنى عليها ولحنى من تذكرها يدنو تذكرها منى وتأتى .
إلى لمنتظر أقصى الزمان بها إن كان أدناه لا يصفو لحران^(١)
وقال أبو العتاهية (من الطويل) :

١٥٣ - غنيت عن الوصل القديم غنيتا وضيعت قلبا كانت لى ونسيتا
تجاهلت عما كنت تحسن وصفه ومث عن الإحسان حين حيث^(٢)
وقال إبراهيم بن العباس (من الوافر) :

١٥٤ - غنى عنك ما استغنيت عنه وطلاع عليك مع الخطوب^(٣)
وقال أبو العتاهية (من الخفيف) :

١٥٥ - عاذلى فى المدام غدير فصيح لا تلمسنى على شقيقة روحى
لا تلمسنى على التى فتقتنى وأرتنى القبيح غدير قبيح
إن بذلى لها لبذل جواد واقتاتى لها اقتناء شحيح^(٤)
وقال أيضا (من الخفيف) :

١٥٦ - يابى النفس والغير وبى الضعف والخور
وبى البعد فى الطبا ع على القرب فى الصور
وقال أيضا (من الرمل) :

١٥٧ - قل لى الوجه الطرير ولذى الردف الوثير
ولغسلاق هموى ولمفتاح سرورى
يا قليلا فى التلاق وكثيرا فى ضميرى^(٥)

(١) هذى فى منطقه : يذى خلط ، ونأى يتأى : بعد . وأقصى الزمان : أى بعيد ، والصغر : ضد الكبر ، والحران : العطفان .

(٢) غنى : أى استغنى

(٣) البيت فى وصف ما يلقاه من الإخوان من كيد وكفران .

(٤) المدام : الخمر ، اقتناء المال : انخاذه . والشحيح : البخل الحريص .

(٥) الطرير : الحسن من طرائث نبت . والردف : الكفل . والوثير : الضخم . والمغلاق : ما يغلق به الباب .

وقال البحرى يصف بركة المتوكل^(١) (من البسيط) :
 ١٥٨ - إذا علتها الصبا أبدت لنا حبيكا^(٢) مثل الجواشن مصقولا حواشيها
 لحاجب الشمس أحيانا يضا حكيها ووريق الغيث أحيانا يا كيها^(٣)
 وقال أيضا (من الكامل) :
 ١٥٩ - حالت بك الأشياء عن حالاتها فالخزون حل والعسراء حرام
 وبرغم أننى أن أراك موسدا يد هالك و"شاهتون قيام"^(٤)
 وشرب بعض الناس عند الحسن بن وهب^(٥) قدحاً فلما استوفاه عيس فقال:
 والله ما أنصفتها ، تضحك في وجهك وتعيس في وجهها ، فأخذه بعض المحدثين^(٦)
 (من الكامل) :
 ١٦٠ - ما أنصف الندمان كأس مدامة ضحكك إليه فشمها بتعيس^(٧)
 ودخل ابن شباقة^(٨) على قوم يشربون الخمر ومعه صديق له ، فقال الرجل :

- (١) الخليفة العباسى المشهور قتل سنة ٢٤٧ .
- (٢) الصبا : ريح تهب من مطنح الشمس إذا استوى الليل والنهار . أبدى : أخبر . حيك : جمع حياك جمع حبيكة ، وهى الطريقة فى الرمل ، والحيك تكمركل شئ . كلاما القائم إذا مرت به الريح . الجواشن : الدروع .
- (٣) الجواشي : الأطراف ، مصقول : أى مجلو . حاجب الشمس : أول ما يبدو منها عند الشروق . الغيث : المطر .
- (٤) حال الشيء : انقلب عن حاله . وحال لونه : انقلب واسود ، والحالة واحدة حال الإنسان . وحل : أى حلال . والوساد : الخدة ، ووسدته الشيء : جعلته تحت رأسه .
- (٥) كاتب شاعر عاصر أبا تمام وراثه ولما مات رثاه البحرى . وكان يكتب محمد بن عبد الملك الزيات توفى سنة ٢٥٠ .
- (٦) البيت لابن المعتز فى ديوانه ج ٢ ص ٥٢ . وراجع ص ٢٢ فصول القائل لابن المعتز .
- (٧) الندمان والتدبير من يتأذى على الشراب . والمدامة : الخمر التى تيس : التجهيم .
- (٨) لعله محمد بن حماد بن شباقة شاعر بغدادى (٢٩٩ معجم الشعراء) .

الويل لنا إن كان ما يشربون خمرًا ، فقال ابن شابة : بل الويل لنا إن لم يكن ما يشربون خمرًا . وقال سعيد بن سلم^(١) : تركنا كثير النبيذ لله وقليله للناس^(٢) . ويقال : يشرب من النبيذ ما لا يشربك . ولأعرابي في البراغيث (من الطويل) :
١٦١ - إذا درج البرغوث منها رأيت على الجلد ضخّم الجسم وهو صغير
وقال الطائي (من الطويل) :

١٦٢ - لقد ضاقت الدنيا على بأسرها لهجرانه حتى كآنى في حبس
أسكن قلباً هامئاً ، فيه ماتم من الشوق إلا أن عيني في عرس^(٣)
وقال سهل بن هارون^(٤) من طلب الآخرة طلبته الدنيا حتى توفر^(٥)
رزقه منها : ومن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرج منه . وقال بعضهم : جو
قوما (من المتقارب) :

١٦٣ - فيا قبيحهم بالذى خولوا ويا حسنهم في زوال النعم^(٦)
وقال عبد الله بن أبي عينة^(٧) في عيسى بن سليمان^(٨) (من الطويل) .

(١) أخباره في الأغاني في مواضع متفرقة ، وراجع ترجمته عند البيت ٢٣٠ ، وهو سعيد بن سلم بن قتيبة أمير شريف من أسرة عظيمة وعاصر الرشيد ، وكان شجاعاً أديباً . (٢) يريد أن كثير النبيذ حرام وقد تركه خوفاً من الله ، وقليله حلال وقد تركه جلاء من الناس .

(٣) الهيام : أشد الحب . المأتم : النساء يجتمعن في الخير والشر والمراد به هنا المناحة (٤) كاتب حكيم فارسي الأصل ونشأ في البصرة وانصل بخدمة المأمون فولاه رئاسة خزنة الحكم ببغداد وكان يتم بالنعوية ووضع كثيراً من القصص ورسائله في البخل دونها الجاحظ في البخل . وتوفي في عصر المأمون وقد أشاد به الجاحظ في البيان (ج ١ ص ٥٥) .

(٥) وفر عليه حقه توفيراً واستوفراً : أى وفاء . (٦) خولوا : أى ملكوا . (٧) جده أبو عينة بن المهلب وهو مولى ابن كعب . كان من كبار القواد الذين رفعوا دعائم دولة بني العباس وتوفي سنة ١٤١ . وعبد الله شاعر مجيد من أطبع الناس وأفرجهم مأخذاً في الشعر وأقلهم تكلفاً وهجا ابن عمه خالد كما هجا ابن عمه مروان أحد نلائمة الخليل (٢٦٧ ، ٣٠٨ معجم الشعراء) وعاصر المأمون . (٨) ولي والده البصرة للسفاح والمصور وتوفي سنة ١٤٣ هـ وابنه عيسى أمير .

١٦٤ - أفاطم قد زوجت من غير خبرة فتي من بني العباس ليس بطائل
فإن قلت من آل النبي فإنه وإن كان حراً الأصل عبد الشياكل (١)
وقلت في النصول الصغار القصار : طلاق الدنيا مهر الجنة . غضب الجاهل
في قوله وغضب العاقل في فعله .

ومن المعيب من المطابقة في الكلام والشعر قول الأخيطل (٢) (من الكامل) :
١٦٥ - قلت المقام وناعب قال النوى فعصيت أمرى والمطاع غراب (٣)
وهذا من غث الكلام وبارده . وقال أيضاً (من الكامل) :

١٦٦ - كرم جحفل طارت قدامي خيله خلفته يوم الردى متوقفاً
أعلبت بآبك وهو رأس أنه سيكون بعدك حافراً ووظيفاً (٤)
وقال أيضاً في الخبر (من الكامل) :

١٦٧ - ورى التديم بماء مزن رأسها فرمته من أضعفائها في الراس
وحسا مصونتها فأرخت نفسها حتى أحتست بالسكر نفس الحاسى (٥)

عباسي من رجال الدولة في عصر المهدي والرشيد وهذه الأبيات وقصة هجاء
عبد الله لمبى بن سليمان تراها في كامل المبرد (٢٠٦ / ١) والأغاني ١٦ ج ١٨ .
(١) فاطمة هي زوجة عيسى . وهي فاطمة بنت عمر بن حفص هزار مرد وهو
من ولد قبيلة بن أبي صفرة الملهي (راجع الكامل والأغاني) . ويقال هذا
أمر لا طائل فيه إذا لم يكن فيه غناء . الشياكل جمع شال وهو الخلق .
(٢) شاعر مليح طريف الشعر كان يسلك طريق أبي تمام ومدح محمد بن عبد الله
ابن طاهر م سنة ٢٥٣ هـ . (٣٢٢ معجم الشعراء و ج ٥ ص ٢٢٢ تاريخ بغداد)
ومات بعد منتصف القرن الثالث بقليل .

(٣) الناعب : الغراب . النوى : العراق .
(٤) الجحفل : الجيش الجرار . قدامى الطير : قوامه وهي مقادير ريشه وعددها
عشرة في كل جناح . الردى : الهلاك . متوقفاً من تنف الشعر . بآبك : هو بآبك
الخرى وله ترجمة عند البيت (٢٤١) . فلان رأس قومه أى عظيمهم . الوظيف :
مستدق الذراع والساق من الخيل وغيرها .
(٥) التديم : من يتأدملك على الشراب . المزن : السحاب ، والضمير في رأسها =

- وقال بعض الشعراء في القاسم (١) بن عبيد الله (من الكامل) :
- ١٦٨ - من كان يعلم كيف رقة طبعه هو مقسم أن الهواء ثخين
وقال الطائي (من الوافر) :
- ١٦٩ - فيا تلج القواد وكان رصفاً وباشبي برؤيته وري (٢)
- وقال (من الخفيف) :
- ١٧٠ - فإذا الصنع كانت وحشا فليست برغم الزمان صنعا ريباً (٣)
- وابعض المحدثين وهو من عجيب هذا الباب في الرذالة (من الكامل) :
- ١٧١ - وجعلت ما لك دون عرضك جنة إذ عرض غيرك لابقبه بقوة (٤)

للخمر، الاضغان : جمع ضغن وهو الحقد . حسا المرق : فهو حسا واحساس بمعنى
ومحساس حساه في مهلة . مصوبة : من صان الشيء مصباناً وصباناً إذا بالغ في المحافظة
عليه . أرغى الستر وغيره : أرسله .

(١) القاسم بن عبيد الله بن ساجان بن وهب وزير المعتضد وتوفي سنة ٣٩١ هـ .
(٤٤٤ ج ١ ابن حنبل كان) .

(٢) يصف الشاعر رقة طبع الممدوح وأن الذي يصل به ويرى رقة طبعه يعلم أن
طبعه أرق من الهواء وأن الهواء مع رفته يعد بالنسبة إلى طبعه ثخيناً غليظاً . الرصف :
عظام في الركبة قد أخذ بعضها بعضها واحداً رصفاً والرصف أيضاً ججارة محماة
ورصفه برصفه بها : أي كواه . هو تلج القواد : أي طمأننته ومسرته . وكان
أي القواد .

(٣) الوحش : كبير السن قبيح المنظر، والريب : ولده وهو صغير السن في الشباب
وملاك الله حبيبك تملية متمك به وأعاشك الله معه طويلاً . يقال : رغم أنفه : لم يذل
وانقاد، وأرغم الله أنفه ألصقه بالرغام وهو التراب . يقول إذا كان فعل الزمان ملك
سيئاً فتعك الله برغم أنف الزمان وملاك صنعا جبلاً حسناً ، يعني إذا كانت أيامك
الماضية أيام شدة وشقاء فأحاله الله إلى أيام خير ورضا . ويسر .

(٤) الجنة : ما استتر به من سلاح ، والجنة : الستر . وقى الشيء بقيه وقاية
حفظه . القوة ضد الضعف وأخذ الشيء بقوة أي يهد وعزم .

وقال كاتب تاملش (١) واسمه شجاع (٢) في دعائه « يارب ارحم ترحم » .

الباب الرابع من البديع^(٣)

وهو رد أعجاز الكلام على ما تقدمها، وهذا الباب ينقسم على ثلاثة أقسام:
(١) فن هذا الباب ما يوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة في نصفه الأول مثل قول الشاعر (من الكامل):

١٧٢ - تلقى إذا ما الأمر كان عرمرما في جيش رأى لا يفل عرمرم^(٤)

(٢) ومنه ما يوافق آخر كلمة منه أول كلمة في نصفه الأول كقوله (من الطويل):

١٧٣ - سريع إلى ابن الم يشتم عرضه وليس إلى داعي الندى سريع^(٥)

(٣) ومنه ما يوافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه كقول الشاعر (من الوافر):

١٧٤ - عميد بنى سليم أفضسده سهام الموت وهي له سهام^(٦)

(١) قائد تركى تولى أمر البيعة للخليفة المستعين سنة ٣١٨ هـ فأطاعه في شئون الدولة فأثرى ثراء عظيما فنارت عليه الموالى وقتلوه .

(٢) هو شجاع بن القاسم كان موضع ثقة تاملش القائد وكان تاملش لا يعرف الكتابة فكان شجاع كاتبه يتولى له أمورهما ومات مقتولا في نكبة مولاء .

(٣) عقد له أبو هلال في الصنائع بابا (٣٧٧ - ٣٨٠) تأثر فيه باب المعنز إلى حد كبير . ويسميه ابن رشيق التصدير (٣ ج ٢ المدة ط ١٩٣٤) وقد نقل فيه كثيرا من مثل ابن المعنز المذكورة هنا .

(٤) العرمرم : الجيش الكثير، والمراد أن الأمر شديد . وقل الجيش هزمه .

(٥) يرى يظلم وجهه والظلم الضرب على الوجه بياض الكف ، والبيت للأثير الأسدي الكوفي الشاعر الأموى .

(٦) عميد القوم سيدهم . أقصد السهم أصاب وأقصد فلانا طمنه فلم يخطئه ، وينسب البيت للأشجع السلى أيضا .

وقال الله تعالى: أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة أكبر درجات وأكبر تفضيلا ، وقال عز وجل : لا تفتروا على الله كذبا فيسحقكم بعذاب وقد خاب من افتري^(١) . وقال تقدست أسماؤه : ولقد استبرىء برسلى من قولك لحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزئون . وفي الحديث : من مقت نفسه فقد آمنه الله من مقتته^(٢) . وقال طفيل (من الطويل) :
 ١٧٥ - محارمك امنعها من القوم إتنى أرى حقبة قد ضاع فيها المحارم^(٣)
 وقال عمرو بن أحر^(٤) (من الطويل) :
 ١٧٦ - تغمرت منها بعد ما نقد الصبا ولم يرو من ذى حاجة من تغمر^(٥)
 وقال الحطيئة (من الطويل) :
 ١٧٧ - تدرون إن شد العصاب عليكم ونأبى إذا شد العصاب فلاندر^(٦)
 وقال الفرزدق (من البسيط) :
 ١٧٨ - أصدر همومك لا يقتلك وأردھا فكل واردة يوما لها صدر^(٧)

- (١) افتري الكذب : اختلقه . يسحقكم : يستأصلكم .
 (٢) مقتته : أبغضه من المقت وهو البغض .
 (٣) المحرم من النساء مالا يحل نكاحها . الحقبة : المدة والزمن .
 (٤) بأهلى أدرك الإسلام فأسلم : وغزا مغازى الروم وتوفى على عهد عثمان بعد سن عالية وهو كثير الغريب صحيح الكلام .
 (٥) تغمر بالقندح : شرب به ، وتغمرت : أى شربت من القندح ، وهو قندح صغير جدا ، ضربه مثلا : أى تملكت منها بالشيء القليل وذلك لا يبلغ ما فى النفس منها من المراد ، يقال : حاولت أن أتمتع بمحبوبتى بعد أن ذهب الشباب ولكن هيهات ، وروى من الماء : ارتوى ، نقد : فنى .
 (٦) الدر اللبن : ودر الضرع بالثين يدر ، العصاب العصابة يقال : عصب رأسه بالعصابة ، والمعنى أتم أذلاء قبلم الحيوان ، ونحن أعزاء لانضمام ، ولا تعطى القيادة عن ضمير .
 (٧) صدر عن الماء : رجع منه ورد ، والمعنى لا تدع المحوم الذى تعطيف بك .

وقال الأعشى ميعون بن قيس (من المتقارب) :

١٧٩ - كتوم الرغام إذا هجرت وكأنت بقيسة ذودكتم (١)
وقال جرير (من الطويل) :

١٨٠ - سقى الرمل جون مستهل ربابه وماذاك إلا حب من حل بالرمل (٢)
المحدثون : قال أبو نواس (من المديد) :

١٨١ - ظن في من قد كلفت به فمو يحقوني على الظن (٣)
وقال في آخر (من الكامل) :

١٨٢ - رقت ورقت مذقة من مائها والعيش بين رقيقتين رقيق (٤)
وقال مسلم (من الطويل) :

١٨٣ - تبسم عن مثل الأفاحي تبسمت له مزنة صفيصة فتبسم
وليسلة مات اللهو إلا بقية تداركها طيف ألم فلما

== تمذك ، وتنفض مضجعتك بل اطردوها من نفسك ، وتسل عنها والواردة لا بد لها يوما من الصدر أى أن المموم مهما أقنأ لا بد أن تذهب من نفسك فمجل بطردها .
(١) الرغام : صوت ذرات الحف ، والراغية : الناقة أو البعير . هجرت : سارت في الهجرة . البقية : مابقى من الشيء . الذود من الإبل ما بين الثلاث إلى العشرة ، يصف ناقته بأنها كريهة قوية صبورة على ألم السير في الهجرة لا تنعب ولا تنكو السلال وأنها البقية الباقية من إبل كثير كرام .

(٢) الجون : السحاب الأبيض والأسود . الرباب : السحاب الأبيض . وقيل هو السحاب المرقى كأنه درن السحاب سواء كان أبيض أو أسود . استقل القوم مضوا وارتحلوا .

(٣) كلف يكذا : أولع به . الظنة : التهمة . جفاه : هجره .

(٤) المزقة : القطعة من الشيء المخلوط بغيره . ويقول ابن رشيق في البيت وهو عندى بيميد من إحكام الصنعة التي يدخل بها في هذا الباب ، على أنه غاية في ذاته لأن أكثر السعادة أن تعاد اللفظة بنفسها (٥ / ٢ العمدة) .

من يدك عندي أن أفيك من الردي وإن كان شجوا أن أكون المقدماء (١)
أردنا من هذه الأبيات البيت الأول . وقال محمد (٢) بن أبي أمية الكاتب
(من المديد) :

١٨٤ - حسن هذا الوجه لا يسلمني أبدا منه إلى غير حسن (٣)
وقال يشار الأعمى (من الطويل) :

١٨٥ - طلب و مطلوب إليه إذا غدا وخير خليلك المطلوب المطلب (٤)
وقال منصور بن الفرج (من الوافر) :

١٨٦ - مفيد إن ترره وأنت مقو تكن من فضل نعمته مفيدا
حميد حين تكثر ذم صرف لدهر لا ترى فيه حميدا
وإن فقد الربيع وكل خصب فليس ربيع كفيه فقيدا

(١) الأماشي : جمع أقحوانة نبت طيب الرائحة حواليه ورق أبيض
ورسطه أصفر ويشبه الثغره . والمزبة : السحابة البيضاء . صفيه أي تهطل في
الصيف . والتيم دون الضحك . يقول يسم الخيوب عن نكر كانه الأتخوان جاء
وايتم له في الصيف السحاب فتور وايتم . ومات اللهو كناية عن ذهابه وعفا
ذكر بانه من النفس . وطيف الحبيبة خيالها الذي يراءى في النوم وطاف الخيال جاء
في النوم . وألم به : نزل به . وفاه من الردي : حفظه . الردي : الخلاك ، الشجو :
الهم والحزن . يقول الشاعر : أحبه وأزیده من الحب فلو كان ردي لوقيته منه
بنفسه وإن كان يحزنني أن أقدم عليه فأموت قبله وأفارقة غير متمتع به .
(٢) محمد بن علي بن أبي أمية الكاتب غني المأمون ومن بعده من الخلفاء إلى
المستعين ، ومدح المتوكل والخلفاء بعده وتوفي بعد منتصف القرن الثالث
(٣) يقول ما أجل هذا الوجه الذي لا تقع عيني منه أبدا على غير حسن وجمال
وهو شبيه بقول أبي نواس :

يزيدك وجهه حسنا إذا ما زدته نظرا

(٤) طلب : مبالغة في طالب . يقول في محبوه : لأنني وقعت في أسر هواه
ورقع هو أيضا في أسرى فهو يطلبني وأنا أطلبه وغير الأخلاء من هام بك ومحت به .

وفود أملوك أبا علي ولولا أنت ما كانوا وفوداً^(١)
وقال في صفة الشيب (من الخفيف) :
١٨٧ - يا بياضاً أذرى دموعي حتى عاد منها سواد عيني بياضاً^(٢)
وقال أيضاً (من الوافر) :
١٨٨ - شريف لا ترى قولاً وفعلًا ولا خلفاً له إلا شريفاً
وقال أبو العمر الطهوي^(٣) (من الخفيف) :
١٨٩ - ما لجنية المحاسن لا تأوي لخرق كأنه جنى^(٤)
وقال أحمد بن يوسف في بعض كتبه : فشكر الله لك ما أصبحت مشكوراً به ،
وكتب بعضهم : إن الشكر من الله بأحسن المواضع فازدد منه تزدد به وحافظ عليه
تحفظ به . وقال بعض المحدثين وهو إبراهيم بن الفرج البندنجي^(٥) (من البسيط) :
١٩٠ - تقاصرت همم الأملاك عن ملك أمسى الرجاء عايه وهو مقصور
فوفره بين أهل العرف متنب وعرضه عن لسان الذم موفور^(٦)

(١) مفيد : من أفاد المال إعطاء وأفاده أيضاً أخذه . أقوى القوم صاروا
بالقواء وهو القفر والمقوى أيضاً الذي لا زاد معه ، والمراد وأنت فقير ،
صرف الدهر : حداثته ونوائبه ، أله : رجاء .

(٢) أذرت العين دمعها : صبته .

(٣) مضت ترجمته في البيت (١١٥) .

(٤) جنية المحاسن أي فائقتها ، تأوي : تسكن ، الخرق : الرجل الكريم الحسنة
الخلق أو الشديد الذي ليس برفيق يعني نفسه ، والمعنى أن محبوبته الفاتنة في الحسن
لا تواصله وهو كريم النفس حسن الخلق يتحمل الشدائد فهو دائم السعي يجعل
نوائب المعروف حتى صار كأنه جنى من طول تحمله رسميه في سبيل المعروف .

(٥) البندنجي نسبة إلى موضع اسمه البندنجيين وورد في الكلام ١٥٠ : ٢

(٦) تقاصرت : عجزت عن بلوغ شأوه ، الحمم جمع همة ، الأملاك جمع ملك ،
الوفر : المال الكثير ، العرف : البذل والجود ، أنهب الرجل ماله فاتمه يوه ونهبوه
وناهبوه بمعنى واحد ، والنهب : الغنيمة ، عرض الرجل موضع الذم والمدح منه ،
الموفور : الشيء التام ، وفر عليه حقه نوفيراً واستوفرة : استوفاه

- وقال أبو نواس (من السريع) :
 ١٩١ - من لم يطب في الناس يومئذ من ريحه - إن مر - لم يطب^(١)
 وقال البحتري (من الطويل) :
 ١٩٢ - أنا نل جازت الأحص وأهله وما جدت للصب المشرق بنائل^(٢)
 وقال الطائي في الربيع (من الطويل) :
 ١٩٣ - أسألكم ما باله حكم البلى عليه وإلا فازكوى أسأله
 وقال أيضا (من الطويل) :
 ١٩٤ - ومن كان بالبيض الكواعب مغرما فازلت بالبيض القواطع مغرما
 ومن تيمت سمر الحسان فزاده فازلت بالسمر العوالي متبا
 تجشم حمل الفادحات وقلسا أقيمت صدور المجد إلا تحشا^(٣)
 وقال أيضا (من الطويل) :
 ١٩٥ - إلى سام الأخلاق من كل عائب وليس له مال على الجسود سالم
 إذا سيفه أضحى على الهام حاكما غدا العقومته وهرفى السيف حاكم^(٤)

(١) يقال طاب يطيب طيبة : والطيب الرائحة الطيبة العابقة ، يصف المحبوبة
 بميق الرائحة وطيب الشعر ويقول : إن من لم يطب من الناس من طيب : رائحة
 المحبوب وهو ما راع عليهم لم يطب بعدها .
 (٢) نائل اسم محبوبة ، جاوزت الأحص مثل يضرب لمن يطلب الشيء بعد فوات
 موضعه ، والأحص ماء في موضع هذا الاسم بنهامة ، جاد بالشيء منه ، النائل :
 المعطاء ، الصب : ذو الصبابة والشوق ، شاقه الشيء فالشيء شائق وهو مشوق .
 (٣) البيض : النساء الحسنات والبيض الثانية : السيوف ، الكواعب : جمع كاعب وهي
 الفتاة التي كعب لديها أي بدا للهنود . تيمه الحب : أضاءه ، سمر الحسان : أي الحسان
 السمر اللون والسمر الثانية : الرماح . تجشم الأمر : تكلفه على مشقة والتجشم :
 التكلف ، والفادحات : الأمور الفادحة وهي الثقيلة ، وهي أعباء المجد .
 (٤) الهام : الروس . والمعنى أنه أي المدحوح نبيل الخلق كثير الجود مسلط
 على الأعداء . سلم خلقه من كل عيب ولم يسلم ماله من تبدد الجود .

وقال (من البسيط) :

١٩٦ - إن ينج منها أبو نصر فمن قدر ينجي الرجال ولكن سله كيف نجا
وقال آخر وأظنه متقدما لسلسلة بن عباس^(١) (من الطويل) :

١٩٧ - سمين قريش مانع منك غنه وغث قريش حيث كان سمين^(٢)
وقال البحترى (من الكامل) :

١٩٨ - سلبوا وأشرقت الدماء عليهم محمرة فكأنهم لم يسلبوا^(٣)
وقلت (من البسيط) :

١٩٩ - يادائهم الهجر والتجنى دعنى من الهجر أو فدعنى
فرقواذى إليك مسنى فسله عما أردت مسنى^(٤)

ومن العيب منه في الكلام أو الشعر قول ذى نواس البجلي (من الطويل) :

٢٠٠ - يقيمى برق الميسم بالخي ولا يارق إلا الكريم يقيمه^(٥)

(١) شاعر مخضرم أدرك الدررئين ومدح حمارة بن حمزة صاحب خراج البصرة
للهدى ، وينسب البيت لعروة بن أذينة (٢٠٤ / ٣ بيان) .

(٢) الغث : اللحم الممزول والحديث الرديء ، والسمين تضاد الممزول . ويروى
منك لخم (٢٠٣ / ٢ الكامل) وهي رواية البيان أيضا .

(٣) سلب الأعداء : أخذ أسلحتهم والسلب : الملبوس ، والسلب : الاستلاب والاختلاس .

(٤) في الديوان (١ / ٩٩) هذان البيتان بوزن آخر وهو المحدث وهما هنا من
مطلع البسيط وهما كما في الديوان :

يا دائم الهجر دعنى من الصدود وقفنى

فرقواذى مسنى فسل يحدثك عنى

والتجنى : الدلال والتهيب والممنى : أيها المحب الدائم الهجر والدلال : حبيبك هذا
فلما إن تدع هجرك وإما أن تدعنا وتركنا فليس بالخليل الوفى من هجر ويتجنى
على محبيه . وإن قلوبنا فرت من صدورنا وأقامت في حراك فأسألهما نفيك بما
تسكنه لك من حب ولوعة ووفاء .

(٥) تيمم الحب : أضناه شوقا ، البرق : اللؤلؤ ، و برق السيف وغيره تلالا =

وهذا قد جمع على غثائه باين من بديع الكلام، وهما هذا الباب
وباب الاستعارة .

وقل منصور بن الفرج (من البسيط) :

٢٠١ - زدناك شوقا ولو أن النوى نشرت بسط الملا بيننا بعدا لزوناك (١)
وهذا أيضا قد جمع معنيين من البديع وليس بشيء .

الباب الخامس من البديع

وهو مذهب سماء عمرو الجاحظ المذهب الكلاي (٢) .

وهذا باب ما أعلم أني وجدت في القرآن منه شيئا وهو ينسب إلى التكلفه
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا .

المتقدمون : قال أبو الدرداء : إن أخوف ما أخاف عليكم أن يقال :
علت فإذا عملت (٣) .

وقال الفرزدق (من الطويل) :

٢٠٢ - لكل امرئ نفسان نفس كريمة وأخرى يعاصيها الفتى ويطيعها
ونفسك من نفسك تشفع للندى إذا قل من أحرارهن شفيعها
وقال عمر لعبد الله بن عباس : من ترى أن نوليهم حمص؟ قال رجلا

== المباسم جمع مبسم وهو الثغر ، والمعنى أن مبسم الحبيب الساحر الجليل الملائكة عند
اقراره بزبدنى هيأما ولوعة وكل كريم يقيم الحسن ويأسره الجمال .

(١) النوى : الفراق ، البسيط : جمع بساط وهو ما يبسط ويمكن بسط أى
واسع وهو المراد هنا ، الملا : الفقار الواسعة ، والمعنى دفع بنا الشوق إلى زيارتها
وهم ما صنع الفراق وباعد بيننا وبين ديارها فلا تكف عن زيارتها .

(٢) هو إيراد حجة المطلوب على طريقة أهل المنطق وهي أن تكون المقدمات
مسئلة مستلزمة المطلوب وهو النوع الثامن والعشرون من أنواع البديع عند أبي
هلال العسكري (راجع ٢٩٨ - ٣٩٩ الصناعتين) وراجع هذا الباب أيضا
في العمدة (٢ / ٧٥) .

(٣) في الأصل علت وهو تحريف .

صحيحاً منك صحيحاً لك ، قال : كن أنت ذلك الرجل ، قال : لا ينفع بي مع سوء ظني في سوء ظنك بي .

المحدثون : قال أبو عبد الرحمن العطوي (١) (من الخفيف) :

٢٠٣- فوحي البيان بعصده البرهان في مأقط ألد الحسام
مارأينا سوى الحبيبة شينا جمع الحسن كله في نظام
هي تجري مجرى الأصالة في الرأى ويجري الأرواح في الأجسام (٢)
وقال إبراهيم (٣) بن المهدي المأمون (من البسيط) :

٢٠٤- البر في منك وطأ العذر عندك لي فيما فملت فلم تعذل ولم تلم
وقام عليك بي فاحتج عندك لي مقام شاهد عدل غير متهم (٤)

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي عطية مولى كنانى بصرى شاعر وأحد حذاق المتكلمين وهو متوكلي والبايات ذكرها المرزبانى في معجم الشعراء (٢٤٢) ، وقد استقى في شعره (كما يقول أبو الفرج الأصبهانى) بمذهب جديد في الشعر هو الكلام على العقائد وجدال خصومه من المتكلمين (٢٠ / ٥٨ الأغاني) وراجع كثيراً من القصيدة في الرد على هشام ومطلعا :
جل رب الأعراض والأجسام عن صفات الأعراض والأجسام
في الأمانى (ص ٢٢٢ ج ٢) .

(٢) المأقط : موضع القتال ، أو المضيق في الحرب - عصده : أعانه - اللد : شدة الخصومة - النظام : الخط الذى ينظم به الزايق - رجل أصيل الرأى : أى بحكم الرأى ومجد أصيل : أى ذو أصالة .

(٣) أمير عباسى هاشمى أخو الرشيد ولد ونشأ في بغداد وولاه الرشيد دمشق وخرج على المأمون سنة ٢٠٣ وأعلن خلافته في بغداد وظل في الخلافة عامين وتغلب على الكوفة والسواد والمأمون بخراسان ثم استطاع المأمون التغلب عليه والظفر به سنة ٢١٠ فعفا عنه وكان أفصح أولاد الخلفاء اسانا وأجودهم شعراً حاذقاً بصنعة الغناء ومات في سر من رأى سنة ٢٢٤ هـ . وله ترجمة في الأوراق قسم أشعار أولاد الخلفاء (١٧ - ٤٩ ط ١٩٣٦) .

(٤) والبايات وتاريخها الأدبى في الأوراق للصولى قسم أشعار أولاد الخلفاء (ص ١٩ ط ١٩٣٦) .

- وقال إبراهيم بن العباس (من الطويل) :
- ٢٠٥ - وعدتني كيف الهوى وجهك وعلمك صبري على ظلمك ظلي
وأعلم مالي عندكم فيميل بي هواي إلى جميل فأعرض عن حلي
وقال أبو فراس (من الخفيف) :
- ٢٠٦ - إن هذا يرى - ولا رأى للأحق - أني أعمده إنسانا
ذاك في الظن عنده وهو عدى كالذي لم يكن وإن كان كانا
وقال الطائي (من الكامل) :
- ٢٠٧ - المجد لا يرضى بأن ترضى بأن يرضى المؤمل منك إلا بالرضا (١)
وبلغنا أن إسحاق بن إبراهيم رأى حبيبا (٢) الطائي ينشد هذا وأمثاله عند
الحسن بن وهب فقال : يا هذا شددت على نفسك . ولما ردع المأمون الحسن (٣)
ابن سهل مخرجه (٤) إلى بغداد فقال له المأمون : يا أبا محمد ألك حاجة ؟ قال
نعم ، يحفظ علي من قلبك ما لا أستعين على حفظه إلا بك .
وكتب أحمد بن يوسف إلى إسحاق بن إبراهيم الموصلی وقد زاره إبراهيم
ابن المهدي : عندي من أنا عنده وحجتنا عليك إعلامنا ذلك إليك والسلام .
وقال إبراهيم بن العباس (من المتقارب) :
- ٢٠٨ - ولما فأت كيف كنا لها ولما دنت كيف كنا بها (٥)

(١) يقول الشاعر : لمدوحه إن المؤمل لا ترضى أنت ولا المجد ولا هو إلا
برضايتك عليه وبرك به .
(٢) في الأصل (حبيب) وهو تحريف وتقدمت ترجمته .
(٣) هو وزير المأمون وصم . (والد زوجة بوران ٢٩١ - ٢٧١) توفي عام ٣٣٦
وعقد المأمون عقد بوران عام ٢٠٣ ودخل بها سنة ٣١٠ هـ .
(٤) وذلك سنة ٣٠٤ حين أرسله من خراسان بجيش لمحاربة إبراهيم بن المهدي
(٥) يريد كنا لها بمنزلة عطية من الوفاء عند تأيها ولما قربت منا كنا بها
وبقرها في نعمة وسرور بالعين .

وكتب بعضهم إلى صاحب له : إرض بما حكم به الحق في أمرك أكر بالمسكان
الذى أنزلني به الحق بيني وبينك وقلت في هذا الباب (١) (من المجتذ) :
٢٠٩ - أسرفت في الكتان وذلك مسني دهاني
صكمت حيك حتى كتمته كثناني
ولم يكن لي بد من ذكره بلساني

ما عيب من ذلك : كتب إلى بعض أهل زماننا : أطال الله بقاءك منشأ
لك ربح (٢) عز لا يعدم هبوبها ومطلعا لتعمتك شمس نصرة يؤمن غروبها
وأراك أمينك يلوغكما (٣) ، فديجعل الله إيداءك وإعادتك في الجود أذانا
ولقائمة بدلان العفة إلى مباءتك للرى من ساحتك ، ولما رأيت ذكرك عطرا ،
ولمن رجاك سيرا ، جئتكم ظامثا مستقيا ماء أنعمك (٤) ، وغير غرو أن أكون
من يمدحك بمبلغ طاقته وفرط محبته ، فإن رأيت أعزك الله أن تقرأ رقبته (٥)
وليكن شعره نعلت إن شاء الله ، وصلى الله على محمد نبيه والسلام كثيرا ، وفي
هذا الباب استعارة وتعقيد أيضا على بغضه كما ترى . وكتب الحسن بن وهب
إلى صديق له استزاره : لما أذن الله في النهوض إليك أحدث القدر ما لم أكن
أحتسبه من شغل يعم قلبي فلا أجدر بقية تنذرتك فذكرت أن آتيك على
هذه الحال فيكون نظري إليك حسرة يلجلجها (٦) الضمير إذ كان الشغل
حاجبا عن استقصائك (٧) بكنهمك (٨) .

(١) راجع ٩٩ / ١ ابن الممتر ، ٧٥ / ٢ العمدة .

(٢) الريح هنا : القوة والغلبة

(٣) في الأصل يلوغكما وهو تحريف .

(٤) جمع نعمة . (٥) في الأصل رقعة .

(٦) اللجلجة : التردد في الكلام يقال : الحق أبلغ والباطل لالج أي يتردد من
غير أن ينفذ .

(٧) استقصى المسألة : نقضاها .

(٨) كله الشيء : نهايته . يقال : أعرفه كله المعرفة .

واللهكم بن قنبر (١) (من البسيط) :

٢١٠ - فلا تسدوا - فإلى غيركم أمل - على بالصد بجري (٢) ربح آمالي
وقلت لسلطان (٣) الطيب : كم آكل من الرطب (٤) ؟ فقال : سبعين - يعني
أربع عشرة رطبة . وعن أساء في هذا المعنى العلوي الكوفي (٥) حيث يقول
(من البسيط) :

٢١١ - أشكو إلى الله قليلا وكحلته به عيذك لا كتحت من حره بدم
وقال آخر (من الطويل) :

٢١٢ - نعم منك كانت مثل لا إذ بلوتها فإلتم عندي على لاء من فضل (٦)

انتهت أبواب البديع الخسة (٧)

قد قدمنا أبواب البديع الخسة وكن عندنا ، وكأني بالمعاند المغرم بالاعتراض
على الفضائل قد قال : البديع أكثر من هذا [١] (٨) وقال : البديع باب أو بابان
من الفنون الخسة التي قدمناها ؛ فيقل من يحكم عليه ، لأن البديع اسم موضوع
لفنون من الشعر ، يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين منهم ، فأما العلماء باللغة والشعر
القديم فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو ، وما جمع فنون البديع ، ولا يبقى

(١) شاعر ما بين مخضرم أدرك الدوريتين : وكان بينه وبين مسلم بن الوليد
مناقشة أدبية اشتملت تارة الهجاء . بينهما ارتوى في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري .

(٢) يجري الریح طریق هوبجا .

(٣) طیب معاصر لابن المأمون وكان لسانه لا يكاد يمين .

(٤) الرطب من النخل والتمر معروف ، والرطب ضد اليابس .

(٥) هو علي بن محمد العلوي الكوفي شاعر عباسي عاصر المونكل وهجا علي بن

الجمهور ٢٤٩ لا يعرفه عن آل البيت ، ومات في منتصف القرن الثالث على وجه التقريب

(٦) بلوتها : أي خبثتها . والمعنى أن وعدك بوصالي كان مثل وعيدك بهجري

فنعلم مثل لا عندك وليس نعم عندي إذا صدرت منك على ولا ، فضل ولا فيها رجاء .

(٧) عنوان من عندي .

(٨) زيادة عن الأصل لتصحيح المعنى

إليه أحد . وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين ، وأول من نسخه منى على بن هارون بن يحيى بن أبي المنصور المنجم (١) .

ونحن الآن نذكر بعض محاسن الكلام والشعر ، ومحاسنها كثيرة لا يلغى لئلا نلزم أن يدعى الإحاطة بها ، حتى يتبرأ من شذوذ (٢) بعضهم عن علمه وذكره (٣) ، وأحيانا لذلك أن تكثر فوائد كتابنا للمتأدبين ، ويعلم الناظر أننا اقتصرنا بالبديع على الفنون الخمسة ، اختيارا (٤) من غير جهل بمحاسن الكلام ، ولا ضيق في المعرفة ، فمن أحب أن يقتدى بنا ، يقتصر بالبديع على تلك الخمسة ، فليعمل . ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئا إلى البديع ، ولم يأت غير رأينا ، فله اختياره .

١ - باب الالتفات (٥)

وهو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الأخبار وعن الأخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك ، ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر .

(١) لعل الصواب : على بن يحيى ، بحذف هرون ، وعلى بن يحيى فارسي الأصل وكان أدبياً شاعراً مقدماً في علوم العرب والعجم وتادم المتوكل وكان كثيراً لديه ولدى الخلفاء بعده ومات سنة ٢٧٥ عن أربعة وسبعين عاماً ورثاه ابن المعتز وعبيد الله ابن عبد الله بن طاهر وسراهم من الشعراء (٢٨٦ معجم الشعراء) . وقد يكون صحة الكلام هرون بن علي بن يحيى وهو أديب ناقد (٣٥١ - ٤٢٨ هـ) وفي العمدة (٢٧ / ٢) أن هرون بن علي هو الذي سمى التوشيح تسبيحاً ، وفي الأغاني (١٤٢ : ٩) : ورد اسم علي بن هرون المنجم فامله ابن أخى علي بن يحيى المنجم .

(٢) شذذه شذوذاً أي انفرده .

(٣) الذكر ضد النسيان .

(٤) أي عن معرفة بالكلام ونذوق له وآبلاء لجيده ورديته ، وهي بالياء لا الباء كما ورد في الأصل .

(٥) راجع الباب في الصناعتين (٣٨٣ - ٣٨٥) ، وفي نند الشعر (ص ٨٧) ، وفي العمدة (٢٧ / ٢) ، وهو عند قدماء وأبي هلال أخص من معناه عند ابن المعتز حيث قصره على المعنى الثاني الذي ذكره ابن المعتز ويقصد به قدماء ما يشمل التزييل =

قال الله جل ثناؤه (حتى إذا كنتم في الذللك وجرين بهم بريح طيبة) . وقال
(إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ، ثم قال : وبرزوا لله جميعا) وقال جرير
(من الوافر) :

٢١٣ - متى كان الخيام بنى طلوح سقيت الغيث أيتها الخيام
أنفسى يوم تصقل عارضيهـ بعسود بشامة سقى البشام^(١)
وقال (من الكامل) :

٢١٤ - ودعا الزبير فاستحرك الحبي ، ثم رجع إلى الخاطبة فقال :
لو سمتم أكل الخزير لطاروا^(٢)

وقال الطائي (من الطويل) :

٢١٥ - وأنجدتم من بعد إتهام داركم فبادمع أنجدنى على ساكني نجد^(٣)
وقال جرير (من الكامل) :

٢١٦ - طرب الحمام بنى الآراك نشاقي لازلت في ظل وأبك ناصر^(٤)

== ويسميه صاحب نقد النثر ، الصرف ، (ص ٧٠ نقد النثر) . واللائغات عند
صاحب الممددة هو الاعتراض (٣٤٣ ج ٢ الممددة)

(١) ذو طلوح : واد فيه شجر كثير من الطاح . والطاح : شجر عظام من شجر
المضاة . الغيث : المطر . صقل السيف : جلاه . عارضتا الإنسان : صفحتا خديه ،
وفلان خفيف العارضين : يراى به خفة شعر عارضيه . البشام : شجر طيب يستاك به .
(٢) احتي : جمع بين ظهريه وساقيه بثوب ، والاسم الحيرة بفتح الحاء . وضمها .
والخزير : طعام شبه عسيدة . سامه : كلفه وسامه ذلا أولاه إياه وأراده عليه .
ولده يريد بالزبير عبد الله بن الزبير الذي خرج على الدولة الأموية في الحجاز
وقتل سنة ٧٣ هـ .

(٣) أنجد : دخل في بلاد نجد . وأنهم : دخل في تهامة . وقد سبق البيت في التنجيس .

(٤) ذو الآراك : مكان فيه شجر آراك كثير . الأيك : الشجر المتنف . الغلل :
المكان الخصب الذي يهود بالعملة .

٢ - الاعتراض^(١)

ومن محاسن الكلام أيضاً والشعر اعتراض كلام في كلام لم يتمم معناه ثم يعود إليه فيتممه في بيت واحد ، كقول بعضهم (من الطويل) :
 ٢١٧ - فظنوا بيوم - دع أخاك بمنله - على مشرع يروى ولما يصرد^(٢)
 وقال كثير (من الوافر) :
 ٢١٨ - لو ان الباخلين - وأنت منهم - رأوك تعلوا منك المطالا^(٣)
 وقال النابغة الجعدي (من الوافر) :
 ٢١٩ - ألا زعمت بنو سعد بأنى - ألا كذبوا - كبير السن فاني

٣ - الرجوع^(٤)

ومن الرجوع ، وهو أن يقول شيئاً ويرجع عنه كقول بشار (من الكامل) :
 ٢٢٠ - نبئت فاضح أمه - بفنائى عند الأمير وهل عليه أمير^(٥)
 وقال أبو نواس (من الرجز) :
 ٢٢١ - ياخير من كان ومن يكرن إلا النسي الطاهر الأمين
 إمام عدل ماله قرين استغفر الله - بلى هارون^(٦)
 وقال آخر^(٧) (من الطويل) :

(١) عنوان وضعته زيادة على الأصل وراجع هذا الباب في الصناعتين ص ٣٨٥ وقد تأثر أبو هلال بابن المعتز تأثراً كبيراً . والاعتراض هو الالتفات عند بعض البيانين (٤٣ - ٤٤ - ٤٥) .
 (٢) مشرع المساء : مورد الشاربة . روى من الماء وأروانى المساء بمعنى . يصرد من التصريد وهو في السقي دون الري ، والصرد : البرد .
 (٣) المطال : من المطل بالدين . (٤) راجع هذا الباب في الصناعتين ص ٣٨٦ .
 (٥) البيت من أبيات هجاء بشار رجلاً هجاء عند الأمير محمد بن ساجان .
 (٦) تروى الأبيات بروايات مختلفة وهو في مدح الأمين ولي عهد الرشيد .
 (٧) هو يزيد بن العاطرية . راجع الأمالى ١٩٦ / ١ . وهو شاعر أموى من الشعراء القزليين .

٢٢٢ - أليس قليلا نظرة إن نظرتها إليك وكلا ليس منك قليل (١)
وقال بعضهم : مامعك من العقل شيء . بلى مقدار ما تجب الحجة به عليك
والنار لك .

٤ - حسن الخروج (٢)

ومنها حسن الخروج من معنى إلى معنى ، قال بعضهم (من الطويل) :
٢٢٣ - إذا ما اتقى الله الفتى وأطاعه فليس به بأس وإن كان من جرم (٣)
وقال بشار (من الطويل) :
٢٢٤ - خليلى من جرم أعينا أخاكما على دهره إن الكريم معين
ولا تبخلا بخل ابن قرعة إنه خشافة أرب يرجى نداءه حزين
إذا جتته فى الحق أغلق بابيه فلم تلقه إلا وأنت كرين (٤)
وقال آخر ويقال إنه السموءل بن عاديا اليهودى (٥) (من الطويل) :
٢٢٥ - وإنما لقوم ما نرى القتل سبة إذا ما رأته عامر وسلول (٦)

(١) وشبيه به قول ابن أبي ربيعة :

إن ما قبل منك بكثرة عندي وكثير عن تحب القليل

(٢) يسميه أبو هلال والمتأخرون الاستطراد (٣٨٩ صناعتين ، ٨١ حسن
للتوسل إلى صناعة النرسل) . وقال ابن رشيق : وأما الخروج عندهم فهو شبيه
بالاستطراد وليس به ، لأن الخروج إنما هو أن تخرج من ذئب إلى مدح أو غيره
بلطف تحيل ثم تنادى فيها خرجت إليه (١/٢٠٦ العمدة) فهو عنده حسن التخلص ،
وذكر ثعلب فى قواعد الشعر (ص ٢٣) حسن الخروج عن بكاء الطلل ووصف
الإبل بغير داع عن ذا واذكر ذا الخ .

(٣) جرم : قبيلة ، والبيت هجاء بالغ

(٤) رواية الأصل : قرعة ، ولم تلقه ، بدل تلقه . كرين : أى عتف . هذه
الآيات من قصيدة بهجو بها بشار أبا يحيى عبيد الله بن قرعة أخا الملوى المتكلم
من أصحاب النظام (١/٨٨٩ الكامل للبرد) .

(٥) شاعر جاهلي حكيم من أهل الحجاز يضرب به المثل فى الوفاء ، وتوفى قبل الإسلام

(٦) عامر وسلول : قبيلتان ، وسبة : أى عاراً يسب به .

وقال زهير (من البسيط) :

٢٢٦ - إن البخيل ملوم حيث كان والسكن الجواد على علانه هرم (١)

ومنه قول حسان (٢) (من الكامل) :

٢٢٧ - إن كنت كاذبة التي حدثتنا فتجوت منجى الحارث بن هشام (٣)

وقال الطائي (من الكامل) :

٢٢٨ - لا والذي هو عالم أن النوى صبر وأن أبا الحسين كريم (٤)

وقال أبو العتاهية (من المتفارب) :

٢٢٩ - وأحييت من جها الباخلين حتى ومقت ابن سلم سعيدا

إذا سيل عرفا كسا وجهه نيا با من المنع صفراً وسوداً

يغير على المسال فعل الجواد وتأبى خلانقه أن تجودا (٥)

وقال إسحق الموصلي يصف السكر (من الطويل) :

٢٣٠ - فما ذر قرن الشمس حتى كأننا من العي نحكى أحمد بن هشام (٦)

(١) على علانه أى على ما يشوبه من قلة ذات يد وعوز ، هرم : اسم المدحرج ، وهذا البيت ذكره ابن رشيق من شواهد التتميم (٤٨ : ٣ عمدة) .

(٢) شاعر أنصاري مجيد دافع عن رسول الله بشعره عاش في الجاهلية والإسلام ومات سنة ٥٤ هـ .

(٣) يخاطب فرسه ويعرض بالحارث بن هشام في قراره يوم بدر

(٤) النوى : الفراق ، صبر أى مر . أبو الحسين : بمدوحه .

(٥) ومقه : أى أحبه ، الخلائق جمع خليفة وهي الطليعة ، وسعيد بن سلم بن قتيبة بن مسلم الباهلي من أمراء الدولة العباسية وولائها وكان شجاعاً حازماً مع أدب ورواية وهجاء أبو العتاهية بهذه الأبيات ، ونسب لمسلم وهي في ديوانه (ص ٣٩) .

(٦) ذر : طلع ، قرن الشمس : أعلاها وأول ما يبدو منها في الطلوع ، العي : ضد البيان .

٥ - تأكيد المدح بما يشبه الذم^(١)

ومنها تأكيد مدح بما يشبه الذم ، كقول الذباني (من الطويل) :
٢٣١ - ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بين فلول من قراع الكتاب (٢)
وكقول الجعدي (من الطويل) :
٢٣٢ - قتي كنت أخسلاقه غير أنه جواد فما يبق من المال باقيا

٦ - تجاهل العارف^(٣)

ومنها تجاهل العارف كقول زهير (من الوافر) :
٢٣٣ - وما أدري وسوف أعال أدري أقوم آل حصن أم نساء (٤)
وقال ابن أبي أمية (من الطويل) :
٢٣٤ - فديتك لم تشيع ولم ترو من هجري أتستحسن الهجران أكثر من شهر
أراني سأسلو عنك إن دام ما ترى بلانقة لكن أظن ولا أدري (٥)

(١) يجعله أبو هلال ضراباً من أضرب نوع من البديع بسميه ، الاستثناء .
ص ٣٩٦ صناعين ، وكذلك فعل ابن رشيق (ص ٤٥ ج ٢ المدة طبعة ١٩٣٤)
(٢) الفلول : موضع القل ، وقراع مصدر قارع أي جالد ، الكتاب : جمع كتيبة
وهي الجيش .

(٣) بسميه أبو هلال تجاهل العارف ومزح الشك باليقين ٣٨٧ صناعين ،
ويعرفه بأنه : إخراج ما يعرف صوته عرج ما يشك فيه ليزيد بذلك تأكيداً .
(٤) يقول : ما أدري أرجال آل حصن أم نساء . والقوم الرجال دون النساء ،
ثم قال : وسوف أعال أدري ، أي سأبحث عن حقيقة أمرهم حتى أبينها ، وإنما
يزأ بهم ويتوعدهم ، وآل حصن هؤلاء . حتى من كلب ، هجاءهم زهير لأنهم أهانوا
جوار رجل من غطفان نزل بجوارهم ، وكان زهير نازلاً في غطفان .
(٥) دوى من الماء يروى . وبلانقة يرجع إلى قوله أراني أي أظنني - إن
دام هجرك ونأيك ودلائك --- سأسلو عنك بلانقة في هذا الظن ولا تحقق له
ولا عزم عليه .

وقال آخر (من البسيط) :

٢٣٥ - إن لم يكن لبن الدابات غيره عن فمل آياته الغر الميامين
فربما غاب بعمل عن حليته فناكها بعض سواس البراذين (١)

٧ - الهزل يراد به الجدد

ومنها هزل يراد به الجدد . قال أبو العتاهية (من البسيط) :

٢٣٦ - أرقبك أرقبك باسم الله أرقبك من بخل نفس لعل الله يشفيك
ما سلم نفسك إلا من يتركها وما عدوك إلا من يرجيك (٢) .
وقال أبو نواس (من الطويل) :

٢٣٧ - إذا ما تميمي أنك مفأخراً فقل عد عن ذاك كيف أكلت للضب (٣)
وقال أيضاً للفضل بن الربيع (من الوافر) :

٢٣٨ - ولي حرم فلا تنفط عنها لتدفع حقها دفع الغريم
تغافل لي كأنك واسطي وبيتك بين زمزم والحطيم (٤)

(١) الدابات : جمع دابة وهي القابلة أو المرصعة ، الغر : جمع أغر ووجل
أغر ، أى شريف ، ميامين أى كرام أخيار يقيامن بهم ، والبن البركة ، وفلان
ميمون على قومه أى مبارك عليهم ، البعل : الزوج ، الحليلة : الزوجة . ساس
الذابة قادهما . البرذون : الدابة .

(٢) السلم : السلام أو الصلح أو المسالة ، ترك الشيء : خلاه ، وناركة البيع
متاركة . رجاء ورجاء بمعنى .

(٣) عد عما ترى : أى اصرف بصرك عنه ، يقول : هم يفخرون ، وكيف
يفخرون ؟ إن نسوا فذكركم بما هو المنقبة التي لهم وهي أكلهم للضب .

(٤) الحرم : جمع حرمة وهي ما لا يحل انتهاكه ، غطاء يغطي ، وتغطي تغطيها :
تستر بالغطاء . وهو ما يغطي به ، الغريم : المدين ، بيته بين زمزم والحطيم كناية عن
سمو الحب وعراقة المجد ، واسطي : نسبة إلى واسط بلد سمي بالقصر الذي بناه
الحجاج بين الكوفة والبصرة . يقول : لي لديك حقوق فلا تغافل عنها ولا تماطل
في أدائها كما يفعل عامة الناس ، فلا تكن مثلهم ، فأنت العظيم المجد والحسب ،

وقال آخر (من المديد) :

٢٣٩- من رأى فين رأى رجلا تبهه مرب على جسده
بقباى راجلا وله شاكرى فى قلفسوته (١)

٨ - حسن التضمين (٢)

ومنها حسن التضمين قال الأخطيل (من الكامل) :

٢٤٠- ولقد سما للخرى قلم يقل بعد الوغى: ولكن تضايق مقدى، (٣)
وقال (من الطويل) :

٢٤١- إذا دله عزم على الجود لم يقل غدا عودها إن لم تعقها العوائق
ولكنه ماض على عزم يومه فيفعل ما يرضاه خلق وعائق (٤)

والفضل هو الفضل بن الربيع بن يونس من رجال الدولة العباسية فى عصر المهدي والرشيدي .

(١) التيه : الصلف والحيلة ، أربى الشيء : زاد ، الجدة : الاستغناء ، الراحل :
ضد الفارس ، تباهى : تفاخر ، الشاكرى : بمعنى الأجير والمستخدم فارسى معرب .
والجؤد الشاكريه من جند الخلافة . القلفسوة : غطاء الرأس ، والبيتان لمحمد بن أبي
أمية الشاعر الكاتب ومرث ترجمته عند البيت ١٨٥ .

(٢) يعرفونه بأنه : أن يضمن الشاعر شيئا من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم
يكن مشهوراً عند البلغاء ، وراجع هذا الباب فى العمدة (٨٠ : ٢) ، وقد ذكره
أبو هلال فى الصنائع (ص ٣٨) .

(٣) الوغى : الحرب ، المقدم : مكان الإقدام ، والمراد أنه لم يكن منه فى الحرب
جبن ولا هلع ولا تأخر عن المناجزة العدو حتى يحتاج إلى الاعتذار عن شيء من
ذلك بعد الحرب ، والخرى هو بابك الخرى الذى استولى على جبال طبرستان فى
عصر المأمون عشرين عاماً وعظم أمره وقتل محمد بن حميد الطوسي وسواه من القواد
وهزم عساكر المعتصم مراراً حتى انتدب له الألفين القائد التركى فظفر به وأسره
وأحضره إلى المعتصم فقتله سنة ٢٣٣ والبيت تضمنين لبيت عنتره .

إذ يتقون فى الأسنة لم أخم عنها ولكنى تضايق مقدى
(٤) دله : أرشده ، غدا عودها ، أى لم يتأخر عن البذل والجود ولم يقل لنفسه =

وقال آخر (من السريع) :

٢٤٢ - عوذ لما بت ضيفا له أقراصه بخلا ياسين
فبت والأرض فراش وقد غنت (قفانك) مصارين^(١)

٩ - التعريض والكناية^(٢)

ومنها التعريض والكناية . قال علي رضي الله عنه لعقيل^(٣) ومعه كبش
له : أحد الثلاثة أحمق : فقال عقيل : أما أنا وكبشي فعاقلان .
وكان عروة^(٤) بن الزبير إذا أسرع إليه إنسان يسوء لم يجبه ويقول : إني
لأتركك رفعا لنفسى عنك ، فجرى بينه وبين علي^(٥) بن عبد الله بن عباس
كلام ، فأسرع إليه عروة يسوء ، فقال : إني أتركك لما تترك الناس له ، فاشتد
ذلك على عروة .

== إن فانتك بذل اليوم ففدا تمود المغاة طالبة الخير والمعروف ، عاقته العوائق من
عاقه عن كذا أى حبسه عنه وصرفه ، وعوائق الدهر : الشواغل من أحداثه .
(١) التعويد : اتخاذ العوذة ، القرص من الحطب ، وقرص العجين : قطعه قرصة
قرصة . والمصارين : جمع واحد مصران جمع مصير ، وهى المى . وهو تضمن
لقول امرئ القيس : قفانك الخ

(٢) يسميها صاحب نقد النثر ، اللحن ، (ص ٥٩ - ٦١ نقد النثر) وراجع
باب التعريض فى العمدة (ص ٢٠٧ ج ١) وباب الكناية فيها ٢٠٩ ج ١)
والتعريض يسميه أبو هلال بهذا الاسم أيضا راجع (٣٦٠ صناعتين) ، وعرفه
بأنه أن يكفى عن الشيء ويعرض به ولا يصرح على حسب ما عملوا باللحن والتورية
عن الشيء ، وابن المعتز يطلق الكناية هنا مریدا بها التعريض ، أما الكناية بمعناها
الاصطلاحى فيسميها قدامة الأرداف (٩٢ نقد الشعر) ، ونبهه فى ذلك أبو هلال
٣٤١ صناعتين ، وقد ورد ذكر التعريض فى قواعد الشعر للشعر (ص ١٩) .
(٣) عقيل بن أبى طالب نسابه فصيح اللسان صحابى أسن من أخويه على وجمعة
فارق أخاه علياً فى خلافته ووفد على معاوية فى دين الحقه وتوفى سنة ٦٠ هـ .

(٤) عروة فقيه عالم قرشى توفى بالمدينة سنة ٩٩ هـ .
(٥) من أعيان التابعين وجد الخلفاء العباسيين وتوفى بالشام ١١٨ هـ .
(٤٥)

وقال بعض ولد العباس (١) بن محمد لابنه : يابن الزانية ، فقال : الزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك . وقال بشار (من الخفيف) :
٢٤٣ - وإذا ما التقى ابن أعياء وبكر زاد في ذا شبر وفي ذاك شبر
أراد أنهما يتبادلان (٢) .

وقال عباس (٣) بن الفضل يهجو رجلاً (من السريع) :
٢٤٤ - يلوطن من خلف على أربع بخاندان من بني آدم (٤)
وقال أبو نواس في جلد عميرة (٥) (من الطويل) :
٢٤٥ - إذا أنت أنكحت الكريمة كفوها فأنكح حبشاً راحة ابنة ساعد
وقل بالرفاء ما نلت من وصل حرة لها راحة حفت بخمس ولائد (٦)
وقال آخر في حجام (من الطويل) :
٢٤٦ - أبوك أب مازال للناس موجعاً لأعناقهم نقر كما ينقر الصقر
إذا عوج الكتاب يوم أسطورهم فليس بمعوج له أبداً سطر (٧)

(١) أمه عباس بن محمد الهاشمي البغدادي من حفاظ الحديث والثقات في روايته وتوفي سنة ٢٧١ .

(٢) يريد أن كلا منهما يحن إلى صاحبه حين الحيلة ليعلمها .

(٣) أنصاري قاض ومحدث وعالم بالقرآن والشعر ولد في البصرة وولي قضاء الموصل في أيام الرشيد ومات بها سنة ١٨٦ هـ .

(٤) القواط معروف ، وغاندان ، كلمة فارسية معناها أمرد .

(٥) جلد عميرة هو الاستثناء ، بالكف .

(٦) حبش : علم رجل يهجو الشاعر ، والراحة : باطن الكف وهي ابنة الساعد بمعنى أنها موصولة يساعد الإنسان وهو عضده . الرفا : كلمة يقال للزوج يقال له بالرفاء والبنين : أي بالالتحام والاتفاق أو بالسكون والطمأنينة . حفت : أي أحيطت . خمس ولائد يكفى بها عن أصابع اليد .

(٧) الأعناق : جمع عنق . نقر الطائر الحبة : التقطها . ونقر الشيء : نقبه بالمنقار والمراد أنه ينقب عروق الإنسان بحججه . عوج البناء : أي أقامه معوجاً أي مائلاً .

١٠ - الإفراط في الصفة^(١)

ومنها الإفراط في الصفة . فن ملح^(٢) في هذا المعنى إبراهيم بن العباس الصولي في قوله (من المديد) :

٢٤٧ - يا أخا لم أر في الناس خلا مثله أسرع هجرأ ووصلا
كنت لي في صدريومي صديقا فعلى عهدك أمسيت أم لا ؟
وقال أبو نواس (من الكامل) :

٢٤٨ - ملك أغر إذا احتى بنجاده غمر الجاجم والسايط قيام^(٣)
ثم أسرف الختعى^(٤) حتى خرج عن حد الإنسان فقال (من الكامل) :
٢٤٩ - يدلى يديه إلى القلب فيستقي في سرجه بدل الرشاء المكرب^(٥)

(١) هو عند أبي هلال باب الغلو (راجع ٣٤٨ - ٣٥٦ صناعتين) ، وعرفه بأنه تجاوز حد المعنى والارتفاع فيه إلى غاية لا يكاد يبلغها ، وكذلك فعل ابن رشيق ٢/٥٧ العمدة . وسبقهما إلى ذلك قدامة (٣٧ نقد الشعر) ، وأبو هلال يذكر المبالغة كتشويخ آخر من أنواع البديع غير الغلو (٣٥٦ - ٣٩٩ صناعتين) .
(٢) ملح النى : حسن ، وهي في الأصل ملح بتشديد اللام ، ولعلها بمعنى أنى بالمليح الحسن .

(٣) أغر : أى شريف أو كريم . الاحتباء : حتم الرجل ظهره وساقيه بثوب ونحوه . والنجاد : حائل السيف . غمرهم : أى علام ، الجاجم : جمع جمجمة ، وهي عظم الرأس المشتمل على الدماغ . السياط من التخل والناس : الجانب ، ويقال مثني بين الساطين ، أى بين جانبي الحفل . والمعنى أنه أى الخليفة المهدي المدوح عظيم كريم ، إذا جلس محتبيا بمائل سيفه علا الرجال الوقوف في جانبي السياط .

(٤) شاعر عباسي عاصر أبا تمام والبحتري .

(٥) رواية الصناعتين : المصد بدل المكرب ، أدل الدلو أرسلها في البئر . القلب : البئر قبل أن تطوى ، أى تبنى بالحجارة ونحوها . الرشاء : الحبل . الكرب : الحبل يشد في وسط الدلو ليل الماء ، والمكرب من المفاصل المتلى صبا والتدبد .

وقال آخر يهجو رجلا (من السريع) :

٢٥٠- تبكى السموات إذا ما دعا وتستعيد الأرض من سجده
إذا اشتى يوما لحوم القطا صرعا في الجو من نكته (١)

وقال آخر (من الطويل) :

٢٥١- وأقسم لو خرت من استك بيضة

لما انكسرت من قرب بعض إلى بعض (٢)

وقيل (٣) في كثير وكان قصيرا (من الطويل) :

٢٥٢- قصير القميص فاحش عند بيته بعض القراد باسته وهو قائم (٤)

وقال آخر (من البسيط) :

٢٥٣- يا حابس الروث في أعفاج بلغته خوفا على الحب من لقط العصافير (٥)

وقال أبو نواس يصف قدرا صغيرة (من الطويل) :

٢٥٤- ينص بحيزوم الجرادة صدرها وينضج ما فيها بعسود خلال

وتغلي بذكر النار من غير حرها وتنزلها عفوا بغير جمال

هي القدر قدر الشيخ بكر بن وائل ربيع البتاي عام كل هزال (٦)

(١) القطا : جمع قطاة ، وهي طائر معروف . صرعه : أى ضرعه . النكته :

هي ريح الفم .

(٢) المعنى أنه قصير مفرط في القصر قريب من الأرض قريبا غير مألوف

وينسب البيت لكعب بن جهميل ، وهو به أشبه .

(٣) وينسب البيت للحزبن السكتاني الدؤلي .

(٤) قصير القميص كناية عن قصر الرجل . فاحش عند بيته ، أى إذا كان في

أهله وأمن شر الناس نطق بالفحش وعمل به ، والقراد : واحد القردان . يصفه

بالفحش والجبن وبالقهاء وإفراط القصر .

(٥) الأعفاج : جمع عفج ، وهو مسلك الفضلات في جسم الدابة . يصفه بالبخل

والشح الشديد .

(٦) النصة : الشح ، وغص بالطعام ينص . الحيزوم : الصدر . الجرادة : واحد =

وقال إسحاق بن إبراهيم الموصلي : قالت سعدة (١) بذت عبد الله بن سالم :
لقيت سكينه (٢) بذت الحسين ، صلوات الله عليه ، بين مكة والمدينة ، فقالت : (٣)
قني يا بنت عبد الله ، ثم سغرت عن وجه ابنتها (٤) ، وإذا هي قد أنفلتها بالدر ،
وقالت : ما ألبستها إياه إلا لتفضحه (٥) . وكانت امرأة من العجم حسناء ،
فكانت لا تظهر من بيتها إذا طلع القمر والشمس ، فقيل لها في ذلك ، فقالت :
أخاف أن تكشفاني . وقال الفرزدق يصف إبلهم (من الطويل) :
٢٥٥ - ألم تعلم يا بن المجشر أنها إلى السيف تستبكي إذا لم تعثر (٦)
وقال هذبة (٧) العنزي (من الطويل) :

الجراد . والضمير في صدرها يعود إلى القدر . نضج اللحم : ينضج إذا أدرك ،
الخلال : العود الذي يتخلل به ، الجمال : خرقه ينزل بها القدر . المزال يريد به
القحط ، يتكلم الشاعر بهذه القدر ويصور صغرها في صورة فيها جمال وسخريه .
(١) سيدة كريمة من سيدات الحجاز ووالدة شعيب بن صخر توفيت في القرن
المجري الأول.

(٢) نائلة هاشمية كريمة شاعرة تزوجها مصعب بن الزبير فأتت وتزوجها بعده
سواء . وتوفيت سنة ١١٧ هـ .

(٣) أي سكينه .

(٤) أي ابنة سكينه ، ومرت الزباب بنت مصعب بن الزبير المتوفى عام ٧٢ هـ .

(٥) في الأغاني (١٧ / ١٦٤ ، ١٦٥) هذه الرواية الأدبية عن شعيب بن
صخر عن أمه سعدة بتفصيل .

(٦) الضمير في أنها يعود إلى الإبل . عقر البعير بالسيف وعقره به بالتشديد ،
أي ضرب به قوائم . يقول إن إبلنا اعتادت فعل الكرم حتى إنما لتبكي إذا لم تعثر
في المكرمات . والآف في د تملأ ، مقلوبة عن نون التوكيد الخفيفة .

(٧) هو هذبة بن الحشرم الشاعر المغلق ، كان كثير الأمثال في شعره ، قتل ابن
عم له أيام معاوية لحبس خمس سنين ، ثم قتله ابن المقتول عام ٥٤ هـ . أخذنا منه
بشأن أبيه ، ومن شعره في الحبس :

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

٢٥٦ - إجابة لو أنه خر بازل من البخت فيها ظل للجنب يسبح (١)
وصف أعرابي فرسا فقال : إن الوابل ليصيب عجزه فأ يبلغ معرفته حتى
أبلغ ما أريد (٢) .

وقال المؤمل (٣) (من الخفيف) :

٢٥٧ - من رأى مثل حيتي تشبه البدر إذا بدا
تدخل اليوم ثم تدخل أردافها غدا (٤)

وقال عباس (٥) الحياض (من الرمل) :

٢٥٨ - لأبي عيسى رغي في خمسون علامة
فعل جانيه الواحد لقيت الكرامة
ثم لا ذاك لي ضيف م إلى يوم القيامة
وعلى الآخر سطر نسأل الله السلامة

وقال أيضا يهجو إماما بطيء القراءة (من المفسر) :

٢٥٩ - إن قرأ (العاديات) في رجب لم يقر آياتها إلى رجب
بل هو لا يستطيع في سنة يختم (تبت يدا أبي لهب)

(١) الإجابة معروفة (شبه المايجور) . خر : أي سقط ، البازل من الإبل :
الكبير في السن . والبختي من الإبل ، الأثني بختية ، وهي الإبل الحرسانية .
الجنب معروف . سبخ في الماء : عام فيه ، بنوه الشاعر بكرم قومه ويصف قدورهم
وضخامتهم ، وضخامه القدر من منازعات الكرم .

(٢) الوابل . المطر الشديد ، معرفة الفرس هي الموضع الذي يثبت عليه العرف
وهو الذي في أعلا عنقه ورأسه يصف الشاعر فرسه بالكرم وسرعة العدو .

(٣) المؤمل ابن أميل المخاري الشاعر الكوفي أدرك الدولتين وانقطع إلى
المهدي ، وهو صالح المذهب في شعره ، وفي شعره ابن وطبع صالح (٣٥٢٣ هـ)
غزاة طبع بولاق ومات نحو سنة ١٩٠ هـ .

(٤) الحبة : أي الحبيبة ، الأرداف : جمع ردف وهو الكفيل .

(٥) لم أقف على ترجمة له ورد اسمه في الموشح ص ٣٢٤ .

وقال أعرابي في وصف امرأة :

ما يمس ثوبها منها إلا مشاش منكبيها ، وحلتي نديها ، ورائفتي ألتها (١)

١١ — حسن التشبيه (٢)

ومنها حسن التشبيه : نبدأ بإمام الشعراء . قال امرؤ القيس (من المتقارب) :

٢٦٠ — مسرودة السك موضونة تضال في الطي كالبرد

تفيض على المرء أردانها كفيض الآتي على الجدجد (٣)

وقال (من الطويل) :

٢٦١ — كأن قلوب الطير رطباً وبابساً لدى وكرها العذاب والحشف البالي (٤)

وقال يصف الناقة (من الطويل) :

٢٦٢ — كأن حصي المعزاء بين فروجها إذا خذفته رجلها خذف أعصرا

(١) المنسكب : جمع عظم العنبد والكنف ، المشاش : رأس العظم ، الحلة : رأس الثدي ، الآلية : المعجزة ، الرافعة : طرف غضروف الأنف .

(٢) راجع باب التشبيه في العمدة (٢٥٦ ج ١) وقد عقد له قدامة فصلاً في نقد

الشعر ، (ص ٦٥ — ٧٠) وعقد له العسكري باباً طويلاً في الصناعتين (٢٢٦ —

٢٤٩) ، وقد سبق الجميع إلى الكلام على التشبيه المبرد حيث عقد له باباً في كامله

(٣٥ — ١٠١ ج ٢) ، وكذلك ثعلب في قواعد الشعر (ص ١٤ — ١٨ طبع ليدن)

(٣) دوح مسرودة من السرد وهو تداخل الخلق بعضها في بعض ، وقيل : السرد

هو الثقب والمسرودة المثقوبة ، والسك : الدرع الضيقة الخلق ، والدرع الموضونة

هي المنسوجة وقيل المنسوجة بالجواهر ، تضال ، أي تضال وتقل ، الطي ضد النشر

والمبرد آلة الحداد المعروفة ، الأردن : جمع ردن وهو أصل السك ، الآتي : السيل .

الجدجد : الصخور الصلبة ، وراجع شرح البيتين أيضاً في نقد الشعر (ص ٦٨) :

قال : وصف الدرع في حال طيها بالبيت الأول ، ثم وصفها في حال نشرها

بالثاني ، ومعنى البيت الأول أنها إذا طويت صغرت ولطفت حتى تصير كالبرد .

(٤) العناب : تمر أحمر ، والحشف ما يبس من التمر ولم يكن له طعم ولا نوى ،

شبه الطير من القلوب بالعناب والعنق بالحشف ، يشبه الشاعر فرسه بمقاب صيود ،

وفرخ المقاب يأكل لحم الطائر ، ما خلا قلبه ، فلذلك كثر ذلك عند وكرها .

- كان صليل المرو حين تشده صليل زيوف ينتقدن بعقرا^(١)
وقال الراعي^(٢) (من السكامل) :
٢٦٣ - في مهمه قلقت به هاماتها قلبي الفؤوس إذا أردن فصولا^(٣)
وقال ابن مقبل^(٤) (من الطويل) :
٢٦٤ - تنقلل من ضغم اللجام لهاثة تنقلل عود المرخ في الجعبة الصفر^(٥)
وقال النابغة الذبياني (من الطويل) :

(١) المعزاء : الأرض الصلبة الفروج جمع فرجة ، وهذان الديثان بينهما فرجة أي اقتراج ، والفروج أيضا جمع فرج وهو معروف ، الحذف بالحصى ، الرى به بالأصابع ، والأعصر الذي يعمل بثباله ورميه لا يذهب مستقيما ، والمعنى أن هذه الناقة تطير الحصى بيننا وشمالا كأنه رى الأعصر الذي لا يضى على وجهه ، والصليل امتداد الصوت ، والمرو : الحجارة ، وأحدثه مروة وكل حجر فيه نار فهو مروة ، تشده أي تطيره ، الزيوف : هي الدراهم التي ليس فيها فضة وأحدها زيف ، والزيف شديد الصوت صافية كما يقول المبرد (٧٦ / ٢ الكامل) ، ونقدت الشيء : ضربته بالأصبع كما ينقد الصبي الجوز بأصبعه فيسمع له صوت ، شبه صوت المرو بصوت صافيته ، وعقبر موضع باليمن كانت دراهمه زيوفا ويقال بلد من بلاد اليمن .

(٢) هو راعي الإبل النخري شاعر مشهور هجاء جرير ونوفى في أوائل القرن الثاني ، كان كثير وصف الرعاء في شعره فسمى الراعي وهو من أسرة طيبة في البادية .

(٣) المهمة : الأرض المقفرة الخلاء ، والقلق : الاضطراب ، وهامات : جمع هامة وهي الرأس ، والضمير فيها للإبل . والفأس معروف ، وفأس اللجام والحديدة القائمة في الحنك وهو المراد هنا . ونصل السهم : خرج نصله . يشبه الشاعر اضطراب الإبل في سيرها في الصحراء باضطراب فأس اللجام في نصلها من حنك الدابة .

(٤) نعيم بن أبي بن مقبل شاعر جاهلي نزل أدرك الإسلام وأسلم وكان يبيكي أهل الجاهلية وتوفي سنة ٢٥ هـ .

(٥) التنقلل : الاضطراب : ضغم اللجام : إمساكه . القاة : الحنة المطبقة في أقصى سقف الفم . المرخ : شجر سريع الورى . الجمعية : كتابة السهم ، الصفر : الخالية ، الضغم : العض .

- ٢٦٥ تراهن خلف القوم زور أعيونها جلوس الشيوخ في مسوك الأراب (٣)
وقال زهير (من الطويل) :
٢٦٦ بكرن بكورا واستحرن بسحرة فهن يوادى الرس كالأيد في الفم (٤)
ومن التشبيهات العجيبة ، قول ابن مقبل (من البسيط) :
٢٦٧ - وللفزاد وجيب تحت أهره لدم الغلام وراء الغيب بالحجر (٥)
وقال رؤبة (١) (من الرجز) :
٢٦٨ - حتى رأين هامتي كالطلس جلحاء جلحاء كظهر العس (٢)
وقال زهير في الحار والأتن (من المتقارب) :
٢٦٩ - تبادرت جرياً يبادرته كقرع القلب حصا القاذفينا

(٣) زورا أى متحرقات ، ومن المادة : ازور عن الشيء أى عدل عنه وانحرف والمسوك : الجلود .

(٤) بكر : سار بكرة ، واستحرن : سار سحرا ، وسحرة اسم للسحر ، يقول : ابتدأن السير وسرن سحرا وهن قاصدات لوادى الرس لا يخطئنه كالأيد الفاصدة للقم لا تخطئه .

(٥) الوجيب : خفقان القلب وتحركة ، الأهر عرق مستبطن في الصلب متصل بالقلب ، اللدم : الضرب ، والغيب : ما كان بينك وبينه حجاب ، والمعنى أنه يشبه صوت خفقان القلب الذى لا يرى بصوت الحجر الذى يرمى به الصبي من خلف حجاب ولا يراه . وغص الغلام لأن الصبيان كثيراً ما يلعبون برمي الحجارة .
(١) راجز من مخضرمى الدوائين كان أكثر مقامه بالبصرة وكان يحج بشعره وأخذ عنه أعيان أهل اللغة وكان يشار بمحاول أن يظهر عليه في الرجز ، وأجوه العجاج الراجز المشهور ومات بالبادية سنة ١٤٥ هـ .

(٢) الهامة : الرأس ، الطلس : لغة في الطلست . العس : القدح العظيم . والجلحاء من الجملح ، وهو انحسار شعر الرأس من الجانبين . والجلحاء من الجله ، وهو قريب من الجله . الاتزع الذى قد انحسر الشعر عن جانبي جبهته ، فإذا زاد قليلا فهو أجلح ، فإذا بلغ النصف فهو أجلى ثم هو أجله .

- وتحسب بالفجسر تعشيره تغرد أهوج في منتشينا (١)
وقال الأعشى (من الطويل) :
٢٧٠ - وعريت من ملك وخير جمته كما عريت مما تمر المنازل (٢)
وقال أبو ذؤاد (٣) في الفرس (من الكامل) :
٢٧١ - يمشى كمشى نعامتين تابعان أشق شاخص (٤)
ومن تشبيهات عنتره بن شداد (٥) العيسى (من الكامل) :
٢٧٢ - جادت عليه كل بكر حرة فتركن كل قرارة كالدرهم (٦)
وفي الذباب (من الكامل) :
٢٧٣ - هزجا يحك ذراعه بذراعه قدح المكب على الزناد الأجنم (٧)

- (١) الجرى : المشى السريع ، ولعله جرى بكسر الجيم جمع جرو وهو الصغير من كل شيء ، والجروء : الناقة الصغيرة . والقرع : مصدر قرع الباب ونحوه . والغليب : البئر التي لم تملأ ، التعشير : صوت الأمان والناقة . والتغريد : التغريد . الأهوج : الأحمر أو السكران . الملتشى : من انتشى أى سكر .
(٢) عرى من ثيابه وعراه بالقتل وقرع عرى أى ليس عليه سرج ، تمر : تحكم القتل ، يقول : ذهب عنك ما جمعه من مال وبنيته من مجد كما يذهب القتل عن المنازل وتبقى عارية عنه .
(٣) أبو ذؤاد الأبادي : شاعر جاهلي مشهور وأحد نعات الخيل المجيدين والعرب لا تروى شعره ولا شعر عدى بن زيد لأن ألفاظهما ليست بنجدية ، وكان الخطيئة ينوه به .
(٤) النعامة : معروفة ، تبعه : مشى خلفه أو مر به ، ومن المسادة : تابعه ، إذا سار يريد اللحاق به شخص بهصره فهو شاخص : إذا فتح عينيه وجعل لا تطرف ، الأشق من الخيل : ما يشتق في عدوه يمينا وشمالا .
(٥) سبق أن سمي والده معاوية .
(٦) سبق شرحه .
(٧) هزجا : أى مصونا . المكب : المقبل على الشيء . الأجنم : الناقص . يقول الشاعر إن الذباب قد غلبت هذه الروضة فهي تغرد فيها فعل الشارب النمل =

وفي الغراب (من الكامل) :

٢٧٤ - خرق الجناح كأن لحى رأسه جلدان بالأخبار هش مولع
لأن الذين نعت لي بفراقهم هم أسهروا ليلي التام وأوجعوا (١)
وقال الفرزدق (من الطويل) :

٢٧٥ - بني دارم ما تأمرون بشاعر برد الثنايا ما يزال مزغرا
إذا هو استلقى رأيت سلاحه كقطع عنق الناب أسود أحمر (٢)
وقال الطرماح (٣) في الثور (من الكامل) :

٢٧٦ - يسسود وتضمه البلاد كأنه سيف على شرف يسل ويغمد (٤)

وتحك إحدى ذراعيها بالأخرى مثل رجل ناقص اليد قد أقبل على قدح النار .
ويعد التقاد وفي طليعتهم الجاحظ هذا البيت من الأبيات الغدة التي لم يسبق أحد
إلى معناها .

(١) الخرق : هو الأخرق ، اللحي : مثبت اللحية من الإنسان وغيره ، شبه
لحيته بالجلدان لأن الغراب يغير بالفرقة ويقطع كما يقطع الجلدان ، والجلم الذي
يمد به ، وهما جلدان ، هش به يش : خف إليه وارتاح له ، أولع بالشيء فهو مولع
أى مغرى ، نعب الغراب : أى صاح . ليل التام : أطول ليل في السنة ، أسهروا
من السهر وهو الأرق ، ويروى أسهدوا ، والسهاد : الأرق أيضا .

(٢) بنو دارم : قوم الفرزدق ، البرود : البارد ، الثنايا : مقدم الأستان ،
زعفر الثوب : صيفه بالزعفران ، استلقى : اضطجع على قفاه ، مقطع الشئ : موضع
قطعه ، الناب : الجمل الذي طلع نابه ، والناب أستان طويلة نلى الثنايا وهى أربع .
(٣) شاعر خطيب وأحد زعماء الخوارج توفى سنة ٨٠ هـ ، وقال محمد بن سهل
واوية السكيت : أنشدت قول الطرماح للسكيت :

إذا قبضت نفس الطرماح أخلفت عرى المجند واسترعى عنان القصاد
فقال : لى والله ، وعنان الخطابة والرواية (١/٤٢ البيان) . وقال عبد الأعلى :
رأيت الطرماح مؤدبا بالرى فلم أر أحدا أعز لعقول الرجال ولا أجذب لأسماعهم
إلى حديث منه (٢/٢٢٦ البيان) .

(٤) يبدو : يظهر ، تضمه : تفيبه وتحفقيه . الشرف : المكان المرتفع . غمد
السيف : جعله في غمده ، سله : أخرجه من الغمد .

وكتب مروان إلى بعض الخوارج : إني وإياك كالزجاجة والحجر إن وقع
عليها رضا^(١) وإن وقعت عليه فضا . وقال آخر يصف السبل (من الرجز) :
٢٧٧ - يسكب فيه دوحه للأذقان شحذ المواسي حجام الرهبان^(٢)
ومن عجائب التشبيه قول عدى^(٣) بن الرقاع (من الكامل) :
٢٧٨ - تزجي أغن كأن إبرة روقه قلم أصاب من الدواة^(٤) مدادها
وقال آخر يصف صوت شخب^(٥) الضرع (من الرجز) :
٢٧٩ - كان صوت شخبها غديه حفيف ربح أو كشيش حيه^(٦)
وقال حسان (من الكامل) :
٢٨٠ - بزجاجة رقصت بما في قعرها رقص القلوص براكب مستعجل^(٧)
وقال جرير (من الوافر) :
٢٨١ - لها برص بأسفل إسكتها كمنفقة الفرزدق حين شابا^(٨)

(١) الرض : الدق ، وكل شيء كسرتة فقد رضضته ، والفض : الكسر بالانفارقة .
(٢) السكب : إلقاء الشيء على الوجه . والإكباب : خرورج الشيء على وجهه .
الدوح : جمع دوحة ، وهي الشجرة العظيمة . المواسي : جمع موسى ، وهو
ما يخلق به . الحجام : موضع الحجامة . الرهبان : جمع راهب .
(٣) شاعر غزل هاجي جريرا ، واجتمعا عند عبد الملك أو الوليد فأنشده
عدى قصيدته الدالية فحسده جرير عليها . واختص بالوليد بن عبد الملك ومات
سنة ٩٥ هـ في دمشق .

(٤) أذجي الإبل : ساقها . الأغن : الطهي ، والفتة : صوت في الخيشوم ،
يقال طير أغن ، أي يتكلم من قبل خياشيمه . الروق : القرن ، إبرته : طرفه
المدبب . المداد : الخبر .

(٥) الشخب : جريان اللبن في الإناء وقت الحلب ويضم .
(٦) الغدية : تصغير غدرة ، وهي ما بين صلاة الغداة إلى طلوع الشمس .
حفيف الريح : صوت هبوبها ، الكشيش : صوت الحية .
(٧) رقصت : تحرك ما فيها من شراب في اضطراب . القلوص : الناقة الثمابة .
(٨) البيت من قصيدة لجرير في هجاء الراعي الفيرى . والضمير في لها لعل

وقال عبد الله بن الزبير الأسدي (من الطويل) :
٢٨٢ - وأتم بنى حام بن نوح أرى لكم شفاها كآذان المشاجر ورما^(١)
المحدثون:

ومن أحسن التشبيه قول بشار (من الوافر) :
٢٨٣ - كأن فواده كرة تنزى حذار الين لو نفع الحذار^(٢)
وقال عبد الصمد^(٣) يصف ذنب العقرب (من الرجز) :
٢٨٤ - أسود كالمسحاة فيه مبضعه ينطف منها صابه وسلعه^(٤)
وقال منصور بن الفرج (من الكامل) :
٢٨٥ - أن نأته يك منه ربعك مخصباً والأرض مجدية كخذ الأمر
طلب المحامد جاهداً وهي التي لا يمتوئها طالب لم يجهد^(٥)
وقال العلو الأصفهاني (من الطويل) :
٢٨٦ - كأن انتصار البدر من تحت غيمه نجاء من البأساء بعد وقوع^(٦)

== مرجعه إلى الناقة أو إلى المرأة . البرص : داء معروف . الأسكتان : جانبها الرحم .
العنفقة : ما بين الشفة السفلى والذقن لحفة شعرها .

(١) شفاها : جمع شفة . المشجر : موضع الشجر ، والشجر : الذقن وما انفتح
من متعلق الفم ، أو ما بين اللحيين ، والمشجر : عود المودج . ورم جمع ورم
من الورم وهو معروف . (٢) تنزى : يثب . الحذار : الخوف .
(٣) عبد الصمد بن المعدل بن غيلان شاعر عباسي ، هجاء ، شديد المعارضة ،
ولد ونشأ في البصرة وتوفي سنة ٢٤٠ .

(٤) المسحاة : كالخجرفة إلا أنها من حديد . المبيضع أما يبيضع أى يثقب به العرق ،
ينطف : أى يسيل . الصاب : عصارة شجر مر . السلع : شجر مر أو ضرب من
الصبر أو بقلة خبيثة الطعم . والضمير في منها لذنب العقرب .
(٥) الريح : الدار . الأمر : الغلام الذي لم يثبت شعر لحيته . جهد الرجل
في الأمر جد فيه وبألغ .

(٦) وبروى انتضاء بدل انتصار ، انتضى الثوب : غلعه ، وانتضى السيفه :
سله ، الغيم : السحاب . النجاء : مصدر نجأ . والبأساء : الشدة .

- ومما يستحسن من التشبيه قول أبي نواس (من الرجز) :
- ٢٨٧- لما تبدى الصبح من حجابيه كطلعة الأشمط من جلبابه^(١)
وقال في الطير (من الرجز) :
- ٢٨٨- كأنما يصفر من ملاءق صرصرة الأتلام في المهارق^(٢)
وقال يصف الطير إذا أحست باليازي (من السريع) :
- ٢٨٩- وهن يرفعن صراخا كما يصوت في الشعب المليون^(٣)
ومن التشبيه الحسن قول البحتري (من الكامل) :
- ٢٩٠- يخفي الزجاجة نورها فكأنها في الكف قائمة بغير إناء^(٤)
وقال أبو نواس في ناقة (من المنسرح) :
- ٢٩١- كأنما رجلها قفا يدها رجل غلام يلهو بدبوق^(٥)
وأنشد الأسدى^(٦) (من الطويل) :
- ٢٩٢- إذا نحن رمنا هجرها ضم حبا صميم الحشايم الجناح الخوافيا^(٧)
- (١) تبدى : ظهر . الحجاب : الستر . الشمط : يباحض يغالط سواد شعر الرأس والرجل أشمط والمرأة شمطاء وشمط بالكسر . والجلباب : الماحقة .
- (٢) يصفر : يصوت ، الملاءق : جمع ملققة . الصرصرة : الصوت المرجع ، المهارق الصخائف جمع مهرب وهي الصحيفة فارسي معرب .
- (٣) الصراخ : الصوت . صات يصوت : أى صوت . الشعب : الطريق في الجبل . المليون : جمع ملب من لبى بالمح تلبية إذا رفع صوته يذكره .
- (٤) البيت في وصف الحر ووروده هنا يثنى نسبه لابن المتمر كما في (٢٨ ج ٢ ديوان ابن المتمر) ، وقد عاب بعد التفاد البيت وقالوا : هو وصف الإناة للعمر لأنه لو ملئ الإناة دبسا لكان هذا صفته (١٢ موازنة) وقد رد عليهم الأمدى (راجع ١٤ ، ١٦٤) ، ورواية الأصل تخفى بالناء .
- (٥) القفا : مؤخر العنق ، والمراد خلف ، الدبوق : لعبة .
- (٦) تقدمت ترجمته ، والبيت يروى للأفرع بن معاذ القشيري (راجع ترجمته في ٣٨٠ معجم الشعراء) ، وهو شاعر أموي كان في أيام هشام بن عبد الملك .
- (٧) الحشا : ما انضم عليه الضلوع . صميم الشيء : خالصه ، الخوافى : جمع عافية وهي مادون الريشات العشر من مقدم الجناح .

وقال آخر (من الطويل) :

٢٩٣ - عني وداع قبحت من عشية ولكنها لا قبحت من مودع
كان انحدار الدمع منها تعدد لها ذات عقد قبل عدى فأسرعي^(١)

وقال آخر (من الخفيف) :

٢٩٤ - لعن الله ولاء فلا خلقت خلقة الجلم
إنها تفرض الجلم وتأتى على الكرم^(٢)

وقال أبو نواس (من الكامل) :

٢٩٥ - وإذا قصرت لها الزمام سما لها فوق المقدم ملطم حر
وكانها مصبح لتسمعه بعض الحديث بأذنه وقر^(٣)

ومن عجائب التشبيه قوله أيضا (من السريع) :

٢٩٦ - تبكي فتذرى الدر من رجز وتلطم الورد بعناب^(٤)
وقال آخر^(٥) (من الكامل) :

٢٩٧ - عظمت روادفها أدت خصرها ووشاحها قلق كقلب مغرم^(٦)

(١) العنى والعشية : من صلات المغرب إلى العتمة ، ولكنها أى المحبوبة ، الانحدار : الهبوط ، عده : أحصاه ، وعدى أى احسبى . والمعنى : شامت عشيات الوداع ولاشاه وجهه من ودعناه فلقد فارقنا وهو الوفى المخلص إذا خنقته العبرات وانهمرت منه الدموع متواليات حتى حسبناه فى سرعة انهيار دموعه امرأة تحسب وتعد ما لها فى سرعة فائقة ، والمعنى تساقط الدمع من عينيه ككساقط المال المعداد من يد الحاسب (٢) الجلم : المتعص . تفرض : تقطع .

(٣) الزمام : مقود الدابة . سما : علا . المقدم : عند المؤخر ، ويقال : ضرب مقدم وجهه . الملطم : الوجه لأنه موضع اللطم ، واصفى استمتع فى إنصات الوفر : الثقل .

(٤) الدر : يريد به قطرات الدموع . أذرت العين دمعها : حيسته . الرجز : معرب وتشبه به العيون . اللطم : ضرب الوجه بباطن الراحة ، العناب : ثمرة أحمر يشبه به البنان والورد مستعار للخد .

(٥) ينسب البيت لمروة بن أذينة الشاعر الغزل فقيه المدينة وقاضيهما فى عصر بنى أمية ووفد على هشام .

(٦) الروادف : جمع رادفة وهى الكفلة . أدت : أثقلت . الخصر : وسط الإنسان . الوشاح : ما يتوشح به ، وقلق الوشاح كناية عن ضيق الخصر .

وقال آخر في البرق (من الرجز) :

٢٩٨- وتارة يفيض باستخفاء كلجة من ذى هوى مراى
أسرها خوفاً من الأعداء (١)

١٢- لزوم ما لا يلزم

ومن إعنات الشاعر نفسه في القوافي وتكلفه من ذلك ما ليس له قول
دافع (٢) بن هريم اليربوعي (من الطويل) :

٢٩٩- فلا تحاموني تصبكم بعرة مفارقتى أو تقبسوا من شراريا
إذا صار لوني كل لون وبدلت تضارة وجهي مخضبا باصفراريا
فسرى كإعلاني وتلك سجيستي وظلمة ليلى مثل ضوء نهاريا
بنى عاصم من ذا الذى ترسلونه مع الخيل يجرى مثل ما كنت جاريا
له مثل طرفي ساميا عند غايي وطول عناني وارتفاع عذاريا
وعسى ورأى من عرام جماعسة شياطين (أصلها) بشبان ناريا (٣)

(١) يفيض العرق : تحرك . استخفى منه استخفاء : توارى . لجه : أبصره ينظر
خفيف ، والاسم اللجة . الهوى : الحب ، مراى : من الرياء ، وتراى الجمعان :
رأى بعضهم بعضا ، وفلان يترأى : أى ينظر إلى وجهه في المرأة . الضمير في أسرها
للجة . الخوف : الخدر . أسر : أخفى . والمعنى - أن البرق حينما يلح في خفية كما
يبدو المحب في سرعة وخفية إذا شاهد الأعداء والوشاة

(٢) ورد له في الأمل شعر (٢/٨٢) ولم أقف على ترجمة له .

(٣) حاشى عنه : دافع ، ولعلها تحاموني ، من تحاماه الناس توقوه واجتنبوه .
العة : العار . مفارقة : مصدر فارقه . القبس : شعلة نار ، وقبس منه نارا
فأقبسه : أى أعطاه منه قيبا . الشرار : ما يطاير من النار . التضارة : الهجة
والحسن والروثق * مخضبا : أى مخضوبا ، من الخضاب وهو ما يختضب به . السجية :
الطبع . بنو عاصم : قومه . الطرف بالكسر : الجواد الكريم . ساميا : رافعا
بصره نحو الشئ . * الننان : مقود الدابة . عذار الرجل : شعره الثابت في موضع
العذار . عرام : أعداء قومه . صليت الرجل نارا وأصليته : أدخلته فيها . شبيان : =

وقال آخر من الطويل :

٣٠٠- يقولون في البستان للعين لذة وفي الخمر والمساء الذي غير آسن (١)
فإن شئت أن تلقى المحاسن كلها ففي وجه من تهوى جميع المحاسن
وقال آخر وأظنه قديما (من الطويل) :

٣٠١- عصافى قوسى ، والرشاد الذى به أمرت ، ومن يعص الجرب يندم
فصبوا بنى بكر على الموت إننى أرى عارضا ينهل بالموت والدم (٢)
وأشد إسحاق بن إبراهيم الموصلى (من الوافر) :

٣٠٢- إذا ما كنت يوما مستضافا فقل للعبد يسقى القوم برا
فحسن البر مكرمة ومجد ومدفأة إذا ما خفت قرا (٣)
١٣ حسن الابتداء (٤)

ومنها حسن الابتداءات . قال النابغة (من الطويل) :

٣٠٣- كلبى لهم بأمية ناصب وليل أفاقيه بطل الكواكب (٥)
وقال الأعشى (من الطويل) :

٣٠٤- كفى بالذى توليته لو تحببا (٦)

== جمع شهاب وهو شعلة نار ساطعة . وفي الأصل تحريف كثير هنا في رواية الآيات
وقد صححناها بما يسير المعنى .

(١) أسن المساء : أجن وتغير طعمه .

(٢) عارض الإنسان : صفحة خده . ينهل : يتساقط في انصباب وكثرة .

(٣) المستضاف : صاحب الضيف . المدفأة : الدفء . القر بالضم : البرد .

(٤) راجع باب المبدأ والخروج والنهاية في العمدة لا بن رشيق ص ١٩١ / ١

وما بعدها . وحسن الابتداء تسمية ابن المعتز وقد قرع المتأخرون من هذه التسمية
براعة الاستئلال (٩٣ حسن التوسل إلى صناعة التوسل) .

(٥) كلبى : من وكلة إلى نفسه يكله وكولا من باب وعد . والهم : الحزن .

أمية : اسم محبوبته . ناصب : شديد ، أى ذو نصب ، لأنه ينصب فيه ويتعب .
(٦) تحبب إليه : تودد .

- وقال بعض المحدثين (من الطويل) :
 ٣٠٥ - كأن اللواقى قلن لى أنسير غصون رمال قوقهن بدور^(١)
 وقال أبو تمام (من الطويل) :
 ٣٠٦ - أجل أيما الربيع الذى خف أهله لقد أدركت فيك النوى ما تحاوله^(٢)
 وقال أيضا (من الكامل) :
 ٣٠٧ - يارب لو ربعوا على ابن موم^(٣)
 وقال أيضا (من البسيط) :
 ٣٠٨ - يا بعد غاية دمع العين إذ بدوا هى الصبا بة طول الدهر والكبد^(٤)
 وقال أيضا (من الكامل) :
 ٣٠٩ - بأبى وغير أبى وذاك قليل ثاو عليه ترى التباح مهيل^(٥)
 وقال أبو حية^(٦) (من الطويل) :
 ٣١٠ - ألا حى من أجل الحبيب المغانيا لبسن البلى مما لبسن اللاليا^(٧)
 وهذا أيضا يدخل فى باب اعتراض كلام فى كلام ثم يعود الشاعر فيتم الكلام.
 وقال عبد الله بن محمد بن أبي عينة المهلبى^(٨) (من البسيط) :
 ٣١١ - من أقعدته صروف الدهر لم ينم^(٩)

(١) يصف حبيباته باعتدال القامة وحسن الوجوه وجمالها .
 (٢) أجل : أى نعم . خف : ارتحل . أهله المقيمون به ، النوى : الفراق .
 (٣) الربيع : الدار . ربعوا : وقفوا .
 (٤) الصبا بة : رقة الشوق وحرارته . الكبد : الحزن .
 (٥) نوى : أقام . الثرى : التراب . التباح : العوبل . هال التراب : أرسله لإرسالاً فهو مهيل .
 (٦) أبو حية الفيرى واسمه الهيثم بن الربيع ، شاعر مشهور بجيد من مخضرى الدولتين . توفى سنة ١٦٠ هـ .
 (٧) المغاني : المنازل التى كان بها أهلها .
 (٨) شاعر عباسى متوسط فى منزلة الشعرية ، وقد سرت له ترجمة عند البيت ١٦٥
 (٩) صروف الدهر : أحداثه ونوائبه .

دراسات عن ابن المعتز

لا يفوتنا أن تنوه في آخر هذا الكتاب بدراستين كتبنا عن ابن المعتز :
أولاهما كتبها الدكتور طه حسين ونشرها في كتابه « القيم » من حديث
الشعر والنثر ، ، حيث عرض لابن المعتز وشعره في نحو عشرين صفحة ،
تحدث فيها عن حياته وبيئته وأثرهما في شعره ، وروى شعره لمؤدبه أحمد بن
سعيد الدمشقي ودلالة هذا الشعر على نفسه ، ويتحدث كذلك عن فن ابن المعتز
وخصائصه وشعره التعليمي في أرجوزته في المعتضد وأرجوزته في ذم الصبرح ،
ويشير إلى مكانته العلمية كل ذلك في إيجاز شديد .

والدراسة الثانية هي كتاب ظهر عن ابن المعتز في بيروت عام ١٩٥١ ،
وقد ألفه الأديب المصري الأستاذ عبد العزيز سيد الأهل ، وقد قامت معركة
أدبية بين وبين الأستاذ الأهل على أثر قراءتي لكتابته الذي اعتمد مؤلفه
فيه على كتابي عن ابن المعتز دون أن يشير إلي ، وقد نشرت مناقشتي للأستاذ
الأهل في مجلة الأديب البيروني وفي كتابي « فصول في النقد » ،

وقد نشر الأستاذ الأهل قصة عن حياة ابن المعتز في الخلافة بعنوان
« يوم وليلة » .

ومنذ شهور قابلي أديب عراقي وقال إنه سيسافر إلى ألمانيا الغربية
للتحضير لرسالة دكتوراه عن ابن المعتز ، وقد نسيت اسمه الآن
وفيما وراء ذلك لا نجد دراسات أخرى عن « ابن المعتز » ...

١٩٥٨/٩/٢٠

البحرى يصف شخصية ابن المعز

أبا العباس أبررت على قومك آدابا وأخلاقا وتميزا
فلو صورت من شيء سوى الناس إذا كنت من العقيان إبريزا
ولم يملك إلا كرم النفس بلى فازددت بالمعز تمريزا
فأنت الغيث إذ يسجم والليث إذا يقدم والصارم مهروزا
فأما حلبة الشعر فتستولى على السبق بها فرضا وتميزا
يا حكام مبادئه وإبداع معانيه ولا يوجد مغموزا
فإن جفست لم تستكره القول وإن طابقت طرزت تطريزا
مدى من رامة غريك أنضاه وأبدى منه تقصيرا وتعجيزا
فأما دافعوا فضلك بالظلم فجوزنا عليهم لك تجويزا

خاتمة

هذا الكتاب كان ظهوره بهذه الصورة الجديدة معجزة وتوفيقاً كبيراً من الله . . .

وبحسبي أنه اشتمل على أربعة كتب مهمة :
أولها : الطبعة الأولى من كتابي « ابن المعتز وتراثه في الأدب والنقد والبيان »
وثانيها : كتابي « التنبيه في شعر ابن المعتز وابن الرومي »
وثالثها : نص كتاب « البديع لابن المعتز ، وشروحي عليه »
ورابعاً : رسائل ابن المعتز في الأدب والنقد والأخلاق .
هناك إلى جانب ما اشتمل عليه من شعر لابن المعتز وتحليل لجوانب شخصيته وأدبه وشعره وتراثه الفكري والنقدي .
وإني لأحمد الله تعالى على توفيقه ، وأسأله العون والسداد ، إنه ولي المخلصين ، وملاذ العاملين . . .

محمد عبد المنعم خفاجي

القاهرة في { ٦ ربيع الأول ١٤٢٨
٢٠ سبتمبر ١٩٠٨

فهرس موجز للكتاب

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
	الباب الثالث	٣	مقدمة الطبعة الثانية
٤٥٦ - ١٣٥	شعر ابن المعتز	٥	مقدمة الطبعة الأولى
	الفصل الأول : رواه شعره		الباب الأول
١٣٦	وبمجموعاته	٥٦ - ٧	عصر ابن المعتز
	• الثاني : أراء علماء الأدب		الفصل الأول : الحياة السياسية
١٤١	في شاعريته		• الثاني : • الاجتماعية
١٥٠	الفصل الثالث : أغراض شعره	٢٢	• الثالث : • العقلية
١٥٣	(أ) - الشعر الوجداني	٣٠	• الرابع : • الأدبية
١٥٤	١ - الغزل		• الخامس : الشعر في عصر
١٦٢	٢ - الشباب والمثيب	٤٣	ابن المعتز
١٦٣	٣ - الفخر		الباب الثاني
١٦٦	(ب) - الشعر الاجتماعي	١٣٤ - ٥٧	حياة ابن المعتز
١٦٩	(ج) - الشعر السياسي		الفصل الأول : ميلاد الشاعر
١٧٨	(د) - الحكمة	٥٨	وأسرته
١٨٦	(هـ) - الشعر الفني		• الثاني : طفولته ونشأته
١٨٦	١ - الوصف		• الثالث : ابن المعتز في عهد
١٩٣	٢ - أوصاف الطبيعة	٨٠	الشباب
١٩٨	٣ - الطرد		• الرابع : ابن المعتز في عهد
٢٠٠	٤ - الخزيات	٩٤	رجولته
٢٠٧	(و) - الشعر القصصي		• الخامس : خلافته وقلته
٢١١	(ز) - ابن المعتز والموشحات	١٠٤	• السادس : شخصية ابن المعتز
٢١٥	(ح) - التشبيه في شعره		صفته وأخلاقه
٢٥٠	الفصل الرابع : أسلوبه وألفاظه	١١٣	بجونه ولغوه
٢٥٠	ما هو الأسلوب	١١٥	الفصل السابع : مؤلفات وثقافته
٢٥١	أسلوب ابن المعتز	١٢٢	

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٤٣	١ - ابن معتر الأدلس	٢٥٣	الجزالة والرفة في شعره
٣٤٤	٢ - تميم بن المعز	٢٥٩	الضبع والصنعة
٣٤٨	٣ - أبو فراس	٢٧٠	ألوان الصنعة
٣٥١	٤ - ابن سناء	٢٧٠	١ - التشبيه
٣٥٢	ابن خفاجة	٢٧٠	٢ - جودة الابتداء
	الفصل الثامن : شعره	٢٧٢	٣ - الطباق
٣٥٤	والدراسات البيانية	٢٧٣	٤ - المقابلة
٣٦٣	الفصل التاسع : معارضاته الخ	٢٧٤	٥ - الجناس
٣٦٥	ما ينسب له ولغيره	٢٧٧	٦ - الاعتراض
٣٦٩	آياته المشهورة	٢٧٨	٧ - صور أخرى من الصنعة
	الفصل العاشر : مقطوعات	٢٨٦	خصائص أخرى لاسلوبه
٣٧١	وقصائد للشاعر	٢٩٣	ألفاظ ابن المعتر
٣٨٧	أرجوزته في الصبوح	٢٩٣	أخطاء في اللفظ والاسلوب
	الفصل الحادي عشر :	٢٩٧	أوزان الشاعر وقوافيه
٣٩٤	أرجوزته في المعتضد	٣٠١	الفصل الخامس : أخيلته ومعانيه
	الفصل الثاني عشر : التشبيه	٣٠١	أخيلته
٤٥٦-٤١٦	بينه وبين ابن الرومي	٣٠٤	معاني شعره
	الباب الرابع	٣٠٧	المعاني التي أخذها من الشعراء
٤٥٧	أثر ابن المعتر في الدراسات البيانية	٣١٧	معانيه الجديدة والجيدة
٤٥٨	الفصل الأول : تاريخ النثر الفني	٣٢٠	المعاني التي أخذها منه الشعراء
٤٦٥	الثنائي : أثر الشاعر في النثر	٣٢٨	الفصل السادس : طبقة ابن المعتر
	الثالث : نصوص من نثر	٣٢٨	طبقات الشعراء
٤٧٢	ابن المعتر	٣٣١	طبقة ابن المعتر
	الباب الخامس	٣٣٢	موازنات أدبية
٥٠٣	ابن المعتر وأثره في النقد الأدبي		الفصل السابع : الشعراء الذين
	الفصل الأول : النقد قبل	٣٤٣	تأثروا به

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
ابن المعتز	٥٠٤	الفصل الثاني : أثره في	
الفصل الثاني : أثره في		النقد الأدبي	٥١٨
١ - سرقاات الشعراء	٥١٨	٢ - طبقات الشعراء	٥٢١
٣ - رسائله في نقد أبي تمام	٥٢٨	آراؤه الأخرى في النقد	٥٢٩
الفصل الثالث : نصوص من		آرائه في النقد	٥٣٠
الباب السادس		ابن المعتز وأثره في البيان	٥٦٤
الفصل الأول : البيان قبل		ابن المعتز	٥٦٥
الفصل الثاني : أثر ابن المعتز			
في البيان العربي	٥٧١		
الفصل الثالث : كتاب البديع			
لابن المعتز	٥٩٦ - ٧١٤		
تمهيد	٥٩٦		
آراء كراتشوفسكى في			
كتاب البديع	٦٠٩		
مقدمة ابن المعتز لكتاب البديع	٦١٠		
أصل الكتاب وشروح عليه	٦١١		
دراسات عن ابن المعتز	٧١٥		
البحرئ بصف شخصية			
ابن المعتز	٧١٦		
غائمة الكتاب	٧١٧		
فهرس موجز للكتاب	٧١٨		